

جامعة القاهرة - كلية الآداب
(قسم التاريخ)

الأ. مستتارية في رومن (١٢١٠ - ١٥٢٢ م)

من رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ
(فرع العصور الوسطى) بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

أعداد :

سماي سلطان سعد

إشراف :

الأستاذ الدكتور / سعيد عبدالفتاح عاشور
أستاذ كرسي تاريخ العصور الوسطى
بجامعة القاهرة

(١٩٧٥)

مكتبة جامعة

رقم ٦

محتويات الرسالة

| | | |
|-----------|-----|---|
| ١ - ١ | ١ | (١) المقدمة |
| ١١٦ - ١٢ | ١٢ | (٢) الفصل الأول (نشأة الاستتارية وتطورهم حتى غزو جزيرة رودس) |
| ١٧٦ - ١١٧ | ١١٧ | (٣) الفصل الثاني (قيام دولة الاستتارية في رودس وأهم إنجازاتها في مجال البناء والتشييد) |
| ٢٥٠ - ١٧٧ | ١٧٧ | (٤) الفصل الثالث (نظام الحكم والإدارة عند الاستتارية في رودس) |
| ٣٥٠ - ٢٥١ | ٢٥١ | (٥) الفصل الرابع (العلاقات بين الاستتارية في رودس والقسري المسيحية في إيطاليا وشرق البحر المتوسط) |
| ٤٥١ - ٣٥١ | ٣٥١ | (٦) الفصل الخامس (العلاقات بين الاستتارية في رودس ودولة سلاطين المماليك في مصر والشام) |
| ٥٠٦ - ٤٥٢ | ٤٥٢ | (٧) الفصل السادس (العلاقات بين الاستتارية في رودس والأتراك قسري القرن الرابع عشر للميلاد) |
| ٦٠١ - ٥٠٧ | ٥٠٧ | (٨) الفصل السابع (سقوط رودس في أيدي الأتراك المماليك ونهاية حكم الاستتارية فيها) |
| ٦٠٤ - ٦٠٤ | ٦٠٤ | (٩) الخاتمة |
| ٦١٨ - ٦٠٥ | ٦٠٥ | (١٠) المصادر والمراجع |

مقدمة

لدراسة تاريخ الاسبتارية في رودس (١٢١٠ - ١٥٢٢) أهمية خاصة ففى تاريخ الشرق الادنى فى العصور الوسطى ، نظرا للدور الخطير الذى قاموا به فى المرحلة الأخيرة من مراحل الحركة الصليبية ، فضلا عن علاقاتهم المعقدة مع مختلف القوى المعاصرة فى الشام ومصر من ناحية وفى آسيا الصغرى والبلقان من ناحية أخرى وفى إيطاليا وغرب أوروبا من ناحية ثالثة .

وفى هذا البحث حاولت ان اتبع تاريخ قيام دولة الاسبتارية فى رودس ، والأسس التى قامت عليها دولتهم من ناحية التنظيم ، والعلاقات الخارجية التى ربطتهم بالقوى المعاصرة مسيحية كانت أو اسلامية . وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع . ويأتى على رأس قائمة المؤرخين الذين رجعتنا الى كتاباتهم عن الاسبتارية المؤرخ الفرنسى Joseph Delaville le Roulx الذى أمضى عشرين عاما من عمره فى جمع ودراسة وثائق الاسبتارية المحفوظة فى مختلف دور الوثائق بأوروبا حتى انتهى منها بوضع كتابه (Cartulaire Général des Hospitaliers de Saint-Jean de Jérusalem, 4 Vol., Paris 1894-1906) . الذى ضمن أجزاءه الأربعه نحو خمسة آلات وثيقة تتعلق بتاريخ الاسبتارية فى الشام وقبرص من عام ١١٠٠ حتى عام ١٢١٠ تحت عناوين تشرح موضوعاتها وضعها لها بنفسه .

وفى خلال ذلك أصدر ديلاكيل لروكابه :

(Les Archives, la Bibliothèque et le Trésor de l'Ordre de Saint-Jean de Jérusalem à malte, Paris 1883) .

وفيه تناول كل قسم من اقسام وثائق الاسبتارية المحفوظة فى جزيرة مالطة بالتفصيل مبينا أرقام هذه الوثائق وموضوعاتها ، كما نشر أجزاء من بعضها .

وبعد ثلاث سنوات من نشر هذا الكتاب - أى فى عام ١٨٨٦ - أصدر

ديلاكيل لروكابه آخر أعطاء عنوان :

(La France en Orient au XIV^eS. -Expéditions du maréchal Boucicaut, 2 Vols., Paris 1886) .

ويتألف هذا الكتاب من جزئين . وقد تناول المؤلف فى الجزء الاول منه بالشرح مشروعات الحروب الصليبية والحملات الصليبية ضد المماليك والأتراك منذ عام ١٢٩١ حيث

طرد الصليبيون من الشام حتى عام ١٤٠٧ حيث عزم بوسيكو - حاكم جنوة - على انفاذ حملة صليبية ضد دولة المماليك في مصر والشام ولكن السفير الاسبتاري ريموند لسكير اثنائه عن عزمه ، وهو نفس المنهج الذي سار عليه فيما بعد المؤرخ المصري دكتور عزيز سوريال عطيه في تأليف كتابه :

Atiya (A.S.) : The Crusade In The Later Middle Ages.

يقطع النظر عن الأبعاد الجديدة التي ذهب اليها في رواياته للأحداث نتيجة رجوعه الى مصادر كثيرة للبحث لم يطررها دبلوماسي لو .

أما الجزء الثاني من كتاب فرنسا في الشرق فيتضمن الى جانب فهرس أيجسدى للجزئين تسعا وثلاثين وثيقة تتعلق بنشاط بوسيكو الصليبي ، ولكن لا يوجد بينها سوى وثيقتين تملكان بالاسبتاريه ، احدهما بتاريخ ٢٩ يناير عام ١٣١١ وفيها يقدم السيد الكبير فولك دي فيلاريه لملك فرنسا تفاصيل عن استعداداته للحرب الصليبية ، والثانيه بتاريخ ١٠ اغسطس عام ١٣٩٧ وتشتمل على قائمة بالأواني الثمينه والمجوهرات التي رهنها الاسبتاريه ليتمكنوا من دفع الفدية عن قانسد الجيش الفرنسي المهزوم في موقعة نيقوبوليس عام ١٢٩٦ .

وفي عام ١٩٠٤ نشر دبلوماسي لو كتابه :

(Les Hospitaliers en Terre Sainte et à chypre, paris 1904)

الذي اعتمد عليه المؤرخ (King) بدرجة كبيرة في كتابه :
(The Knights Hospitallers)

وبخاصة على الفصلين الأخيرين اللذين شرح فيهما دبلوماسي لو الادارة المركزية والادارة الاقليمية لهيئة الاسبتاريه . ولقد أفدنا كثيرا من هذين الكتابين الى جانب كتاب Cartulaire والكتب الخاصة بالحروب الصليبية العربية والأجنبية - في كتابه الفصل الاول من هذه الرسالة الذي عقدناه عن تاريخ الاسبتاريه في الشام وقبرص .

وأخيرا صدر للمؤرخ دبلوماسي لو في عام ١٩١٣ - بعد وفاته - كتاب :

(Les Hospitaliers à Rhodes Jusqu'à la mort de Philibert de naillac 1310 -1421, Paris 1913).

وبلاحظ في هذا الكتاب - الذي أرخ فيه مؤلفه لكل رئيس استنارى على حدة ابتداءً من الرئيس فولك دي فيلاريه الذي تم على يديه فتح رودس في عام ١٢١٠ حتى نهاية عهد الرئيس فيليبسبرت دي نيلاك المتوفى في عام ١٤٢١ - اعتداه الكامل على الوثائق المنشورة وغير المنشورة - فيما عدا رواياته عن الحملات الصليبية ضد المماليك والأتراك في القرنين ١٤ ، ١٥ فقد اعتمد اعتماداً كبيراً على كتابي Jorga

(Philippe de mézieres " 1327-1405" et la Croisade ou XIV^{es}., Paris 1896),

(Notes et Extraits pour servir à l'Histoire des Croisades au XV^{es}., 1^{er} Série, Paris 1889) .

وهذا ما جعلنا نفضل دائماً الاخذ بروايات ديلاكيل في الوقوف على تفاصيل الأحداث وتفضيلها على ما عداها من روايات لاتستند الى الوثائق أو للمؤرخين الذين لم يبينوا لنا مصادر رواياتهم .

على أننا رجعنا الى كتب أخرى طبعه بالوثائق المنشورة بلغاتها الاصلية او المترجمة ترجمة حرفية الى اللغات الاوربية الحديثة ، والتي قدمت لنا أكبر الفائدة في جميع فصول هذه الرسالة . . ولعل أهم هذه الكتب الجزء الثاني من كتاب :

Pauli (Sebastiano): Codice Diplomatico del sacro militare Ordine gerosolimitano oggi di malta, lucca 1737).

وكتاب :

Golubovich (F.girolamo):Biblioteca Bio-Bibliografica della terra santa e dell'Oriente francescano, 5 vol., 1909-1927

وكتاب :

Noiret (Hipolyte : Documents Inédits pour servir à l'Histoire de la Domination Vénitienne en crète 1380-1485", Paris 1892.

وكتب المؤرخ mas-latrie وأعمالها :

1- Commerce et Expéditions militaires de la france et de venise au moyen age, Paris 1879.

2- Histoire de l'Ile de chypre sous le règne des Princes de la maison de lusignan, 3 vol. Paris 1852-1861.

3- nouvelles Preuves de l'Histoire de chypre, dans B.E.C.,T.XXXV,

وفي الحقيقة اننا افدنا كثيرا من الوثائق التي نشرها ماس لانرى وخاصة فيما يتعلق
بالعلاقات بين الاسبتارية وكل من قبرص والبندقية ، فضلا عن أى نشاط صليبي مشترك
للاسبتارية وقبرص ، وذلك جنبها الى جنب مع روايات مؤرخي قبرص المعاصرين لتلك
الأحداث وعلى رأسهم (Amadi, Strambaldi, macheras, machaut

والمؤرخ الحديث George Hill في كتابه :
(a History of cyprus , 3 vol. Cambridge 1948)

ومن المصادر الوثائق الهامة بخلاف ما سبق الجزء الثاني من كتاب :
Baudouin & De naberat: Histoire des chevaliers de saint-Jean de
Jérusalem, Paris 1643.

ويتألف هذا الجزء من ثلاثة كتب في مجلد واحد ، يتضمن الكتاب الأول منها
وعنوانه قوانين هيئة القديس حنا المقدس
(Les statuts de l'Ordre de saint Jean de Hierusalem)
ترجمة حرفية الى اللغة الفرنسية بقلم (I.Baudouin) للمواد الدستورية
الهامة التي تنظم وتحكم الحياة الكنسية والمباسية والاجتماعية والاقتصادية
والقضائية والمسكرية وإدارات الشعب لهيئة الاسبتارية في الشام وقبرص وروم والطله .
وقد اعتدنا على هذه القوانين في كلامنا عن الحكومة والادارة في روم والاسبتارية ، وذلك
في الفصل الثالث من هذه الرسالة .

اما الكتاب الثاني من هذا الجزء فهو عبارة عن ترجمة حرفية الى اللغة الفرنسية
بقلم بودوان نفسه للقرارات الصادرة عن المؤتمر الاسبتاري العام في دوراته الثلاث
المنعقدة في الأعوام ١٦٠٣ ، ١٦١٢ ، ١٦٢١ ، وهو خارج نطاق بحثنا .

ثم يأتي الكتاب الثالث من هذا الجزء ومؤلفه عنوا الاسبتارية De Naberat

وعنوانه :
(Sommaire des Privilèges Octroyez à l'Ordre de saint-Jean par les
papes, Empereurs, Roys & princes, tant en Hierusalem, margat,
ptolemaide, Rhodes, qu'à malthe).

يمثل هذا الكتاب - وهو في الواقع سفر قائم بذاته له أرقام صفحات خاصة تبدأ
 بترقيم مستقل داخل مجلد واحد مع كتابي بودوان السالف ذكرهما - على ملخص لأهم
 الامتيازات التي حصلت عليها هيئة الاستبارة من البابوية وسائر حكام أوروبا في عهد كل
 رئيس من رؤسائها في الشام وقبرص ورودس والقطر ، مصدره بصورة له وذكر تاريخ توليته
 وتاريخ وفاته وأهم الأحداث التي وقعت في عهده من غير شرح . وذكر المؤرخ دي نابيرات
 في مقدمة هذا الكتاب بأنه تعب في جمع وثائق الامتيازات التي ضمنها كتابه بالرغم من منصبه
 مستشارا لملك فرنسا . وقد أفادنا هذا الكتاب بوجه خاص فيما يتعلق بالعلاقات مع البابوية .
 وهناك مؤرخ قديم آخر له هيئة الاستبارة رجعت إليه هو (Vertot) صاحب كتاب :

(Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jerusalem
 appelez depuis les Chevaliers de Rhodes et, aujourd'hui les
 Chevaliers de Malte, 4 Vol., Paris 1726) .

وتألف هذا الكتاب من أربعة أجزاء ، ود تاريخ الاستبارة في رودس في الجزئين
 الثاني والثالث منها . وقد سار المؤلف على نهج التاريخ لكل رئيس استباري على حده
 وقدم لنا معلومات مفيدة فيما يتعلق بالأحداث داخل هيئة الاستبارة وعلاقات هذه
 الهيئة بالبابوية ، ولكن كثيرا من رواياته عن العلاقات الخارجية والمعارك الحربية جاءت
 غير دقيقة تشبهها بعض الأخطاء مما دعانا إلى توخي الحذر عند الرجوع إليه .

ويعتبر القسم الأول في كتاب :

(Flandin : Histoire des Chevaliers de Rhodes, Tours,
 1873) .

وكذلك في كتاب :

(Billotti & Cottret : L'Ile de Rhodes, Paris,
 1881) .

تلخيصا لكتاب فرتمو مع قليل من الإضافات وتصحيح لبعض الأخطاء . على أن
 القيمة الحقيقية للكتابين تتمثل فيما جاء في القسم الثاني من كل منهما من وصف للتحصينات

وغيرها من المنشآت العمرانية التي أقامها الاستتاريه في جزيرة رودس كما شاهدها المؤلف عند زيارته للجزيرة مع الرجوع الى أقوال من سبقوه ومناقشتها . وإذا كنا قد أقدنا من أقوالهما فإن الفائدة الأكبر في الحقيقة حصلنا عليها من كتاب أحدث زمنيا ، ألفه البارون دي بيلابر ، بعنوان رودس الفرنسيان :

(Baron de Belabre: Rhodes of the Knights, Oxford 1908)

فقد استفاد مؤلف هذا الكتاب - الذي شغل فترة من حياته منصب قنصل فرنسا في رودس - من قرائته لكتايب فلانندان وليموني وكتب من سبقهما في التأليف عن رودس ، في إعطاء بيانات وأوصاف لتلك المنشآت أوضح وأكمل .

ولا نغفاه الى ماتقدم من مصادر ومراجع كان كتاب :

(J. De Hammer: Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'à nos Jours, 5 vols. Paris 1835-36).

بأجزائه الخمسة خير معين لنا في الاهتداء الى عوامل عدم قيام بعض سلاطين العثمانيين بمهاجمة رودس بعد أن يكونوا قد أعدوا للأمر عدته بالفعل وذلك بما يشتمل عليه الكتاب من تفاصيل عن أنشطة هؤلاء السلاطين ومشاكلهم الأخرى التي كانت تضطرهم الى توجيه جيوشهم وجهات أخرى أو عدم إخراجها من بلادهم كلية . ولكن يؤخذ على هامر أنه في مجال العلاقات بين العثمانيين والاستتاريه اعتمد في الدرجة الأولى على كتاب فرنسوا جيتي ان المؤرخ (Gibbons) صاحب كتاب

(The Foundation of the ottoman Empire, Oxford 1916)

وجسسه اليه اللوم لأنه اعتمد في تاريخه لحملة نيقوبوليس الصليبية عام ١٢٩٦ على مؤرخ ليس بثقة مثل فرنسو .

على ان المؤرخ هامر أورد لنا في ملحق خاص في نهاية الجزء الخامس من كتابه ترجمه موجزه لما أسماه " يوميات الحملة الثانية للسلطان سليمان ، وهي حملته ضد رودس " .

(Journal de la seconde campagne de Souleiman, celle contre, l'Ile de Rhodes)

٤
٦

اعتمدنا عليها اعتمادا كبيرا - باعتبارها وثيقة تركية معاصرة - عند كلامنا عن الحصار العثماني الأخير الذي قاده السلطان سليمان الثاني ضد رودس في عام ١٥٢٢ وانتهى بطرد الاسبتارية من هذه الجزيرة . ومن الوثائق التركية الأخرى التي استقينا منها أخبار هذا الحصار رسالة خطية لكاتب مجهول يعتقد أنه رمضان طبيب السلطان سليمان ، وإن كنا لم نرجع إلى الأصل التركي لهذه الوثيقة وإنما إلى ترجمه حرفية لها وردت على شكل مقتطفات في كتاب المؤرخ بلخوي الذي اعتمد عليها الاعتماد الأكبر في تأريخه للحصار . ومن الملاحظ أن هذه الرسالة تتفق مع يوميات الحملة الثانية للسلطان سليمان في ذكر أهم وقائع الحصار ولكن تختلف معها في تحديد بعض هذه الوقائع .

أما عن الوثائق الغربية لهذا الحصار فقد وجدنا أكثرها أهمية في مرجعين أولهما كتاب (Pauli II, Codice) حيث نشرت نصوص مجموعة من الرسائل المتبادلة بين السلطان سليمان والسيد الكبير للاسبتارية دي ليل آدم قبل بدء الحصار مباشرة ، وثانيهما كتاب :

(Charrière: négociations de la france dans le levant, Tome 1, Paris 1848)

حيث نشرت نصوص العدد الكبير من الرسائل التي كتبها دي ليل آدم قبل وأثناء وبعد انتهاء الحصار . ولعل أهم هذه الرسائل ثلاث : أولها رسالته إلى الملك الفرنسي فرانسوا الأول في ٢٨ أكتوبر عام ١٥٢١ - أي قبل الحصار - لإبلاغه بمضمون الإنذار الذي وجهه إليه سليمان عقب فتحه بلغراد ، وثانيها رسالته إلى ابن أخيه في فرنسا ، في ١٣ نوفمبر عام ١٥٢٢ ، أي في أثناء الحصار ، وفيها أخبره بما تم من أمروقات الحصار حتى ذلك التاريخ وثالثها رسالته إلى ابن أخيه نفسه كتبها إليه في ٧ فبراير عام ١٥٢٣ من جزيرة كريت التي لجأ إليها الاسبتارية بعد طردهم من رودس ، وفيها شرح له أحداث الفترة الأخيرة من الحصار التي أن استسلم الاسبتارية للعثمانيين . على أن الكتاب يحتوي أيضا على نص وثيقة باللغة اللاتينية ذكر المؤلف شاربيير بأنه عثر عليها ضمن وثائق الاسبتارية المحفوظة في مالطه بدأت بملخص شديد لوقائع الحصار . وانتهت بسرد نصوص معاهدة الاستسلام .

هذا وقد نشر بالكتاب أيضا مجموعه كبيرة من الرسائل التي توضح مجهودات دى لىسل آدم وغيره من قادة الاستبصار لدى البابويه وذلك فرنسا فرانسوا الاول لى يساعدوا الاستبصاره فى العوده الى رودس وفى الاستحواذ على مقرر آخر لهم يتكثرون فيه من ممارسة وظائفهم العسكرية ضد المسلمين .

ويبقى لاستكمال هذا العرض لأهم المصادر الاجنبية للرسالة ان نذكر خمسة منها أفادنا كل واحد منها فى جزء من أجزاء الرسالة . وأول هذه المصادر كتاب :
(Farochon: Les chevaliers de Rhodes et de malte-chroniques et Rééit

ولم يتضمن هذا الكتاب تاريخا متصلا للاستبصاره بل مجموعه من المقالات المدعاه بالاقتباس من اقوال المؤرخين المعاصرين للأحداث ، من غير ذكر لأسماهم فى معظم الأحيان ، عن بعض المعارك الحربية التي أظهر فيها الاستبصاره بطولات عظيمة ضد المسلمين ، وهي تبدأ بتعلق بالاستبصاره فى رودس تلك المعارك التي انتهت بفشل الفريزيين اللتين قام بهما أنطايك ضد رودس فى عامي ١٤٤٠ ، ١٤٤٤ فى عهد السيد الكبير حنا لاسيتك ، وفشل الحصار العثماني لمدينة رودس العاصمة فى عام ١٤٨٠ فى عهد السيد الكبير شارس دوييسون ، وبأسر الدارجه المملوكيه المعروفه باسم المصريه فى عام ١٥٠٥ ، وبأسر وتدمير اسطول ملكى من ثمانى عشره سفينه فى خليج أياس فى عام ١٥١٠ ، وأخيرا بغزو الاستبصاره من رودس على بلاد السلطان العثماني مسليمان الثانى فى عام ١٥٢٢ فى عهد السيد الكبير دى لىل آدم .

اما المصدر الثانى من هذه المصادر الخمسة فهو كتاب :

"1342-1352" Gay: Le Pape Clément VI et les Affaires d'Orient
(Paris 1904)

وقد أفادنا هذا الكتاب بمعلومات كثيرة استقاها مؤلفه كلها من الوثائق الاصلية عن العلاقات بين القوى المسيحية فى شرق البحر المتوسط (ومنها قبة الامباريه) والأتراك المسلمين فى النصف الاول من القرن الرابع عشر . وقد تخطت ذلك مما عرف باسم الحملة الصليبية على أزمير فى عام ١٣٤٤ ، وحملة هيبرت الثانى أمير فرنسا فى عام ١٣٤٦ .

ثم يأتي بعد ذلك كتابا :

4Bouhours: Pierre d'Aubusson, grand maitre de Rhodes), (Thuas :
Djem- Sultan" 1459-1495" , d, après les Documents Originaux en
grande partie Inédits, Paris 1892).

الليذان استقطعنا ان نستمد منهما صورة واضحة للعلاقات بين الاسبتاريه والعمثانييين
في عهد السلطان بايزيد الثاني حتى عام ١٤٩٥ بالنسبه لكتاب ثوازن وعام ١٥٠٣ بالنسبة
لكتاب بوهور . . ومن الملاحظ في كتاب بوهور انه أورد ترجمات حرفيه كاملة باللغة الفرنسية
لعدد من الرسائل المتبادله بين السلطان بايزيد والسيد الكبير دوميون باللغة اليونانية
ولكنه لم يذكر أسماء المراجع التي استقى منها نصوص هذه الرسائل وسائر مادة كتابه شأنه
شأن معظم الكتب القديمة حيث ضيع لأول مرة في عام ١٦٧٦ . وعلى أى حال فإن جميع
ماورد في كتابه من معلومات يتفق تماما مع ما جاء منها في كتاب ثوازن - الذي بين لنا
مصادر مادته وكلها تقريبا من الوثائق الاصلية - ما يدل على صحتها .

ويأتي أخيرا كتاب دكتور محمد مصطفى زيادة عن العلاقات الخارجية لمصر في
القرن الخامس عشر ، وفيه عقد فصلا قويا عن العلاقات بين مصر وقبرص ورودس خلال
القرن الخامس عشر ، واعتمد فيه أساسا على المراجع العربية المعاصرة مع عدم اغفال
للمراجع الأجنبية .

اما عن المصادر العربية المعاصرة للأحداث فهي بطبيعة الحال لاتخدم سوى
فصل العلاقات بين الاسبتاريه والماليك . وفي جولة سريعة بين هذه المصادر
نجد ان كتاب (المعنى : عند الجبان ج ٢٨) يؤكد لنا اشتراك الاسبتاريه
في القتال الى جانب القبارصة ضد الممالك في معركة خيبركيتيا التي انتهت بأسر
الماليك للملك القبرصى چانوس (يولييه ١٤٢٦) ، وهو ما قال به مؤرخو الاسبتاريه
وأقبل ذكره مؤرخو قبرص مثل أمادى وسترامبالدى وماخيراس .

وأهم المصادر التي تكلمت عن غزوة الملك القبرصى بطرس الأول لمدينة الاسكندرية فى
عام ١٣٦٥ كتاب (النورى الاسكندرى ، الاعلام بالاعلام فيما جرت به الأحكام
بالأشور المقضية فى واقعة الاسكندرية) وكذا كتاب (أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١
طبعة دار الكتب) وكتاب (المقهرى : السلوك ج ٤) . ولكن أيا من هذه المراجع

لم يفرق بين الاستتارية وسائر طوائف الفرنج المشتركين في الحملة ، وبالتالي لم يخص الاستتارية بأي ذكر . غير أن كتاب الاعلام انشيد في الجزء الثاني دون بقية المؤرخين عربيا وغير عرب يذكر أن الروادسة (الاستتارية في رودس) أسهموا في حملة بطرس الأول على موالي الشام في عام ١٢٦٧ بحرس سفن .

وفيما يتعلق بأهم المصادر العربية التي تعرضت لوقائع غزوات السلطان المملوكي جقمق الثالث لرودس في الأعوام ١٤٤٠ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، باسمهاب أوهاقتضاب فائنا نكتفي بالإشارة إلى كتاب التبر المسبوك للسخاوي ، وكتاب انباء الشعر لابن حجر (جزآن) وكتاب عقد الجمان للعيني (الجزء ٢٨) وكتاب النجوم الزاهرة لأبوسبي المحاسن (الجزء السابع طبعه كاليغورنيا) وكتاب غزوات قبرص ورودس للسيوطي .

بعد ذلك ذكر الاستتارية أو الروادسة في المصادر العربية المصروفة لنا في كتاب (ابن اياس : بدايع الزهور في وقائع الدهور - الجزء الرابع) حيث أورد لنا خبر أسير وندمير الروادسة للأسماعيل المملوكي في خليج أياس عام ١٥١٠ ، والاجراء الانتقامية التي اتخذها السلطان المملوكي قانصوه الغوري ضد مسيحي القياية والتجار الأجانب بعد وقوع هذا الحادث .

فاذا انتقلنا إلى المراجع العربية الحديثة فائنا نذكر بالفضل كتابي دكتور محمد عبد الفتاح " الحركة الصليبية " بجزئيه ، وكتابه " قبرص والحروب الصليبية " ، لأنهما أنارا لنا الطريق في جميع فصول هذه الرسالة بما فيها الفصل الأول الخاص بتاريخ الاستتارية في الشام وقبرص . وكذلك نجد ربنا أن ننو بالفائدة العظمى التي حصلنا عليها من بقية مؤلفات الدكتور محمد طاهر ومنها كتاب العصر المماليكي في مصر والشام " هذا فضلا عن مراجع أخرى عربية من " مصر في عصر دولة المماليك الجراكمة " للدكتور إبراهيم على طرخان ، و " المماليك والفرنج " للدكتور أحمد دراج ، وقد أفدنا منها جميعا فيما يتعلق بالعلاقات بين الاستتارية والمماليك في مصر والشام .

وبعد ، فإن هذه أهم مصادر الرسالة وليست كلها . وقطع النظر عما أرجسوان تكون قد اضافته هذه الرسالة من جديد في المادة العلمية التي استقيتها من الوثائق الأصلية المنشورة - وهو ما يتضح مجلدا على وجه الخصوص في الكلام عن الحكومة والادارة ، وعن الغزوات المملوكية لرودس والحصار الثماني الأخير لرودس في عام ١٥٢٢ - فائنا على قدر علمنا أول محاولة - وهي محاولة متواضعة - لانجاز أبحاث خاصة عن العلاقات الخارجية لهيئة الاستتارية مشد أن استقر الاستتارية في رودس

في عام ١٣١٠ الى ان تم جلاؤهم عنها في عام ١٥٢٢ . وبها يزيد من قيمة هذه الدراسة انها جاءت كلها على هيئة فصول في رسالة واحدة مسبقة بفصل تمهيدي عن نشأة هيئة الاستبصار وتاريخها في الشام وقبرص وقزو رودس ، ثم بفصل آخر كبير عن نظام الحكم والادارة لهيئة الاستبصار في رودس مستندا من قوانينهم الدستورية وعن أهم حصونهم ومنشأتهم العمرانية كما شاهدها شهود العيان من علماء التاريخ والآثار وغيرهم .

واني لأمدى خالص شكري لاستاذي الفاضل الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور الذي أكرمني بموافق على الاشراف على هذا البحث وكان لما أمدني به من ارشاد وتوجيه وما أسبغته عليّ من عطف وتشجيع الفضل ، كل الفضل ، في اتمامه ، ولا أملك إلا أن أعترف بحمليه الذي طوقني به .

وأخيرا فمن الوفاء على ان اذكر بالخبر استاذي عاظم الذكر المرحوم الدكتور السيد بهاز العربي لمساعدته لي عندما كنت أخطو الخطوات الاولى في هذا البحث ، وأدعو الله ان يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته .

والله ولي التوفيق . .

سامي سلطان سعيد

الفصل الأول

نشأة الاستشارية وتاريخهم حتى غزو جزيرة رودس

- (١) نشأة هيئة الاستشارية وتحويلها الى هيئة عسكرية .
- (٢) التنظيمات الداخلية لهيئة الاستشارية .
- (٣) دور الاستشارية في الحروب الصليبية ضد المسلمين في الشام ومصر .
- (٤) انتقال الاستشارية الى جزيرة قبرص عام ١٢٩١ .
- (٥) غزو الاستشارية لجزيرة رودس ١٣٠٦ — ١٣١٠

نشأة هيئة الاستتارية وتحولها الى هيئة عسكرية :

الاستتارية جماعة من الرهبان سهروا على رعاية فقراء حجاج المسيحيين ومرضاهم في مستشفى أقيم لهذا الغرض بمدينة بيت المقدس ، أمام كنيسة القيامة ، قبيل الحسروب الصليبية ، فلما نجحت الحملة الصليبية الاولى في الشام ، في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، واستقر الصليبيون في ممتلكاتهم الجديدة في بلاد الشام ، تحولت هيئة الجماعة الى هيئة حربية ، أصبحت السند الاقوى للصليبيين في أعمالهم العدوانية والدفاعية ، فضلا عن استمرارها في المحافظة على وثايقها الدينية والاجتماعية ففى مؤسسات خاصة قامت بتشييدها فى مختلف أنحاء الممتلكات الصليبية فى بلاد الشام وأوروبا .

وقد اكتشف النعوض النشأة الاولى لمستشفى بيت المقدس الذى استمدت منه هيئة الاستتارية اسمها . وأقدم رواية وردت فى هذا الشأن ما ذكره وليم ، رئيس أساقفة مسور ومؤرخ الحروب الصليبية (١) ، من أن جماعة من تجار أمانى اطا زيارة الاراضى المقدسة للتجارة والحج ، وشاءوا ما يلاقوه فقراء الحجاج ومرضاهم فى مدينة بيت المقدس من ضاعب ، فأسسوا لهم ، بمقتضى إذن خاص من الخليفة الفاطمى بالقاهرة ، مجموعة من المباني ، أولها دير القديسة مريم اللاتينية (Marja de Latina) وخمسوه لاستضافة الرجال من الحجاج والتجار الامالفيين ، ولسكنى مجموعة من الرهبان الامالفيين استقدموهم من أمانى لاجيا "الشعائر الدينية وتقديم الخدمة فى الدير ، وفى المستشفى المجاور له ، الذى أقامه هؤلاء الرهبان لايوا الفقراء والمرضى مسكن الحجاج الاوربيين ، دون اعتبار لجنسياتهم ، وشهد مع كنيسة القديس حنا الملحقة به مولد هيئة الاستتارية . كذلك شيد الامالفية مستشفى خاصا لايوا النساء ، أصبح

(١) أنظر Recueil des Historiens des Crisdes (R.H.C.) ,
Historiens Occidentaux , T.V. Préface, PP.CIX,CX.

Willermi Tyrenses (W.T.), dans R.H.C.,
Hist. Oc. , T. 1, Partie II.PP. 822-826

وكذلك

فيما بعد ، مع الكنيسة الملحقة به باسم القديسة مريم المجدلية ، مركزا للشعبة الخاصة
بالنساء من الاستارية .

على أن المؤرخ وليم الصوري لم يذكر التاريخ الذي تم فيه تشييد هذه المنشآت
جميعا ، وهو يقع ، في أغلب الظن ، بين عامي ١٠٦٣ ، ١٠٧٠ ، أي في عهد
ال خليفة المستنصر بالله الفاطمي (١) هذا إلى أن ذلك المؤرخ لم يبين المصدر الذي
استقى منه روايته ، وإن كان يظن أن ذلك المصدر هو المؤرخ الايطالي .

Aimé de mont - Cassin ، وهو المؤرخ الذي عاش ، فيما يبدو ، قبيل
الحرب الصليبية الاولى ، وكتب عن منشآت الامالفيين التي أنجزت في مدينة بيت المقدس
خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، وإن كان لم يشر إلى مولد هيئة الاستارية
في إحدى هذه المنشآت . (٢)

ويبدو أن رواية رئيس أساقفة عزر عن نشأة الاستارية كانت مقبولة لدى كتاب القرن
الثاني عشر الميلادي ، وأوائل القرن الثالث عشر ، بما فيهم أعضاء هيئة الاستارية

(١) أنظر : Heyd I, PP. 103-106 .

(٢) R.H.C., Hist. Oc. T.V., Praface, PP.CX-CXI.

أنفسهم ، حتى أنها وردت بشكلها الاصلى ، أو معدلة يقابل من الايجاز أو الاسهاب
 فى كثير من كتاباتهم . (١) شئ أن هذه المنشأة الهيكلية لاهيئة الاسبتارية أصبحت منذ
 النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى لا ترضى طموح فرسان الاسبتارية ، ولا
 تشبع غرورهم فأضقوا عليها مجموعة من الاساطير الدينية الكفيلة بأن تكسب هذه الهيئة
 مجدا أكبر ومنحا أكثر (٢) وقد استعدوا هذه الاساطير من بعض الاحداث السوارة
 فى الانجيل ، وفى مفسر المكابيين ، بعد تحريفها تحريفا بلائم أغراضهم ، فزعموا أن
 نشأة المستشفى مهد الاسبتارية ترجع الى عهد الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر
 (٥٩ - ٤٤ ق م) ، ونائه فى مدينة أنطاكية السورية ، الملك أنتيوخوس
 الذى منح الامبراطور أيضا حق حكم مدينة بيت المقدس . وذكروا أن هذا الملك قدم
 الى بيت المقدس فى عصر يهوذا المكابى Judas Maccabaeus ، لمعاقبة

(١) أنظر R.H.C., Hist. Oc. T.V. Préface, P.CXI .

ومن أمثلة هذه الكتابات تلك القصيدة الشعرية التى تحكى قصة جود فسوى دى
 هويون أحد قادة الحملة الصليبية الاولى (كتبت فى النصف الاول من القرن ١٣
 أنظر Ibid, P.CX . وذلك النص الذى يحل عنوان :

De Prima Institutione Hospitaliorum .

ويتضمن تلخيصا أميناً لاثقال رئيس أساقفة صور ، ويوجد فى :

R.H.C, Hist, Oc. T.1, Part. II, PP. 403 - 404 .

فضلا عن كتابات سيكار دو أسقف كريمونه - وهو كاتب ايطالى تكلم عن المنشآت
 الامالقية من غير ذكر لنشأة الاسبتارية ، وكذا كتابات جال دى فترى فى اوائل
 القرن ١٣ . . . R.H.C., Hist. Oc., T.V., Preface, P.CX .

(٢) أنظر : King : The Knights Hospitallers in the Holy Land , P.4 .

رئيس الكهنة ملخيور Melchior بتهمة نهب قبر الملك داود - وعند جبل الجلجثة ظهر له الله في رؤيا ، وكشف له عن هراثة رئيس الكهنة ، وأمره بأن يماون معه في تشييد مبنى بالقرب من مكان الرؤيا لرعاية المرضى والفقراء . وهكذا تم بناء المستشفى الذي أراد له الاستبارة أن يكون مهدا لهمستشفى ، وادعوا بأن المسيح قد نزل فيه مع الحوارين مرارا كثيرة أثناء زيارته لعدينة بيت المقدس وإقامته فيها ، كما أنهم اختاروا من الألاجمل بعض الأقوال المأثورة عن المسيح ، وطائفة من المعجزات التي تمت على يديه ، وعلى أيدي تلاميذه من بعده ، وأضافوها إلى روايتهم لأحكام مبكها . (١)

على أن الفكر الاستباري فيما يتعلق بالنشأة الأولى لهذا المستشفى شهد مرة أخرى تغييرا كبيرا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، وربما كان ذلك نتيجة للصدمة التي تعرضت لها المسيحية بعد طردها من الشام ، في عام ١٢٩١ ، على يد السلطان المملوكي ، الأشرف خليل بن قلاوون ، ثم إقامتها في جزيرة قبرص ضيفا غير مرغوب فيه .

ففي عام ١٣٠٣ ، أوهده بقليل ، نشر أحد كبار فرسان الاستبارة ، واسمه وليم سانت استيف . Juillaume de Saint - Estève (٢) رسالة عن نشأة الاستبارة رفرق فيها فكرة إرجاع هذه النشأة إلى عهد المكابيين - بما صاحب هذه الفكرة

(١) Josephi : Historiographi : Tractatus de Exordio Sacrae Domus Hospitalis Jerosolimitani, dans R.H.C., Hist. Oc. T.V. Part II, PP. 405 - 421 .

منشور منه ثلاثة نسخ ، نص لاتيني ، ونصان فرنسيان أحدهما مطول والثاني مختصر ويكاد النص المطول أن يكون ترجمة حرفية للنص اللاتيني ، أما المختصر - وهو أقدم النصوص الثلاثة ، وكتب ما بين عام ١٢٢٠ وعام ١٢٤٠ تقريبا - فقد ذكر بأن الطوي المشيد على جبل الجلجثة وشهد بداية الاستبارة يعود هناؤه إلى عهد المخلص - ويقصد المسيح - وليس إلى عهد المكابيين الذي قال به النصان الآخران .

(٢) أنظر : R.H.C., Hist. Oc. T.V., Préface, PP. CXII-CXVII
(٢) أنظر : R.H.C. Hist. Oc. T.V., Part. II. PP. 422-427

من أساطير - وفصل الهودة الى الاخذ . برواية ولیم رئیس أساقفة صور ، مع بعض الاختلافات التي لا تصل الى درجة التفجير . لا لك أنه اتفق مع ولیم الدسوري فسي أن هيئة الاسبتارية نشأت في مستشفى شيد في القرن الثاني عشر الميلادي على يد مجموعة من التجار الايطاليين ، حدد ولیم الصوري جنسيتهم بالامالفيين ، في حين حدد ولیم سانت استيف عدد هم خمسين تاجرا . وما اختلف حوله المورخان ، أن رئیس أساقفة صور قيَّز بهجلاً بين اقامة دير القديسة مريم اللاتينية حيث يعمل مجموعة من الرهبان الايطاليين ، وبين ما حدث بعد ذلك من اقامة المستشفى الذي غدا مهد الاسبتارية ، على يد أولئك الرهبان ، أقام صبَّه ولیم سانت استيف فقد ذكر أن غائبين المؤمنين تم بناؤهما في آن واحد ، وأضاف أن مجموعة الرهبان التي خدمت فيهما كانت من الرهبان البندكتيين الذين أطلق عليهم اسم " الرهبان السود " . هذا وبينما أكد ولیم الصوري أن اسم القديس حنا ، الذي تدمله الكنيسة الملحق بالمستشفى ، والذي أصبح فيما بعد علماً لهيئة الاسبتارية نفسها ، هو أحد بطاركة كنيسة الاسكندرية اشتهر بالكرم والضيافة ، فإن ولیم سانت استيف أنكر ذلك بشدة ، ورفض - وهو الفارس الاسبتاري - أن يكون هذا البطريرك المصري حامياً وشفيعاً للهيئة التي يتسبب اليها ، وأصرطى أن القديس المعنى هو حنا المعدان الذي يثر به قدم المسيح (١)

وقد ظلت نظرية ولیم سانت استيف عن نشأة الاسبتارية تدل - فيما يبدو - وجهة النظر الرسمية للهيئة حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، رغمًا عن التفسيرات والتقلبات العديدة التي مرت بها خلال تلك الفترة الطويلة ، والتي كان أبرزها استيلاء الاسبتارية على جزيرة رودس ، عام ١٣٠٨ ، وأوام ١٣١٠ ، وانفرادهم بحكم هذه الجزيرة ، مما جعل منهم قوة ضخمة في البحر المتوسط . على أنه حدث

(١) أنظر : R.H.C. Hist. Oc. T.V. Préface. PP CXX-CXXIII.

في عام ١٤٨٩ ، أن عهد بطريرك دويسون ، رئيس حكومة الاسبتارية في يودس ، الى
 وليم كاورسين Guillaume Caoursin ، الذي كان يشغل ، آنذاك ،
 وظيفة السكرتير العام لتلك الحكومة ، بوضع صياغة جديدة لدستور الاسبتارية ، فانتم
 وليم كاورسين مهمته ، وصدر الدستور الجديد بمقدمة ضمنها رأيا جديدا عن نشأة
 هيئة الاسبتارية (١) وقام هذا الرأي ، الذي تهنته الحكومة ، واصدرت في
 ١٤٩٢ أغسطس عام ١٤٩٢ قرارا بترجمته من اللغة اللاتينية التي كتب بها الى مختلف
 اللغات العامة التي تفهمها طوائف المسيحيين (٢) على أساس الهدوء باقدمية
 المستشفى ، ضد الاسبتارية ، الى عصر المكابيين ، مع انكار ما أحاط بهذه الاقدمية
 البعيدة عن أساطير (٣) فنحن (٤) على أن هذا المستشفى شيد على يد حنا شركان
 Jean Hyrcanus ، ابن أخاب يهوذا المكابي ، لاياء الحجاج القاصدين بمدينة
 بيت المقدس بقصد زيارة هيكل سليمان ، وأن المستشفى ظل قائما حتى قدر له أن
 يشهد في ساحته جانبا من المعجزات التي تحققت للمسيح وحوارييه من بعده ثم
 قوض مع بقية الاماكن المقدسة أثناء غزوات الامبراطورين الرومانيين ، فسبأسيان Vespasianus
 (٦٩ - ٧٩ م) ، وتيطس Titus (٧٩ - ٨١ م) لمدينة بيت المقدس ، ففنا
 بذلك أثرا بعد عين ، ثم أعيد بناؤه من جديد على يد أحد الحجاج ، واسمه جبرار

R.H.C., Hist. Oc. T.V. Préf., P.CXXVI .

(١) انظر :

Ibid : Op.Cit., P.CXXVIII .

(٢) انظر :

Ibid : Op.Cit., P.CXXVI .

(٣) انظر :

R.H.C., Hist. Oc. T.V., Part II.,

(٤) انظر :

PP.430 - 435 .

بعد هدمه بنحو عشرة قرون ، أى فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وقد وقع اختيار جيرار على القديس حنط المعمدان حاميا وشفيها للمستشفى ، وهاشسر جيرار ادارته الى أن تم التزو الصليبي لمدينة بيت المقدس عام ١٠٩٩ ، فساعد الصليبيون فى الوصول بهذه المؤسسة الصغيرة الى درجة عالمية من التقدم والازدهار .

ومن الملاحظ فى رواية وليم كاورسين أنه أنكر على التجار الايطاليين فضلهم فى بناء المستشفى عهد الاسبتارية ، وهو ما أكد من قبل وليم الصوري ووليم سانت امبيق وإذا كان وليم كاورسين قد اتفق مع سمييه على أن هذا المستشفى كان وقت التزو الصليبي لمدينة بيت المقدس عام ١٠٩٩ تحت ادارة من عرف باسم جيرار المبارك ، أو القديس جيرار ، الذى أسس فيه فيما بعد هيئة الاسبتارية ، فإنه انفرد دونهما بأن أضاف الى جيرار أيضا عليية بناء المستشفى نفسها ، أما بدافع من روح المنافسة بين طائفة الفرنسيين ، التى ينتمى اليها كاورسين ، وطائفة الايطاليين داخل هيئة الاسبتارية فى جزيرة رودس ، لان جيرار فرنسي المولد ينتمى الى اقليم بروفانس كما ادعى دائما الفرنسيون ،^(١) أو بسبب عدم اقتناعه بأن تجارا مهتهم الرئيسة وثابتهم

(١) بمقتضى التقليد المقبل فإن جيرار بروفنسى ولد عام ١٠٤٠ فى Martigues ولكن فى القرن السابع عشر ادعت قرية Scala الواقعة بالقرب من مدينة أمالفى الإيطالية بأن جيرار ابن لها . وقد حاول المؤرخ King, PP. 20-21 أن يوفق بين الادعاءين فذكر بأن جيرار مواطن من Martigues ولكن أنه أقام فترة من الزمن فى Scala . فظن السكاليون فيما بعد أنه ولد فى قريتهم ، أما المؤرخ - يلافيل لرو فانه يرجح الاصل الامالفى لجيرار .

(أنظر : Delaville Le Roulx : Las Hosp. en Terre-Sainte, PP. 37 - 38 .

جمع المال يبدون مثل هذا الاهتمام الكبير براحة الحجاج من مختلف الجنسيات ويتبرعون من أجل ذلك بقدر كبير من المال يكفي لبناء مستشفى ويجهيزهم •

أما عما ذكره وليم تاورسين من أن المستشفى الذي كان مهد الاستبائية تجديدا أو استمرارا للمستشفى الذي بناه حنا عركان في عصر المكابيين ، وأنه شهد نزول المسيح وحوارييه فيه ، فإنه بلا شك كان يبنى من وراء ذلك إيجساد

بداية لهيئة الاستبائية أكثر هيرقا ، ولكنها في الوقت نفسه غير أسطورية • غير أن

تاورسين لم يراع الدقة في استقصاء أخبار ذلك المستشفى منذ أن هدم على يحد

الامبراطور الروماني تيطس في أواخر القرن الأول الميلادي ، إلى أن بنى غيره نفسى

أواخر القرن الحادى عشر ، فأخطأ حين ذكر أن المدينة المقدسة ظلت طوال تلك

الفترة خالية من هذا النوع من المؤسسات ، مع أنه شيد في المدينة خلال ذلك

الدور مستشفى لخدمة الحجاج المسيحيين ، وربما كان هذا المستشفى — وليس

مستشفى هركان اليهودى — البداية الاولى التى يمكن اعتبارها مهد الاستبائية •

وقد تم بناء هذا المستشفى المسيحى فى مطلع القرن السابع الميلادى (حوالى عام

٦٠٣ م) تنفيذاً لرغبة البابا جريجورى العظيم وما شراف مندوبه بروموس Probus (١)

ولكنه ما لبث أن دمر مع غيره من المنشآت المسيحية فى حركة الإبادة التى دبرها

اليهود ضد المسيحيين عقب سقوط مدينة بيت المقدس ، فى ٦ مايو سنة ٦١٤ م على

يد كسرى الثانى ، ملك فارس • ثم أعيد بناؤه ، مرة أخرى على ما يظن ، بعد

أن نجح الامبراطور البيزنطى هرقل فى طرد جيوش الفرس من المدينة المقدسة فبنى

١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ • وفى أوائل القرن التاسع الميلادى أسس شارلمان ، امبراطور

الغرب ، باذن خاص من الخليفة العباسى هارون الرشيد ، مجموعة من المبائيسى

(١) أنظر : King, P.5; D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.5,7 .

لخدمة الحجاج المفرجين في مدينة بيت المقدس ، عرفت باسم المبانى اللاتينية ،
تعيّزاً لها عن المؤسسات الاغريقية الشرقية الموجودة في المدينة . وكان ضمن هذه
المنشآت اللاتينية كنيسة باسم القديسة مريم اللاتينية ، بنيت بجوار مستشفى جويجورى
وهو المستشفى الذى شمله أيضا التجديد ، وربما أعيد بناؤه عندئذ من جديد .
وقد عهد الى الرهبان البندكتيين ، الذين كانوا يقيمون وقتذاك فوق جبل الزيتون
بإدارة هاتين المؤسساتين ، الكنيسة والمستشفى ، الى أن تم تخريبهما ، مع بقية
المنشآت المسيحية ، فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، بأمر من الخليفة
الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وهو الخليفة الذى عرف بمشذوذه وبعد بمحضصر قاتله
عن روح الاسلام . ولكن حدث فى النصف الثانى من ذلك القرن - بين عامى ١٠٦٣ ،
١٠٧٠ - أن أعيد بناؤهما على يد التجار الامالفيين الذين عهدوا بالاشراف
عليهما الى جماعة من الرهبان البندكتيين ، استقدموهم فى أغلب الظن من دير
لاكافا La Cava الواقع بالقرب من مدينة أمالفى فى ايطاليا . وكان مقر هؤلاء
الرهبان ومركز نشاطهم فى دير القديسة مريم اللاتينية ، ومنه أشرفوا أيضا على ادارة
المستشفى ، ودير آخر بناه الامالفيه بجوارهما اسمه دير القديسة مريم المجدلية .
وفى هذا المستشفى الاخير ، الذى شيده الامالفيه ، نشأت هيئة الاستبارة (١) .
وليس من شك فى أن الحروب الصليبية هى العامل الرئيسى فى تحويل مستشفى
الامالفيين من مؤسسة خيرية محلية خاضعة لرقابة البندكتيين فى دير القديسة مريم
اللاتينية الى منظمة رهبان حربية لها كيائها المستقل ولها فروعها الكثيرة فى أوروبا
فضلا عن الشام . فبعد أن تم الفتح الصليبي لمدينة بيت المقدس ، عام ١٠٩٩ ،
التحق بالمستشفى نفر من الفرسان الصليبيين رغبا فى رعاية الجرحى والمرضى من

(١) أنظر : T.S. : Les Hosp.en King, PP.5-14; D.Le Roulx :
PP.5-12, 28-33 . وكذلك
Heyd I, PP. 103 - 106

زملائهم ، ولم يلبث هؤلاء الفرسان أن أبدوا استيائهم من تبعية مستشفاهم للرهبان
البنديكتيين المقيمين في دير القديسة مريم اللاتينية ، وما زالوا يلحون ويضفون على جيران
دير المستشفى المعين من قبل الرهبان البنديكت حتى أعلن ، في عام ١١٠٤ ، استقلال
المستشفى عن الدير ، ووضع له أمليين فيه تنظيماً جديداً أصبحوا بمقتضاه هيئة ذات كيان
خاص هي هيئة الاستبارة أو المستشفى (١) . وقد فضل جيران القانون الاوغسطيني ليحصل
محل قانون البنديكتيين في حكم هذه الهيئة التي اتخذت من الفقر والعفة والطاعة
شعاراً ثلاثياً لها ، ومن العبادة السوداء مع الصليب الإمبراطوري المثلث الاطراف المعلق على
الصدر زياً خاصاً بها . (٢)

وكان أن احتفل رسمياً بمولد هيئة الاستبارة في كنيسة القيامة (القبر المقدس)
برئاسة البطريرك داجوهرت البيرى Dagobert of Pisa . وما أن تم ذلك حتى قامت
السلطات الصليبية بإيراد الرهبان الاغريق (الشرقيين) من دير القديس حنا الممعدان ،
وهو دير بيزنطي يقع الى الجنوب من سجنوة المنشآت الامالقية ، فتم تحويل ملكيته الى
الاستبارة الذين بادروا بضمه الى مستشفاهم ، وأعلنوا انسابهم الى قديسه حنا الممعدان ،
مفضلين اياه على القديس حنا بطريرك الاسكندرية الذي تحمل كنيسة المستشفى اسمه . (٣)

وسرعان ما أخذت تنهال على هيئة الاستبارة عندئذ ألوان المنح والهبات سواء
من أوروبا أو من ملكة هيت المقدس ، اما للتشجيع والتدعيم أو اعترافاً بالجليل من جانب
الصليبيين الذين قدروا للمستشفى فائدة على جرحاهم ومرضاهم . وقد اعترف الملك بلدوين

(١) انظر : D. Le Roulx : Lex Hosp. en T.S., PP. 38 - 39

(٢) انظر : King, P. 22 .

(٣) انظر : Ibid , PP. 22. 23 .

الأول ، ملك بيت المقدس ، في عام ١١١٠ ، بما منح للاستبارية في ملكه من أرض وعقار . وبعد عامين ، أي في عام ١١١٢ ، أصدر الملك منشورا جديدا أكد فيه اعترافه الأول ، على حين قرر كل من بطريرك بيت المقدس ، ورئيس أساقفة قيسارية ، اعفاء أملاك الهيئة الجديدة ، في دائرة اختصاصه ، من ضريبة العشر الكنسية .

وأخيرا أعلن اعتراف البابا باسكال الثاني بهيئة الاستبارية ، في المنشور البابوي الصادر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١١١٢ ، فأعبر هذا اليوم تاريخا رسميا لميلاد الهيئة .

ومن المنشور أيضا وضع هيئة الاستبارية تحت الحماية والرعاية الدافنتين للكرسي البابوي في روما ، واعتراف البابا بأملاك الهيئة في أوروبا والشام ، مع اعفاء هذه الأملاك من ضريبة العشر الكنسية المقررة عليها . هذا كله بالإضافة إلى منح أعضاء الهيئة الحق المطلق في اختيار رئيسهم . ثم صدق البابا كالكستوس الثاني Calixtus II. في عام ١١١٩ على هذه الاضيازات التي عززت بعد ذلك بمقتضى منشورات كثيرة صدرت عن بابوات آخرين جاءوا بعده . (١)

وفي الثالث من شهر سبتمبر عام ١١٢٠ توفي القديس جيرار ، مؤسس هيئة الاستبارية وأول رئيس لها (٢) ، وخلفه في منصبه ريموند دي بيسنوي Raymond du Puy الذي يظن أنه أحد فرسان للحملة الصليبية .

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 40 - 42; King, PP. 23 - 25 .

(٢) انظر : Fulcherii Carnotensis, dans R.H.C., Hist. Oc. T.III, P. 446; King, P. 24

الأولى (١) . وقد بدأ ريموند دى بوى عهده بأن وضع قانونا خاصا لهيئة الاستشارة
استمدته من القانون الأوغسطينى . واقتصر قانون دى بوى على معالجة المشاكل البسيطة
للحياة الدينية التى يعيشها أعضاء الهيئة ، وعلى مشاكل تتعلق بطعامهم ولباسهم
وسلوكلهم وأخلاقهم ، وكذا بأمر الصدقات والتذرع ورعاية المرضى فى المستشفى (٢)
ولكن ريموند دى بوى عاين أن ادخل على نظام الهيئة وشخصيتها تغييرا كبيرا
تحول بمقتضاه الى هيئة حربية مع استمرارها فى تأدية وظائفها الدينية
والخيرية . ويعتقد بأن هذا التحول تم فى عام ١١٢٣ أثناء الشدة التى تعرضت
لها ملكة بيت المقدس نتيجة لوقوع ملكها بلدوين الثانى ، فى أبريل من ذلك العام ،
أسيرا فى يد الأمير بلك بن بهرام بن أرئق ، صاحب قلعة خربت (٣) ، وقبضهم
الجيش الفاطمية المصرية ، فى الشهر التالى - أى فى شهر مايو - بحصار مدينة
يافا الواقعة على الحدود الجنوبية للمملكة . وفى خلال تلك الأزمة ناشد يوسف بن
جارليم . Eustace Garnier - كونستابل ملكة بيت المقدس - جميع القسوس
الصليبية القادرة على حمل السلاح فى المملكة ، بالتكفل وراءه لمواجهة خطر الفزو الفاطمى .

(١) يوجد خطاب (منشور فى T.1. D. Le Roulx : Cartulaire-Général ,

T.1 , No. 46 أرسله ريموند دى بوى بعد توليته الى أمانة المسيحية .

وذكر فيه صراحة بأن خليفة جيار .

(٢) انظر : D. Le Raulx : Les Hosp. en T.S. , PP.318-319 ; King, P. 30 .

(٣) ابن الأثير : كامل التاريخ (فى : R.H.C., Hist. Orient., T.I .

ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، دكتور حسن حشى : نورالدين

والصليبيون ص ٢٠ .

والأرجح أن يعمود دي بوي وكبار رجال هيئته من الفرسان السابقين قد أصبحوا
نداة ، وكونوا منهم فرقة مسلحة قوامها الفرسان ، اشتركت مع الجيش الصليبي ،
الذي يقوده يوستاس جارينيه ، في ارقاع القوات الفاطمية على فك الحصار عن يافا ،
وحمله على التراجع الى مدينة صقلان الفاطمية ^(١) . واذ رجع كبار الاستبارية
الى مهنة الحرب والفروسية ، وهى مهنتهم الأصلية التى هجروها عند التحاقهم
بالهيئة ، أصبح من العسير عليهم التخلل عنها مرة أخرى ، ولاسيما أن الأئمة
التي مرت بها مملكة بيت المقدس أظهرت لهم بوضوح أن القضية الفلسطينية ، التى
وقدوا أصلا الى بلاد الشام لخدمتها ، لا تزال فى مسير الحاجة لميولهم ^(٢) .

وثمة شواهد تدعو الى الاعتقاد بأن التحول للمعسكر لجهة الاستبارية
ثم خلال أزمة عام ١١٢٣ ، أهمها ما حدث فى عام ١١٢٦ - أى بعد ثلاث سنوات
فقط من وقوع تلك الأزمة - من ظهور وظيفة " كونستابل " فى هيئة الاستبارية ،
وهى وظيفة عسكرية كبرى طالبت صاحبها أن عرف باسم " المارشال " - أى المشير -
وهو يعادل وزير الحرب فى العصر الحاضر ^(٣) .

وهما يكن من أمر ، فان هيئة الاستبارية ظهرت ، فى عام ١١٢٧ ، فى
صورة هيئة عسكرية ، حيث أن الملك فولك أنجو ، الذى تولى عرش مملكة بيت المقدس
عقب وفاة بلدوين الثانى فى عام ١١٢١ ، عهد اليها فى ذلك العام بحماية حصن بشاه
الصليبيون بجوار قرية بيت جبرين - وهى من أملاك الاستبارية بعد أن تنازل لهم عنها

(١) انظر : W.T. dans R.H.C., Hist. Oc. , T.I, Part I, PP.543 - 544 .

(٢) علما بأنه لم يذكر صراحة اشتراك الاستبارية فى الجيش الصليبي الذى أحبط الحصار
الفاطمي حول يافا .
أنظر : (٢) King, PP.32 - 34 .

(٣) King, P.32; D.Le Raulx : Les Hosp. en T.S. , P.45 .

صاحبها هيودي سانت أبراهام . Hugues de S. Abraham ، وصدق
الملك فولك على هذا التنازل في عام ١١٣٦ - وذلك لاستخدام هذا الحصن في
حماية مملكة بيت المقدس من ناحية الجنوب ضد الهجمات المتواصلة التي تتعرض
لها من جانب القوات الفاطمية المرابطة في مدينة عسقلان الى الغرب من بيت
جبرين (١) . ثم تأكدت الصفة العسكرية لهيئة الاستبارية بعد ذلك بخمسين
سنوات - أي في عام ١١٤٢ - عندما عهد اليها الأمير ريموند الأول ، صاحب طرابلس ،
بحماية بعض الحصون الشرقية التي تتحكم في الطرق المؤدية الى امارته عبر جبال
لبنان ، وأهمها حصن الأكراد ، وحصون بعربين ، ورفنية ، والبقاع (٢) .
التنظيمات الداخلية لهيئة الاستبارية :

وقطع النظر عن تاريخ التحول العسكري لهيئة الاستبارية ، فقد حدا هذا
التحول بالرئيس ريموند دي بوي الى أن يمد تنظيمها بما يلائم وضعها الجديد .
وكانت الهيئة تتألف منذ تأسيسها ، وحتى ذلك الوقت ، شأنها شأن الهيئات الدينية
الأخرى ، من جماعتين ، هما جماعة الاخوة الرهبان ، وجماعة الاخوة الخدم ، ولكنها
غدت ، بمقتضى التنظيم الجديد ، تضم جماعة ثالثة ، هي جماعة الاخوة الفرسان ،
التي تفرغت للحرب ضد المسلمين (٣) ، وصار لها مع الزمن المكانة الاولى في شؤون
الهيئة حتى عرفت الهيئة كلها باسم هيئة الفرسان الاستبارية ، أو هيئة فرسان
القديس جنا المقدس (الأورشليمي) .

(١) انظر : D. Le Roulx : Op. Cit., PP. 46 - 47; King, P. 34

وارجع الى وثيقة تصديق الملك فولك على المنحة منشورة في

D. Le Roulx : Cart. 1, No. 116.

وقد أطلق وليم الصوري على بيت جبرين اسم بثير شمع ، وذكر بأن الصليبيين شيدوها

عام ١١٣٦ ثم سلموها للاستبارية (انظر R. H. C., His. Oc., T. 1,

Part . 1, P. 639 .

(٢) انظر :

King , P. 36

(٣) انظر :

D. Le. Roulx : Les Hosp. en T. S. P. 288;

King, PP. 68 - 69 .

وقد أدى إنشاء جماعة الاخوة الفرسان الى تفرع جماعة الاخوة الخدم الى جماعتين متميزتين ، تخرست احدهما للخدمة العادية في المستشفى ، وفي الدير البيزنطي ، الذي أصبح منذ ضم الى المستشفى مقرا لاقامة أعضاء الهيئة الجديدة ، وعرفت باسم جماعة الاخوة خدام المكتب . *Servientes Officii* . على حين تفرغت الجماعة الثانية ، وهي أعلى في المنزلة من الجماعة الأولى ، لخدمة الفرسان ، أي مارافرادها بمثابة نايدين لهم ، وعرفت باسم جماعة الاخوة خدام الأسلحة *Servientes Armorum* ، أو جماعة الجاوشية *Sergents* وكانت جماعة الرهبان بدورها مشغولة على طائفتين ، تفرغت احدهما للخدمة الدينية في الدير والمستشفى ، فعرفت باسم طائفة الرهبان الديرين *Prêtres en Conventuels* . ، على حين مارست الأخرى — وهي أقل في المنزلة من الأولى — هذا النوع من الخدمات في المؤسسات أو البيوت التي أقامتها الهيئة في أملاكها سواء في الشام الصليبي أو أوروبا ، فعرفت باسم طائفة الرهبان الانبياع أو الذين في الطاعة *Prêtres en Obedience* . ومع ذلك فقد كان يرأس جماعة الرهبان بشطريها رئيس واحد مقره الدير المركزي ، ويعرف باسم مقدم الدير *Le Prieur Conventuel* ، أي رئيس الدير المركزي ، كما كان يعرف أيضا باسم مقدم الكنيسة *Le Prieur de l'Eglise* علما بوجود رؤساء أديرة آخرين في مؤسسات الهيئة الهامة خارج مركز رئاستها ، لهم وحدهم حق الرئاسة على الاخوة الرهبان المقيمين في دوائرها ، فإذا استدعى أحد هؤلاء الرهبان الى مركز الهيئة ، فإن عليه أن يقدم قروض الطاعة لمقدم الدير المركزي .

وفيما يتعلق بشروط العضوية لجماعات الهيئة الثلاث بفروعها المختلفة ، فإنه اشترط للعضوية في جماعة الفرسان أن يكون المتقدم لها منتبها الى طبقة النبلاء

في أوروبا ، فإذا لم يكن يحمل لقب فارس ، بحكم هذا الانتماء ، فإنه يجب أن تتوافر فيه جميع الصفات والشروط التي تؤهله لنيل هذا اللقب بحيث يتسنى لأحد كبار فرسان الاستبارة أن يمنحه إياه عند تقدمه لعضوية الهيئة . أما بقية طوائف الاستبارة فلا يشترط فيمن يتقدم لعضويتها سوى أن يكون من أبوين محترمين وخيرين ، ولا يكون قد مارس علا يدوميا أو دنيا لا يتناسب مع الرجل الحر .^(١)

ومن ناحية أخرى ، فإنه سمح بالانتماء إلى الهيئة عن طريق الالتساب دون التمتع بالعضوية الكاملة . وكان الأعضاء المتسبون طائفتين ، عرفت أحدهما بالطائفة الزملاء Confratres, Confreres ، في حين عرفت الثانية باسم الموهومين Donates, Donnés وكان العضو المتسبب له الحق في أن يتضع بخدمات الهيئة الدينية ، وبصيامها وأزائها الروحية ، وأن يدفن في مقابرها ، مقابل هبة يقدمها لها في يوم الاحتفال بعيد القديس حنا المعمدان في كل عام ، ومقابل تعهده بأن يبذل قصارى جهده في سبيل حماية منافع وأموال الهيئة ، وتنبيه الهيئة إلى الأخطار التي تهدد أموالها . وكان يشترط في طائفة الموهومين ، على وجه الخصوص ، أن يكونوا من أبناء طبقة الفرسان النبلاء ، ولذا كان لهم الحق ، دون إخوانهم من طائفة الزملاء في التقدم لنيل العضوية الكاملة بالهيئة .^(٢)

وبالرغم من تعدد الجطاعات والطوائف داخل هيئة الاستبارة ، فإن أحدها ، وهي جماعة الأخوة الفرسان احتكرت لنفسها الحق في شغل جميع الوظائف الرئيسية في الهيئة ، سواء في الإدارة المركزية ، أو في إدارة المؤسسات التي أقامتها الهيئة

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S. , PP. 290 - 296 ; King , PP. 69 - 72; Les Statuts de l'Ordre de S.- J. de Jerusalem, Titre II, Nos. 2, 17, 18 .

(٢) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit., PP. 297 - 298 ; King P. 72; Les Statuts, Titre II. Nos. 34, 37.

في أملاكها في أوروبا والشرق (١)

ويأتي رئيس المستشفى ، أو بمعنى آخر ، رئيس هيئة الاستبارة ، على رأس الجهاز الإداري للهيئة بأكمله . وكان يطلق عليه غالبا لقب السيد الكبير (Grand - Maître) بالرغم من أنه لم يحمل هذا اللقب رسميا سوى في عام ١٤٨٩ في جزيرة رودس . وكان يمارس السلطة التنفيذية لمدى الحياة بمساعدة مجلس إدارة ، عبارة عن مجمع صغير يتألف من كبار الموظفين الذين يشكلون الإدارة المركزية ، ويعرفون باسم الوكلاء الذين يسمون (Baillis Conventuels) وكان عدد هؤلاء الوكلاء ، في بداية الأمر ، خمسة هم مقدم الدير المركزي المصرف أيضا باسم رئيس الكنيسة ، وكان مسئولاً عن أداء الخدمة الدينية وعن رجال الدين الأعضاء في هيئة الاستبارة ، والامراء والمراقب الكبير Grand Précepteur أو Grand Commandeur وكان نائبا للسيد الكبير ، ومراقبا عاما للشئون الاقتصادية والمالية ، وشئون التعميم في الهيئة ، والمشير (المارشال) (Marechal) ، وكان مسئولاً عن الناحية الحربية وتوفير جميع ما يحتاجه الفرسان للدخول في المعارك من خيول وسروج وأسلحة ، ولكنه لا يقود هذه المعارك ، فهو أشبه بوزير حرب لا قائد جيش ، والمسئول الطبي (الاستباري Hospitalier) أو مدير المستشفى ، وكان مسئولاً عن المستشفى ومخازن الأدوية والتعميم الملحقة به ، ويخضع لأوامره الأطباء ومساعدوهم وجميع العاملين في المستشفى ، كما خضع لأوامره ، في أواخر القرن الثاني عشر ، الموظف المسئول عن الضيافة وتوزيع الصدقات (Custos Elemosine) ومساعدوه (Elemosinari) وأخيرا يأتي وكيل الخزنة (Trésorier) ، وهو الموظف المسئول عن أموال وحسابات الهيئة . ثم حدث ، في عام ١٢٢١ ، أن أضيف إلى مجلس الإدارة عضو سادس هو الجواخ أو القماش (Drapier) الذي عهد إليه ، آنذاك مسئولية الاشراف على قطاع الطبوسات والأقمشة والأغطية اللازمة لأعضاء الهيئة

(١) انظر :

والمستشفى والدير ، وغير ذلك من مؤسسات الاستتارية ، بما في ذلك معامل
انتاج هذه المستلزمات نفسها ، علما بأن هذا القطاع قول انشاء وظيفة الجواخ
او القماش كانت تحت اشراف الامرأ والمراقب الكبير (١)

ومن ناحية أخرى كان يساعد السيد الكبير في ادارة املاك الاستتارية
في كل من الشرق وأوروبا جهاز خاص يتمتع مديروه بلقب وكلاء Baillis
شأنهم شأن أعضاء مجلس الادارة في المركز الأم (٢) ، الى جانب لقب البريسير
(Prieur) أى المقدم أو الرئيس ، لكل مدير منهم
كان على رأس احدى الدوائر الكبرى التي تضمها املاك الهيئة في أوروبا ، مما
ادى الى اطلاق اسم رئاسة أو شعبة (Prieuré) على دائرته ، ولقب
البريسير (Prévôt) أو الكوماندوز (Commandeur)
أى الامرأ والمراقب ، لمدير الشعبة في الشرق ، علما بأن هذا اللقب الأخير كان

(١) انظر : D. Le Roux : Les Hosp. en T.S. PP. 328 - 343 ;
King, PP. 72 - 74 .

توجد وظائف كبرى أخرى لا يتمتع شاغلوها بعضوية المجلس ، فهناك :
* التركولى Le Turcoplier وهو قائد فرقة الفرسان الخفيفة المؤلفة من أجرا
سوريين ، لا يتمتع أحد منهم بعضوية هيئة الاستتارية الا التركولى نفسه الذى يتنص
الى طائفة خدام الأسلحة . وكان التركولى يتلقى أوامره من " المارشال " ، الذى
أن سمح له بعضوية المجلس في عام ١٣٠٤ فى قبرص (D. Le Roux: Op. Cit.,
P. 345

* التابع الرئيس Le Maître-ecuyer (أمير آخر) : وهو رئيس مجموعة
التابعين الملحقين بخدمة الفرسان ، وكان - شأنه شأن التركولى - خاضعا
لأوامر " المارشال " ويتنص الى طائفة خدام الأسلحة .
(Ibid . Op. Cit., P. 350)

* قائد الفرسان (Le Commandeur des Chevaliers) : موظف عسكري آخر يخضع
للمارشال وهو فى مرتبة أعلى من مرتبة التركولى . ووظيفته قيادة فرقة من الفرسان . وفى
أثناء الحروب تعطى له نفس سلطات واختصاصات المارشال ويعتبر نائبا له .
(Ibid : Op. Cit., P. 351) .

* مدير الزمام ("Magister" ou " Custos Asindride ")
وظيفته ادارة املاك الهيئة فى زمام مدينة بيت المقدس ، وتحصيل دخول الهيئة فى
هذه المدينة . (Ibid : Op. Cit., PP. 347 - 348)

يعطى أيضا لعضو الاسبتارية الذى يعينه مقدم الشعبة (البيرر) لادارة احدى
الاقسام أو الدوائر الصغرى التى تشتمل عليها شعبته والتى أصبحت تعرف عندئذ
باسم الامريات أو المراقبات (Préceptories, Commanderies)

هذا وقد أطلق لقب الامر (أو المراقب) الكبير (Grand Précepteur)
أو (Grand Commandeur) وهو نفس اللقب الذى يعرف به تأسسب
السيد الكبير فى الادارة المركزية ، على ذلك الموظف الكبير المختص بالاشراف الاعلى
على جميع الشعب الموجودة فى القطر الواحد من أقطار امورها التى تحتوى على
أعداد كبيرة من هذه الشعب مثل فرنسا وأسبانيا وإيطاليا وألمانيا ، مع التنويه
بأن هذا الموظف كان يتنح ، شأنه شأن رؤساء الشعب الذين يشرف عليهم ،
بلقب وكيل ، وأن وظيفته لم تكن دائمة ، وإنما كان شغلها يخضع لضرورة الأحوال فى
فترات متقاربة أو متباعدة . (١)

ومن الجدير بالذكر بأن جهاز مديرى أملاك الاسبتارية ، أو كما كان يقسم
عنه أحيانا ، رؤساء بيوت الاسبتارية ، لم يتم وضعه دفعة واحدة ، سوا
فى الشرق أو الغرب ، وإنما بنا بالتدريج مع نمو أملاك الهيئة ، التى آلت اليها ،
منذ تأسيسها ، أما عن طريق الهيئات المتزايدة باستمرار أو بالشرع ، وعند
اكمل تكوين هذا الجهاز فى الشرق أصبح يتألف من عشرة مديرين برتبة وكلاء
(Baillis) ، ثلاثة منهم خارج بلاد الشام ، هم أمر قبرص ، وأمر المورة ، و " قسطلان "
(قائد حصن) سلوقية أو أمر أرمينية الصغرى ، ثم سيمه داخل الشام الصليبي هم أمر
انطاكية ، وأمر طرابلس ، وأمر صور ، وأمر عكا ، وأمر يافا ، و " قسطلان " حصن
الكراد ، الواقع على الحدود الشرقية لامارة طرابلس ، وأخيرا " قسطلان " حصن
المرب ، وهو أقوى حصون الاسبتارية عامة فى بلاد الشام ، ويقع على الحدود الغربية
بين اماره طرابلس ، التى ينبع لها الحصن ، و اماره انطاكية ، من جهة البحر .
هذا ولا يدخل عادة حصون الاسبتارية الأخرى فى الشرق ، سوا فى الشام الصليبي

(١) انظر : D. Le Boulx : Les Hosp. en T.S. PP. 302 - 309 ،

355, 403 ; King, PP. 74 - 76 .

أوقبرص وأرمينيا ، في عداد المديرين الذين يتمتعون بالقباب وكلاء ، فهم مجرد قادة حربيين محتشم الدفاع عن الحصون التي يتولون قيادتها ، ولا شأن لهم بإدارة أملاك الهيئة .^(١)

أما في الغرب فقد بدأ التنظيم في عام ١١١٨ ، أوفي عام ١١٢٠ ، بتأسيس جمعية سان جيل باقليم بروفانس في فرنسا على أن يدير مقدمها جميع أملاك الاسبتارية في فرنسا وهولجيك وانجلترا وأيبيريا . وفي عام ١١٣٦ أسس الاسبتارية شعبتهم الثانية في الغرب ، وجعلوا مقرها في مدينة مسينا بجزيرة صقلية ، على أن يقوم مقدمها أيضا بإدارة أملاك الهيئة في إيطاليا . وتوالى بعد ذلك ظهور شعب الاسبتارية الأخرى في أوروبا إلى الوجود ، أما عن طريق الاتصال والتفريع عن كل من شعبتي سان جيل ومسينا ، أو بعيدا عن دائرتي اختصاص هاتين الشعبتين . وقد تفرع عن شعبه سان جيل كل من شعبه البرتغال في عام ١١٤٠ ، وشعبه نافارا في عام ١١٤٢ ، وشعبه إنجلترا في عام ١١٤٥ ، وقسطانية أو قيادة أموستا لإدارة أملاك الاسبتارية في قطلونيا وأرغونية في عام ١١٥٧ ، ثم أضيف إلى هيسبانية القيادة أملاك الهيئة في مملكة بلنسية بعد أن انتزعت هذه المملكة من المسلمين في عام ١٢٢٨ . وتفرع عن شعبه سان جيل أيضا كل من شعبه فرنسا في عام ١١٧٩ ، وشعبه قشتالة وليون في عام ١١٩٠ ، وشعبه أيرلندة في عام ١٢٠٢ ، وأخيرا شعبه أوفرني جنوب فرنسا في عام ١٢٣٠ . أما شعبه مسينا بجزيرة صقلية فقد انتزع مسن اختصاصها كل أملاك الاسبتارية في إيطاليا التي تجزأت في النهاية إلى ست شعوب هي شعبه بارلتا Barletta في عام ١١٦٩ ، وشعبه لمبارديا في عام ١١٧٦ ، وشعبه البندقية في عام ١١٩٨ ، وشعبه روما في عام ١٢١٥ ، وشعبه بيزا أو توسكانيا في عام ١٢٣١ ، وأخيرا شعبه كابوا في عام ١٢٥٥ . وإلى جانب هذه الشعوب التي تفرعت عن شعبتي سان جيل ومسينا ، أنشأ الاسبتارية في أملاكهم الأخرى

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 403, 404 ; King, P.74 .

بأمرها كلا من شعبة بوهيميا في عام ١١٨٢ ، وشعبة ألمانيا في عام ١١٨٧ ،

وشعبة غنتاريا في عام ١٢١٧ ، وشعبة دانيا أوداشيا Dacia ، لإدارة

أملاك الهيئته في دول السويد والنرويج والدنمرك بشمال أوروبا ، في عام ١٢٣١ ،
(١)

وأخيرا شعبة بولندة في عام ١٢٥٢ .

ولم يخصص موظفة الأمر (أو المراقب) الكبير في دول أوروبا المختلفة ،

فقد نشأت في عام ١١٦٤ بموظف واحد مركزه اقليم بروفانس بفرنسا ، ولكن

تفويده امتد الى جميع مقدمي الشعب في أوروبا ، بصفته ممثلا شخصيا للسيد الكبير لدى
(٢)

هو "المقدمين" ، ولذا عرف باسم الأمر (أو المراقب) الكبير لما وراء البحر .

Grand Precepteur " ou Grand Commandeur " Deça mer or
d'Outre-mer ") .

ولكن في عام ١١٧٠ عين أمير كبير خاص بأسبانيا مقره قشتالة . وكان هذا

الموظف في بداية الأمر يحمل لقب مقدم في كل أسبانيا (Prior in tota

Hispania) ومع ذلك فلم يكن يخضع له آنذاك سوى كل من

مقدم شعبة قشتالة وليون ، ومقدم شعبة البرتغال . ولكن في عام ١٢٠٨ خضع لـ

أيضا قائد أمويستا ، ومقدم شعبة نافارا ، وأصبح منذ عام ١٢٣٠ يحمل لقب

" الأمر الكبير في ممالك أسبانيا الخمس " Magnus magister ou Preceptor (

" in quinque Regnios Hispanie " أي ممالك أرغون ونافارا وقشتالة وليون

والبرتغال (٣) . وفي عام ١١٨٦ عين آمران كبيران آخران ، أحدهما في إيطاليا

والثاني في ألمانيا . ولم تكن إيطاليا - بمافيها جزيرة صقلية - تحوي آنذاك أكثر

من ثلاث شعب ، هي شعب ميسينا وإرليتيا ولجبارديا ، فخضع مقدموها لأمير كبير

إيطاليا . فلما انشئت شعبها الأخرى ، وهي شعب البندقية وروما وبيزا (أوتسكانيا)

وكابوا ، امتد اليها أيضا تفويض أمير كبير إيطاليا . أما الأمر الكبير في ألمانيا فقد خضع

لـ مقدموا شعب ألمانيا وبوهيميا وبولندة ومنتغاريا وداشيا ، وعددهم

(١) انظر : D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP.364 - 401 ;
King, PP.76 - 78 .

(٢) انظر : D.Le Roulx: Op.Cit., PP.358-359; King, P.80 .

(٣) انظر : D.Le Roulx: Op.Cit., PP.377-380; King, P.80 .

خمس (١) • وقد ترتب على تعيين آمر كبير خاص لكل من أسبانيا وإيطاليا وألمانيا أن انحصرت نفوذ الأمر الكبير لما وراء البحر في بروكسل ، فأصبح قاصرا على الشعب الفرنسية الثلاث ، وهي شعب سان جيل وفرنسا وأفرن ، وعلى بلجيكا علما بأن بلجيكا وفرنسا ، فيما عدا شعبة سان جيل ، عين لهما آمر كبير خاص عرف باسم آمر كبير فرنسا ، لوحظ أنه لم يتول مهام منصبه سوى في أوقات لم يكن فيها الأمر الكبير لما وراء البحر قائما بالعمل (٢) •

وكان يطلق على هؤلاء الأمراء الكبار جميعا ، مع مجموعة مقدمي الشعب الخاضعين لائسرافهم ، اسم وكلاء الغرب تمييزا لهم عن مجموعة الأمراء أو القادة مديري هيوت الاسبتاريين الذين عرفوا ، بوجه عام ، باسم وكلاء الشام (٣) . وكان وكلاء الغرب ووكلاء الشرق معا ، يشكلون ، بالاشتراك مع أعضاء مجلس الإدارة والسيد الكبير ، ما عرف باسم المؤتمر العام (Chapitre - General) الذي تمثل فيه السلطة العليا في الهيئة وكان المؤتمر العام يعقد في مركز رئاسة الهيئة في فترات غير منتظمة - متقاربة أو متباعدة - بدعوة من السيد الكبير أو من المشير (العارشان) ، بتكليف من مجلس الإدارة ، في حالة غياب السيد الكبير . وكان يسمح لمن يتعذر حضوره من وكلاء الغرب أو الشام أن يبعث بمندوبه . كما كان يدعى لحضور الجلسات ، إلى جانب الوكلاء أو نوابهم ، أعضاء هيئة الاسبتارية الآخرين الذين يرغب السيد الكبير في حضورهم لما اشتهروا به من حكم وسداد رأى ، أولا لما لهم من صلة بموضوعات المناقشة . ولم تكن مدة انعقاد جلسات المؤتمر العام في بداية الأمر محددة . ولكن وضع لها في عام ١٣٠٤ حد أقصى هو عشرة أيام قابلة للمد ثمانية أيام أخرى إذا رأى السيد الكبير ذلك . وكان المؤتمر العام هو صاحب السلطة التشريعية في هيئة الاسبتارية ، فهو الجهة المختصة بسن القوانين التي يلزم أن يتقيد بها السيد الكبير ومجلس الإدارة

(١) انظر D. Le Roux : Les Hosp. en T.S., PP. 372-373, 389-392.

King, PP. 80-81 .

(٢) انظر : D. Le Roux : Op. Cit., PP. 359, 362-363 .

(٣) انظر : King, PP. 74, 80 .

عند أدايتهم لمهام وظائفهم التنفيذية ، الى جانب مراعاتهم لما عرف باسم تقاليد
الهيئة أو العادات الحسنة التي درجت هذه الهيئة على الأخذ بها . وكان لكل
فارس استثنائي الحق في أن يحتفظ - بعد أخذ إذن السيد الكبير - بنسخة من
هذه القوانين (Statuts) على ألا يروج بمحتوياتها لأحد من غير
أعضاء هيئة الاستثنائية ، ولا تعرض للعقاب الصارم / وكان المؤتمر العام أيضا
هيئة تاديبية تصدر الأحكام على أعضاء هيئة الاستثنائية الذين يقدمون للمحاكمة أمامها
بتهمة اقتراف المخالفات الخطيرة لقوانين هيئتهم وتقاليدها الحسنة ، كما أنها تنظر
في طلبات العفو التي يتقدم بها إليها الأعضاء الذين حكم عليهم من المؤتمر نفسه
بالطرد من هيئة الاستثنائية ، وكان يستجيب عادة لهذه الطلبات إلا إذا كان مقدموها
قد ارتكبوا إحدى جرائم مت هي الهرطقة والشهادة الزور ، واللواط ، وهجر
الهيئة ، والتخلي عن راية المارشال خلال المعركة ، والهرب ثلاث مرات من
المركز الذي يعيش فيه ، فهو "لا" يكون طردهم من الهيئة نهائيا .

ومن اختصاصات المؤتمر العام أيضا تعيين السيد الكبير للاستثنائية إذا شغرت
وظيفته بالموت ، وفي حالات تادرة بالاستقالة ، حيث ان الاستقالة أمر مخالف لتقاليد
الهيئة . وإلى جانب ذلك كان المؤتمر العام يعين كبار الموظفين في الهيئة
من درجة الوكلاء Baillis ، وهم الوكلاء الذين يشكلون أعضاء مجلس
الادارة ، ووكلاء الشام ، ووكلاء الغرب ، ويصدق على التسميات التي يكون السيد
الكبير قد أجراها على هذه الوظائف قبل أن يدعو لعقد المؤتمر العام ، وبخاصة
بين وظائف الوكلاء أعضاء مجلس الادارة التي درج العرف على أن يكون شغلها لمدد
قصيرة لتسهيل الفرصة لأكثر عدد ممكن من وكلاء الغرب أن يحضروا الى الشرق بقصد تولي
هذه الوظائف ، ويتصلوا اتصالا مباشرا بمشاكل هيئتهم وسلطاتها العليا ، فيزدادوا
إيمانا وتشبعا بروحها ونظامها ، ويصبحوا أكثر تمسكا بهذه الروح وهذا النظام ، وأكثر
صلاحيه لنقلها الى مؤسسات الهيئة في الغرب عند عودتهم لادارة هذه المؤسسات .^(١)

(١) أنظر : . 327 - 313 PP. en T.S. Les Hosp. : D. Le Roulx

ويعد ، فقد كان ذلك هو التنظيم الداخلي لهيئة الاستتارية الذي نتج عن تحولهم إلى عسكري على يد رئيسها الثاني ريموند دي بوي ، وهو الرئيس الذي يعود إليه الفضل أيضاً في وضع أسس هذا التنظيم نفسه .

والنتيجة الرئيسية والاحتجاجية لهذا التحول هو خوض الهيئة غمار الحروب ، المسمى جانب الصليبيين ، ضد الجيوش الإسلامية التي قاتلتهم باستمرار في الشرق الأدنى . وقد دخل الاستتارية أولى معاركهم ضد المسلمين في عهد السيد الكبير ريموند دي بوي نفسه ، وذلك في صيف عام ١١٤٨ حين اشترك فرسانهم مع جيوش الحملة الصليبية الثانية التي وفدت آنذاك إلى الشام ، بقيادة كونراد الثالث ، إمبراطور ألمانيا ، ولويس السابع ، ملك فرنسا ، إلى جانب مختلف القوى الصليبية الأخرى المقيمة بالشام ، في الحصار الذي فرضوه حول مدينة دمشق ، في فترة الواقعة بين الرابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر يوليو ، وانتهى إلى فشل أدى إلى عودة الحملة الصليبية إلى أوروبا من غير أن تحقق أهدافها (١) .

ويعد عامين ، أي في عام ١١٥٠ ، اشترك فرسان الاستتارية مع فرسان هيئة الداوية في قوات ملك بيت المقدس ، بلدوين الثالث ، وأمير طرابلس ، ريموند الأول ، في عملية اجتياح سكان اللاتين من المدن والقلاع التي كان قد احتفظ بها أمير الرها ، جوسلين الثاني ، بالرم من سقوط مدينة الرها نفسها في يد عماد الدين زنكي عام ١١٤٤ ، إلى أن تمكن أمير الدين محمود ، أمير حلب ، وابن عماد الدين زنكي ، من الاستيلاء عليها وأسر جوسلين من مايو ١١٥٠ ، ونقل هؤلاء السكان إلى مدينة أنطاكية القريبة . وقد تمت العملية بنجاح

(١) انظر : W.T. dans R.H.C., Hist. Oc. , T 1 , Part II., PP. 758 - 770 .

وقد تكلم بصراحة عن اشتراك الاستتارية في ص ٢٥٩ .

انظر أيضاً : D.Le Roux : Les Hosp. en T.S. , PP. 49-50 ; King, PP. 44-47 .

بفضل انتصار الفاتحين بها على قوات نور الدين محمود التي حاولت بختهم في الطريق من
دوك الى عين تاب (١)

وبنما كان الملك بلدوين الثالث في طريق العودة الى مملكته من الشمال ، عام ١١٥٢
تعرضت عاصمة مملكته بيت المقدس لخطر الغزو من جانب تمرشاش بن ايلدازي ، وهو من نسل
ارتقى بن اكسب السلجوقي صاحب بيت المقدس قبل عصر الصليبيين . ولم يكن بالقدس ، انذاك
للدفاع عنها ، سوى نفر قليل من فرسان الاسبتارية والداوية ، فاستعانوا بالاهالي ، بمسند
ان زودوهم بالسلاح . في بغت الغزاة ليلا على جبل الزيتون ، وارغموهم على القرار . وقد
التقى بهم الملك بلدوين الثالث في الطريق ، فطاردهم الى نابلس ، ثم شتت الامراء .
الصليبيون شغلهم عبر الاردن (٢)

وفي اوائل العام التالي ، اي في عام ١١٥٣ ، اشترك فرسان الاسبتارية بقيادة
السيد الكبير ريموند دي بوي ، وفرسان الداوية بقيادة السيد الكبير لهيتم برنارد ديجريميلى
(Bernard de Tremelaye) ، مع قوات الملك بلدوين الثالث
في حصار مدينة عسقلان الفاطمية ، الذي طال فاستغرق سبعة شهور . حيث بدأ في
٢٥ يناير وانتهى في ٢١ أغسطس . قبل ان يتم لهم الاستيلاء على المدينة ، بالرغم من
King, PP. 48 - 49 .

(١) انظر :

ويجدر التنويه الى أن المؤرخ راييم المورى قد سرد تفاصيل هذه الواقعة من غير ان
ينص صراحة على ان الاسبتارية دورا فيها .

(أنظر : W.T., dans R.H.C., Hist . Oc., T.I, Part II, PP. 784 - 789 .

كما ان المؤرخ كنج الذي اكد لنا هذا الدور لم يد لنا على المصدر الذي استقى منه
معلوماته . ومن ناحية اخرى لم تتكلم المصادر العربية عن الواقعة التي نحن بصدد ها
وان كان ابن الاثير قد ذكر بأن نور الدين محمود انتصر على الفرنج عند دوك (انظر
تاريخ الدولة الاتابكية في القسم الثاني من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب
الصليبية الشرقيين ص ١٨٥ - ١٨٦) .

King , P. 49

(٢) انظر :

المسلحات والخدمات التي كان جيش الحصار السليبي يتلقاها باستحوار من الحامية الاستتارية في حصن بيت جبرين الواقع الى الشرق من مدينة عسقلان (١)

وحدث في العام التالي - اي في عام ١١٥٤ - ان استولى السلطان نور الدين محمود على مدينة دمشق (٢) وأنه لم يشأ ان يستغل هذا الفتح في التخط على ملكية بيت المقدس الصليبي من الشمال حتى يتفرض تماما لقتال السلاجقة الروم ، وعقد مع الملك بلدوين الثالث معاهدة مدتها عامان تسهد فيها بدفع الجزية التي كان يتحصلها هذا الملك الصليبي من صاحب دمشق السابق ، مجبر الدين أبي ، ومقدارها ثمانية الاف دينار في السنة . (٣) وبالرغم من ان هذه المعاهدة جددت في اواخر عام ١١٥٦ ، (٤) فقد شن بلدوين الثالث في فبراير من العام التالي - اي في عام ١١٥٧ - هجوما قادرا على حيازة من الرعاء الاعراب والتركمان في ناحية الشمر^{المجاورة}اء^ل مدينة بانهاس ، وقتل بعضهم واستولى على ماشيئهم . (٥)

(١) انظر : W.T., dans R.H.C., Hist. Oc. T.I., Part II, PP. 794-813; D.Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 51-52; King, PP.50-52 ; Archer & Kingsford , PP.226-227 .

وكمثل للمراجع العربي التي تكلمت عن فتح الفرنج لمدينة عسقلان - وجميعها لم تفسر بمصاحبه الى اشتراك الاستتارية في عملية الفتح - انظر : ابو شامة : كتاب الروشتين

ص ٧٦ (في الجزء الرابع من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين)

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٨٠ ، كامل التواريخ ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ، تاريخ الدولة الاتاكية ص ١٨٨ - ١٩٢ .

(٣) انظر : King , P. 55 .

(٤) ابو شامة : كتاب الروشتين (الجزء الرابع من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ص ٨٣)

(٥) ابو شامة : المرجع السابق ص ٨٤ ، ابن القاسمي : زجل تاريخ دمشق ص ٣٣٧ ، W.T., Op. Cit., PP.836 - 837 .

Honfroi de Toron

وقد توقع صاحب بانيامس * وهو أونفري دي تورون

"كونستابل" ملكة بيت المقدس * أن يدل به انتقام نور الدين محمود * فمضت مع نائب

السيد الكبير لاسبتياريه * الأمر الكبير جيرارد فترسيو (Gerard Fitz Hugh) * حيث

كان السيد الكبير يريد دعى بوى غائبا في أوروبا * اثباتية نسبت على أن تشتتوك ديتي...

الاسبتياريه في الدفاع عن مدينة بانيامس وأرباها مقابل نصف مائيتها (١) * وقد خرجت بالفضل

غرفة اسبتياريه من مدينة بيت المقدس لتنفيذ شروط المعاهدة (٢) * فما أن وصلت إلى رأس

الما * في الدليس إلى بانيامس * في ٢٤ أبريل (عام ١١٥٧) * حتى ينقذها فوه من جيش

نور الدين محمود * يفوقها أخوه ناصر الدين * ومزقتها شرمزق (٣) * وعجز أونفري دي

تورون * ومن انضم إليه من الأسبتياريه الذين قد رلهم النجاه من مذبحه رأس الما * عند شمس

عن منح نور الدين محمود من الاستيلاء على مدينة بانيامس * في ١١ مايو * فيها عدا قلمتها

التي استعصت على السالمان (٤) بفعل استيصال طليتها من غرسان الاسبتياريه (٥) * وعند ما

رجع نور الدين محمود * في العام التالي - أي في عام ١١٥٨ - تعدت له قوات بلاد بين النهرين

بالاشتراك مع غرسان الاسبتياريه والدأويه * في ١٥ يوليو * عند جسر الصنبره الخشبي الواقع

على نهر الأردن إلى الجنوب من بحر الجليل * وانزلت به هزيمة منكرة (٦) * وثى المنسحب

التالي سنة ١١٥٩ * عقدت الهدنة بين الطرفين (٧)

(١) انظر: W.T., dans R.H.C., Hist.Oc., T. 1, Part II, PP. 837 - 838.

(٢) انظر: King, P.56.

(٣) أبو شامه: كتاب الروضتين ص ٨٥ - ٨٦ * ويقول بأن الفرقه كلها * وعدتها سبعمائة فارس سوى الرجال - قتلت أو أسرت * وكانت تتألف من الأفرنج ومسلمي جبل عامله الضاغين اليهم * فهو لم يذكر الاسبتياريه صراحة.

(٤) أبو شامه: الروضتين ص ٨٧ - ٨٨ * W.T., Op. Cit., PP. 838 - 842.

عاما بأن كليهما لم يشر صراحة إلى اشتراك الاسبتياريه وهو الأمر الذي أكد * كل مسن كنج (ص ٥٦) وديلانيل (ص ٥٦) *.

(٥) انظر: King, P.57.

(٦) انظر: W.T., Op. Cit., PP. 855 - 856; King, P.57.

وقد اعترف أبو شامه (كتاب الروضتين ص ٩٧ - ١٠١) بهزيمة جيش نور الدين عند جسر الخشب.

(٧) أبو شامه: كتاب الروضتين ص ١٠٤ * W.T., Op. Cit., P.864.

وسنة عام ، اى فى عام ١١٦٠ ، توفى السيد الكبير ويخون دى بوى ، وخلفه
 اوجيه دى بالين Auger de Balben (١) . وقد ذلت الاحداث فى عهد اوجيه على
 ان السيد الكبير الاستباريه قد وصل الى درجة كبيره من النفوذ والتاثير فى المجتمع الملبى
 فبعد بل تدنله ، فى عام ١١٦٠ ، ايد اساقفه الارمنى المقدسه البابا اسندو الثالث ضد
 مناسه فكتور الرابع ، ويغنىل سابعه ، فى عام ١١٦٢ ، اتفق اتصال ملة بيت المقدس
 بعد خلاف كاد أن يورى الى تشوب حرب انليه فيما بينهم . على الاعتراف للملك عسورى
 الاول باحقية فى عرش الملة الذى خلا بوغاة أخيه بلد وبين الثالث هذا التام بدون ريسست
 من صلبه (٢) .

على ان اوجيه دى بالين توفى فى نفس هذا العام ١١٦٢ . وخلفه ارنولد
 دى كومب Arnold de Comps ، الذى مات بدوره بعد بضعة شهور فقط ،
 وتولى من بعده جليبرت داسيلي Gilbert d' Assailly (اواخر عام ١١٦٢) (٣)
 وفى ذلك الوقت كان الصراع محتدما فى مصر على منصب الوزارة بين شاور وموغل . وقد
 رأى الملك عسورى الاول التدخل فى هذا الصراع بطريقه تؤدى فى النهاية الى بسط المباد
 الملبيه على مصر . وايدى فى ذلك جليبرت داسيلي الذى دفع بهيئة الاستباريه الملبيه
 الاشتراك مع الملك الملبى فى جميع حملاته على مصر ، وهى ضمن حملات قام بها فى الاعوام
 ١١٦٢ ، ١١٦٤ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ على التوالي (٤) وانتهت جميعها المسمى

(١) انظر King, P. 60

(٢) نفس المؤرخ ونفس المرجع Ibid, PP. 84 - 86

(٣) D. Le Roulx : les Hospit en T.S., PP. 63 - 64

(٤) لم ترد نصوص صريحة على اشتراك الاستباريه سوى فى حملة عام ١١٦٨ . وقد أكد ولیم
 رئيس اساقفة صور اشتراكهم فى هذه الحملة ، والتقى بمسئولية توجيهها على عاتق السيد
 الكبير للاستباريه (انظر : W.T., dans R.H.C., Hist. Oc., T.I,

Part II, PP. 948 - 949 .

ومن ناحية اخرى اقر المؤرخ ديلانيل بعدم وجود وثائق تقطع باشتراك الاستباريه فى
 الحملات الاخرى على مصر ، غير حملة عام ١١٦٨ ، ولكنه مع ذلك ، أكد هذا الاشتراك .
 (انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 65-69, 74

اقا المؤرخ كج فقد ذكر بلاحفظ ان الاستباريه اسهموا فى جميع حملات الملك عسورى
 على مصر (انظر : King, PP. 88, 91 - 97 .

فشل بسبب تدخل جيوش تور الد بن محمود تحت قيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف (١) . وكان جليبرت داسيل في جميع هذه الحملات أخيراً نصيباً من الملك واكثرهم تأييداً له حتى انه رأى الداء الصليبي بأنه المحرك الاساسى للسياسة التى ادت بالملك عمورى الاول الى انهزامه المتكرر فى مصر (٢) .

ولا شك ان هذا الموقف من السيد الكبير للاستتارى لم يكن يدافع عن الروح الصليبية وحدها . بل اينما من اجل تحقيق مقصده شخصيه الهيئه التى يرأسها . ويتضح ذلك من شروط المعاهدتين اللتين عقدت مع الملك عمورى الاول قبل قيام حملتيه الاخيرتين على مصر وشما الحملتان اللتان اسهم فيهما الاستتارى بارادى نصيب . فقد تمت اولى المعاهدتين وتاريخها ١١ أكتوبر سنة ١١٦٨ (٣) . على ان تنجح هيئة الاستتارى تحت تصرف عمورى الاول خصاصة فارم استتارى . ومثلهم من الخباله الضعيفه المحروفين باسم التركويليه . فى مقابل وعد من الملك بمنح هذه الهيئه مدينة بلبس والارض الواقعة شمالها بما يكفى ما يضمن لها ايراداً سنوياً مقداره مائة الف بيزانت . فخلال عن بعد بدخل سنوى آخر مقداره خمسون الف بيزانت مودونه على عشر من صريه حتى الفاضله وسان الحىجود مياط والمجاه والاسكندريه والقيسوم وقوص واسوان واليهنسا وادقيج . واشتراط فى المعاهدتين ايضا منح الاستتارى فى كل من هذه المدن اعظم قصر بعد قصر الملك عمورى والسماح لهم بتحصيل العشور فى جميع الاراضى المصرية التى تقع تحت السيطره الصليبية . كما تم الاتفاق على ان الممارك التى يخوضونها الاستتارى منفردين لا يحق لأحد ان يقامهم غنائمها سوى الملك اذا حضر هذه الممارك .

(١) للوقوف على تفاصيل هذه الحملات من وجهتى النظر المصرية والصليبية ارجع الى :

دكتور محمد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٧٩ وما بعدها .

(٢) انظر : D. Le Roux : Les Hosp. en T.S.P. 66; King, P.97

(٣) ارجع الى النسخ اللاتينية لهذه المعاهدتين منشور فى : D. Le Roux : Cart. I, No. 402 .

وقد ترجمه المؤرخ كنج الى اللغة الانجليزية . (King, PP. 100-101) .

ولا بد ان ولهم رئيس اساقفة صوري قد عرف باسم هذه المعاهدتين وأنه ذكر ان عمورى الاول تعهد للسيد الكبير للاستتارى بمدينة بلبس وبمبلغ مائة الف بيزانت او اكثر .

(انظر :

(W.T., Op. Cit., PP. 948 - 949) .

اما غنائم المدا رك الاخرى التى يشتكون فيها مع غيرهم من الفئات الصليبية ، فتوزع بين هذه الفئات منهم بقتنى قانون الحرب بعد خمس النصف للملك ، على ان توزع بقتنى هذا القانون ايضا الغرامات المصروفة التى تدفعها مصر بعه هزيتها • ونصت المصادقة ، اخير على ان مكافآت الاستتارية قبله للزياد ، والنقصان بحسب مقدار وناسهم لما التزموا به فى هذه المصادقة •

اما المصادقة الثانية فقد عقدت فى ٢٠ أغسطس عام ١١٦٩ (١) ، قبل قيام الحملة الاخيرة على مصر ، ونفيها اقتضت منافع الاستتارية على مدينة بلبيس والاقاليم المجاورة لهما بما ينمن اسم ابرك سنويا مقدار مائة وخمسون الف مبركات

ومثل اى حال فقد كانت هذه المكافآت والامتيازات مجرد وعد على امل نسولم بتحقيقه ، غير ان هيئة الاستتارية وجدت لها نسوينا عن ذلك ، خلال تلك الفترة ، فى امارتى طرابلس وانطاكية بالشام • ويصور الفضل فى ذلك ، فى الواقع ، الى نور الدين محمود الذى شدد هجماته على هاتين الامارتين خلال فترة صراعه مع الصليبيين على مصر ما دفع ولاية الامر فيهما الى التنازل لهيئة الاستتارية عن العديد من الامتيازات غيها مقابل ان تقوم هذه الهيئته بالدور الرئيسى فى الدفاع عنهما • وقد بدأ السلطان نور الدين عملياته العسكرية فى هذه النواحي بالهجوم على منطقة حصن الاكراد بامارة طرابلس ، فى ربيع عام ١١٦٤ ، ولكن حماية الحصن من نرسان الاستتارية ، بالاشتراك مع فرقة داوية قدمت من طرابلس ، انتصرت عليه فى موقعة البقيعه بالقرب من هذا الحصن (٢) ، غير ان نور الدين انتصر فى ١٠ أغسطس من هذا العام امام حارم بامارة انطاكية واسر من زعماء الصليبيين يوهيوند الثالث ، اميرانطاكية

(١) ارجع الى نص المصادقة فى D. Le Roulx : Cart. I, No. 409

(٢) انظر : وقد اختبرت المصادر المصرية بهزيمة نور الدين فى موقعة البقيعه على يد الافرنج من غير تحديد لجنسيتهم الاصلية ، وانك اوبه • ومن هذه المصادر : ابو شامه : كتاب الروسيس ص ١٠٩ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١١٩ ، كامل التواريخ ص ٥٢٠ - ٥٢٢ ، تاريخ الدولة الاتايكية ص ٢٠٨ - ٢١١ •

ويؤيده الثالث ، السيد ابراهيم ، وجوسلين الثالث ، حامل لقب امير (كونت) الوها ، وتوروس (Toros) ، امير ارمينية الصغرى ، ونستادنلين قلمانوس Constantine Calamanoz ، امير فيليخيه (ماسترا Mamistra) البوزنلى وعدد كبير من فرسان الاسبتارية والد اويه (١) . وفى عام ١١٦٧ رجع نور الدين محمود وقواته الى اماره طرابلس " فاجتازوا على حسن الاكراد ، فغفروا ونهبوا وسبوا ، ونزلوا عرقه ، وحاصروا جبله ، واخذوها وخربوها ، وفتحوا الصرمة وسافيتا " (٢) . وخشى بونيموند الثالث ، امير انطاكية الذى اطلق سراحه فى صيف ١١٦٥ (٣) ، ان تمت هذه الخزوه النورية الجديده الى بلاد ، فمقد مع سيرة الاسبتارية فى اول يناير عام ١١٦٨ ، لاتفاقية تنازل فيها للهيئه عن حصن ابي قبيس واناميه . سلطاتهما ، على حدود امارته الجنوبيه ، يضاف الى ذلك انه اعترف لهذه الهيئه بحفظها فى اعراس الحروب وعند المصادقات ، التى تمهد من جانبه باحترامها ، فى حين يمنح حرم على نفسه فقد اية مصادقات مع المسلمين او حلفائهم من المسيحيين بدون اخذ رأى الاسبتارية فاذا حدث غير ذلك فان شروط هذه المصادقات لا تسرى عليهم الا اذا قبلوها عن طيب خاطر هذا وقد تنازل بونيموند للاسبتارية ، فى هذه الاتفاقية ، عن نسيبه فى الدنائم التى يتكسب ان يحصلوا عليها فى حروبهم ضد الاعداء (٤) .

(١) الوثائق التى تدفع باشتراك الاسبتارية فى هذه الموقعة منشورة فى : D. Le Roulx : 404 , Cart. I, Nos. 330 و قد ورد وليهم رئيس اساقفة صور تلاميذ الممركه من غيوان يذكر صراحه اسمهم الاسبتارية فيها .

(انظر : W.T. dans R.H.C., Hist.Oc.T.1, Part II, rF.895-997)

ونفس الشئ يقال عن المصادر العربيه ، ومنها : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ١٢٢ ب ١٢٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٤١ .

(٢) ابن واسل : مشي الكرويه ج ١ ص ١٥٢ . وقد اورد ابن الاثير الصباره بنفس الكلمات تقريبا فى كتابه كامل التواريخ (ص ٥٥١) ، وتاريخ الدوله الاتابكيه (ص ٢٧٩ - ٢٨٠) .

(٣) انظر King , P.93 .

(٤) ارجع الى نص الاتفاقية فى D. Le Roulx : Cart. I , No. 391 .

وفي عام ١١٧٠ عقد الملك عموري الاول ، بصفته وصيا على امارة طرابلس منذ اسر اميرها ريموند الثالث في حارب ، مع الاسبتارية معاهدة^(١) تنازل لهم بمقتضاها عن حصن عرقسه وعكار ، فاصبحوا بذلك يملكون جميع الحصون الشرفية لامارة طرابلس ، فيما عدا حصن الطويان الذي منح لهم بعد ذلك بنحو عشر ثوابت^(٢) . ونصت المعاهدة ايضا على ان يكسبون لادسبتارية الحى في ملكية غنائم الحروب التي يخوضونها ، فلا يقاسمهم فيها احد سيموى الملت اذا اشترك بنفسه في هذه الحروب .

ويتضح من شروط هاتين المعاهدتين ان الاسبتارية في امارتي انطاكية وطرابلس اصبحوا يتمتعون باستبازات واسعة وحقوق لا يملكها سوى الحكام والامراء . ومع ذلك فقد ظهرت بين صفوفهم معارضة وجهت المزم الى السيد الكبير جليبرت داسيلى بأنه واثق على زعمساده مسؤوليات هيئة الاسبتارية في الدفاع عن حدود الامارتين ، والتقى بفرسانه في حصون قريبيسه جدا من الحدود مع المسلمين وعرضه باستمرار لهجماتهم ، واتهمه معارضوه ايضا بأنه كسان المحرض الرئيس على حملة أكتوبر عام ١١٦٨ على مصر التي تسبب عنها اذى كبير للهيئته ، وانه في مرات كثيرة اتخذ قرارات خاطئة بدون استشارة المؤتمر العام للاسبتارية ، فضلا عن تصرفه في اموال الهيئه بطريقة غير مشروعة . وقد انبسط جليبرت داسيلى ، ازاء هذه الاتهامات ، الى تقديم استقالته . وانتخب الاسبتارية عندئذ كاست دى ميرول . Cast de Murols . خائفا له . ولكن فريقا منهم ، برئاسة بون بلان (Pons Blan) ، طمسن في شرعية هذا الانتخاب ، وانتخب من جانبه المدعو روستانج (Rostang) سيدا كبيرا للهيئه . وحل الانشقاق قائما في صفوف الهيئه الى ان توفي كاست دى ميرول عام ١١٧٢ ، وانتخب جوبيرت (Jobert) من بعده سيدا كبيرا لادسبتارية بتأييد من الطرفين .

(١) ارجع الى نص الاتفاقية في D. Le Roux : Cart. I, No. 111 .

وعندما اطلق سراح الامير ريموند انشأت نتيجة مساعي الاسبتارية بصدق على هذه

الاتفاقية في ديسمبر عام ١١٧٤ . انظر : Ibid:Op.Cit.,No. 467 .

(٢) نص اتفاقية التنازل لادسبتارية من حصن الطويان في عام ١١٨٠ منشورة في :

Ibid : Op. Cit., No. 585

المشارعين (١) .

وقد امتد عمر جوبيرت خمس سنوات شهد خلالها أحداثا هامة في كلتا الدولتين النورية والصليبية . ففي ١٥ مايو عام ١١٧٤ توفي نور الدين محمود تاركا الحكم في دولته لابنه الملك الصالح اسمعيل . وفي ١١ يوليو من نفس العام مات الملك عموري الاول وخلفه ابنه بك وبن الرابع (١) . وثلا ذلك في الدولة الاسلامية حروب وراثة بين صلاح الدين حاكم مصر في جانب ، والصالح اسمعيل وعمه سيف الدين غازي صاحب الموصل في جانب آخر ، انتهت في عام ١١٧٦ بتوحيد مصر وسوريا وشمال العراق تحت زعامة صلاح الدين مع بقا حطبا في يد الصالح اسمعيل (٢) .

وعندئذ رأى الملك بك وبن الرابع ضرورة تجهيز حملة صليبية للقضاء على دولتهم صلاح الدين في مركزها مصر قبل ان يشتد سلطانها . ولكن بمن مساعدة الاستتارية له ، عقد مع السيد الكبير جوبيرت ، في عام ١١٧٦ ، اتفاقية (٣) تصهد فيها بتحقيق الوعود التي سبق لوالده عموري الاول ان بذلها للهيئة في مصر مع اذاعة مبلغ ثلاثين الف بيزانست لك خل المدين للهيئة على اقليم بلبيس . وقد وافق الامبراطور البيزنطي مانويل الاول كومنين (Manuel I Comnenus) على الساعه في هذه الحملة باسلول قوي . وتقرر ان يشترك فيها ايضا فيليب امير فلاندرز (Philippe de Flandres) الذي كان متاعرا وصوله انذاك الى الشام على راس قوة من الصليبيين . غير ان الامير فيليب ، بمسند ان وصل الى مدينة عكا ، في عريف عام ١١٧٧ ، رفض الاشتراك في مشروع الحملة فلم تتم (٥)

(١) انظر : D. Le Roux : Les Hosp. en T.S., PP. 76 - 81; King, PP. 97 - 99, 102 - 103 .

وجد بر بالذكر ان البابا امكندر الثالث ارسل بتاريخ ٢٠ يونيو عام ١١٧٢ - بعد وفاة السيد الكبير كاست - امرا الى نائب السيد الكبير امرا بعدم اعادة انتخاب جليبرت واسبلى لمساوئه التي سردها الامر البابوي واشرنا الى بعضها في النص . ارجع الى الامر البابوي في D. Le Roux : Cart I, No. 434 .

(٢) انظر : D. Le Roux : Les Hosp. en T.S., P. 83 .

(٣) لمعرفة تفاصيل هذه الأحداث ارجع الى :

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ح ٢٣٠٠ - ٢٤٨٠

(٤) ارجع الى نص الاتفاقية في D. Le Roux : Cart. I, No. 496 .

(٥) انظر D. Le Roux : Les Hosp. en T.S., P. 83; King, P. 105 .

وحدث في ذلك العام — أي في عام ١١٧٧ — أن توفي السيد الكبير جويرت
وخلفه فارس شغوف بالمعارك والحروب اسمه روجردى مولان Roger des Moulins (١)
أدى انتخابه إلى إثارة مخاوف البابا اسكندر الثالث على مصير الهيئة من مخاضات رئيسها
فوجه إلى أعضائها منشورا أمرهم فيه بعدم تغليب حرفة السلاح على واجب العناية بالفقراء
والمرضى ، وذكرهم بقانون ريموند دى بوى الذى حظر عليهم القتال إلا في حالات الدفاع
عن الملكة الصليبية أو حصار المدن الإسلامية (٢) .

ومع ذلك فقد قامت هيئة الاستتارية ، في عهد روجردى مولان بنشاط حربي وسياسي
وامع النطاق لخدمة الصليبيين دفعها اليه كثرة الخزوات التي وجهها السلطان صلاح الدين
آنذاك إلى موابضهم . وقد بدأت الهيئة منذ النشاط بمساعدة الملك بلدوين الرابع عسكريا
في صد غزوة قام بها صلاح الدين للملكة الصليبية ، في نوفمبر سنة ١١٧٨ ، وانزال الهزيمة
بالسلطان قرب مدينة الرملة (٣) . وكان نورمان الاستتارية كذلك ضمن الجيش الصليبي الذي
انضم إليه صلاح الدين ، في ١٠ يونيو عام ١١٧٩ ، عند مجيئهم بالقرب من مدينة
بيسان ، كما كان قائد الفرقة الاستتارية التي ساعدت في هذا الجيش ضمن أسس
صلاح الدين (٤) .

(١) انظر: King, P.106 .

(٢) نص المنشور البابوي في : D. Le Roulx: Cart, I, No. 527 .

(٣) انظر: Ibid : Les Hosp. en T.S.PP. 88-89 .

وقد اعترفت المصادر العربية بهزيمة صلاح الدين في هذه الموقعة من غير ذكر مسمر
للاستتارية ومن هذه المصادر :

• ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٨١-١٨٠ ، كامل التواريخ ص ١٢٧-١٢٩ .

• أبو الفدا: المختصر ج ٣ ص ٥٩-٦٠ .

• أبو شامة: كتاب الروشدين ص ١٨٤-١٨٩ .

(٤) ابن واصل: فتح القروبي ج ٢ ص ٧٥-٧٦ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٠٦ ، أبو شامة: كتاب الروشدين ص ١٩٨-٢٠٠ .

وقد عقدت هدنة في العام التالي - أي في عام ١١٨٠ - بين السلطان صلاح الدين والملك الصليبي (١). ولكنها لم تستمر أكثر من عامين بسبب اعتداءات الأمير ارناط :
(Renaud de Chatillon) صاحب حصن الكوك والشوك ، على قوافل المسلمين المارة بجوار اقليمه بين مصر والشام (٢) وعندئذ رجع صلاح الدين الى مناوأة الصليبيين في مملكة بيت المقدس ، وانتدروا بينهم ، في عام ١١٨٢ ، في معركة عنيفة دارت رحاها تحسب حسن كوكب (٣) Belvoir ، وهو حصن منع حديثا لهيئة الاسبتارية المسمى الشمال من مدينة بيسان (٤) ، ثم رحل عنهم الى شمال الشام حيث ضم مدينة حلب وتوابعها في ١٢ يونيو عام ١١٨٣ (٥) ، فلما رجع لمهاجمة المملكة الصليبية في ٢١ سبتمبر (عام ١١٨٣) وجد جيشا صليبيا قويا - اشترك في اعداده فرسان الاسبتارية والدواوين ، الى جانب جيش مملكة بيت المقدس بقيادة نائبها جاي لوزجنان - في انتظاره في عين جالوت ، فربط اسماء هذا الجيش اسبوعا وانصرف بدون قتال (٦).

- (١) ابو شامة : كتاب الروميتين ص ٢١١ T.I. Hist. Oc. W.T. dans R.H.C., Part .II. P. 1064 .
(٢) انظر D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P.90 ; King, P.111.
(٣) ابن واصل : مفتي الكروب ج ٢ ص ١١٥ ، البقريزي : الساروك ج ١ ص ٧٨ .
ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٦٥٢-٦٥٣ ، ابو شامة : كتاب الروميتين ص ٢١٨
(٤) انظر King, P. 111 .
(٥) ابن واصل : مفتي الكروب ج ٢ ص ١٤٢ ، ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٦٦١-٦٦٣ ، ابو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٦٦-٦٧ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٧٥-٧٨٠ .
(٦) انظر : King, PP. 112 - 113 .

وقد شن ابن واصل (مفتي الكروب ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥١) الواقعة من غير ذكر كسر لوجود الاسبتارية ضمن الجيوش الصليبية .

وحدث في تلك الاثناء ان اختلف الملك بلدوين الرابع ، وكان مصابا بـ " الجذام " مع نائبه ، وهو في الوقت نفسه زوج اخته سيبيل (Sibylle) ، جاي لوزجنان ، الذي تمرد على بلدوين الرابع واعتصم مع زوجته سيبيل في مدينة عسقلان (١) . وعندئذ احتفل بلدوين الرابع ، في نوفمبر عام ١١٨٢ ، بتتويج ابن اخته سيبيل ، ونوم من زوج اخو قيسل جاي اسمه ولهم طويل الميع ، وعمره سبع سنوات ، ملكا على مملكة بيت المقدس باسم بلدوين الخامس (٢) . ثم ترأس ، في بداية عام ١١٨٤ ، مؤتمر كبير في مدينة عكسا عم افعال ملكه والسيد الكبير لكل من شبيبة الاسبتارية وهيئة الدايه لمناقشة الاخطار التي تتهدد المملكة نتيجة تمرد جاي وغزوات صلاح الدين (٣) . وقد اختلف الافعال فيما بينهم فيما يتعلق بتحديد موقفهم من السلطان صلاح الدين ، فبينما رأى فريق الافعال المواديين بالشام ، وعلى رأسهم ريموند الثالث ، امير طرابلس وطبرية ، ضرورة انتهاز سياسة المهادنة والتعايش السلمي مع المسلمين الى ان تأتي حملة صليبية جديدة من أوروبا يمكن الاعتماد عليها في شن الحرب الهجومية ضد السلطان ، اصر زمودهم الافعال المولودون في أوروبا بزجاجة جاي لوزجنان ، امير يافا وعسقلان ، وارناط ، امير الكرك والشوك ، على ضرورة الاستمرار في الحرب ضد المسلمين . غير ان لقلبية المؤتمرين ناصرت الامير ريموند الثالث في موقفه ، ووافقت على تعيينه وصيا على عرش المملكة بشروطه الخاصة التي من اهمها ان يشغل هذه الوظيفة بدون شريك حتى يصل بلدوين الخامس الى سن الرشد ، فلذا توفي الملك قبل بلوغ هسنده السن ، يظل ريموند محتفلا بوظيفته ابي ان تسوي مساله وراثه العرش على يد الابن والامير بطريرك وملك فرنسا وانجلترا ، هذا فضلا عن ضرورة تسليم جميع حصون وقلاع الملكسه لفرسان الاسبتارية والدايه لحمايتها .

(١) انظر L' Estaire de Eracles Empereur (Hernoul) , dans R.H.C., Hist. Oc. I.II., PP. 1-2

(٢) انظر: Chronique de Terre Sainte, dans les Gestes des Chiprois, P.10; D. Le Roulx: les Hosp. en .T.S. P.91.

(٣) انظر: I'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., T.II. P.2

وبالرغم من أن السيد الكبير لادستاريه ، ووجودى مولان ، والسيد الكبير لك أوييه
 ارثوك دى توروج (Arnold de Torroge) ، وبطريك بيت المقدس ، شرقيس
 قد ابدوا التريق المتطرف من الافعال ، فقد قرر المؤتمر اختيارهم للسفر الى أوروبا بقصد
 طالب للمساعدة العاجلة من مؤتمرها (١) . وقد غادر المبعوثون الثلاثة غلبلين في شهر يونيو
 (عام ١١٨٤) من ميناء يافا ، وفي شهر نوفمبر كانوا في مدينة فيرونا الاية اليه حيث استقبلهم
 كل من البابا ، لوكيوس الثالث ، Lucius III ، والامبراطور الالمانى ، فردريك
 برنوسا . وقد توفي رثيمرك دوييه في هذه المدينة ، فواصل زيمده الرجاء بسفره فلما ، وعند ما
 وصل الى باريس ، في ١٦ يناير عام ١١٨٥ ، تعهد لها الملك الفرنسى ، فيليب أغسطس
 بمساعدات مالية ضخمة . ولأنه احتذر عن حمل السليب ، خوفا من هجوم الملك الانجليزى
 هنرى الثانى ، على بلادها انما في الشرف ، وقد بذل لها ملك انجلترا ، هنرى الثانى
 بدوره ، عند ما حاد ببده ، في مستشفى فيرواير ، وهذا بتقديم الحيوانات المأليه ، واعتصم
 عن عدم استئجاره مقاديرة انجلترا بسبب تردد اولاده عليه ، ووجود ابنه جفرى في سسلاط
 ملك فرنسا لتأمر بها عليه .

وهكذا رجع السيد الكبير لادستاريه والبطريك هرقل من الغرب ، في صيف او غريف
 عام ١١٨٥ ، بسفي حنين (٢) . وان ذلك ، فيما يبدو ، ما دعا الرئيس لادستاريه
 ووجودى مولان ، ورئيس هيئة الدايه الجديد ، جيرارد دى ريدفورت Gérard de Ridefort
 الى تقديم النصح للوصى ريموند الثالث بأن يمدد الصلح مع صلاح الدين (٣) . ولما كانت هذه
 النصيحة تنس مع سياسة ريموند الذى كان قد حسن علاقته بالفصل مع صلاح الدين

(١) انظر: L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Oc., T.II. PP.3 - 4; Archer & Kingsford: The Crusades, PP.267-269, D.Le Roux; Les Hosp. en T.S., PP 91-92; King, PP. 114-115.

(٢) انظر: D.Le Roux : Op. Cit., PP. 92-93 ; King , PP. 115- 117 .

(٣) انظر: D. Le Roux : Op . Cit. , PP. 93 _ 94

" ومار يناسحه " (١) ، فقد رجب بها وعقد مع السلطان هذا العام - عام ١١٨٥ -
تدنه مدتها اربع سنوات (٢) .

غير ان الوضع في المملكة الملبية ما لبث ان تطور الى غير ما كان يبقى ريموند
الثالث ، ففي شهر سبتمبر من العام التالي - اي في عام ١١٨٦ - توفي الملك بلدوين
الخامس ، واصبح الحرس شوعا من جن امه سيبيل . ولكن الاير ريموند الثالث تمسك بقرارات
مؤتمرها التي تقى ببقائه وسيا على الحرس الى ان يتم تعيين الملك الجديد بمعرفة البابا
والاميراطور الالمانى وملكى انجلترا وفرنسا ، وعقد مؤتمرا من الافصال في مدينة نابلس
لتأييد في موقفه ، على حين اسخ افصال سبيل وزوجها جان ، وعلى رأسهم ارناط ، والامير
جوسلين الثالث محامل لقب امير الرما ، ورثيمر الداويه ، هيجوارد دى ريد شوت ، وشاريوك
بيت المقدس ، حرقل ، الذى يد بن بنفسه للمانه اجنى (Agnès) ام سيبيل ، بدخول
مدينة بيت المقدس ، حيث وضع حرقل التاج بالفضل نوى وأمر كل من سبيل وجاى ، بالرفق
من المعارضه الشديده التي أبداسا لهم السيد الكبير للاسبتاره ، ووجدى مولان ، بحجة
ان هذا الاجراء يتنافى مع قرارات مؤتمرها ويهدد بالحرب الاهليه بين افصال المملكه (٣) .
وعندما تمت إجراءات التتويج ، اخترب بغية الافصال من انصار ريموند بالامر الواقع ، فيما عدا
بلدوين دى ابلمين ، امير الرما ، الذين لجأ الى اماره انداكيه ، والاير ريموند نفسه ، الذى
فضل الاعتصام بقلعة طبرية (٤) .

(١) المفريزى : السلوك ج ١ ص ١٢ . ويقول ابن راعل (فتح القروپ ج ٢ ص ١٨٥) "
فالتجأ القصر (بقصد ريموند) الى ظل السلطان ، فقبله وقواه ، وشده عن نفسه ،
باطلاق من كان في الاسر من اصحابه ، فقويت مناصحته للمسلمين " .

(٢) انظر :
L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Oc.,
T.II, PP. 12-14; Archer & Kingsford / The Crusades,
P.270

(٣) انظر :
L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.Oc.,
T.II, PP. 25-30 .

(٤) انظر :
Archer & Kingsford: The Cruseades, P. 273 .

وهكذا انتقل زمام الأمور في السلطنة الصليبية من قريين المستدلين إلى قريين المتدرفين
 انصار الحرب مع المسلمين . وما لبث الأمير أرناط وهو أقوى أمراء القريين الأخيرين ، أن عجل
 بأرسال هذه الحرب باستيلائه على قافلته بحرية كادت متجهة في أواخر عام ١١٨٦ ، وأرأسل
 عام ١١٨٧ ، من القاسية إلى دمشق ، ووقفه الطلب الذي وجهه إليه صلاح الدين ، ثم
 رغبه الأمر الذي أصدره إليه الملك جاني ، بطلب من صلاح الدين عباطلاني سراج القائل (١)
 فقد صمم السلطان صلاح الدين ، عندئذ ، على الانتقام من أرناط والصليبيين عامة . وأرسل
 إلى سائر الأطراف يطلب المساكين فجاءهم من كل فج ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم
 سنة ٥٨٢ (منتصف مارس سنة ١١٨٧) ، ولما وصل السلطان إلى رأس الماء (على الضفة
 الشرقية لجيرة دهرية) أمر واده الملك الأفضل نور الدين بالإقامة هناك في بعض المساكن
 لتجتمع عنده الأعداء والنجد ، ثم سار السلطان إلى حمص ، ونظم على قصر السلام وأقام
 مرتقباً الحاج ، خوفاً عليهم من قدره و الله الأبرار (أرناط) . ولما وصل الحاج في صفر
 وخلاص السلطان من شغلهم ، سار إلى الكرك ونازلها وقبض ماحولها من الشجر ، وأفسد
 زروعها وكرومها ، ثم سار إلى الشوك وفعل به مثل ذلك ، ثم وصلت المساكن المصرية
 فتلقاها بالقرتين وأمرهم بالانبات في أراضي الكرك والشوك ، وأقام على ذلك شهرين ، وأما
 الأفضل فقيم برأس الماء ، وقد اجتمعت عنده الجحافل والجمع (٢) .

(١) انظر : L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., T.II, P. 34 .
 والمصادر المصرية :

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٢٨ ، كامل التاريخ ص ٢٧٦
- ابن واصل : منج الثروب ج ٢ ص ١٨٥
- المقريزي : المماليك ج ١ ص ٢٢
- أبو الفدا : المعتمد ج ٣ ص ٧١

(٢) ابن واصل : منج الثروب ج ٢ ص ١٨٦ .

وانظر أيضا : المقريزي ج ١ ص ٢٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٤٦

وعندما أدرك اتصال الملكة السليبية بصفوة الموقف ، اجتمعوا بمدينة بيت المقدس في ٢٢ مارس (سنة ١١٨٧) ، وقرروا إرسال بعثة من السيد الكبير للاستتار به روجردى مولان والسيد الكبير لك لويه جيوارد دى ريدفورت ، ورئيس اساقفة صور جوسيا بن ، واسير الرملة باليان الثانى ، واسير صيدا رينو ، الى طبرية لاقناع الامير ريموند الثالث بالصلح مع الملك جاك لوزجنان ، وبالمخرج مع بقية الافصال لصد صلاح الدين (١) . ولم يلبث السيدان الكبيران لهيئتي الاستتار به والد لويه ان غادرا مدينة بيت المقدس على راس تسعين فارسا دايما ، وعشرة فرسان من الاستتار به ، في ٢٩ ابريل ، للبد في هذه المهمة ، المسمى أن يلحق بهما بقية أعضاء بعثة الصلح (٢) . وقد وصلوا في مساء اليوم التالي الى القولة (٣) ، بالقرب من البرية . وقبل ان يتألفا سيرهما في الصباح ، اى في صباح اول مايو (٤) ، شاع بين الناصر نيا اعتلاء المنقش بجنود الملك الاغفل الذين قد راى اما للفرز والافاره ، كما ذكر المؤرخ العربى ابن واصل (٥) ، او لقضاء هذا اليوم في المسجد والقصر هاذن من الامير ريموند ، حسب رواية المؤرخ الفرنجى ارتون (٦) . وقد خن الرئيسان الاستتار به والد لويه للقائهم على راس فرسانهما المائة ، بالاساقفة الى ارضين فارما استمنا بهم من فرسان حامية مدينة الناصرة ، وعدد يتراوح بين ثلثائة واربعائة من المناه ، واشتبكوا معهم فسمى معركة حامية عند صفوريه انجلت عن مقتل السيد الكبير للاستتار به مع خمسة من فرسانه الاستتار به

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C. Hist. Oc. I.II, PP. 36 - 37 .

(٢) انظر : Ibid, Op.Cit., P.39

(٣) انظر : King, P. 119 .

(٤) انظر : Chronique de T.S., dans les gestes des chiprois , P.12 .

(٥) ابن واصل : مخزن الكروب ج ٢ ص ١٨٧ .

يقول كل من ابن الاثير (الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٢٩) ، كامل التواريخ ص ١٢٨)

وابو شامة (كتاب الروستين ص ٢٦٢) بان هذه الفرقة من الجند وصلت الى صفوريه في

تلقفها الى عكا لمهاجمتها وتخریبها .

(٦) انظر : L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Oc., I.II, P. 38 .

وجمع فرسان الداوية فيها عدا اثنين منهم شربا ، مع السيد الكبير لهيئتيهما جواردا د ريد حوت ومن نجا من الفرسان والجناء الآخرين الى مدينة الناصرة (١) . وكان الامير بالمرسان الثاني ، احد اعضاء بعثة الصلح المتخلفين قد وصل توا الى هذه المدينة في طريقه الى طبرية ، فالتقى به السيد الكبير للداوية ورافقه في اتمام الرحلة وتأديته مهمتهم مع ريموند بنجاح (٢) . واستطاع الملك جاي عندئذ ان يجمع حوله ، في الشهر التالي ، اى في شهر يونيو ، قوات جميع اقسام الساكس ، بما فيهم الامير ريموند الثالث ، فتملا عن فرسان الداوية بقيادة جيرارد د ريد نورث ، وفرسان الاستبارية بقيادة نائب السيد الكبير ، ولهم بورييل (W.Borrell) ويقيم بهم في صغريه انتشارا امقدم صلاح الدين (٣)

نسا . علم جاي بان السلطان هاجم طبرية ، وكانت خضه بارعه من صلاح الدين احصل

(١) انظر : L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist. Occ., T.II, PP. 39 - 41; D.Le Rouix : Les Hosp. en T.S., PP.95 - 96; King, PP. 120-121 .

يقول ابن الاثير عن هذه المعركة في كتابه الكامل في التاريخ (ج ١١ ص ٢٤٠) وكامل التواريخ (ص ٦٧٩) : " وغنم قتل مقدم الاستبار ، وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين " . ويصف هذا المؤرخ في كتابه كامل التواريخ ص (نصر الصفحة) : " فكان فتدا كورا ، فان الداوية والاستبارية هم جمة الفرنج " . هذا وقد افادت مصادر عربية بمصر السيد الكبير للاستبارية في هذه المعركة ونجاة السيد الكبير للداوية منها :

ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ص ١٨٧ ، ابو شامة : كتاب الروستين ص ٢١٣ .

(٢) انظر :

King , P. 124
ذكر كل من ابن الاثير (الكامل ج ١١ ص ٢٤٠) وابو النداء (المغتفر ج ٢ ص ٧١) بان الفرنج ارسلوا الى ريموند بلمونه ويطاؤون منه الصلح مع الملك فقبل .

(٣) انظر :

Ibid : Loc. Cit .

الصلبيين على تحمل مشاق السير اليه في قبض السيف (١) . زحف اليه من صفويه وتلقى
معه في معركة دارت رحاها ، في ٤ يوليه ، بجوار جبل حطين ، غربي طبرية ، وانجلت عن
سزية كاملة للصلبيين ، ووقع ماكنهم جاس وبعضهم انجسالة في اسر صليبي (٢) .

وقد عامل السلطان كبار اشرافه الى ان اطلق سراحهم . بالحنى ، فيما عدا
ارناط الذي قتله بيده (٣) ، ومائتين من الاستبصاره والد اويه . ريت رقايتهم في حضرة (٤)
وكتب الى السلطان الى نائبه بد صليبي السفي بن القاهر ان يرب عنق كل من يجد من الد اويه
والاستبصاره فاستل امره ، وما يرب عنق احد منهم حتى يورعاه الاسلام اولوا وامتصوا الا ائمه
منهم لساعرا وحسن اسلمهم (٥) . وقد نجا السيد الكبير للد اويه جهرارد الذي ريد ثورت من حكم
الاعداء بسبب شاعة الملك . ماى به عند السلطان ، وما اداء لصالح الد بين من سونه مثل حته
خاميه غزه على التسليم . اما نائب السيد الكبير للاستبصاره ، وليهم حيل ، فقد ائلت من الوقوع
في الاسر ووسر الى مدينة صور .

(١) دكتور مسيد عبد الفتاح شامور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٠٤ .

(٢) انظر : Chronique de Terre Sainte, dans les Gestes de Chiprois, PP. 11-12 ; L'Estoire de Eracles , dans R.H.C., Hist., Oc., T.II, PP.64 - 65 .

وارجع الى المصادر العربية الاتية :

• ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٤١-٢٤٣ ، كامل التواريخ ص ٦٧٩-٦٨٦ .

• ابو الفدا : المختار ج ١ ص ٧١-٧٢ .

• ابن واصل : من الكروب ج ٢ ص ١٨٨-١٩٣ .

• ابو شامة : كتاب الروتين ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٣) ابن واصل : من الكروب ج ٢ ص ١٩٥ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٤٣ ، كامل التواريخ ص ٦٨٧-٦٨٨ .

ابن واصل : من الكروب ج ٢ ص ١٩٦ . ابو شامة : كتاب الروتين ص ٢٧٧ . وقد علق

كل من ابن الاثير وابو شامة على حادث قتل الاستبصاره والد اويه فقال ابن الاثير (في كتابه
كامل التواريخ ص ٦٨٨) " وانما خص شولا بالقتل لانهم اشد شوكة من جميع الفرنج
فأراح الناس من شرهم " . وقال ايضا (في نهر الكتاب ص ٧٣٦) " وكانت عادته قتل
الد اويه والاستبصاره لشدته في اوتهم للمسلمين وشجعانهم " . اما ابو شامة (كتاب

الروتين ص ٢٧٧) فقال : " قلما اصبح يوم الاثنين بعد الفتح يبرمين ، طلب الاسارى من
الد اويه والاستبصاره وقال انا اظهر الارض من نذير الجنسين النجسين ، فما جد سرت
عادتها بالمقاد ، ولا يقلعان عن المعاداة ، ولا يخدمان في الاسر ، وهما خبث اهل
الكفر .

(٥) ابن واصل : من الكروب ج ٢ ص ١٩٧ .

وقد استولى صلاح الدين ، خلال الشهر الثالث ، التي أعقب معركة حطين على معظم مدن وحصون مملكة بيت المقدس ، ومن ضمنها حصن بيت جبرين الاستراتيجي الذي انبثرت مقاومته ، في أوائل شهر سبتمبر ، على اثر سقوط مدينة صقلان بالقرب منه (١) وفي ١٢ أكتوبر سقطت له مدينة بيت المقدس ، واقتيد مكانها من الصليبيين ، على ثلاث دفعات ، خلال أربعين يوما ، الى حدود إمارة طرابلس .

وقد رحل أعضاء هيئة الاستتار ، صلبة وثائقهم وكنوز كتبهم ، ضمن أفراد الدفعة الثانية (٢) . ولكن اذن لصخرة منهم بالتخلف في المدينة لخدمة المرضى في مستشفىهم الى ان يتم ترحيلهم بعد عام واحد (٣) . وقد استقرت رئاسة الهيئة ومجلس إدارتها في بيت انتقالها الى إمارة طرابلس ، في حصن المرقب (٤) . وهو حصن منيع يشرف على ساحل البحر المتوسط من فوق ربوة عالية بنى جبال النزارية او الحشاشين بالقرب من حدود هذه الإمارة مع إمارة اندلسية ، وهو بهذا الموقع يتحكم في الطريق الهجري بين مدينتي طرابلس وادازقية (٥) . وآلت ملكية هذا الحصن ، مع مدينة بلنياس (بانياس) xx

- (١) انظر King, PP.129-132 .
- تكلت المصادر العربية عن استيلاء صلاح الدين على حصن بيت جبرين (او بيت جبريل بحسب نطق بعض أهلها) ولكنها ذكرت خطأ انه منسوب للداوية ومن هذه المصادر :
- (٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٠ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ص ٣١٢ . انظر : Ibid ., PP.131 , 159 .
- ودكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٢٥٨ .
- (٣) انظر : D. Le Roulx : Cart.I, No. 847; Ibid : Les Hosp. en T. S. , P.98.
- يقول ابن الاثير في كتابه كمال التواريخ (ص ٧٠٧) ان صلاح الدين جعل من دار الاستتار مدرسه للشاغمة وهي في غاية ما يكون من الحسن .
- (٤) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , P. 123; King , P.159 .
- (٥) انظر : Enlart : Les Monuments des Croisés dans le Royaume de Jerusalem, Vol. II, PP.441-442 ; Flandin, P.53 .

xx مدينة بلنياس - وهي Balanée عند الغربيين - مقامه على أنقاض مدينة بلنياس القديمة (كتاب الروضتين ص ٣٥٧ ملحوظة ١ من : Rey : Colonies Franques , P. 355 .

الواقعة قربه ، الى هيئة الاستتارية ، في اول فبراير من العام السابق - اي منذ عشرين شهرا
فقط ، بمقتضى منحه تقدم بها للهيئة صاحبها برتراند ما زوار . Bertrand Masoir
ووافق عليها كل من ريموند الثالث امير طرابلس وروميون الثالث امير انطاكية (١) .

ولم يبق للمسيحيين في مملكة بيت المقدس ، بعد سقوط عاصمتها ، سوى مدينة صور وستة
حصون وهي شقيف ، ارنون ، وصاحب رينو جازنييه Renaud Garnier امير صيدا
وحصن صف الداوي ، والكرك والشوبك وتملكها ارملة ارناط ، ثم حصن دونين Chateaufort
وحصن كوكب الاستتاريان (٢) .

وكان صلاح الدين قد عهد الى ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين ، بعد بضعة ايام
من معركة عين جالوت ، بقلاع السيرة عن مدينة صور لمنايقتها (٣) . وحين اوثاك انزلها على
تمليصها له ، نزل اليها من البحر ، حوالى منتصف يولييه سنة ١١٨٧ ، الامير كونراك ابن ادا ركيز
مونتفات ، مع جماعة من اتباعه ، فتقروا به . وعقدوا العزم على المقاومة تحت قيادته . واخذت
مد ينتهم تتماظم في القوة والمناخ يوما بعد يوم بسبب قوه تحصيناتها التي اشرف كونراد على
اصلاحها وتجديدها ، وكثرة اللاجئين اليها من المدن الاخرى التي تسلمها صلاح الدين
بالامان ، فضلا عن وصول نجدات سريجه اليها من اوربا . ولما فرغ السلطان من اقرار الوضع
في العاصم بيت المقدس من تحوير بنفسه الى صور وحاصرها من ناحية البحر على حين قام اسطول
مصري ، استدعاه صلاح الدين من ميناء عكا ، بحصارها من ناحية البحر (٤) .

(١) انظر : De. Le Roux : Cart. I, No. 783; Enlart : Les monuments; P. 442 ;

(٢) انظر : King, PP. 131-132 .

(٣) ابن واصل :

(٤) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C. Hist. Oc., T. II, PP. 75-77 .

والراجع الحربية : ابن واصل : فتح الكروب ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ٢٤٢ - ٢٤٤ ،
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣
ص ٧٢ - ٧٣ .

وقد لعب فرسان الاسبتارية ، بقيادة وليم بويل ، دورا رئيسيا وفاعلا في الدفء عن هذه المدينة ، وذلك باعتراف كل من نائب السيد الكبير للداوية وكونراد دى مونتفراى نفسه (١) . وساهم في هذه العملية نحو مائتى فارس اسبتارى ، وقد بعضهم مسكن مدينة سقلان وحصن بيت جيهين بعد سقوطهما في يد صلاح الدين على حين جاء البعض الاخر من حصون الهيئه في امارتى طرابلس وانطاكية ، او من بيوتها في اورشليم ، وبخاصه من فرنسا واسبانيا (٢) . وقد خصصت هيئة الاسبتارية لتغطية نفقات احياء الحصار مبالغا كبيرا من مواردها الخاصة يقدر باكثر من ثمانية الاف هرايات (Brabants) فضلا عن نصيبها من تبرعات ملك انجلترا ، هنرى الثانى ، لمشروع الحملة الصليبية السدس اعذر عن اسهام في تنفيذها بالجد منذ نحو عامين ونصف العام (٤) .

واخيرا اقترح احد كبار الاسبتارية المشتركين في الدفاع عن المدينة ، وهو وكيل مانوسك في اقليم بروكسانس بفرنسا (Le Bailli de manosque) على قادة المدينة بمحاولة فك الحصار عن مدنتهم بالانتماء على صلاح الدين في معركة حربية (٥) . وقد دارت هذه المعركة في مساء ٢٩ او ٣٠ ديسمبر (٦) . وقد انتهت

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , P. 99 .

(٢) انظر : Farochon, Les Chevaliers de Rhodes et de malte, P.27 .

(٣) انظر : King, P. 132 .

(٤) انظر : D. Le Roulx : Cart. I, Nos.847,858; Ibid : Les Hosp. en T.S. , P. 99.

(٥) انظر : Farochon, PP. 28 - 29.

(٦) انظر : King, P.132 ; Farochon, P.28 .

سفن الاسبتارية ، وعددها سبع عشرة سفينة ، كلها في الاصل تجارية مملوكة للبيشاه
لهذا الغرض ، بالاشتراك مع سفن الداوية بالدور الرئيسي في هذه الحملة (١) التي
تقد فيها المصريون خمسة وثلاثون بمقدونيا وثمانون بحار وثمانون اسطول الحظائر
المصري (٢) وستة مراكب اخرى (٣) . وعندئذ صرف صلاح الدين بقية سفن اسطوله الى
ميناء بيروت (٤) . وفي اول يناير عام ١١٨٨ رجع الحصار البري عن المدينة (٥) .

وبهذا كان الاسبتارية يدغمون على هذا النحو عن مدينة صور ، كانت هميتهم
مشغولة كذلك بمحاولة فك الحصار المفروض حول حصنها دونين ، منذ شهر يوليو (٦) ،
وحصنها كوكب منذ شهر اغسطس (٧) . ولقد سقطت قلعة دونين في يد محاصريها في ٢٦
ديسمبر ، اي قبل ان يوقع صلاح الدين الحصار عن صور بخمس ايام (٨) . اما حصن كوكب

(١) انظر : Farochon, PP. 27-29; King, P. 132

علما بأن كج لم يحدد عدد سفن الاسبتارية .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ
ج ١١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، كامل التواريخ ص ٧٠٩ ، ابو شامة : كتاب الروضتين
ج ٢ ص ١١٩ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) اجمع دهر قيل (الاسبتارية في الارض المقدسة ص ٩٩) وكج (ص ١٣٢) وفاروشون
(ص ٢٩) على ان السفن المصرية المأسورة عددها احدى عشرة سفينة .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٥ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١١٩
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٥٢ ، كامل التواريخ ص ٧٠٩ .

(٥) ابن واصل : نزهة المريد ص ٢٤٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٥٢ ، ابو شامة
كتاب الروضتين ص ٣٤١ - ٣٤٤ .

وانظر ايضا :

King, P. 132 .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٧) انظر :

D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., 99

(٨) ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٧١٢ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٤٥

وانظر ايضا

King, P. 134 .

فقد أبدى مقاومة أشد . وحدث في ٢ يناير — أثناء الليل — أن هفتت حامية (١)

كوكب ، بقيادة قائد الحصن برنارد دي أزيناريا (Bernard de Asinaria)

الفرقة الأيوبية التي تحاصرها ، فقتلت قائدها سيف الدين محمود ، وكبدتها خسائر فادحة في الأرواح والموئن والأسلحة (٢) ، واستولت الحامية كذلك على قافلتين

إسلاميتين محملتين بالأسلحة والموئن من حصن القولة القريب . وقد وصلت هذه (٣)

الأخبار إلى السلطان صلاح الدين عند رحيله من جوار مدينة صور ، فحرّث على حصار الحصن الأمير صاري الدين قايمارز النجمي (٤)

ولما ولي برد الشتاء ، في شهر مارس ، ظهر

السلطان بنفسه أمام قلعة كوكب " وحاصرها وساهرها أياما ، ولم يتمكن من فتحها لمنعنها

وحصانتها ، وراحا تحتاج إلى طول مدة ومصابرة ، فوكل بها صاري الدين قايمارز النجمي

في خمسمائة فارس " ، ثم غادر المكان إلى مدينة دمشق . (٥)

على أن صلاح الدين لم يبق في دمشق أكثر من خمسة أيام (٦) ، ثم خرج لمواصلة

فتوحاته في بلاد الصليبيين قبل أن تتدخل أوروبا لمعالجتهم . وفي هذه المرة ركز عملياته

الحربية في إمارتي طرابلس وأنطاكية حيث استقر في مدى ستة أشهر على أكثر من خمس

(١) أنظر : King ، P. 134 .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ، أبو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٠٤ — ١٠٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٢٥٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٣ علما بأن ابن الأثير يقول في كتابه كامل التواريخ أن الاسبغارية قتلوا جميع أفراد الدولة الإسلامية التي تحاصر حصنهم .

(٣) أنظر : Les Hosp. : Ibid : Cart. 1, No. 847; D. Le Roulx : en F.S. , PP. 99-100 ; King, P. 135 .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٢٥٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٣ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٢ . أنظر أيضا : أبو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٤٦ ، ٣٤٩ — ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٢ ، كامل التواريخ ص ٧١٥ — ٧١٦ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٥ .

وعشرين مائة وقلعه (١) . ولقد مر السلطان بجوار حصون الاسبتارية في الامارتين ، ومسكر
تحت بمضها فتره من الزمن ، ومضاه حصن الاكراد ، الذي توجه في صيف عام ١١٨٨
ولكن دافع عن نفسه بهداه . وفي الحقيقة لم يشأ السلطان ان يمدد نفسه بمضاه
الحصون ، بسبب منعة تحصيناتها وقوة حامياتها ، واكتفى بالاغارة على نواحيها وتخريب
مجاوراتها (٢) . وقد نفذ الاسبتارية بسبب هذه الاغارات مائة بانيس (٣) (بانيس) بجوار
حصنهم المرفب الذي لم يحاول السلطان ان يتسرع له ، لانه من حصونهم التي لا تستمر
ولا يحدث احد نفسه بملكه له ولوه واقتناعه (٤) . واخيرا طلب بوهيموند الثالث ، امير
انطاكية ، الصلح من السلطان ، فنفذ معه في اول اكتوبر عام ١١٨٨ ، فمدته مائة ثمانية
اشهر ورجع الى دمشق (٥) .

في الرابع والعشرين من هذا الشهر سقط حصن الكرك في يد سعد الدين كمشيما
الاسدي (٦) . ووصل خبر هذا النسخ الى صلاح الدين في دمشق ، فخرج الى حصن
الداوية صفد واستولى عليه في ١٠ ديسمبر ، ثم القى بثقله على حصن الاسبتارية القريب
وهو حصن كوكب الى ان استسلم له في ٥ يناير عام ١١٨٩ وانتقلت حاميه الحصن الى

(١) انظر King , P. 134 .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٥ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٤٩-٣٥٢ ،

ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣ ، ابو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٥٨ ، ابن الاثير : كامل التواريخ ص ٧١٧ ،

ابو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٥٧ .

انظر ايضا : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P.100 .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣ ، كامل التواريخ ص ٧١٨ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧٠ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ص ٣٨٠ -

٣٨١ .

انظر ايضا : King , P. 134 .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧١-٢٧٢ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ص

٣٨١-٣٨٢ .

مدينة صور (١) ، وذلك يكون الاستتار به قد فقدوا جميع حصونهم التي كانت لهم في مملكة بيت المقدس ، ويكون صلاح الدين قد استولى على جميع مدن وحصون هذه المملكة فيما عداها حتى النبلات الذي سلم في ٥ مايو عام ١١٨١ ، ودمشق شقيق أرنون الذي ظل على مقارنته حتى استسلم في ١٢٢ أبريل من العام التالي ، أي في عام ١١٩٠ ، وفيما عدا مدينة صور التي لم تستسلم له أبدا (٢) .

على أن المواجهه بين الاستتار وصلاح الدين لم تنقطع بذلك داخل حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد كان الفرسان الاستتاريه بقيادة العمود الكبير لهمبتهم أرمينجوس د'اسب Armengaud d'Aspe - الذي انتخب خلفا لروجر دي مولا (٣) ، بعد أن رفع صلاح الدين المصارعين ، ووب عن الجبر الصليبي الذي حاصر منذ أول شهر أغسطس عام ١١٨٩ ، مدينة عتلا . وفي ثاني مدن المملكة بعد بيت المقدس ، وأهم موانئها - بقيادة الملك جاي لوزينان ، وكان قد أعلن سراحه في يولييه عام ١١٨٨ ، وكونراد دي مونتفراث ، والذي حوشر به ووه من جانب قوات صلاح الدين (٤) ، التي كانت محسنة فوق تل كيبسان وتل المبلية (٥) ، منذ و رلها في ٣٠ أغسطس (عام ١١٨٩) بعد يومين من وصول الملك الصليبي (٦) . وعند ما بين الحصار الصليبي ، في ٤ أكتوبر ، عجزوا عاما على قوات صلاح الدين التي تحاربه ، كان ان الاستتاريه يشكلون ، بالاشتراك مع الصليبيين الفرنسيين

(١) ابن راسل : فتح الأروپ ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١١٨ - ١٢٠ ، أبو شامة : كتاب الروستين ص ٢٨٢ - ٢٩٢ .

انصر أيضا : King, PP. 134 - 135 .

(٢) انظر : Ibid , P. 135 .

(٣) انتخب بين شهري مايو وأكتوبر عام ١١٨٨ . انظر : D. Le Roux :

Le Hosp. en T.S. , PP. 100-101

(٤) انظر : King, PP. 136 - 137 .

(٥) ابن راسل : فتح الأروپ ج ٢ ص ٢٩١ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢ (يسي

تل المياحية باسم تل الفياعية) ، كامل التواريخ (مجموعه مؤرخي الحروب الصليبية

الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٧ .

(٦) انظر : Ibid , P. 137 .

الجنح الايمن لهذا الجيوش تحت قيادة الملك جاي (١) . وفي الحقيقة كان صلاح الدين ان يقضى على الاسبتارية والملك جاي في يد هذه المعركة ، لولا ان انقذهم وصول الفرقة الاحتمالية في الجيوش الصليبي بقيادة جنري دي لوزجان اخي الملك جاي (٢) . ولقد فقد الصليبيون في هذه الموقعة ما بين خمسة الاف وعشرة الاف قتيل (٣) ، وذلك مقابل الف وخمسمائة شهيد مسلم (٤) . ومع ذلك فقد اضطر صلاح الدين ، في ١٦ أكتوبر ، الى ترك مواقعه بسبب مرضه ورغبة جنده في تمضية فصل الشتاء بمنزلهم ، ثم نصب خيامه في الخريف حيث استطاع مراقبة الموقف عن بعد (٥) .

وحدث في خلال هذا الشتاء ان قدم ارموجوداسب السيد الكبير للاسبتارية استقالته من عنده ، ربما مضطرا تحت ضغط كبار اعضاء الهيئه الذين وفدوا بكثرة من اوربا بعد انتخابه ، وامتنكرا اختياره للرئاسة عن طريق مؤتمر عام ناقص التمثيل وابعدوا رغبتهم في اختيار سيد كبير اخر للهيئه من بين الشخصيات التي اشتهرت بالخبرة الواسعة في شئون الارض المقدسه لكي يكون على مستوى الموقف في هذه الظروف الصعبة . وقد انتخب الاسبتارية خلفا له جارتبير النابلسي .

D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 102-103.

(١) انظر :

King, P. 138 .

(٢) انظر :

(٣) قال ابو شامة (كتاب الروضتين ص ٤٢٥) خمسة الاف قتيل ، ثم قال بأن عمادا

قدرهم بعشرة الاف . وقد قدرهم كل من ابن الاثير (كامل التواريخ في القسم

الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ص ١٢)

واهو الفدا (المختصر ج ٢ ص ٧٧) كذلك بعشرة الاف . اما ابن واصل (مفرج

الكروب ج ٢ ص ٢٩٩) فقد قدرهم بمسبعة الاف .

King, P. 139.

(٤) انظر :

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ١٩ — ٢٠

كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحرب الصليبية

الشرقيين) ص ١٤ ، اهو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٧ .

(Garnier de Naplouse "Nablus") وهو سليل أسرة شهيرة فرنسية
 فلسطين من أصل فلبسكي . وكان جازنير وقت اختياره بمشغل وظيفة مقدم شهيد الاستشارة
 في إنجلترا .^(١) وثارا لدرائته مشغول الأرض المقدسة اختاره الملك الانجليزي ريتشارد قلب
 الامد رئيسا لحاشيته التي اعدها لاصطحابه الى فلسطين^(٢) - مشتركا مع فيليبس
 أغسطس ملك فرنسا ، وفردريك بربروسا امبراطور ألمانيا في الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة .
 والى حين وصول جازنير الى فلسطين تولى نائبه اوجييه (Ogier)
 قيادة قوات الاستشارة المرافقة مع الجيش الصليبي فوق تل المصلين . Nont Musard .
 خارج اسوار عكا .^(٣)

وعندما ولى الشنار وحل الريح وقتت الى صلاح الدين في الخيرة الامدادات من
 مصر والشام وشمال العراق فقاد الى دراكزه الاولى على تل كيسان وتل المياضيه . وقد
 اظهرت جهود صلاح الدين خلال عام ١١٩٠ نفوقا واضحا في مناوشاتها ضد الصليبيين في
 البحر والبر^(٤) . وفي شتاء عام ١١٩٠ - ١١٩١ اضطر الاسطول المسيحي الى الابتعاد
 عن شواطئ عكا بسبب سوء حالة البحر ، مما سمح للسلطان بتعين المدينة وتغيير حاميتها^(٥) .
 وفي نفس الوقت اصبح من المتعذر على الصليبيين الاتصال بمراكز تموينهم في أوروبا ، فاختل
 نظامهم ، واتشر المرض بين ظهرانيهم^(٦) ، وكثر عدد موتاهم^(٧) ، واصبح واضحا ان كارثة

(١) انظر King , PP. 139- 140 .

(٢) انظر

Ibid, P. 142

(٣) انظر

D. Le Roulx; Les Hosp.en T.S. , P. 107

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٧ .

(٥) ابن الاثير : كامل التواريخ (في القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي
 الحروب الصليبيين الشرقيين) ص ٣٢ - ٣٣ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص
 ١٦١ .

(٦) انظر :

D. Le Roulx : Op. Cit., P. 107 .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٢٥ ، ابو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص
 ١٥٩ .

محلقة تنتظرهم على يد صلاح الدين بعد انتهاء فصل الشتاء . على ان وصول هلييب
اغسطس ، ملك فرنسا ، في ٢٠ ابريل عام ١١٩١ ، ثم وصول ريتشارد قلب الاسد ،
ملك إنجلترا في ٨ يونيو (١) . اتفقت الصليبيين من هذا المعبر ، كما انهم على تعزيز
الحصار حول المدينة برا وبحرا من جديد (٢) .

وقد وصل السيد الكبير للاستتارية جازمير النابلسي صهه ريتشارد واستلم من ثأمه
او جبير قيادة فرسان الاسبنارية امام عكا (٣) . وكان جازمير في الوقت نفسه بمثابة المستشار
الاول للملك ريتشارد في شئون الارض المقدسه (٤) ، وثأفه في مفاوضة السلطان صلاح الدين
بشأن تسليم عكا للصليبيين (٥) . وقد فشلت هذه المفاوضات بسبب اشتراك الجانب الصليبي
الذي يمثل السيد الكبير للاستتارية ، اعاد ملكه هيت المقدس الى حدودها التي كانت
عليها قبل موقعة حطين عام ١١٨٧ ، مقابل ان يسمح لاهل عكا وحاميتها بالخروج سالمين
ولكن كونراد دي مونفرات تدخل وعقد اتفاقه مع امير حامية عكا (xx) في ١٢ يولييه عام ١١٩١
دون موافقة صلاح الدين . وقد نصت هذه الاتفاقية على السماح لحامية عكا بالخروج مقابل
فدية قدرها مائتان الف دينار ، وإطلاق سراح الفين وخمسمائة من أسرى الصليبيين ورد صليب
الصلبوت (٦) .

(١) ابن الاثير : كامل التواريخ (في القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي
الحروب الصليبية الشرقيين) ص ٤١ - ٤٣ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية
ج ٢ ص ٨٦٣ .

(٢) ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) انظر : King, P. 146 .

(٤) انظر : Ibid , P. 142 .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٨ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢
ص ٨١٧ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٦٠ ، ابن الاثير : كامل التواريخ (في القسم
الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين) ص ٤٤ - ٤٦ ،
د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨١٧ - ٨١٨ .

(xx) اسمه الامير سيف الدين علي بن احمد الهكاري المعروف بالمشطوب .

وفي الثالث من اغسطس رحل فيليب اغسطس الى بلاده فرنسا بحجة اعدال صحته^(١)
 اما ريتشارد فقد تمخلف له اونة الصليبيين في استرجاع مملكة بيت المقدس الى حدودها قبل
 حطين . وخرج لهذه الغاية من مدينة عكا ، في ٢٣ اغسطس^(٢) على رأس جيش من خمس
 فرق شكل فرسان الاسبتارية بقيادة السيد الكبير لمهيتهم جازيير النابلسي احداها^(٣) ،
 وسار في طريق الساحل قاصدا غزو مدنه قبل ان يهاجم بيت المقدس . وقد ثاوشه
 صلاح الدين على طول الطريق ، ولكن لم يحاول منه من احتلال حيفا ثم قيساريه^(٤) .
 ودارت معركة عنيفة بين الطرفين في ٧ سبتمبر عند مدينة ارسوف عانى منها الاسبتارية اكثر
 من غيرهم ، فقد كانوا في ذلك اليوم يشكلون ، مع بعض الفطحات الاخرى الصغيرة ، مؤخره
 الجيش الصليبي حيث ركز صلاح الدين هجومه العنيف بقصد عزلها فمسل عليه ابادتها
 وقد ادرك ريتشارد منذ الهذاه مدقة صلاح الدين فاصدر امره الى السيد الكبير
 للاسبتارية بعدم التوقف للقتال الا بآذن خاص منه . فلما اشتد الاذى بالاسبتارية طلب
 جازيير هذا الاذن من ريتشارد ، ولكن طلبه رفض . غير ان مارشال الاسبتارية ، وهو
 فيما يظن وليم هوريل ، وقاربا آخر سديقا لريتشارد ، اسمه بولدوين دي كارون ، لم يطبقا
 صبرا فهجما على جيش السلطان بدون اذن ريتشارد ، وتبعهما فرسان الاسبتارية فالجيش كله
 واضطر ريتشارد ، عندئذ ، الى قبول الامر الواقع واصدر امره بالهجوم العام . وهكذا
 بدأت معركة ارسوف التي هزم فيها صلاح الدين وتقد سبعة الاف من جنده مقابل سبعمائة
 من جيش اعدائه^(٥) .

(١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٦٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٣ ،
 ابن القدا ج ٣ ص ٧٩ .

وانظر ايضا : Archer & Kingsford: The Crusades, P. 331;
 D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P. 1K;
 (٣) انظر : King, P. 148 .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٣ ، كامل التواريخ (مجموعه مؤرخي الحروب
 الصليبية الشرقيين ج ٢ ص ٤٩) .

(٥) انظر : Archer & Kingsford : The Crusades , PP. 333-336;
 Conder: The latin Kingdom of Jerus., PP. 276-278;
 D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S. , PP. 110-111 ; King,
 PP. 149 - 151 .

وقد استولى ريتشارد بعد ذلك على مدينة يافا (١) . في حين اسرع صلاح الدين بتخريب مدينة عسقلان ، وسد حصونها ، وفي مقدمتها برج الاستتار المعروف بالامبتار (٢) " حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مدافع " (٣) ثم رحل السلطان الى مدينة بيت المقدس لتحسينها (٤) . وقد اثنى ريتشارد شريف هذا الصام — عام ١١٩١ م — في اعادة تحصين يافا ، وفي اجراء مفاوضات فاشلة مع صلاح الدين (٥) . وفي شهر نوفمبر قطعت المفاوضات وتقدم ريتشارد نحو مدينة بيت المقدس ، مستوليا في طريقه على لك والرياه والنظرون (٦) . وفي اوائل شهر يناير عام ١١٩٢ عسكر ريتشارد في بيت ثوبا قربها من المدينة المقدسة . وكان الجو شتويا مشحونا بالصواصف والامطار . غاثر في صحة الجيش ومعنوياته ، فاصبح في حالة لا تسمح له على فرض الحصار حول المدينة المقدسة . كما ان رئيس الاستتار والد ابيه وابرا " الارض المقدسة اطلقوا في افئاف ريتشارد بان الجيش ينقصه التجهيز الكافي لفرض حصار ناجح ، وابدوا له تخوفهم من عدد فرجال هذا الجيش الى اولائهم اذا ما تم لهم السيطرة على المدينة ، فبحسب من المتعذر اعداد حاميه قادره على الدفع عنها في حالة اي هجوم عليها ، واقترحوا عليه العودة الى الساحل لاعادة تحصين مدينة عسقلان التي دمرها صلاح الدين ، وانتظم الحصار وصول نجدات اوروبية جديدة ، عند حلول فصل الربيع .

-
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٤ ، كامل التواريخ (مجموعه مؤرخي الحروب الصليبية الشرفيين ج ٢ قسم ١) ص ٥٠ .
- (٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٢٠ .
- (٣) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٤ ، كامل التواريخ (مجموعه المؤرخين الصليبيين ج ٢ قسم ١) ص ٥١ .
- (٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٧٠ — ٣٧١ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٤ — ٣٥ ، ابوالفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٩ — ٨٠ .
- (٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٧٢ ، ابو خالصة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٩٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ص ٣٤ — ٣٥ ، دكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٧٧ — ٨٧٨ .
- (٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٧٤ — ٣٧٥ ، دكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٧٩ .

وكان ان استمع ريتشارد لنصائحهم وانسحب الى عسقلان ، فوصلها في ٢٠ يناير (١) واصل الشتاء في تجديد حصونها (٢) ، وفي الثاني والمشرين من شهر مايو استولى على قلعة الداروم بالقرب من عسقلان بعد حصار دام اربعة ايام (٣) ، وبهذه ان مهدت له غزاه استلزمه نجاحه قام بها على المكان فرسان الاسبتارية والد اويه (٤) ، وبعدهم ريتشارد بعد ذلك شطر بيت المقدس عن طريق غزة وبيت جبرين ، فوصل في ١١ يونيو الى بيت نوبا حيث حاصر في انتشار تمزيقات تصله من عكا (٥) ، واكن انتظاره لهذه التمزيزات طالى الى مايقرب من ثلاثة اسابيع ، وانتهر رئيسا الاسبتارية والد اويه وامراء الارض المقدسة هذه الفرصة ، فنفطوا من جديد على ريتشارد من اجل التخلل عن مشروع غزو مدينة القدس ، واولحوا له بان ايسر محاولة من هذا القبيل مفضى عليها بالغسل ، لان غزو هذه المدينة يجب ان يتم اولا عن طريق السيلوة على طفاف النيل ، وان سلامة الارض المقدسة كلها رهين بالسيلوة الصليبية على مصر (٦) ، هذا وكان النزاع محتدما وقتذاك ، في جيس ريتشارد بين الصليبيين الانجلوز وزملائهم الفرنسيين بزعامة امير برجند يا (٧) ، وتحت ضغط هذه الظروف اضطر ريتشارد اوامره في ٤ يوايه ، بالانسحاب الى الرملة حيث جدد المفاوضات الصلح مع السلطان (٨) ، وبعدهم المفاوضات التي انتهت بالفشل بسبب تمسك كل من الطرفين بمدينة عسقلان (٩) ، وكان ان

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 112 - 113 ; King; P. 152 .

(٢) ابن الاثير : كامل الوارث (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٥٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٤) انظر : King, P.154 .

(٥) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٩ .

(٦) انظر : King, P.154 .

(٧) انظر : Ibid , P.155 .

(٨) ابن الملاحج العربية : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٨٩ وأبو شامة : كتاب التواريخ ج ٢ ص ١٩٩ .
(٩) انظر : King; Loc. Cit.

وابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٩٠ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٣ .

(٩) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٩٥ .

غادر ريتشارد بعد ذلك مدينة الرملة وذهب الى عكا (١) .

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر يولييه غزا صلاح الدين مدينة يافا وارغم حاميتها الصليبية على الاحتماء داخل قلعتها ، واكن ريتشارد وصل اليها عن طريق البحر ، ففى اول أغسطس ، وانقذنا من السقوط (٢) . وكانت قوات الاسبتاريه والد اوبه قد خرجت معه من عكا ، واكنها فعلت السير برا في طريق الساحل . وعندما وصلت الى ميناء فيساريه التقت بها فرقة اسلاميه قويه يقودها احد ابناء شيخ الجبل ، فارتد الاسبتاريه والد اوبه على اعقابهم (٣) . وفي ٣ أغسطس توغى الميد الكبير للاسبتاريه ، جارينير النابلس ، رسما نتيجة لما حل به من اجهاد بسبب شدة الحراره وقتئذ السير .

وقد اعتلت صحة ريتشارد ، بدوره ، نتيجة المجهود الذي بذل في انقاذ يافا وخشى ان يموت في بلاد الشام (٤) . ومن ناحيه اخرى وصلت اليه انباء سيئه من الغرب توهم ثوره اخيه جونا ، مما يتطلب منه سرعة المرد ، الى بلد (٥) . ولذا دخل في مفاوضات جديده مع صلاح الدين انتهت في ٢ سبتمبر بنقد صلح الرملة الذي وافق عليه الاسبتاريه (٦) واشترط في هذا الصلح ان تكون مدته ثلاث سنين وثلاثة شهور ، ويقضى بأن يحتفظ الصليبيون بساحل الشام من صور الى يافا ، وتبقى مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين على ان يسمح للمسيحيين بالزيارة والبيع . كذلك نص الصلح على ان يكون له والرمله مناصفه

(١) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٦٣ .

(٢) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبيه الشرقيين) ص ٦٣ - ٦٥ ، د . سميد عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .

(٣) انظر : Conder : The Latin Kingdom, P.287 .

(٤) انظر : King, P.156 .

(٥) د . سميد عبد الفتاح عاشور : الحركه الصليبيه ج ٢ ص ٨٨٥ .

(٦) ابوشامه : كتاب الروستين ج ٢ ص ٢٠٣ .

بين المسلمين والصليبيين ، وان تنزل عصفان خرابا . واشترط السلطان دخول بسلامه الاسطاعليه في عقد عدته ، واشترط الفرنج دخول صاحب اناكيه واربلس في عقد عدتهم^(١) وفي ٩ اكتوبر عام ١١٩٢ غادر ريتشارد ببلاد الشام عائدا الى بلاده^(٢) .

وفي يناير عام ١١٩٣ عقد الاسبتاريه في حصن المرقب سوتمرا عاما تم فيه اتخايب رئيس جديد للصليبيين هو جودفري دي دونجون . Geoffrey de Donjon^(٣) . وقد تمز عهد هذا الرئيس بالهدوء النسبي بين الصليبيين والمسلمين ، حيث ان صلاح الدين توفي في ٣ مارس عام ١١٩٣ ، وشغل اولاده واخوه العادل ، من بعده ، في الصراع على السلطنة في الدولة الايوبيه ، على حين انتهك الامراء الصليبيون في منازعاتهم الخاصة فضلا عن فقرهم ورغبتهم في الهدوء بسلام مع جيرانهم المسلمين بعد ان انتهكهم حروب صلاح الدين^(٤) .

ولكن حدث في عام ١١٩٧ ان ارسل الامبراطور الالمانى ، هنرى السادس ، حمله الى بلاد الشام بقيادة النائب الامبراطورى الاسقف كونراد فون فورتنبرج Conrad von Warzburg . لضمها الى املاكه ، بعد استيلائه على مملكة صقلية ، فعكرت هذه الحمله صفو السلام في الشام دون ان تحقق مكسبا للصليبيين سوى ضم مدينة بيروت التى استولت عليها الحمله في ٢٣ اكتوبر عام ١١٩٧^(٥) على ان وصول هذه الحمله

(١) ابن واصل : مفرج الكروب : ٢ من ٤٠٢ - ٤٠٣ ، ابو شامه : كتاب الروضتين ج ٢

من ٢٠٣ ، ابو الندا : المختصر ج ٣ ص ٨٢ - ٨٣

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ من ٩٠١ .

(٣) انظر : D. Le Roux : Les Hosp.en T.S., P.118 .

(٤) انظر

Ibid : Cp. Cit., PP. 119 - 120

ودكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ من ٩٠٢ - ٩١٧ .

(٥) ابن الاثير : كامل التواريخ (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب

الصليبيين الشرقيين) من ٨٥ - ٨٦ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢

من ٩١٧ - ٩٢٣

الى مدينة عكا ، فى عام ١١٩٧ ، عبا القرصه للرئيس الاسبتارى جودفرى دى دونجون
فيما يبدو ، لنقل الدير مقر رئاسة الاسبتارىه من حصن المرقب الى ممتلكات الهيئه فى الركن
الشمالى القريب من عكا ، لكى يكون على اتصال مباشر بقيادة الحمله . واستلزم ذلك اعاده
تشكيل هذه الممتلكات وازافه بعض الديانى اليها لمواجهة احتياجات الدير ، فشيده فيها
مستشفى اصغر قليلا من مثيله فى مدينة بيت المقدس ، وبلغت كنيسة القديس حنا
الملحقه بالدير من الشهرة ، درجه جعلت اسمها علما على مدينة عكا نفسها فعرفت باسم
مدينة القديس حنا العكاوى . St. Jean d'Acre اما ماوى الحاج فقصد
شيده خارج اسوار المدينه القديمه فى الزاحيه الحسينه التى كانت وقتذاك اخذه فى النحر
على تل المذليين . (١)

ولقد شهد قائد الحمله الالمانيه ورجالها ، قبل عودتهم الى المانيا ، فى العاصم
التالى اى فى عام ١١٩٨ ، الاحتفال الذى اقيم بمقر الداويه بمدينة صور ، فى ٥ مارس
عام ١١٩٨ ، بمناسبة اعلان تأسيس هيئه التيوتون ، وهى هيئه حربه جديده اقامتها
بتشجيع من المانيا ، الاسبتارىه الالمان ، لخدمه المصالح الالمانيه فى الاراضى المقدسه
والشرق . وحضر السيد الكبير للاسبتارىه ، جودفرى دى دونجون ، ومع السيد الكبير
للدواويه ، احتفال ٥ مارس ، ولم يحتجا على اعلان قيام الهيئه الجديده ، ولكنهما اوضحا
بجلاء ، انهما اضطرا الى السكوت تحت حكم الظروف ، وان سكوتهما فى المستقبل سوف يكون
له نتائج مدمره بالنسبه لهيئتى الاسبتارىه والداويه . (٢)

وعندما عاد الالمان الى بلادهم عقد صوري الثانى لوزجلان ، ملك بيت المقدس
وقسطنطين ، مع الملك العادل الايوبي فى الشام ، فى اول يولييه عام ١١٩٨ ، هدته مدتها
ثلاث سنوات ، اعترف فيها العادل لهذا الملك الصليبي بمدينة بيتوت وجبيل ، على حين

(١) انظر : King, PP. 170 - 171 .

(٢) انظر : D. Le Roux : Les Hosp. en . T.S. , PP. 127-128 .

اعترف له الملك بمدينة يافا ، التي كان قد استولى عليها العادل في سبتمبر عام ١١٩٧
ردا على أعداء الصليبيين الالمان^{xx} . كذلك تم الاتفاق على اقتسام صيدا بين الطرفين
الاسلامى والصليبي (١) .

على ان المناوشات ما لبثت ان تجددت ، في عام ١٢٠٣ (٢) ، بين الصليبيين
والاربيين . وكان مصدرها ، في هذه المرة ، أعداء الفرسان الاسبتاريه ، الذين
يقومون بحراسة حصون الهيئه في اماره طرابلس ، والذين تكررت اغاراتهم على ممتلكات الملك
المنصور ناصر الدين محمد الايوبي صاحب حماه واعمالها . وقد دارت معركة ، في منتصف
شهر مايو عام ١٢٠٣ ، بجوار قلعه بعرين ، من اعمال حماه بين الملك المنصور ، يعاونه ،
باوامر من الملك العادل ، جيش حذب بقيادة صاحبها الملك الظاهر غياث الدين غازي ،
وجيش يعلبك بقيادة اميرها الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ، في جانب ، وسيست
الاسبتاري في حصن الاكراد والحصون المجاوره بشرق اماره طرابلس ، في الجانب الاخر .
وانجبت المعركة عن هزيمة الاسبتاريه ، وعندئذ طلبوا من هيئه الداويه المتوسط في الصلح
بينهم وبين صاحب حماه ، وقد حاول رسول الداويه تحقيق ذلك عن طريق ارباب الملك
المنصور باشاعه عن وصول حملة صليبيه كبرى من الغرب قوامها ستون الفا من الفرسان والمشاه
وامتداد جميع طوائف الصليبيين في الشام وارمنيا للخروج مع هذه الحملة لمنازلة بعرين .
ولكن صاحب حماه اجابه بقوله " انا لا نجزع بما تقول ولا نكثر ، ولو انهم اضعاف ذلك
لناجزتهم ، فقد تحققتا قصدهم لنا ، وعلما ذلك ، ولا سبيل الى مصالحه الاسبتاريه^(٣) " .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٧٨ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٤١ ،
د . سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٢٣ - ٩٢٤ .

(٢) السيد الكبير للاسبتاريه وقتذاك هو الفونس البرتغالى الذى خلفه فري دي
دونجون منذ يونيه ١٢٠٢ - انظر 130 P. 130 T. S. en Hosp. Le Roulx: D.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤٧

(xx) دكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٢٠ - ٩٢١ .

وكان من نتيجة هذا الرد — الذى يقطرماره من جانب صاحب حماه تجاه الاستبصاره ما يدل على قوه شوكتهم ومدى ما انزلوه من خسائر بممتلكات المسلمين — انه فى اوائل شهر يونيه " خرج جميع الاسبان من حصن الاكراد والمقرب ، ومن وصل اليهم من الضرب ، واغاروا على عمل بـرين ، وعدتهم اربع مائة فارس ، خارجا عن التركيليه ، والى واثقان راجل ، ومن معهم من الجرخمه ورماة الزنهروك ، فرتب الملك المنصور ، صاحب حماه ، عسكره ، وقصد هزم ، والتفاهم ، فكسرهم ، وقتل منهم مئله عظيمه " (١) . وظل الملك المنصور مقبلا بقلعه بهرين الى ان اسفرت المراسلات بينه وبينهم عن عقد هدنة قصيره اوائل عام ١٢٠٤ (٢) وسواء انقضى امد هذه الهدنة ولم ينقض ، فقد اغار الاستبصاره ، بموازره فرنج طرابلس ، خلال هذا العام ، مره اخرى على ولايات الملك المنصور " وساقوا الى ضيعة على باب حماه تعرف بالرقيطا قريبه جدا من الباب الغربى " ، ثم عادوا ادراجهم محملين بالسبي ، وجددوا الهدنة مع الملك المنصور (٣) .

وفى سبتمبر من هذا العام — عام ١٢٠٤ — جدد الملك العادل الصلح مع الصليبيين فى عكا لمدة ست سنوات على قاعده النزول لهم عن مدينتى يافا والناصره ، وان يتقسم معهم دخل كل من صيدا وبيروت والرملة (٤) . ولكن هذا الصلح لم يمنع فرسان الاستبصاره فى حصن الاكراد من الاغاره — بالتعاون مع حلفائهم فرنج طرابلس — فى هذا العام او العام الذى يليه ، على حصن واعمالها (٥) . وقد جاءهم الرد الايوسى سريعا على

(١) ابن واصل مفرج الكروب ج ٣ ص ١٤٨

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٤

(٣) المرجع نفسه ص ١٦٢ — ١٦٤

(٤) انظر: L'Estoire de Eracles, dans R.E.C., Hist.Oc., I, II, P.263 .

وقد اوردت المصادر العربيه تفاصيل الصلح من غير ان تشير الى مدته . ومن هذه

المصادر : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٢ ، المقريزى : السلوك ج ١

ص ١٦٤ ، ابن الاثير / كامل التواريخ (مجموعه مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيه من

ج ٢ قسم ١) ص ٩٦ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٠٦ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٤ . وفى الواقع لم يذكر هذا المؤرخ صراحه

ان المغيرين هم الاستبصاره ، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك من توجيه الملك الظاهر

انتقامه الى الاستبصاره فى المقرب عقب هذا الحادث . كما ان ابن واصل ذكر

صراحه (فى ص ١٧٢) اشتراك اهل حصن الاكراد (وهم استبصاره) وطرابلس فى

بد الملك الظاهر غياث الدين غازي ، صاحب حلب ، الذي سير جيوشه ، بقيادة مهارزالدين
اقبا ، الى حصن الاسبتارية المرقب فحاصره * وعدم الهج الذي له على باب الميناء
فاصاب المهارز من الحصن سهم فقتله ، وعاد العسكر ، بعد ان كادوا يفتحون الحصن
وايديهم ثلاثة من الفنائم (١) . غير ان فرنج طرابلس ربما بموازاة حلفائهم الاسبتارية
ما لبثوا ان ردوا على ذلك المدوان ، في هذه السنة عينها ، مشن هجوم على جبله
واللاذقية اسفر عن مصرع عدد كبير من جند الملك الظاهر في كمين صليبي اعد لهم بالقرب
من جبله (٢) .

وعندما ترامت اخبار هذه الاعداءات الاسبتارية المشككة الى سامع السلطان
الملك العادل في مصر ، خرج الى الشام ، في عام ١٢٠٦ ، لوضع حد لها ، فعسكر على
بحيرة قدس بجوار حصن الى ان انتهى شهر رمضان (سنة ٦٠٣ هـ) واكمل لديه وصول
العساكر الايوبية التي طلبها من مختلف ارجاء الشام الايوبية وشمال العراق ، ولما تسدد
* سار متوجها الى حصن الاكراد ، فنازله وقاتل الله اشد قتال ، وفتح هرجا قريبا
منه يسمى اعزاز ، واخذ منه خمسمائة رجل ، واموالا ، وسلاحا كثيرا * (يونيو ١٢٠٧ /
ذو الحجة ٦٠٣ هـ) . وبعد ذلك حاصر العادل مدينة طرابلس فترة قصيرة من الزمن
ثم رجع الى بحيرة قدس حيث بقيت اليه امير طرابلس ، بوعموند الاعور ، مالا وهدايا
وثلاثة اسير ، ورغب في التخليص فصالحه (٣) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٧ . انظر ايضا المقرئى : السلوك ج ١
ص ١٦٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٧٢ - ١٧٣ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٦٦
ابو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٠٨ ، د . سعيد طشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص
٩٤٨ - ٩٥٠ .

وفي عام ١٢١٠ انتهى امد الصلح المعقود بين الملك العادل الاول وصلاح
 لعرض عليهم المادل ان يوافقون على تجديد الصلح مقابل ان يتنازل لهم عن عشر
 قلاع وقد طالب السيد الكبير لاسبتاريه ، جارين دي مونتيجي (xx) Garin de Montaigu
 والسيد الكبير للينوتون ، غرمان فون زالتسا (Herman von Salza) بضرورة
 قبول عرض العادل . ولكن السيد الكبير للداويه ، فيليب دي هاليسيس
 (Philip du Plessis) اذى بضرورة الحرب ، وتغلب رأيه ، فقد قام الملك
 العليي ، حنا دي برين ، الذي انتخب في سبتمبر عام ١٢١٠ ، بعدة غارات خارج
 عكا انتهت كلها الى فشل بفضل يقظة الملك المعظم بن العادل ورجاله المعسكرين على
 جبهه الطور القريب من عكا . وتنادى الملك العليي ، قارمل في العام التالي ، اى قسى
 عام ١٢١١ ، ابن عمه جوتيه دي مونتليارد (Gautier de Montbéliard) على
 رأس الف ومانه رجل في حملة فاشله على دمياط (١) . وسبب هذا الفشل المنكسر
 وافق الملك حنا دي برين ، في عام ١٢١١ ، على عقد معاهدة جديدة للصلح مع الملك
 العادل مدتها ست سنوات (٢) .

وقد حدث ان وصل الى مدينة عكا في شهر اكتوبر عام ١٢١٧ ، اى في الوقت
 الذي انتهت فيه مدة المعاهدة بين الملك العادل وحنادى برين ، كل من ليوبولد
 السادس ، دوق النمسا ، واندريه الثانى ، ملك هنغاريا ، وهيو الاول لوزجنان ، ملك
 قبرص ، على رأس حملة صليبيه جديده ، وكان السيد الكبير لاسبتاريه جارين دي مونتيجي

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.Oc., T.II. : PP. 309 - 310; King, P. 183 .

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٢ . وقد اشار المؤرخ
 كنج (ص ١٨٣) الى هذه المعاهده ولكن ذكر بان مدتها خمس سنوات .

xx انتخب في صيف عام ١٢٠٧ خليفه للسيد الكبير جدفري لرات :

Geoffroy Le Rat وكان جدفري قد تولى في اوائل عام ١٢٠٦ خلفا
 للسيد الكبير القوقس البيزنطالى . انظر :

D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., PP. 130-131,
 137 - 138 .

في استقبال ملك هنغاريا ، بأمر البابا ، عند وصوله الى جزيرة قبرص ، ومنها الى فلسطين .
واشترك فرسان الاسبتارية مع اولئك الصليبيين الجدد في اعطالهم العدوانية المخزية التي
قاموا بها فيما وراء الاردن ، وما بين بيسان وبانياس ، واطام حيد والشقيف وفوق جبل الطور
خارج عكا ، في شهرى نوفمبر وديسمبر من هذا العام (١٢١٧) . واكسبت هيشة
الاسبتارية ، بهذه المشاركة ، تقدير ملك هنغاريا ، فتمحبا في بلاده ، بعد عودته
اليها ، في يناير عام ١٢١٨ ، امتيازات سخية واملاكا واسعة (١) .

وفي صيف عام ١٢١٨ خرج فرسان الاسبتارية ، بقيادة السيد الكبير لهيتهم
جارين دى موتيجى ، مع الملك حنا دى برين في الحملة الصليبية الخامسة على دماط*
وقد اهدى " مارفال " البهيمه ، ايمار دى ليمون
Aymar de Layron

بساله فائحه في الهجوم الكبير الذى شنّه الصليبيون ، في ٩ اكتوبر عام ١٢١٨ ، على
المدينه (٢) . وكذلك في هجوم ٢٦ اغسطس عام ١٢١٩ على معسكر السلطان الملك

(١) انظر : D. Le Roux: les hosp. en T.S. P.F. 142-143

لمعرفة تفاصيل غزوات هذه الحملة المعروفة باسم الحملة الهنغاريه ارجع الى
المصادر العربيه : ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٧ ،
ابو شامه : ذيل الرضخين ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن الاثير كامل التواريخ (القسم
الاول من الجزء الثانى من مجلوه لورخى الخروب الصليبيه الشرقيين) ص ١١١ -
١١٤ ، ابو القدا : المختصر ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ ، علما بان هذه المصادر
لم تشر فى صراحه الى دور الاسبتاريه . انظر ايضا د . سعيد عاشور : الحركة
الصليبيه ج ٢ ص ٩٥٦ - ٩٦٠

ولمعرفة تفاصيل منح ملك هنغاريا للاسبتاريه ارجع الى :
Ibid: Cart. II, nos. 1590, 1591.

(٢) انظر :

L'Estère de Macles, dans R.H.C. Hist. Gc.,

T. II, P. 333, D. Le Roux: Lex Hosp. en T. S. P. 144

لمعرفة تفاصيل هذه الحملة ارجع الى المرجعين العربيين المعاصرين الاتيين : xx

• دكتور محمد مصطفى زياده : الغزو الكبرى الاولى لامتيا الصليبيين على مصر

في كتاب " كفا حناضد الفراه " ص ٢٠٥ - ٢٢٠

• دكتور سعيد عبد القناح عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ٩٦١ - ٩٨٤ .

الكامل بن الملك العادل وخليفته ، بقايسكور ، حيث قتل " البارشال " ، أو أسر ، مع اثنين وثلاثين من رفاقه الاستباريه (١) . وكان جارين دى موتيجي ، السيد الكبير للهيئه مسوع الكلمه فى مجالس الحرب التى عقدها الصليبيون اثنا" الحمله . وقد عارض يشده فى قبول مقترحات السلم التى تقدم بها الملك الكامل ، فى سبتمبر عام ١٢١٩ ، فكان ذلك من عوامل رفضها (٢) . ودافع باستمرار خلال الحمله عن مصالح لاتين سوريا ضد المؤامرات التى كان يحيكها لهم الصليبيون القادمون من الغرب بدافع الغيره والحسد (٣) ، واشترك بفرمانه الاستباريه — مع فرمان الداويه والفرسان الفرنسيين — فى وقف اعمال الشغب والنهب التى اقترفها المعنصر الايطالى فى الحمله لعدم رضا هم عن قسمة الفنيه (٤) (يناير عام ١٢٢٠) ، واخيرا تصدى بمالك تعاون مع الداويه والفرنسيين والارمن والاروام والسوريين — للايطاليين والمسلمين والالمان ، عندما تمردوا بالسلاح ، ففى ٢ سبتمبر عام ١٢٢١ ، على قرار قيادة الحمله بالجله عن مدينة دمياط بدون قيد او شرط ، وقمع تمردهم (٥) .

وقد رجع الاستباريه مع بقية ثقات الحمله الفاشله الى مدينة عكا فوصلوا اليها فى نفس هذا الشهر ، اى فى شهر سبتمبر عام ١٢٢١ (٦) . وحدث ان حل بهذه المدينة

-
- | | |
|--|------------|
| D. Le Roulx : Les Châsp. en T.S. , P.144 | (١) انظر : |
| L'Estoire de Eracles: op. Cit., P.339, | (٢) انظر |
| Paderborn: The capture of Damietta, P.45 | |
| D. Le Roulx: Op. Cit., Pl45 | (٣) انظر : |
| Erousset: Hist. des Crois., vol. III, PP.229-230 | (٤) انظر : |
| Michaud: Hist. des Crois, vol., III, PP.648-649 | (٥) انظر : |
| D. Le Roulx: Ops Cit., F. 145 | (٦) انظر : |

في ٧ سبتمبر عام ١٢٢٨ ، الامبراطور الألماني فردريك الثاني هو هنتشاوفن على رأس حملة صليبيه جديده من الالمان لاستعادة مدينة بيت المقدس من المسلمين ، ولتأكيد حقه في عرش مملكة بيت المقدس ، لذلك الحق الذي آل اليه بزواجه ، في ٩ نوفمبر عام ١٢٢٥ من ايزابيل بنت حنا دي برين وورثته عرشه ، وكان ذلك اثناء مرحلة حاسمه من مراحل النزاع بين البابويه والامبراطوريه في الغرب ، مما جعل البابا جريجوري التاسع يصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور في ٢٩ سبتمبر عام ١٢٢٨ - اى قبل وصول الامبراطور الى فلسطين هايا (١) - وبأمر أساقفه الشام وسميتى الاسبتاريه والداويه بعصيان وامر الامبراطور (٢) . فلما وصل فردريك الثاني الى عكا وجد إضرابا من جميع طوائف المسلمين بالشام فيما عدا شيعة النجوتون (٣) . ولكنه استطاع ان يعقد ، في ١٨ فبراير عام ١٢٢٩ معاهده صلح ، مدته عشر سنوات ، مع السلطان الملك الكامل ، من طريق المفاوضات وبدون حاجه الى سيوف الصليبيين ، على اساس ان يتسلم فردريك مدينة القدس ، فيما عدا الأماكن الاسلاميه المقدسه التي تقرر ان تبقى في يد المسلمين وان يكون للصليبيين مرسى الارض يصل بين عكا والقدس ، وان يمنع فردريك اية حملة صليبيه اوروبيه من المجي الى الشواطئ الايبويه بمصر والشام ، واطلاق سلاح اسرى الحمله الصليبيه الخامسه المضجرين في

(١) انظر:

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 158, 161:

ما يجدر ذكره ان ايزابيل توفيت عام ١٢٢٨ . على ان وفاتها لم تؤثر في حسيق فردريك في المطالبه بعرش بيت المقدس فقد كان له ابن منها اسمه كونراد ، هو الورث الشرعى للعرش الذي سعى فردريك للاستحواذ عليه بصفته وكيل عن ابيه .

انظر:

Les gestes des chiprois, P. 48

(٢) انظر:

L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. Ce., T. II:

(٣) انظر:

P. 370 Conder: The Latin Kingdom, P. 312

عندما خرج فردريك الثاني من مدينة عكا ، في نوفمبر عام ١٢١٨ ، لاحتلال يافا ، رفض الاسبتاريه والداويه ضم قواتهما الى جيشه ، وساروا على بعد عن هذا الجيش . ولكن فردريك ، عندما اثرب من المدينة ثشراية الله وراية المسحبه بدون ذكر للامبراطور فاشترك معه الاسبتاريه والداويه في مهاجمة يافا واحتلالها . انظر

مصر (١).

وقد طار غريزيا الاسبتارية والداوية ، وطهرت بيت المقدس ، هذه الاتفاقية لان فردريك محروما من الكنيسة (٢) ، وربما ايضا لانهم استبعدوا من التوقيع عليها مما حرمهم من شرف المساهمة في امتداد بيت المقدس من المسلمين . وقد اشتهرت هيتسيا الاسبتارية والداوية فرصة استثناء شامل الشام من شروط الاتفاقية ، فهجمت قواتها المشتركة في خريف عام ١٢٢٩ ، على مدينة بصرى ونهبته (٣) . وفي شهر أغسطس من العام التالي — اى في عام ١٢٣٠ — خرجت حامية حصن الاكراد من الاسبتارية للاغارة على اعمال حماه ، غير ان امير حماه الملك المظفر تقي الدين محمود (الثانى) اصر عليهم عند اقبيون الواقعة بين حماه وحمص (٤) . وقد تشجع الملك المظفر بهذا المنصر فرغض ان يدفع للاسبتارية الجزية السنوية التى كان اخوه وسلفه الملك الناصر قلج قد تعهد بدفعها لهم مقابل تقديم بعض المساعدات الحربية له (٥) . وكان ان اهد له الاسبتارية فى عام ١٢٣٣ ، جيشا صغيرا مشتركيا مع ما عساه به خمسائة من فرسانهم ، و الف وخمسمائة من مشاتهم ، بقيادة السيد الكبير لميتهم ، جارين الى جانب عدد من فرسان الداوية بقيادة السيد الكبير لميتهم ارماند روى بيم جورد Armad de Périgord

(١) انظر L'Estoire de Eracles: , dans R.H.C., Hist.CC., T.II,

والمصادر العربية : المقرئى : الملوك ج ١ قسم ١ ص ٢١٠ ، العيني : عقد الجبلان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيين) ص ١٨٨ ، ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٤١ .

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en F.S., P.164

ودكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠١٣ .

(٣) D. Le Roulx: CP. Cit., PP. 164 -165

(٤) العيني : عقد الجبلان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيين) ص ١٩٤ .

وانظر ايضا : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.CC.,

T.II, P.405, no.e.

ودكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٠٢٤ .

(٥) انظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., P. 171

وثنانين فارسا من مملكة بيت المقدس ، بقيادة بطرس دافالون Pierre d'Avalon

ومائة فارس من قبرص بقيادة حنا دبلين Jean d'Ibelin وثلاثين

فارسا من اماره انطاكية بقيادة هنرى اخى الامير هوغيموند الخامس . وزحف الاستباريه بهذا الجيوش فى شهر اكتوبر ، على بحرين فاستولوا عليها فيما عدا قلعتهما التى اضمى بها الاهالى ، ثم قاموا ببعض الاعمال التخريبية فى نواحي بحرين ، ورجعوا الى حصن الاكراد بعد ثمانية ايام . وما لبث ان تدخل كل من الملك الكامل ، سلطان مصر ، واخيه الملك الاشرف ، سلطان دمشق ، بالوساطه لدى قريتهما امير حماه ، خوفا من تحالف المسلمين مع سلطان قونية . علاء الدين كيقباد الاول ابن كيقسرو - الذى يستعد ان لقتاله ، فنصط الملك المظفر بدفع الجزية المقرره للاستباريه ووافق امير حماه (١) .

وقد حدث فى اول سبتمبر عام ١٢٣٩ ان وصل الى ميناء عكا ثيوت الرابع امير

شامبيني وملك ناغار Thibaut IV de Champagne, roi de navarre

على رأس حملة صليبيه جديده قوامها بين الف ، والف وخمسمائه فارس فرنسي . وكان ان تقدمت هذه الحملة الى مدينة غزه لاحتلالها ، بالرغم من اعتراضات رؤساء الهيئات العسكرية الثلاث ، الاستباريه والداويه والتموتون . غير انه من المحتمل ان تكون قوات استباريه وداويه قد اشتركت معه فى القيام بهذه الغزوه التى احبطها المسلمون فى ١٣ نوفمبر (عام ١٢٣٩) قرب غزه . وحدث فى صيف العام التالى - عام ١٢٤٠ - ان

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist.CC., T.II, PF 403-405; Phelippe de nevaire, dans les gestes des chiprois, P.117; انظر ايضا : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PF.171-172 .

ودكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١٠٢٤

(٢) انظر : D. Le Roulx Op. Cit : P.184

مع ملاحظه ان المؤرخ القديم ارثيل (L'Estoire de Eracles: CP.Cit, PP.414-415) قد اكد اشراك الاستباريه والداويه فى الغزوه .

هزل الايوبيون في مصر السلطان العادل الثاني ، واختاروا بدلا له الملك الصالح نجم الدين ايوب سلطانا عليهم (١) ، وقد وعد الصالح ايوب حليفه الناصر داود صاحب الكرك بمساعدته في الحصول على دمشق من صاحبها الصالح اسماعيل (٢) ، الذي لبى الى ثيوت الرابع وغيره من الصليبيين لمساعدته ضد الصالح ايوب مقابل التنازل لهم عن حصن صفد وشقيف ارنون ، وعن ضواحي مدينة بيت المقدس وارضها من ساحل البحر حتى نهر الاردن (٣) ، كما وعدهم " بأنه اذا ملك مصر اعطاهم بمحضها " (٤) . وقد قبل ثيوت الرابع ، بتأييد من الداوية ، عرض الملك الصالح اسماعيل (٥) ، وتسلم الصليبيون بالفعل ضواحي القدس ووطيرة وعسقلان (٦) ، واستلم الداوية صفد (٧) ، غير ان السيد الكبير لهيئة الاسبتارية اعلن معارضته رسميا للمشروع ، وامتنع عن التوقيع على الاتفاقية المحققة بين ثيوت وسلطان دمشق (٨) ، ورفض الاشتراك في الجيوش الصليبية ، الذي تعاون حينذاك مع قوات دمشق

(١) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٣٦ - ١٠٣٧ .

(٢) ابو المحاسن : التجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٣) انظر Phelippe de nevaire, dans les gestes des Chiprois, P.121; L'Estoire de Eracles, dans R.H.C., Hist. CC., T.II, P.418

كان الملك الناصر داود صاحب الكرك قد استولى على القدس من الصليبيين ، الذين كانوا قد دخلوها في عام ١٢٢٩ بمقتضى شروط الصلح مع فردريك الثاني ، عدو عيسه بحملة ثيوت الرابع (القرينى : السلوك ج ٢ القسم الثاني ص ٢٩١) .

(٤) ابو المحاسن : التجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٢ .

(٥) انظر : Phelippe de nevaire: Op. Cit., P. 122; L'Estoire de Eracles: Op. Cit., P. 419

(٦) ابو المحاسن : التجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابو الفدا : المختصر ج ١ ص ١٢٢

(٧) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 184

(٨) انظر : Phelippe de nevaire: Op. Cit., P. 122; L'Estoire de Eracles: Op. Cit., P. 419

ابو المحاسن : التجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابو الفدا : المختصر ج ١ ص ١٢٢

كما يلاحظ بان المومرخ ديد عاشور : (Les Hosp. en T.S., PP.184-185)

قد ذكر خطأ بان السلطان الصليبيين ونبهه قد ذكر بان الاسبتارية قبلوا عروض سلطان دمشق

ولييس سلطان دمشق ، المومرخ ج ١ ص ١٨٤-١٨٥

مقدمه لهم من سلطان القا

في محاولة الهجوم على غزة ، ولكن الصالح أيوب أحبط هجومه . وقد انسحب شيبوت
عندئذ إلى عسقلان حيث عقد ، بتأييد من السيد الكبير للاستتارية ، الصلح مع الصالح
أيوب (١) .

ولم يلبث شيبوت الرابع أن رجع إلى بلاده في آخر سبتمبر عام ١٢٤٠ (٢) . وقد وصل
إلى عكا في ١٠ أكتوبر من نفس العام ، ريتشارد كورنوال ، أخو هنري الثالث ملك إنجلترا
وهو يمل الامبراطور فردريك الثاني ، على رأس عدد كبير من الصليبيين الإنجليز ، فمضى
مقدمتهم رئيس بيت الاستتارية في إنجلترا ، المقدم ثييري دي نوسا
Thierry de nussa ونزل في مقر الاستتارية بهذه المدينة (٣) . وقد
عرض رسول الصالح أيوب على ريتشارد اتفاقية الصلح التي عقدتها السلطان ضد فترة
قصيره مع شيبوت ، لكي يصدق عليها ريتشارد . وقد رد عليهم ريتشارد بالموافقة ، بعد
أن استشار السيد الكبير للاستتارية ، بطرس دي قيس بريد ، وصدق لهم على الصلح
في ٢٣ أبريل عام ١٢٤١ (٤) . وبذلك اعتبر ريتشارد أن مهمته انتهت في الشرق ، وقادر
مبناه عكا في ٢ مايو سنة ١٢٤١ عائدا إلى بلاده (٥) .

- (١) انظر : L'Estoire de Eracles: Op. Cit., FF. 410-420; Phelippe de nevaire: (P. Cit., P. 122
Continuation de Rothelin: Op. Cit., P. 554
قد ذكر بيان الاستتارية والداوية عارضا في عقد الصلح حتى يتم التار من هزيمة غزة .
(٢) انظر :
(٣) انظر : L'Estoire de Eracles: Op. Cit., P. 419 No. e.
Phelippe de nevaire, dans les gestes des Chiprois, FF. 122-123; L'Estoire de Eracles, dans R.H.C , Hist-CC., T. II, P. 421;
(٤) انظر : Phelippe de nevaire : Op. Cit., P. 123; L'Estoire de Eracles: Op. Cit., P. 185
في هذا الصلح اعترف الصالح أيوب بحق الصليبيين في ملكية شيفارتون وأقليم الجليل
بما فيه من حصون تبنين وعونين ونيريه والظاهر وكوكب ، فضلا عن بيت المقدس وروبيت
لهم وعسقلان - انظر د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٤٠ .
(٥) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٤٠ .

وليس من شك في ان تبني هيئة الاسبتارية ، في ذلك الوقت ، لفكرة الصلح مع مصر ، ورفضها فكرة التحالف مع دمشق ، لم يكن بحسب تحمس غمائمهم الداوية للراى الآخر او نتيجة تضيق طرا على راي الاسبتارية القديم الذي جاهدوا به ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد ، عندما ارادوا اثناءه في عام ١١٩٢ عن مهاجمة بيت المقدس ، فقالوا له ان السيطره على هذه المدينة لا يتأتى الا عن طريق غزو مصر ، ولكن الأرجح هو ان موقف الاسبتارية الجديد مصدره عدم ثقتهم في قدرة الصليبيين وحلفهم سلطان دمشق على غزو مصر ، وان لهم من الحكمة ، والحالة هذه ، ان يثير الصليبيون سلطان مصر ضدكم تايل بعض المدن والحصون التي تشارك لهم عنها سلطان دمشق لشراء مساعدتهم لهم ، وتستطيع مصر طردكم منها في اى وقت تشاء .

فلما تغير الوضع في عام ١٢٤٤ بانضمام كرك عن الملك الناصر داود ، صاحب الكرك ، والملك المنصور ابراهيم بن شيركوه ، صاحب حمص ، الى الملك الصالح اسماعيل بن المادل ، سلطان دمشق (١) . ما ادى الى ازدياد قوة دمشق ، غير الاسبتارية رايهم ، ووافقوا على الانضمام الى التحالف الصليبي الدمشقي . وربما حفزهم على تغيير سياستهم ايضا ما حدث من استعانة الملك الصالح ايوب ، سلطان مصر ، بمجموع الخوارزمية الذين استولوا ، في ١١ يولييه سنة ١٢٤٤ ، على مدينة بيت المقدس مسكن الصليبيين وقتلوا بضعة الاف من سكانها المسيحيين (٢) . وعلى اى حال فقد حلت بهيئة الاسبتارية كارثة كبرى نتيجة تغيير سياستها نحو مصر ، وذلك ان الملك الصالح ايوب انتصر ، متحالفًا مع الخوارزمية ، على جيش كبير يتألف من قوى الشام الايوبية والصليبية

(١) ابو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٢ ، ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢٣ .

(٢) د . سعيد عبد الشاق عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٤٥ .
ذكر المورخ دي لا فيل (Les Hosp. en T.S., P.191) بان الامر الكبير في هيئة الاسبتارية قتل اثناء الدفاع عن المدينة .

المتحالفه ضده ، واشترك الاسبتارية مع ذلك الجيش في المعركة الكبرى التي دارت رحاها في ١٧ أكتوبر عام ١٢٤٤ بتلازم عديدة غزه وقتل من الاسبتارية في هذه المعركة ثلاثمائة وخمسة وعشرون فارسا ، ومائتان من التركوبيليه ، وعم مجموع من اترك فيها من قواتهم ، فيها عدا ستة عشر فارسا اسبتاريا قدر لهم النجاة (١) ، هذا على حين وقع السيد الكبير للاسبتارية وليم شاتونيف Guillaume de Chateauneuf (١٢٤٣ —

١٢٥٨) الذي قاد فرسانه خلال المعركة ، في اسر قوات سلطان مصر الى اقتادته الى القاهرة مع بقية الاسرى (٢).

وهكذا استولى الصالح ايوب ، بعد موقعة غزه ، من المصلبيين على مد ينتسى طبرية وعسقلان ، وبما المدينتان المتبقيتان في ايديهم من المدن التي تسلموها من سلطان دمشق قبل معركة غزه ، فمضت طبرية في يد قوات مصر في ١٧ يونيو عام ١٢٤٧ في حين سقطت عسقلان — وكانت تحت حماية الاسبتارية — في ١٥ أكتوبر من نفس العام (٣)

وحدث في العام التالي — وعلى وجه التحديد في ١٧ سبتمبر عام ١٢٤٨ أن وصل الى جزيرة قبرص الملك الفرنسي لويس التاسع ، الذي اشتهر باسم القديس لويس

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.191

بمقتضى رواية
نجا من الاسبتارية ستة وعشرون * وبمقتضى رواية
Archer & Kingsford: The Crus., P.389). نجا منهم
تسعة عشر *

(٢) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist.OC., T.II, PP.429-430; Continuation de Rothelin, dans R.H.C.Hist.OC., T.II, P.561.
Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des chiprois, P.145.

(٣) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist. OC., T.II, PP. 432-434; Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des chiprois, P.146; D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.193.

ابو القدا : المختصر ج ٣ ص ١٧٦ (مع ملاحظة انه لم يذكر شيئا عن دفاع الاسبتارية عن عسقلان) ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٤٩ .

على رأس الحملة الصليبية الصغرى السابقة ، وكان مثلوا الاستتار على رأس مستقبلية في هذه الجزيرة الى جانب مثلوا الداوية والفتات الصليبية الاخرى بالشرق (١) .

وعندما اعلن لوي من التاسع انه ينوي الاستيلاء على مصر ايداه مثلوا الادبتار لثقتهم في قدرته على تنفيذ ما نوى ، ونوما يتفق مع سياسة تبييتهم . ولم يلبث ان انضم فرسانهم بقيادة نائب السيد الكبير ، وهو الآخر الكبير حناروني (٢)

J. de Ronay

حيث كان السيد الكبير ولهم شاتونيف في اسر مصر منذ معركة غزة عام ١٢٤٤ الى جيش الحملة في مدينة ليماسول القبرصية ، حيث انضم اليه ايضا فرسان الداوية وقوات عكا الصليبية وفرسان قبرص ، وسفن جنوة وبيزا . وقد ابهرت الحملة ، بجميع قواها ، من ميناء ليماسول في ١٣ مايو عام ١٢٤٩ ، واتجهت راسا نحو مدينة دمياط المصرية ، فاستولت عليها فـ ٦ يونيو (٣) ، وعند ما حل يوم ٢٠ نوفمبر زحف الصليبيون من هذه المدينة جنوبا بقصد مهاجمة المعسكر السلطاني الايوبي في المنصورة . وقد حاولت طلائع الجيش الصليبي بقيادة اخي الملك ، وهو روبرت امير دارتوا ، الاستيلاء على المنصورة ، قائد فمت دون تروى داخل المنصورة في ٨ فبراير عام ١٢٥٠ ولكن محاولتها باءت بالفشل ، وقتل معظم افرادها من الفرسان الفرنسيين ، وفرسان الاستتار والداوية ، كما قتل قائد المقدمة الامير دارتوا ، واختير نائب السيد الكبير لهيئة الاستتار ، حناروني ، لابلأخ تيسا مصره لاختيه الملك (٤) . وبعد شذرة ايام - اي في يوم ١١ فبراير - دارت معركة اخرى

- (١) Ch. P. 147
Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des
(٢) انظر :
D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.195
(٣) انظر :
Chronique de Templier, dans les gestes de chirois,
P.147.

وعن استيلاء الصليبيين على دمياط بالرجوع الى :

المقريزي : السلوك ج ١ قسم ٢ عن ٣٣٦ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية

ج ٢ عن ١٠٦٠ - ١٠٦١ .

(٤) انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP.195-196.

Walsh: Saint Louis et Son siecle, pp. 157-158, 163-164.

امام النصرورة بين جيش الحملة الرئيسي بقيادة الملك لويس ، وجيش الايوبيين لم تصفر عن النصر لاي من الفريقين ، ولكن قتل فيها عدد كبير من الصليبيين من بينهم ضاروتى وجميع فرسان الاسبتارية الذين اتركوا معه فى هذه المعركة فيما عدا خمسة وقموا فى اسر المصريين (١) . وبعد ان ذل الملك لويس معسكره امام النصرورة الى يوم ٥ ابريل اصدر اوامره بالتراجع نحو دمياط . ولكن حدث عندما وصل الجيش الصليبي ، أثناء انسحابه ، الى فارسكور ان انهى المسلمون على جيشه ومزقه شرمزى كما اسروا معظمه . اما لويس التاسع فكان قد اشهد به المرى أثناء القتال نأوى الى دار فى قرية منية ابن عبد الله القريب من ارض مصر وظهر بها الى ان كومت عليه طائفة من الجند الايوبي المصري عقب تسليم المعسكر الصليبي وخيلته اسيرا الى النصرورة حيث سجن فى دار قاضيهما فخر الدين ابراهيم بن لقمان الى ان تم الصلح وتعهد الملك لويس بدفع مبلغ كبير من المال والخيالة مدينة دمياط مقابل اطلاق سراحه ورجاله . وفى ٦ مايو عام ١٢٥٠ تسلم المصريون مدينة دمياط ثم اطلق سراح الملك لويس وكبار الاسرى الصليبيين بعد ان دفعوا مقدم الفدية المتفق عليها فقادروا دمياط فى ٨ مايو ليصلوا الى عكا فى ١٣ مايو (٢) . ومن عكا ارسل الملك لويس سفيرا اسمه جونا الثالث الى Jean de Valenciennes الى مصر مرتين للتفاوض فى امر اطلاق سراح بقية الاسرى الصليبيين الذين حجزوا بها لضمان دفع آخر اقتضاها الفدية الملكية ، فضلا عن اسرى معارك الشام التى وقعت قبل غزوة الملك الفرنسى على مصر . وقد استمرت مفاوضات السفير عن فك اسرهم جميعا ووصولهم الى عكا فى ١٧ اكتوبر عام ١٢٥٠ . وقد بلغ عدد هؤلاء الاسرى المائتين نحو ثمانمائة اسير من بينهم السيد الكبير لاسبتارية ولسيم . شاتونيف فضلا عن خمسة وعشرين من فرسان هيستية

(١) D. Le Roulx: Les Hop. en T.S., P.196.

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٧٥ - ١٠٧٠ ،

١٨٠٤ - ١٠٨٣

الاستبصار (١) .

وابرز ما قام به الاستبصار ، بعد عودة رئيسهم شاتونيف اليهم من الاسر ، اشتراكهم في عام ١٢٥٣ في غزوة صليبية ناجحة ضد مدينة بانياس التي كانت تابعة للناصر الثاني يوسف الايوبي صاحب حلب ودمشق . ويقال ان الملك لويس التاسع هو الذي خطط لتلك الغزوة من غير ان يسهم فيها (٢) . كما ساعد الاستبصار ، في العام التالي ، اي قسوس عام ١٢٥٤ ، اميران طاكيه ، بوهيموند السادس ، في صد غارات الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق ، على امارته (٣) . وقد غادر الملك لويس التاسع ، مدينة عكا ، قسوس ٢٥ ابريل من هذا العام (عام ١٢٥٤) عائدا الى بلاده فرنسا ، ولكنه ترك وراءه فرقة

فرنسية من مائة فارس بقيادة جودفري دي مارجين Geoffroi de Sargines

الذي عينه نائبا عنه في الشام (٤) . وقد غزا هذا القائد ، في ٥ يناير عام ١٢٥٦ ، المنطقة الواقعة بين غزة وعسقلان . وكانت هذه المنطقة تابعة للسلطنة المملوكية التي تأسست في مصر منذ نحو ست سنوات (منذ عام ١٢٥٠) فقام عليهم على بيت المقدس بالانتقام من الصليبيين بان اغار على الارض الصليبية الواقعة الى الشمال من ارسوف وامر نحو مائتي صليبي من الاستبصار والداوية وغيرهم ، فضلا عن اربعة الاف فارس من الماشيه ، وقسوس ١٧ فارس (عام ١٢٥٦) قام هذا الحاكم بهجوم فاشل على ياقا عقدت في اعقاب هدمه

(١) انظر : L'Estoire de Eracles, dans R.H.C.Hist.CC.,T.II

P.439; Continuation de Rothelin, dans R.H.C. Hist. CC.

T.II, P.625; D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S.,F.197.

(٢) انظر : Le Roulx: OP. Cit, PP.197-198; Walsh, P.209.

(٣) D. Le Roulx: OP. Cit., P.198.

(٤) د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٠٣

Walsh: CP.Cit, P.214

انظر ايضا :

مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام بين سلطان مصر المملوكي ، الملك المعزايك
وسلطان دمشق الأيوبي ، الملك الناصر يوسف ، طرفا أول ، وامراة الأرض بالمقده
وكونت ياقا ، والاسبتاريه والداويه ، والقائد الفرنسي جود فرى دى سارچين ، طرفا
آخر (١)

على ان هذه الاتفاقية لم يقهر لها الدوام الى ان ينتهي امدها بسبب اصرار
السلطان الظاهر بيبرس ، الذي تولى عرش السلطنة المملوكية بالقاهرة في عام ١٢٦٠ ، على
طرد الصليبيين نهائيا من الشام ، حتى انه كان يخرج اليهم تقريبا في كل عام مرة (٢) .
وقد بدأ بيبرس أعماله الحربية ضد الصليبيين في عام ١٢٦١ بمهاجمة انطاكية . ثم كسر
الهبجوم عليها في صيف عام ١٢٦٢ ، ولكن اقتراب المغول - الذين استدعاهم هيثم
الأول ملك أرمينيا - أجبره على التراجع (٣) . وفي عام ١٢٦٣ خرج بيبرس إلى
المسطين ونزل على جبل الطور قريبا من الناصرة . وقد ذهب اليه مشلوا الاسبتاريه والداويه
وكونت ياقا وطلبوا منه الصلح فرفض وقامت قواته بتدمير كنائس الناصرة والطور والخواجي
وتخريب المنطقة الواقعة بين مدينة الناصرة وساحل البحر . وفي منتصف شهر ابريل
من ذلك العام ، هاجم بيبرس مدينة عكا ولكنها استحصت عليه ففادرها الى بيبرس

(١) انظر : Continuation de Rothelin, dans R.H.C.Hist. OC.T.II,

PF.630-633, D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S,pp. 198-199.

(٢) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ص ٥٩ ، محمد جمال الدين
سور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ص ٧٥ .

(٣) انظر Chronique de Templier de Tyr, dans les gestes des Chiprois

P.167.

ودكتور سعيد عاشور / الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٤٢

المقدمتها الى عصر (١).

وقد قام الاستتار به ، في عام ١٢٦٤ ، بدور ملحوظ في عدد من الاعتداءات الصليبية على المدن الاسلامية بالشام ردا على غزوات بيبرس في الاغوام السابقة فاشتركوا في ١٠ يناير من ذلك العام ، مع فرسان الداوية ، في شن هجوم مفاجئ وناجح على قلعة اللجون بالقرب من جينين . وفي ١٥ يونيو تعاونوا مع الداوية وفرسان عكا في نهب وتخريب عسقلان . ثم اشتركوا في ٥ نوفمبر مع هذه الفئات الصليبية ، بالاضافة الى فرقة صليبية فرنسية وفدت حديثا الى عكا بقيادة اوليفيه دي تيرم :

Olivier de Termes في نهب بيسان (٢) .

وكان من الطبيعي ان يتحرك بيبرس لوقف هذه الاعتداءات وتاديب القاصدين بها وفيما يتولى بالاستتار به فقد انتزع منهم ، في ٢٩ ابريل ١٢٦٥ ، قلعة ارسوف بعد حصار لها دام اربعين يوما (٣) ، وقتل خلاله نحو تسعين فارسا استتاريا واسر ما يقرب

(١) L'Estoire de Eracles, OP.Cit, P.447; Chronique de Templier de Tyr, OP. Cit, P.169. ; D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.218; Grousset III. , PP. 622-623

وقد أفاض المقرري (السلوك ج١ قسم ٢ ص ٨٣-٨٧) في شرح هذه الاحداث بما فيها اتصال الفرنج بيبرس من غير ان يذكر ان الاستتار به ضمن هو "الفرنج" . وكذلك أشار البعني (عقد الجمان : القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ص ٢١٦) الى هذه الاحداث ولكن من غير ان يذكر شيئا عن اتصال الفرنج بيبرس . انظر ايضا : د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١١٤٤ .

(٢) انظر :

L'Estoire de Eracles: OP.Cit., P.449; Grousset III,

PP.623-624. Cit.,

(٣) انظر : L'Estoire de Eracles: OP.P.450; Chronique du Templier: OP.

Cit. P.171; grousset III, P.624.

البعني : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين) ص (٢٢٠-٢٢١) ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١١٤٥ .

من المائة والثمانين (١)، كما استولى منهم في العام التالي، أي في عام ١٢٦٦، على حصن مونيون (٢).

وقد حدث أن وصل إلى عكا، في أغسطس عام ١٢٦٦، وكيل ملكة قبرص المدعو بولوزجان، على رأس فرقة من الفرسان القبارصة، فتقوى بهم الصليبيون في فلسطين وخرجوا معهم - في شهر أكتوبر - لفروطية. غير أن قوات الماليك بحدين صف - وهو حصن داوى استولى عليه بيس من منذ ثلاثة شهور فقط، أي في يولييه عام ١٢٦٦^{xx} - تمكنت لهم في سهل عكا وطبرية ودحرهم وقد قتل في هذه المعركة أكثر من خمسمائة صليبي (٣)، من بينهم نحو خمسة وأربعين فارسا استباريا بالاضافة إلى نائب السيد الكبير لهيئة الاستبارية الأمير الكبير اسحاق نوردي غير

(٢) Etienne de mezes

(١) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.219; Flandin, P.173

(٢) انظر: D. Le Roulx: Loc. Cit.; King, P.261.

(٣) انظر: Chronique du Templier de Tyr, CP. Cit., FF.181-182; L'Estoire de Eracles T.CH, CFE., PP.454-455; Amadi, P.208.

المعنى: عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين) ص ٢٢٤ - ٢٢٥ علما بأنه لم يذكر عدد القتلى من الصليبيين ولم يشر إلى دور الاستبارية.

(٤) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.219.

^{xx} عن سقوط صف انظر: المعنى: عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين) ص ٢٢٢ - ٢٢٣، المقرئ: السلوك ج (قسم ٢ ص ٥٤٦ - ٥٤٨.

وبالرغم من ان بيرس عقد صلحا في عام ١٢٦٧ مع الاسبتارية في حصن الاكراد والعرقب بإجارة طرابلس بعد ثمانية عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ساعات^(١) ، فقد حاول في اواخر ديسمبر عام ١٢٦٩ الاستيلاء على العرقب ولكنه فشل . وبعد شهر اى فى اواخر يناير عام ١٢٧٠ - قاد كذلك معجوما قاشلا على حصن الاكراد^(٢) . ولكنه ظهر مرة اخرى ، فى ١٨ فبراير عام ١٢٧١ امام ملطس الاكراد^(٣) ، ونزل على مناره الى ان استولى ، فى ٣٠ مارس ، على جانب منه ، ثم بحث الى افراد حامية الاسبتارية خطايا مزورا على اعتبار انه مرسل اليهم من السيد الكبير ليهبثهم بامرهم فيه بتسليم بقية الحصن ، فلقوا سلاح المقاومة و تفاوضوا مع السلطان فى شروط التسليم^(٤) الذى تم فى ٨ ابريل^(٥) . ومما ان تسلم بيرس حصن الاكراد حتى عرفت اليه رسل الاسبتارية فى العرقب تطلب منحه الصلح فمقد منهم اتفاقه حدنه عدتها ثمانية عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام تبدأ من ٣ ابريل

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٢١ - ٣٩ ، المينى : عقد الجمان (القسم الاول من الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيين) ص ٢٢٥ .

(٢) انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P. 222.

(٣) انظر :

Chronique du Templier de Tyr: CP. Cit., P. 199;

L'Estoire de Eracles, Op. Cit., P. 460.

ابو الفدا : المختصر ج ٤ ص ١

(٤) انظر :

King, P. 270.

علق د . سعيد عاشور (الناشر بيرس ص ٧٨) على قصته خدعه الخطاب المزور بقوله " على الرغم من عدم وجود اشارة فى المراجع العربية الى تلك الخدعة . . الا انه لا يوجد ما يثبته من الاعتقاد فى صحة الرواية الصليبية ، ولا سيما وان بيرس سبق ان اتبع اسلوب الرسائل المزورة فى الاستيلاء على حصن الشقيف ارنون سنة ١٢٦٨ " .

(٥) انظر :

Chronique du Templier de Tyr, CP. Cit., P. 199, D. Le

Roux: Les Hosp. en T.S., P. 223;

يذكر المينى (عقد الجمان - فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقيين ج ٢ قسم ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨) ان بيرس بعد ان تسلم حصن الاكراد ارسل خطايا الى مقسدم الاسبتارية فخر فيه بنصره على حامية الحصن

سنة ١٢٧١ (١) ، على ان هذه الاتفاقية كانت خاصة بحصن المرقب وحده ، ولـ
استولى بيبرس ، في الشهر التالي - اى فى ١٢ مايو سنة ١٢٧١ - على حصن آخر
للاسيطاريه فى اطاره طرابلس هو حصن عكار (٢) ، وقام الاسيطارى من جانبهم ، بعد ذلك
بنحو شهرين ، اى فى يولييه عام ١٢٧١ ، بالاقاره - مشتركين مع فرقه من الصليبيين الانجليز
وقد تـ حديثا الى عكا بقيادة الامير ادوارد ابن ملك انجلترا الثانى الثالث ، بالاضافه
الى فرسان عكا والداويه - على الكـ والرمـ (٣) وعلى صنيعة قريبه من عكا اطلاق عليها
الصليبيون اسم صنيعة القدس جورج (٤) ، كما اشتركوا مع تلك القوى الصليبيه غيبتها -
مضافا اليها فرقه ليليفرقة من فرسان قبرص بقيادة ديمو الثالث ملك قبرص وحامل لقب
ملك بيت المقدس - فى ٢٤ نوسبر من نفس العام ، فى مهاجمة حصن قاقون بارس قيساريه
من غير التوصل الى الاستيلاء عليه (٥) .

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٤ ص ٤٢ - ٥١ ، المعينى : عقد الجمان (مجموعه
مورخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، قلنجليل
بن ابي الفضائل : كتاب الشهب السديد ص ١٨٩ - ١٩٠ (فى : محمد
جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٩١) .

(٢) ابو القدا : المختصر ج ٤ ص ٦ ، المعينى : عقد الجمان (مجموعه مورخى الحروب
الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١) ص ٢٤٢ - ٢٤٣ : بيبرس الداودار : زبدة
الفكره فى تاريخ الهجره ج ٩ ورقه ٩٧ (فى : محمد جمال الدين سرور : الظاهر
بيبرس ص ٩١) .

(٣) انظر : King, P.272

(٤) انظر : Chronique de Templier de Tyr, Op. Cit? P.200.

(٥) انظر : Ibid: Loc. Cit.

مفضل بن ابي الفضائل : كتاب الشهب السديد ص ٢٠٤ - ٢٠٥ (فى : محمد
جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ص ٩٤)

وكان هذا العمل الاخير هو آخر لقاء ، فيما يعرف ، بين الاسبتاريه والملوكيه .
الملوكيه في عهد هميس ، حيث ان السلطان وافق بمعهده مباشرة على عقد الصلح مع هميسو
الثالث بهذا على طلب الاخير (١) ، ولم ينقض هذا الصلح ، حتى وفاته في عام ١٢٧٧
لائشغاله اذ ان عن الصليبيين بحرب التتار وغزو حصون طائفة الاسماعيليه ولاستنماع
الصليبيين من جانبهم عن الاغاره على الاراضى الملوكيه .

ولكن حدث في عام ١٢٨٠ ان اتجهز فرسان الاسبتاريه بحصن المرقب فرصة الدعر
الذى حل بشمال الشام — وخاصة منطقة حلب — اثر عدوان مغولى وقع عليها ائذ ان
(اكتوبر ١٢٨٠) ، فخرجوا من حصنهم المرقب واعلوا النهب والسلب في المنطقة .
وبالرغم من قلة عددهم ، اذ كانوا لا يزيدون عن مائتى فارس ، فقد اتمسروا على جيش ملوكى
قادر كاتب داوى من سور عدده بخمسة الاف فارس ، خرج من حصن صافيتا لقطع طريق
الموده عليهم ، ولم يكلفهم هذا النصر ، بمقتضى رواية هذا الكاتب الداوى ، سوى
قتل واحد من طائفة توايح الفرسان (Frères Sergants) (٢) .

وهى رواية المبالة فيها واضحة . وقد اراد قائد حصن الاكراد الملوكى ، وهو الامير
بلهان الطياخى ، بما وامر من السلطان الملوكى الحاكم ائذ ان فى القاهرة ، وهو السلطان
الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٣) (١٢٧٩ — ١٢٩٠) ، ان ينتقم من الاسبتاريه

(١) العملى : عقد الجبلان (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبيه الشرقيين ج ٢ قسم ١)
ص ٢٤٧ ، د . سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٥٩ .

انظرا ايضا :
Lane-Poole: A Hist. of Egypt in the middle ages,
P. 269.

(٢) انظر :
Chronique du Templier de Tyr, CP. Cit., P. 208.

انظرا ايضا :
D. King, P. 282

(٣) د . سعيد عبد الفتاح طاهر : الحركة الصليبيه ج ٢ ص ١١٦٦ .

على هذا المدوان ، فهاجمهم في حصنهم العرقب هجيث مؤلف من سبعة الاف فارس
ملوكي خلا المشاء ، ولكنهم استطاعوا - رغم ان عددهم وقتذاك كان لا يزيد عن الستمائة
فارس ان يدفعوا قائد حصن الاكراد عن حصنهم في فبراير عام ١٢٨١ بمؤسائر في جانبهم
بلغت ثلاثة عشر قتيلاً ، احدثهم فارس والهاقون من طائفة توابع الفرسان (١) .

ومن حسن حظ الاسبتارية ان السلطان قلاوون كان يستعد انذاك للدخول في جولة
عسكرية ضد المغول بشمال الشام (٢) ، وأثر ان يتجهاد ن مع الفئات الصليبية القليلة
في هذه المنطقة ليأمن جانبها ويضمن حياها ، ولذا عقد في اوائل الصيف من ذلك
العام - اى في عام ١٢٨١ - صلحاً مع كل من الاسبتارية وامير طرابلس مدته عشر سنين
وعشرة اشهر وعشرة اسابيع وعشرة ايام ، تبدأ بالنسبة للاسبتارية في ١٢ مايو عام ١٢٨١ (٣)
وبالنسبة لطرابلس في ١ يولية (٤) .

(١) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit., FF.209-210

علما بأن هذا المؤرخ ذكر الواقعة خطأ ضمن احداث عام ١٢٧٩ . وفيما يتفق
بالتاريخ الصحيح انظر : د . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٦٦ ،
D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.232.

(٢) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit., P.210

(٣) المقريري : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٧٤ - ٩٧٧ (ملحق رقم ٦ - وهو منقول من
كتاب " بيبرس المنصورى الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ج ٩ ص ١٢٤ وما
بعدها)

(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.232; King, P.282

ولقد اتصرف اللاوون على العقول في ٣٠ أكتوبر عام ١٢٨١ بالقرب من حصن ، وأعلن
بعد عودته إلى دمشق عن عزمه على غسل عار الهزيمة التي لحقت بحامية حصن الأكراد
إمام المرقب وعلى استئناف الجهاد الإسلامي ضد كافة الصليبيين . وقد ل الخداهات التي
أرسلها كل من نقولا لورن

لهيئة الاستتارية ، ويوسف دى كانسى Joseph de Cancy رئيس الخزانة
في هذه الهيئة ، إلى الملك الإنجليزي ، إدوارد الأول ، في مارس عام ١٢٨٢ ، على مدى
ما أصاب فرسان الاستتارية آنذاك من ذعر ، وعلى حاجتهم العاسة للرجال والمؤونة
والعلاج . وقد طالب الرئيس الاستتاري ورئيس الخزانة من الملك الإنجليزي المساعدة
المادية ، والتدخل لدى شارل أنجو ، ملك مقلية ، وحامل لقب ملك بيت المقدس ، لالغاء
قرار الحظر الذي فرضه على تدمير الخيول والمؤونة للاستتارية من شفر إيطاليا الجنوبية .
غير أن رد إدوارد الأول - الذي كتبه بتاريخ ٢٠ مايو عام ١٢٨٢ - لم يتضمن ، بخلاف
الشكر على أخباره بأحداث الشام ، سوى تقديم الوعد بحماية أملاك الاستتارية في إنجلترا (١) .
ويبدو أن وصول هذا الرد السخيب للأمال عوماداً السيد الكبير للاستتارية ، نقولا لورن
والزعما الصليبيين الآخرين في عكا وصيدا وعثيث ، وهم وكل ملكة عكا ، والسيد الكبير لهيئة
الدائرية ، فضلاً عن نائب هيئة التيونون ونارسين من فرسان الملكة ، إلى السعى لدى
قلاوون في طلب الصلح (٢) ، الذي عقده معهم السلطان في ٣ يونيو عام ١٢٨٣ . وبالرغم

(١) انظر: D. Le Roux: Les Hosp. en T.S., PP. 233-234.

وقد نشر المؤرخ دي لا قيل خطابه السيد الكبير للاستتارية وأمين خزانة الاستتارية
إلى الملك إدوارد الأول ، ورد هذا الملك على أمين الخزانة في كتابه :

Cart. III, nos. 3761, 3781, 3788, 3790.

(٢) الاتفاقية منشورة في : التقريرى : الملوك ج ١ قسم ٣ ص ٩٨٥ - ٩٩٥ ملحق رقم ٨ ،
القلقشندي : صبح الأعشى ج ١٤ ص ١ - ٥ - ٦٣ .
وعن أسما المتعاقدين الصليبيين أرجع إلى :

D. Le Roux: Les Hosp. en T.S., P. 234.

من ان مدة هذا السطح كانت عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات فقد حاصر قلاوون
 في ١٧ ابريل عام ١٢٨٥ حصن المرقب ، وظل على حصاره حتى استولى عليه في ٢٥ مايو
 من نفس العام ، وسمح لخاصيته الاستباريه بالانتقال منه في امان الى مدينتي انطرمسوس
 وطرابلس القريبتين (١) . وفي ١٧ مارس عام ١٢٨٩ حاصر قلاوون مدينة طرابلس نفسها . وكان
 للاستباريه في هذه المدينة برج شيدوه حديثا ، فدافعوا عنها بفرقة كبيرة من قريسانهم
 بقيادة " العارشل " الاستباري متى كليرموت ، الى جانب جميع قنات الصليبيين بالشام التي
 هبت لنجدها ، ولكن طرابلس مع ذلك لم تستطيع الا ان تصمد للسلطان في ٢٦ ابريل
 عام ١٢٨٩ وهرب حمانها الى عكا عن طريق البحر تاركين وراءهم عددا كبيرا من الاسرى والقتلى
 من بينهم بعض فرسان الاستباريه (٢) .

وبعد ايام قلائل استولت العساكر السلطانية على حصن انقه الذي يملكه
 الاستباريه على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة طرابلس (٣) ، وذلك لم يتبق للاستباريه حصون
 او اماكن اخرى في الشام يدافعون عنها سوى امريتهم او دائرته في مدينة عكا . وقد تجمع
 في هذه الامر به جميع فرسان واعضاء الاستباريه الذين طردوا من حصونهم المختلفة بالشام
 على ايدى السلطانين بيمبرس و قلاوون ، فنبلا عن استتاع بيوت الاستباريه المختلفة

(١) انظر Chronique du Templier de Tyr, GP. Cit., Pt. 217-218 amadi, P. 216.

مع ملاحظة ان هذين المؤرخين ذكرا خطأ ان تاريخ الاستيلاء على الحصن هو ١٧
 مايو : اما التاريخ الصحيح فذكره ابو القدا (المختصر ج ٤ ص ١٢٣) وهو الساعة
 الثامنة من نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الاول سنة اربع وثمانين وستمائة ، ويوافق ٢٥
 مايو ١٢٨٥ علما بأن ابا القدا ذكر بأنه حضر حصار الحصن شخصيا ، وعصره
 انذاك ١٢ منه .

(٢) انظر : Chronique du Templier de Tyr, GP. Cit. , pp. 236-237

مع ملاحظة انه اورد الواقعة خطأ تحت تاريخ عام ١٢٨٨ . اما التاريخ الصحيح
 فقد اخذناه من المؤرخ العربي ابي القدا الذي حضر الحصار بنفسه على حد قوله
 (ابو القدا : المختصر ج ٤ ص ١٢٣) . انظر ايضا المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٣
 ص ٧٤٧ .

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P. 241.

(٣) انظر :

في الغرب ان ترسله اليها من الفرسان بناءً على استدعاء خاص من السيد الكبير للمسيحية
انذاك حنا الكبير Jean de Villiers (١) ، بحيث اصبح
للاستباريه في تلك المدينة ما يقرب من المئتين فارس وجندي ، وهو ضعف عدد فرسان
وجند الداوية فيها (٢) .

وكان السلطان قلاوون قد اعد حملة في عام ١٢٩٠ لفتح عكا ، ولكنه توفي في
شهر نوفمبر قبل ان يخرج اليها ، فتولى ابنه وخليته الملك الاشرف صلاح الدين خليل
اداء هذه المهمة (٣) . وقد بدأ السلطان خليل في ضرب اسوار المدينة بالمجانيق
منذ ان وصل اليها في ٥ ابريل عام ١٢٩١ (٤) . وعند ما شن عليها هجوما عاما فسمى
١٦ مايو استهل الاستباريه في الدفاع عنها جنبا الى جذب مع القنات الصليبية الاخرى
فلم يتمكنوا الجيش المملوكي المهاجم من الاستيلاء عليها . ولكن المماليك — بعد يومين
اثنين — اى في ١٨ مايو ، شنوا هجوما آخر اكثرا عنفا انتهى باستيلائهم على المدينة .
وقد قتل واسر في هذا الهجوم معظم فرسان الاستباريه وعلى راسهم القائد المشير —
(المارشال) متى كيرمونت الذي حضر صريعا بالقرب من شارع الجنوة بعد ان اشارت
شجاعته وطولته اعجاب الجميع . اما السيد الكبير حنا الكبير فقد جرح في المعركة —
ونقل الى احدى السفن الراسية في الميناء . فلما لحق به من استطاع النجاة — هذا اليوم —
من فرسان هيته ، وعدد هم سبعة ، على ما قيل ، اقلعت بهم السفينة الى جزيرة قبرص
حيث منحهم ملكها هنري الثاني لوزجنان حق الاقامة في مدينته ليجاسول الواقعة على

- (١) انظر : D. Le Roux: Les Hosp. en T.S. PP: 241 - 242 Ibid: (١) انظر :
Cart. III, nos. 4050, 4102. (٢) انظر :
Farochon, P. 56. (٣) وصل الى عكا في اغسطس عام ١٢٩٠ مجموعة من الصليبيين الايطاليين ، وذهبوا من
وجدوه فيها من التجار المسلمين — الذين كانوا قد دخلوها بمقتضى صلح عام ١٢٨٢
وعددا من السريان المسيحيين حسبهم مسلمين . وكان ان اخذ قلاوون في تمهيشة
جيوشه في مصر ، وامر الامير شمس الدين سنقر الاعصر بالاستعداد للحرب في الشام
انذار المقرئ : السلك ج ١ قسم ٣ ص ٧٥ ٣ — ٧٥ ٤ ، د . سعيد عاشور : الحركة
الصليبية ج ٢ ص ١١٧٨ — ١١٨١ ،
Grousset III, PP. 747-751. (٤) انظر :
Ibid, P. 751.

ساحلها الجنوبي (١).

الاستبارة في قبرص : (١٢٩١ - ١٣١٠) :

ولم يلبث السيد الكبير حنا فليبير ان استقبل في هذا الميناء القبرصي عددا كبيرا من اعضاء هيئته الذين استدعاهم من هيوت الاستبارة في اورها للتشاور معهم في امسار مستقبل هذه الهيئة ، واعادة تنظيمها (٢). وقد طالب فريق منهم بانتقال الهيئة الى احد موانئ ايطاليا لاستحالة بقائها بجزيرة قبرص في ظل القوانين المجففة ، التي اصدرها الملك القبرصي هنري الثاني لوزجنان ، وحرّم فيها على الاستبارة والدأويه امتلاك ارض وعقار في جزيرة ، كما فرض عليهم دفع ضريبة الرأس ، هذا بالاضافة الى ان ميناء ليماسول الذي سمح لهم بالاقامة فيه ، ضيق ولا يوجد به سوى حصن واحد صالح لصد غارات القراصنة (٣).

غير ان السيد الكبير حنا فليبير ، وقدامى الاستبارة ، هتدوا بحزم فكرة الانتقال من قبرص ، لانهم رأوا ضرورة بقاء الهيئة بالقرب من الارض المقدسة الى ان تحين فرصة العودة اليها بقوة السلاح (٤). وعندما تغلب هذا الرأي الاخير ، اتفقوا فيما بينهم على ان يسلحوا سفنهم التي جاءوا بها من الشام واورها ، حتى يمكن استخدامها في محاولات العودة فضلا عن حراسته الحجاج الاوربيين في البحر (٥) ، وحماية سواحل

(١) انظر : PP. 55-59 D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 243-244; Farochon, (٢) انظر :

Vertot II, PP. 1-2, ; Fl ndin, P. 79.

(٣) انظر : Vertot II, PP. II, 24; Flandin, PP. 79-80.

وعن القوانين القبرصية المجففة بالاستبارة والدأويه انظر ايضا : Hill II, PP. 198-199

(٤) انظر : Vertot II, P. 11; Flandion, P. 80

(٥) انظر : Vertot II, PP. 11-12.

قهرى وارمينيه (١).

وهكذا تشكلت نواة القوة البحرية للاستتارية، وهى القوة التى ازدادت تهيؤا لاضافة سفن جديدة اليها عن طريق صناعتها او عن طريق اسر بعض سفن المسلمين . وقد ترتب على تحول الاستتارية الى النشاط البحرى ان اضطروا الى البقاء ، فترات طويلة فى البحر بعيدا عن رقابة رؤسائهم فى ليما سول ، فاستهانوا بنظام الهيئه وقانونها ، كما استباحوا لانفسهم غنائم الاسطول بدلا من تسليمها الى خزانة عيبتهم ، كما نقضوا بذلك قوانينهم ، فعاثوا بهذه الغنائم حياة مفرقة متحله من قواعد الاخلاق ، مما شجع ملكى انجلترا والبرتغال على مصادرة امولاك الهيئه فى بلدتهما ، واضطر البابا كلستين الخامس الى ان يذكر اعضا هذه الهيئه بصفاتهم الدينيه ، ويحثهم على التزام قواعد قانونهم التى نقضوا بالقهر والطاعه والعنف (٢).

وكان لابد للسيد الكبير خنا فيليبير من ان يتدارك الامر ، فعقد فى مدينة ليما سول مؤتمرين عامين لاعضاء هيئته ، احدهما بتاريخ ٦ اكتوبر عام ١٢٩٣ (٣) . والثانى فى ٢٠ اكتوبر عام ١٢٩٣ ، اتخذ فيهما ما يلزم من قرارات لعلاج هذا الخلل . وقد استمرت هذه الحركه الاصلاحيه فى عهد السيد الكبير اولدى بنز Eudes des Pins

الذى خلف خنا فيليبير بعد وفاته فى نهايه عام ١٢٩٣ ، او اوائل عام ١٢٩٤ . ولكنهما انجبت الى الرغبه فى الحد من السلطات الواسعه التى كان يتمتع بها السيد الكبير للهيئه (٥)

(١) فى ٢٣ يناير عام ١٢٩٣ اصدر البابا نقولا الرابع امرا الى السيد الكبير للاستتارية خنا فيليبير باستخدام سفن الاستتارية فى الدفاع عن ملكتى ارمينيا وقهرى . انظرا :

D. Le Roulx: Cart. III no. 183, Vertot II, pp.12-18; Flandin, PP.81-83.

(٢) انظر :

D. Le Roulx: Cart. III, no. 4194

(٣) انظر :

Ibid: , no. 4234.

(٤) انظر :

Ibid: Les Hosp. en T.S., PP.244-248.

(٥) انظر :

وكانت تصرفات السيد الكبير أود ، في الواقع ، أحد العوامل الرئيسية لهذا الاتجاه في الحركة الإصلاحية ، إذ كان راهبا طاعنا في السن أمضى وقته كله في التعبد والصلاة ، وفي حوسن العمل واجباته الأخرى كرئيس لبيت حربية أكثر ما عني دينيه أو خييه . وقد طلب سب منه كهارا عناء شديته أن يولى اهتماما خاصا بمعالجة مشاكلهم العاجلة مثل أممادة النظام وسيطرة القانون داخل البيت ، والسعى لدى ملك قهرى لكى يرفع عنهم ضريبة الرأس ويسمح لهم ببناء البيوت اللازمة لإقامة زملائهم الوافدين باستمرار من الغرب ، وكذلك الاتصال بملكى الجلترا والبرتغال لكى يرفعوا عن أملاك الاستتارية فى بلد يهبط قوانين المصادرة ، وتوجيه مزيد من العناية لاسطول الاستتارية الذى أصبح بشكل المورد الحقيقى الثابت لدخلهم بعد أن فقدوا أملاكهم فى الشام ، ورهنوا الجاذب الأكبر من أرضهم وعقارهم فى الغرب لمواجهة أعباء الدفاع فى السنوات الأخيرة لهم بالشام (١)

غير أن السيد الكبير أود تجاهل رغباتهم ، فرفموا ضده شكوى إلى البابا بونيفيوس الثامن ضمنوها مشروعا للإصلاح طلبوا من البابا أن يوافق عليه . ويقضى هذا المشروع بإنشاء مجلس دائم للرئاسة يتكون من ستة أعضاء (definitors) يمثل كل منهم إحدى الطوائف القومية أو الجنسيات التى تتألف منها هيئة الاستتارية ، على أن يمثل السيد الكبير الجنس السليم التى ينتسب إليها . واقترح المشروع أن يمنح هذا المجلس سلطات واسعة تسمح له بمساعدة السيد الكبير فى أعماله ، ومراقبة تصرفاته ومشاركته فى إصدار القرارات الهامة (٢) . وقد رد البابا على هذه الشكوى بخطاب تاريخه ١٢ أغسطس

(١) انظر: Vertot II, PP.28-29; Flandin, P.84

(٢) انظر: D.Le Roulx: Cart. III, no. 4267; Ibid: Les Hosp.

en T.S., P.248; Hill II, P.200

عام ١٢٩٥ (١)، أمر فيه السيد الكبير اود بليك اخطائه السابقة ، والبدء في العمل على الدفاع عن مصالح هيئته . وعندما استلم اود هذا الخطاب استعد للسفر الى روما لتبرئة نفسه امام البابا ، ولكن المنيعة عاجلته بمدينة ليماسول ، في ١٧ مارس سنة ١٢٩٦ ، وهو على وشك القيام برحلته (٢) .

وكان ان اختيار الاسبتارية ، في ٢٦ مارس سنة ١٢٩٦ ، رئيس شعبه مان چيبل المدعو وليم دي فيلاريه Guillaume de Villaret سيدا كبيرا لهيئتهم خلفا لاود (٣) . وارسلوا اليه ، مع قرار اختياره ، خطابا ضمنوه ماخذهم على السلطة المطلقة للسيد الكبير ، وطلبوا منه هذا الجهد للقضاء عليها (٤) . غير ان وليم دي فيلاريه ، بدلا من ان يشرع فوراً في معالجة هذه المسألة ، اضاف اليها واحدة اخرى حين اعلن انه ينوي ان يصرف شئون هيئته من مقره في بروفا نمر بفرنسا وعدم السفر الى قبرص ، وهو ما يخالف قانون الهيئته الذي يلزم السيد الكبير بالاقامة في مركز الهيئته . ومال به السيد الكبير وليم ان اتبع ذلك بمخالفة اخرى للقانون والبتة اليد في هيئة الاسبتارية ، وهي استدعائه لفرسانه لحضور مؤتمر عام يعقد برثامته في مدينة افنيون بفرنسا في اول اغسطس عام ١٢٠٠ . وعندئذ ارسل اليه اعضاء مجلس الادارة المقيمون في ليماسول سفارة مؤلفة من وليم دي شو Guillaume de Chaus ، وحبلا اللاذقي Jean de Laodice عرضت عليه وجهة نظرهم بضرورة حضوره الى مركز الهيئته

(١) انظر : D. Le Roulx: Cart. III, no. 4293; Ibid: Les Hosp.

en T.S., P.248.

Amadi, P.233; Hill II, P.200

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.251.

(٤) الخطاب موجه اليه من المؤتمر العام لهيئة الاسبتارية ، وتاريخه ٣ ابريل عام ١٢٩٦

D. Le Roulx: Cart. III, no. 4310.

ونشره

في ليماسول . وقد تدخل البابا بونيفيوس الثامن ، وكبار الاسبتارية ، مدبرو بيوت البهيمه
في فرنسا وإيطاليا ، لصالح وجهه نظر مجلس الاداره . بعد ان وعدهم خطابات منه بذلك
حملها اليهم المبعوثان . واخيرا انتهت الازمه بتراجع السيد الكهبروليم عن موقفه وموافقته
على السفر الى قبرص (١) .

وفي تلك الاثناء كان الاسبتاريه في قبرص يدبرون ، مع الدايه والملك القبرصي
هنري الثاني لوزجنان ، لتوجيه حمله مشتركه الى مصر والشام ، لفتحهم فرصه الهزمه التي منى
بها بها السلطان المملوكي ، الناصر محمد بن قلاوون ، على يد صديقيهم المغولي غازان ،
خان مغول فارس ، وحلفائه من الارمن ، في موقعة حصص (عام ١٢٩٩) (٢) . وقد
اقلعت الحمله المشتركه - وعدتها ست عشرة سفينه كبيره ومضعة سفن صغيره - من ميناء
ليماسول ، في ٢٠ يولييه عام ١٣٠٠ (٣) ، بها بعد وصول السيد الكهبروليم مباشرة الى
هذا الميناء (٤) ، واتجهت راسا الى مصر حيث نهبت مدينة رشيد والمواقع الساحليه
الاخرى حتى مدينة الاسكندريه غربا ، واسرت سفينه للمغاربه . وانتقلت الحمله بعد ذلك
الى ساحل الشام ، فقامت بغزوات فاشله في عكا ثم انطرموس ، وعندما وصلت الى ميناء
مرقيه نزل فيه الاسبتاريه ، بقيادة نائب السيد الكهبر ، واحتلوا مراكزهم القديمه بسهسه .
ويعتقد ايضا ان الاسبتاريه وصلوا ، بمساعدة فرقة مغليه ، الى مدينة بيت المقدس ، واحتلوا
قصره قصيره من الزمن ، ثم ارغموا على الجلاء عنها عندما استدعى غازان خان فرقته لاضطراره

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 253-258.

(١) انظر :

Ibid: Op. Cit., P. 258.

(٢) انظر :

Chronique du Templier de Tyr: Op. Cit., P. 303.

(٣) انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 258-259.

(٤) انظر :

الى الموده الى بلادهم لمواجهة ثورة داخلية قامت فيها ضد صولم بيه ان تم طرد
الاسبتاريه كذلك من مرقيه ، ورجعوا الى زملائهم الداويه والقبارصه في اسطول الحله
امام هذا الميناء ، ثم عادوا ادراجهم بهذا الاسطول الى جزيرة قهرى من طريق
ساحل ارمينيه - قيليقيه (١) .

على ان الاسبتاريه وحلفائهم القبارصه والداويه ، رجعوا مرة اخرى الى ساحل
الشام في نوفمبر من نفس العام - اى فى عام ١٢٠٠ - بعد ان وعدهم غازان بموافاتهم
هناك . وكان قوام الحمله الجديده ثلثمائة فارس قهرصى بقيادة عمورى لوزجنان ، اخصى
مسلك قهرصى عبرى الثانى ، ومثلهم من فرسان الاسبتاريه والداويه . وقد استولوا على
مدايه الامراء مدينة انطرموس فلما تأخروا وصول المقل انسحبوا منها وتحصنوا فى جزيرة
ارواد فى مواجهتها . ولم يلبث الفزاه ان علموا بان الجيش المقلولى الذى ارسله
غازان الى شمال الشام بقيادة قطلوشاه قد رجع الى بلادهم بعد غزوات قليله وعديمه
الجدوى قام بها بين حلب وحماة ، فانسحبوا بدورهم من ارواد وعادوا الى قهرى ، فقام
عدا الداويه ، الذين تحصنوا فى جزيرة ارواد ، فى قلعة شيدوها لهذا الغرض
الى ان طردهم الاسطول المملوكى منها فى ١٢ اكتوبر عام ١٣٠٢ (٢) .

وسمما يكن من امريائين الحملتين ، فان مساهمة الاسبتاريه فيها لم تعطى
الميد الكبير ولهم دى قبطاريه عن هذا اصدق الجهود لدرأ التصدع فى نظام هيئته
واعادة تنظيمها بما يتلاءم مع ظروفها الجديده فى قهرى ، وذلك بالتعاون مع المؤتمر

(١) انظر : Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit., PP.303-306;
Amadi, P.236; Hill II, PP.213-214.

علم بأنه لم يكدر واقعة وصول الاسبتاريه الى بيت المقدس سوى المؤرخ فرنسوا

(vertot II, P.37) وكذا المؤرخ فلاندا (Flandin, P.84)

الذى يدو انه نقل عن فرنو .
(٢) انظر :

Chronique du Templier de Tyr: OP.Cit., P.309,
Amadi, PP.237-234, Hill II, PP.214-215;

العام للاستتارية ، الذي عقد في مدينة ليماسول - لهذه الغاية - خمس مرات منذ وصوله الى هذه المدينة من اورشليم عام ١٣٠٠ حتى وفاته في عام ١٣٠٥ (قبل نوفمبر) بواقع مؤتمر عام واحد في السنة خلال شهر اكتوبر او نوفمبر (١). وكان لدى مقدمة الاجراءات التي اتخذتها هذه المؤتمرات تحديد سلطات كبار موظفي الادارة المركزية ، واعادة ترتيب وظائفهم بحسب درجة اهمية كل منها ، بعد ان تقرير انشياء وظيفة امير البحر - او الاميرال - لقيادة الاسطول - وازدادت الاهمية الوظيفية للمشير (المارشال) وهو بمثابة وزير البحرية داخل هيئة الاستتارية ، بحيث اصبح ترتيبه الثالث بعد السيد الكبير والامراء والمراقب الكبير ، وللتروكوبلي - قائد فرقة الفرسان الخفيفية المعروفة بفرقة التروكوبلي ، وهي فرقة مساعده لا يمتنع من افرادها بعضوية هيئة الاستتارية سوى قائدها التروكوبلي (٢).

ومن الامور الاخرى التي شغلت اذهان السيد الكبير ولاديم فيلاريه وكبار الاستتارية ، ائذاك ، اصرار الملك القبرص ، هنري الثاني لوزجنان على تحصيل ضريبة الرأس منهم ، وعدم رفع القيود التي فرضها على اقامتهم في جزيرته (٣). وكان ان اتجه تفكيرهم الى التخلص من مضايقاته بالانتقال من جزيرة قبرص الى موضع آخر يتمتعون فيه بحرية العمل وقدر اكبر من الاستقلال على ان يكون هذا الموضع قريباً من الشام الذي ياملون في العوده اليه (٤).

(١) قرارات هذه المؤتمرات الخمسة منشورة في D. Le Roulx: Carta III, IV تحت التواريخ والارقام التالية

5 nov. 1300 (C. III, No. 4515), 22 oct. 1301 (C. IV, no. 4549),

28 oct. 1302 (C. IV, no. 4574), 3 nov. 1303 (C. IV, no. 4612),

23 nov. 1304 (C. IV, no. 4672).

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 263-265.

Hill II, PP. 199, 218.

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) لم يفقد الاستتارية مطلقاً ، حتى بعد ان اقلعوا في اقامة دوله لهم في رودس ، ثم في سالطه من بعدها ، الامل في العوده الى الارض المقدسه ، ولذا احتفظوا معهم دائماً بالوثائق التي تعينهم بعد العوده على استرداد ممتلكاتهم التي كانت لهم فيها . انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P. 244 no. 5.

فروز رودس (١٢٠٦ - ١٢١٠) :

وقد وقع اختيار أوليم دى ميلاريه ومساعديه - بالقلع - على جزيرة رودس من لانها لا تبعد كثيرا عن بلاد الشام ، ولان وقوعها على الطريق البحرى بين اوربا والشرق يسهل للاستتار به مهاجمة السفن التى تحمل السلع الحربيه ، مثل الخشب والحديد والقصاص والبريق ، الى مصر (١) ، مركز المقاومة الاسلاميه لاهدافهم فى الشام ، فضلا عن حراسه سفن الحجاج المسيحيين الى فلسطين ، وتقديم المساعدات المأجوله الى مملكتى قبرص وارمينيه المسيحيين (٢) ، عند وقوع هجوم اسلامى عليهما من جانب جيرانهما الصاليك او الاتراك او عندما تريد احدهما - او غيرها من دول اوربا - تدهيم عدوان صليبي على "هيو" الجيران (٣) . هذا الى جانب ان جزيرة رودس كانت ، آنذاك ، من الناحيه الواقعيه تحت سيطرة الاتراك السلاجقه بقيادة امراء منتشه Mentéché على الساحل الشرقى لاسيا الصغرى (٤) ، وهى سيطرة اسلاميه ينفذ قمرسان الاستتار به دفعها بعيدا عن بحرايجه وسواحل آسيا الصغرى ، ومن الناحيه الشكليه تحقق حكم الدوله البيزنطيه (٥) ، وهى دوله مسيحيه ارتودكسيه لا يجد الاستتار به ، وهم لاتين كاثوليك

(١) انظر : Chronique du Templier de Tyre, OP.Cit. , PP.319-320.

(٢) انظر : Atiya: The Crusade in the Later middle Ages, P.290.

(٣) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.276.

(٤) انظر : Heyd I, P.537; Gibbons: The foundation of the Ottoman Empire, P.43; mas - LatrieII , 2, P.60

Heyd I, P.537

(٥) انظر :

أى لمضاضة فى انشراح ارضها وذلك كله فوق ما تنتفع به جزيرة رودس من مميزات خاصة
كثيرة بأن تساعد فرنسا الاستتارية على تاصير دوله قويه لهم فيها ، مثل خصوصية
ارضها بتنوع محاصيلها واتساع رقعتها ، وجودة عوائدها الطبيعية ، ومجدها
الجغرافى القديم (١) .

بعد ان تعرف وليم دى فيلاريه على احوال الجزيرة وتخصيباتها ، فى زيارة
خاطفه قام بها شخصيا لسواحلها ، عزم على السفر الى ارضها ، لطلب المساعدات اللازمه
لتنفيذ مشروعه باحتلال رودس ، من حكامها وخاصة الهابا ملك فرنسا ، ولكن المنع
عاجله فى ليما سول فى عام ١٢٠٥ قبل ان يقوم بهذه الرحله (٢) . واختار الاستتاريه
عندئذ - ابن اخيه وثائمه فولك دى فيلاريه

Foulques de Villaret سيدا كبيرا ليهبتهم خلفا له (٣) ، اتقادا
منهم بأنه اكثر من غيره العاما بمشروع عمه وقدرة على تنفيذه (٤) .

بعد وان فولك دى فيلاريه رأى ان يمشير ، قبل اتخاذ الاجراءات اللازمه
لعملية غزو رودس ، قرصانا جنوبا ، اسمه فينيولو دى فينيولى Vignolo de Vignoli
اشتهر بمغامراته ضد الاتراك فى بحر الارخبيل لحسابه الخاص ، اولحساب الامبراطور

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.1.

(٢) انظر : Vertot II P.60; Hammer: III , P.271.

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.267.

(٤) انظر : Vertot II, P.61.

البيزنطى اندرونيق الثانى - الذى كان قد منح ثنيولوشا لهذه المغامرات جزيرتى لانجو، وليموس، الى الشمال من رودس^(١)، فاستدعاه فلولك لمقابلته فى جزيرة قبرص^(٢)، أو أن هذا القراصان قد وصل الى قبرص من نفسه ليعرض خدماته على السيد الكبير للاستئجاره^(٣)، بعد ان استشف نواباه نحو رودس من الزياره التى قام بها سلفه، وليم دى ثيلاريه، لهذه الجزيره، أو من بعض الاستجاره المظلمين على مواطن الامور فى همتهم، أثناء قيامهم بحراسه لقاقله من الحجاج المسيحيين او بعمل من اعمال القرصه ضد التحرك عند مدخل بحر الارخبيل مركز نشاط ثنيولو.

ومما يكن من امر ذلك فان السيد الكبير فلولك والقراصان ثنيولو لم يستطعا الا ان يجتمعا سرا، بتاريخ ٢٧ مايو عام ١٣٠٦^(٤)، فى كنيسة صغيره اسمها كنيسة القدوس جورج الاغريقى، تقع على الساحل بعيدا عن ميناء ليماسول بنحو ميلين^(٥). لان حكومة الجزيره - وقتذاك - كانت تطارد الجنويه بتهمه القيام باعمال تخريبية ضد قبرص، وتشجيع القراصنه على النزول فى اراضيها رغما عن قوانين الجزيره التى تحرم ذلك^(٦)، هذا بالاضافه الى ان حكومة قبرص كانت تنقم على خال للقراصان ثنيولو اسمه اندرياسا مونسكو Andrea Moresco - وهو جنوى مثله - بسبب قيامه بعمل من اعمال القرصه ضد الجزيره^(٧).

- | | |
|--|-----------|
| Golubovich III, P.144. | (١) انظر: |
| Chronique du Templier de Tyr: Op. Cit., P.320. | (٢) انظر: |
| Amadi, PP.254-256 | (٣) انظر: |
| D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.273 | (٤) انظر: |
| Ibid: OP.Cit., P.275. | (٥) انظر: |
| Amadi, P.255; Hill II, P.201. | (٦) انظر: |
| D. Le Roulx. los Hosp. en T.S., P.273 no. 2. | (٧) انظر: |

وقد تم في هذا الاجتماع ، بين فولك وكنيولو ، التوقيع على اتفاقه (١) تنص
 بأن يؤول الى هيئة الاستتارية ثلثا دخل الجزر التي يتم الاستيلاء عليها ، بمعاونة
 كنيولو ، في بحر الارخبيل ، على ان يؤول الثلث الباقي الى هذا القرمان . وقد
 استثنى من ذلك جزيرة رودس التي تقران تؤول ملكيتها كاملة للاستتارية بشرط ان يسمح
 لكنيولو بالاحتفاظ فيها بضيعة كانت قد آلت اليه يقتضى منحه من الامهراطير الهيزنطى
 اندرونيق الثانى ، وأن يختار هيئة اخرى فى الجزيرة بعد اتمام فتحها . واتفق كذلك على
 ان تكون جزيرة لانجو وليروس من نصيب الاستتارية بالرغم من ملكيتها السابقة لقبولس
 بشرط ان يعطى هذا القرمان حق تعيين الحكام والموظفين ، وإقامة العداله ، فى
 هاتين الجزيرتين ، وفى الجزر المجاورة لهما ، بعد اخذ موافقة السيد الكيرلسيوس
 الاستتارية التي تحتفظ لنفسها فى هذه الجزر بحق اصدار الاحكام الخطيرة ومنها عقوبة
 الاعدام .

وبناء على هذا الاتفاق ، ابحر من ميناء ليماسول ، فى ٢٣ يونيه عام ١٢٠٦ (١)

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 274 - 276.
 صاحب قصة غزو رودس من التي اخذ بها المؤرخون ديبلاثل (الاستتارية فى الارض
 المقدسه وفى قبرص من ١٢٧٦ - ١٢٧٨) ، وعزيز سوريال عطيه (الحرب الصليبيه
 فى العصور الوسطى المتأخره من ١٢٨٨ - ١٢٨٩) ، هل (تاريخ قبرص الجزر
 الثانى من ١٢٠١) هو المؤرخ الايطالى القديم اما دى ، مع مراعاة انه تكلم على
 اساس ان واقعة الشوكليه تمت فى عام ١٢٠٨ (من ١٢٥٤ - ١٢٥٩) . اما عن هذه
 عمليات الغزو فى عام ١٢٠٦ فقد قال به سائر المؤرخين المعاصرين الاخرين ،
 ومنهم المؤرخ الداوى من مدينة صور

(Chronique du Templier de Tyr, OP.Cit , P.322).

وجوردان الكذاب Il Pseudo Jordanus ، والاخ المينوريتى

باولينو اليندى Il minorita fr. Paolino Veneto

الظر (Golubovich III, P.144) ومؤرخ قبرص القديم

بمشرىون Flor. Bustron (D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S. P.278)

وبن الادله على صحة القول بأن غزو رودس بدأ فى عام ١٢٠٦ ان البابا بندكت الحادى
 عشر اصدر منشورا فى ٥ سبتمبر عام ١٢٠٧ صدق فيه للاستتارية على اعدائهم رودس الى

اسطول امباري صغير مؤلف من ست سفن حربية مختلفة الانواع والاحجام ، على ظهرهما
خمس وثلاثون فارسا امباريا وستة من الخيالة الخفيفة المعروفين بالتركوليه وخمسة
من الجند المشاة . وعند راس سان پيفاني Cap S. Piphani ، على

الساحل المشوي لجزيرة قبرس ، انضمت الى هذا الاسطول سفيتان جنويتان ، احدهما
ملك للسيد بادين سپينا Badin Spina والاخرى ملك للسيد

مخائيل دي لافوتا michiel de La Votta وهما من الصغار

فنيولو ، وتوجهت العمارة المشتركة - عندئذ - الى جزيرة قشتيل الروج ، الواقعة بالقرب
من ساحل آسيا الصغرى على بعد مائة ميل شرقي رودس ، حيث القت مرامسها ، وربما
احتلتها ايضا ، لمدة شهر تقريبا في انتظار عودة فنيولو من زيارة استطلاعية قام بها للتعرف
على احوال جزيرة رودس . فلما تأخر وصوله ، بسبب وقوعه في اسراهن اخته لوسيس
موريسكو Loys Morisco اقلع الاسطول متجها الى جزيرة

لاجويلا La Guilla على الطريق الى رودس ، حيث
التقت به سفينة فنيولو - بعد اطلاق سراحها - ثم تابع الاسطول سيره الى ان بلغ
موقعا قريبا من ساحل الاناضول ، في مواجهة جزيرة رودس ، رسا فيه (١) .

وما لبث ان خرج من هذا الموقع القبطانان الجنويان بادين سپينا ومخائيل
دي لافوتا ، في سفينتيهما ، لهما ، حصن مدبلة رودس العاصمة ، على حين تقدمت لفرقة
امباريه صغيره ، قوامها فارسان وخمسون من الجند المشاة ، الى جزيرة لانجو ، فاستولت
عليها ، ثم ارتدت عنها لعدم تعاون سكانها الاغريق معها (٢) .

(١) Amadi, P.256.

(٢) Ibid, PP.256-257.

ونسى فغضبوا لذلك هرب من اسطول الفرو جندى اغريقى ، كان ملتحقا بخدمة الاسبتاريه ، وتوجه الى جزيرة رودس حيث افشى سر القبطائين الجنوبيين باد بن سوليا وميخائيل دى لافوتا ، فافسد عليهما خداتهما ، وواقعتهما فى مأزق مع الاهالى اللتا منه بصعوبة بعد ان افلحا فى اقناعهم بان زيارتهما للجزيرة كانت كالمعتاد للاستحمام والتزود بالموثونه (١) .

وما كان يخل اليوم السابع عشر من شهر عام ١٢٠٦ حتى ظهر اسطول الفرو بكامل سفنه امام مدينة رودس . ونزلت منه على الفور بعض القوات المسلحة حاصرت حصن هذه المدينة من ناحية البحر على حين قام الاسطول بحصاره من ناحية البحر . وبعد ثلاثة ايام - اى فى ٢٠ شهر - استولت فرقة اسبتاريه على حصن فيراكليس (Pheraclos) وهو حصن قديم مهديم على الساحل الشرقى للجزيرة . ولكن عندما حاول الاسبتاريه - بعد ذلك بخمسة ايام - اى فى يوم ٢٥ شهر اتمام حصن مدينة رودس اصابهم الفشل . ونظرا لبناء هذا الحصن ، وقوة حاميتيه الهيئتيه ، وعدم رغبة الفرقة الاسبتاريه فى هدمه او إلحاق الاذى بمن فى داخله من الاهالى المسيحيين ، فقد اكتفى الاسبتاريه بتشديد الحصار حوله الى حين وصول نه زيارات اليهم من الرجال والاسلحه طلوهما من قبرص (٢) . وفى ١١ نوفمبر وصل الى معسكرهم ، امام حصن رودس ، رسول من قبل القائد الاغريقى الجندى لخصن آخر ، هو حصن فيلرموس (Filermos) الواقع الى القرب من مدينة رودس فوق جبل يحمل نفس الاسم فيلرموس ، عرقى عليهم رغبة سيده فى ان يعلم حصنه اليوم بالامان . وقد ارسل الاسبتاريه مع الرسول الاغريقى عددا كبيرا من

Amadi, P.257.

(١)

Ibid, PP.257-258.

(٢) انظر :

قواتهم ، فسلموا الحصن من قائده وحملوا حاميته التركيبة المؤلفه من ثلاثمائة رجل (١) .

على ان سقوط حصن قيسريوس في ايدي الاسبتاريه لم يقدم لهم ما يفيدهم في الاستيلاء على حصن مدينة رودس . وقد رأى الاسبتاريه ، بعد مرور عامين من الحصار المحكم حول هذا الحصن ، ان يجربوا طريقا آخر للاستيلاء عليه ، غير طريق استخدام القوة ، وهو طريق المفاوضات مع الامبراطور البيزنطي اندرونيق الثاني ، فاسلوا اليه سفيرا عرض عليه الموافقه على ان يحكم الاسبتاريه جزيرة رودس تحت رعايته العليا ، مقابل تعهد من الاسبتاريه بمدد كل عام ثلاثمائة فارس ، فضلا عن قيامهم بتطهير جزر الارخبيل من القراعه الاثراك . غير ان الامبراطور رفض هذا العرض (في ابريل عام ١٢٠٨) (٢) فلم يجد الاسبتاريه امامهم عنده سوى الاستمرار في محاصرة حصن مدينة رودس من جميع النواحي ، فاستسلم لهم .

على ان اهالي مدينة رودس ، عندما احسوا بقرب نفاذ ما لديهم من ذخائر ومؤون بسبب طول هذا الحصار ، ارسلوا مبعوثا الى الامبراطور اندرونيق الثاني ، لايلاغه بانهم في حاجه الى مجده عاجله عنه . وقد استأجر الامبراطور سفينه جنويه مملوئه بالاسلحه والمؤون ، وبعث بها الى رودس بقيادة الصغير الذي وصل اليه من اهليها . غير ان فاصله هو جاء اجبرت السفينه على اللجوء الى ميناء فاما جوستا بقرص ، حيث التقى بها فارس قبرصى اسمه بطرس ليجون (Pierre Le Jaune)

كان يقود سفينه مسلحه للاستيلاء عليها ، فامسرها واتخذها الى جزيرة رودس . ولكي يتقصد

(١) انظر . OP.Cit. Amadi, P.258; Chronique du Templier de Tyr, pp. 320-321.

(٢) انظر : D.Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.277; Atiya: The

Crus. in the lat. mid. ages, P.289; Hammer III, PP.271-272;

قائد السنينه الاسيره حياته ، عرض على الاستقاريه في رودس ان يسحبوا له بالتوسط
بينهم وبين حامية حسن المدينة بشأن تسليم هذا الحصن لهم ، وقد وجد هذا القائد
الرودسي ان الحلحة على استمداد لاخلأ الحصن اذا ضمنت سلامة ارواحها واطلاكها .
وقد وافق الاستقاريه على هذا الشرط وتسلموا الحصن ^(١) في ١٥ أغسطس من عام ١٣٠٨ (٢)

(١) يذكر المؤرخ بليوتى (Biliotti, P.133) ان

الاستقاريه استولوا على مدينة رودس من الماحصه بخدعه مؤداها ان جماعة منهم لبسوا
جلود الغنم واقتتلوا ، في اسببه مظلمه غزيرة المدثر ، يقطع من هذه الحيوانات
كان الرعاء يسوقونه الى داخل المدينة ، وما ان نفذوا من البوابه ، بهذه الطريقه ،
حتى القوا عنهم الجلود التي يلبسونها فواجهوا الحراس فقتلواهم ، ثم دخلوا
في معركة اخرى مع الجند الذين جاؤوا مسرعين على صوت استغاثة الحراس ، التي
ان وصل لنجدتهم اخوانهم فرسان الاستقاريه من مواقع الحصار ، واشتتت المعركة ،
على هذا ، بالنصر والاستيلاء على المدينة ، ويستطرد المؤرخ بليوتى قائلا بان
هذه الواقعة نقشت فيما بعد على بسط فلخره صنعت في مدينة القوس بقتنيسي
وامر السيد الكبير بطرس دومينيون (١٤٢٦ - ١٥٠٣) ، وقام برسمها
الفنان .

Quentin Messis

وما يلاحظ ان الرحاله انجلور (D' Anglure)

الذي زار رودس عام ١٣٩٥ قد اورد هذه الواقعة ولكن بنسبة الاستيلاء على حصن
فيلوميس وليس على مدينة رودس (انظر :

D'Anglure: PP .205-206

(٢) هذا التاريخ قال به المؤرخ د بلاثيل (الاستقاريه في الارض المقدسه وفي فيسروس
ص ٢٢٨) نقلا عما فهمه من رواية امادي ، وعلى اساس ان عملية الفزويد اتفقت
عام ١٣٠٦ وان سائر المؤرخين المعاصرين اجمعوا على ان حصن رودس استسلم
بعد عامين من حصاره الذي بدأ بمجرد التناول على يابس الجزيرة .

(٥)
او من عام ١٢١٠ وهو الأرجح .

(١) قال بهذا التاريخ المؤرخون المصاصون جوردان الكذاب ، والاع المينوريتي ، واوليسس
الهندقي ، والاع المينوريتي كوستونغر القبرص
La minorita Fr. Cristoforo di
Cipro

والدومينيكانى برناردو جويدونى
Bernardo Guidone
(انصر :
(Golubovich II, P. 209; Golubovich III, P. 114)
ونحن نعتقد بان ما دى يتفق مع هؤلاء المؤرخين فى ان استسلام حصن رودس من قبلهم
عام ١٢١٠ وبالرغم من انه لم يذكر ذلك صراحة ، فهذا المؤرخ سرد قصة سقوط
رودس كلها تحت عام ١٣٠٨ او كرايا هذا الفريد فى شهر يونيه من غير ان يحدد العام
(هـ ٢٥٤ ، ٢٥٦) ومعنى ذلك انه يقصد شهر يونيه من عام ١٣٠٨ . ثم تكلم عن حصن
مدينة رودس فقال بان الاستتار به يدوا فى حصاره بسجود نزولهم الى يابس الجزيرة
(هـ ٢٥٧) ، اى - بحسب روايته - فى يونيه عام ١٣٠٨ ، واستطرد قائلاً بان حصار
الحصن استمر عامين (٢٥٨٨) قبل ان يستسلم ، وذلك معنى بان الحصن استسلم
فى عام ١٢١٠ .

ويؤيد جولوبوفتش (الجزء الثالث ص ١٤٤) الرواية القائلة بسقوط رودس العام
فى ١٥ أغسطس عام ١٢١٠ . كما ان هل (تلويح قبرص الجزء الثانى ص ٢٠١) يرجع
هذه الرواية ويحاول ان يوفق بينها وبين الرواية القائلة بعام ١٣٠٨ ، فيذكر ان
بضمومه يمكن الاعتقاد باستسلام حامية المارسة فى عام ١٢٠٨ ولكن تم اخضاع بقية
الجزيرة فى عام ١٢١٠ . على انه يجب ملاحظة ان هذه المحاولة للتوفيق تتعارض
مع رواية المؤرخ القديم برناردو جويدونى القائلة بان المارسة والجزيرة كلها سقطت فى
عام ١٢١٠ (انصر : جولوبوفتش ج ٢ ص ١٤٤) . اما دكتور عزيز سوربال عطية
الحرب الصليبية فى المصور الوسطى المتأخرة ص ٢٨٩) فيرى بعدم وجود سبب يدعو
الى معارضة ما دى ، ويذكر اسم مؤرخ قديم آخر قال بعام ١٣٠٨ هو
Villani
هذا وهناك مجموعة من المؤرخين المحدثين منهم
(Biliotti, P. 133)

(De naberat, P. 54) , (De Belabre, P. 21) رفضوا عامى ١٢٠٨ ، ١٢١٠
وقالوا بعام ١٢٠٩ . ونرى رايهم ان من قال بعام ١٢١٠ فخطئون حيث ان السلطان
عثمان جاء فى هذا العام لتخليص رودس من الاستتار به . ولكن يمكننا الرد بان الهجوم
التركي (قام به الاتراك السلاجقة واپس عثمان) على رودس لم يقع فى عام ١٢١٠ بل
فى عام ١٢١٢ (Amadi, P. 393) ونحن نرى بان موجه التشكيك
فى صحة الرواية القائلة بعام ١٢١٠ ضد رها ان بعض المؤرخين يستكثرون مدة الاربع
سنوات لاختراع مدينة رودس ، ونعتقد بان لا داعى لذلك فهناك رجاله الماني ، اسمه
Ludolph von Suchem زار رودس فى عام ١٢٢٦ - اى بعد ان
احتلتها الاستتار به بربع قرن فقط - اكد بان الاستتار به اضروا المارسة عدة سنوات
ولم تخضع لهم الا بعد تقديم الرشوة للاهالى .

انظر :

Ludolph von Suchem, in Palestine Pilgrims Text
Society, vol. XII, P. 34.

ومن الجدير بالذكر أن معظم عمليات استيلاء الاسبتاريه على جزيرة رودس تمت
 أثناء غياب السيد الكبر لهيتهم ، فولك دي ثيلز ، في أوروبا ، مستدعيه مع زميليه
 يعقوب دي مولي Jacques de Molay السيد الكبير لفرقة
 الكاوية - من البابا كليمنت الخامس ، لاستيلاء رايها فها يتملي بالكتابة ارسال حراسة
 صليبيه عامه الى فلسطين (١) . وغير معروف بالضبط موعد قيام السيد الكبير للاسبتاريه
 بالرحله من جزيرة قبرص ، لو مدى ما لنها من وقت امام مدينة رودس (٢) . وربما قاد فولك
 رجاله خلال العمليات الاولى للفيلو . ولكن من المؤكد انه كان موجودا بجزيرة قبرص فمضى
 ٣ نوفمبر عام ١٣٠٦ ، حيث تركس ، في هذا اليوم ، مؤتمرا عاما لأهنا هيتهم ، عند فمس
 مدينة ليماسول بهذه الجزيرة ، لاتخاذ الاجراءات اللازمة لسفرو الى أوروبا (٣) . واذ قصد في
 المؤرخون المعاصرون ، كان فولك موجودا مرة اخرى على رأس قواته امام حصن رودس في ١١ من
 نفس الشهر حيث تسلح حصن فيلرموس (٤) . ولما كان من المؤكد تواجد فولك في مدينة
 بواتيه بفرنسا في ٨ أغسطس عام ١٣٠٧ (٥) فمن المرجح - عندئذ - ان يكون قد سافر اليها
 من جزيرة رودس مباشرة في اوائل هذا العام او اواخر العام الذي قبله (عام ١٣٠٦)

(١) انظر : D. Le Roulx : Les Hosp. en T.S., P.279, Hill II, P.202.

(٢) انظر : D. Le Roulx: OP.Cit., pp.278-279; Hill L&C: L&C . Cit.

(٣) انظر : D . Le Roulx: Les Hosp. en T.S., I.278

ونشر المؤرخ د. بلاثيل محاضر جلسات هذا المؤتمر في كتابه

Cart. IV, nos. 4734, 4735.

(٤) انظر : Amadi, P.258; Chronique du Templier de Tyr: op.Cit.,

PP. 320-321.

(٥) انظر : D. Le Roulx: les Hosp. en T.S., P.279.

وفي سنة يواتيه ، اجتمع فولك مع البابا كليمنت الخامس ، والملك الفرنسي فيليب السادس
 الرابع (الوسيم) ، وحصل على تأكيد مما له في مشروع احتلال جزيرة رودس لما يقدمه هذا
 المشروع من فوائد للمحركه العلميه (١) . وقد اعطى البابا موافقته الرسميه في منشور با وسوى
 صدر بتاريخ ٥ سبتمبر عام ١٣٠٧ (٢) . ولما ساعد الاستتار به في اتمام الصليه ، قدم البابا
 للسيد الكبير فولك مبلغ تسعين الف فلورنتي من امواله الخاصه (٣) ، وامر مجلس كاتدرائية
 ليفورسيا بجزيرة قبرص ، في رساله عليها الى هذا المجلس عنوهيئة الاستتار به الامر
 الكبير جاي دي سيفيراك Guy de Sévérac بتحويل دخل
 هذه الكاتدرائية ، بعد دفع مرتبات رجال الدين فيها ، وتسد يد بقية مصاريفها ، الى
 هيئة الاستتار به ، كما ان البابا امر بتسليم هذه الهيئه مبلغ ستمين الف ميزانته ابدي في كان قد
 اودعها الداويه امانه عند اسقف ليماسور المدعو بطرس ديرلانت Piero d'Erlante
 عام ١٣٠٨ (٤) .

وقد استخدم السيد الكبير فولك اموال البابا ، بالإضافة الى ما قدم له من تبرعات
 اثناء جولة في فرنسا واطاليا (٥) ، وما استطاع جمعه من دخول بيوت الاستتار به في اوربا

-
- (١) انظر : Vertot II, PP. 73-74
 (٢) انظر نص المنشور الباهوي في : D. Le Roulx: Cart. Iv, no. 475.
 (٣) انظر : Vertot II, P. 74.
 (٤) وصل جاي دي سيفيراك الى قبرص صحبه امر البابا في ٨ مايو سنة ١٣٠٨ انظر
 (٥) للمعرف على ثمة لات فولك في فرنسا واطاليا انظر : Amadi, P. 283
 D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P. 279.

تتلا من القرون التي عقدت مع جمهورية فلورنسا وجنوه (١) ، في شراء كيميائيات
والفر من الذخائر والسوقي والخيول والاسلحة ، من اسبانيا وصقلية واپوليا وبروفانس وقطالونيا
وفي شراء وتعليق وناج سبع وخمسين سفينة مختلفة الانواع والاحجام ، في قطالونيا وناربونه
وإرميليا وجنوه وبنزا والبندقية ، واصدر فولك في نفس الوقت اوامره الى رومانيا
بوت الاستتار في أوروبا بوضع خمسمائة فارس استتاري ، من الفرسان المتحقيقين بهموتهم ،
على اهبه الاستعداد للسفر معه الى الشرق (٢) .

(٤) ويذكرهم المورخين ، ومنهم ثورتو Vertot (٣) ، فلاندين Flandin
بليوتي Biliotti (٥) ، ان البابا كليمنت الخامس اراد ان يقدم للاستتارية
المعد الكافي من القتاتلين لمساعدتهم في احتلزل رود من ، فامر - بعد الاتفاق مع الملك
الفرنسي فيليب الرابع - العالم الكاثوليكي باعداد حملة صليبية لتخليص الارض المقدسة
من المسلمين ، واعطى قيادة هذه الحملة للسيد الكبير فولك دي فيلاريه (٦) ، ليتبنى له
تحويلها الى رود من .

- | | |
|--|------------|
| Vertot II, PP.74-75, 83; Biliotti, P.133. | (١) انظر : |
| D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.280 | (٢) انظر : |
| Vertot II, PP.74-76 | (٣) انظر : |
| Flandin, P.90 | (٤) انظر : |
| Biliotti, PP.130-131 | (٥) انظر : |
| Amadi, PP.298-299 ان الامر الكبير جاي دي سيقيراك | (٦) جاء في |
- وصئل الى قبرص في مايو عام ١٣٠٩ حاملا قرار البابا باعلان الحملة الصليبية بقيادة
السيد الكبير للاستتارية فولك دي فيلاريه ، برغبة البابا في ان يذل المسيحيون في
قبرص وأرمينيا كل ما وصحهم من جهد لانجاح هذه الحملة .

وقد توافقت جميع الصليبيين من ألمانيا بوجه خاص ، فضلاً عن فرنسا وإيطاليا ،
إلى مركز تجمعها في مدينة برنديزى بجنوب إيطاليا ، بأعداد كبيرة بحيث عجزت سفن
الاستتار - بالإضافة إلى السفن التي وضعتها كل من شارل الثاني ملك نابلى ، وجمهورية
جنوة ، تحت تصرف السيد الكبير فولك - عن استيعابهم جميعاً ، فاضطر فولك إلى
اختيار أكثرهم شرافة وأكملهم عدداً وأحسنهم سلاحاً ، على حين أعطى الأذن للباقيين
بالانصراف إلى أوطانهم (١) . وقد أفلحت الحملة من ميناء برنديزى في جمع (٢) حوام
١٣١٠ (٣) ، ووصلت إلى رودس براساً (٤) . قبل ٢٤ يولييه من نفس العام (٥) . وعندما
أدرك الصليبيون أن حملتهم ، التي قصد بها أن تكون عامه ، تحولت إلى حملة خاصة
للمسيطرة على جزيرة رودس ، تمسكوا من هذه الجزيرة عائد بين إلى بلادهم (٦) ، على حين
ظل فرسان الاستتار وحدهم ، برئاسة فولك ، على حصار حصن مدينة رودس العاصمة
إلى أن تسلموه بالأمان في ١٥ أغسطس عام ١٣١٠ (٧) .

- (١) انظر : Vertot II, P.76
(٢) انظر : Biliotti, P.131; Vertot II, P.76?
(٣) نشر المورخ د. يلافيل وثيقة (D. Le Roulx: Cart., IV, no. 4883) تبين أن ملك أرغونه ، وقد أخطر بتأخير قيام الحملة ، طلب من قسطنطين أمبوسستا الاستتار ، في ٢٢ أكتوبر عام ١٣٠٩ ، أن يتنازل له عن السكوت الذي جمعته للاستتار لتوزيعه على الجيوش الأرغونية الذي حشد لقتال ملك غرناطة وذلك يمتنى أن السيد الكبير للاستتار وأفراد حملته كانوا لا يزالون في أوروبا حتى خريف عام ١٣٠٩ .
(٤) انظر : Ibid: Les Hosp. en T.S., P.281 مع ملاحظه أن المورخين الذين سبقوا د. يلافيل فيها ، ومنهم فرتو (ج ٢ ص ٧٦٥) ويليوتى (١٣١) ، فلا ند أن (ص ٩) ، ذكروا بأن فولك مقر بالعينا القبرصى ليواسول حيث التقى أعضاء هيئة الاستتار المقيمين فيه قبل أن يتوجه إلى رودس .
(٥) انظر : Ibid : Loc. Cit.
(٦) انظر : Vertot II, P.83 ; Biliotti, P.132; Flandin, P.92
(٧) انظر : Golubovich II, PP.209,563; vol. 3, PP.123-144

الفصل الثاني

قيام دولة الاسبتارية في رودس وأهم الجاراتها في مجال
الهند والتشيد

(١) تأسيس دولة الاسبتارية في جزيرة رودس :

- أ - عهد السيد الكبير فولك دي ميلانيسه •
- ب - عهد السيد الكبير هليون دي ميلانيسه •
- ج - عهد السيد الكبير ديدونيه دي جوزون •

(٢) النشاط العمراني عند الاسبتارية في رودس •

- أ - الأسوار والأبراج الملحقة بها لمدينة رودس العاصمة •
- ب - الحى العسكري داخل مدينة رودس المعروف باسم الكولاشيوم •
- ج - الحى البهرجوازي داخل مدينة رودس •
- د - حصون جزيرة رودس خارج العاصمة •

قيام دولة الاسبتارية في رودس :

كان فولك دى ثيلاريسه أول سيد كبير للاسبتارية تولى حكم جزيرة

رودس وعلى يديه تم فتح هذه الجزيرة (١٣٠٦ - ١٣١٠) .

وأبرز ما أنجز فولك ، بعد أن استتب له الأمر في جزيرة رودس ، أنه مسد

فتوحاته الى بقية جزر بحرايجه الواقعة في الأرخبيل الرودى ، فامتولى منها ،

خلال أربع سنوات ^(١) ، تبدأ سنة ١٣١٠ ^(٢) ، على ثمان جزر كانت تتبع قديما جزيرة

رودس ، ووقعت مثلها تحت سيطرة أتراك آسيا الصغرى ، هى جزر لانجو Lango ^(٣)

نيسيروس Nissyros ، كالكى Calchi ، سيمى Cymi ، كاليمنوز

Calymnos ، ليروس Leros ، يسكوى Piscopi ، فضلا

عن جزيرة قشتيل الريح Castellorizo التى احتلها الاسبتارية عام ١٣٠٦ وهم

في طريقهم لاحتلال رودس ^(٤) .

وتعتبر جزيرة لانجو ^(٥) أهم هذه الجزر جميعا ، ليس فقط لأنها أكبرها

(١) انظر Biliotti, P.135; L'Ile De Castelorizo, PP.26-27.

(٢) يقول D. Le Roulx: Les Hosp. a Rhodes , P.4)

بأن الاسبتارية امتولوا على جزيرة لانجو عام ١٣١٤ .

(٣) انظر : Ludolph von Suchem, PK36

(٤) انظر : L,Ile de Castelorizo, P.27

وأنظر ايضا Vertot II, P.87 مع ملاحظة أنه أخطأ فاعتبر أن يسكوى ، نيلوس
Tilos جزيرتين في حين أن الاسمين لجزيرة واحدة .

(٥) سميت في العصور القديمة بأسماء عدة أشهرها كوس Cos ، ولكنهما

اشتهرت في العصور الوسطى باسم لانجو (لأنها مستطيلة الشكل) ، وعرفت

عند الترك باسم استانكوى ، نسبة الى اسم قديم للجزيرة هو استانكيسو .

والجزيرة سقط رأس أبقرط أبى الطب ، وأهيل ، أبرع مصورى الأغريق

القدامى ، وأريستون الفيلسوف ، وفلياس ، من أشهر العلماء والشعراء ،

وكان معلما لهبطليموس فيلادلفوس — انظر : حبيب غزالة يك : جزيرة

رودس من ٧٤ - ٧٥ .

مساحة ، أولجودة مينائها ووفرة إنتاجها من الفاكهة والنهيد والزيت
والقمح ^(١) ، ولكن أيضا لموقعها الأمامى عند مدخل خليج بيدروم فى آسيا الصغرى ^(٢) .

ولهذه الاعبارات أسرع فورك عقب استيلائه على تلك الجزيرة فى عام ١٣١٤ ،

بنشيد حصنين فيها لتأمين الدفاع عنها ، هما حصن أرانجيا Arangea

فى الشرق ، وحصن أنديماتكى Andimachi فى الجنوب ^(٣) . وسرعان

ما ازدهرت الجزيرة بعد ذلك على يد الاستتارية بسرعة كبيرة ، فأصبح ينظر

اليها على أنها رودس الثانية ، وتحولت الى وحدة ادارية (أمرية Commanderie ^(٤) قائمة بذاتها .

والرغم من أهمية موقع جزيرة نيسيروس ^(٥) الى الجنوب من لانجو بنحو

سنة أميال ^(٦) ، وخصوبة أرضها ^(٧) ، فقد اكفى فورك بأن منحها ، فى ١٥ أغسطس

عام ١٣١٦ — على هيئة اقطاع — للاخوين حنا وبوناقتا ولدى أمانتى اثينا

Jean & Buonavita Assanti d'Ischia ، مقابل تعهدهما بأن يعدا سفينة حربية

بسة وعشرين مقذافا ، وأن يكونا دائما على استعداد لتأييدها الى الجهة التى تعينها

(١) انظر : L'Ile de Castelorizo, P.27; Hammer III P.272; Vertot

II, P.88; Ludolph von suchem, P.35.

(٢) حبيب غزالة بك: جزيرة رودس ص ٧٤ .

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.4

(٤) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.6 ; Vertot II, P.90

(٥) اسمها القديم بورفيريس ، وهو نوع من الرخام لونه ضارب الى الحرة بما يشبه

الأرجوان ، سى بذلك لأن لفظة بورفير (Porphyre) باليونانية معناها

الأرجوان . ويسمىها الترك انجولى ، نسبة الى التين الذى تشتهر به

الجزيرة — حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ٧٥ .

(٦) انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.5

(٧) شهد بذلك رحالة مجهول ، يعتقد بأنه فرنسى ، زار الشرق فى أوائل

القرن الخامس عشر ، بعد عام ١٤١٥ ولكن قبل عام ١٤٢٥ — انظر :

Moranville; Un pèlerinage en Terre, dans B.E.C., LXVI, 1905, P.79

لهما أوامر حكومة الاسبتارية في رودس (١) . غير أن اشتياز الاقطاع انتهى
أجله بعد سبعين سنة ، أي في عام ١٣٨٦ (٣٠ مايو) ، وأصبحت الجزيرة
وحدة إدارية تابعة للخزانة في رودس شأنها شأن لانجو . (٢)

أما جزيرة سيمي (٣) فتعود أهميتها إلى كونها أكثر الجزر الخاضعة
لرودس قربا من ساحل آسيا الصغرى ، وتقع بين رودس ولانجو ، ولذا شيد
فولك فوق إحدى رباهما القلعة قلعة منيعة ورجا مرتفعا لرصد تحركات السفن
التركية في الأرخبيل واطار رودس ولانجوبها أما بالاشارات المعتادة ، وهي اشغال
النيران أثناء الليل ، وإطلاق سحب الدخان الكثيف خلال النهار ، أو بإرسال
الزوار . حنيقة اليهما تحمل النبا (٤)

وكانت جزيرة قشتيل الروج * - وهي جزيرة صغيرة ، ولكنها خصيصة (٥)

(١) النظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à RH., PP.5-6

(٢) انظر : Ibid : loc Cit, PP. 5-

(٣) ورد ذكرها في ايلياذة هوميروس . واشتهرت قديما : بمناطة السفن المعروفة
بالمصيك ، وهي سفن صغيرة وسريعة ، ومنها الاسم الذي عرفت به عند الترك ،
وهو سوسكي - انظر حبيب غزاله : جزيرة رودس ص ٧٧ .

(٤) انظر : Ludolph von suchem, P.35, n.3. ; Hammer III, PP.272-273

(٥) نوه بخصوصيتها كل من الرحالة لودواف فون سوشيم (Ludolph von suchem, P.35
الذي قام برحلته بين عامي ١٣٣٦ ، ١٣٤١ . Ibid, P. III intro).
والرحالة أنجلور (Anglure, P.203) الذي زار رودس في عام ١٣٩٥ .

(*) الاسم ايطالي (Castel rosso) ومعناه القصر الأحمر . ويعود الاسم
أما إلى لون الصخرة التي شيد فوقها (وهذا ما قال به الرحالة أنجلور ص ٢٠٣)
أو إلى لون القلعة التي شيد بها الاسبتارية فوق هذه القلعة (وهذا ما قال
به الرحالة الفرنسي المجهول الذي زار الجزيرة بين عامي ١٤١٥ ، ١٤٢٥ ، ونشر
مذكراته الكاتب مورانفيل في مجلة مدرسة الوثائق رقم ٦٦ عام ١٩٠٥ ص ٨٠)
وكانت الجزيرة ، قديما ، تسمى ماجيست magiste ، ويسمونها
الترك جزيرة ميس (حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ص ٨٠) .

تقع الى الجنوب الشرقي من جزيرة رودس بنحو مائة ميل ^(١) ، وعلى بعد ميل ونصف
الميل فقط من تركيا ^(٢) - تقوم في جنوب رودس بنفس الدور الذي كانت تقوم به
سيمي في شمالها ، ومن المعروف أن الاسبتارية شيدوا فوق ربوة عالية حصرا
اللون من ربا هذه الجزيرة ، وعلى أنقاض برج قديم كان يقيم فيه مثل الرودسيين
في الجزيرة أثناء خضوعها لهم في القرنين الميلاديين الرابع والخامس ^(٣) ، شيدوا
قلعة منيعة تشرف على ميناء الجزيرة ^(٤) ، وكانت السفن ، حسب أقوال الرحالة
الألماني لودولف فون سوشيم Ludolph von Suchem الذي
زار الجزيرة في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، بين عامي ١٣٢٦ ، ١٣٤١ ،
أي بعد سقوط الجزيرة في يد الاسبتارية بثلاث قرن أو أكثر قليلا ، تشاهد منها
على مسافة خمسين ميلا من جميع الجهات وكان حراسها ، عندما يتصنى لهم مشاهدة
هذه السفن ، يتخابرون بشأنها عن طريق اشارات النيران ليلا والدخان نهارا مبع
جزيرة رودس وغيرها من الجزر المسيحية في بحر ايجه لتعد كل منها للموقف عدته
بما يلائم حالة السفن القادمة من حيث العدد والجنسية ^(٥) .

- (١) انظر : Anglure, PP. 201 , 203; L' Ile de Castelorizo, P. 28.
(٢) انظر : moranville: Op. Cit., P. 80
(٣) انظر : Anglure, P. 201.
(٤) انظر : Anglure, P. 203; L' Ile de Castelorizo, P. 26.
(٥) ازدانت القلعة بنقوش تمثل اشارات السيد الكبير هيرديا (١٣٧٧ - ١٣٩٦)
ربما لأنه بناها أو أكمل بناها . وقد هدم المماليك المصريون هذه القلعة في عام
١٤٤٠ أثناء تقدمهم بالأسطول لاحتلال جزيرة رودس . وشغل الاسبتاريين
بالتهديدات المملوكية الأخيرة وبالتهديدات العثمانية عن إعادة بناء القلعة . ونظرا
لأهميتها ، عهد البابا نقولا الخامس ، في ٦ أكتوبر عام ١٤٥٠ ، بهذه المهمة الى
الفونس الأرغوني ، ملك نابلي ، وأذن له بامتلاك الجزيرة . وقد حاول السيد الكبير
حنا لامتيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) عبثا أثناء القبطان الأرغوني الذي كلفه الملك
الفونس بانجاز المهمة عن انجازها . وأطرد الأرغونيون بالفعل بناء القلعة عسى
١٤٦١ وظلت في يد هم حتى جلوا عنها عام ١٥٢٢ عند مساعدتهم بنيا الحشد التركي
ضد رودس - انظر : L, Ile de castelorizo, PP. 24-34

وتبقى بعد ذلك من الجزر ، التي استولى عليها الاستتارية في عهد

فولك ، أربع جزر هي جزيرة كالكي ، وتقع على بعد قريب الى الجنوب من رودس ،^(١)

وجزيرة يسكوبى ، وتقع الى الشمال من كالكي ولكن الى الغرب من سيمى والى الجنوب^(٢)

من نيسيروس ، ثم جزيرة كاليمنوز ، وتقع الى الشمال من لانجوا الواقعة شمال

نيسيروس ، وأخيرا جزيرة ليروس ، وتقع الى الشمال من كاليمنوز . وهذه الجزر^(٣)

الأربع صغيرة وصخرية ، ولم تكن ، بالنسبة للاستتارية ، ذات فائدة اقتصادية

كبيرة ، ولكنها كانت محطات جيدة قدمت دائما ، لسفنهم ، العاملة ضد الترك فى بحر ايجه ، التموين والملاذ .^(٤)

ومما يكن من أمر هذه الجزر التي ضمها فولك الى جزيرة رودس فان ضمها

لم يكن سوى أحد كسبين فى الأرض نالتها هيئة الاستتارية فى عهد هذا السيد

الكبير . أما الكسب الثانى فهو ارتكبت الداهية التي حلها البابا كليمنت الخامس

فى ٢٢ مارس عام ١٣١٢ تحت ضغطا الملك الفرنسى فيليب الوسيم ، وموافقة مجمع

كنسى عام عقد آنذاك فى مدينة فينا ، ثم أصدر البابا منشورا بابويا فى ٢ مايو من^(٥)

نفس العام بتحويل أملاك الهيئة الملقاة وأموالها الى هيئة الاستتارية لتدعيم جهودها

فى استرداد فلسطين ، ونقل وحراسة الججاج المسيحيين الى الأماكن المقدسة والعودة

(١) يطلق الترك على هذه الجزيرة اسم هركيت . (حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ص ٧٧) .

(٢) كانت جزيرة يسكوبى Piscopi تسمى قديما باسم تيلوس Telos ويطلق الترك على هذه الجزيرة اسم ايلياكى - (حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ص ٧) . وقد وقعت هذه الجزيرة مرة أخرى فى يد الترك ، ولكن اسطولا استتاريا ، مؤلفا عن عشر سفن استردها فى عام ١٣٢١ ، وقتل جميع رجالها على حين باع شيوخها ونساءها وأطفالها ببيع العبيد (انظر : Hammer III, P. 273)

(٣) تمكن أهالى الجزيرة اليونانيون ، فى عام ١٣١٩ ، من بخت الحامية الاستتارية قسى حصنها ، وقتلهم جميعا ، ولكن اسطولا استتاريا ، بقيادة الأمر الكبير المسير دى شقارتزبورج . (Albert de Schwarzboung)

توجه الى الجزيرة فى يولييه من نفس العام واستولى عليها من جديد ، ورجع الى رودس صحة ألف وتسعمائة أسير من أهلها (انظر D. Le Roulx: Op. Cit , P. 9)

(٤) انظر : Vertop, IL, Roulx: Op. Cit, P. 135; Flandin, P. 94

(٥) انظر : Martin: Histoire de France, vol. IV, PP. 495-496

بهم منها ، وذلك باستثناء ما يوجد من هذه الاملاك والاموال في امبريا حيث تفرد
(١)
تخصيصها للمساعدة في الحرب الاثرة فيها عند مسلمي غرناطة .

على أن الاستتارية بذلوا جهودا كثيرة ، بالتعاون مع البابوية ، في سبيل وبيع
بدهم على هذا الارث ، وهو أمر لم يتوصلوا اليه الا بصعوبة بسبب ما ابداه اممهم
اوربا من اللماع في هذا الارث للاستتارية لانفسهم .

وكان البابا كليمنت الخامس قد اذاع ، في نفس اليوم الذي أصدر فيه منشوره للقائى
بتحويل ارث الداوية الى هيئة الاستتارية ، مرسوما ثانيا قضى بأن تشكل في كل ابروشية
باوربا ، لجنة من ثلاث شخصيات ينتمون الى ثلاث ابروشيات متجاورة ، مهمتها التأكسد
من نجاح سير عملية التحويل ، كل في دائرة اختصاصها . (٢)
وتسهلا المهمة الموكلة
اللجان اوسل البابا عذابا الى ماثو حكام اوربا ، الذين توجد للهيئة المظافة املاك
في بلادهم ، يخلعون فيها بغسوار ٢ مايوناشدتم بعد اشارة عقبات في طريق تنفيذ
هذا القرار . (٣)
وقام البابا ، من ناحية اخرى ، في ١٦ مايو عام ١٢١٢ باغسطس
الديرين الموثقين ، الذين كانوا قد تولوا ادارة املاك الداوية في مختلف دول اوربا
منذ ان صودرت هذه الاملاك في فرنسا في ١٢ أكتوبر عام ١٢٠٧ ، وفي دول اوربا الاخرى
بقتضى الامر البابوي الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ١٢٠٧ . (٤)
وان عليهم التنازل عن سهامهم لتمثل هيئة الاستتارية . (٥)

(١) انظر Pauli II, PP.23-26, num. XXII; D. Le Roulx: Les Archives
P.32 no. 47.

Martin IV, PP.467-498,505; Levis mirepoix: Philippe Le Bel, PP.226
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, PP.28-31 ; Vertot II, PP.99 139
Amadi, PP.280-291 ; Georg Trevor Rome, PP.256-258.

(٢) عدد هذه اللجان اثني عشر لجنة - انظر Pauli II, P.26-29 num. XXIII.
(٣) انظر خطايبه الى حكام ألمانيا في Pauli II, P.30 num. XXIV.
(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.29
(٥) انظر : Ibid , P.32

وقام السيد الدير للاسبتارية ، حولك دى قيصرية ، من جانبهم ، عندما يلمنه نيسا
منحة البابا ، بتقليد رؤسا بيوت الاسبتارية ، وكبار مسئوليها فى الغرب ، سلطات واسعة
للتفاوض مع حكام أوروبا ، بشأن تسلم ارض الله اوية من ايدى اولئك الموثقين .
(١)

غير أن السيد الدير فوكت ما لبث أن قرر فى ١٧ أكتوبر عام ١٣١٢ تشكيل بحث
خاصة ، لاداء هذه المهمة ، برئاسة الأسر الكبير (البرت شقارتزويج)
الالمانى ، بصفة مفوض عام ونائب للسيد الدير فيما وراء البحر المتوسط ، وعضوية ثانية
من كبار أعضاء هيئة الاسبتارية .

ويقتضى نفس القرار أضيف الى رئيس البعثة ، البرت شقارتزويج ، مهمة اخذ مسوى
فى مهمة التفتيش العام وتصحيح الاوضاع فى جميع بيوت الاسبتارية وبيوت الدايمة المنسوبة
وتسليمها فيما وراء البحر ، على أن يكون ملزما بتقديم تقرير دقيق عن ابرادات تسليمة
البيوت جميعا واداءاتها . وقد منح البرت شقارتزويج أيضا السلطة للحلقة جميع الافراد
المستولين فى نطاق مهمته مهما كانت رتبهم ، ومخاطبة من تثبت ادائته منهم بالفصل مسمون
بضربه ، وتصيين من يرى أنه أكثأ منه . كذلك كان من سلطات رئيس البعثة أن يأمر بنفصل
أعضاء هيئة الاسبتارية ، من فئتي الفرسان وخدم السلاح ، من أموية الى أموية ، أو مسمون
شعبة الى شعبة ، أو أن يبعث بهم الى جزيرة رودس إذا رأى أن الضرورة تقتضى ذلك ، وهذا
وقد أذن له أيضا أن يقبل فى عضوية هيئة الاسبتارية من يتقدم له من النبلاء ، فيضمهم
الى فئتي الفرسان ، ويسمح لهم بأن يتخذوا بالحزام العسكري ويحملوا الصليب الذهبى
ومن غير النبلاء ، فيضمهم الى فئتي الاسبتارية الاخرتين ، وهما فئة الرهبان وفئة الخدم ،
على ألا يسمح لهم بحمل الصليب الذهبى الذى يميز فئة الفرسان .
(٢)

وكان أن وصل رئيس البعثة ، البرت دى شقارتزويج ، وصحبه فى ٢٨ مارس عام ١٣١٣
الى مدينة أغينيون الفرنسية حيث استقبله البابا كليمنت الثامن واخبره بأنه لم ينعم على هيمنة

(١) أنظر : Vertot II, P.142 .

وأنظر رد ملك إنجلترا ، إدوارد الثانى على الطلب الذى تقدم به اليه رئيس شعبة
الاسبتارية فى إنجلترا ، فى أول أغسطس عام ١٣١٢ ، وذلك على Pauli II, P.33, num. XXV.

(٢) أنظر : Pauli II. PP.36-40, num. XXIX;

الاستشارية بأموال الداوية فيها ، ولكن لانها ، كما اتضح له ، اقدر من اية هيئة اخرى على ادارة هذه الثروة المخصصة لخدمة القضية المسيحية ، كما انباء بأن ملا فرنسا فيليب الوسيم قد وافق على قرار الانضمام ، ولكن هناك مصاعب تنتظر بعثة الاستشارية مع بعض الحكام الاخرين . وقد رد رئيس البعثة فقدم الشكر للبابا على اختياره هيئة الاستشارية لوراثة ثروة الداوية مؤكدا له بأن هيئة الاستشارية كرسست نفسها لخدمة المسيحية والكنيسة الكاثوليكية التي يرأسها البابا عواخيرا وعد بعدم الدخول في منازعات مع الاعرا الذين يرغبون تسليم منحة البابا للاستشارية .^(١)

والواقع ان بعثة الاستشارية صادفت مصاعب كثيرة عند تأديتها للمهمة المكلفة بها ، من معظم دول أوروبا بما فيها فرنسا نفسها ، وقطع النظر عن هذه المصاعب التي توصلت الاستشارية الى وضع يدنم على الجانب الاكبر من ارض الداوية في أوروبا . وادى ذلك الى ازدياد ثروتهم بالرغم من التضحيات المالية والتنازلات عن أجزاء كثيرة من الارث نفسه ، التي اضطروا الى بذلها لمختلف الحكام والمفتصمين للوصول معهم الى هذه النتيجة ، وبالرغم من اضطرارهم الى دفع معاشات سنوية دائنة ، قدر قيمتها الاساقفة رؤساء الاساقفة ، بتكليف من البابا كليمنت الخامس ، لاعضاء هيئة الداوية الذين قبضوا البقايا على حياة الرهبنة في ظل الكنيسة الكاثوليكية كأفراد مستقلين عن الهيئات الدينية الاخرى ، أو كاعضاء في هذه الهيئات باستثناء هيئة الاستشارية التي حرم عليهم ، بأمر البابا الانخراط في عضويتها^(٢)

وترتب ايضا على ضم اموال الداوية الى اموال هيئة الاستشارية ان شعبا جديدا

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.33

(٢) عن هذه المصاعب ودور البابوية في محاولة تذليلها أنظر

Pauli II, PP.33-56, 80 D. Le Roulx Op. Cit., PP.34-47, Vertot II, PP.136

(٣) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, PP.47-48.

ويخصوص المنشور البابوي الذي يسم في الداوية بالانخراط في عضوية الهيئات

الدينية الاخرى فيما عدا هيئة الاستشارية ، ارجع الى

للاستقارية • تكونت في أوروبا • عن طريق التفرع عن الشعب القديمة التي اتسعت رقعتها بهذا الاسم • وأول هذه الشعب الجديدة هي شعبة تولوز التي تأسست • في عتسمام ١٢١٥ في الجزء الغربي من الشعبة القديمة سان جيل • وقد تأسست في ٢١ يولييه عام ١٢١٧ • شعبة أخرى باسم شعبة بروفانسر اشتملت على الجزء الشرقي من شعبة سان جيل الواقع المسمى الشرقي من نهر الرون بفرنسا • ولقبها ألبيت منذ عام ١٢٣٠ • ولعبت اختصاراتها إلى رئيس شعبة سان جيل • علما بأن التسمية دامت إلى نهاية عهد الاستقارية في جزيرة رودس • وأن الفرسان البروفانسيين كانوا يشكلون رداثة قوية في مدينة رودس العاصمة • ويقعون في نسل خاص بهم في هذه المدينة يدبره نارمن منهم يحمل لقب عميد بروفانسر الشرقي (Pilier de la Petite Provence) مع ملاحظة أن لقب عميد كان يحمله جميع رؤساء الدوائف القومية الأخرى التي كانت تتألف منها هيئة الاستقارية • وتفرع عن شعبة فرنسا شعبتان جديدتان هما شعبة شامبيني • والمسمى تأسست قبل ٢١ يولييه عام ١٢١٧ • وشعبة أنويتين • التي تأسست قبل عام ١٢٣١ • ونسعى أيريا أخرى في ١٦ يولييه عام ١٢١٩ تعديل في قيادة أسبوستا أصبحت بمقتضاها لا تشمل سوى على ملكتي أرغونه وبلنسية • أما إقليم فطالونيا • الواقع إلى الشرق من أرغونه • فقد انصرف من القيادة • وتأسس فيه • مع اسم جزر البليار أنهم • شعبة جديدة باسم شعبة فطالونيا • أما في ألمانيا • فقد تحولت وألا بواند بوجج الكبرى (Grand-bailliage de Brandebourg) في حوالي عام ١٢٢٠ إلى شعبة • (١)

وبينما كانت جهود الاستقارية • مدعمة بجهود البابوية • تبذل • في أوروبا • عسلى هذا النحو • في سبيل وضع اليد على ارض الداوية واحتوائه • كانت جهود استقارية أخسرى تبذل في داخل جزيرة رودس من أجل تعزيز مركز الهيئة في هذه الجزيرة • من أهمها تحصين العاصمة رودس • وفتح مينائها لمختلف السفن التجارية • واستقبال جميع اللاتين الكاثوليك الذين كانوا قد تبعثروا في مختلف الجزر اليونانية منذ طردهم من الشام مع الصليبيين عام ١٢٩١

والكنهم ، عندما علموا باستيلاء الاسبتارية على جزيرة رودس ، هرعوا الى هذه الجزيرة
للمعيش في حماهم ، وتألفت منهم ، ومن سكان الجزيرة الاسطوريين ، وهم في غالبهم
بيزنطيون ارتوذكس ، مع وجود اقلية صغيرة يهودية ، واخرى تركية اسلامية ، دولسمسة
الاسبتارية في رودس ، وهي دولة عسكرية تجارية تبال أي شيء آخر ، (١)

وليس من شك في أن السيد الكبير فولك دي ثيلاريه هو صاحب القمل الاول فسمى
تأسيس هذه الدولة الكبرى التي اشتملت على جزيرة رودس وعلى ثمانى جزر أخرى بجوارها
في بحر ايجه ، ويبدو ان احساسا بهذا قد تملك فولك وقد نفسه الى الجنوح نحو الفرد يسة
في الحكم ، حتى انه عقد ، في علفى ١٣١١ ، ١٣١٤ ، مؤتمرين عامين ، لم يستمدح
لجنورهما سوى لغوانه ومتلقبه ، فوافقا على توسيع سلطانه الى حد اعلاائه حتى استدعاء
أعضاء هيئة الاسبتارية امامه في اية لجنة وبدون أي اعتبار لقانون التسلسل اللقبى والوظيفى
الذى درج عليه التقليد في الهيئة ، كذلك وافق هذا ان المؤتمرات على انشاء وظيفة تسمى

جد بدتين لخدمة السيد الكبير ، سما وشيفتا امين الرئاسة (Chambellan)

وجامل الاختام (Chancelier) ، وعلى زيادة المخصصات المالية لمنزله
الخام ، وزيادة عدد الخدم والداخلين في هذا المنزل ، الى جانب زيادة الفوائد
العادية لمعاونيه المباشرين ، يضاف الى ذلك ، انه ، بدلا من ان يمدد اليهم
(٢)

(١) أنظر Vertot II, PP.98 - 99.

(*) ظهرت هذه الوظيفة في الواقع ، منذ بد تحول هيئة الاسبتارية الى هيئة عسكرية
وجاء لها ذكر في وثيقة بتاريخ يونيو سنة ١١٢٦ ، ثم في وثيقة بتاريخ عام ١١٦٨
غير ان الوظيفة اختفت بعد ذلك أنظر

D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.347.

Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP. 11-12

التي كان قد استدانها لاتمام مشروع فتح رودس ، انفسر في حياة الترف ، واشتمل نسى
 بحاسبة ، مشار الفرسان ، الذين أخذوا يحاكونه في حياة المترف ، فتمهروا من تسليم ما كانوا
 يظفرون به من غنائم ، عن طريق القرصنة ، للاغزاة ، وفي ما كانت تقضى به لوائح الهيمنة
 وفشلوا أن يسيروا بها حياة نلتية ، متحللين من حياة التفتش التي قامت عليها ميثاقهم *
 وتنادى فولك ، فليقتصب لنفسه أحوال الدوائر التي شغرت من مدبرتها بالوفاء أو الترقية ،
 وبين عليها مدبرين من أعوانه ضاربا بقانون الاقدمة عرض الحائط ، ولم يكن من السهل على
 غير أعوانه من أعناء الهيئة الاستتارية مقابلته ، فاذا سمح لهم بذلك فابلهم بطريقة فلتسية
 ويتشاح ، ولعبر توجيه النصائح والتحذيرات اليه من جانب قداى الاعناء اعانة .
 (١)

كل ذلك ، كان لا بد أن يتولد منه فولك مار معارض قوى بين صفوف أعناء الهيمنة .
 وتحت ضغط هذا التيار ، طلب مجلس الاستتارية من فولك ، في عام ١٣١٢ ، أن يشتمل
 أمامه ويقدم له حسابا عن سياسته ، غير أن فولك ، رفس هذا الدال بازدا ، وفي ذات ليلة
 (عام ١٣١٢) فوجى فولك بالفرسان الناضرين وفتحون عليه مفرة الصيغى المدروى باسم رودس
 وهو على مسيرة نصف ساعة الى الجنوب من مدينة رودس العاصمة ، ويحاولون خدافه منه بالقوة ،
 غير انه استداع ، بفعل اخلاص حاجبه ، أن يغلت منهم ، ويلجأ الى مدينة لندوس ، الواقعة
 على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، ليحصن في قلعتها . وكان أن حاصر القامرون فولك في تلك
 القلعة ، على حين اجتمع مجلس الاستتارية واحدا رقرارا بفصله من منصبه ، وتعيين موريس
 دي بانباك ، Maurice de Bagnac سيدا كبيرا لهيئة الاستتارية بدلا عنه
 وقد يسمت مجلس الاستتارية والسيد الكبير المنتخب حديثا ، موريس دي بانباك ، في
 ٨ يولييه عام ١٣١٢ ، برسالتين منفصلتين عن الاحداث التي جرت في رودس ، الى الهيما
 حنا الثانى والعشرين ، مع رسول خاص .

Vertot II, PP.158-160; Biliotti, PP.138-139

(١) انظر

Vertot II, P.160

(٢) انظر

Pauli II, PP.62-64. numbri XLIII-XLIV; Amadi,

(٣) انظر

P.398; D. Le Roqlx: Les Hosp. à Rhodes, PP.12-13; Vertot II, PP.

161-164.

كما ان فولك ، أبلغ البابا بهذه الاحداث التي جرت ضده من وجهة نظره ، عن طريق رسول خاص أقدمت سفينه ، فيها يظن ، من ميناء لندوس الواقع أسفل القلعة التي تحصن فيها فولك .^(١) ورد البابا على هذه الاحداث بأن ارسل الى جزيرة رودس ، في يومى ١٧ ، ١٨ سبتمبر عام ١٣١٧ ،^(٢) نائبين باهويين للتحقيق فى الاستباب الدقيقة اللازمة من اطرافها ،^(٣) وأمرهما بأن يتسلما من كل من فولك وموريس دى بانياك تنازلا عن سلطاته ،^(٤) ويتسلما من فولك قلعة لندوس ، ويبحثا مسألة ديمونه من حيث مقدارها وشرعيتها ،^(٥) ويصادرا ما لديه من اموال ومجوهرات وغيرها من ثروة منقولة لحساب خزانة الهيئة حتى يمكن استخدامها فى تسديد جانب من ديون صاحبها فولك . وكان على النائبين الباهويين أيضا ان يبلغا كلا من فولك وموريس دى بانياك بالامر البابوي الذى يقضى بضرورة سفرهما لعرض اقوالهما على البابا فى مدينة أثينون ، وان يخطرا مجلس الاستبارة بأن البابا قد استخدم سلطاته كرئيس على لسيئة الاستبارة ثم عهد الى جيرودى بنتر (Géraud des Fins) ، وهو نفس الرسول الذى كان قد بعث به مجلس الاستبارة وموريس دى بانياك لابلاغ البابا بأمر احداث رودس ، بشأن الحكم فى رودس الى حين يتخذ البابا قراره النهائى بشأن حل الازمة .^(٦)

(١) أنظر : Vertot II, PP. 163-164; Biliotti, P. 140; D. Le Roulx: les Hosp. à Rhodes, P. 13.

(٢) أنظر : Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P. 14

(٣) أنظر المنشور الباهوي الى فولك فى Pauli II, PP. 62-63 num. XLIII وأنظر أيضا D. Le Roulx: Loc. Cit. Vertot II, P. 164

(٤) أنظر : Vertot II, P. 165; Biliotti, P. 140

(٥) أنظر : D. le Roulx: Loc. Cit.

(٦) أنظر : Vertot II, P. 165

وتميزوا المهمة للنائبين البابويين * ارسل البابا الى كل من فولك وموريس دي پانياك
في ١٤ أكتوبر عام ١٣١٧ * رسالة خلسة بدأها بمعرض موجز لوقائع أحداث رود من كسمسا
وصلته * وخلص من ذلك الى عرض مهمة النائبين البابويين الذين أرسلهما الى الجزيرة *
ثم ختم بإبداء الرغبة في أن يصل اليه كل من فولك وموريس دي پانياك * في مدينة أثينيون *
في أقرب فرصة * (١)

وفي نفس اليوم - أي في ١٤ أكتوبر عام ١٣١٧ * كتب البابا رسالة الى جيرو دي پير
أبلغه فيها بقرار تعيينه وكيلًا عامًا لمهمة الاستشارة
سرع تنويدة * بتكامل السلطات لادارتها * وإصلاح شئونها الخلية الى ان يتم التوصل
الى تسوية لازمة في رئاستها (٢)

وفي تلك الاثناء * كان حامل اختام الاستشارة * واسمه بطرس لونجولا * في زيارة
لمدينة أثينيون * فكلّفه البابا حنا الثاني والمشرون بالعودة الى رود من لكي يشرح لفولمسك *
وهو صديق شخص له * ما اتخذ حتى ذلك الوقت من اجراءات لمعالجة الموقف * ويخفف عنه
رفع المديون منها * وفي نفس الوقت كتب البابا رسالة لفولك أوصاه فيها بحامل الاختصاص
وبالاستماع لنصائحه وفي التعليمات التي زود بها (أكتوبر ١٣١٧) (٣)

ومهما يكن من امر * فان فولك * وكذا موريس دي پانياك * لم يجدا امامهما * آنذاك
الا ان يستجيبا لأمير البابا * وما لبث الرجلان أن غادرا جزيرة رود من * لمقابلته في مدينة
أثينيون * ومن المعتقد ان موريس دي پانياك توجه الى مدينة أثينيون رأسا * اما فولمسك (٤)

(١) بخصوص الرسالة الى فولك أنظر : Pauli II, PP. 62-63, num. XLIII

أما بخصوص الرسالة الى دي پانياك فأنظر : Ibid, P.P 63-64, num. XLIII

(٢) أنظر : Pauli II, PP. 64-65, num. XLV.; D. Le Roulx: les Archives, P. 35.

(٣) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, P. 15

(٤) أنظر : D. Pauli II, P. 61, num. XLII.

(٥) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, P. 15; Biliotti, P.

فقد تخلف في مدينة نابولي بإيطاليا ، حيث استقبله الملك روبرتو أنجو ، ملك نابولي
وصقلية ، استقبالا حافلا يتناسب مع سمته كفاك صليبي عظيم ، ^(١) واصلاحه معه ، بعد

أخذ موافقة البابا ، في حملته العسكرية التي جودها على مدينة جنوة ، إحدى مدن
يهود مونت ، مما أخره عن الوصول إلى أغنيون حتى أوائل شهر أغسطس عام ١٢١٨ ^(٢)

وقد توافع أكثر فقهاء القانون شهرة عن كل من فولك وموريس دي يانهاك أمام البابا
ومجلس كرادته ، وقال المحامي الذي تولى الدفاع عن موريس دي يانهاك ، واستخدمه
لوك رادودال بونتي من لودي (Cldrado dal Ponte, de Lodi) ، بسمان
فصل فولك وتعيين موريس دي يانهاك كان عملا قانونيا لأنه تم عن طريق مجلس الاستتارية ،
وهو مجلس منتخب من المؤتمري الاستتاري العام ، الذي رفع فولك إلى مركز الرئاسة ، ولمعه
سلطة فعله إذا رأى أنه أساء استخدام السلطات التي منحها له ، أما محامي فولك فقصده
بدأ مرافقته بعرض للفتوحات التي قام بها فولك شرق البحر المتوسط واستفادت منها هيمنة
الاستتارية والقضية المسيحية في الشرق بوجه عام ، ثم استنكر أن يجازي فولك على هذه
الخدمات بالصل من منصبه على يد نفر من المصاة بين أعضاء الهيئة التي يرأسها ، واكتفى

(١) أنظر : D. Le Roulx/ les Hospit. à Rhodes, PP.15-16,

(٢) نشر باولي أربع رسائل بابوية متعلقة بهذه الرحلة وقد وجه البابا رسالته الأولى إلى ^{Vertot II, P.167}

الملك روبرتو في نابولي قبل خروجه إلى جنوة ، طالب فيها عنه عدم تأخير فولك لديه
عن المجيء إلى أغنيون لسماع أقواله (Paul 1 II, P.66, num. XLVII)

ووجه رسالته الثانية إلى الملك روبرتو نفسه منعا إياها موافقته على أن يصطحب
الملك معه فولكا في رحلته إلى جنوة (Ibid, P.67 , num. XLIX)

أما رسالة البابا الثالثة فقد وجهت إلى فولك وتضمنت تصريح البابا له بالتأخير عن
الحضور إلى أغنيون ليتكمن من اصطحاب الملك روبرتو في رحلته إلى جنوة

(Ibid, P.68 num. L) هذا وكتبت الرسالة الرابعة إلى الملك روبرتو

بعد وصوله إلى جنوة ، وتضمنت تهينة البابا له بسلامة الوصول إلى هذه المدينة

وحثه على أن يأذن لفولك بالرجيل إلى أغنيون (Ibid, P.68 num. L1)

على أن يكون من سلطة مجلس الاستبارة عزل السيد الكبير وهو الشخص الذي يعود إليه الفضل في منحهم القابهم وتصويتهم في مناصبهم التي أعطتهم الحق في عضوية المجلس .^(١)

ويشفي المؤرخ د يارثيل لرو (Bienville Le Roux) مؤلف كتاب الاستبارة في رود موحى وفاة فليبرت د ي نيلا (١٢١٠ - ١٤٢١) مع محاضري موريس د ي بانياك في القول بشوعية فصل فولك وتصيين موريس د ي بانياك عن طريق مجلس الاستبارة ، ويقول ، تبريرا لذلك ، بأن هذا المجلس كان بمثابة وكيل دائم عن المؤتمر العام الذي يملك سلطة تعيين السادة الكبار للاستبارة وعزلهم ويحاول د يارثيل أن يدحض الحجة التي ساقها محاضري فولك بأن أعضاء المجلس لا يملكون سلطة عزل من عيّنهم في مناصبهم ، فيقول بأن هؤلاء الأعضاء حثيئة ، عينوا في هذه المناصب ، أو بالأحرى ، رشحوا لها ، بفضل السيد الكبير ولكنهم كانوا يستمدون سلطاتهم عن المؤتمر العام ، لا من السيد الكبير ، لأن المؤتمر العام يملك سلطة تشييتهم في هذه المناصب أو رفض ترشيحهم لها .^(٢)

غير أنه من الممكن الرد على هذا الرأي بأن القانون والدرف صريحان في النص على أن اختيار السيد الكبير يتم داخل مؤتمر استبارة عام ،^(٣) وعليه فإن عزل السيد الكبير لا يجوز أن يتم إلا عن طريق المؤتمر العام ، وكان في استقالة المجلس أن يعقد مؤتمرا عاما فاصرا على أعضاء الهيئة المقيمين في رودس ، إذا كان في هجرة من أموره ، لعزل فولك وتصيين موريس بانياك ، أو كان يلجأ إلى البابا ، بسفته الرئيس الأعلى لهيئة الاستبارة ليدعو السعي عقد مؤتمر استبارة عام كامل يناقش فيه هذا الموضوع .^(٤)

- (١) أنظر : D. Le Roux: les Hospit. à Rhodes, PP.16-17; Vertot
(٢) أنظر : II, PP.168-169
(٣) أنظر : D. Le Roux: Les Hospit. À Rhodes, P.17
(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 13 > nom. I, PP.115 - 118

(٤) في فبراير عام ١٤٦٢ عقد مؤتمر استبارة عام في روما ، بدّاه من البابا بولس الخامس على أثر الشكاوى التي رفعت إليه من جانب عدد كبير من رؤساء بيوت الاستبارة فمضى أوروبا ، متهمه السيد الكبير زاكوستا ، بفرض أعباء مالية إضافية عليهم بدون وجه حقيق وقد استدعى زاكوستا من جانب البابا ليدافع عن نفسه أمام المؤتمر العام هو استداع ان يبرى نفسه مما نسب إليه وينال تقدير البابا .
انظر :

وقد يكون ما يبرز هذا الرأي الأخير أن البابا اتخذ قراره في لول ملوس عمام

١٣١٩ بالذات انتخاب موريس دي بانياك ولعادة فولك الى منصب الرئاسة ، على ان يتوض

(١)

دي بانياك بمنحه لمرية الاستثنائية في ارمينيا ونصف الامرية الكبرى في قبرص .

على أن ذلك لا يمنع وجود دوافع أخرى وراء القرار البابوي السابق منها ما قال به

المؤرخ ديلاكيل لرو ، والمؤرخ فرتو Vertot من قبله ، من رغبة البابا في عدم تحميد دي

الرأي العام في أوروبا الذي لم يكن يعرف عن فولك سوى أنه بطل صليبي انتزع من الاتصراك

المسلمون عبيدا من جزرهم المحيطة بسواحلهم في شرق البحر المتوسط ، فأحارلته الجماهير

بالحنافاة والتكريم أينما حل . أثناء رحلته من رودس الى أفنيون حتى داخل بلاط البابا

نفسه . (٢) بين المحتمل أنها يكون البابا قد أراد ، بلعادة فولك الى منصبه ، أن يوكد

لنفسه سلطة عزل وقبول استقالات السادة الكهنة في هيئة الاستثنائية ، تأكيداً ، في الوقت

نفسه ، لرئاسته العليا لهذه الهيئة .

وأما كان هذا الدافع ، فقد كان البابا يدرك تماما ان قراره بلعادة فولك الى منصبه

سوف لا يساعد على إعادة الوثام بين صفوف الاستثنائية في رودس ، ولذا افنح فولك بمسحان

بعدم له استقالته مقابل منحه رئاسة شعبة كايوا باستثناء امرية ناپلي ، لانها احدى الآمرات

المختصة ابراداتها للسيد الكبير (chambre magistrale) ، مع اغفائه من دفع

(٣)

الرسوم المقررة على هذه الشعبة لخزانة الاستثنائية وما لبث البابا أن أصدر قراراً أخيراً

أصبح فولك بمقتضاه لا يد ين بواجب الطاعة والولاء للسيد الكبير لهيئة الاستثنائية وإنما للبابا

(١) انظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rhodes, P.17

(٢) عن هذه الحنافة انظر : Ibid, PP.16-17; Vertot II, P.167 , pp. 170 171

(٣) انظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rhodes, PP.17-18 ; Vertot II, /

والمرسوم البابوي في Pauli II, P.72 num. LIV)

وعند ما أصبحت استقالة فولك نهائية ، اجتمع من كان يوجد آنذاك في مدينة أثيون
من أعضاء مجلس الاستتابة وروما الشعب ، الذين عرف منهم رؤساء شتى فرنسية
وشامبيني وأوثرن وتولوز وقشتالة والبرتغال والبنديقية ، في قصر البابا حنا الثاني والمشورين
وطالب منه ، على شكل مؤتمر عام ، واختاروا بالطريق القانوني المعتاد سيدا كبيراً
لمهبتهم ، بدلا عن فولك الذي استقال ، هو هليون دي فيليوتيف (Héliot de Ville^{neuve})
(٢) قدم شعبة بروفانس ، وقد وافق البابا ، في ١٨ يونيو عام ١٣١٩ ، على هذا الاختيار
(٣) الذي تم بإعاز منه على ما قيل .
(٤)

وكان أن رأى هليون دي فيليوتيف أن من المالح تأجيل سفره إلى جزيرة رودس فاستمر
من الزمن يبقى خلالها في بروفانس قريبا من البابا للاستفادة به في حل مشكلات هيسبة
الاستتابة الملحة وعلى رأسها مشكلة الديون التي تضخمت كثيرا بسبب تبذير السيد الكبير
(٥) المستقبل فولك .

(١) انظر : Pauli II , P.73, num. LV

أقترح فولك في شعبة كابوا نفس الاخطاء التي تسببت في فصله من منصب السيد
الكبير للاستتابة ، ما أبعد عنه عواطف الاطال الذين طلبوا من البابا ، ان يفصله
من منصبه . وقد استجاب لهم البابا حنا الثاني والمشورين وأصدر قرارا في ١٣ يناير
عام ١٣٢٥ ، قضى بنقل فولك إلى رئاسة شعبة روما . غير ان البابا أصدر في
٢٥ أبريل عام ١٣٢٦ قرارا آخر حدد فيه لفولك مديارا سنويا مقداره ألفا فلورينتي ،
مرشونة على دخل شامبيني بأقاربه وشامبينا ما يدل على إعفاء فولك من منصبه الجدد

(D; Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, P.18)

وقد توفي في اول سبتمبر عام ١٣٢٧ ودفن في كنيسة القديس حنا الكبير بمدينة

مونبيلييه الفرنسية انظر : Ibid, Op. Cit., P.18; Vertot II, P.171

(٢) انظر : D. Le Roulx: les Hosp. à Rhodes, P.51.

ينتسب فيليوتيف إلى أسرة مشهورة وقوية في بروفانس . وكان والده جيرو الثاني دي فيليوتيف

Géraud II de Villeneuve يحمل لقب بارون ، وفي ٢٠ نوفمبر ١٣١٤ عين

رئيسا لشعبة بروفانس وظل في المنصب حتى اختير سيدا كبيرا للاستتابة .

Ibid, Op. Cit., P.52, Biliotti, P.142.

انظر :

D. Le Roulx Op. Cit. P.51; Biliotti, P.142.

(٣) انظر :

مع ملاحظة ان قداس المؤرخين فيل بيلوتي (نشر كتابه عام ١٨٨١) ود بلا فيل لسرو

(نشر كتابه عام ١٩١٣) وعلى رأسهم غرغو (الجزء الثاني ص ١٧٥) كانوا يعتقدون

بأن تولية فيليوتيف تمت في عام ١٣١٣ .

(٤) انظر : Vertot II, P.175; Biliotti, P.14 .

(٥) عن قبيلة هذه الديون والد اثنين انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.53; Biliotti, P.146.

وبناءً على اقتراح د. فيليبس ، كلف البابا حنا الثاني والمشرقي ، في ٢٩ مارس عام ١٢٢٠ ، شخصيتين استباريتين كبيرتين ، هما حامل الاختام ، بطرس من أنجولا ، والمفتي العام في الغرب ، ليونارد وتيرتي ، بمهمة التصرف على هذه الديون وتوزيعها على الشعب المختلفة وتحدد شروط تسديد لها مع الاثنين .

وقد استطاع د. فيليبس أن يحدد هذه الديون في غضون نحو عشرين سنة من ذلك التاريخ ، كونه تفضل سياسته الحكيمة ، ومماونة المؤتمرات العامة التي عقدتها أساساً لمناقشة هذه المسألة ، فضلاً عن مساعدة البابا حنا الثاني والمشرقي الذي لم يرد في إعطاء موافقته للسيد النير فيليبس ، كلما طلبها من أجل التصرف في عقار أو قطعة من أراضيه أو الأبنية طويلة الأمد على هيئة الحكر أو الهبة ، وهي موافقة كان لابد من الحصول عليها في مثل هذه الحالات .

ومن الدلائل على أن الديون قد سددت في ذلك الوقت ، عدم مناقشتها في المؤتمرات العامة التي عقدت بعد ٢ نوفمبر عام ١٢٢٠ ، فضلاً عن شهادة السائسج الألماني لودولف فون سوشيم (Ludolph von Suchem) ، الذي زار جزيرة رودس في نطاق رحلته إلى فلسطين بين عامي ١٢٢٦ و ١٢٤١ ، وكتب عن رؤيته فيها فيليبس بأنه غاي في الشج ، وأنه تده من ثروة لا تحصى ، وحرر هيئة الاستبارية التي يرأسها من أغلال ديون باهظة .^(١)

على أن مسألة تسديد الديون لم تكن هي الشغل الشاغل الوحيد للسيد الكبير فيليبس ، أثناء إقامته في بورتانر ، فقد انهمك أيضاً في دراسة المديونية من منطلق الطلبات التي تقدم بها إليه بعض أمراء أوروبا وساداتها ، عن طريق البابا حنا الثاني والمشرقي ، للحصول على أراضي أو عقارات من إرث الداوية في بلادهم وهو الإرث المعزى استكمل الاستبارية ونزع يد عنهم بفضل الجهود المشتركة للسيد النير فيليبس والبابا حنا الثاني والمشرقي . وكان فيليبس يوافق باستمرار على بعض هذه الطلبات التي يرى فيها

D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, PP.53-57

(١) انظر :

Ludolph von suchem, P.34

(٢) انظر :

فمسألة مادية للاستشارة ، كما كان يوافق على الطلبات التي تجنى ثمرته من وراثتها
فوائد سياسية ممثلة في كسب مودة بعض الشخصيات الأوروبية الكبرى مثل جان jeanne
زوجة فيليب الخامس ملك فرنسا ، التي اشترت من الاستشارة منزلا في سانوا ، ومثل متى
دي تريك (Mathieu de Tric) مارشال فرنسا ، الذي أجر له فيليبينف منزلا
، ومثل سانشا Sancha ، ملكة صقلية ، التي باع لها فيليبينف مخزنا كبسيرا
ومثل ألفارو نونيز دوسوريو (Alvaro Nunez d, Ossoris) ، مستشار الفونسو
الحادي عشر ، ملك قشتالة ، وقد تنازل له الاستشارة عن قصر ومنزل ، قابل تنازله لهم
(١)
عن عقارات ملوكة له ، وغير ذلك من الشخصيات .

ومع أن فرغ فيليبينف من تسوية جميع هذه المشاكل في أوروبا ، رحل عنهم
بعد ٢٥ مايو عام ١٣٣٢ ، إلى جزيرة رودس التي وصل إليها قبل ٦ سبتمبر من نفس
العام . وأكثر ما وجه إليه فيليبينف اهتمامه في رودس كان التصوير والتشيد حتى أُلقي
عليه لقب بناة رودس (Batisseur de Rhodes) هذا إلى أنه عقد في مدينة
رودس أربعة مؤتمرات عامة ، في الأعوام ١٣٣٥ ، ١٣٣٧ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤٤ على
(٢)
(٣)
(٤) (٥) (٦) (٧)

(١) أنظر : D. Le Roulx: les Hospit. à Rhodes, FF.59-65

(٢) أنظر : Ibid, OP. Cit., FF.85-86; vertot II, P.180

وقد كان فيليبينف في ٢٥ مايو عام ١٣٣٢ لا يزال في مارسيليا بفرنسا ، ففسد

أوصاء البابا في هذا اليوم بالألا يبدأ في الرحلة إلى رودس قبل أن يتم لسمه

الشفاء . أنظر Pauli II, P.81 , num. LXIII

(٣) أنظر Farochon , F.69

(٤) أنظر D. Le Roulx:OP. Cit.,P.56

(٥) أنظر Ibid: (p. Cit?, P. 120

(٦) أنظر Ibid: Loc. Cit.

(٧) أنظر Ibid: Op. Cit., P.96

التوالي ، بواقع مئتين عام في كل عام ، اتخذ فيها ما يلزم من قرارات دعيت النظام داخل صفوف الاستبارية ، ومن أنجازاته أيضا أنه منع التحول ، وفوى البحرية ، وعزز الحاميات وغيرها من وسائل الدفاع ، في جزيرة رود من غنى عن جزر الارخبيل الخاضعة لها .

(٢) وعند ما توفي قبلينيوف في مايو عام ١٣٤٦ ، اختار الاستبارية في رود من الأسس

الكبير ، واسمه ديهه دونييه دي جوزون أي (عطية الله جوزون Dieudonné de Gozon

سيد اكيرا الهيثم خلفا له ، وقد سدد في البابا ، كلبنت السادس ، على اختيار جوزون ، في ٢٨ يونيو عام ١٣٤٦ ، بعد أن استشار وكيل عام الاستبارية لدى البلاط البابوي ، وروسله بسبب الاستبارية في سان چيل وكاپوا وناغارا ، وسبعة من الأمهين مدبري الدوائر (٣)

Commandeurs تصادف وجودهم آنذاك في مدينة أفسيون مقر البابوية ، (٤)

ويصرف عن السيد الكبير جوزون أنه من مدينة روج Rouergue الواقعة

في اقليم لانجدوك Languedoc (٥) وأن له اقارب كثيرون اعضاء في هيئة الاستبارية (٦)

منهم من كان يشغل مناصب مدبري الدوائر Commandeurs

وقد اذعن اسم جوزون بحادث ، له اسطورة سجلها الادب والفن الرود من زمن الفرسان الاستباريين ، ويتلخص الحادث في أن وحشا ضخما ، يمتد بانه تنين ، من بقايا الحيات التي اشتهرت بها جزيرة رود سرقه ما حلى اطلق عليها وقتذاك اسم جزيرة الحيات

Ophionés ، آثار ، في عام ١٣٤٢ ، أي في عهد رئاسة قبلينيوف ، الذعر بسين

(١) انظر Vertot II, PP.180-182;Biliotti, PP.145-146

(٢) انظر D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.98

أما بليوتي Biliotti (ص ١٥٨) فانه يذكر بأن الوفاة تمت في شهر يونيو .

(٣) انظر D. Le Roulx:les Hospit. à Rhodes, P.101

(٤) انظر Ibid: OP. Cit., P.102

(٥) انظر Biliotti, P.159

(٦) انظر D. Ibid:OP.Cit., PP.102-104

أهالي وادي قريب من العاصمة رودس كان يحرف آنذاك باسم وادي موياس

وعند ما كثر عدد ضحاياه من فرسان الاستتارية الذين تجرؤوا على محاولة قتله ، اصمدد
المسدد الكبير ثيلونيف (عام ١٢٤٢) قوارا بفصل كل من يحاول من الاستتارية الافتراب
من مكان الوحش . غير أن الفارس جوزون لم يأبه بهذا القرار ، وقام برحلة الى غرنا حيث
درب كليمن وغرنا له على مهاجمة ثعال خشبي صنعه للوحش ، ثم رجع الى رودس وأجهز
على الوحش بمساعدة بندي بن الكليمن والفرس واثنين من خدمه المخلصين وقد نفذ ثيلونيف
قرار الفصل في جوزون ، ولكنه ، بعد أيام قليلة ، عفا عنه ، واعاد ، الى عضوية الهيئة ،
(١)
واثنى عليه .

ومما عرف عن السيد الكبير جوزون ، أيضا ، أنه عقد في مدينة رود من مؤتمرين عامين ،
أولهما في ١٠ يناير عام ١٣٤٧ ، وثانيهما في ٢ مارس عام ١٣٥٣ ، اتخذ فيهما قرارات
هامة هدتها المحافظة على النظام داخل هيئة الاستبصارية وتعزيزه ،^(٢) وأنه أرسل ، غسسى
عام ١٥ أغسطس عام ١٣٤٧ خطابا دوريا الى رؤساء بيوت الاستبصارية في د اشبيسما
والد نورك والسويد والنرويج ، ويخبرهم فيه على امتناعهم عن ارسال أنسبة الخزائنة غسسى رود من
من دخول البحوث التي يدبرونها ، منذ أن طرد الاستبصارية من الشام عام ١٢٩١ . ويحدد
أن لفت نظرتهم الى أن زملائهم في رود من في حرب دأشة ضد الترك المسلمين وانهم لذلك غسسى
حاجة ماسة الى جميع موارد هيسستهم التي نذرت في الاعل لمواصلة هذه الحرب ، أمروهم بأن
يرسلوا في كل سنة الاموال التي تطلبها منهم الخزائنة في رود من عن طريق محصل الاستبصارية
في الغلاندرز ، ثم هددهم بعزمه على انزال العقاب بكل من يخالف منهم هذه الاوامر .^(٣)

Vertot II, PP.183-193;Farochon, PP.69-83;Biliotti, (١) أنظر
PP.146-155; D.Le Roulx:les Hospit. à Rhodes,PP.104-105
D. Le Roulx: Les Hosp.àRh.,P.113 (٢) أنظر
Pauli II PP.90-91, num. LX11; Vertot II, PP.216--217 (٣) أنظر

وكان رؤساء بيوت الاستتارية في الدول الاسكندنافية وشمال ألمانيا واسبانيا ^{في} رودس
في حقيقة الامر ، قد اذلتهم ^(١) منذ مدة ، ميولا للتحرر من السيادة المركزية لهيئتهم ^x رودس
غير أن سيادة جونون كانت في جميع الأماكن الاخرى وراية الاركان . ومع ذلك فقد طلب
جونون من البابا أنوسنت السادس ، في عام ١٣٥٣ ، أن يصفيه من منصبه بحجة كبر السن
وأصر جونون على دلالته ، بالرغم من توسل البابا اليه بالاستمرار في أداء واجبه ، فلم يجمع
البابا مندوحة من الموافقة على طلب الاستقالة في ٤ يولية عام ١٣٥٣ . وكان أن بصفت
البابا بقرار الموافقة الى رئيس أساقفة رودس لتوصيله الى جونون ، راجيا اياه أن ينسحب
للمسجد الكبير المستقبل مدينا بكفيه لتعظيمه بقية حياته في سلام . غير أن جونون توغى فسي
٧ ديسمبر عام ١٣٥٣ من غير أن يعلم بقرار البابا بحسب تردد رئيس الاساقفة في اطلاق سراحه
(٢) عليهما .

وقد حكم جزيرة رودس ، بعد جونون ستة عشر رئيسا كبيرا . كان آخرهم فيليب
فيلير دى ليل آدم (Philippe Villiers de L'Isle Adam)
الذي اختير لمنصب الرئاسة في ٢١ أو ٢٢ يناير عام ١٥٢١ وظل فيه حتى طرد ^(٣) في
وجميع أعضاء هيئة الاستتارية من جزيرة رودس في أول يناير عام ١٥٢٣ على يد الملك
العثماني سليمان الثاني الشهير باسم السلطان سليمان القانوني ^(٤) .

(١) أنظر D. Le Roux Les Hospit. à Rhodes, P.114

(٢) أنظر Ibid CP. Cit. , PP112-113, Biliotti, P.164; Vertot 11, P.222

(٣) أنظر Biliotti, P.287 الذي يقول بالتاريخ ٢١ يناير ،

(De naberat , P.81) الذي يقول بالتاريخ ٢٢ يناير .

(٤) توغى دى ليل آدم في جزيرة مالطة في ٢١ أغسطس سنة ١٥٣٤ — أنظر

De naberat , P.81

ولعل أعظم الانجازات الاخوية التي تمت في عهد السادة المبار الذين حكموا جزيرة رودس من فرسان الاستارية كانت انجازات التشييد والبنا وبخاصة ما يتعلق منها بتحصين المصاصة رودس التي تقع في الطرف الشمالي من الجزيرة . ومن الثابت ان أعمال التحصين بدأت منذ عهد السيد المير الاول فولك دي قبلاريه . وقد أقام فولك الجانسيب الأكبر من التحصينات التي شيد بها ، على أساسات الحصون البيزنطية المشهورة في الجزيرة (١) ثم تناول خلفاؤه هذه التحصينات بالاصلاح والتجديد والانعاش ، كلما استدعى الامر ذلك اما لمواجهة تهديد بد بالفتح من جانب الاتراك أو المماليك ، أو لاصلاح ما تهدم نتيجة الحصار الذي فرضه حول المصاصة رودس المماليك الصربون في عام ١٤٤٤ والاتراك المماليكيون في عام ١٤٨٠ ، وما تقوض بسبب زلزال وقع في عام ١٤٨١ ، فضلا عن الحاجة لمسايرة التطور في صناعة الاسلحة وبخاصة صناعة المدفعية ، ما استلزم معالجة الحصون بحيث تصبح صالحة لاستقبال هذه الاسلحة المتطورة داخل جدرانها ، وتغدو قادرة على التمسكات (٢) عندما يواجه الاعداء هذا السلاح فبتهدها . وفي الواقع ، لقد غدت مدينة رودس المصاصة نتيجة لهذا التحصين المستمر قلعة بعيدة المنال ، واصبحت في القرن الخامس عشر الميلادي

De Belabre, P.21

(١) أنظر :

Ibid; P.39

(٢) أنظر :

وقد زار الرحالة الالباني أرنولد فون سارف Arnold von Harff

مدينة رودس بعد مرور ستة عشر عاما على وقوع حادثة الحصار الذي فرضه المماليكيون حولها وانتهى الى فشل ، أي في عام ١٤١٦ ، بأن السيد الكبير وبهمون الذي كان يتولى حكم رودس أثناء الحصار ، ووقت زيارة سارف لها أصلح ما فوضه الحصار من السور ، وفواه فأصبح سمكه أربعة واربعين ، ما لا يدخل ضمنها سمك الستائر

Harff, P.84

أنظر :

(٣) أنظر :

تعد واحدة من مدن أوروبا الأكثر تمتعه • (١) وقد بهر الكاتب التركي المجهول • أحب

الرسالة التي تركها عن الحصار الأخير الذي فرضه العثمانيون • بقيادة السلطان سليمان

الثاني • حول هذه المدينة في عام ١٥٢٢ • وانتهى بسقوطها وسقوط الجزيرة كلها في

أيديهم بهر بمنعتها • فكتب يقول بأن اللسان والقلم لهما جزان عن الاهتداء إلى الألفاظ

أو التصويرات المناسبة التي تصف بحق عظمة تحصينات المدينة • وأن أولئك الذين وضعوا

(٢)

تسميم لهذه التحصينات يستحقون الثناء •

ويمكن تقسيم تحصينات مدينة رودس • بعد أن اكتمل تشييدها • إلى تسع محلات

مجموعات بحسب موقعها • هي مجموعة أبراج البوغازين • أي البوغاز الكبير وبوغاز الماندراكي

خارج أسوار المدينة • ثم مجموعة الأسوار وما يتصل بها من أبراج وبوابات وخنادق تحيط

بها • وأخيرا قصر السادة النبار في الحى العسكري المعروف باسم الكولاشيوم Collachium

داخل الأسوار •

وفيما يتعلق بالأبراج التي تسمى البوغازين فان عددها ثلاثة هي برج القديس

نقولا • و برج نيلاك • و برج طواحين الهواء • وأما هذه الأبراج هو برج القديس نيكولا •

ويقع هذا البرج عند طرف رصيف يمتد رأسيا في البحر ليشكل الجانب الشرقي لميناء صغير •

(٣)

شبه مستدليل طوله نحو ثلثمائة ياردة • وعرضه مائتان • كان يعرف باسم جون أوموسيس

(٥)

(٤)

الشمال (Rade du Nord) • كما عرف باسم بوغاز الاغرة • حيث كان يستخدم

(٦)

في عهد الاستبارة لا يواء الاغرة الصغيرة • وعرف عند الاتراك باسم الدارشانيس

Darshanee • وعند الأفريق باسم الماندراكي mandrakee وحشو

(٧)

أشهر الأسماء التي أطلقت على هذا البوغاز •

Biliotti, P.494

(١) أنظر :

Ibid, P.302

(٢) أنظر :

De Belabre, P.23

(٣) أنظر :

Farochon, P.73

(٤) أنظر :

De Belabre, P.23; Farochon, P.73

(٥) أنظر :

De Belabre, P.23

(٦) أنظر :

De Belabre, P.23; Biliotti, P.499

(٧) أنظر :

والأرجح أن برج القدس نقولا بنى في عهد السيد الكبير زاكوستا ، في عام ١٤٦٤ على أنقاض برج أقدم ذو أصل عربي . وقد تبين لدى بروجند با ، غيليب الباب بمبلغ مئتين المال ، قدره اثني عشر ألف قطعة ذهبية من العملة المصرونة باسم الايكوس (ecus) مساحة منه في بناء البرج الجديد بمناسبة ذكرى الوقفة الباسلة التي قامت بها فرقة مسيحية مولانية البرجنديين للدفاع عن البرج القديم عندما حاصره المملوك في عام ١٤٤٤ أي قبل بناء برج زاكوستا بمئتين سنة . ولأن هذا المبلغ وصل إلى رودس عن طريق الفارس الاستباري حنا داسيلي (Jean d,assaily) ، وكيل عام الاستبارية في بلاد الفلاندر ، فتمدد ونسخ دعوته ، أو بالأحرى شارته ، إلى جانب برج الدوق صاحب البرج ، على مدخل المبرج وغوى واجهته المطلة على البحر . (١)

ويرجح دي بهلابر De Belabre الرأي القائل بأن برج القدس نقولا شيد على نفس الموقع الذي أقام فوقه الرومانيون القديسي شال الكولوسوس Colossus . ويسمى رأيه على نظرية أن البناء الذي يقام في المادة على أنقاض بناء آخر ، إنما يقام أيودي نفس الغرض الذي كان يؤمم به البناء القديم ، وحيث أن الاستبارية استخدموا الجزء المأوى من برج القدس نقولا ، كمنار للسفن ، فذرة من الزين ، وأن البيزنطيين من قبلهم كان لهم من أيضا منار في نفس الموقع ، وأن الكولوسوس نفسه ما هو إلا شكل من أشكال المنارات ، أو هو على الأقل بناء أرضي أقيم لخدمة البحارة ، فصاره يمكن القول بأن المئذنة الثلاث أقيمت على مكان واحد . (٢)

(٣) ويرجح القديس نقولا أسطواني (د اثري) الشكل ، ويتألف من طابقين أرضيين عبارة عن غرفة واحدة متصلة مع غرفة الحراسة ، يعلوها الطابق الأول الذي يشمل بشرفة قوية

(١) أنظر : De Belabre, P.25; Biliotti, PP.236-237; Flandin, PP 179, 180, 292; Harff, P.85

(٢) أنظر : De Belabre, P.23

(٣) أنظر : De Belabre, P.25; Biliotti, P.501

على استوائه فوقها بطارية المدافع ، ثم اللابى الثانى ، أو العلوى ، الذى توجد به
 (١) غرفة المراقبة . ويحيط بالبرج سور حجري شبه دائرى ، سمكه نحو خمسين قدما ،
 وارتفاعه قريب من منتصف ارتفاع البرج . وقد شيد هذا السور فى عهد السيد الكبير بطرس
 دويهمون ، بعد أن فك المشايخ الحصار القاسى الذى فرضوه حول مدينة رود من قى عام
 ١٤٨٠ . بحيث ضم الى داخله ، بخلاف البرج ، كنيسة صغيرة كانت توجد الى جسيمواره
 على الرصيف ، فخلع المدخل القديم للبرج . ويوجد الى الداخل من السور أبناس
 صهريج كبير يمد البرج بالماء الضرورية ، كما يوجد بأسفله من الداخل مجموعة من الضمروف
 القوية ، كانت حامية البرج تستند لها كملاجى . ، عندما تتساقط فوقها قد اشرف
 الاعداء ، أو كانت تقصف بوقلا . الاعداد بالمدافع من فوقها . هذا ويقع مدخل البرج فسمى
 (٢) الجهة الجنوبية ، وهو مدخل له باب صغير يؤدى اليه كوبرى قلاب .
 وبالرغم من وقوع برج القديس نقولا عند مدخل يوفاز الماندراكى من الناحية الشرقية ،
 فانه ، نظرا لقوة مدفعيته وتوفله فى البحر ، لم يتم بحماية هذا البوغاز فحسب ، بل قام أيضا
 بحماية البوغاز الكبير ، الذى كان يعرف أيضا باسم بوغاز الجمرك ويقع الى الجنوب الشرقى من
 بوغاز الماندراكى . ومع ذلك ، فقد أقام الاستتارية برجين خاصين لحماية مدخل البوغاز
 (٣) الكبير ، وهو مدخل يبلغ اتساعه نحو مائتين وخمسين ياردة . - أحدهما من الناحية الغربية
 (٤) وهو برج نيلاك ، والثانى من الناحية الشرقية ، وهو برج طواحين الهواء .
 (٥) (٦)

De Belabre, P.27; Biliotti, P.501

(١) أنظر :

Harff, P.85

(٢) أنظر

De Belabre, PP.26-27; Biliotti, P.501

(٣) أنظر

Biliotti, PP.500 -501

(٤) أنظر

De Belabre, P.35

(٥) أنظر

De Belabre, P.33; Flandin, P.292.

(٦) أنظر

ويقع برج نيلاك عند «لورديف طولو ستون ياردة» ويمتد هذا الرفيف شرقا ليشكل

زاوية قائمة مع رصيف برج القديس نقولا الذي يمتد ناحية الشمال «ويبلغ ارتفاع البرج نحو

مائة وخمسين قدما فوق سطح البحر» وهو مربع الشكل «ومقوى في كل زاوية من زواياه الأربع
(١)

ببرج صغير مربع «ويرتفع فوق سطحه برج صغير خامس ضمن الاتصال والزوايا» وقد شيد
(٢)

برج نيلاك في عهد السيد الكبير غليبردي نيلاك الذي يحمل اسمه «في عام ١٤٠٠ واشترك
(٣)

في بناءه عدد كبير من الاسرى العرب «نسى أيضا باسم برج العرب» علما بأن للسبح

أسماء أخرى منها برج القديس انجيلو (St. Angelo) وبرج القديس ميخائيل St. Michael

وبرج الفرنجة (Franks) وبرج الترابوكو (Trabuco) والاسم الأخير

في الأصل تحريف لكلمة (Trebuchetum) أو كلمة Trébuchat

وكانتا القلعتين تطلقان على المنجنيق الذي يقذف أحجارا «وعرف في المصور الوسطى الأوروبية

باسم القنا بولت (Catapult) ويمتد على رصيف برج نيلاك حائط متارة «يبدأ

من برج القديس بولس «وهو أحد الأبراج المتصلة بسور المدينة» وينتهي قبل موضع بمسرح

لنيلاك بنحو عشر ياردات ولكن يتصل به عن طريق قوس «وقد بنى هذا الحائط في وقت متأخر

ربما في عهد غلوثيان (يوليه ١٤٢١ - أكتوبر ١٤٣٧) أو دى لاستيك (أكتوبر ١٤٣٧ -

مايو ١٤٥٤) «لتقوية البرج» هذا ويوجد بقاعدة برج دى نيلاك اليونانية الزخرف موضع

لتشبيث أحد طرقي سلسلة ضخمة كانت تستخدم لقتل مدخل البوغاز
(٤)

ويقف في مواجهة برج نيلاك «على الناحية الأخرى من مدخل البوغاز الكبير» وهي

الناحية الشرقية «برج طواحين الهواء الذي سمي أيضا باسم برج القديس حنا أو برج الملك

De Belabre, P.34; Flandin, P.291

(١) أنظر :

De Belabre, P.33

(٢) أنظر :

De Belabre, PP.33 - 34; Biliotti, P.501

(٣) أنظر :

De Belabre, PP. 34 - 35

(٤) أنظر :

كما يمكن تسميته ، في رأى دى بيلابر De Belabre ، باسم برج فرنسا لان جميع جوانبه المدلة على الياض والبحر مزينة بنقوش تمثل د ربح فرنسا بزيئنته الثلاث .^(١)

ويقع هذا البرج - الذى شيده السيد البيير جونون (مايو ١٢٤٦ - ديسمبر ١٣٥٢) ، في رأى نغند أن ، أو السيد البييروبيسون ، على أنقاض برج أقدم^(٢)

فيل أن الملك الفرنسي لويس التاسع بناه في عام ١٢٤٨ وتوحي طريقه الى سور ، في رأى^(٣)

دى بيلابر - عند طرف وحيث يتد ، بدلول مقداره مائتان وخمسون مساردة ،

وعرض قدره خمس وثلاثون ياردة ، من الزين الشرقى لسور المدينة ، ويتجه ناحية الشمال

لشكل الجانب الشرقى للبوغاز الكبير ، وقد بنى هذا الرصيف فوق أساسات افريقية في عهد

السيد البيير جونون ، وكان يحمل ، شأنه شأن البرج نفسه ، اسم طواحين الهمسوا .

بسبب وجود ثلاث عشر طاحونة ، سواء فوقه ، كان يطحن فيها معظم احتياجات الاهالى من

الدقيق ، عاما بأن دخول بعض هذه الطواحين كانت موقوفة للصرف منها على عدد محدد من

الكنايس وقلعات الصلاة في مدينة رودس ، وان طواحين هذا الرصيف لم تكن تشتمل^(٤)

جميع الطواحين الموجودة في المدينة ، بل كانت هناك أيضا ثلاث طواحين ، سواء على رصيف

برج القديس نقولا الى الشرق من مونا الماند ران ، وسبع طواحين في الناحية الغربية^(٥)

من المدينة .^(٦)

(١) أنظر : De Belabre, PP.33, 35

(٢) أنظر : Flandin, PP.287, 293

(٣) أنظر : De Belabre, P.35

(٤) أنظر : Ibid, PP.35-36 (٥) أنظر De Belabre, P.27 Harff, P.85

وقد أشار الرحالة حارف أيضا الى الطواحين الثلاث عشر الغاية فوق الرصيف المقابل

الى رصيف برج طواحين الهواء ، وذكر بأن غرفة من الفزاة الجنوبية قد شيدها

في المصور الخالية - أنظر Harff, PP.85-86 . ولير من شك في أن ههههه

الرحالة الالمانى كان يشير الى حادث احتلال الجنوة لمدينة رودس من البيزنطيين

في عام ١٢٤٨ - أنظر : De Belabre: Loc. Cit.

وبرج بلواحين الهواء^١ أصغر من برج نيلان^٢ ، ولا يزيد ارتفاعه عن خمسة وسبعين

قدماً ، ويحيط بأخفه من ناحية البحر ، حائط منشعر تظهر فيه نوات المدافع ، أما من

ناحية اليابس فيوجد بجواره بناء من مائة الأمتار أحد سما غرفة العراسة والثاني كنيسة^(١) .

وعلى العموم فإن هذا البرج لم يكن له سوى أهمية ثانوية بالمقارنة مع برجى القديسين نقولا

ونيلان اللذين كانا يغطيان بنيرانهما القوية على نيران برج بلواحين الهواء^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن حراسة الابراج الثلاثة الواقعة خارج أسوار المدينة ، وتمس

ابراج القديسين نقولا ، ونيلان ، وبلواحين الهواء^٣ ، كان يعهد بها كل ثلاث سنوات

لفارس يختار بالتناوب من بين اللوائف القومية المختلفة التى كانت تبث الاستتارية

تتألف منها ، ويحلى لقب قائد الابراج الثلاثة^(٣) . وإذا صدق فلاندا أن كان هذه العادة

تغيرت في أوائل القرن السادس عشر بحيث أصبحت قيادات الابراج الثلاثة توزع ، كسمل

ثلاث سنوات ، على ثلاثة فرسان من لوائف مختلفة بدلاً من إعطائها لفارس واحد^(٤) .

أما فيما يتعلق بأسوار المدينة ، فقد كان يترى خارجها ، في معظم أجزائها التى

لا تشرف على البحر ، خندق حفر الجانب الأكبر منه ، في عام ١٢٧٥ في عهد السيمسادة

البيزنطية ، ثم أكمل حفره في عهد الاستتارية الذين قاموا أيضاً بتوسيعه وتصنيفه بمسند

خروجهم ثلاثين من الجدار الفاشل الذى فوته المشائون حول حائطهم في عام ١٤٨٠ ،

بحديث أصبح اتسعه بئراج بين الثنتين والاربعين ياردة وعنفه بين الست عشرة والثلاثين

باردة^(٥) .

De Belabre, PP.35-36.

(١) أنظر :

Biliotti, P.502

(٢) أنظر :

De Belabre, PP.37-38

(٣) أنظر :

Fländin, P.293

(٤) أنظر :

De Belabre, P.39

(٥) أنظر :

ومن الثابت أن الجانب الأكبر من أسوار مدينة رود من تصميم مهندسين ايطاليين

منهم جياينو Giaeno ، بارتولوتشي Bartolucci ، تادينو دي مارتينينجو Tadino de martinengo ، وقد استمال السيد الدير كاريتو ، في عام ١٥٢٠ ، المهندس
باسيليو د بلاك سكولا Basilio della Scola ، الذي كان يعمل آنذا ، في خدمة
الامبراطور النمساوي ، ماكسيميليان maximilian ، فحضر الى رود من
وادخل تعدد يلات هامة على تحصيناتها المختلفة تمشي مع النهر ، منها أنه بنى الاجزاء
العليا من جميع الحصون والابراج الى نفس مستوى ارتفاع حوائط الاسوار (١) .

ثم قسم السيد الكبير زاكوستا ، في عام ١٤٦٥ ، السور ، وما يتصل به من ابراج
وبوابات الى ثمانية قطاعات بعدد الدوائر القومية التي كانت تتألف منها وقتذاك هيئمة
الامبتارية ، وعهد الى كل طائفة منها بمهمة الدفاع عن قطاع من هذه القطاعات التي أصبحت
تعرف باسم الحصون أو المراكز وحمل كل منها اسم الطائفة التي تحمي وترفرف راياتها



()

(۱) فوق حوائط

على أن هذا التوزيع في المراكز على الاسوار بين طوائف الاستوائية المختلفة ،
أدخل عليه في أوائل القرن السادس عشر تعديلات طفيفة أبرزها أن طائفة انجلترا تبادلت
مركزها مع طائفة أرغونه (إسبانيا) ، وأن مركز ألمانيا أصبح أكثر أهمية .^(٢)

وللتصرف على هذه المراكز بعد اجراء التمدد الاخير عليها • يلزم القيام بدورها
منها تبدأ بأحد شأ • ولكن مركز فشتالة • ويبدأ سور مركز فشتالة من برج • اثرى صغير •
يقع في المون الجنوبي الشرقي من المدينة الى اليمين من قاعدة رصيف طولاجين الهيسوا •
الذي يشكل الجانب الشرقي للبوغاز الكبير • ويستد غربا حتى برج مماثل له في الحجم •
يمس القديس بولس • ويقع عند قاعدة رصيف برج القديس نفولا الذي يشكل الجانب الشرقي
للبوغاز الماندرافي • ويبلغ سمك هذا السور ستة أقدام • وليس له فية دفاعية كبيرة • لان
من التسوية يمكن على أي أسطول مهاجم أن يصل اليه مخترقا سلسلة البوغاز الصغير •
الذي يطل عليه الجانب الأكبر من هذا السور • ونيران الابراج الثلاثة التي تحمي هذا

البغاز والمناطق القريبة منه ، وحى أبراج طواحين الهواء ونيلاك والقديس نقولا ، ولم يهنا
 لم يقوى السور يستأثر خارجية ، وعهد بحراسته لفرسان بلاطة قشتالة وليون والبرتغال ،
 وهم الأقل في العدد ، ولا تفتهم في الاحيرة في الاسيرة بين طوائف الاستارية الثاني (١)
 ويفتح في هذا السور ، على مسافة خمسين ياردة الى الغرب من رصيف طواحين
 الهواء بوابة مزدانة بنقوش يمثل دني ، أي شارة السيد الكبير أوربي (١٤٦٧ - ١٤٧٦)
 الذي يمزى اليه تجدد في الهدف الشرقي من سور قشتالة بما فيه هذه البوابة ، ولها كانت (٢)
 هذه البوابة تفتح على حي اليهود ، فقد اطلق عليها اسم بوابة اليهود ، وكما
 الاهاالسي يخرجون عن طريقها الى رصيف طواحين الهواء لطحن دقيقهم فسمى
 الطواحين الثلاثة عشرة السقامة فوق هذا الرصيف ، وكان يخرج منها أيضا منتظفوا الشوارع
 لكن يلتوا بنقمة المدينة في البحر . (٣)

والى الغرب من بوابة اليهود ، توجد بوابة اخرى ، تكاد تنقسم سور قشتالة السمي
 فسمون متساويين ، شرقى وغربى ، وتفتح في وسط البغاز الكبير على رصيف واسع ، هسمى
 بوابة القديسة كاترين ، أو ، كما يسميها الترك ، بوابة السوق (Bazar - Capou) (٤)
 وحف بهذه البوابة ، على الجانبين ، برجان قويان يحتويان من الداخل على سلالات فسيحة .
 وواجهة البوابة مزدانة بنقوش تمثل اسلحة الهيمنة ، أي شاراتها ، واسلحة مهند من الاستارية (٥)

- (١) أنظر : De Belabre, P.85
 (٢) أنظر : Ibid, P.86 • وقد أشار فلاندا (Flandin, P.295)
 الى هذه البوابة ، وقال بأنها مبدت في عهد دوبيسون ، وان اسمها بوابة دوبيسون
 واذ اكنا اخذنا بقول دي بيلابر ، فلان كتابه الف في وقت متأخر عن كتاب فلاندا ،
 وكان كتاب فلاندا ان احد مراجعه ، علما بأن فلاندا ان زار جزيرة رودس في عام ١٨٤٤
 (انظر كتابه ص ٢٨٦) على حين ألف دي بيلابر كتابه في عام ١٩٠٨ وهو بجزيرة رودس
 (٣) أنظر : De Belabre, P.86
 (٤) أنظر : Ibid, PP.86 , 94
 (٥) أنظر : Biliotti, P.505

الذي كان يعيش في عهد السيد البيروني وهو المهندس بطرس كلويه (P. Clouet)

(١)

ويعد ذلك نقش بارز لثلاثة أسخاخ يمثلون القديس بطرس والقديس يوحنا والقديسة كاترين •

ويرجع دي بيلابر بأن البوابة ببرجيه • لم يكتمل بناؤها إلا في السنة الثانية من رئاسة

(٢)

دوبيسون ، أي في سنة ١٤٧٧ •

والى الغرب من بوابة القديسة كاترين بنحو خمسين ياردة • تفتح بوابة أخرى أصغر

هي بوابة أرنالدو • Arnaldo • وتزدان واجهة هذه البوابة بثلاثة دروع تمسك

(٣)

شارات هيئة الاستتارية والسيد الكبيرين فيليني وأورسيني • مما يدل على أن البوابة

شيدت في عهد فيليني (١٣١٩ - ١٣٤٦) • ثم أكمل بناؤها أو جددت في عهد

أورسيني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) •

ويلو هذه البوابة قربا برج نخم مربع الشكل دوره العلوى قلعة مربعة كانت تابعة

للفرسان الانجليز الذين يصلون اليها بسهولة من خانهم الواقع • بالقرب من البرج • داخل

(٤)

المدينة •

De Belabre, P.87; Biliotti, P.505

(١) أنظر :

De Belabre, P.88

(٢) أنظر :

Ibid , P. 97

(٣) أنظر :

يقول هذا المؤرخ (دي بيلابر) بأن من الصعب معرفة سبب تسمية البوابة باسم
بوابة أرنالدو • ويذكر بأن لفظ أرنالدو كان يطلق في عهود أقدم على المستجد بن
من لحناء هيئة الاستتارية • أو على الجانب المسيحيين في الأرض المقدسة • وسكن
ناحية أخرى بيدو بأن فلاندان (ص ٢٩٦) لم يصر هذه البوابة • وخلط بينهم
وبين بوابة القديسة كاترين • فقد ذكر بأن بوابة القديسة كاترين مؤدانة من الخارج
بشارة كل من فيليني وأورسيني • ومن المعروف بمقتضى أقوال دي بيلابر بأن شارتي
فيليني وأورسيني كانتا تزينا بوابة أرنالدو • أما بوابة القديسة كاترين فإن بليوتي
يذكر بأن واجهتها مزودة بشارات هيئة الاستتارية والمهند من بطرس كلويه •

وقبل أن يصل سور قشتالة في دوراته ، حول البوغاز الكبير ، من الداخل ، المسمى
 (١) وصف برج تولاك مفتوح فيه بوابة أخرى اسمها بوابة البحرية ، أو بوابة البحر ، وسمى
 البوابة الرابعة التي تفتح في هذا السور منذ بدايته ، بعد أبواب اليهود والقديسة كاترين
 وأرنالدو . ويرز من السور ، على جانبي بوابة البحرية (Porte de la marine)
 برجان مربعان زينتا شرفة أولهما ، وهو الواقع إلى الشرق من البوابة ، بدرع للسيد الكبير
 هيرديا (١٢٧٢ - ١٢٩٦) على كل من جانبي درع للهبئة مما يدل على أن هيرديا
 البوابة شيدت أو أكمل بناؤها في عهد هيرديا .
 وعندما يقترب السور من برج القديس پولس ، الذي ينتهي عنده ، مركز طائفة قشتالة
 يظهر فيه أيضا برجان مربعان يساثلان برجي بوابة البحرية ، ولكن يربطهما فقط قنطرة على
 شكل قوس . (٢)

هذا وكانت ترفرف على سور مركز قشتالة راية خامة بهذه الطائفة على بها نقش للإسراج
 الذهبية والاسود الحمراء التي تمثل شعار قشتالة جنبا إلى جنب مع شعار البرتغال . (٣)
 وإلى الغرب مباشرة من مركز قشتالة يأتي مركز " أو حصن " فرنسا الذي يبدأ بسجن

(١) أنظر De Belabre ومن الملاحظ بأن فلاندان (Flandin, P. 298)
 أخطأ حين ذال بأن بوابة القديسة كاترينا كانت تسمى أحيانا باسم بوابة البحرية .
 ومن الواضح بأن فلاندان لم يميز بأن هناك بوابة ذائفة هذا أنها اسمها بوابيسة
 البحرية .

(٢) أنظر : De Belabre, PP. 93-94

(٣) أنظر : Ibid, P. 85.

- (١) وابوابة القديس بولس ، وينتسب عند بوابة داسسوار من غير أن تدخل في نطاقه . (٢)
- ويقع برج وابوابة القديس بولس الى الشرق من قلعة رصيف بين القديس نقولا . (٣)
- وتفتح البوابة على رصيف زمين بجوى شرقا تحت سور فشتالة حتى بوابة البحر أو البحرية (٤)
- وقد شيدت بوابة القديس بولس في عام ١٥٠١ على يد السيد الكبير دوبيسون لتحل محل بوابة اخرى أقدم ، سودها دوبيسون لتصدعها ، في القيام بوظيفة المنفذ الذي يخرج منه أهالي المدينة الى رصيف برج القديس نقولا وميناء الماندراني ، علما بأن البوابة (٥)
- القديمة التي سودها دوبيسون شيدت في عهد قبلينيق ، وكانت تحمل اسم بوابة القديس بولس نقولا ، وتفتح في السور الى الغرب من بوابة ورج القديس بولس . ومن المرجح أن برج (٦)
- القديس بولس ، شيد ، هو أيضا ، شأنه شأن البوابة التي تحمل اسمه ، في عام ١٥٠١ وهو برج دأثرى لا يزيد ارتفاعه عن خمسة وثلاثين قدما ، وشرفته مزودة بشكل للقديس بولس (٧)
- الذي يحمل اسمه كل من البرج والبوابة . (٨)

(١) أنظر De Belabre, F.44 ، ذكر جروسيت (P.590 ley Grousset; L'Emp. du

بأن مركز فرنسا يبدأ ببرج نيلاك . وتتفق خريطة فاروشون (Farochon, P.72

مع جروسيت في ذلك . ولكن لا يمكن الأخذ بقولهما لأن برج نيلاك يقع خارج

الاسوار ويتبع ، مع برج القديس نقولا وطواحين الهواء ، قيادة واحدة تختص

بالتناوب من مختلف الطوائف . ومن ناحية اخرى فان بليوتي (Biliotti, 502-503

يفر بأن بوابة القديس بولس ، وبالتالي برجها ، تمثل بداية لمركز احد الطوائف .

غير أن بليوتي ذكر خطأ بأن هذه الطائفة هي طائفة أوثرن ، وهو خطأ جاء نتيجة

أن بليوتي ، حين وضع مراكز الطوائف على السور ، وضع مركز طائفة أوثرن محل مركز

طائفة فرنسا وبالعكس .

- (٢) أنظر : De Belabre, PP.50,53; Grousset, OP.Cit., P.590 .
- (٣) أنظر خريطة فاروشون (ص ٧٢) ، خريطة دي بيلابر (ص ٤٠) .
- (٤) أنظر :
- (٥) أنظر :
- (٦) أنظر : Ibid Loc. Cit يذكر فلاندا أن
- أن بوابة القديس بولس ، التي تعود الى عصر هلمون قبلينيق ، أصبحت بتصدعات
- خطيرة فقلع دوبيسون بناها . ويتضح من ذلك أن فلاندا لا يعرف بأمر بوابة
- القديس نقولا القديمة ويمتقد بأنها وبوابة القديس بولس شي واحد .
- (٧) أنظر :
- (٨) أنظر : De Belabre, P.43
- Flandin, P.296

ومن برج القديس بولس، يتجه سور فرنسا ناحية الشرق فيمر ببوابة القديس نفولا الثاني
سداً لها دويوسون في عام ١٥٠١ هـ ثم يدور حول برج قديم ببناء السيد الكبير فيريد هذا
إلى أن يصل إلى برج دائري قديم شبيه ببرج القديس بولس هـ هو برج القديس بطرس هـ
الذي بناه أو جدد بناء السيد الكبير زاكوستا في عام ١٤٦٥ هـ .

وعند برج القديس بطرس، يخير سور فرنسا لتجاذبه فيجري ناحية الجنوب حتى يصل
إلى مؤخرة خان فرنسا هـ الذي بقيم فيه فرسان طائفة فرنسا هـ وعندئذ يأخذ السور
اتجاه الغرب مرة أخرى إلى أن يصل إلى قصر السادة البار هـ فيتحجه شمالاً هـ ثم غرباً
لهيوط يحد بقة هذا القصر ويدور معها ناحية الجنوب حتى يصل إلى بوابة دامبواز التي
ينتهي عندها مركز هـ أو بتدبير آخر حصن فرنسا هـ .

ومن لوحيتين رخاميتين مثبتتين على جدار الستارة الخارجية لسور فرنسا هـ نقش على
أحداهما درع السيد الكبير دويوسون عام ١٤٧٦ هـ ونقش على الأخرى ثلاثة دروع للسيد
الكبير دامبواز هـ خليفة دويوسون هـ عام ١٥٠٧ هـ يتبين أن سور مركز فرنسا كان له تصميم
في أعمال التقوية والترميم التي أجراها هذان السيدان الكبيران في تحصينات مدبنة رومن
هذا وكانت راية طائفة فرنسا هـ وهي راية زرقاء اللون مزينة بثلاث من زهورات الفريسيق
الذهبية هـ يرتكز باستمرار على هذا السور (١)

والى جوار مركز فرنسا مباشرة هـ يأتي مركز دأرحصن المانيا هـ الذي يبدأ ببوابة
د امبواز وينتهي ببوابة القديس جورج مشتتة على كليهما هـ (٢)

وتفتح بوابة دامبواز على المدينة من ناحية الشرق هـ وسميت البوابة بهذا الاسم
نسبة إلى السيد الكبير امبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) . وقد أطلق عليها الترك اسم
البوابة المنحرفة (Eghri - Capou) لان الطريق المودية اليها من داخل

(١) انظر : De Belabre, PP. 44 - 50

(٢) انظر : Ibid, PP. 51, 53; Grousset: L'Emp. du Lev., P. 59
أما بليوتي (Biliotti, P. 503) وخريطة فاروشون (Farochon, P. 72)
فأنهما يبينان بأن هذا الحصن ينتهي عند بوابة القديس جورج هـ ولكنهما يظهران
بأنه يبدأ من الجهة الغربية لقصر السادة الكبار هـ قبل أن ينحني السور إلى الجنوب
لتتجه ناحية بوابة دامبواز هـ .

المدينة وخارجها منحرفة عن اتجاه هذه البوابة ، أما الاروام فقد أطلقوا عليها اسم
(Tou Pretomastrou) لانها اقربها البوابات الى قصر السادة الكبار .
(١)

وقد حفر امام البوابة من الخارج خندق عميق ، اقيم فوقه جسر أو قنطرة من الحجر .
وشيد على جانبي هذه البوابة برجان دائريان عظيمان ، لا يتجاوز ارتفاعهما على جدار السور
ولكل منهما مرفة وافرزت تاهير منه فتحات المدافع . ونحت فوق البوابة تمثال لملك باسم
جناحه ومسك بيده اليمنى شارة (أودرع) عمية الاستبارية ، ويده اليسرى شارة دامهواز
وحفر تحته ، أي تحت التمثال ، اسم هذا السيد الكبير وعام ١٥١٢ ، ونحت فوق رأسه
تمثال نصفي للمسيح يشير الى السماء ويحمل الكرة الارضية فوقها صليب ، والتمثالان ، تمثال
الملك وتمثال المسيح ، منحوتان في قطعة واحدة من الرخام .
(٢)

وتمتضي دي هيلابر ، فان بوابة دامهواز كانت موجودة منذ الهداية ولكن بدون هرجمها ،
ثم أعاد دامهواز ، الذي أعطي لها اسم ، بناءها في عام ١٥١٢ ، وقوامها بالبرجيين
على جانبيها . وتمتضي بلموتى هدى في تشييد هذه البوابة ، وما يحيط بها من
انشاءات ، في عهد دوهيسون ، ثم اكمل بناؤها في عام ١٥١٢ في عهد دامهواز .
(٣)

ومن بوابة دامهواز ، يتعد سور مركز ألمانيا لمسافة مائتين وخمسين ياردة الى ان يصل
الى بوابة القديس جورج التي ينتهي بها المركز . وقد شرد هذا السور لأول مرة في عهد
حنّا لاستيك . فبرأف دوهيسون هدم في عام ١٤٩٦ جانباً منه ، وأعاد بناء ما هدم ، وشهد
للسور ستارة الخارجية . وفي نفس هذا العام - عام ١٤٩٦ - سد دوهيسون بوابة
القديس جورج ، التي بنيت ، وهرجها الذي يحمل اسمها ، مع السور في عهد حنّا لاستيك .
وقد ادخل دوهيسون عندئذ ، مسج القديس جورج ، وبواجهته التي تزينها لوحة

Biliotti, P.503

(١) أنظر :

De Belabre, P.50

(٢) أنظر :

Ibid, PP.51-52

(٣) أنظر :

Biliotti, P.503

(٤) أنظر :

رخامية كبيرة مربعة الشكل لغرض طيها شكل للقديس جورج وهو يحارب الثمنين من فوق حصانه -
 ضمن استحكام خارجي ، مؤلف من دوين من الفترات ، أحدهما تحت الأرض والآخر
 من فوقها ، شيد دويسون بارتفاع لا يعلو على مستوى ارتفاع السور .
 وكان مركز ألمانيا متصلاً بقصر السادة الكبار الذين كانوا يصلون الى هذا المركز عبر
 طريق مصور ، وينفذون الى داخله خلال بوابة يحف بها برجان دائريان .
 هذا وكانت ترفرف على سور هذا المركز الراية الخاصة بطلاقة ألمانيا ، وهي رابسة
 بفضاء اللون نقش في وسطها نسر أسود ذو رأسين (١) .
 وبأثر بعد ذلك مركز ألمانيا مباشرة ، مركز أو حصن أو فرن ، وكلا المركزين يقعان
 في غرب المدينة ، وهنئ سورهما في عهد حنلا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) (٢) .
 وهذا سور مركز أو فرن عند بوابة القديس جورج ، فبرمشتغل عليها ، وبعد مسافة
 مائتين وخمسين ياردة الى أن يصل الى برج أسبانيا ، الذي يعرف أيضا باسم برج
 أو فرن ، ينتهي به مركز أو فرن شاملا إياه (٣) .
 ولم يكن خندق أو فرن ، الذي يجري خارج هذا السور ، متصلا بها فيه الكفاية قبل
 الحصار العثماني الأخير عام ١٥٢٢ ، فوسعه السيد الكبير دي ليل آدم ، (١٥٢١ -
 ١٥٢٣) ، وصفاه الى نحو تسعين قدما ، وفي الوقت نفسه جدد بناء برج أسبانيا فيما
 عدا استحكامه الخارجي ، الذي كان قد جدد بناؤه في عام ١٤٨٩ في عهد دويسون .

De Belabre, P. 53-57 .

Ibid , P. 39 .

Grousset : Op. Cit., P. 590; Billiotti, P. 503

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

مع ملاحظة أن بلتيوتى أخطأ فنسب هذا المركز الى طلائفة فرنسا ، ووضع طلائفة أو فرن
 في مركز فرنسا .

هذا وكانت تعرف على هذا المركز راية طلائفة أو قرن ، وهي راية ذهبية اللون تزينها

سمكة الدرعيل في الوسط .^(١)

ويهند مركز أراجونه ، الذي يلي مركز أو قرن ، مسافة مائتي ياردة من برج اسبانيا ،

غير مشتمل عليه ، الى برج القديسة مريم شاملا اياه .^(٢) ويشتمل هذا المركز الركن الجنوبي

النهر من المدينة .^(٣) ومن مواضع الضعف فيه أنه يقع مباشرة امام منحدر جبلى على نفس مستوى ارتفاع حوائطه ، كما أن خندقه ضيق .^(٤)

وقد أخذ برج القديسة مريم ، الذي ينتهى به المركز ، اسمه من صورة للعذراء تزيان

بها واجبهته . هدى في تشييد هذا البرج عام ١٤٠٠ ، في عهد دى نيلاك ، وأكمل في

عهد حنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) . ومن ناحية اخرى ، فإن هذا البرج يشرف على بوابة

تفتح أسفل حوائطه مباشرة .^(٥) وتعرف هذه البوابة باسم بوابة أثناسيوس ، وشيدت في

عام ١٤٤٥ في عهد لاستيك ، ثم سدها دويسون في عام ١٤٨٦ من الداخل فقط بنفس

الطريقة التي سدها بوابة القديس جورج في مركز المانيا . غير أن الاستتارية اعادوا فتحها

أثناء الحصار العثماني الأخير على مدينتهم في عام ١٥٢٢ ، وشنوا منها هجوما على جيش

الحصار العثماني الراغب أمامها ، فلما انتهى الحصار بانتصار العثمانيين وجلاء الاستتارية

عن جزيرة رودس ، أصدر السلطان العثماني قائد الحصار أمره بسد هذه البوابة ، التي

يرجع بأن السلطان دخل الى المدينة عن طريقها ، لعدم الحاجة اليها .^(٦)

وعند برج القديسة مريم وبوابة القديس أثناسيوس ، يبدأ سور مركز ، أو حصن ، إنجلترا

الذي يهند نحو أبرعماة ياردة ، وينتهى ببوابة ورج القديس حنا .^(٧) ويمود الفضل في

De Belabre, PP. 57-58

(١) أنظر :

De Belabre, P. 61; Biliotti, P. 503

(٢) أنظر :

(٣) أنظر : انظر الخريطة في آخر الرسالة .

De Belabre, P. 62

(٤) أنظر :

Biliotti, P. 504.

(٥) أنظر :

De Belabre, PP. 62-65, 71-72

(٦) أنظر :

(٧) أنظر : De Belabre, P. 71; Biliotti, P. 504.

بناء سور انجلترا الى السيد الكبير حنا لاستيك الذي قام بتشييده في عام ١٤٤٥ ، وهو نفس العام الذي شهد فيه بوابة القديس اثناسيوس في مركز أرمونة وقد قوى السور منسج الخاريج ، على امتداد طوله ، بامتحكام (Terre - plein) ، شهد على الارجح في عهد ديميون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) الذي ترك خمسة من دروعه منقوشة على جدار الامتحكام شهادة له بذلك . وقد قام السيد الكبير كاهنو (١٥١٣ - ١٥٢١) ، فيها بعد بترميم واصلاح السور من الداخل ، ونقش درعه على واجهة بوابة اثناسيوس التي يبدأ منها هذا السور .^(١)

— وقد شهد برج القديس حنا ، الذي ينتهي به سور انجلترا ، في عهد لاستيك شأنه شأن هذا السور . والبرج ذو شكل مربع ، وواجهة مزدانة بنقوش بارز للقديس الذي يحمل اسمه . وينقش آخره درعين للسيد الكبير لاستيك بينهما درع هيئة الامتارسة .^(٢)

أما بوابة القديس حنا ، التي يدافع عنها هذا البرج ، فقد شيدت في عهد السيد الكيردي مهلي (١٤٥٤ - ١٤٦١) خليفة حنا لاستيك . وكانت هذه البوابة تعرف عند الروم باسم كوكينو (Koskeenco , "Kokkini Porta") على حين تعرف عند الاتراك باسم قزل كابو (Kyzil Capou) والكلمتان معناهما واحد هو البوابة الخضراء .^(٣)

ويجري أمام البوابة وهرجها ، من الخارج ، خندقان ، فوق كل منهما قنطرة ، يتلوها ، في اتجاه المدينة ، طريق ملتوي ينتهي بصرح ضخم يقع على داخل المدينة مباشرة في ناحيتها الجنوبية ، هو الصرح الرئيسي للبوابة الذي أسسه دي مهلي ، علما بأن للبوابة صرحان آخران اضافيان أحدهما بناء ، فيها يعتقد ، السيد الكبير ديميون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، وقع بين الخندقين ، والثاني بناء السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ - ١٤٦٧)

(١) انظر :

De Belabre, PP. 71-73

(٢) انظر :

Ibid, PP. 73-75

(٣) انظر :

Biliotti, P. 504

ويقع بين هذا المسرح والمسرح الرئيسي الذي بناه ميللى وفتح على المدينة مباشرة . (١)

هذا وكانت تعرف على سور وأبراج مركز إنجلترا راية طلائفة إنجلترا ، وعلى راية مزينة
بزنقة والسباع التي تميز قنارة ملكة إنجلترا . (٢)

والى جوار مركز إنجلترا يأتى مركز بروفانس الذى يقع فى الركن الجنوبي الشرقى من
المدينة . ويعد سور مركز بروفانس مسافة أربع مائة ياردة من برج صوابة القديس حنا ، غير
مشمول عليهما ، الى برج ايطاليا ، أو كما يسمى أيضا ، برج بروفانس ، مشتملا عليه . (٣)

وقد شهد هذا السور فى منتصف القرن الخامس عشر فى عهدى حنا لانتيك (١٤٣٧ —

١٤٥٤) ، وخليفته يعقوب ميللى (١٤٥٤ — ١٤٦١) ، ثم رمت جدراناه فى عهدى
وكارنتو (١٥١٣ — ١٥٢١)

دييوسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) . أما برج ايطاليا ، الذى ينتهى به مركز بروفانس ،

لقد شيداه المهندس الايطالى الاثني عشرى سيلوديلاسكولا Basilio della Scola

فى عام ١٥١٥ ، فى عهد كارنتو .

وعلى العموم فقد كان مركز ، أو بالأحرى ، حصن بروفانس ، قويا ، وخطاه واسع وعيق .

وكانت تعرف عليه الراية الخاصة بطلائفة بروفانس ، وعلى راية بيضاء تزينها صليبان بيت المقدس

الذهبية الخمسة تذكارا لمؤسس غيبة الامبتارية ، وأول سيد كبرليها فى بيت المقدس ، جبرار

(٤)

المبارك ، الذى كان ينتمى الى بروفانس .

Biliotti, PP. 504-505; De Belabre, P. 73

(١) أنظر :

De Belabre, P. 71

(٢) أنظر :

De Belabre, P. 78; Biliotti, P. 505; Grousset: Op., Cit. ; أنظر (٣)

F. 590.

(٤) أنظر :

De Belabre, PP. 78-79

وأخيرا يأتي مركز أو حصن إيطاليا ، الذي يمتد سوره نحو شلثماع باردة ، في شرق المدينة ، من برج إيطاليا الى برج أصفر يقف عند قاعدة رصيف برج نيلاك الذي يشكل الجانب الشرقي للبوغاز الكبير .^(١) وكان يفتح على سور إيطاليا اسم حائط اليهود لان جالية يهودية كبيرة كانت تعيش الى الخلف منه في حي خاص عرف باسم حي اليهسود . ويعتبر سور مركز إيطاليا بأنه أضرف نقطة في شبكة التحصينات كلها بمدينة رودس ، وبخاصة أن الارض المقام فوقها منخفضة ، ولا يوجد خندق الى خارجه نظرا لقربه من البحر . وعندما اشتد هجوم المشركين على هذا السور في عام ١٤٨٠ ، وأشرف على سقوطه في أيديهم ، حضر السيد الكبير الحاكم آنذاك ، وعموديسون ، خندقا ضعيفا الى الداخل من السور ، أمكن عن طريقه صد هجوم المشركين على هذا الجانب من المدينة وقد وسع دويسون ، في العام التالي ، هذا الخندق الداخلي ، ولكنه ترك للرئيسين الكبيرين دامبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) ، كاريوتو (١٥١٣ - ١٥٢١) مهمة تشييد حوائط التقوية لكل من خندق إيطاليا وخندق بروثانرا الى جواره .^(٢)

وقد شيد سور مركز إيطاليا ، على الأرجح ، في عهد السيد الكبير جوزون^(٣) (١٣٤٦ - ١٣٥٣) ، ثم تناوله السادة الكبار الاربعة ، فلوقيان (١٤٢١ - ١٤٣٧) أورسيني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) ، دويسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، كاريوتو (١٥١٣ - ١٥٢١) بالترتيب والاصلاح أو ببناء استحكامات التقوية ، وشلبها الرصيف الذي شيدته

(١) أنظر : De Belabre, P. 81 . ويقول جروسه (Grousset: Op. Cit., P. 590) بأن حصن ، أو مركز إيطاليا ، ينتهي حيث ينتهي السور ناحية الميناء التجاري ، ويقصد الميناء الكبير . ولم يشر هذا المؤرخ الى البرج الأصفر المقام في هذا الموضع . أما بليوتي Biliotti, P. 505 فإنه يقول - خطأ - بأن حصن إيطاليا ينتهي عند بوابة القديس كاترين .

(Farochon, P. 72)

De Belabre, PP. 81-82

Flandin, P. 287

هذا وتتفق الخريطة التي نشرها فارونون مع كل من دي بيلابرو وجروسه .

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

وكانت ترفسرف على حوايط هذا المركز الراية الخاصة بالثقافة ايطالية ، وهي راية

(٢)

سوداء كتب في وسطها كلمة ايطالية بالحروف اللاتينية (اى Italia) .

هذا عن الاسوار وما يتصل بها من أبراج وبوابات . أما فيما يتعلق بالقسم الثالث

من تحصينات مدينة رودس ، فهو ذلك الحي في المدينة المعروف باسم الكولاشيوم Collachium

والاسم مشتق من الكلمة اللاتينية Colligere ومعناها ضم أو تجمع ، فقد ضم هذا

(٣)

الحي المسمى الرئيسي لهيئة الاستتارية في رودس فضلاً عن مساكن الفرسان . وقد

أدى تجمع الفرسان في هذا القسم من المدينة الذي يقع في شمالها ، واحاطته بالاسوار

الحصينة من جميع الجهات ، الى تسميته أحياناً بالقلعة (Castello) ، وأحياناً

(٤)

أخرى بالمدينة العسكرية أو الحي العسكري ، كما سمي أيضاً باسم الذي يرهبه اتمس

(٥)

سكانه من فرسان الاستتارية الى هيئة دينية هي هيئة الاستتارية .

(٦)

وحي الكولاشيوم محاط من الشرق بسور قشالة ، ومن الشمال بسور فرنسي ، ومن

الجنوب والغرب بسور شهيد منذ أوائل عهد الفرسان في رودس ووجدت بناؤه في عهد

دوبسون ليفصل بين هذا الحي وبقية أحياء المدينة التي تقع الى الجنوب منه ، وتسمى باسم

(٧)

المدينة الهيرجوازية تميزاً لها عن المدينة العسكرية التي تسمى الكولاشيوم .

(١) أنظر :

De Belabre, PP.81-82

(٢) أنظر :

Ibid, P.84

(٣) أنظر :

Pero Tafur, P.51; Mas latrie III, P.33

(٤) أنظر : 83 De Coumont, P. 42; Biliotti, F.506; D'angjure, P. 42

(٥) أنظر :

Biliotti, P.506

(٦) أنظر :

De Belabre, P.96

(٧) أنظر : خريطة دي بيلابره ص ٤٠ ، خريطة فاروشون ص ٧٢ . وقد أخطأ بليونسي

(ص ٥٠٦) فذكر بأن الحي يحده من الشمال سور أفرن .

(٨) أنظر :

Ibid, PP.96-97

وهناك مجموعة من الهوابات التي تفتح في حي الكولا شهوم من مختلف الجهات ، فمن ناحية سور قشستالة في الشرق ، تفتح فيه ثلاث هوابات هي هوابات القديس بولس ، والمهرية وأرنالدو ، ومن ناحية الجنوب ، تفتح فيه هوابتان ، تقود أحدهما إلى السوق (الهمازار) أما من ناحية الغرب فتفتح فيه الهوابة التي تؤدي إلى سور المانيا ، وهوابة دامهوار .^(١)

وكان الكولا شهوم في حالة حراسة مشددة دائمة ، ولم يكن يسمح لأحد بالتجول فيه على ظهر جواد أو في جماعات ، كما حرم فيه وضع الأقنعة التكرية أثناء الاحتفالات بأعياد الماساخر . (Carnival) وكانت العادة المتبعة للولوج إلى داخل الكولا شهوم هي أن يتم هذا الولوج عن طريق الهوابات التي تفتح في الناحية الأخرى على رصيف الهوازار ، وهي هوابات أرنالدو والمهرية والقديس بولس .^(٢)

ومن أبرز المبانى التي ينتمى إليها الكولا شهوم قصر ، أو بالاحرى ، حصن السادة الكبار .^(٣) ويقع هذا القصر فوق مرتفع ، يشغل الركن الشمالى الغربى من الكولا شهوم ، ويشكل أعلى بقعة في المدينة كلها .^(٤) وكان القصر بهذا الموقع ،^{يشرف} حتى أن واحد ، على المدينة العاصمة التي كان القصر في حاجة لأن تظل خاضعة لطاعة سيده ، وعلى الريف المجاور الذى كان العدو لا يستطيع أن يقترب منه إلا وفضح حراس القصر أمره .^(٥)

De Belabre, PP.97-98; Biliotti, P.506

(١) أنظر :

De Belabre, PP.99-100.

(٢) أنظر :

Flandin, P.313

(٣) أنظر :

De Belabre, P.101; Biliotti, P.507

(٤) أنظر :

وأنظر أيضا خريطة دى بيلابر (ص ٤٠) ، فاروشون (ص ٧٢) .

(٥) أنظر :

وقد شهد قصر العادة الكبار على أنقاضه قديم (١) ومساحة القصر نحو فسدان
من الأرض (٢) وتطل بوابة مدخله البيضاوية الشكل ناحية الجنوب في مواجهة كنيسة القديس
حنان (٣) ويحيط هذه البوابة من الجانبين بهرجان دائريان ، إلى جانب هرج ثالث يمثل
الركن الجنوبي الشرقي من القصر (٤) ويحيط البوابة نقش يمثل مفاتيح الكرسي البابوي على
شكل صليب منحرف ، ونقش آخر لدرع — أي شارة — السيد الكبير الثاني ، هليون فملينيش
(١٣١٩ — ١٣٤٦) ، شهادة له على أنه المؤسس الحقيقي للقصر مع افتراض أنه لم
يكن يملك الوقت الكافي لاتمام بنائه (٥) وإذا كان السيد الكبير دويسون (١٤٧٦ —
١٥٠٣) قد نقش درعه على واجهة هذه البوابة ، فإن ذلك يعني أن دويسون قد تناول
القصر بالاصلاح أو بالاضافة أو بتجديد البناء (٦).

وقد أصاب القصر ، في ٦ نوفمبر عام ١٨٥٦ ، انهيار في معظم جوانبه ، نتيجة
انفجار كمية من البارود بالاشعاع ، كانت مخزونه ، منذ عهد فرسان الامبتارية ، في
أقنية كنيسة القديس حنان ، الواقعة أمام القصر ، من ناحية الجنوب ، فتقوضت بسببه هذه
الكنيسة ، وما جاورها من بنايات ، من بينها قصر العادة الكبار (٧).

ومقتضى أقوال الرحالة الذين زاروا جزيرة رودس قبل هذا التاريخ ، وشاهدوا القصر
قبل انهياره ، كان مدخل القصر يؤدي ، عبر قبو ، إلى فناء واسع به صوامع كثيرة

- | | |
|---|------------|
| Flandin, P.314 | (١) أنظر : |
| De Belabre, P.101 | (٢) أنظر : |
| Biliotti, P.510 ; flandin, P.313 | (٣) أنظر : |
| De Belabre, P.101 | (٤) أنظر : |
| Flandin, PP.313-314 | (٥) أنظر : |
| De Belabre, P.101. | (٦) أنظر : |
| De Belabre, P.101; Biliotti, PP.509-511; Harff, | (٧) أنظر : |
| P.87, notes 1,2. | |

وكان الاسبتارية يخزنون فيها الحنطة لاوقات القحط . وكان يوجد في الفناء أيضا
 بالقرب من مدخل ، قاعات مهنية ، من الصنوعة بمكان تحديد فيم كانت تستخدم .
 وكان هناك ، الى يمين الفناء ، سلم حجري ، يؤدي ، بعد ارتقاك ، الى دهليز ،
 تفتح فيه أولا قاعة كبرى ، مقسمة الى ثلاثة قاعات ، عن طريق صفيين من الاعمدة ،
 ومخصصة لعقد اجتماعات مجلس الاسبتارية ، شريك السيد الكبير في الحكم ، ثم تفتح
 في الدهليز حجرات وصلالات أخرى كثيرة لسكن السيد الكبير وحاشيته . وإلى يسار
 الداخل في القصر ، كان يرتفع هرجان قويان مهيمنان يحويان على شكنات حامية القصر ،
 وينتهي عندهما طريق مسقوف يؤدي الى حصن يرفقائس ، أوقرن ، وهما أقرب الحصون
 أو المراكز ، على أسوار المدينة ، للقصر . وكان يدافع عن الجناح الشمالي للقصر ، برج
 ضخيم ، وضعت فوق شرفته بطارية مدافع قوية . وفي الطابق الأرضي من القصر ، الى اليمين
 كانت توجد قاعة صلاة خاصة ، يمتلئ فيها القداموسما للسيد الكبير ، اسمها مصلى
 القديسة كاترين . وكانت توجد ، أسفل هذا الطابق الأرضي ، أهمية ، تحت الأرض ،
 خصصت لخزن الاسلحة والذخائر والمؤن .^(١) وإلى جانب ذلك كله ، كان القصر يضم
 عددا من الحظائر التي اكتظت بالخيل والسروج الفاخرة لخدمة السيد الكبير وحاشيته .^(٢)
 وعن طريق سلم حجري ، كان يتصل بالقصر من ناحية الشمال الغربي ، حديقة اشتهرت
 في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بما كانت تحوي عليه من التماثيل الاغريقية التي نقلت
 اليها من مختلف أنحاء الجزيرة ، ومن الحيوانات الغريبة التي عرف منها الشاة الهندية
 والكلب السيامي والنعام مختلف الانواع وغير ذلك من الحيوانات والطيور . هذا وكان يرفرف
 على قصر السادة الكبار ، باستمرار ، الراية الخاصة بالسيد الكبير صاحب السلطة ، جنبها
 الى جنب مع راية غيثة الاسبتارية ، وعلى راية حمراء اللون نقش في وسطها صليب
^(٣)

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

Flandin, PP.313-316; Biliotti, P.510

De Belabre, P.102

Ibid, PP.49-50

والى الجنوب من قصر السادة الكبار ، وفى مواجهة بوابة مدخله ، كانت تقف كنيسة
القدس حنا التى دمرها انفجار ٦ نوفمبر عام ١٨٥٦ . ومن الثابت أن هذه الكنيسة شهدت
على أنقاض كنيسة بيزنطية صغيرة ، كانت يدورها قد بنيت على موقع معبد وثنى قديم . وقد
هدى فى تشييد كنيسة القدس حنا فى عهد السيد الكبير الاول ، فولك دى قبلاريه ، فى
عام ١٢١٠ ، أى فى نفس الـام الذى دخل فيه مدينة رودس ، ثم اكمل بناؤها فى عهد
خليفته ، هليون دى قبلينييف . أما من حكم بعد ذلك من السادة الكبار فقد ساءموا فى
تجميلها وتزويقها . (١)

وكانت كنيسة القدس حنا مقرا لرئيس الكنيسة ، الذى كان يحترف عادة باسم مقدم
دير رودس (Le Prieur Conventuel de Rhodes) ، وهو من كبار أعضاء هيئة
الاسكنازية وعضو فى المجلس الحاكم مع السيد الكبير . وقد خصصت دخول مدينة ، منها دخول
بعض المنازل ، للصرف منها على هذه الكنيسة والخادمين فيها من رجال الدين وغيرهم . (٢)

ولم تكن كنيسة القدس حنا ، مع ذلك ، كنيسة ضخمة ، كما أنها لم تتخذ شكل الصليب
اللاتينى الذى يتميز به بناه سائر كاتدرائيات أوروبا العصور الوسطى . ولكنها كانت صغيرة
الحجم ، مستطيلة الشكل ، (٣) طولها مائة وخمسون قدما ، وعرضها خمسون قدما بمقتضى
تقدير دى بيلابر ، (٤) وستة وأربعون مترا للطول ، ستة عشر مترا للعرض ، وفقا لتقدير
بيلوتي ، (٥) والتقديران متقاربان .

وقد صمت الكنيسة على الطراز القوطى ، مع طراز ايطالىا الجديدة . (٦) وكانت تتكون

Biliotti, PP.511-512 ; Flandin, P.316

Flandin, PP.319-320

Ibid, P.317

De Belabre, P.103

Biliotti, P.511

Grousset, P.589.

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) انظر :

(٥) انظر :

(٦) انظر :

من صحن وجناحين يفصل بينهما صفان من الأعمدة الرخامية يتألف كل صف منهما من أربعة
أعمدة . وتضم الكنيسة ، إلى جانب ذلك ، دهليزا و (خورسا) للمصليات من النساء^(١)
وهخلاف جميع مباني الاسبتارية ، كالب هذه الكنيسة مغطاة بسقف مفتوح^(٢) ، ودهن باللسون
اللازوردى الذى يشبه زرقة السماء ، وزين بنجوم ذهبية اللون^(٣) .

وقد غصت كنيسة القديس يوحنا بالتحف والالوانى الثمينة التى وصلت اليها اما عن طريق
الاهداء من جانب السادة الكبار وقادة هيئة الاسبتارية^(٤) ، بصفتها كنيسة ديهـر رودس
الرئيسية التى تحتل اسم شفيع الهيئة ، أو بحكم القانون الذى كان يضى بضرورة تحويل
جميع ما يلقى للخدمة الدينية من النقائس التى توجد بين مخلفات الموتى من أعضاء هيئة
الاسبتارية ، مثل الكثوس والالوانى الذهبية والفضية ، والاجواخ المشرقة بالذهب أو الفضة
أو السير ، وغير ذلك من النقائس ، إلى هذه الكنيسة^(٥) . وقد أقام الرحالة المختلفون فى
وصف ما شادوه فى هذه الكنيسة من آثار القديسين وقاياهم ، وهى آثار اعتاد الاسبتارية عرضها
على زوار الكنيسة مرة واحدة كل عام ، فى يوم الجمعة الكبيرة التى تسبق عيد القيامة عند
المسيحيين الشرقيين ، وهو دائما يوم أحد^(٦) . ومن ناحية أخرى ، فإنه فى هذه الكنيسة
دفن عدد من السادة الكبار ، هم : جوزون وكورنيليون وأورسينى ودهيسون ردامسـواز
هلائشورت وكاريكو^(٧) . أما السادة الكبار الآخرون الذين دفنوا فى رودس فقد دفنوا فى
كنائس أخرى تنفذ ألومباياهم^(٨) .

- | | |
|------------|--|
| (١) أنظر : | De Belabre, P.103; Flandin, P.317; Biliotti, P.511 |
| (٢) أنظر : | De Belabre, P.103 |
| (٣) أنظر : | Biliotti, PP.511-512 |
| (٤) أنظر : | Flandin, P.317 |
| (٥) أنظر : | Flandin, PP.317-318; Biliotti, P.512 |
| (٦) أنظر : | Les Statuts, Titre 3, P.25, nom. 29; Ibid, Titre 5, P.44, nom.31 |
| (٧) أنظر : | D'Anglure, PP.43-44, 207-208; De Caumont, PP.83-84 |
| (٨) أنظر : | De Belabre, P.103 |
| (٩) أنظر : | Flandin, P.320 |

ولم يكن جرس هذه الكنيسة بداخلها ، ولكنه وضع داخل قمة منى منفصل على هيئة برج مرتفع أقيم بجوار الكنيسة . وكان هذا البرج الذي اشتهر باسم برج القديس حنا ، يستخدم أيضا كمقرب حربي يتم عن طريقه رصد تحركات الاعداء اذا حاصروا أسوار المدينة . وقد شهد البرج في نفس الوقت للمتقدم الذي شيدت فيه الكنيسة أى في عهد السيد الكبير الاول فولك دي فيلاريه ، ولكنه أصلح مرة في عهد ديهيوتون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، ومرة اخرى في عهد دابوازي في عام ١٥٠٩ .^(٢)

وكانت كنيسة القديس حنا متصلة بقصر السادة الكبار عن طريق شارع ، أو الاخرى دهليز مستوف ، ويتفرع عن هذا الشارع ، بهزاية قائمة ، شارع آخر يتجه ناحية الشرق لمسافة خمسين ياردة ليصل الى الموقع المبرج لمقصورة القديس حنا ، التي دمرها انفجار^(٣) في نوفمبر عام ١٨٥٦ وكان يستعملها الاستبارة في عقد جلسات مؤتمراتهم السامة ، وفي التدرجات العسكرية المفروضة على فرسانهم تأديتها مرة واحدة في الاسبوع على الاقل ، وفي الاحتفال بعيد القديس حنا ، الذي كان يقام في مساء يوم ٢٣ يونيو من كل عام ، ويقدم فيه طعام العشاء للمحتفلين ، وهم جميع أعضاء هذه الاستبارة الشيعين في رودس ، على نفقة السيد الكبير .^(٥)

وهو تبرز موقع مقصورة القديس حنا ، في الواقع ، هو البداية الحقيقية للشارع الرئيسي في الكولاشيوم ، وفي مدينة رودس بأسرها ، وهو شارع الفرسان ، الذي يواصل امتداده بعد ذلك ، شرقا ، حتى الميناء .^(٧) وشارع الفرسان ، شارع ضيق ، ولكنه مرصوف .^(٨)

Flandin, PP.320-321; Biliotti, P.513

Flandin, P.321

De Belabre, P.103

Biliotti, P.513; Flandin, P.312

De Belabre, PP.103-104

De Belabre, P.105; Flandin, P.302

Flandin, P.302

De Belabre, P.105

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

(٦) أنظر :

(٧) أنظر :

(٨) أنظر :

وحفده على الجانبين وصيفان للمشاة يفصلهما عنه صفان من الاحجار الضخمة المستوية .
ويجوز ، في وسطه ، على طول امتداده ، جدول ، شيد من أحجار متماثلة في الشكل ،
لاستقبال مياه أمطار فصل الربيع الغزيرة التي تلقى بنفسها فيه من المساقط المائية . (١)

ويضم شارع الفرسان ، على جانبه ، النزل التي كان يقيم فيها السعداء أو الرؤساء
المقيمون ، للطوائف القوسية الثماني التي كانت تتألف منها هيئة الاسبتارية ، علما بأن (٢)
طائفتي أرغوة وقشتالة كان لهما نزل واحد عرف باسم نزل أسبانيا . (٣) وفي هذه النزل
ايضا ، كان ينزل الرحالة الذين يزورون رودس ، كل في ضيافة الطائفة التي تنتمي إلى

وطائفة . (٤) وقد شهدت هذه النزل منذ أوائل عهد الاسبتارية في رودس ، ثم جدد بناؤها
في القرن الخامس عشر . وكانت واجهاتها مزودة بنقوش تمثل شعارات الهيئة ، والطوائف
القوسية صاحبة هذه النزل والسادة الكبار الذين قاموا بتشيدها وتجديدها ، وبعض
سداداء الطوائف الذين أقاموا فيها ، وأحيانا المهندسين الذين أشرفوا على بنائها
أو تجديد بنائها ، علما بأن جميع هذه الشعارات كانت على هيئة دروع . هذا وقد
اشتملت النقوش ايضا على بعض العبارات التي اقتبست من التوراة أو الانجيل . (٥)

ويعتبر نزل فرنسا أكثر هذه النزل جمالا وعظمة . (٦) وقد هدى في تشييده فسي
عهد السيد الكبير ديمسون (١٤٧٦ - ١٥٠٢) ، واكمل بناؤه في عهد خليفة
دامبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) على أنقاض النزل القديم الذي دمر ، فيما يعتقد ، بسبب
زلزال تعرضت له رودس في عام ١٤٨١ . وقد تم بناء هذا النزل تحت إشراف مهندس
اسبتاري ذاع صيته في ذلك الوقت ، اسمه بطرس كلوه (Pierre Clouet) (٧)

Flandin, P.302

De Belabre, P.105; Biliotti, P.507

Les Statuts, Titre 10 , P.101, nom. 34 (Statut de Zaco

Perà Tafur, P.52

Biliotti, PP.515-519; Flandin, PP.304-307

Biliotti, P.515; Flandin, P.304; De Belabre, P.113

De Belabre, PP.113- 120; Grousset, P.590.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

(٦) أنظر :

(٧) أنظر :

والنزل ، شأنه شأن جميع مساكن مدينة رودس الاستبارية ، قليل الارتفاع ، ولا يتألف الا من دور واحد فوق الطابق الارضى . وبوابة مدخله المنخفضة ، صنعت من الخشب المنقوش الذى ازدان بالمسامير الكبرى .^(١) وقد نقش فى أعلاها شارة هيئة الاستبارية ، جنبها الى جنب مع شارة السيد الكبير دامبواز ونقش ، فوق ذلك ، على ارتفاع الدور الاول ، شارة مملكة فرنسا وشارة السيد الكبير دوبيسون متوجة بقبعة الكاردينالية التى ألهمها له الرسام انوسنت الثامن فى عام ١٤٨٨ . ومن العبارات الدينية التى نقشت على واجهة النزل عبارة " فلتكن مشيئة الله " (Voluntas Dei Est)^(٢) والنزل من الداخل قليل الاتساع ، وقاعاته صغيرة ذات منظر عايس يطابق الحياة الصارمة التى كان يعيشها فرسان الاستبارية . وتظهر على أعلى النزل أبراج صغيرة للمراقبة ، كما تبرز الى الخارج أجسام نحاسية فاخرة أفواهها لتتقيا ماء السماء فى مواسم الامطار .^(٣)

والنزل الذى يلى نزل فرنسا من حيث كبر الحجم ، هو نزل أسبانيا . وقد شيد هذا النزل ، على أنقاض النزل القديم ، فى عام ١٤٤٥ أى فى عهد السيد الكبير فلوقيان^(٤) . ويقع فى الجزء الغربى من شارع الفرسان^(٥) حيث يهبط هذا الشارع مندرجا من المرتفع الذى يحل قصر العادة الكبار وكنيسة وبرج ومقصورة القديس حنا قمته . ويتألف النزل من^(٦) مئتين متقابلين على جانبيه الشارع ، يهبط بينهما مشى محمول فوق قوس أقصم عبر عرض الشارع .^(٧)

Flandin, P.30

Biliotti, PP.515-519

Flandin, PP.304-306

De Belabre, P.106

Flandin, P.307; Biliotti, P.514

Flandin, P.302

Flandin, P.307; Biliotti, P.514; De Belabre, PP.106-112

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

(٦) أنظر :

(٧) أنظر :

أما بقية نزل الطوائف ، فهي أصغر حجما من نزل فرنسا وألمانيا ^(١) . ويتضح من
 شارات الدروع ، التي تزدان بها واجهات هذه النزل ، أن أحدها ، وهو نزل
 إنجلترا قد جدد بناؤه في عام ١٤٧٨ ، أي في عهد السيد الكبير دوبيسون ، ^(٢) وأن
 كلا من نزل هروغانس ^(٣) ونزل إيطاليا ^(٤) جدد بناؤه في عهد السيد الكبير كارتيسو
 (١٥١٣ - ١٥٢١) .

ومن المباني العامة الأخرى التي أقيمت في شارع الفرسان ، بخلاف نزل الطوائف
 منصفه لها سلم حجري ، شهدت بجوار نزل ألمانيا ، لكي تبلغ للشعب من فوقها ، قرارات
 وأوامر السيد الكبير ومجلس الاستبارة ^(٥) .

وعند نهاية الشارع من ناحية الشرق ، أي قربها من الميناء ، توجد كنيسة صغيرة
 تحمل اسم القديسة كاترين ، ^(٦) وقد شيدت هذه الكنيسة على الطراز القوطي ، في عام
 ١٣٣٠ ، أي في عهد السيد الكبير الثاني هليون دي شيلينيف ^(٧) . وهوود الفضل في
 بنائها إلى أمير البحر الذي اشتهر باسم الألماني (D , Allemagne) بالرغم
 من انتمائه إلى سلالة إيطاليا . وقد شيد هذا الموظف الكبير ، أيضا ، برجاً بجوار
 الكنيسة لحمايتها ، وماوى للفقراء واليتامى أوقف للصرف عليه ثلاث طواحين وبعض المنازل
 والكرمات من أملاكه الخاصة ^(٨) .

De Belabre, P.106

Flandin, P.301

Grousset: L'Empire du Levant, P.590

Flandin, P.306; Biliotti, P.519

Flandin, P.309; Biliotti, P.515

Biliotti, P.521

Grousset: Op., Cit., P.589

Flandin, P.299

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

(٦) أنظر :

(٧) أنظر :

(٨) أنظر :

على أن أكثر المباني العامة فخامة في شارع الفرسان ، كان مبنى المستشفى الذي لم يكن يفوق مبنى آخر ، في الدمامة في حي الكولاشيوم بأسره ، سوى قصر السادة الكهار .
 (١) ويقع المستشفى ، الذي كان يطلق عليه أيضا اسم بيت التمرهض (**)
 Infirmerie عند مدخل شارع الفرسان من ناحية الميناء على اليد اليسرى ، (٢) أي في نفس الجزء الشرقي من الشارع الذي يقع فيه أيضا كل من كنيسة القديسة كاترين ونزل إيطاليا ونزل انجلترا .
 (٣) ويتألف المستشفى من أربعة أجنحة متساوية الأطوال ومتلاصقة على شكل مربع ، وشيد على أرض مساحتها نصف فدان .
 (٤) وتقع جميع حجرات وقاعات المستشفى في الدور الأول وهو الدور الأعلى .
 (٥) أما الطابق الأرضي فقد كان يشتمل على حظائر للخيول ، وعلى حوائط مقبية كان بعضها ، وهي الخارجية التي تطل على الشارع ، ملوكا للراهب الذي يدير الخدمة الدينية في المستشفى بدرجة مقدم أو رئيس دير (prieur) وللقس مساعدته ،
 (٦) على حين كان البعض الآخر ، وهي الداخلية التي تطل على الفناء ، ملوكا للحكومة التي استخدمته مخازنا للذخائر والأسلحة ،
 (٧) وأحيانا سجنًا لمن يمرض عن طاعة أئمة مقر السادة الكهار من المسجونين .
 (٨) (٩) (١٠)

- (١) أنظر :
 De Belabre, PP.119-120
 وقد أشاد الرحالة بيرتافور (ص ٥١) بمعظمة مستشفى مدينة رودس .
- (٢) أنظر :
 Pero Tafur, P.51
- (٣) أنظر :
 Biliotti, PP.519-521; Flandin, PP.301,306
- (٤) أنظر :
 Biliotti, P.521; Flandin, P.300
- (٥) أنظر :
 De Belabre, P.123
- (٦) أنظر :
 Biliotti, P.522; Flandin P.301
- (٧) أنظر :
 De Belabre, P.123
- (٨) أنظر :
 الصفحة () فإن الأدوار العليا من المنازل في رودس الاستوائية كان يملكها أشخاص ، والأدوار السفلى ، كان يملكها أشخاص آخرون ، وأن الأدوار الأرضية في المنازل كانت ممرح المستشفى تتألف من حوائط مقبية أو مستودعات لها ملاك مختلفون . هذا ويسوه كل من الرحالة بيرتافور (ص ٥١) ، الرحالة دي كوسوت (ص ٨٣) بالخدمة الدينية للمرضى في المستشفى .
- (٩) أنظر :
 Biliotti, PP.522-523
- (١٠) أنظر :
 Flandin, P.301
- (**) بخصوص هذه التسمية (بيت التمرهض) أنظر :
 Biliotti, PP.521-522
 D,Anglure ,P.42 ; Les Statuts, P.27,Noms. 3,4

وقد شيد المستشفى ، فى أول الامر ، فى عام ١٣٣٥ على يد السيد الكبير الثانى هليون دى قبلينيف ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السيد الكبير العاشر ، أنطونيو فلوڤيان ، (١)
(١٤٢١ - ١٤٣٧) ، وألحق به إضافات فى عهود السادة الكبار ، الذين تعاقبوا بعده ، الى أن اكتمل بناؤه فى عام ١٤٨٣ فى عهد السيد الكبير ديهيسون . (٣)

هذا ولم تكن المباني العامة وحدها التى يضمها شارع الفرسان ، بل انتشرت فيه أيضا المساكن الخاصة لأصحاب الرتب العالية من غرمان الاسبانية ، (٤) وكلها منازل صغيرة ذات أسقف شرقية مسطحة ، وطوايق أرضية خالية من الشهايك ، (٥) وواجهات مزدانة بدروع (شارات) أصحابها ، ولوحات رخامية نقش عليها أسماء أصحابها والسادة الكبار الذين شيدت هذه المنازل فى عهودهم ، وتوارىخ تشييدها . (٦)

ومن ناحية أخرى فإن شارع الفرسان ، وحى الكولاشيوم بوجه عام ، لم يكن يضم جميع المباني العامة فى مدينة رودس ، ولم تتجمع فيه جميع مساكن الفرسان الخاصة ، فقد شيد بعض هذه المباني ، بنوعها العام والخاص ، فى الجزء الآخر من مدينة رودس ، وهو الجزء الأكبر فى المساحة ، حيث كان يقيم سكان المدينة الآخرون بمقاتلهم المختلفة من أغريق أرثوذكس ولائين كاثوليك ويهود ، وبخاصة فى حى اليهود أحد أحياء هذا الجزء . (٧)

(١) أنظر : Vertot II, P.182; Flandin, P.300

(٢) أنظر : Pero Tafur, PP.51-52 ، علما بأن هذا الرحالة زار المستشفى عام ١٤٣٧ ووصفه وصف شاهد عيان ، ولا ندرى من أى المصادر أخذ ديبلابير (De Belabre, P.123) قوله بأن المستشفى بدى فى تشييده فى عهد حنا لاستيك ابتداءً من عام ١٤٣٩ بناً على وصية خلفها له فلوڤيان . ونعتقد بأن الأصح هو أن حنا لاستيك بدأ فى بناه إضافة جديدة للمستشفى بناً على توصية تركها له فلوڤيان . وعلى أى حال فقد سجل كل من فلانديان (Flandin, P.300) ، بليوتى (Biliotti, P.521) فرتو (Flandin, P.300) بأن من شيد المستشفى هو فلوڤيان .

(٣) أنظر : De Belabre, P.123 وأنظر أيضا Grousset; PP.289-90 مع ملاحظة أنه ذكر أن الينا تم تشييده فى عام ١٤٧٣ . أما الكاتبان فلانديان (Flandin, P.300) ، بليوتى (Biliotti, P.521) فقد ذكرا بأن المستشفى تم بناؤه فى عام ١٤٤٥ فى عهد فلوڤيان وتوضح خطأ الكاتبين المذكورين إذا علما بأن عهد فلوڤيان يمتد من عام ١٤٢١ حتى عام ١٤٣٧ .

(٤) أنظر : Flandin, PP.309-311

(٥) أنظر : De Belabre, P.99

(٦) أنظر :

وأهم المباني العامة التي شيدت في حي اليهود قصر الامبرالية حيث كان يقام أسبوع
 البحر ، (١) ودار المحكمة التجارية ، التي كانت تعرف باسم القسطلانية Chatellenie (٢)
 علما بأن هذه الدار شيدت لأول مرة في عام ١٣٧٥ ، في عهد السيد الكبير ريسيسيت
 دي جوليان ، ثم جدد بنساؤها في عهد السيد الكبير دامهواز (١٥٠٥ - ١٥١٢) (٣)
 وفي خارج حي اليهود ، الى يساره ، شيدت الشكبة الفسيحة التي كانت تعسكر فيها
 حامية الجند العاملين في خدمة الاستنارية ، علما بأن هؤلاء الجند ليسوا أعضاء في هيئة
 الاستنارية وأكثرهم من أهالي الجزيرة الوطنيين . وتتألف الشكبة من حظائر لخيول الفرسان
 الاستناريين ومساعدتهم تعلوها حجرات جند الحامية . (٤)

ولم يقصر الاستنارية أعمالهم الانشائية على العاصمة رودس وحدها ، بل امتدت
 عنايتهم أيضا الى سائر المدن والقرى الأخرى في الجزيرة ، ولا سيما ما يقع منها على
 السواحل أو فوق الجبال ، فقد شيدوا فيها القلاع والحصون لكي تدافع عن المناطق
 المحيطة بها ، وبأوى اليها سكان هذه المناطق ودواهم عندما يهاجمهم القراصنة
 أو جيوش الدول الأعداء ، كما أقاموا فيها أبراج المراقبة لئلا تدار الحصون القريبة منها
 باقتراب العدو بحرا أو هرا . (٥)

وحتى تستكمل الصورة عن تلك الجزيرة اطارها فلا بد لنا من دورة كاملة حولها .
 نشي غرب العاصمة كانت قرية تيراندا ، وفيها للفرسان حصن ظل قائما الى ان هدمه
 السيد الكبير أورسيني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) ، عندما اتضح له بأن هذا الحصن يمكن

Biliotti, P.526; Flandin, P.328

Biliotti, P.524

Ibid, PP.524-526

Flandin, PP.327-328

De Belabre, P.171.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

أن يستفيد منه الاعداء أكثر مما يفيد الاعالى . على أن ترياندا اشتهرت بما كانت تحويه من المنازل الرهبة (القبلات) التى يملكها فرسان الاسبتارية ، وعلى منازل مرهقة الشكل بيضاء اللون مؤلفة من دورين تنتهى فى أعلى بأسطح مستتة (١)

وبلى ترياندا جنوبا على الساحل الشرقى للجزيرة قرية تحمل اسم ياليسوس Yalysos وتقع هذه القرية بأسفل جبل فيلرموس Falierenos الذى أقام الاسبتارية فوقه ، عقب احتلالهم للجزيرة مباشرة ، قلعة وكنيسة فوق أنقاض قلعة وكنيسة كان قد بناها الهزلطيون . وقد أطلق الاسبتارية على كنيستهم اسم السيدة العذراء ، ووضعوا فيها صورة للعذراء أشاعوا أنها تصنع المعجزات ، مما جذب السائحين بكثرة الى المنطقة . (٢)

والى الجنوب من قرية ياليسوس ، تقع قرية تحمل اسم كرهماستى Crémasti ومعناها السادة الكبار (Grande-maistrise) ، نسبة الى قصر صيفى للسادة الكبار ، شيد بجوارها اما فى عهد دويسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، كما يرى فلانسان (٣) أوفى عهد كاريو (١٥١٣ - ١٥٢١) بحسب اعتقاد بليوتى (٤) والقصر بمثابة حصن مرهق قوى ، ولكن تسليحه ليس بالطريقة التى تساعد على صد هجوم خطير . (٥)

والى الجنوب من ذلك يأتى حصن فيلانوفيا Villanova نسبة الى الميسيد الكبير الثانى هليون دى فيليوت (١٣١٩ - ١٣٤٦) ، الذى شيد هذا الحصن للدفاع عن الساحل الشرقى للجزيرة ، ثم قامت الى جواره قرية تحمل نفس الاسم فيلانوفيا ، وتضم كثيرا من المنازل الصيفية لفرسان الاسبتارية واغنياء التجار الودسين والاجانب وخاصة التجار

Flandin, P.329

De Belabre, PP.182-185

Flandin, P.329

Biliotti, P.530

Ibid: Loc. Cit.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

رجال المال الفلورنسيين • وشبهه حصن فيلانوفا حصن كريماستي في شكله المربع • ولكن أكثر
منه تحصينا وتسلحا • وضم الحصن ، الى جانب مسكن الحاكم وثكنة الحامية ، كنيسة
باسم القديسة كاترينا • ووجد قريبا من الحصن ، برج للمراقبة شيد لخدمة الحصن وضم
تحت سلطة حاكمه . (١)

وعند مواصلة السير جنوبا ، على نفس هذا الساحل الغربي للجزيرة نجد حصنا صغيرا
شيدا في سوروني Soroni ، يليه قلعة كبرى في فانز Fanes ، ثم برج
للمراقبة في رأس أجيجوس ميناس Cap Aghios minas ولا يكاد هذا البرج ، يعطى
الاشارة باقتراب العدو حتى يبرح الفلاحون المقيمون حوله ، الى الاحضان يحصن مالاخوس
Salakhos القريب منه • وعلى ذلك جنوبا ، على الساحل ، حصن قوى مربع عسرف
باسم كاستيلوس (Castellors) أى القلعة ، وهو اسم أعطى أيضا لقرية قامت
الى جواره • ودافع عن هذا الحصن هرجان دائريان متصلان به من ناحية البحر ، ورجان
آخران ، أحدهما منشورى ، وثانيهما مربع ، يتصلان به من ناحية اليابس • والمعتقد بأن
الحصن بنى فى عهد السيد الكبير أورسيني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) ولكنه اكمل فى عهد
السيد بن الكهين دامبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) وكارينو (١٥١٣ - ١٥٢١) . (٢)
وعلى جنوبا ، بعد هذا الحصن ، برج للمراقبة شيد الفرسان بجوار قرية جليفادا Glifadha
الساحلية لاعطاء الاشارة باقتراب العدو ، لحصن سيانا Sianna ، مونوليثوس
monolithos ، وهما حصنان داخليان يرفض كل منهما فوق ربوة عالية من
بها جبل أكراميتى (akramity) المجاورة • وقد شيد أحدهما ، وهو
حصن مونوليثوس فوق صخرة من قطعة واحدة ، كما يدل على ذلك اسمه unrocher monolithe
الذى أعطى أيضا لقرية تقع بأسفل هذه الصخرة • ويعتقد بأن الحصن شيد فى عهد

(١) أنظر : Biliotti, PP. 530-531; Flandin, P. 329; De Belabre,

PP. 179-180

Biliotti, PFK 531, 595

(٢) أنظر :

دويسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) نظرا لوجود شارات هذا السيد الكبير منقوشة فوق

حوائطه . وأخيرا يأتي حصن هولاكيا Polakia ، أو كما يسمى أيضا بـ Prionia

الذي تنتمي به مجموعة الحصون والابراج التي أقامها الاستتارية على الساحل الغربي

لجزيرة رودس . (١) أما لحاية الطرف الجنوبي للجزيرة فقد أقام الاستتارية برجاً قوياً

خارج قرية كاتافيا Catavia ، كما شيدوا حصناً فوق تل يقع بالقرب من هذا

السهج . (٢)

ولا يقل الساحل الشرقي عن الساحل الغربي في عدد الحصون وأبراج المراقبة

التي أقامها الاستتارية على هذا الساحل أو فوقها التلال الواقعة إلى الداخل منه

لحمايته . وهذه الحصون ، معن الجنوب إلى الشمال ، هي لـ Lachania

بنادي Yennadhi ، أسكليبيو Asklipio ، لاردوس Lardos

لندوس Lindos ، فيراكليس Pheraclos ، أركانجيلوس Archangelos

وأخيرا كوسكينو Koskeenoo . وكان كل حصن من هذه الحصون يدافع عن

مدينة أو قرية ، تقع بجواره ، وتحمل نفس اسمه ، فضلاً عن قرى أخرى بالقرب منها . وكان

(١) أنظر : De Belabre, PP.177-179; Biliotti, PP.421-423, 532

(٢) أنظر : Biliotti, P.532

(٣) أنظر : Biliotti, PP.532-533

(٤) أنظر : De Belabre, P.171, ; Biliotti, PP.533-534.

ولا حظ بأن هليوتي أعطى حصن فيراكليس اسم مالونا malona ، وهو اسم قرية مجاورة للحصن ، وأن كلا من فلاندا وخرطة فاروشون اتفق مع هليوتي على أن حصن أركانجيلوس هو آخر الحصون المشهدة على الساحل الشرقي لجزيرة رودس من ناحية الشمال ، وأن دي بيلابر وحده - وبين المراجع المذكورة - هو الذي أكد بوجود حصن كوسكينو في أقصى الشمال من هذا الساحل ، وذكر (في ص ١٧٦) بأن الحصن قد تهدم ولم يبق منه قائما سوى جانب من سورته خلف منازل قرية تحمل اسمه

بعض هذه الحصون ، مثل حصن أركانجيلوس ، موجودا قبل عصر الاستتارية ، فقام السادة
الكبار بمقرصمه وتقويته ،^(١) والبعض الآخر ، بناء الاستتارية على انقاض قلعة (أكروبول)
يونانية قديمة ، مثل حصن فيراكليس - الذي يسميه المؤرخ بليوتى Biliotti باسم
حصن مالونا Malona نسبة الى اسم قرية يصبها الحصن بالقرب منه ، ويقول
بأن الاتراك كانوا يطلقون عليه اسم تاشتالي كاله (Tachtali-Caleh)^(٢) - أو
شيدوه على انقاض قلعة بيزنطية ، أقيمت بدورها فوق أسامات أكروبول قديم ، مثل حصن
لندوس ، وهو أكثر الحصون المشهورة على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، مناعة صخرية مثل
عش النمر ، فوق هوة ، ارتفاعها متعك قدم ، تطل على مدينة لندوس^(٣) التى تعتبر
الثانية بين مدن الجزيرة ، فى الأهمية ، بعد العاصمة رودس .^(٤) هذا وكان لكل حصن
من هذه الحصون الشرقية ، برج أمامى للمراقبة ، يتولى مهمة إخطاره بالاشارات ، كلما اقرب
منه ومن الساحل أو لئل عليه .^(٥)

Biliotti, P.533

Ibid: Loc. Cit.

Biliotti : PP.382-385; Flandin, P.331.

Farochon, P.63

Biliotti, P.534

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

الفصل الثالث

نظام الحكم والادارة عند الاسبنتارية

- (١) تقسيم هيئة الاسبنتارية الى طوائف قومية .
- (٢) الجمعيات ثاقصة التمثيل .
- (٣) المؤتمر العام للاسبنتارية .
- (٤) السيد الكبير للاسبنتارية .
- (٥) مجلس الاسبنتارية وسلطاته على الادارتين المركزية والاقليمية .

تعرضت هيئة الاستتارية في رودس لكثير من التغييرات ، ~~سـ~~وا
في شخصيتها الدولية أوفى تنظيماتها الداخلية ، بوصفها قوة مستقلة تحكم
جزيرة رودس وثمان جزر أخرى بجوارها في بحر ايجه ، فضلا عن أجزاء من
الهابس الأسوي ، حول مدينة أزمير ، التي استولى عليها الاستتارية ،
بالاشتراك مع البنادقة والقبارصة والجنوة والبابا كلبنت السادس ، في
أكتوبر عام ١٣٤٤ ، في عهد السيد الكبير الثاني هليون دي فيليب^(١) ، واحتفظوا
بها إلى أن طردهم منها تيمورلنك التتري ، في ديسمبر عام ١٤٠٢^(٢) ، فاستعاضوا
بها بمدينة ماليكارناس القديمة ، التي استولوا عليها في عام ١٤٠٣ ، على يد السيد
الكبير فليبرت دي نيلاك ، وأقاموا فيها حصنا باسم القديس بطرس ظل في حوزتهم
حتى نهاية عهدهم في رودس عام ١٥٢٢^(٣) .
تقسم الهيئة إلى طوائف قومية :

والواقع ان التغييرات الرئيسية في الكيان الداخلي لهيئة الاستتارية في
رودس ترجع بدايتها إلى القرار الذي صدر عن المؤتمر الاستتاري العام ، الذي عقد
في ٢ نوفمبر عام ١٣٣٠^(٤) ، بمدينة مونبلييه الفرنسية ، برئاسة السيد الكبير الثاني هليون

(١) انظر : Gay , PP.36-39; Atiya: The Crusade in the later middle Ages, PP.292-293.

(٢) انظر : Vertot II, P.332-341; Hammer II, P.114-117; D. Le Roulx: Les Hospital. à Rh., PP.285 - 286; Biliotti, PP.191-195

(٣) انظر : D. Le Roulx : Op. Cit., PP.287-289; Vertot II, PP.344-345 ; Biliotti, P.196.

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P.56

دى فيلينيغ، والذي نص على تقسيم أعضاء هيئة الاستتارية الى ~~اللسنة~~
(Langues) أو ، بعبارة أخرى ، الى طوائف مختلفة ، بحسب
جنسياتها القومية (١)

ومقتضى هذا التقسيم تحولت هيئة الاستتارية من كيان واحد متعدد
العناصر القومية ، يتمتع فيه العنصر الفرنسى بالسيادة ، الى تحالف بين مجتمعات
قومية وحد بينها اما الحرب ضد المسلمين واما التجارة . وربما كان الهدف
من التقسيم هو الرغبة فى تحطيم السيادة المطلقة للعنصر الفرنسى حتى لا يجد
ملوك فرنسا ، مستقبلا ، مجالا لوضع هيئة الاستتارية أمام مصير مشابه للمصير
الذى حل بهيئة الدائمة على يد الملك الفرنسى فيليب الرابع الذى اشتهر بالوميم (٢)

وكان عدد الطوائف القومية ، فى بداية الأمر سبع (٣) ، لكل منها نزل
خاص بها فى مدينة رودس ، يرقف عليه علمها ، ويقام فيه عيدها ، علما
بأن هؤلاء "العنداء" هم الوحيدون ، دون سواهم من أعضاء هيئة الاستتارية ، الذين
تشكلت منهم فئة الوكلاء المركزين المعروفين باسم الوكلاء الذين
Baillys Conventuels ، كما خصص لكل منهم منصب رئيسى من مناصب
الإدارة المركزية العليا ، يشغله بحكم منصبه كرئيس للطائفة التى يمثلها (٤)

(١) أنظر : Vertot II, P.179; The Encyc. Brit. , Vol. XXIV,

(Eleventh Edition - 1911), P.16

Ibid., P.16

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.130

(٣) أنظر :

(٤) أنظر : De Belabre, P.18; Les Statuts, Titre 10 , PP.92,101

الكبير Vital Ahquier مقدم شعبة قطالونيا ، بمعاقبته بالاعتقال والحرمان من الكنيحة إذا لم يخضع لقرار الوقف من الوظيفة الذي اتخذته ضده السيد الكبير للاستشارة ريموند بيرنجر - خليفة روجر دى ينز - بعد أن ثبت من التحقيق الذي أجراه معه اثنان أحدهما يمثل الاستشارة والآخر يمثل البابوية ، صحتا رضى ريموند بيرنجر بتعلق بمخالفات مالية خطيرة وقعت على يديه فى الشعبة التى يديرها . وكان من نتيجة صدور هذا القرار البابوى أن قدم المقدم الاستشارى التمرد استقالته من منصبه للسيد الكبير ريموند بيرنجر ففى سبتمبر عام ١٣٦٥ (١) هذا ويمكن أن نضيف الى ذلك أن البابا أريان الخامس ، حين وافق فى ٢١ يولييه عام ١٣٦٩ على الطلب الذى تقدم به اليه الملك الفرنسى شارل الخامس الشهير بالحكيم (١٣٩٤ - ١٣٨٠) بأن يدفع رجال الدين الكاثوليكى العاملين فى فرنسا الضريبة الجديدة التى قررها هذا الملك ، اشترط على الملك أن يعفى من دفعها الكرادلة والاستشارة والنسبتون (٢)

على أن البابا أريان الخامس توفى فى عام ١٣٧٠ . وقد اهتم خليفة جرجورى الحادى عشر (١٣٧٠ - ١٣٧٨) اهتماما خاصا بمصالح الاوضاع الداخلية المقدسة فى هيئة الاستشارة بالتعاون مع السادة الكبار لهذه الهيئة الذين عاصروه وهم على الترتيب ريموند بيرنجر (١٣٦٥ - ١٣٧٣) ، وروبرت جويلي (١٣٧٣ - ١٣٧٦) ، وهيريديا (١٣٧٦ - ١٣٩٦) . ومن مظاهر هذا الاهتمام أنه فى عام ١٣٧٢ طلب من السيد الكبير ريموند بيرنجر ضرورة عقد جمعية من كبار الاستشارة لمناقشة وسائل الاصلاح المنشود ، وهى الجمعية التى تم عقدها بالفعل فى مدينة أفينيون فى أول سبتمبر عام ١٣٧٣ برئاسة هيريديا نائب السيد الكبير للاستشارة فى الغرب ، وفى ٢ فبراير عام ١٣٧٣ (٣)

١. Le Roulx: les Hosp. à Rh., PP.171-172.

(١) أنظر :

naberat , P.62

(٢) أنظر :

ertot II, PP.243 - 244.

(٣) أنظر :

وقفا على طائفة معينها ، ولكن سرعان ما انضج لهذه الطوائف الساخطة عجز المؤتمر عن اصدار قرار في صالحها ، بسبب اصرار العنصر الفرنسي ، بطوائفه الثلاث ، على التمسك بما اعتبره حقا تقليديا له ، فما كان من ليمان ، وكل طائفة أسبانيا ، الا أن تقدم من السيد الكبير ، يعقوب ميللي ، وألقى ، تحت قدميه ، طلبا بضرورة رفع القضية الى عدالة البابا ، ثم انسحب من المؤتمر ، يتبعه بقية أعضاء الطائفة الأسبانية وحلفاؤهم من الابطاليين والانجليز والألمان ، وعندئذ اجتمع مجلس الاستشارة وقرر اخبار الحادث الشقاكا وعيانيا ، وكاد أن يصدر حكما رادعا على العصاة ، لو لم يتدارك السيد الكبير الأمر بحكته ، فمنصح بأن تنهيا لهم فرصة لطلب العفو ، فلما طلبوه أعطى لهم (١) .

وما أن توفي يعقوب ميللي ، في عام ١٤٦١ ، حتى عادت طوائف أسبانيا واطالها وانجلترا وألمانيا ، الى مطالبتها القديمة ، بالدرجة التي أقمست المسئولين عن انتخاب السيد الكبير الجديد بضرورة محاولة ارضائها عن طريق اختيار خليفة غير فرنسي للسيد الكبير المتوفى يعقوب ميللي ، هو الأسباني بطرس ريموند زاكوستا (Pierre Raymond Zacosta) ،

ليس فقط لأنه ينتمي الى الطائفة الأكثر تمردا ، وهي الطائفة الأسبانية ، ولكن أيضا لما يتمتع به من منزلة سامية في نفوس الاستشارية على اختلاف طوائفهم (٢) .

(١) Biliotti, PP.230-231; Bouhours, PP.26-27; Farochon, P.115.

(٢) Flandin , PP.175-177; Biliotti, P.233.

ونفس الروح التي صاحبت اختيار زاكوسنا لرئاسة الاسبتارية ففى عام ١٤٦١ ، أصدر هذا السيد الكبير ، فى العام التالى لتوليته ، أى فى عام ١٤٦٢ ، قرارا ، وافق عليه مجلس الاسبتارية ، ونص على استحداث طائفة ثامنة فى هيئة الاسبتارية لصالح العناصر غير الفرنسية ، عسى أن طريق تجزئة الطائفة الاسبانية الى طائفتين ، بحيث يطلق على أحدهما اسم طائفة أرغونه وقطالونيا وناقارا ، ويظل ترتيبها الخامس بين الطوائف المختلفة ، ويشغل عمدها منصب الأمين أو المحافظ الكبير ، ويأتى على الثانية اسم طائفة قشتالة وليون والبرتغال ، وأتى ترتيبها الثامن والأخير بعد الطوائف الأخرى ، ويخص لعمدها منصب حامل الاختصاص الكبير (١) (grand Chancelier).

هذا عن تقسيم أعضاء هيئة الاسبتارية فى ردهم الى طوائف ، وتوزيع المناصب العليا فى الادارة المركزية على هذه الطوائف . وقد امتدت عدوى التوزيع أيضا الى مناصب الادارة الإقليمية ، أى ادارة الشعب ، بما تشتمل عليه من دواشر وأمرات ، بحيث اختصت كل طائفة من الطوائف الثمانية بادارة الشعب والأمريات التي توجد فى الوطن الأم الذى تنتمى اليه الطائفة (٢) ، وذلك عن طريق مديريه ، بدرجة مقدمى شعب (Priours) لادارة الشعب الواسعة ، ودرجة وكلاء مجمعين (Baillifs Capitulaires) لادارة الشعب الأصغر ، ولهم حق الترقية الى درجات مقدمى شعب ، ودرجة

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.101, noms. 34,35, P.105, nom. 45; Pauli II, PP.140-141, num. CXIX; Biliotti, PP.233-234, 120-121.

(٢) أنظر: Les Statuts, P.105, nom. 45 (Coutume); D.Le Rouk: les Hospit. à Rho., F.178.

أمريين (Commandeurs) ، لإدارة الدوائر (أو الأمريات)

التي تتشكل منها سائر الشعب ، ولهم حق الترقية إلى درجة وكلاء
مجمعيين أو إلى درجة مقدمي شعب مباشرة .^(١)

وفي الواقع لم يكن يشد عن قاعدة توزيع المناصب الكبرى في هيئة
الاستشارية ، سواء المركزية من هذه المناصب ، أو الإقليمية ، سوى منصبين
اثنين مركزيين ، كان اختيار من يشغل كل منهما ، يتم بحسب الكفاءة
والصلاحية من غير التفات للطائفة التي ينتمي إليها . وكان منصب رئيس الكنيسة

(١) أنظر :

Les Statuts, Titre 14, P.123, nom.4

(de milly)

ولمعرفة الشعب والوكالات الخاصة بكل طائفة أنظر : Ibid, Titre 10

Ibid, Titre 10 , PP.105-106, nom. 45 (Coutume).

ومن الملاحظ أن هناك بعض المناصب الإقليمية لم يربط أى منها على طائفة
بعضها . ومن هذه المناصب منصب وكيل نجرويون الذى كان يختار من فرسان طائفتي
أرغونه وقشتاله بالتناوب (أنظر : Ibid, P.106) ومنصبا آمر لانجسو
والأمر الكبير في قبرص اللذان كان يختاران في بداية الأمر من طائفة بيروثانس ، ثم
قررت جمعية الاستشارية المنعقدة في أفنيون في أوائل عام ١٣٥٦ بأن يكون لجميع
الطوائف حقوق متساوية في هذين المنصبين .

(أنظر :

D. Le Roulx : les Hosp. à Rh., P.130

ومع ذلك ظلت أمرية قبرص الكبرى وفقا على طائفة بيروثانس ، وأمرها هو الأمر الكبير
عميد هذه الطائفة ، إلى أن تقرر في المؤتمر العام المنعقد في رودس في ٢٠ فبراير
عام ١٣٧٩ تقسيم تلك الأمرية إلى سبع أمريات صفرى بعدد الطوائف التي كانت تتألف
منها هيئة الاستشارية وقتذاك ، بحيث تختص كل طائفة بواحدة من هذه الأمريات ،
ويطلق على أحدها اسم أمرية قبرص الكبرى ويحصل مديرها لقب الأمر الكبير في قبرص ،
وتكون له الرئاسة على الأمريين المت الآخرين .

Hill II, P.462

(أنظر :

D. Le Roulx: op. Cit., P.209; Vertot II, P.288;

هذا وتقرر في المؤتمر العام المنعقد في رودس في ٢٣ أبريل عام ١٤٢٣ ضم
أمرية لانجو إلى الأمرية الكبرى في قيسريين .

(أنظر :

(Mas-Latrie III, P.15.

(١) أى رئيس رجال الدين الاعضاء فى هيئة الاستشارية أحد هذين المنصبين .
أما المنصب الثانى ، فهو منصب السيد الكبير نفسه .

وكان السيد الكبير منذ عصر الشام يختار وفق نظام خاص داخل مؤتمر استشارى عام يعقد فجر اليوم التالى لوفاة السيد الكبير المراد انتخاب من يخلفه . وكان يرأس المؤتمر ، عند بدء انعقاده ، نائب السيد الكبير الذى لا يلبث أن يخلى مكانه لرئيس عملية الانتخاب ، وهو فارس استشارى تختاره لجنة مؤلفة من ممثلين للطوائف المختلفة ، بواقع ممثل واحد لكل طائفة ، لإدارة عملية انتخاب السيد الكبير . وكانت هذه اللجنة نفسها ، تقوم ، بعد ذلك ، باختيار ثلاثة أعضاء من هيئة الاستشارية ، أحدهم فارس ، والثانى راهب ، والثالث من فئة خدم السلاح ، كنواة للجنة أخرى ، تتولى مهمة الانتخاب ، بحيث يقوم الأعضاء الثلاثة ، يرأسهم الفارس ، الذى يلقب بفارس الانتخاب ، باختيار عضو رابع ينضم اليهم فى اختيار العضو الخامس ، وتستمر العملية حتى يبلغ عدد أعضاء تلك اللجنة (٢) ثلاثة عشر عضواً ، يختارون لكفائهم بقطع النظر عن الطوائف التى يتمتعون اليها . (٤)

وقد تقرر فى المؤتمر الاستشارى العام ، الذى انعقد فى مدينة رودس ، فى أكتوبر عام ١٢٧٠ ، أى فى عهد السيد الكبير ، ريموند بيرنجر ، بأن يقل عدد

(١) أنظر : Ibid, P.106, nom. 45 ; Les Statuts, Titre 10 .

Titre 13 , P.119, nom. 6.

(٢) أنظر :

Ibid , PP.115-116, nom.1 (Coutume)

علما بأنه جاء فى هذا المرجع بأن عدد أعضاء لجنة الانتخاب ستة عشر عضواً باعتبار ما انتهى اليه عدد أعضاء هذه اللجنة بعد أن أصبحت هيئة الاستشارية مؤلفة من ثمانى طوائف ابتداءً من عام ١٤١٢ ، أنظر أيضاً :

D: Le Roulx: les Hospit. en T.S. , P.318

(٣) أنظر :

Ibid. Loc. Cit.

(٤) أنظر :

Vertot II, P.246.

أعضاء لجنة الانتخاب ثلاثة عشر عضوا على أن يكون أحدهم المعرض ، والمباقون بواقع عضوين
عن كل طائفة من الطوائف التي كانت تتألف منها هيئة الاستبارة - آنذاك (١) - وهي
سبع طوائف ، فيما عدا طائفة المانيا عضو واحد لقلة عدد الأعضاء المنتخبين اليها ،
علما بأن المعرض كان يختار عادة من طائفة فرنسا . (٢) واما لعدم وقوع أى ضغط مضط
للايقاض على منصب السيد الكبير في طائفة واحدة ، أصدر المؤتمر قرارا آخر قضى بالاختار
مدبر الانتخاب من نفس الطائفة الذى يتولى السيد الكبير الذى تولى (٣) وقد ظل
هذا القانون معمولاً به - فيما يبدو - الى أن تم تأسيس الطائفة الثامنة في هيئة
الاستبارة - وهي طائفة قشتالة - في عام ١٤٦٢ ، فأدخل عليه عندئذ تعديل أصبحت
لجنة الانتخاب بمقتضاها تتشكل من ستة عشر عضوا بواقع عضوين من كل طائفة .

- (١) انظر 264
D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh. , P.169; Vertot II, F.
(٢) انظر : Flandin, pp.192-193
(٣) انظر : Les Statuts, Titre 10, P.98, ncm. 22
(٤) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.169
(٥) انظر : من المؤكد أن السيد الكبير ديمسون انتخب في عام ١٤٧١ وفق النظام
الجديد . (انظر : Béhours, P.35) ومن المؤكد أيضا أن
حننا لاستيك انتخب في عام ١٤٣٧ - أى قبل تأسيس الطائفة في هيئة الاستبارة
وفق النظام القديم (انظر : Pero Tafur, pp.107-109,
ومما يجدر ذكره أن الرحالة الإسباني بيرو تافور وصل الى رودس في ٢٨ أكتوبر
عام ١٤٣٧ قبل انتخاب لاستيك بيهمين اثنين ، وسجل لنا معلومات من طريقة
انتخاب السيد الكبير للاستبارة كما شاهدناها بنفسه وما سمعنا من الفارس القشتالي
الذى نزل تافور في ضيافته في رودس ، واسمه nuno de Cabrera
ومن آخرين . وقد وضع الالتباس الذى وقع فيه تافور ، عند روايته لهذه المعلومات ،
في عدة مواضع ، أولها عند قوله بأن لجنة الثلاثة عشر عضوا مهمتها كانت قاصرة
على اختيار لجنة أخرى مؤلفة من سبعة أعضاء ، بواقع عضو واحد عن كل طائفة من
طوائف الاستبارة ، وفي اللجنة المختصة باختيار السيد الكبير ، علما بأن ماكسمان
يحدث هو عكس ما قال به تافور تماما . وفي موضع آخر قال تافور بأن المؤتمر العام
الذى يدعى لاختيار السيد الكبير ، يختار من بين أعضائه ثلاثة أعضاء عن كل
طائفة من الطوائف السبع التي تتألف منها هيئة الاستبارة ، أولهم فارس وثانيهم راهب
وثالثهم من فئة خدم المكتب ، وعمولا المنتخبون الواحد والعشرون يختارون لجنة
الثلاثة عشر عضوا ، وصحته أن المؤتمر العام يختار لجنة السبعة أعضاء التي تتألف
من عضو واحد عن كل طائفة ، وهذه تختار ثلاثة أعضاء المؤتمر العام ، أحدهم فارس
والثاني راهب والثالث من فئة خدم السلاح (وليس من فئة خدم المكتب بحسب
أقوال تافور) ، كنواة للجنة الثلاثة عشر عضوا التي تقوم باختيار السيد الكبير .
وجاء في رواية تافور أيضا أن صوت الرئيس الكبير المراد انتخاب خليفة له ، كان يؤخذ
منه كتابة عندما تشتد عليه وطأة المرض ، لكن يضاف - محسوبا بصوتين - الى أصوات
أعضاء اللجنة الثلاثة عشر عضوا التي تشكل لانتخاب السيد الكبير الذى يخلفه ، ولكن
لم يرد ما يؤيد هذا القول في قانون هيئة الاستبارة . وقد بينا ردنا على رواية
تافور بما جاء في :

ومهم ما يكن من أمر عدد أعضاء لجنة الانتخاب فقد كان على هؤلاء الأعضاء ،
بعد أن يتم اختيارهم ، أن يقسموا اليمين على هليب وأنجيل أمام مديبر
الانتخاب ، وحضور جميع أعضاء المؤتمر ، بالاختياروا على منصب السيد الكبير
الامن برون بأنه يصلح لقيادة عبثة الاستنارية بقطع النظر عن أي اعتبار آخر ،
ثم ينسحبوا الى حجرة منفصلة ، يخالقون على أنفسهم فيها ، لأداء المهمة المنسوبة
اليهم بها .

وكان لكل عضو من أعضاء اللجنة الحق في أن يترشح من يرى أنه الأفضل
لشغل المنصب . وعندما يفرغون من ذلك ، يحضرون عدد المرشحين ، ثم يحضرون
صناديقا بعدد هؤلاء المرشحين ، ويضع كل عضو منهم بليّة (balotte)
في الصندوق المخصص للمرشح الذي يرغب في انتخابه ، فيما عدا رئيسهم ، وهو
فارس الانتخاب ، فمن حقه أن يضع بليتين ضمانا لعدم حدوث تعادل في الأصوات
بين مرشحين . وبعد فرز الأصوات ، المعدلة بهذه الطريقة ، يتولى فارس
الانتخاب مهمة اعلان اسم المرشح الفائز ، بصوت مسموع ، لدير الانتخاب ،
وأمام جميع أعضاء المؤتمر بالرغم من أنهم لا يملكون حق الاعتراض عليه . وكان على السيد
الكبير المنتخب أن يقسم أمام الأعضاء ، حتى يتسلم سلطانه بصفة رسمية ، بأن
يحترم قوانين الاستنارية وعاداتها الطيبة ، وأن يصرف الأمور في هيئته بمساعدة
مجلس الاستنارية ومشورة قدامى الأعضاء . وإذا كان السيد الكبير ، وقت انتخابه ،
متنفيا خارج جزيرة رودس ، يستدعى الى هذه الجزيرة ، ولكن لا يسمح له
بأن يتسلم سلطانه من نائب السيد الكبير ، الذي كان يمارس هذه السلطات
وقت غيابه ، الا بعد تأدية ذلك القسم (١)

وليس من شك في أن السرعة التي كان يتم بها انعقاد المؤتمر الاستثنائي العام ، لانتخاب السيد الكبير ، لم تكن تسمح لأحد من أعضاء هيئة الاستثنائية ، بحضوره إلا لمن تصادف وجوده منهم آنذاك في مقر انعقاده ، وهو مدينة رودس^(١) العاصمة ، التي تم فيها انتخاب جميع السادة الكبار فيها عدا اثنين منهم ، أولهما هليون دي فيليتي ، ثاني السادة الكبار الذين حكموا رودس من هيئة الاستثنائية ، فقد تم انتخابه ، في عام ١٣١٩ ، في مدينة الفينيون الفرنسية ، عن طريق مؤتمر عام تشكل من كبار أعضاء هيئة الاستثنائية الذين كانوا قد وفدوا إلى هذه المدينة ، وقتذاك ، لمساعدة البابا حنا الثاني والعشرين في الخروج بهيئة الاستثنائية من أرضها التي صاحبت تنحية سيدها الكبير الأمل ، فولك دي فيلاريه^(٢) ، ثانيهما أورسيني ، الثالث عشر من السادة الكبار الذين حكموا رودس ، فقد تم انتخابه في عام ١٤٦٧ ، في مدينة روما ، عن طريق مؤتمر استثنائي عام ، كان منعقدا بالفعل ، في هذه الأثناء ، تحت إشراف البابا بولس الثاني بصحبة السيد الكبير

(١) لعل وضوح ظاهرة انعقاد المؤتمر العام الذي يتم فيه اختيار السيد الكبير ، وهو قاصر في تشكيله على أعضاء هيئة الاستثنائية المقيمين في رودس ، هو ما دعا مؤرخين مثل قرتو ، بليوتي ، فاروشون ، إلى تسميته أحيانا باسم مؤتمر رودس Le Chapitre de Rhodes ، وأحيانا أخرى باسم المؤتمر فقط (Le Chapitre) وأحيانا ثالثة باسم مؤتمر وديسير رودس Le Chapitre et le couvent de Rhodes علما بأن لفظ وديسير كان يطلق عادة على مجلس الحكم أو الإدارة (Le Conseil) . ويلاحظ بأن المؤرخين بليوتي وفاروشون قد أطلقا على هذا المؤتمر العام — في مرات كثيرة — اسم المجلس أو مجلس رودس ، بالرغم من اشتراك عدد كبير من أعضاء هيئة الاستثنائية الذين لا يتبعون بعضوية المجلس ، في تشكيل هذا المؤتمر العام ، وبالرغم من أن جميع أعضاء لجنة انتخاب الرئيس الكبير المنبثقة من هذا المؤتمر ، وعددهم ستة عشر عضوا ليسوا أعضاء في المجلس بحكم القانون .

(أنظر :

(Les Statuts, Titre 13, P.116, nom. I

(٢) أنظر :

D.Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.51; Vertot II,

P.175; Biliotti, P. 142; De naberat. P.58

الثاني عشر ، زاكوسنا ، الذي توفي قبل أن تنتهي جلسات المؤتمر ، فكان
انتخاب أورسيني هو آخر أعماله ^(١) .

الجمعيات ناقصة التمثيل :

وفي الحقيقة ، فإنه لم يكن من الجائز قانونا إطلاق اسم مؤتمر عام
Chapitre - General على أي اجتماع استثنائي ناقص التمثيل ، أي لا يضم
أكبر عدد من كبار موظفي الإدارة المركزية رؤساء الشعب في الغرب معسسا ،
إلا إذا عقد هذا الاجتماع في العاصمة رودس بقصد انتخاب السيد الكبير ، وذلك
ربما لكثرة عدد الحاضرين فيه بالرغم من عدم وجود ممثلين للشعب في الغرب
أو وجودهم بقلية . أما إذا استدعى الأمر عقد اجتماع ناقص التمثيل لبحث أمر طارئ
آخر ، بخلاف انتخاب سيد كبير جديد ، بحيث لا يمنع الوقت أو الظرف باستدعاء
عدد كاف من الأعضاء لتمثيل ديسرودس ، إذا عقد الاجتماع في إحدى مدن
الغرب ، أو لتمثيل وكلاء الغرب ، إذا عقد الاجتماع في مدينة رودس ، فإن
هذا الاجتماع كان يكفي بتسميته جمعية (assemblée) ، وليس
مؤتمرا عاما (Chapitre - général) ^(٢) .

ولم تكن قرارات هذا النوع من الجمعيات لها نفس القوة التي كانت لقرارات
المؤتمرات العامة ، أي لا تعتبر قوانينا أو مواد دستورية لها صفة الدوام ، إلا
إذا صدق عليها مؤتمر عام يحقده في وقت لاحق ، مثلما حدث لقرارات الجمعية التي
عقدت في مدينة أثينون ، في عام ١٩٥٦ ، أي في عهد السيد الكبير الخامس روجير
دي بتر ، فقد صدق عليها المؤتمر العام الذي عقد في مدينة رودس ، فمضى
عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيد الكبير روجير دي بتر نفسه ^(٣) ، أو إذا قلد البابا
الجمعية نفسا بالسجلات القانونية التي يتخضع بها المؤتمر العام ، ومثل ذلك ما قام به
البابا جريجوار الحادي عشر أزا الجمعية التي عقدت في مدينة أثينون ، فمضى

De naberat: , P.73; Bouhours, PP.30-31

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.174

(٢) أنظر :

Ibid, PP.130-131

(٣) أنظر :

(١)

اكتوبر عام ١٢٧٤ برئاسة السيد الكبير السامع روبرت دي جولي .

ومن الملاحظ أن أكثر هذه الجمعيات الطارئة ، ذات التمثيل الناقص ،

عقد في القرب ، وخاصة في مدينة أفنيون ، مقر الهايوية ، في النصف

الثاني من القرن الرابع عشر ، وأوائل القرن الخامس عشر ،

ويمكن أرجاع ذلك الى ازدياد تدخل الهايوية ، خلال ذلك الدور ،

في شئون الاسبتارية ، مدفوعة من تلقا نفسها ، أو نتيجة سعي المادة الكبار

اليها ، في مقرها بمدينة أفنيون ، للحصول منها على المساعدة في تخليص الهيئته

من الفساد الداخلي الذي كثيرا ما نفش داخل كيائها ، وفاحت رائحته حتى

وصلت الى أنف الهايا ، وفي حمل مقدمي الشعب ، ومديري الدوائر (الأقرين) -

بطا لها من نفوذ عليهم ، جذره قدرتها على معاقبتهم بالقطع من الكنيسة ، وعلى

الضغط على رؤساء الدول التي ينتمون أصلا اليها ومعارضون فيها مهام مناصبهم ،

لطردهم بالقوة من هذه المناصب - في حملهم على تمديد ما تأخر لديهم من نصيب

الخزائن في دخول الشعب التي يدبرونها ، أو على دفع ضرائب استثنائية تكون

قد فرضتها الجمعيات على هذه الشعب ، فضلا عن حملهم على التوجه الى رؤوس

على رأس الأعداد المطلوبة من فرسان الاسبتارية العقيمين في الشعب التي يدبرونها ،

اما لتمكين الهيئته من المساعدة في إحدى الحلات الصليبية الموجهة ضد

المطاليك ، مثل الحملة التي قادها الملك القبرصي ، بطرس الأول

دي لوزجنان ، على مدينة الاسكندرية في عام ١٣٦٥ ، أو ضد العثمانيين مثل

الحملة التي قادها السيد الكبير الثامن هيريدا ، في بلاد المورة ، في عام ١٣٧٨ ،

واما لمساعدة هذه الهيئته في الدفاع عن جزيرة رودس وحصنها أزمير على الساحل

الأسبوي ضد التهديد العثماني ، الذي اشتدت وطأته عليهما خلال تلك الفترة .

على أن عدد مرات انعقاد هذا النوع من الجمعيات قد قل كثيرا فى عهود السادة الكبار الذين تولوا على حكم رودس بعد عهد دى نيلاك المتوفى فى عام ١٤٢١ ، بحيث أصبح لا يعقدها يرثاسته ، فيما يبدو ، الا مقصد م الشعب فى أوروسا الذى يملسه قرار مؤتمر عام رودس بمقوع الاختيار عليه لمنصب السيد الكبير ، وذلك للتفاهم مع زملائه الآخرين من مقدمى الشعب على خطة العمل قبل سفره الى رودس لاستلام منصبه الجديد ^(١) . ويمكن ارجاع ذلك الى أن أحدا من السادة الكبار الذين تولوا بعد نيلاك وحتى نهاية عهد الاستبارية فى رودس ، لم يسافر الى أوروسا خلال مدة يرثاسته ، ويقضى فيها ردها قصيرا أو طويلا من الوقت ، قد يستجد فيه من الأحداث ما يستدعى عقد إحدى أو بعض هذه الجمعيات ، اللهم الا السيد الكبير زاكوستا ، الذى رحل الى رومسا ، فى أواخر عام ١٤٦٦ ، أو فى بداية عام ١٤٦٧ ، لحضور مؤتمر عام ، عقد فى فبراير عام ١٤٦٧ ، بدعوة من البابا بولس الثانى ، للتحقيق فى الشكاوى التى وصلت الى البابا ، ضد استبداد زاكوستا نفسه ، من بعض رؤساء بيوت الاستبارية ، وبعض حكام أوروسا المؤيدين لهؤلاء الرؤساء ^(٢) .

ويمكن ارجاع ذلك ايضا الى ازدياد نفوذ السادة الكبار على جميع أعضاء هيئة الاستبارية ، منذ انتهاء حركة الانشقاق داخل صفوف الاستبارية فى عام ١٤١٠ ، بفضل جهود دى نيلاك ، بحيث أصبح السادة الكبار يكتفون ، فى تعاملهم مع رؤساء الشعب ، بالاجتماع بهم فى المؤتمرات العامة — التى قسـل بالمثل عدد مرات انعقادها خلال هذه الفترة — وعلى اصدار الأوامر الرئاسية لهم ، أو ، اذا استلزم الأمر ، على استصدار المنشير البابوي بشأنهم ، أما فى رودس نفسها فقد اكتفى السادة الكبار بمناقشة جميع شئون الحكم فى مجلس الاستبارية .

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

المؤتمر العام للاستشارية :

ومبها يكن من أمر هذه الجمعيات الطارئة ذات التمثيل الناقص فقد كانت لا تملك من الأسانيد القانونية ما يسمح لها بممارسة بعض أو جميع اختصاصات المؤتمرات العامة ، أو ما يفسح لها مكانا في حكومة الاستشارية الى جانب هذه المؤتمرات . وفي الحقيقة لقد احتفظ المؤتمر العام في العهد الروماني بجميع اختصاصاته التشريعية والتأديبية التي كان يمارسها في العهدين الشامى والقبرصى من قبل ، فضلا عن اختصاص تعيين السادة الكبار ، والتصديق على التعميمات التي يكون قد أجراها السادة الكبار ومجلس الاستشارية ، في مناصب الادارة المركزية والاقليمية العليا ، قبل دعوة المؤتمر للانعقاد ، وهذه كلها اختصاصات جعلت من المؤتمر العام صاحب السلطة العليا في دولة الاستشارية (١) .

وجريا وراء العادة القديمة أيضا لم يكن يستدعى لحضور المؤتمر العام من الاستشارية المقيمين في أوروبا سوى مقدمى الشعب (Les Prieurs) والوكلاء المجمعين Les Baillifs capitulaires ، والمحصلين ، وبعض القدامى من الآمرين ، (Les Commandeurs) بواقع آمرين عن كل شعبة في أغلب الأحيان . فاذا عقد المؤتمر العام في مدينة رودس ، انضم الى هؤلاء أعضاء مجلس الاستشارية ، ومن يرى السيد الكبير ضرورة حضورهم من أعضاء الهيئة الآخريين المقيمين في رودس ، بحكم وظائفهم ، أولا لهم من صلة بموضوعات المناقشة ، أولا اشتهروا به من حكمه وسداد فى الراى . أما اذا عقد المؤتمر فى احدى مدن الغرب ، وهو أمر أبيض ، وعمل به كثيرا فى العهد الروماني ، وبخاصة فى القرن الرابع عشر ، الذى كثرت فيه تردد السادة الكبار على مدينة أثينون ، مقبر الهابا ، واقامتهم فيها مددا طويلة ، حضره الى جانب مقدمى الشعب والوكلاء المجمعين والمحصلين والقدامى من الآمرين ، ممثلون

حتى عام ١٢٨٣ ، فلم يحدث أن زادت المدة بين كل دورتين من دورات المؤتمر ، التي عقدت خلال الفترة المذكورة ، وهددها تسع عشرة دورة ، عشرين السنوات الخمس ، التي حددها القانون ، سوى أربع مرات ، وكانت زيادتها في كل مرة من هذه المرات الأربع ، عام واحد .

أما فيما بعد عام ١٢٨٣ فإن المسافة الزمنية بين كل دورتين ، قد اتسعت ، في معظم الأحيان ، إلى نحو عشر سنوات وأكثر ، (٢) ونقصت في أقلها عن الخمس سنوات (٣)

(١) سنوات وأماكن انعقاد الدورات التسع عشرة : ١٢١١ في رودس - ١٢١٤ في رودس - ١٢٢٠ في آرل بفرنسا - ١٢٢١ في أثينون - ١٢٢٤ في آرل - ١٢٣٠ في مونبلييه - ١٢٣٥ في رودس - ١٢٣٧ في رودس - ١٢٤٠ في رودس - ١٢٤٤ في رودس - ١٢٤٧ في رودس - ١٢٥٣ في رودس - ١٢٥٤ في رودس - ١٢٥٨ في رودس - ١٢٦٤ في مونيبييه - ١٢٦٧ في أثينون - ١٢٧٠ في أثينون - ١٢٧٠ في رودس - ١٢٧٩ في رودس - ١٢٨٣ في فالنس بفرنسا . وقد عقدت في عام ١٢٧٤ جمعية ناقصة التمثيل في أثينون ولكن البابا قلدها نفس سلطات المؤتمر العام .

(أنظر : D.Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp.12,53-56, 96,113,116,120, 136, 143, 161, 166, 182, 184, 206, 215

(٢) أنظر : Ibid. : Les Hosp. en T.S., P.315

(٣) فيما يتعلق بتاريخ المؤتمرات العامة التي عقدت بعد مؤتمر سنة ١٢٨٣ ، أمكننا معرفة ما يلي : في عهد دي نيلاك عقد مؤتمران ، أولهما في ١٩ أبريل عام ١٤١٠ ، في مدينة إكس باقليم پروڤانس

وثانيهما في ٨ سبتمبر عام ١٤٢٠ ، في رودس
وفي عهد فلوقيان عقد مؤتمر واحد ، في مايو عام ١٤٢٨ ، في رودس .

(Biliotti, F.207, Vertot II, P.406) . وفي عهد حنا لامتيك عقد ثلاثة من هذه

المؤتمرات ، أولها ، في ٢٣ نوفمبر عام ١٤٤٠ ، في رودس
وثانيها ، في ٢٥ يوليو عام ١٤٤٥ ، في رودس

وثالثها ، في ٢٢ فبراير عام ١٤٤٦ ، في الفاتيكان
Flandin, P.171 وفي عهد يعقوب ميللي عقد مؤتمر واحد ، في أول أكتوبر

عام ١٤٥٩ ، في رودس
أولها في ٢٠ أكتوبر عام ١٤٦٢ ، في روما
وثانيها في أوائل مارس عام ١٤٦٧ ، في روما

وفي عهد أورسيني ، عقد مؤتمر واحد ، في ٦ سبتمبر عام ١٤٧٥ ، في رودس .

(Biliotti, P.245) . وفي عهد فرديناند ، عقد مؤتمر واحد ، في ٢٨ أكتوبر عام ١٤٧٨ ، في رودس

(Biliotti, P.253; Bouhours, P.60) . وفي عهد دامبواز ، عقد مؤتمران ، أولهما ، في عام ١٥٠٤ ، في رودس .

De Belabre, P.177, De Naberat, P. 75
وثانيهما ، في عام ١٥١٠ ، في رودس
وفي عهد كارنتو عقد مؤتمر واحد ، في عام ١٥٢٠ ، في رودس

(Flandin, P.165)
(Biliotti, P.286)

وإذا كانت الفترة الزمنية الواقعة بين مؤتمر عام ١٣٨٢ المنعقد في عهد هيرديس ، والمؤتمر العام الذي تلاه مباشرة ، وهو مؤتمر عام ١٤١٠ ، المنعقد في عهد دي نيلاك ، قد امتدت حتى بلغت السبعة والعشرين عاما ، فإن ذلك راجع ، ففى أغلب الظن ، الى ظروف الانشقاق الذى حدث فى هيئة الاسبتارية ، نتيجة لحدوث الانشقاق العظيم فى الكنيسة الكاثوليكية ، بحيث أصبح من غير الممكن جمع جميع ممثلى طوائف الاسبتارية وشعبها فى مؤتمر عام واحد . أما أن هذه الظاهرة ، أى ظاهرة التباعد الزمنى الكبير بين دورات المؤتمر العام ، قد هزرت الى الوجود مرة أخرى فى عهد دويسون ، العهد الذى امتد حتى بلغ سبعة وعشرين عاما ، ولم يعقد فيه سوى مؤتمر عام واحد ، فى ٢٨ أكتوبر عام ١٤٧٨ ، أى بعد توليته دويسون بعامين اثنين ، ولم يعقد المؤتمر العام الذى يليه ، الا فى عام ١٥٠٤ وهو العام الثانى فى عهد خليفة دويسون ، السيد الكبير دامواز ، فسببه ، فى أغلب الظن ، أن دويسون شعرياً ، وقد بلغ من الشهرة والمجد مبلغاً كبيراً فى كلا العالمين الاسلامى والمسيحى ، بسبب نجاحه فى احباط محاولة كبرى قام بها الأسطول العثمانى ، فى عام ١٤٨٠ ، لفتح مدينة رودس ، وابتلا ذلك من لجوء الأمير العثمانى ، چيم ، بعد أن خرج على أخيه السلطان بايزيد الثانى ، اليه فى جزيرة رودس ، فى عام ١٤٨٢ ، وشاقت رسل رؤساء بعض الدول المعادية للدولة العثمانية - وعلى رأسهم رسل ملك هنغاريا ، وملك نابلى ، والبابا ، من الجانب المسيحى ، والسلطان المملوكى قايتباى ، من الجانب الاسلامى - شباقتهم عليه ، كل منهم يطلب أن يسلم چيم اليه وحده ، ثم حصوله على لقب كاردينال من البابا ، ثمنا لتسليم الأمير چيم اليه ، فهو أقوى من أن يلجأ الى وسيلة عقد المؤتمرات العامة ، وهى الوسيلة التى كان يلجأ اليها غيره من السادة الكبار ، لمساعدته فى حمل رؤساء الشعب أو الأمراء داخل هذه الشعب ، على تسديد ما تأخر لديهم من حقوق الخزائنة أو على دفع ضريبة

(١) أنظر : Biliotti, FP.255- 271.

وهو ما عولج بتفصيل فى الفصل الأخير من هذه الرسالة الخاص بالعلاقات بين الاسبتارية فى رودس والأشراك .

استثنائية^(١) . ومن ناحية أخرى فقد تميز عهد ديهيسون ، منذ أن لجأ إليه الأمير جيم في رودس ، بالسلام والأمن من ناحية الأتراك العثمانيين ، وكذا بالسراج العالي ، الأمر الذي حال دون تشكيل أوضاع شائكة تدعو إلى عقد مؤتمرات عامة ، حيث تتضافر جميع الجهود للخروج منها .

ومهما يكن من أمر قصر أو اتساع المسافات الزمنية التي تفصل بين دورات انعقاد المؤتمر العام ، فقد كان هذا المؤتمر ، عند انعقاده ، ينجز أعماله وفق نظام خاص لا يتغير^(٢) . ومقتضى هذا النظام كان المؤتمر العام يفتح بمصلاة خاصة يفقدها رئيس الكنيسة . وبعد الفراغ منها كانت تقرأ اللائحة على الأعضاء ، ثم يقف السيد الكبير ويلقى كلمة مقتضيه بما مر بعدهما بأن يبدأ المؤتمر أعماله . وعندئذ يقف أحد قدامى الاستبارة ويلقى كلمة عن فوائد التمسك بقوانين الهيئة وعاداتها الحسنة^(٣) . وبعد أن يختم كلامه ، يقوم السيد الكبير وأعضاء مجلس الاستبارة ، وهم أيضا أعضاء في المؤتمر العام ، بتعيين لجنة من الحاضرين تتولى مهمة فحص صحة وقانونية التوكيلات المقدمة من الأعضاء المتخلفين عن الحضور . وما أن يتم ذلك حتى يتقدم الأعضاء الحاضرون إلى السيد الكبير ، كل في دوره بحسب قانون التسلسل اللقبى ، أو الوظيفى^(٤) . الذى يعطى للوكلاء الديريين (Les Baillifs conventuels) ، وهم رؤساء الطوائف ، حق التقدم على رؤساء الشعب (Les Frieurs) ، ولهم "لا" حق التقدم على الوكلاء المجمعين (Les Baillifs Capitulaires) الذين كان لهم^(٥) ،

(١) أنظر : Vertot II, P.406

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 6 , FF.57-59 nom. I. (Coutume)

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., FF.57-58; D.Le Roulx/ les Hosp. en T.S., P.316

(٤) كان الاستبارة يراعون ، فى جميع تصرفاتهم ، السلم اللقبى أو الوظيفى ، بحكم القانون — أنظر :

Les Statuts, Titre 10, P.100, nom.30 (Statut:De Lastic)

(٥) Ibid: Op., Cit., Titre 14 , P.123 nom. 4 (St.De milly)&

p.126 noms 16,18. (Sts: D'aubusson)

بدورهم ، حق التقدم على مديري الدوائر أو الأمرين (Les Commandeurs) -
 وحسب قانون التمدد المعمول به بين طوائف الهيئة الثمانية ، يروثانس ، أوكرن ،
 فرنسا ، إيطاليا ، أرغونه ، إنجلترا ، ألمانيا ، قشتالة ، على التوالي (٢) ، فيقسم
 له كيمس صغيرا نقش عليه اسمه ، ووضع بداخله ستة جنبيات فضية (six
 jannets d'argent) ، رمزا للدلالة على خضوعه للمؤتمر العام ، ووضع مصيره الوظيفي

(١) جميع القوانين تقدم الوكلاء المجمعين على الأمرين ، ولكنهم يتمتعون - دون
 الأمرين - بحق عضوية مجلس الحكومة . وكاملة .
 انظر :

Les Statuts, Titre 3, P.24, nom. 26 . Titre 5 PF. 35

(nom.2), 37 (nom.7) 38 (nom.9) , 52 (nom.61)

(٢) انظر : Ibid. , Titre 10 , PF.105-106, nom. 45

x الجنيه Jannet عملة فضية كانت متداولة في رودس في عهد الاستبارية ، وقيل بأنها
 سميت كذلك نسبة الى الملك القبرصي جانوس Janus - انظر :
 Ibid., Titre 19 , nom. 34, P.170 . ويرجع بأن هذه العملة ظهرت
 في رودس في وقت متأخر نسبيا طالما أن Pegolotti لم يشر إليها في كتابه الذي
 حرره فيما بين عامي ١٣١٠ ، ١٣٤٠ وأطلق عليه اسم " ممارسة التجارة " (La
 Pratica della mercatura) . على أن بيچولوتشي تكلم عن
 عملة فضية أخرى كانت متداولة أيضا في رودس الاستبارية اسمها الزنبقية (أو gigliat
 نسبة الى زهور الزنبق التي تمثل اسلحة فرنسا في ذلك العهد ونقشت على وجهي هذه العملة
) انظر : Pegolotti, P.103 انظر أيضا : Les statuts, Titre 19, nom. 32, P.170.
 هناك الفلورنتي الرودسي الذي ، وقيمه ست زنبقيات (Les Statuts: Loc. Cit.)
 أو عشرون أسبر (Aspre) تركبه ، علما بأن الأسبر التركية قيمتها ستة عشر دينارا
 (denier) رودسيا ، والدينار الرودسي قيمته نصف قيراط (Carato)
 وهناك أيضا البيزانت (bisante) وقيمه أربعة وعشرون قيراطا أو ثلاث قطع من
 العملة المعروفة باسم الأسبر (3 aspri) أو أربعة من الدراهم الصغيرة المعروفة
 باسم Soldi ومن ناحية أخرى فإن الفلورنتي الرودسي الذي يقدر بست زنبقيات فضية
 يقدر أيضا بست قطع من البيزانت وستة عشر قيراطا (انظر :
 pegolotti, P 103
 Ecus وقدرها ثلاث
 Aspre وثمانية من الدينار
 denier الرودسية
 (انظر :
 Les Statuts, Titre 19 nom. 33, P.170.
 هذا وكان من المتداول أيضا في رودس الاستبارية العملة المعروفة باسم الدوكات (Ducat)
 وهي أكبر قيمة من الفلورنتي الرودسي ولكن أقل قيمة من الايكوس (انظر :
 Biliotti, P.602) .

تحت تصرفه ، وكذلك يقدم للسيد الكبير أختامه وتقريرا شاملا عن وظائفه
يضمنه مقترحاته للإصلاح في نطاق هذه الوظيفة . غير أن العبد الكبير كان يمسلم
جميع ما قدمه له الأعضاء ، للنائب حامل الأختام (Le Vice - chancelier)
فينقل منها أسماء أصحابها الى سجل المؤتمر العام ، ثم يتلو على الأعضاء ما كتبوه
في تقاريرهم ، مع مراعاة قانون التسلسل الوظيفي واللقبي عند اختيار كل تقرير يشترع
في قرائته . وما أن يفرغ نائب حامل الأختام من قراءة التقارير حتى ينزع أعضاء
المؤتمر الى مجموعات بحسب الطوائف التي ينتمون اليها ، ويعدد هذه الطوائف ،
لاختيار ممثلهم ، بواقع عضوين عن كل طائفة في اللجنة التي كان يقع على عاتقها صلب
تقرير جميع الأمور في المؤتمر ، وهي لجنة المقررين التي أصبح عدد أعضائها ، منذ
عام ١٤١٢ ، وهو العام الذي استحدثت فيه الطائفة الثامنة في هيئة الاستبارية ،
سنة عشر عضوا (Seize Capitulans) . وكان على أعضاء هذه اللجنة ، بعد
أن يتم انتخابهم ، أن يقسموا بين يدي السيد الكبير ، وأمام جميع أعضاء المؤتمر العام ،
بأن يؤدوا مهمتهم ، التي انتخبوا من أجلها ، بلا غرض الا تحقيق الصالح العام
لهيئة الاستبارية وأعضائها ، كما كان يلزم على السيد الكبير ، وبقية أعضاء المؤتمر ،
أن يؤدوا ، بدورهم ، قسما بأن يلتزموا بتنفيذ جميع ما يحكم به وقرره هؤلاء المقررون
بدون معارضة . وعلى أثر ذلك كان أعضاء لجنة المقررين ينسحبون الى مكان خاص يباشرون
فيه مهمتهم بدون تدخل من أحد سوى مندوب السيد الكبير لتقديم المشورة من غير
أن يكون له حق المشاركة في التصويت ، ونائب حامل الأختام لتسجيل القرارات والأحكام
التي ينتهون اليها . وكانوا يدعون عليهم ، عادة بمناقشة موضوع الضرائب ، وحقوق
الخزانة المتأخرة لدى الشعب ، وغير ذلك من وسائل توفير الأموال التي تحتاجها
حكومة رومس ، لتمديد دين أو لمواجهة تهديد إسلامي بالفترو ويخلصون من ذلك الى
مناقشة شؤون الخزانة وإدارتها ، ثم يفحصون التقارير التي كان قد تقدم بها أعضاء
المؤتمر للسيد الكبير ، ليتعرفوا منها على أوجه النقص ، أو الفساد ، في الجهات التي
يدبرها هؤلاء الأعضاء بحكم مناصبتهم فيها ، فيها الجونها بما يلزم من القوانين الجديدة ،

أو المعدله ، التي يمدرونها لهذا الغرض . وبعد أن يفرغوا من ذلك ينتقلون إلى النظر في بقية المسائل المعروضة على لجنتهم للبت فيها ^(١) . ومن هذه المسائل ، التصديق على التعميمات التي أجراها السيد الكبير ومجلس الاستشارية في مناصب الوكلاء الديريين وروءساء الشعب والوكلاء المجمعين ، قبل انعقاد المؤتمر ، وعلى الشاغل من هذه المناصب ^(٢) ، والفصل في الشكاوى بين الأفراد أو الطوائف ، وغير ذلك من مسائل ^(٣) . وكان محظورا على أي من أعضاء لجنة المقررين ، بمقتضى قانون صدر في عهد السيد الكبير بطرس دويسون (١٤٧٦-١٥٠٣) ، أن يشترك مع زملائه في مناقشة مسألة له علاقة شخصية بها ، أو يجنى منفعة خاصة من وراء حكم معين فيها ، بل يجب عليه أن ينسحب قبل مناقشة هذه المسألة التي أن يتم لزملائه البت فيها . وبعد أن تفرغ لجنة المقررين من أعمالها ، على هذا النحو ، يدعى المؤتمر العام للاجتماع ، مرة أخرى ، بكامل هيئته ، ليستمع أعضاؤه إلى تلاوة من نائب حامل الاختتام لما اتخذ في اللجنة من قرارات وأحكام وقوانين يلتزم بها الجميع من غير معارضة أو تقصير ، فإذا عسى أحدهم ، فصل من منصبه أو أسقطت عنه أقدميته في الهيئة إذا لم يكن من أصحاب المناصب ^(٤) . وعندما ينتهي حامل الاختتام من قراءة قرارات اللجنة يصدر أمر السيد الكبير بأن يرد إلى أعضاء المؤتمر الأكياس والاختتام التي قدموها له في الجلسة الافتتاحية ، ويعنى ردها إليهم موافقة المؤتمر العام والسيد الكبير على بقاءهم في مناصبهم التي يشغلونها . وينبع ذلك صدور الأمر من السيد الكبير إلى الرهبان من أعضاء المؤتمر بإقامة صلاة الختام ^(٥) ، وهي صلاة خاصة

(١) انظر : Les Statuts, Titre 6, p. 57-58, nom. I (Coutume)

(٢) لقد وضحت هذه الحقيقة في القانون الذي صدر ، بشأن تعيين وكيل عام الاستشارية لدى البلاط البابوي ، في عهد يعقوب ميللي — أنظر :

(٣) انظر : Ibid, Titre 13, P. 120, nom. 12 (st. De milly)

Ibid, Titre 6, P. 64, nom. 13 (Statut: Orsini)

(٤) انظر : Ibid, Titre 6, P. 63 nom. 10 (St.: D'Aubusson)

(٥) انظر : Ibid, Titre 6, P. 64 nom 13 (St.: Orsini)

(٦) انظر : Ibid, Titre 6 , PP. 58-59 nom. 1 (Coutume)

جرى عليها العرف تبدأ بالاهتمال الى الله من أجل السلام ، وخلق الأرض ،
والهائم ، والكرادلة ، والأساقفة ، وأمرأة المسيحية ، والسيد الكبير للاختيارية ،
ومساعدوه في الادارة المركزية والشعب ، ومن أجل سائر أعضاء هيئة الاختيارية ،
والمرضى ، والمعبد ، والخطاة ، والذين تبرعوا بأموالهم لهيئة الاختيارية ،
والأعضاء المنتسبين في هذه الهيئة ، والأقارب ، والحلفاء ، وتنتهى بتسلاوة
الصلاة الربانية (١)

ولم يكن المؤتمر العام في بداية الأمر يتقيد كثيرا بالمدة التي حددت فسي
عام ١٣٠٤ ، أى في العهد الكبير ، لتستغرقها كل دورة من دورات انعقاده ،
وشئ عشرة أيام ، قابلة للزيادة ثمانية أيام أخرى ، اذا رأى السيد الكبير ذلك (٢)
وقد بلغ من تجاوزه لها أن احدى دوراته — وعلى الدورة التي عقدت في مدينة اكس
(Aix) الفرنسية ، في ١٩ أبريل عام ١٤١٠ ، أى في عهد السيد الكبير
دى نيلاك ، لغرض أساسى هو إزالة آثار الانشقاق الذى حدث في هيئة الاختيارية
نتيجة لحدوث الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية ، بعد أن أفصح دى نيلاك فسي
النهاية الانشقاق نفسه في هيئته قبل عقد المؤتمر بعام واحد — قد استغرق انعقادها
خمس أسابيع (١٩ أبريل — ٢٣ مايو) ، أى ضعف المدة المحددة بما فيها الزيادة
المشروطة بموافقة السيد الكبير (٣) كما أن الدورة التي عقدت ، في مدينة رودس ،
في ٨ سبتمبر سنة ١٤٢٠ ، أى في عهد دى نيلاك نفسه ، استغرق انعقادها ستة
وعشرين يوما (٨ سبتمبر — ٤ أكتوبر) (٤) ولوقف هذه المخالفات المنكرة ، أصدر
السيد الكبير ، أورسيني (١٤٦٧ — ١٤٧٦) قرارا أعاد فيه تحديد مدة انعقاد الدورة

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 6 , PP.59-60, nom. II

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.317

(٣) أنظر : Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP.311, 313

(٤) أنظر : Ibid: Cp. Cit., PP.350 , 354

بخمسة عشر يوما ، فإذا تبقى ، بعد انقضاءها ، بعض المسائل المدرجة
في جدول أعمال المؤتمر ، من غير أن يُتخذ فيها قرار معين ، تولى السيد الكبير
مهمة البت فيها بمداونة مجلس الاستشارة الكامل الذي تشترك في تشكيله الطوائف
المختلفة ممثلين اثنين عن كل طائفة .^(١)

السيد الكبير للاستشارة :

هذا فيما يتعلق بالمؤتمر العام . وإذا كان المؤتمر العام هو صاحب السلطة
العليا في حكومة الاستشارة ، فقد كان السيد الكبير ، في الواقع ، هو صاحب
السلطة الفعلية في هذه الحكومة ، وذلك لأن السيد الكبير هو عضو هيئة الاستشارة
الوحيد الذي كان يملك حق استدعاء المؤتمر العام للاعتقاد ، في الوقت الذي
يحدده له بنفسه^(٢) ، وهو من كان يرأس الجلسات العامة لهذا المؤتمر ، عند
انعقاده ، أو يعين ، في حالة غيابه ، من ينوب عنه في رئاستها ، وهو أيضا
من كان يعد المسائل الهامة التي تدرج في جدول أعمال المؤتمر^(٣) ، فضلا عن
كونه الجهة المسئولة ، بالاشتراك مع مجلس الاستشارة الخاضع لرئاسته ، عن تعيين
أعضاء كل من المؤتمر ومجلس الاستشارة نفسه في مناصبهم القيادية في هيئة الاستشارة ،
التي خولت لهم الحق في هذه العنصرية لأى من الهيئتين أو كليهما .^(٤)

ومن ناحية أخرى كان السيد الكبير يتمتع بحق تعيين نائب الرئاسة (Vice-gerant)
في حكومته^(٥) وسادة التصرف بالتميين والفيل في أفراد هيئة العاملين بقصره ،
وهم السنيشال (Senechal) ، وهو رئيس عداله ملحق بالقصر ، والخدام الذين

(١) انظر : Les Statuts, Titre 6 , P.64 nom. 14 (St:Gréini)

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.316

(٣) انظر : Ibid: Les Hospit. à Rhodes, PP.116, 162

(٤) انظر : Ibid: Cp., Cit., P.17

(٥) انظر : Les statuts, Titre 9, P.88, nom. 10 (St.: Cornillan)

وخدمهم أربعة ^{xx} ، والاثير ياخور (maitre - ecuyer) ، الذي كان
يشرف على حظائر الخيول الملحقة بالقصر ، ورفنا السيد الكبير ، وخدمهم ثلاثمائة ،
وخدم القصر الماديون .

والى جانب ذلك منح السيد الكبير حق التمتع بإدارة املاك جزيرة رودس وجزر
الأرخبيل الرودى الخاصة لها ، فيما عدا جزيرتى لانجو ، نيسيروس ، فمرفت باسم
جزر الرئاسة (Iles magistrales) بالإضافة الى نصيب ، أو بالأحرى أموره ، فى
كل شعبه من شعب الاسبتارية فى القرب ، عرفت باسم غرف الرئاسة
(Chambres magistrales) . وكان السيد الكبير يملك وحده سلسلة
تعيين وفصل مدبرى هذه الجهات ، باستثناء رئيس المحكمة التجارية المعروف باسم
القضاة (le chatelain) ، ووكيل التجارة (bailli du Commerce)
وكلاهما من رجال الادارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير فى مدينة رودس ، فقام
بقرار بشأنها فى جمعية أقرن عام ١٣٥٦ ، ثم فى الموصرات الصامة الأربعة
اللى عقدت فى رودس فى الأعوام ١٣٥٨ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧٩ ، ١٤٢٠ ، ضرورة
ان يأخذ السيد الكبير موافقة مجلس الاسبتارية فى أمر تعيين هذين الموظفين ، مصع
بأن حق السيد الكبير المطلق فى الاحتفاظ بهما (droit de retention)

Les Statuts, Titre 9, P. 90, nom.17 (St.:Carretto) : (xx) انظر

(۱) انظر:

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.130

(۲) انظر :

Ibid: Op., Cit., F.131

(۳) انظر :

Ibid: Op.Cit., PP. 166-169

(۴) انظر :

Ibid: Op. Cit., PF.207-208

(۵) آنظر :

Ibid: Op., Cit., P.354

(x) وردت اسما "غرف الرئاسة" ، وعددها واحد وعشرون غرفة ،

(Les Statuts, Titre 9, F.88, nom.3).

في وثيقتيهما الى أي وقت يشاء ، وفي فصلهما متى شاء ، وكذا حقه في تعيين نائب القسطلان ، ومن القرارات الأخرى التي اتخذت ، بصفة خاصة ، في المؤتمر العام ، المنعقد في عام ١٣٧٩ ، بشأن موظفي الإدارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير في جزيرة رودس ، بضرورة أن يختارهم السيد الكبير من بين أعضاء هيئة الاستشارة ، سوا من الأعضاء النظاميين أو المنتسبين من فئة الموهوبين (Donats) ، بحيث لا يلجأ الى سواهم الا في حالة عدم وجود من يصلح منهم لشغل هذه الوظائف ، ونص قرار آخر ، صدر عن نفس المؤتمر العام ، على ضرورة أن يتحمل السيد الكبير أجور هؤلاء الموظفين تخفيفاً للعبء عن الخزينة .

وقرر المؤتمر أيضاً أن يعين في كل سنة اثنان من المفتشين (deux visiteurs) لمراجعة أعمال موظفي الإدارة الذين يعملون لحساب السيد الكبير في جزيرة رودس ، وأن تعتبر جميع المنح بالضياع ، التي تمت بمعرفة السيد الكبير ، لاغية بوقت همداء السيد الكبير . وقد أضاف المؤتمر العام المنعقد في عام ١٤٢٠ بأن قرار اعطاء موظفي الإدارة العاملين لحساب السيد الكبير في جزيرة رودس ، والعاملين في قصور الرئاسة ، من واجب الحراسة ، ومن السير في ركب أحد من كبار شخصيات الاستشارة سوى ركب السيد الكبير .

ويضاف الى ذلك كله أن السيد الكبير كان يتمتع وحده بسلطة إعطاء التصاريح بأخراج الخيول وغيرها من الدواب خارج جزيرة رودس ، وإعطاء الأذن لأعضاء هيئة الاستشارة بمغادرة هذه الجزيرة ، فمن يرحل عنها بدون إذن كتابي موقع عليه من السيد الكبير ، يفصل من عضوية الهيئة على الفور وبالتالي يحرم من منافعها . وكان من سلطة السيد الكبير أيضاً أن يستدعي من الشعب في أوروبا من يحتاج اليهم من أعضاء

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 18, P.151, nom. 8 (st.:

Villeneuve)

(٢) أنظر : Ibid: op., Tit., P.152 nom. 13 (St.: De Milly)

الهيئة التي يرأسها ، لما للاتحاد بمضوية مجلس الاستتارية ^(١) ، أو لتولمسي
 بعض وظائف الإدارة المركزية ^(٢) ، أو لتميز القوت المسلحة عند وقوع جزيرة رودس
 أو جزر بحر ايجه الخاضعة لها ، تحت تهديد عثمانى أو ملوكى باحتلالها ^(٣)
 ومن ناحية أخرى لم يكن مسموحا لأحد من الاستتارية أن يأمر بتسديد الدينون
 العامة على الخزنة ، أو أن يسدد هذه الدينون ، في غياب المؤتمر العام ، سوى
 السيد الكبير أو نائبه ^(٤) . وعند ما كانت الأحوال تضطرب في إحدى أو بعض
 الشعب في أوروبا ، كان السيد الكبير يتقدم ، بمقتضى قرار خاص يصدر من
 المؤتمر العام الذي يعقد لبحث هذا الخلل ، السلطة المطلقة التي تخصه
 له حق التصرف في هذه الشعب ، من غير مراقبة من جانب أية سلطة أخرى ، لاصلاح
 أمورها ، ومن الأمثلة على ذلك أن المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس ، في عام
 ١٣٢٠ ، وضع شعبة البرتنال تحت تصرف السيد الكبير ريموند يونجر ^(٥) ، وأن
 المؤتمر العام المنعقد في نفس هذه المدينة رودس ، في عام ١٤٢٠ ، وضع شعبة
 انجلترا وألمانيا وأوكرانيا (في فرنسا) وكابوا وبارلتا (في إيطاليا) تحت تصرف
 السيد الكبير دى نيلك ^(٦) . أنصف الى ذلك أن السيد الكبير كان يملك الحق في أن يمنح
 كل خمس سنوات ، لمن يشاء من أعضاء الهيئة ، إدارة أمره واحدة ، من الأمور
 التي تخلو من أمرها بالوفاء أو بالتزمية ، في كل شعبة ، ولها التكريم
 (de grace) فإذا لم يتسنى له ممارسة هذا الحق ، أو لم يشأ أن يمارسه ، خلال
 الخمس سنوات الأولى ، استطاع ممارسته خلال السنوات الخمس التي تليها في أمرتين

(١) انظر : Les Statuts, Titre 11, P. 111, nom. 15 (St.: Zaiosta)

(٢) انظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rh., PP. 168-169.

(٣) انظر : Ibid: Op., Cit., PP. 225-234.

(٤) انظر : Les Statuts, Titre 5, P. 54, nom. 69 (St.: Carretto).

(٥) انظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rh., P. 167

وليس في أمره واحدة * من الآراء التي تشفر في كل شعبة ^(١) .

هذا ومن الثابت أن اثنين من السادة الكبار * هما حنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) * بطرس دويسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) * تفقد كل منهما سمسطات مطلقة (دكاتورية) فترة من الزمن خلال حكمه * لمواجهة ظروف خرجة تعرضت لها هيئة الاستبارة في عهد * وفيما يتعلق بالسيد الكبير حنا لاستيك فقد تمسائل له مجلس الاستبارة * في عام ١٤٤٨ * عن جميع سلطاته * لمدة ثلاث سنوات * لكي يتمكن من اختراع تمرر على السلطة المركزية * فام به عدد كبير من مقدس الشمامسة * والامم * احتجاجا على قرار كان قد أصدره مؤتمر عام عقد في رود من قبل ذلك بثلاث سنوات * أن في عام ١٤٤٥ * وقضى بفرض ضريبة استثنائية * لصالح خزانة الاستبارة على إيرادات الشمامسة * لمدة خمس سنوات * أي حتى عام ١٤٥٠ * لمساعدة الحكومة في تسديد الديون التي انطرت الى عدها خلال الحملات الملوكة على جزيرة رود من (١٤٤٠ - ١٤٤٤) * وفي تميز وسائل الدفاع في الجزيرة لمواجهة حملة ملوكة أخرى متوقعة * احتجاجا على هذا القرار * واستنموا عن ارسال * ليس فقط الضريبة التي فرت على إيرادات الشمامسة التي بدبرونها * ولكن أيضا نصيب الخزانية الممتد في هذه الإيرادات ^(٢) * أما عن السيد الكبير بطرس دويسون * فقد منح المؤتمر العام المنعقد في مدينة رود من * في عام ١٤٧٨ * سلطات مطلقة في جميع الشؤون المالية والإدارية * حتى يتمكن من اتخاذ جميع ما يراه من اجراءات كفيلمة بعداد الجزيرة اعدادا يجعلها قادرة على صد حملة عسكرية تأكد الاستبارة من أن

(١) أنظر : P.128 , (nom. 24), PP.127-128 , Tire 14 , Les Statuts, (nom. 25)

ويقتضى أقوال Vertot II, P.180 فان هذا القانون صدر لأول مرة فمسي المؤتمر العام الذي عقد في عام ١٢٢٠ في مدينة مونبلييه بفرنسما *

(٢) أنظر : Vertot II, PP.425-430; Biliotti, PP.216-217

السلطان العثماني محمد الثاني قد أمر بتجهيزها لطردهم من رودس (١) .

مجلس الاستشارة :

وفيما عدا ذلك من الامتيازات الخاصة ، كان السيد الكبير لا يستطيع ممارسة سلطاته الا بمعاونة ، وعن طريق ، مجلس الاستشارة (Le Conseil) . وقد تقرر في المؤتمر العام ، المنعقد في مدينة مونبلييه ، في ٢ نوفمبر عام ١٢٢٠ برئاسة السيد الكبير الثاني هليون دي فيلينيث ، بأن يتشكل هذا المجلس من رؤساء الطوائف برئاسة السيد الكبير ، على أن يكون لكل عضو فيه صوت واحد فيما عدا السيد الكبير (٢) .
فلسه صوتان .

غير أن هذا الوضع قد تغير منذ عام ١٢٧٠ بحيث أصبح هناك مجلسان ، بدلا من مجلس واحد ، أطلق على أحدهما اسم المجلس الاعتيادي (Le conseil Ordinaire) ، على حين أطلق على الآخر اسم المجلس الكامل (Le Conseil complet) (٣) .

وكان المجلس الاعتيادي يتألف من السيد الكبير ، أو نائبه ، رئيسا ، وصوته^x يعادل صوتين ، ومن رؤساء الطوائف ، وثلاثة من مقدمي الشمامسة ،^{xx} ينتمون الى طوائف مختلفة ، ويحضرون الى جزيرة رودس ، لهذا الغرض ، باستدعاء

(١) أنظر :

Bouhours, FF.60-61; Biliotti, P.253

(٢) أنظر :

Vertot II, P.179

(٣) أنظر قرارات المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس في عام ١٢٧٠ ، في :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.169; vertot II, P.246

(x) أنظر :

Vertot II, P.246

(xx) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhodes, P.169

من السيد الكبير ، ولا يسمح لهم بمقارنتها قبل مضي عامين على وصولهم اليها ،
وقبل أن يتواجد من يحل محلهم من مقدمي الشعب في عضوية المجلس .^{xxx} ويضاف
الى هؤلاء جميع مقدمي الشعب والوكلاء المجمعين (Baillys Capitulaires)
الذين يحضرون الى رودس لاى غرض ، فضلا عن رئيس الكنيسة ووكيل الخزانة
(Trésorier) ، وكلاهما عن فئة الوكلاء المجمعين بالرغم من اقامتهم الدائمة
في رودس ، والمسئول عن العدالة في قصر الرئاسة (Le Sénéchal)
ورأيه استشاري ، ونائب حامل الاختام (Le Vice-Chancelier) لتسجيل
محاضر الجلسات .

اما المجلس الكامل فقد كان يتشكل من جميع أعضاء المجلس الاعتيادي ،
مضافا اليهم عضوين عن كل طائفة^(١) . ولم يكن المجلس الكامل ، في الواقع ، يعقد
الا في حالات قليلة أهمها ما يتعلق بالأمن القوي ، مثل حالات الموافقة على عقد
الهدنات أو الصلح مع المسلمين ،^(٢) واعطاء التصاريح بنقل المدافع والذخائر والبارود ،
وغير ذلك من آلات الحرب الصالحة للاستعمال ، خارج جزيرة رودس ، وهي
تصاريح لم تكن تعطى الا في حالات الضرورة القصوى حتى لو كان اخراجها الى
احدى الجزر الخاضعة للاستيارة في بحرايج^(٣) . وكان من اختصاص المجلس
الكامل أيضا تعيين كل من قائد جيش البر ، وقائد جيش البحر ، أى الأسطول ،
بمقتضى القانون الذى صدر في عهد السيد الكبير زاكوستا (١٤٦١ - ١٤٦٧) ونص
على ضرورة أن يفضل اختيار قائد جيش البر من طائفة أوغرن ، وقائد الأسطول
من طائفة ايطاليا^(٤) . وكان المجلس الكامل يعين كذلك رئيس المحكمة التجارية ،
المعروف باسم القبطلان ، من بين الاستياريه الذين لهم اقدمية في عضوية الهيئته
لا تقل عن ثماني سنوات^(٥) ، وترشحهم الطائفة صاحبة الدور ، ووكيل^(٦)

xxx انظر : Les Statuts, Titre 11, P.111, no.15 (St. Zacosta)
(١) انظر : Les Statuts, Titre 7 , PP.68-69, nom.2 (Coutume)
(٢) انظر : Ibid, Titre 18 , P.155, nom. 22 (St.: Crsini)
(٣) انظر : Ibid:Op., Cit., P.155, nom. 23 (St.: Crsini).
(٤) انظر : Ibid: Titre 13, P.121, nom. 16 (St.: Zacosta)
(٥) انظر : Ibid: Titre 13, P.121, nom. 14 (St.: Zacosta)

(١) التجارة ، ووكيلين لرعاية المسجونين والفقرى والمرضى والأرامل والقصر ، وللدفاع عن حقوقهم وتوصيل شكاواهم وتظلماتهم إلى السيد الكبير والمجلس^(٢) . أضف إلى ذلك أن المجلس الكامل كان يملك الحق ، شأنه شأن المجلس الاعتيادى ، فى إعطاء التعليمات ، لرئيس الخزانة ، فيما يتعلق بتوزيع السلع وقطع الأثاث وغيرها من الأموال المنقولة المملوكة للخزانة ، على أعضاء هيئة الاستنارية ومؤسساتها المختلفة^(٣) ، وفى تحديد الأجور والمكافآت التى تصرف للمبعوثين والسفراء إلى دول الغرب والشرق^(٤) . هذا وكان المجلس الكامل هو الهيئة الوحيدة المختصة بإعطاء تصاريح السفر ، إلى خارج جزيرة رودس ، لأعضاء هيئة الاستنارية من فئات الوكلاء المجمعيين^(٥) ، والوكلاء الديريين ومقدمى الشعب ، فإذا أعطى السيد الكبير واحدا من هؤلاء تصريحاً بالسفر إلى الخارج ، بدون أخذ موافقة المجلس الكامل ، لا يعتبر تصريحاً قانونياً ، ويعاقب خاطئه بمثل ما يعاقب به من يخادع رودس من غير تصريح^(٦) .

المجلس الاعتيادى وسلطته على الإدارة المركزية :

أما فيما عدا ذلك من أعمال الحكم والإدارة فقد كان من اختصاص المجلس الاعتيادى ، الذى عرف أيضاً باسم الدير (Couvent)^x ، وعرف أعضاؤه باسم الصبيان الكبار (Les Grands - Croix)^{xx} . وبالرغم من

- | | |
|-------------|---|
| (١) أنظر : | D. Le Roux: Les Hospit. à Rhodes, P.169 |
| (٢) أنظر : | Les Statuts, Titre 13, P.122, nom. 18 (St.: Ursini) |
| (٣) أنظر : | Ibid: Titre 5 , P.51, nom. 55 (St. de Lantic) |
| (٤) أنظر : | Ibid; Titre 5, P.53 nom. 65 (St.; Fluvian) |
| (٥) أنظر : | Ibid, Titre 13 , P.121 : nom. 13 (St., D' Aubussen) |
| (٦) أنظر : | Ibid, Titre 7, P.76 nom. 3 (St.: Zacosta) |
| (x) أنظر : | Les Statuts, Titre 19 , P.168 nom. 9 |
| (xx) أنظر : | Vertot II, P.179; Farochon, P.115 note 1. |

التشكيل الموسع لهذا المجلس ، فقد كان كافيا أن يحضره الوكلاء الدهريون (رؤساء الطوائف) برئاسة السيد الكبير أو نائبه ، فيصبح انعقاده قانونيا ^(١) . وكان المجلس الاعتيادي نفسه هو الهيئة المختصة بتعيين رؤساء الطوائف ^(٢) ، ومراقبة كل منهم في أعماله كرئيس للطائفة ، ومشرف على قطاع من قطاعات العمل والادارة ارتبط بمنصبه الذي شغله بحكم رئاسته لهذه الطائفة .

وعلى ذلك كان الأمر الكبير (Le grand Commandeur) وهو رئيس طائفة بروناتس ، والأول بين زملائه ، رؤساء الطوائف الآخرين ، من حيث التسلسل اللقبى أو الوظيفى وحق التصدر ، مسئولاً أمام المجلس الاعتيادى ، عن مراقبة سير العمل فى الجهات المختصة باستلام وتخزين وتوزيع السلع والأشغال العامة ، سواء ما كان يتعلق منها بالتموين أو بالموانئ سفن الأسطول أو بمسارده الخزائن .

وفيما يتعلق بقطاع التموين كان يخضع للأمر الكبير كل من أمر شونة الغلال (Le Commandeur de grenier) ، وهى شونة كانت تحوى أيضا ، الى جانب الغلال من قمح وشعير وغيرهما ، على بعض المواد التموينية الأخرى مثل البسكوت والدقيق ^(٣) ، والأمر الصغير (Le Petit Commandeur) ، الذى عرف أيضا باسم أمر القبو (Le Commandeur de la Voute) ، وهو مدير المخزن المركزى ، الذى اشتهر فى رودس باسم الأمر الصغير (Le Petite Commanderie) ، واحتوى على اللحوم والجبنه والمعلبات والصابون والاقمشة بأنواعها والخيش والمعادن المختلفة من حديد وقصدير ونحاس وغيرها ^(٤) .

- (١) أنظر : Les Statuts, Titre 7, PP.68-69 nom. 2 (Coutume)
(٢) أنظر : Ibid, Titre 13, P.118, nom. 5; d. Le Roulx:
les Hospit. à Rhodes, PP.166,353
(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , PP.92,101; De Belabre, P.18
(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.69 nom. 17 (St.; De Lastic)
(٥) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.94 nom. 11. (St., Flavian)

وكان أمر شونة الفلال ، ومدير المخزن المركزي (الأمر الصغير) ، يختاران

من فئة خدم السلاح ^(١) ، ويعينان عن طريق المجلس الاعتيادي ، بترشيح من الأمر الكبير ^(٢) ، لمدة عامين فقط ^(٣) ، وراتب سنوي مقداره خمسة وعشرون فلورنتيا رودسيا لكل منهما ^(٤) . ومن ناحية أخرى كان كل من هذين الموظفين ملزما بتقديم تقرير شهري ، للأمر الكبير ، مبينا فيه مقدار ما تم توريده ، على الاستهارة ، ومؤسساتهم الاجتماعية المختلفة وما تبقى بعد ذلك من السلع الموضوعة في عيادته ، فإذا امتنع عن تقديم هذا التقرير ، أو ضمنه بيانات كاذبة ، فصل من منصبه وأصبح غير أهل لشغل منصب آخر قبل مرور خمس سنوات ^(٥) .

وكان المجلس الاعتيادي ، منذ عهد السيد الكبير ، حنا لامتيك (١٤٣٧ —

١٤٥٤) ، يعين اثنين ، من أعضاء هيئة الاستهارة ، مشهود لهما بالحكمة ، ويتمحان الى طائفتين مختلفتين ، بمثابة مفتشين مقيمين ، في كل من شونة الفلال والأمرية الصغرى (المخزن المركزي) ، لمراقبة سير العمل في هذين المرفقين . وكان من اختصاصات المفتشين المقيمين في شونة الفلال ، الاحتفاظ بأحد مفاتيح الشونة ، التي يحتفظ أمرها بالطناح الآخر ، والتأكد من سير عمليات حفظ وتوزيع الفلال وفق أوامر وتعليمات الأمر الكبير ، ومن وضع خانم الأمر الكبير على مختلف المخازن التي تحفظ فيها السلع داخل الشونة ، فضلا عن تقديم تقرير مفصل ، كل ثلاثة شهور ، عن كميات السلع التموينية التي دخلت الشونة ، والتي وزعت منها ، خلال تلك الفترة ، للمجلس الاعتيادي بصفته الهيئة المختصة بالرقابة العليا على جميع قطاعات الإدارة والعمل

(١) أنظر (St.: De Lastic) T. 12, P. 112, nom. 2. Les Statuts,

(٢) أنظر : Ibid, T. 10 , P. 100, nom. 32 (St.: Zaccosta)

(٣) أنظر : Ibid, T. 10 , P. 112, nom. 2 (St.: De Lastic), &

Titre 10 , P. 97 nom. 18 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Ibid, T. 10 , P. 69 , nom. 17 (St., De Lastic)

(٥) أنظر : Ibid Titre 10 P. 91 nom. 11 (St.: Fluvian).

من طريق تعيين المفتشين المقيمين بواقع اثنين في كل مرفق من المرافق الستة
نحوى عليها هذه القطاعات ^(١) . أما عن المفتشين المقيمين في الآمره الصغرى فقد
كان من اختصاصاتهما اخطار كل من الامر الكبير والمجلس الاعيادى بما يتكشف
لهما من مخالفات ، أثناء قيامهما بتأدية عملهما ، مع ذكر أسماء مقترفى هذه
المخالفات ، وذلك حتى يمكن اتخاذ ما يلزم من أجل اصلاح الأوضاع المختلفة ^(٢) .

والى جانب قطاع التجهيز ، كان الامر الكبير مسئولا أيضا ، أمام المجلس
الاعتيادى ، عن سلامة سير العمل فى دار الصناعة ، أو الترسانة ، التى يحصل
منها الأسطول على جميع ما يحتاج اليه من لوازم لسفنه وصحارته . وكان للامر الكبير ،
فى هذا المرفق ، مركز مماثل لمركزه فى كل من شؤنة الفلال والامر الصغرى ، فقد
كان من سلطاته تعيين وتجهيز امر الترسانة . وكان امر الترسانة ، من ناحيته ،
ملزما بأن يقدم ، للامر الكبير ، تقريرا شهريا ، عن سير العمل فى المرفق الذى
يدبره ، أسوة بزميليه امر شؤنة الفلال ، والامر الصغير ، كما كان محروما عليه
بذل أى مصاريف ، أو دفع أجر ، فى مرفقه ، الا فى حضور الامر الكبير ، اذا لم
يكن متخيا عن مدينة رودس ، ولا أمام رئيس الخزانة ^(٣) ، ويجب عليه ، من
ناحية أخرى ، أن يختم جميع قوائم الصرفات بخاتم الامر الكبير ^(٤) .

وقد وقع نزاع ، فى عهد السيد الكبير زاكوسنا (١٤٦١ - ١٤٦٧) ، بين
الامر الكبير وأمير البحر (الأميرال) ، حول ادارة مرفق الترسانة . وتصوية هذه
النزاع تقررا اشراك أمير البحر مع الامر الكبير فى المسئولية عن ادارة المرفق مع عدم
المساس بما كان للامر الكبير من سلطات فيه . وقد أعطى أمير البحر ، بمقتضى

(١) انظر : Les Statuts, Titre 10, P.96, nom. 17 (St.:De Lastic)

(٢) انظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 18 (St.: De Lastic)

(٣) انظر : Ibid, Titre 10, P. 94 ,nom. 11 (St.: Fluvian)

(٤) انظر : Ibid, Titre 10, P.96 , nom. 17 (St.:De Lastic).

النسوية ، سلطة تعيين رجل حكيم (Preud' homme) للتفتيش أو المراقبة
 في المرفق من غير أن يتعدى على حقوق أمر الترسانة الذي يعينه الأمر الكبير . وكان
 من اختصاص هذا الرجل الحكيم أيضا ، تدوين جميع ما يقوم أمر الترسانة ، بشراشه
 أو استجاره ، من لوازم السفن ، كالحديد ، والخشب ، والعقازيف ، والخيوط
 اللبسية ، وغيرها ، في دفتر خاص ، مكلف بأن يحتفظ به ، كما كان من اختصاصه
 مراجعة قوائم المصروفات اليومية في هذا المرفق . ونصت النسوية كذلك على أن يحتفظ
 كل من أمر الترسانة والرجل الحكيم بمفتاح للمخزن الذي توجد به مهمات الترسانة .
 وفي كل مرة يجري فيها جرد لهذه المهمات ، يجب أن تحفظ نسخة من قائمة الجرد ،
 لدى كل من الأمر الكبير وأمر البحر والرجل الحكيم . وبالإضافة الى ذلك ، سمحت
 النسوية لأمر البحر بأن يعين في الترسانة ، بخلاف الرجل الحكيم ، كاتباً مهمته
 تسجيل جميع ما يخصص النسوية من مهمات في الترسانة ، وإخطار كل من أمر البحر ،
 والأمر الكبير بها بصفة دائمة . هذا وقد تحدد في النسوية أجر كل من أمر الترسانة .
 والرجل الحكيم بعشرين فلورنتيا ، بنقص خمسة فلورنتيات عما كان يتقاضاه أمر
 الترسانة لمضى عهد السيد الكبير حنا لاستيفك ، كما تحدد فيها مدة الوظيفة
 لكل من هذين الموظفين ، أي أمر الترسانة والرجل الحكيم ، بعامين اثنين ، شأنهما
 شأن مسافر موظف الإدارة المركزية الخاضعين لرئاسة الوكلاء الديريين .^(١)

وأخيرا كان الأمر الكبير مسئولاً أمام المجلس الاعيادي عن مراقبة
 الجهاز المختص باستلام وتخزين وتوزيع أو صرف موارد الخزنة . ومن المعروف أن
 هذه الموارد كانت تتألف من المعاشات السنوية (Les Responsions)
 التي يرسلها رؤساء الشعب ، وهي نسب من دخول الدوائر (أو الامهيات)
 التي تشتمل عليها الشعب ، تتراوح بين الخمس والنصف ، تحددتها المؤتمرات
 العامة ، التي كانت تملك أيضا سلطة زيادتها وانقصها بحسب حالة كل أمره

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.100, nom.33 (St.: Zacosta).

وحاجة الحكومة للأموال . وبالإضافة إلى هذه المعاشات ، كان يؤول إلى الخزائنة أيضا ، دخل الأمريات التي يموت أمروها أو يفصلون ، وذلك من يوم الوفاة ، أو الفصل ، حتى يوم الاحتفال بعيد القديس حنا ، وهو يوم ٢٣ يونية ، وكان يطلق على هذا المورد اسم ضريبة الموت (Le mortuaire) . على أن الخزائنة كانت تستمر في تحصيل دخل هذه الأمريات نفسها ، التي تشغرها يموت أمريها أو يفصلهم ، لمدة سنة كاملة أخرى ، أي حتى حلول العيد التالي للقديس حنا ، في يوم ٢٣ يونيه التالي ، وكان ذلك يعرف باسم ضريبة الخلو أو الفراغ (Le Vaquent) .

ومن موارد الخزائنة الأخرى ، ما يدفعه الأعضاء الجدد نظير نقلهم من مواطنهم في الشرب إلى جزيرة رودس لحضور مراسم العضوية التي تجرى لهم في مركز الهيئة ، وهذا ما كان يعرف باسم رسوم النقل (Les Passages) ، ومقدارها مائتا قطعة ذهبية (مائتا إيكوس) عن الفارس ، ومائة وخمسون عن خادم السلاح . ويدخل ضمن موارد الخزائنة أيضا ، ما يدفعه رؤساء الشعب من أموال متأخرة عليهم ، وهو ما كان يعرف باسم المتأخرات (Les Arrerages) وكذا تركت الموتى من الاسيئارية ، سواء في رودس ، أو في الشعب بأوروبا ، فيما عدا الموتى من فتي رهبان الطائفة ، والخدم المكويين ، وهو ما كان يعرف باسم تركت الموتى (Les depouilles de defunts) ، وتشتمل على ممتلكات منازلهم من أثاث وأواني وكذا الأموال النقدية والأسلحة ، فيما عدا السيوف والعدى ، وممتلكات الحظائير من حيوانات وعربات وغيرها ، وإن كان من الضروري أن يترك ، من هذه التركات في أمريك الشرب ، ما يلزم لموت الأمرين الجدد ، ومحتاج إلى فلاح الأرض في الأمريات مسكنات فضلًا عن نصف حيوانات الحظائير بها . بخلاف هذه الموارد العادية (Ordinaire) ، كانت هناك الموارد غير العادية (Extraordinaire) مثل غنائم الحروب ، والقرصنة ، والضرائب الاستثنائية التي تفرضها المؤتمرات العامة ، والجمعيات الطارئة ، على الأمريات والشعب ، للمساعدة في تسديد دين باهظ من تسديده ، أو في تعزيز اضطراري لوسائل الدفاع عن جزيرة رودس .

(١) أوجهه تهديد وطمأنى أو مملوكى باحتلالها .

ومنها يكن من أمر هذه الموارد ، فقد كان الأمر الكبير هو المسئول أمام المجلس عن سلامة سير العمل فى الجهاز المختص باستلامها ، وتخزينها ، وتوزيعها (٢) أو صرفها . ومنذ عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) ، كان المجلس الاعتمادى يمين ، لمساعدة الأمر الكبير ، فى إدارة هذا المرفق ، اثنين من طبقة الوكلاء المجمعين ، عرفنا باسم المفوضين (Procureurs) وكان هذان المفوضان ملزمين بتقديم تقرير سنوى للمجلس ، عن الأموال النقدية ، والأموال المنقولة ، التى تدخل الخزانة ، أو تخرج منها وكان كل منهما ، والأمر الكبير ، يحتفظ بمفتاح لكل خزانة من الخزائن التى تحتفظ فيها الأموال النقدية ، ومفتاح آخر لكل مخزن ، من مخازن الخزانة ، يحتوى على الأموال المنقولة ، أو على خزائن الأموال النقدية (٣) . وقد عين فى عهد حنا لاستيك نفسه بخلاف المفوضين ، مدير عام لإدارة مخازن الخزانة عرف باسم الخازن الديرى (Le Conservateur Conventuel)

وباسم الخازن العام للخزانة (Le Conservateur general du Tresor) ومقتضى قرار إنشاء هذه الوظيفة ، كانت اختصاصات شاغليها أن يتسلم موارد الخزانة ، من الأموال النقدية ، والأموال المنقولة ، ويضعها ، بمعرفة الأمر الكبير ، فى الأماكن المخصصة لها ، داخل المخازن التى يديرها ، ويحافظ على سلامتها فى هذه المخازن ، ثم يشترك ، مع الأمر الكبير ، والمفوضين ، فى توزيعها على الجهات الحكومية المستتة ، تطلبها ، وفق تعليمات المجلس ، مع تسجيل ذلك كله بدقة وتفصيل فى دفائمه

(١) أنظر : 17, 18, noms. , PP. 168-169 , Titre 19 , Les Statuts , 19, 20. & Titre 5 , PF. 35 (nom. 1), 36 (nom. 4), 39 (nom. 15), 43 (nom. 23), 44 (nom. 30), 45 (nom. 35).

(٢) أنظر : 39 (St. : D'Aubusson) & Ibid, Titre 7 , F. 78 nom. 39 (St. : De Lastic), Titre 5 , P. 50 , nom. 53 (St. : De Lastic).

(٣) أنظر : Ibid , Titre 5 , F. 50, nom. 53 (St. : De Lastic)

ودفاتر كاتب الخزانة • ونص القرار أيضا على أن يغير الخازن العام للخزانة ،
 في كل دوره من دورات المؤتمر العام ، وألا يعين الخلف من نفس الطائفة التي
 ينتمي اليها السلف قبل مرور عشر سنوات ، وأن يحصل هذا الموظف على راتب
 سنوي مقداره مائة دوكت رودسي إذا كان فارسا ، ومائة فلورنتي رودسي إذا كان
 راهبا أو خادما مسلحا (١) وقد صدر قرار ثالث في عهد السيد الكبير ، حنسا
 لاستيك ، قضى بأن تضمين لجنة من ثمانية أعضاء بواقع عضو عن كل طائفة تختارها
 الطائفة التي ينتمي اليها ، للقيام بمهمة التدقيق العام في مرفق الخزانة ، وفحص
 حسابات هذا المرفق ، على أن تخصص يوما واحدا في الأسبوع لانجاز هذا العمل ،
 فإذا وجدت نقصا في العمل بهذا المرفق ، أو خطأ في حسابات ، أبلغت به ،
 على الفور ، السيد الكبير والمجلس الاعيادي • وكان على أعضاء هذه اللجنة ،
 التي عرفت باسم لجنة فاحص الحسابات (Auditeurs des Comptes) أن
 يقسموا اليهم أمام السيد الكبير ، والمجلس الاعيادي ، قبل أن يبدؤوا في مباشرة
 عملهم ، وأن يتواجدوا في المجلس ، عند عرض حسابات الخزانة عليه ، كما يلزم تواجدهم
 في الخزانة عند دفع أجور الموظفين (٢) ، وهي عملية تتم عادة في أول شهر سبتمبر
 من كل عام ، علما بأن جميع أعضاء هيئة الاستشارية كان لهم الحق ، قانونا ، في أجر
 سنوي يعينهم على الحياة ، فيما عدا من كان منهم آمرا يدير دائرة مهما بلغ دخلها ،
 ومن كان يدير مالا أو بيتا مملوكا لهيئة الاستشارية ، ويدخل دخلها سنويا يزيد مقداره
 على مئتين فلورنتيا رودسيا • هذا وفي عهد السيد الكبير بطرس دويسون (١٤٧٦ -
 ١٥٠٣) ، أضيف الى قائمة مساعدي الأمر الكبير في تسيير دولا ب العمل بجهاز

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 5 , P.51, nom. 55 (St.:De Lastic)

Ibid, Titre 5, P.51, nom. 56 (St.: De Lastic)

(٢) أنظر :

الاستلام والتخزين والتوزيع التابع للخزانة ، موظف آخر مهمته التواجد يومياً في الخزانة لتقيد الموارد ، التي يتسلمها الخازن العام في دفتر خاص به ، غير دفتر الخازن العام ، كما يجب حضوره عندما يقدم الخازن العام تقاريره للمجلس الاعتيادي (١) .

على أن جهاز استلام وتخزين وتوزيع الإيرادات العامة ، وهو الجهاز الذي كانت مسئوليته الأمر الكبير عنه قاطعة ، لم يكن هو الجهاز الوحيد الذي يشتمل عليه مرفق الخزانة ، فقد كان هذا المرفق يشتمل أيضاً على جهاز آخر اختص بالحسابات التي كان يجريها عن طريق مقابلة إحصالات الاستلام بأذونات الصرف المرسلة إلى الخزانة من سائر أجهزة الدولة ، سواء الأجهزة التي تعمل تحت إشراف الأمر الكبير ، مثل شونة الخلال والأمرية الصغرى ، والتمسانة ، وجهاز استلام وتخزين وتوزيع الإيرادات العامة التابع للخزانة نفسها ، أو الأجهزة الأخرى في الدولة مثل المستشفى والصيدلية وغيرهما . وكان جهاز الحسابات ، يديره موظف مالي ، يعرف باسم الخازن دار أو وكيل الخزانة (Trésorier) ، أنشئت وظيفته في عام ١١٣٥ بمدينة بيت المقدس . وكان هذا الموظف ، في العهد بين الشامى والقبرصى ، وداوية العهد الرومى ، مسؤولاً عن وظيفته أمام المجلس بطريقة مباشرة بحكم عضويته فيه (٢) . ولكن عندما أعيد تشكيل المجلس ، بمقتضى قرارات المؤتمر الاستثنائى العام ، المنعقد في مدينة مونبلييه الفرنسية ، في ٢ نوفمبر سنة ١٢٣٠ ، لم يكن وكيل الخزانة ضمن أعضائه (٣) ، ومن ثم انفرد الأمر بالمسئولية أمام المجلس عن مرفق الخزانة بجهازه (٤) .

(١) انظر : Las Statuts, Titre 5, P. 52 nom. 58 (St.: Aubusson)

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., PP. 342 و 343

(٣) انظر : Vertot II, P. 199

(٤) انظر : Les statuts, Titre 7, P. 78, nom. 39 (St.: D, Aubusson)

في قرار صدر عن المؤتمر العام المنعقد في مالطة في ١٢ مارس عام ١٦٠٢ على أن تعود إدارة الخزانة العامة إلى الأمر الكبير وفوضي الخزانة والخازن العام للخزانة ، مما يدل على أن منصب وكيل الخزانة (Le Trésorier) قد ألغى وثبتت بأن الأمر الكبير ، كان هو المسئول الوحيد عن الخزانة بجميع أقسامها قبل عهد حنا لاستيك - انظر :

Les Ordonnances de l'Ordre de S. Jean de Hierusalem, Titre 5,

P. 211, Nom. 18.

غير أنه صدر في عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٢٧ - ١٤٥٤) ، قرار ،
أصبح وكيل الخزانة ، بمقتضاء ، يعرف باسم وكيل عام الخزانة . (Tresorier
general ، ورفى الى رتبة وكيل مجع (Baillif capitulaire)
التي أعطته حق عضوية المجلس من جديد . ومن هذا القرار أيضا ، على منح
وكيل عام الخزانة حق الاحتفاظ بخاتم الدولة العام المصنوع من الحديد
(La Commune dulle de fer) واستخدامه ، وعلى أن يكون تعيينه عن طريق
المجلس الاعتيادي من أفراد طائفة فرنسا ، وأن يعطى راتبا منها قدره ثمانية
وأربعون قطعة ذهبية (ecus) اذا كان من فئة الفرسان ، أو مائة
فلورنتي رودسي اذا كان من فئة الرعيان أو من فئة خدم السلاح ، وهو الراتب
المعتاد لمدبري الصالح المختلفة من أبناء هاتين الفئتين ^(١) . ولا شك أن عودة عضوية
المجلس الى وكيل الخزانة قد أعفت الأمر الكبير من المسؤولية أمام المجلس عن قطاع الحسابات
في مرفق الخزانة ، وأصبحت مسؤوليته ، عن هذا المرفق ، مقتصرة على سلامة
العمل في جهاز استلام وتخزين وتوزيع الإيرادات العامة .
هذا فيما يتعلق بالأمر الكبير ومسؤوليته أمام المجلس الاعتيادي . أما عين
المارشال (المشير) ، وهو رئيس طائفة أفرسن ، والثاني ، بعد الأمر الكبير ، من
حيث التسلسل اللقي وحق التصدر ، فقد ظل في رودسي ، كما كان في بلاد الشام ،
وفي جزيرة قبرص بعدها ، هو عضو المجلس المسئول عن الجيش ، باختصاصات
تشبه اختصاصات وزير وليس قائد جيش ^(٢) . ولما كان المارشال مسئولا عن توفير حاجة
الفرسان ، وهم عصب الجيش ، من الخيل والعروج والأسلحة ، فقد وقع على عاتقه مهمة
اختيار الصالح للقتال من الخيل التي تعرض عليه بحيث لا تدفع الخزانة لنا أو تكاليف نفقة ،

(١) أنظر : St.: De Lastic : 29 (St.: Les Statuts, Titre 10, F.99, nom. 29)

& Ibid, Titre 13 , F.120, Nom. 13 (St.: D, Aubusson)

(٢) الجيش أثناء القتال يعين له قائد عن طريق المجلس الكامل - أنظر :

Ibid, Titre 13 , F.121, nom. 16. (St.: Zacosta).

لما يحكم المارشال بعدم صلاحيته من هذه الخيل^(١) وكان يشترك معه في أداء هذه المهمة ، منذ عهد السيد الكبير ، حنا لاسنيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) ، اثنتان آخران من أعضاء هيئة الاستتارية يختارهما المجلس الاعتيادي^(٢) ، وهما بخلاف المفوضين اللذين كان المجلس يمينهما ، منذ ذلك العهد ، للتفتيش على أعمال الأمـير ياخور (Le maitre - écuyer) وإبلاغ المارشال بما يجدانه من خلل أو نقص في أداء هذه الأعمال ، فإذا وجد بأن المارشال لم يحقق في الأمر ، أبلغا به السيد الكبير والمجلس الاعتيادي^(٣) ، علما بأن الأمير ياخور من فئة خدم السلاح ، وكان تابعا للمارشال ، ومختصا باستلام وتقييد أعداد الخيل المستوردة لحساب الاستتارية ، فضلا عن رئاسته لجماعة التابعين للفرسان^(٤) .

وكان المارشال مسئولا أيضا عن تنظيم واجب الحراسة الدائمة في الحصون الساحلية والداخلية بالجزيرة ، وهو واجب فرض على جميع العاملين من الاستتارية تحت رئاسة المارشال ، ولا يملك المارشال سلطة أعضاء أحد منهم من تأديته^(٥) . وقد صدر ، في عهد السيد الكبير دابواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) ، قرار خاص ، بشأن تنظيم واجب الحراسة في برج قصر السادة الكبار ، بمدينة رودس . ومقتضى هذا القرار ، أصبح المارشال ، أو نائبه ، ملزما بأن يعهد بالحراسة الليلية ، في هذا البرج ، الى أربعة من الاستتارية يختارهم المارشال من طوائف مختلفة ، ويعين أحدهم قائدا للبرج ، وفاجئهم بالزيارة ، ويقوم أخطاهم ، ويحزل من يهمل منهم في

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 5, P.55, nom. 71 (St.: Orsin)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 20 (St.: De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10, P.97 nom. 21 (St.: De lastic)

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.350.

(٥) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , P.97 nom. 19 (St.: De Lastic)

تأدية عمله ، ويعين آخره دلا عنه . وقد حدد القرار الأجر السنوي لكل من هؤلاء الحراس الأربعة بأربعة وعشرين فلورنتيا ، تدفعه لهم الخزنة على أن تخصصه مسن مخصصات الوكلاء الديريين ونوابهم ، ومن يوجد في رودس من رؤساء الشعب ، والوكلاء المجمعين ، ونوابهم ، وذلك بالتساوي وكل ثلاثي شهر .^(١)

ويبدو أن المارشال كان مشغولا ، كذلك ، بشكل ما ، عن الزى عند الاستتارية ، فقد كان من مهامه معاقبة الاستتارية الذين يحيلهم اليه المحافظ الكبير (Le Grand Conservateur) وهو عضو المجلس المسئول عن قطاع الأقمشة والعلايس ، اذا تجرؤا على تفصيل ملابسهم من غير إذنه ، أى اذن المحافظ الكبير ،^(٢) كما كان يلزم أخذ موافقة المارشال ، اذا رغب أحد من الاستتارية فى ارتداء ملابس قصيرة ، وهى موافقة لا تعطى ، بحكم القانون ، الا فى حالة الحرب الدفاعية أو الهجومية .^(٣) وبعد المارشال بأتى رئيس طائفة فرنسا ، وهو المشرف الطبى أو المسئول عن المستشفى المركزى فى مدينة رودس (L'Hospitalier) الذى كان يطلق عليه أيضا اسم بيت التمريض (L'Infirmierie) ، ويعالج فيه المرضى بالمجان سواء كانوا من الاستتارية أو من العلفانيين أى من غير الأعضاء فى هيئة الاستتارية .^(٤)

وكان يساعد المشرف الطبى فى ادارة المستشفى ، ممرض وكاتب ، يعينهما المجلس الاعيادى ، لمدة عامين بترشيح من المشرف الطبى نفسه ، فضلا عن موظفين آخرين يعرفان بالحكيمين (Les deux preud' hommes) .

كان المجلس الاعيادى ، منذ عهد حنا لاستيك ، يختارهما ، لمدة عام واحد ، مسن ملائمتين مختلفتين ، للدخول فى المستشفى مفتشين مقيمين ، شأنهما شأن الحكماء الآخرين الذين اعتاد المجلس ، منذ عهد حنا لاستيك ، أن يعينهم فى مختلف أفرع قطاعات

(١) أنظر : (St.:Amboise) Titre 13, P.122, nom. 20 Les statuts,

(٢) أنظر : (St.De lastic) Ibid, Titre 10 , PP 98-99, nom. 25

(٣) أنظر : (St.: Zacosta) Ibid, Titre 12, P.113, nom. 5

(٤) أنظر : (St.De lastic) Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 11

(٥) أنظر : (St.: Carretto) Les Statuts, Titre 4 , P.28 nom. 3

and Titre 10 , P.98 , nom. 22 (St.; De lastic)

(١)

العمل والادارة ، هواقع حكيمين فى كل فرع .

ومن بين هؤلاء المساعدين كان الممرض هو ، فى الواقع ، المدير الفعلى للمستشفى . وكان هذا الموظف يختار من أهنا طائفة فرنسا^(٢) وكان ملزما ، بحكم القانون ، بأن يطوف ، صحة خادم ، على جميع نزل المستشفى من المرضى مرتين كل يوم ، أولهما فى الفجر ، والثانية قبل النوم ، وذلك للتخفيف عنهم وتشجيعهم والتعرف على احتياجاتهم فيوفرها لهم^(٣) . وكان على الممرض ، أيضا ، وكان سبب المستشفى ، أن يرافق الأطباء أثناء طوافهم على المرضى ، وأن يدونا جميع ما يشرب به هؤلاء الأطباء بشأن مرضاهم ، ومعملا على تحقيقه بدون إبطاء ، علما بأن أطباء المستشفى كانوا ملزمين بالطواف على المرضى مرتين على الأقل كل يوم تنفيذا للقسم الذى كانوا ينطقون به ، عند الحاقهم بخدمة المستشفى ، أمام لجنة مؤلفة من ثمانية مندوبين عن الطوائف الثماني هواقع مندوب واحد عن كل طائفة^(٤) ، وبأن المستشفى كان يعمل بمبدأ أيضا جراحان يختارهما الأطباء^(٥) .

أما عن المفتشين المقيمين فى المستشفى ، فقد كان من مهامها أن يعودوا المرضى كل صباح ، فإذا سمعوا منهم بأن الممرض قد قصر فى أداء الواجب المفروض عليه بزيارتهم كل فجر ومساء ، وإذا تكرر منه التقصير ، طلبا من المشرف الطبى أن يعزله ويمين ممرضا آخر بدلا عنه . وكان على المفتشين المقيمين أيضا أن يتأكدا من جودة ما يقدمه المرضى ، للمرضى فى المستشفى ، من اللحوم والخبز والنهيد^(٦) ، وأن يقوموا فى كل مساء بتقييد حسابات المستشفى عن اليوم النصرم^(٧) ، وبالتوقيع عليها لى يعتمدوا وكلاء الخزنة .

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 4 , P.27, nom. 2 (St.:DeLastic)

(٢) أنظر : Ibid , Titre 10 , P.98, nom. 22 (St.:De Lastic)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 13 (St.: De Lastic)

(٤) أنظر : Ibid, Titre 4 , P.30, nom. 11 (St.: De Lastic)

(٥) أنظر : Ibid, Titre 4,p. 30, nom. 12 (St.: De Lastic)

(٦) أنظر : Ibid, Titre 4,P.30, nom. 13 (St.: De Lastic)

(٧) أنظر : Ibid Titre 4 P.27 nom. 3 (St. Carrotel)

وكان عليهما أيضا أن يستلما من العرض ، فى كل شهر ، كشفاً بنتقسات
المستشفى ، لمراجعته ^(١) ، وأن يتحملا ، مع العرض ، مسئولية كتابة جميع لوائح
وتعليمات المستشفى على قرطاس من الجلد (Perchemin) ، ووضع
هذا القرطاس فى مكان ظاهر بالمستشفى ^(٢) .

وكان المشرف الطبى ، من ناحيته ، ملزماً ، بحكم القانون ، بأن يصطحب
معه المفتشين المقيمين ، والعرض ، وكذا المسئول الدينى فى المستشفى — وهو راهب
برتبة مقدم (Prieur) يعينه رئيس الكنيسة — وبعض الشهود ، فى
عمل جرد سنوى لمحتويات المستشفى ، من أثاث وأغطية وأواني وأدوات ، فضلاً
عن التوابل والوثائق بالمنع التى يحررها العرض لصالح المستشفى ، عرفاناً منهم
بالجميل لما لا قوه فيه من عناية أثناء العلاج . وكان المشرف الطبى ، والمفتشين
المقيمين ، تقدم برأسمان هذه المحتويات وتسجيلها فى كشوف الجرد ^(٣) . ولضمان سلامتها ،
وعدم إبدالها بغيرها ، صدر قرار فى عهد السيد الكبير بحقوب ميللى (١٤٥٤-١٤٦١) ،
قضى بضرورة وضع علامات عليها بخاتم حديدى نقش عليه اسم المشرف الطبى أو نائبه ، على
أن يحتفظ هذا الخاتم لدى العرض ، داخل حقيبة من الجلد مفتومة بأختصاص
المشرف الطبى أو نائبه والمفتشين المقيمين . ونص القرار أيضاً على أن يوضع القاموس
من حاجة المستشفى ، من محتوياته ، فى مخزن خاص به ، يحتفظ كل من المشرفين
والمفتشين المقيمين بمفتاح له ^(٤) . وعلى أى حال فقد كان العرض وحده ، من يمس
جميع العاملين بالمستشفى ، هو المسئول ، أمام المشرف الطبى عن ضياع أى شئ من
محتويات المستشفى ، أو إبدالها بغيره ، وكان يعاقب على ذلك بالطرد من وظيفته ^(٥) .

(١) انظر : St. De Lastic : 2 (St. : De Lastic) , Titre 4, P.27, nom. .2 Les Statuts,

(٢) انظر : Ibid, Titre 4 , P.29, nom. 7 (St. : De milly)

(٣) انظر : Ibid, Titre 4 , P.28, nom. 5 (St. : De Lastic)

(٤) انظر : Ibid, Titre 4, P.29, nom. 8. (St. De milly)

(٥) انظر : Ibid, Titre 4 , P.28, nom. 5 (St. De Lastic)

هذا وقد امتدت سلطة المشرف الطبي أيضا الى الصيدلية الملحقة بالمستشفى .
 وكان من واجبه مقابلتها بالزيارة متى شاء ، وصحة المفتشين المقيمين في المستشفى —
 بحكم أنهما مسئولين عن اجراء حسابات الصيدلية مثلما هما مسئولان عن اجراء
 حسابات المستشفى ، ويحكم كونهما المسئولين المختصين باخطار الامر الصغير باحتياجات
 كل من الصيدلية والمستشفى ليمدهما بها (١) — وصحة أطباء المستشفى لفحص محتويات
 الصيدلية بقصد الكشف عن القاسد منها فيستبعد ، والناقص منها فيستكمل مسن
 (٢)
 الامه الصغيره .

اما فيما يتعلق بالوكيل الديري ، الذي يلي المشرف الطبي ، في الترتيب
 اللقي ، وعمو أمير البحر (الأميرال) فقد كان مسئولا أمام المجلس عن الأسطول ،
 ونجبهه للحرب اذا صدرت اليه الاوامر بذلك ، من السيد الكبير والمجلس ، التي
 جانب مسئوليته من رئاسة طائفة ايطاليا . وكان يخضع لرئاسة أمير البحر جميع
 الثوية (البحارة) سواء كانوا في البحر ، وقت الحرب ، أو في البر زمن السلم ،
 كما كان يخضع لأوامره الجند المقاتلون في الأسطول طالما كانوا داخل سفن اسطوله ،
 فاذا تركوه الى البر خضعوا لأوامر المارشال أو نائبه . ومن ناحية أخرى كان أمير البحر
 مسئولا عن تحديد أجور الثوية العاملين تحت امرته على أن تدفعها لهم الخزانة . (٣)

ومنذ عهد السيد الكبير زاكوسا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ، كان أمير البحر شريكا للامير
 الكبير في المسئولية عن حسن سير العمل في مرفق دار الصناعة (الترسانة) . (٤) وبالرغم
 من ذلك فانه لم يكن لزاما على أمير البحر أن يخرج على رأس الأسطول لادارة المعبارك
 البحرية ، فقد جرت العادة منذ عهد السيد الكبير زاكوسا ، على الأقل ، على أن يخرج
 الأسطول للمعارك البحرية بقيادة قائد عام للأسطول يمينه المجلس الكامل مع اشتراط

(١) أنظر : (St. : Carretto) 4, P.27, nom. 3 - Les Status, Titre

(٢) أنظر : (St. De Lastic) 4, P.28, nom. 6 - Ibid, Titre

(٣) أنظر : (St. : De Gozon) 10, P.94, nom. 9 - Ibid, Titre

D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.345.

(٤) أنظر : (St. : 10, P.100-101, nom. 33 - Les Statuts, Titre

تفضل اختياره من أبناء طائفة ايطاليا التي يرأسها أمير البحر ^(١) ، وهذا
إذا لم يتقرر أن يخرج السيد الكبير بنفسه ، أو نائبه ، على رأس الأسطول
لإدارة هذه الممارك ^(٢) .

وإذا تركنا أمير البحر إلى الوكيل الديري التالي له في الترتيب اللقبى ،
وموالمحافظ الكبير (Le grand Conservateur) ، رئيس طائفة أرغونه وقطالونيا
ونافار ، الذي كان معروفا قبل عصر السيد الكبير هيديا (١٣٧٧ - ١٣٩٦)
باسم الجواخ أو القماش ، نجد أنه كان مسئولاً عن استلام الأقمشة والملابس المختلفة
مسواً من الأقمشة الصفراء أو من المخازن الملحقة بالخزانة ، وفي حضور كل من الأمر
الكبير ، وموالموكل الديري المسئول عن الإشراف على هذين المرفقين ، ووكلاء
الخزانة ، وكذا الخازن العام للخزانة ، ثم توزيع ما استلمه ، بمساعدة الوكيل للعمام
للخزانة ، على أعضاء هيئة الاستبارة في بودس ، وعلى الجند ، وفق قواعد خاصة ،
فإذا وزع على بعضهم أنصبة أكبر مما هو معين لهم ، تحمل الوكيل العام للخزانة ،
وليس المحافظ الكبير ، دفع ثمنها للخزانة ^(٣) .

ولما كانت هيئة الاستبارة تهتم ، اهتماماً بالغاً ، بحكم صفتها الدينية ،
باللبس الوقور لأعضائها ، فقد حظرت قوانينها عليهم أعداد أو تفصيل ملابسهم إلا بفيد
الحصول على إذن المحافظ الكبير ، فإذا جروا أحدهم وليس رداً طويلاً أو قصيراً ،
حيك له بدون أخذ الإذن من المحافظ الكبير ، أحيل إلى المارشال لعقابهم
بالحبس مع الصوم مبعة أيام ^(٤) ، علماً بأن الملابس القصيرة محرم لبسها على الاستبارة
إلا زمن الحروب وبإذن السيد الكبير والمارشال ^(٥) . هذا وكان المحافظ الكبير ملزماً ،
بحكم منصبه ، بأن يتواجد ، أو نائبه ، عند إبرام عقود شراء الأقمشة والملابس

-
- (١) أنظر : Les Statuts, Titre 13, P.121, nom. 16 (St.: Zacosta)
(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.93 nom. 8 (St.: De Villaret)
(٣) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.98, nom. 24 (St.: De Lastic)
(٤) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.98, nom. 25 (St.: De Lastic)
(٥) أنظر : Ibid, Titre 12 , P. 113, nom. 5 (St.: Zacosta)

بمختلف أنواعها ، وكذا عند توزيع تركات الموتى من الاستبارة ، بعد وصولهم
الى الخزائن ، على كبار المسئولين في الهيئة ، لكي يأخذ منها ما يفيد في صناعة
الملاهي للأعضاء الأحياء . (١)

ويأتي بعد المحافظ الكبير في الترتيب الدقي ، قائد الخيالة الخفيفة
أو التركوبلي (Turcopolier) رئيس طائفة انجلترا . وكان هذا القائد مسئولاً
عن قيادة فرقة الفرسان الخفيفة — وهي فرقة ، كان كل فرد من أفرادها يحمل
أيضاً لقب تركوبلي ، ولكن ليس منهم عضو في هيئة الاستبارة سوى قائد قسم
التركوبلي الكبير — وعن الخروج ، على رأس هذه الفرقة ، في جولات تفقدية
دورية لسواحل الجزيرة ، وضماناً لسلامة الجزيرة ضد تسلل الأعداء . (٢) ومن
ناحية أخرى ، كان هذا القائد مسئولاً عن الحاق الخيالة الجدد وجميعهم
من أهالي الجزيرة البيزنطيين — في فرقة الخيالة الخفيفة تحت قيادته .
ولكن كان مظهراً عليه طرد أي فرد من أفراد هذه الفرقة ، فإذا اقترف أحدهم خطأ
ما ، أمر بوقفه عن أداء عمله في الفرقة ، أمام شهود ثقاء ، وحدد له مئة عشرة أيام
يمثل خلالها أمام السيد الكبير والمجلس الاعتيادي للدفاع عن نفسه مما اتهم به ، على
أن يعتمر المذنب مطروداً من الفرقة إذا انقضت المدة بدون أن يقدم نفسه
للمجلس الاعتيادي . (٣)

وفيما يتعلق بالوكيل الديري الذي يلي قائد الخيالة في الترتيب الدقي ، وهو
الوكيل الكبير (Le Grand Baillif) ، رئيس طائفة ألمانيا ، فقد كان مسئولاً أمام
المجلس عن كفاية حامية الاستبارة في قلعة القديس بطرس (البودروم) واكتمال تسليحها .

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.98, nom. 24 (St.:De Lastic).

(٢) أنظر : Ibid, Titre 10, P.99, nom. 27 (St.:De Lastic).

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10, P.99, nom. 26 (St. De Lastic).

ومقتضى قرار صدر في عهد السيد الكبير فلوطيان (١٤٢١ - ١٤٣٧) ، كان
الوكيل الكبير ملزماً بالتفتيش على قلعة القديس بطرس مرة واحدة في السنة على الأقل ،
وكما استدعت الظروف ، للتأكد من سلامة الأوضاع فيها . وقد منح القرار سلطة عقاب
المقصر أو عديم الكفاءة القتالية ، من أفراد حاميتها ، بالفصل ، أو بالحرمان من
المرتب أو بانقاص هذا المرتب ، إلى أن يتخلص مما به من عيب ، على ألا تمتد بسند
الوكيل الكبير بالعقاب إلى قائد القلعة أو أحد من أفراد أسرته أو من كان بالقلعة وقت
أن استولى عليها الاستتارية في عام ١٤٠٢ على يد السيد الكبير دى نيلاك سلف فلوطيان .
وكان على الوكيل الكبير أن يقدم للسيد الكبير ، بعد عودته من كل رحلة تفتيشية للقلعة ،
تقريراً مفصلاً ، كتابياً أو شفاهياً ، عن نتائج هذه المرحلة (١) .

أما فيما يتعلق بالوكيل الديري الثامن ، والأخير ، في الترتيب بين زملائه
الوكلاء الديريين الآخرين ، وهو حامل الأختام الكبير (Le Grand Chancelier)
فقد كان مسئولاً أمام المجلس ، إلى جانب رؤاسته لطائفة قسنتاله وليون والبرتغال ، عن
حفظ خاتم المجلس . وهو نفسه خاتم الدولة العام (٢) الذي كانت تختم به الرسائل
الحكومية ، وأذونات السفر إلى خارج رودس ، والتعليقات التي تعطى للمبعوثين وغير
ذلك من الأوامر والتعليقات التي تصدر عن السيد الكبير أو المجلس بفتحه ، أي المجلس
الكامل والمجلس الاعتيادي (٣) ، بحيث لم يكن من الجائز ختمها به إلا إذا كان قد صدر
الأمر بها في حضور حامل الأختام الكبير نفسه أو من ينوب عنه (٤) .

وكان لحامل الأختام الكبير نائب يعينه المجلس الاعتيادي ، مختاراً من بين اثنين
يرشحهما حامل الأختام الكبير بنفسه للوظيفة (٥) . وكان نائب حامل الأختام - Le Vice
Chancelier - يحكم منصبه ، بحضور جميع اجتماعات المجلس ، بكتابة فتاويه ، ليقوم بتسجيل

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 10 , PF.95-96, noms 12,13,14,15

(Sts. Fluvian); Vertot II, PF.408-409

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 10, P.102, nom. 37 (St.:Zacosta)

(٣) أنظر : Ibid, Titre 10, P.102, nom. 37 (St.:Zacosta) ;

Ibid, Titre 7 , P.76, nom. 33 (St.:Ursini)

(٤) أنظر : Ibid, Titre 10 , P.102, nom. 37 (St.:Zacosta)

(٥) أنظر : Ibid, Titre 10, P.102, nom. 36.

قرارانه وأوامره ، فى مضبطة المجلس ^(١) . وكان نائب حامل الاختام مختصا أيضا
بكتابة جميع الرسائل والأوامر الحكومية ، الصادرة عن السيد الكبير والمجلس ، لآى
انسان خارج أو داخل رودس ، وبالتوقيع عليها باسمه ، ثم تسجيلها فى سجلات
دار الختم (Le chancellerie) ، ووضع خاتم الدولة العام ،
الذى يحفظ به حامل الاختام الكبير ، عليها ورسائلها لأصحابها ^(٢) . وكان بجسور ،
أيضا ، لنائب حامل الاختام ، أن يحرر أذونات الصرف والكهربالات للاستتارية
وللعلمانيين ، على السواء ، بشرط أن يصدر اليه الأمر بذلك ، مسبقا ، من
السيد الكبير والمجلس الاعتيادى . وكان عليه ، بعد كتابتها ، أن يختتمها بخاتم
الرصاص المستخدم فى مثل هذه الأمور العامة ، وسجلها فى السجلات الخاصة بها
فى دار الختم ، ثم يسلمها لمن طلبها ، مضمونة بتوقيعه ، وتوقيع كل من الوكيل
العام للخزانة ، وكاتب الخزانة ^(٣) .

سلطة المجلس الاعتيادى على الإدارة الإقليمية (الشعب) :-

بعد ، فقد كان ذلك عن الوكلاء الذين ، ومسئولية كل منهم أمام المجلس
الاعتيادى ، الذى كان يعينهم فى مناصبهم ويشكل أساسا منهم . أما عن سلطة
المجلس الاعتيادى على مقدمى الشعب والوكلاء المجمعين الذين يتولون رئاسة هيئات
الاستتارية خارج رودس فمن أهم مظاهرها أنه كان يعينهم فى مناصبهم أو يرقبهم فيها ،

(١) أنظر : (St.:Zacosta) 37 nom. 102, P. 102, Titre 10, Les statuts

(٢) أنظر : 33 nom. 76, P. 76, Titre 7, Ibid, Loc. Cit.; Ibid

(٣) أنظر : (St. Orsini)

Ibid, Titre 5, P. 55, nom. 70 (St.:De Lzstic)

وهي سلطة كانت في بداية الأمر - منذ العهد الشامي - حكرا للمؤتمر العسكاري

مع أخذ رأي السيد الكبير ،^(١) ولكنها تركت للمجلس الاعتيادي بمقتضى قرار

صدر عن المؤتمر العام المنعقد في ريدس في عام ١٣٧٠ .^(٢) وكان المجلس

يختار هؤلاء المسئولين الاقليميين لمناصبهم بطريق الاقتراع من بين أعضاء

هيئة الاستشارة المقيمين الى فئة الفرسان الذين يتقدمون اليه بطلباتهم

للحصول على هذه المناصب أو ترشحهم لها الطوائف التي ينتمون اليها^(٣) ،

وتكون لهم أقدمية في عضوية الهيئة مقدارها خمس عشرة سنة .^(٤)

على أن عامل الأقدمية ، لم يكن ، في الحقيقة ، القيد الوحيد في

عملية الترقية الى مناصب مقدمي الشعب أو الوكلاء المجمعين ، فقد صدر قرار

عن المؤتمر العام المنعقد في مدينة ريدس في يونيو عام ١٣٥٤ ، برئاسة السيد

الكبير الرابع ، بطرس كوريلان ، نص صراحة على عدم ترقية أي استناري ، له اولاد احياء ، إلى

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.304

(٢) أنظر : Ibid: Les Hospit. à Ah., P.106

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 13, PP.118-120, noms 3 (St.: D'Aubusson), 5 (St Orsini), 6 (St. :DE milly)

(٤) أنظر : Ibid: Titre 13, P.119, nom. 9 (St.:De Lastic)

نحت هذه من أمريات أفلايح في استرجاعها للاستتارية من أيدي مفتصهي علمائهم
 أي من غير الأعضاء في هيئة الاستتارية - حيث كان من حقه ، قانونا ، أن يحفظ
 بمثل هذه الامريات - وكذا بما يقتضيه من أرض أو عقار عن طريق الشراء من العلمانيين ،
 لعدى الحياة ومن غير أن يدفع عنها ضرائب للخزائن^(١) ، على ألا يسمح له بالتصرف
 فيها بالمقايضة أو الرهن أو البيع إلا بتصريح من السيد الكبير والمؤتمر العام شأنها
 شأن بقية أملاك هيئة الاستتارية^(٢) . وإذا كان العضو العرقى يدير أحسدى
 الامريات المخصصة دخولها للسيد الكبير ، والمعروفة باسم غرف الرئاسية
 (Les Chambres magistrales) ، له أيضا الحق في الاحتفاظ بها
 بعد الترقية^(٣) .

وفي عهد السيد الكبير بطرس دهيون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، تقرر
 عدم ترقية أى وكيل مجمع إلى مقدم شعبة أو إلى وكيل دبرى ، وعدم ترقية
 أى آمر إلى آمر لأمريه أكبر ، أو إلى وكيل مجمع أو مقدم شعبة ، إلا إذا أثبت
 مقدما ، بالوثائق الرسمية ، أى الوثائق الصادرة عن السيد الكبير والمجلس الاعلى ،
 أنه وصل إلى منصبه الذى يشغله قبل الترقية ، بالطريق القانونى للترقية^(٤) .

(١) أنظر : Les statuts, Titre 14, P.135, nom 55 (St.: De Villeneuve)

(٢) أنظر : Ibid, Titre 14, P.135, nom. 57 (St.: Derenger)&

Ibid, Titre 16, P.144, nom. 10 (St. De Pins).

(٣) أنظر : Ibid, Titre 14, P. 123 , nom. 4. (St.: De milly)

(٤) أنظر : Ibid, Titre P4, P.126, noms 16 (St. D, Aubusson),

18 (St.:D, Aubusson).

على أن سلطة المجلس لا تعتمد على تقديم الشعب والوكلاء المجمعين ، لم تكن
قاصرة على ترقينهم الى هذه المناصب ، وإنما امتدت أيضا الى مراقبتهم في وظائفهم
وتقويمهم . ولكي يتمكن المجلس من ممارسة هذه السلطة عليهم ، ألزمهم القوانين بأن
يرسلوا اليه طوايح أختامهم التي يقومون بها على سائر الأوراق الرسمية الصادرة عنهم ^(١)
كما أجبرتهم على أن يرسلوا اليه ، في كل سنة ، نسخا ، مطابقة تماما لما هو مدون لدى
سجلاتهم ، عن محتويات الشعب والوكالات التي يديرونها ، وعن مساحساتها وأهرااداتها
والمقيمين أو العاملين فيها من الاستتارية وغير الاستتارية ، ^(٢) وذلك فضلا عن التقارير
المفصلة ، التي يجب عليهم أن يرسلوها الى المجلس ، عن حالة الآمرات في شعبيهم ،
عقب تأديتهم لواجب الزيارات التفشيشية لهذه الآمرات ، ^(٣) وهو واجب فرض عليهم منذ
القرن الثالث عشر ، أثناء إقامتهم في الشام ، ولكنه نظم في رودس ، بمقتضى قرار صدر عن
المؤتمر العام ، الذي انعقد في مدينة رودس ، في شهر سبتمبر عام ١٤٢٠ ، برئاسة
السيد الكبير دي نيلاك ، وقضى بأن يقوم مقدم الشعبة بجولة تفشيشية للآمرات التي
تشتمل عليها شعبته مرة كل ثلاث سنوات ، فيها عدا الآمرات المخصصة دخولها أجرا له ،
والمعروفة باسم غرف رؤساء الشعب (Les chambres prieurales) ،
فقد نص القرار على أن يقوم بالتفشيش عليها ، مرة كل ثلاث سنوات ، شخصيتان كبيرتان من
شخصيات الاستتارية ليس من بينهما مقدم الشعبة صاحب المصلحة . ^(٥)

- (١) أنظر : Les Statuts, Titre 11, P.111, nom. 13 (St.:De Naillac)
(٢) أنظر : Ibid, Titre 11, P.110, nom. 11 (St:De Villeneuve)
(٣) أنظر : Ibid, Titre 15, P.139, nom. 3 (Coutume)
(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., P.307
(٥) أنظر : Ibid : Les Hosp. à Rh., P.352

وما يذكر أن قرارات أخرى صدرت بعد ذلك ، عن الموصرات العامة المختلفة ، بشأن الزيارات المتفقدة التي يقوم بها مقدمو الشعب للأمرياء التي تشغل عليها شعبيهم . ومن هذه القرارات ، قراران صدرتا في عهد السيد الكبير فلوفيان (١٤٢١ - ١٤٣٧) ، نص أحدهما على ضرورة أن يراعى مقدم الشعبة عند قيامه بواجب الزيارة ، جانب الاعتدال في المصاريف لكي لا يرهق بها الآمن الذين يتحملونها ويصبح موضع شكواهم ، ^(١) على حين نص القرار الثاني على أن واجب مقدم الشعبة ، عند تأديته لواجب الزيارة التفتيشية في إحدى الأمريات داخل شعبته ، أن يبدأ أولا باستقطاع حقوق الخزائنة من دخولها ، ثم يعمل بعد ذلك ، وعلى التوالي ، على سد حاجة الإصلاح في كنائسها ومستشفياتها ومؤسساتها الخيرية ، وسد احتياجات آمريها من الكساء والتعوين ، فإذا تبقى بعد ذلك شيء من دخولها ، أمر مقدم الشعبة الزائر بصرفه على البناء والتشييد ، وإذا تصرف مقدم الشعبة بغير ما جاء في هذا القرار ، فصل من منصبه ، وعين مقدم شعبة أخرى بدلا عنه بصرفه السيد الكبير والمجلس الاعيادي . ^(٢) ومن هذه القرارات أيضا ، قرار صدر في عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) ، خليفة فلوفيان ، منح فيه لمقدمي الشعب بأن يختار كل منهم راهبا استناريا ، ويكلفه مهمة التفتيش على الكنائس ، ومؤسساتها داخل الشعبة ، على أن يكون هذا الراهب مزودا بمسلطة تماثل سلطة رئيس الكنيسة في ^(٣) زود من نفسه .

ومهما يكن من أمر هذه الزيارات التفتيشية ، التي كان يقوم بها مقدمو الشعب والوكلاء المجمعين للأمريات المشتملة عليها شعبيهم ووكلائهم ، فقد كان لزاما عليهم أن يخطروا المجلس الاعيادي بنتائجها . ^(٤) ومن ناحية أخرى كان المجلس الاعيادي ، وليس رؤساء الشعب أو الوكلاء ، هو الهيئة المختصة بإجراء حركات الترقية الى مناصب آمري الأمريات بين أعضائه هيئة الاستنارية - بما فيهم الرهبان - الذين لهم أقدمية . ^(٥) ^(٦)

- (١) أنظر : Les Statuts, Titre 15, P.140, nom. 6 (St.: Fluvian)
 (٢) أنظر : Ibid, Titre 15, P.140, nom. 7 (St.: Fluvian)
 (٣) أنظر : Ibid, Titre 15, P.140 nom. 8. (St.: De Lastic)
 (٤) أنظر : Ibid, Titre 15, P.139, nom. 3 (Coutume)
 (٥) أنظر : D.: Le Roulx: Les hospit. à Rh., P.116; Vertot II, P. 174
 (٦) أنظر : Ibid, Titre 14, P.130, nom. 34 (St.: Berenger)

عضوية في الهيئة مدتها ثلاث سنوات ، اذا كانوا قد أمضوا هذه الفترة في التمريض في الشرق ،
(١)
 وخمس سنوات ، اذا كانوا قد أمضوا فترة التمريض في شعب الغرب .

وفي الحقيقة ، كانت العادة ، منذ عهد الشام ، أن يقوم رؤساء الشعب مباشرة بالاشتراك
مع الجمعيات الاقليمية المشكلة من أعضاء هيئة الاستشارة العاملين تحت رئاستهم في الشعب ،
بتعيين أمري الآمرات ، اختيارا من بين الفرسان الاستشاريين المقربين في شعبهم .^(٢) فلما
رأى السيد الكبير الرابع في رودس ، وهو بطرس كورنيلان ، أن مقدمي الشعب تمادوا في تعيين
أقاربهم وحاسبيهم ، انتصروا قرارا من المؤتمر العام ، الذي انعقد برأسته ، في مدينة
رودس ، في ٢٠ يولييه عام ١٣٥٤ ، نص على ابطال هذه العادة ، وأعطاه سلطة تعيين أمري
الأمريات للسيد الكبير والمجلس الاعلى وحدهما .^(٣) وقد تأيد هذا القرار بقرار آخر صدر
عن المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس ، في ١٨ فبراير عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيد
الكبير الخامس روجر دي بينز ، خليفة بطرس كورنيلان .^(٤)

وفي عهد السيد الكبير العاشر ، فلوقيان (١٤٢١ — ١٤٣٧) صدر قرار ، في هذا
الشان ، نص على أن أي عضو في هيئة الاستشارة لا يجوز له أن يطلب لنفسه ، أو يحصل
على ، رئاسة شعب أو وكالة اقليمية أو ادارة أمرية أو وحدة انتاجية في أمريه (membre
الا من السيد الكبير والمؤتمر العام ، وإذا كان قد حصل على رئاسة إحدى هذه الجهات عن
طريق آخر ، عليه أن يتنازل عنها ، أمام مسجل شرعي وفي حضور شهود ، ولا فصل ممن
عضوية هيئة الاستشارة . وإذا كان هذا القرار لم يذكر صراحة اسم المجلس الاعلى ضمن
الهيئات المختصة بتعيين مقدمي الشعب والوكلاء المجمعين وأمري الآمرات ، فهو ، في
الغالب ، قد اكتفى بذكر السيد الكبير بمصفته رئيس هذا المجلس .^(٥)

D. Le Roulx: les hospit. à Rh., P.318

(١) أنظر :

Ibid: Les Hosp. en T.S., P.305

(٢) أنظر :

Ibid: Les Hosp. à Rh., P.116, 5

(٣) أنظر :

Ibid, Les Hosp.

(٤) أنظر :

Ibid; : Op. Cit . , P.136

(٥) أنظر :

Les statuts, Titre 14 P.137 non., 64

على أن تجريد مقدمى الشعب من سلطة تعيين أمري الأمريات داخل شعبيهم لم يكن
مطلقا ، فقد ترك لكل مقدم شعبة أن يعين فى شعبته أمرا واحدا كل خمس سنوات ، ^(١) على أن
مختاره من بين الاستنارية ، الذين أحفل بقبولهم فى عضوية الهيئة فى جزيرة رودس ،
نفسها ، ودفعوا الرسم المقرر على القيام بالرحلة من شعبته الى هذه الجزيرة ، وهو الرسم
المعروف باسم رسم المرور (Le droit de Passage) ، والذى تسميته ، وحرم
مقدم الشعبة نفسه - الذى عين هذا الأمر - من حق فى تعيين أمر آخر لنفس الأمر ^(٢)
أو لغيرها من الأمريات فى شعبته ، وهذا العام ، وأصبح هذا الحق للمجلس الاعتيادى ،
وإذا كان مقدمو الشعب قد جردوا ، منذ عهد السيد الكبير الرابع ، بطرس كورنيان ،
من سلطة تعيين أمري الأمريات داخل شعبيهم ، فقد حرم عليهم ، منذ عهد السيد الكبير
الثامن ، فيردي نيلاك (١٣٩٦ - ١٤٢١) اجراء أية مبادلات فى الأمريات بين أمريها
أو الموافقة على هذه المبادلات قبل أخذ الاذن بها من السيد الكبير والمجلس الاعتيادى
والا تعرضوا للعقاب بالحرمان سنة من ايرادات الأمريات المخصصة ايراداتها اجرا لهم ،
عن قيامهم بأعمال مناصبهم ، والمعروفة باسم غرف رؤساء الشعب ،
وهى خمس أمريات لكل منهم ، كانت قبل مارس عام ١٣٦٧ ، فى عهد السيد الكبير ريموند
بيرنجر ، أربع أمريات فقط - مع إلغاء المبادلات موضع المخالفة ، ومعاقبة أطرافها ^(*)
بأمرياتهم منهم ، وعدم اعطائهم غيرها لادارتها قبل مرور خمس سنوات . ^(٣)

وفى عهد السيد الكبير ، بطرس دويجون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، صدر قرار
مكمل لقرار دى نيلاك ، نص على عدم السماح لمقدمى الشعب ، والوكلاء المجمعين والأمريين
بأن يستبدلوا شيئا من ممتلكات الاستنارية ، التى أوتنوا على ادارتها ، سواء كانت هذه

Les statuts, Titre 14 art. 128, non. 27 (St.: D'Abusson): (١) أنظر

Ibid, : Titre 14, P.128, nom. 23 (St.: De Lestic) : (٢) أنظر

Ibid, Titre 14, P. 131 ; nom. 4e (St. De Nalliac) : أنظر (٣) :

Ibid, Titre 14, P.130, nom. 33 (St. R. Berenger); D. Le (**)

Roulx: Les Hosp. à Rh., p.162.

الممتلكات على شكل أمره (Commanderie) أو وحدة إنتاجية داخل أمره
(Membre) أو منزل ، بممتلكات أخرى لعلمانيين - أى لغير الأعضاء في هيئة
الاستشارية - أو بمشروعها العلمانيين ، فإذا تمت مبادلة ، أو منحة من هذا النوع ألغيت ،
وعوقب طرفها الاستشاري بفصله من منصبه ، وعدم تعيينه في منصب مماثل قبل مرور عشرين
(١)
سنوات .

هذا وكما حرم على مقدمى الشعب إجراء المبادلات^{في} الأمرات بين أمريها ، فقد حرم
عليهم أيضا تلقي تنازلات هؤلاء الأمرين عن أمريتهم ، أو فصلهم منها ، لأن ذلك من
سلطة السيد الكبير والمجلس الاعتيادي وحدهما . (٢)

على أن تعيين الأمرين وفصلهم ، لم يكن الجانب الوحيد من السلطة الذى انتزع
في العهد الروماني ، من مقدمى الشعب لصالح المجلس الاعتيادي ، فقد تقرر في
المؤتمر العام ، الذى انعقد في مدينة رودس ، في فبراير عام ١٣٥٨ ، برئاسة السيد
الكبير الخامس روجر دى بنز ، تجريد مقدمى الشعب من سلطة تحصيل حقوق الخزائنة من
الأمرين داخل شعبيهم ، ومنح هذه السلطة لمحصلين متفرعين ، يخضعون مباشرة للسيد
الكبير ، والمجلس الاعتيادي ، الذى يتولى مهمة تعيينهم بواقع محصل واحد لكل أمرية . (٣)
وكان سبب اصدار هذا القرار في الواقع - هو ما لوحظ من تعادى بعض مقدمى
الشعب في عدم ارسال حقوق الخزائنة الى رودس ، بالرغم من ثبوت تحصيلهم لها من
الأمرين . وكان على رأس هؤلاء المقدمين ، قسطلان أمبوستا ، الذى كان ، في نفس
الوقت ، رئيسا^{لشعبة} سان چيل ، واصبح فيما بعد السيد الكبير الثامن (١٣٧٧ - ١٣٩٦)
وهو هيرديا ، الذى لم يتردد في استخدام الاموال التى جمعها في مساعدة دولته
(٤)
أرغونة وأقاربها .

(١) أنظر : Les statuts, Titre 14, P.134, nom. 53

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 14, PP.110 (nom.10), 130 (nom.37) 131 (nom. 38).

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 5, P.45, nom. 36; D. Le Roulx

(٤) أنظر : Les Hospit. à Rhod., P.136; Vertot II, P.237.

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rhod., P.136; Vertot II, P.237.

ومهما يكن من أمر سبب صدور القرار الخاص بإنشاء وظائف المحصلين في الأمريات فقد كان من اختصاصات هؤلاء المحصلين أن يقدموا للجمعيات الاقليمية في الشعب ، فسي كل مرة تنعقد فيها هذه الجمعيات ، تقارير مفصلة عما جمعوه من أموال ، وما تبقى عليهم أن يجمعوه ، وكان على أعضاء الجمعيات أن يستمعوا لتقارير المحصلين ، ووقعوا عليها ، من غير أن يصدروا اليهم أية أوامر بقتل الحسابات التي تتضمنها هذه التقارير ، حيث أن ذلك من سلطة السيد الكبير والمجلس الاعيادي وحدهما .^(١)

وعندما تحدث حالة وفاة بين مقدمي الشعب ، أو أمري الأمريات ، ونتيجة المحصل لجرد متروكاته (La depouille) ، يقصد تحصيل حقوق الخزانة منها كان عليه أن يصطحب معه شهود ثقة من الأمتارية أو العلمانيين ، فضلا عن المسجل الشرعي لتسليم القائمة كاملة بالجرد . ولم يكن مسموحا للمحصل ، في هذه الحالة ، أن يستولى على جميع ما تركه المتوفى ، بل يجب أن يترك فيها ما يهد حاجة الشعبة أو الأمرية التي حدثت فيها الوفاة ، وحاجة مديرها الجديد ، في حدود النصف . وكان عليه ، بعد أن يفرغ من إنجاز هذه المهمة ، أن يقدم تقريرا مفصلا ، عما اتم فيها ، للجمعية الاقليمية في الشعبة التي حدثت فيها الوفاة ، لاخذ موافقتها ،^(٢) ثم يبعث بملسخة من هذا التقرير للمجلس الاعيادي في رودس .^(٣)

يضاف إلى ذلك أنه كان محظورا على المحصلين أن يحتفظوا لأنفسهم بأي نصيب فسي متروكات المعنى ، أو العرقين ، أي يقومون بجرد ما لتحصيل حقوق الخزانة منها أو عليها ، فإذا طمع أحد هم في شيء من هذه المتروكات ، فصل من منصبه ، وأرغم على دفع ضعف قيمة ما استحوذ عليه لنفسه منها للخزانة .^(٤)

(١) أنظر : es statuts, Titre 5 , P.47, nom. 43. (St. De Nai. Lac)
(٢) أنظر : id, Titre 5, P.46, nom. 40 (St.: De Naillae)
(٣) أنظر : Le Roulx: les Hosp. à Rh., P.317
(٤) أنظر : s Statuts, Titre 5, P.48, nom. 45 (St.: Orsini)

ومن ناحية أخرى حق عليهم أن يتقاسموا عن تصحيح حقوق الانتخاب التي يجدوا أنفسهم موضع تفتيش بين آراء الأتريبات وانتخابات اعمامة * بل أن من واجبهم تصحيح هذه الحقوق من الآراء القائمة غير مشروعة * برفض الانتخاب عن الغلبة المبررة بشأنها .^(١)

هذا وقد سمع لهم بأن يودعوا الاموال التي يدينونها تباعا من الآراء * عند أناس أمراء مصر وغيرهم * أو عند مقدمي الشعب وبعض الآراء * على أن تصمم لهم أملاكهم الجماعية التقليدية لهم * * * وتتضمن أيضا قوانينهم معهم بها * فإذا اودع أحد المصالحين بالجماعة من أموال عند أحد الأتريبات * بدون أن يملك هذه الاملاك * فصل * ليس من وظائفه محاسب * ولكن أيضا من عضوية هيئة الانتخابية *^(٢)

وتقرر في المؤتمر العام * الذي انعقد في مدينة أفنيون * في مارس عام ١٩٦٧ * أي في عهد السيد البير * ريموند بيرنجر * إنشاء وظيفة لمصل عام * مقره أفنيون * وفعله تصمم حقوق الانتخاب * في سنة * في سائر المصالحين في الأتريبات بأوروبا * وفي المؤتمر العام المنعقد في مدينة رودس * في سبتمبر عام ١٩٢٠ * برئاسة السيد البير فليبيدي نيكلاك * تقرر زيادة المصالحين الساميين من واحد إلى أربعة * بحيث يختص واحد منها باستلام حقوق الانتخاب من المصالحين الساميين في الشعب المست بملقة فرنسا * ويختص الثاني باستلام هذه الحقوق في الشعب بالمت بشبه جزيرة إيبريا * والثالث في الشعب المست بشبه جزيرة إيطاليا * والرابع في شعب ألمانيا ويوتوميا وسنغاري * ويتضمن نفس القرار * ثان على هؤلاء المصالحين الساميين الأربعة * أي بجانب وظائفهم الرئيسية * وعلى تصمم حقوق الانتخاب سنويا من المصالحين في الدوائر المتاخمة * أن يراجعوا المسائل * التي ثان من اللازم أن يتخذ بها المصالحون المصالحات القلبية في ثلاث سنوات * وأن يقدموا لهذه الجمعيات حساباتهم^(٣) الخاصة لا اعتداد بها غير أن يرسلوا نسخا منها إلى السيد البير والمجلس في رودس *^(٤)

- | | |
|------------|--|
| (١) أنظر : | s Statuts, Titre 5, P.49, nom. 48 (St.De Lastic) |
| (٢) أنظر : | id, titre 5, P.48, nom. 47 (St.; D'Aubusson) |
| (٣) أنظر : | Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.152 |
| (٤) أنظر : | ibid: Cp., Cit., II.352 - 353. |

والواقع ان التقارير التي يبعث بها المحصلون العامون ، والمحصلون ، الى السيد الكبير والمجلس في رودس ، عن الاوضاع ، وخاصة العالية منها ، في الشعب ، كانت تعطى صورة صادقة عما قد يوجد فيها من خلل يستدعي اصلاح . وكان السيد الكبير عندئذ ، يعتقد مؤمرا عاما ، او جمعية عادية من بعض كبار أعضاء الهيئة ، لمناقشة الامر. وقالها ما كانت هذه المؤتمرات العامة ، او الجمعيات تعالج الموقف عن طريق ، ارسال ما يعرف باسم المفتشين المبعوثين (Les visiteurs) او المصلحين ^{reformateurs} بهدف تزويدهم بسلطات واسعة ، لانجاز اصلاح المنشود في الشعبة ، او الشعب المختلفة. وقد حدث ان قررت احدى جمعيات الاستتارية ، وهي الجمعية المنعقدة في مدينة أفنيون ، في أغسطس عام ١٤١٨ ، برئاسة السيد الكبير دي نيلاك ، ارسال مفتشين مبعوثين الى جميع شعب الاستتارية في أوروبا ، بهدف ان تكشف لها من قراءتها تقارير المصلحين ، ان الفوضى ضارية اطلتها فيها جميعا بلا استثناء ^(١) ، وكان ذلك نتيجة طبيعية للانشقاق الذي حدث في هيئة الاستتارية ابتداء من عام ١٣٧٨ وحتى عام ١٤١٠ ، وهو الانشقاق الذي تولد عما عرف باسم الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية العامة ^(٢) . ومن التعليمات التي اعطيت لهؤلاء المفتشين المبعوثين ، يتضح بان جمعية أفنيون زودتهم بسلطات تفسيق سلطات مقدمي الشعب أنفسهم ، ولكنها تعال ما كان يمنح عادة من سلطات المفتشين المبعوثين في الحالات الاخرى . ويتضح من هذه السلطات ، ان في استطاعتهم ان يعاقبوا او يفصلوا الامر الذي يرفض دفع ما عليه من حقوق لاختزانة ، وان يطلبوا حسابات المحصلين لفحصها ، وان يقدموا بدعوة الجمعيات الاقليمية للانعقاد حتى شاءوا ، لمساعدتهم فني

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 338

(١) انظر :

Ibid: Op., Cit., PP. 307 - 311.

(٢) انظر :

استمر الانشقاق في الكنيسة الكاثوليكية حتى عام ١٤٢٩ .

انظر :

Trevor: Rome, 1 P. 279 - 280.

تنظيم شؤون الشعب ، وأن يتخذوا كافة الاجراءات الكفيلة باستعادة أملاك الاسبتارية من
المغتصبين ، وعدم ضياع ما لهيئة الاسبتارية من حقوق لدى الآخرين . كذلك نصت
التعليمات على أن من واجب المفتشين المبعوثين ، أن يتصلوا بالسلطة المركزية في رودس ،
لاطلاعها باسماء من لم يذعن للاصلاح أو لأحكامهم من مدبري ممتلكات الاسبتارية^(١) ،
مما يثبت بأن المفتشين المبعوثين كانوا ، بالرغم من السلطات الواسعة التي منحت لهم ،
في حاجة مستمرة الى أن يستمدوا الدعم من سلطة التنفيذ المركزية التي يمثلها السيد
الكبير ومجلس الاسبتارية في رودس .

وبالوصول في الحديث الى المفتشين المبعوثين ، ودورهم في تفهم ادارة الشعب ،
تكون في الحقيقة ، قد فرغنا من الكلام عن السلطة التي كان يمارسها المجلس الاعتيادي على
هذه الادارة . وكنا قبل ذلك قد تكلمنا عن طائفة الوكلاء الدبريين (illifs Conventuels)
أو بهجارة أخرى ، رؤساء الطوائف ، الذين كان يشكل منهم ، أساسا ، المجلس الاعتيادي
وعن مسئولية كل منهم أمام هذا المجلس . ومن الملاحظ أن المجلس الاعتيادي كان في كلتا
الحالتين يمارس اختصاصاته كمجلس ادارة ورقابة وحكم . وهذه الصفة ، كان يقوم ، أيضا ،
منذ عهد السيد الكبير يعقوب ميللي (١٤٥٤ - ١٤٦١) ، بتعيين اثنين من الرهبان
الاسبتارية المشهود لهما بالحكمة ، للخروج مع رئيس الكنيسة ، أو ممثليها ، في
جولاته التفقدية والتفتيشية على كنيسة القديس حنانيا ، وسائر كنائس رودس ، وقاعات الصلاة فيها
وما تحوي عليه هذه الكنائس والقاعات من أدوات ومقدسات ،^(٢) وهو اجراء اتحاد المجلس
الاعتيادي اتخذه منذ عهد السيد الكبير حنانيا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) ، سلف يعقوب
ميللي ، بالنسبة لمؤسسات الاسبتارية الاخرى في رودس .

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.338.

(١) أنظر :

Les Statuts, Titre 3 P.25, nom. 28.

(٢) أنظر :

يضاف الى ذلك أن المجلس الاعتيادي كان هو الهيئة المختصة ، الى جانب السيد
الكبير ، بإرسال السفراء والمبعوثين الى الخارج ^(١) وتقرير المكافآت لهم ^(٢) .

هذا فضلا عن النظر في الالتماسات بتخفيف العقوبة التي نزل عليها القانون ، والسعي
تقضي بإسقاط ثلاث سنوات من الاقدمية في عضوية هيئة الاستشارية ، لكل من يحكم عليهم
من أعضاء هذه الهيئة ثلاث مرات ، بالسجن في البرج ^(٣) ، أي برج قصر السادة السكبار .
ومن ناحية أخرى كان محروما على أي شخص مقيم في جزيرة رودس ، سواء من الاستشارية أو من
العلمانيين ، أن يسلح سفنا خاصة في إحدى موانئ الجزيرة لغرض القرصنة ، أو لفتح
سواحل المسلمين ، إلا اذا حصل بذلك على إذن من السيد الكبير والمجلس الاعتيادي .
وقد اشترط في عهد السيد الكبير زاكوسا (١٤٦١ - ١٤٦٧) ، لاعطاء هذا الاذن ،
لمن يطلبه من الاستشارية ، أن يكون قد أقام في دير رودس خمس سنوات ، ويقدم ضمانات
كافية على عدم قيامه ، منفردا ، أو بالاشتراك مع غيره ، بتوجيه الاذى للمسيحيين فسي
أشخاصهم أو أموالهم أو أراضيهم . غير أن هذين الشرطين أعفى منهما أعضاء هيئة
الاستشارية الذين يقدون الى رودس طلبية للداء واجب الدفاع عنها ضد خطر خارجي
أحد قوما ، لأن هؤلاء كان لهم الحق في تسليح ما شاءوا من السفن من غير الحصول على
إذن المجلس . وقد صدر ، في عهد السيد الكبير اورميني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) ،
خليفة زاكوسا بقرار آخر ، في هذا الشأن ، يضاف بأن تصادر ، لصالح الخزينة ، أية سفينة تسليح
في رودس من غير الحصول على تصريح بتسليحها من المجلس الاعتيادي . ^(٤) ومقتضى قرار

- | | |
|-----|--|
| (١) | أنظر : Les statuts, Titre 7, P. 76, nom. 32 (St. D'Aubusson) |
| (٢) | أنظر : Les Statuts, Titre 5 , PP. 53-54 nom. 65 (St. ; Fluvian) |
| (٣) | أنظر : Les Statuts, Titre 18, P. 164, nom. 56 (St. : D'Aubusson) |
| (٤) | أنظر : Les Statuts, Titre 18, P. 154, noms. 17, 18, 19 |
| (٥) | أنظر : Les Statuts, Titre 18 , P. 154 , nom. 19 |
| (٦) | أنظر : Les Statuts, Titre 18, P. 154 , nom. 18 |

أخير صدر في عهد السيد الكبير دامبواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) ، أصبح من غير المسموح به
اعطاء مثل هذه التصاريح لرؤساء العدالة ، مثل السينيشال (Seneschal)
وهو رجل العدالة في قصر السيد الكبير - والقسطلان (Chastelain) وهو
رئيس المحكمة التجارية ، ومساعدوهم ، ومديرو أموال الاستتارية ، مثل الخازن دار ، وأمرى
الترسانة ، ومخزن القلال ، والآمرية الصغيرة ، والمدفعية ، وحصل حقوق السيد الكبير
في جزيرة رودس ، والعاملين تحت رئاستهم ، وكذا قباطنة الاغرية ومساعدوهم ، ونص
القرار على أن من يسلح سفنا من هؤلاء الموظفين ، يأسره ، أو يأسر آخرين من الاستتارية
أو من العلمانيين ، يفصل من وظائفه ، وتصادر السفن التي يسلحها ، أو ما يعادل ثمنها
من ثروته ، كما تصدر الغنائم التي تكون هذه السفن قد نهبتها من المسلمين ، ولذلك
لصالح الخزنة ، فيما عدا الغلبت فليبلغ عنها ، أما من تواطأ معه بوضع أسسه زورا على
السفن التي يسلحها ، فهما قب بتهمة الكذب وحنث اليمين ، فغلا عما يناله من ضرر بسبب
المصادرة . (١)

هذا ، وكما كان المجلس الاعلى هو الجهة المختصة باعطاء التصاريح للاستتارية
وغيرهم من سكان رودس ، بتسليح السفن الخاصة لاقتراف أعمال القرصنة ضد المسلمين ،
فقد كان هو أيضا ، منذ عهد السيد الكبير زاكوسنا (١٤٦٦ - ١٤٦٧) ، الجهة
الوحيدة التي لها الحق منح تأشيرات الدخول ، وتصاريح المرور ، في جزيرة رودس ،
للقراصنة الاغراب من غير رعيا الاستتارية . (٢)

Les statuts, Titre 18, P.154, nom. 17

(١) انظر :

Les statuts, Titre 18 , P.155, nom. 21

(٢) انظر :

المجلس الاعتيادي سلطة قضائية :

على أن المجلس الاعتيادي لم يكن مجلس ادارة ورقابة وحكم فحسب ، بل كان أيضا مجلس قضاة وتاديب . وكان المجلس الاعتيادي ، في الواقع ، أحد هيئتين قضائيتين كبيرتين لمحاكمة الاستنارية في رودس ، بخلاف المؤتمر العام ، الذي كان يعقد جلساته في فترات غير منتظمة ، متقاربة أو متباعدة ، سواء في رودس أو في إحدى مدن الشرب بحسب رغبة السيد الكبير أو الباهيا بصفته الرئيس الاعلى لهيئة الاستنارية . أما الهيئة القضائية الثانية ، التي كانت تعمل بجانب المجلس الاعتيادي في مدينة رودس ، فكانت من أجل المحاكمات السريعة وتشكل خصيصا عند كل قضية ، بناء على طلب أطرافها .

وكان محروما على أي استناري أن يقاضي استناري آخر امام سلطة قضائية خارج هيئة الاستنارية ، سواء كانت سلطة مدنية أو سلطة كنسية ، والا عوقب باسقاط اقدميته في عضوية الهيئة ، أو بالفصل من منصبه بحيث لا يعود اليه ، أو يشغل منصبها آخر غيره ، قبل مرور خمس سنوات .^(١)

وكان لكل استناري الحرية في أن يرفع شكواه أمام المجلس الاعتيادي ، أو يطلب محكمة للفصل السريع في هذه الشكوى . ولكن ، بمقتضى قانون سن في عهد السيد الكبير حنا لامتيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) ، أصبح المجلس الاعتيادي هو الهيئة القضائية الوحيدة المختصة بالفصل في الخصومات التي تنشأ بين عضوين من أعضاء هيئة الاستنارية أحدهما فارس والآخر راهب أو من قبلة خدم السلاح .^(٢)

وبمقتضى قانون سن في عهد السيد الكبير أورسيني (١٤٦٧ - ١٤٧٦) ، كان لزاما على كل عضو من أعضاء المجلس الاعتيادي ، أن يقسم ، على الصليب الموضوع ففسوق رداؤه ، قبل البدء في اجراءات المحاكمة ، ألا يقضي أسرار المحاكمة وأن يتقيد ، عند اصدار الاحكام ، بنصوص قوانين هيئة الاستنارية ، وعاداتها الحميدة ، فإذا تصرف أحد

(١) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.78, nom. 41 (St. De Naillac)

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 7, P.71, nom. 15 (St. De Jastic)

حكومية في هيئة الاستشارية ، والتي الحكم الذي اشترك في اصداره . (١)

وقد اُضيف قانون آخر صدر في عهد أورسيني نفسه ، الى ذلك ، بالنص على أن من واجب أعضاء المجلس ، عدم مقاطعة أى من طرفي الخصومة المعروضة أمامهم ، عند ادلائه بأقواله ، أو مراقبته عن نفسه ، وعدم التحيز لواحد منهما ، فإذا شك أحد الطرفين في عدالة عضو من أعضاء المجلس نحوه ، وجه اليه الاتهام بالتحيز ضده صراحة ، وعلى عضو المجلس التمسك ، عندئذ ، أن ينسحب فوراً من مكانه في المجلس ، ولو كان هذا العضو هو السيد الكبير نفسه . (٢)

وفي عهد أورسيني أيضاً ، صدر قانون ثالث ، قضى بضرورة التزام جانب السرية ، عند إعطاء الاصوات بالحكم في الخصومة ، وضرورة أن تجري عملية إعطاء الاصوات نفسها بالطريقة التي تقضى بأن يضع كل عضو بليصة (balotte) في أحد صندوقين ، كتب على أحدهما اسم المتهم ، وعلى الثاني اسم موجه التهمة أو المدعى ، ثم يحصى عدد البليصات الموجودة في كل من الصندوقين ، فمن يوجد منها أنه يحصى عدد اكبر من البليصات لصالح صاحبه . (٣) ومن المعروف أن طريقة وضع البلي في صندوق ، هي الطريقة التي يأخذ بها المجلس للاعتماد ، عادة ، عند قيامه ، أيضاً ، بمهمة الترقية الى مناصب الوكلاء الدينيين ومقدمي الشعب ، والوكلاء المجمعين . (٤)

(١) أنظر :

Les Statuts, Titre 7 , P.69 , nom.3 (St.:Orsini)&

Titre 13 , P.118, nom. 5 (st.:Orsini)

(٢) أنظر :

Les Statuts, Titre 7, P.69, nom. 6

(٣) أنظر :

Les statuts, Titre 7 , P.72, nom.16 (St.:Orsini)

(٤) أنظر :

Les statuts, Titre 13 , P.118, nom 5 (St.:Orsini)

ولما كان أشد ما يحرص عليه أولو الأمر بين الاستتارية ، أن يعدوا أعضاء هيئتهم عن كل ما من شأنه أن يشغلهم عن أداء مهتهم الرئيسية في جزيرة رودس ، وهي التدريس المستمر على استخدام السلاح ، والمسير على حراسة سواحل الجزيرة ، فقد سنوا من القوانين ما يسطر لهم إجراءات التقاضي أمام محكمة المجلس الاعتيادي ، ووقاهم من الاستغراق في مشاكلها . ومن هذه القوانين ، قانونا صدر في عهد السيد الكبير هيرديا (١٢٧٧ - ١٢٩٦) ، ونص على عدم السماح لأي عضو في هيئة الاستتارية ، بأن يرفع قضية أمام المجلس نيابة عن عضو آخر يقيم في دير رودس ، إلا إذا كان هذا العضو الآخر من رضا يعرض بمجزئه عن رفع القضية ، أو إذا كان من أبناء طائفة انجلترا ، أو طائفة ألمانيا ، ولا يحرف أن يعبر إلا بلفظة واحدة الأصلية ، ^(١) علما بأن جميع أعضاء المجلس من الرئيسين والاسنان والايطلين ، فيها عدا اثنين أحدهما انجليزى قائد الخيالة (التركول) ، رئيس طائفة انجلترا ، والثاني هو الوكيل الكبير ، رئيس طائفة ألمانيا .

وفي عهد السيد الكبير زاكوسا (١٤٦١ - ١٤٦٧) ، صدر قانون قضى بأنه إذا دعت الضرورة لحضور وكلاء عن طرفي الخصومة ، أمام المجلس ، فلا يجب أن يزيد عددهم عن وكيلين اثنين من كل من الطرفين ، ويجب أن يكون حضورهم بالترى الطويل بدون أسلحة . ^(٢)

وحول نفس الموضوع صدر قانون في عهد السيد الكبير بطرس دهبسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) جاء فيه أنه إذا وقع نزاع بين أحد الوكلاء الدهريين أو رؤساء الشعب أو الوكلاء المجمعين ، طرفا أول ، وأحد الأمرين أو عضوا عاديا من أعضاء هيئة الاستتارية المقيمين في دير رودس ، طرفا ثان ، وعرض هذا النزاع على المجلس الاعتيادي ، فانه يسمع للطرف الاول أن يوكل عنه وكيلين للترافع عن حقوقه أمام المجلس ، وذلك حتى لا تشغله القضية عن أداء وظائفه الكبرى التي يشغلها في الهيئة . ^(٣)

(١) أنظر : Les statuts, Titre 7, PP. 70-71, nom. 11 (St.: D'Heredia)

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 7, P. 70, nom. 9 (St.: Zacosta)

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 7, P. 71, nom. 13 (St.: D'Aubuson)

على أن وظيفة المجلس الاعتيادى القضائية ، لم تكن قاصرة على خدمة أعضاء هيئة الاستتارية ، ولكنها امتدت أيضا الى خدمة جميع سكان رودس من غير الاستتارية . وقد صدر قانون فى عهد السيد الكبير دى نيلاك ، (١٣٩٦ — ١٤٢١) ، أصبح المجلس الاعتيادى يهتاضه ، يعقد ، فى يوم الجمعة من كل اسبوع ، جلسة عامة ، يحضرها جميع أعضاء المجلس ، والقبطان رئيس المحكمة التجارية ، وقضاة محكمته ، والاسقف ، ونائب حامل الاختام ، للفصل فى الخصومات التى يرفعها اليه العلمانيون ، أى أهالى رودس غير الأعضاء فى هيئة الاستتارية .^(١)

محكمة الفصل السريع فى الخصومات :

هذا فيما يتعلق بالمجلس الاعتيادى كسلطة قضائية . ولكن تكمل الصورة بجدير الحديث عن المحكمة الاخرى التى كان أعضاء هيئة الاستتارية يرفعون اليها قضاياهم^(٢) للفصل فيها ، وهى محكمة الفصل السريع فى الخصومات ، أو محكمة الحق والعدل Esgard كما كانوا يسمونها آنذاك ، وهى خاصة لما كان للمجلس مفتحة أى المجلس الكامل والمجلس الاعتيادى — من دور كبير فى تشكيلها وفى أعمالها .

(١) أنظر (Les statuts, Titre 7, P.77, nom. 35 (St. De Naillae))

(٢) يقترح (mas-latrie III, P.87 note 4) بأن تكون الكلمة مشتقة من الكلمة

اللاتينية (Esguardium) ، وتعنى الاحكام الصادرة بحضور المدعى

والمدعى عليه ، أى بحضور طرفى الخصومة . ولكن يمكننا الرد على ذلك بأن الاحكام

تصدر أيضا فى المجلس الاعتيادى بحضور طرفى الخصومة . وقد جاء فى

(Les Statuts, Titre 19 , P.168 , nom 10).

بأن كلمة " Esgard " ، كلمة فرنسية معناها " الحق والعدل " (Raison

أو " الاحبار " (Consideration) ، أو الاحترام (Respect

وقد دلت منذ القدم على قاضى الاستتارية .

وفي الحقيقة ، لم تكن هذه المحكمة هيئة قضائية دائمة مثل محكمة المجلس الاعيادي
والا كانت محكمة مؤقتة تتشكل بأمر من السيد الكبير والمجلس الاعيادي عند الطلب .^(١)

ولم يكن مباحا ، بمقتضى قانون صدر في عهد السيد الكبير ميريدا (١٣٧٧) —
(١٣٩٦) ، عقد هذا النوع من المحاكم للنظر في خصومة سبق أن فصل فيها المجلس
الاعيادي ، أو أنها قيد بحثه .^(٢)

وبمقتضى قانون آخر ، صدر في عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ — ١٤٥٤)
لم يكن من الجائز لهذه المحكمة الانعقاد للفصل في نزاع بين عضوين من أعضاء هيئة
الاستشارية ، أحدهما ينتمي الى فئة الفرسان ، والثاني ينتمي الى فئة الرهبان أو فئة
خدم السلاح ،^(٣) لأن الجهة الوحيدة المختصة بالفصل في هذا النوع من المنازعات هو
المجلس الاعيادي .^(٤)

وأضاف قانون ثالث ، صدر في عهد السيد الكبير زاكوسا (١٤٦١ — ١٤٦٧) ،
الى ذلك ، بالنسبة الى أن من الضروري ، لصدور أمر انعقاد هذه المحكمة ، عن السيد الكبير
والمجلس الاعيادي ، بمجرد طلبه ، أن يتقدم طرفا الخصومة ، كلاهما ، بهذا الطلب ،
فإذا تقدم به أحدهما ، على حين عارض فيه الآخر ، استلزم الأمر أن يتشاور السيد الكبير
مع المجلس الكامل حول اجابة الطلب أو رفضه .^(٥)

وأخير من قانون في عهد السيد الكبير بطرس دويسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) ،
جاء فيه ، بأن هذه المحكمة ، هي شكت ، لا يجوز لها ، بأي شكل من الاشكال ، أن
تعرض لحقوق الخزانة واميازاتها ، أو لشخص السيد الكبير وسلطاته .^(٦)

(١) أنظر : Les status, Titre 7, P.69, nom. 5 (St.:Zacosta)

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 8 , P.83, nom. 5 (St.:Meredia)

(٣) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.83, nom. 6 (St.:De Lastic)

(٤) أنظر : Les Statuts, Titre 7, P.71, nom. 5 (St.:De Lastic)

(٥) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P.84, nom. 8 (St. : . Zacosta)

(٦) أنظر : Les statuts, Titre 8, pp.83-84, nom.7 (St.D'Aubusson)

وكانت محكمة الفصل السريع في الخصومات تتشكل ، في الاصل ، من رئيس ، ومجلسه السيد الكبير أو المجلس الاعتيادي ، وسن أعضاء بعدد الطوائف القومية التي كانت تتألف منها هيئة الاستنارية - أي من سبعة أعضاء أصبحوا ابتداءً من عام ١٤٦٢ ثمانية - يواقع عضو واحد عن كل طائفة يختاره عبد طائفته الذي يمثلها في المجلس مفتحيه الكامل والاعتيادي فإذا وجد ، عند صدور الأمر بتشكيل هذه المحكمة ، أن إحدى الطوائف لا تضم ، بين أبنائها ، شخصاً كفواً لمعضية المحكمة أختير عضو غير من طائفة أخرى بحيث لا يتقص عدد أعضاء المحكمة عن عدد طوائف الاستنارية بأي حال من الأحوال .^(١)

على أن كان من المسموح به لأي من طرفي الخصومة أن يرفض حكم هذه المحكمة ، ويطلب عقد ما كان يطلق عليه اسم التعزيز (Le renfort) الذي كان يتضاعف فيه عدد أعضاء المحكمة بحيث يصبح عضوين عن كل طائفة مع بقا الرئيس الأول بدون تغيير ، وإذا لم يرض عن الحكم الصادر عن التعزيز أمكنه أن يطلب عرض القضية على ما كان يعرف باسم تعزيز التعزيز (Le renfort du renfort) ، الذي كان يرتفع فيه عدد أعضاء المحكمة إلى ثلاثة أعضاء عن كل طائفة ، مع عدم تغيير الرئيس الأول ، فإذا رفض ، بعد ذلك ، النزول على حكم تعزيز التعزيز ، لم يبق أمامه ، عندئذ ، إلا أن يطلب رفع

القضية إلى محكمة الوكلاء للفصل السريع في الخصومات (l'Esgards des Baillifs) فحكمها لهاش ويات . وكانت محكمة الوكلاء للفصل السريع في الخصومات ، تتشكل من الوكلاء الدبريين ، أي من رؤساء الطوائف ، أو من نوابهم ، في حال عدم تواجدهم ، مضافاً إليهم رئيس المحاكم الثلاثة التي فصلت في الخصومة قبل تشكيل محكمة الوكلاء - وهي محاكم الدرجة الاولى ، والتعزيز ، وتعزيز التعزيز - سواء كان هذا الرئيس من فئة الوكلاء الدبريين ،

(١) Les statuts, Titre 8, P.81, nom. I (coutume) & P.84 nom 9 (St.:Orsini).

وهو ما كان يحدث عادة في حالة ما اذا كان أحد طرفي النزاع من هذه الفئة ، أو من فئة غيرها ، على أن تكون عضويته قاصرة على الادلاء بمصره فقط من غير أن يشترك في المداولة. أما عن رئيس محكمة الوكلاء ، فقد كان يعينه السيد الكبير من فئة الوكلاء الدبريين أو رؤساء الشعب ، وكان أحيانا يختار لهذا المنصب رئيس الكنيسة . ولكن اذا وقع اختياره على وكيل دبري تحتم على هذا الوكيل أن يختار واحدا من أقدم أبناء الطائفة التي يرأسها ليحل محله في عضوية المحكمة . (١)

وفي الواقع ، لم يكن مباحا تشكيل محكمة الوكلاء للفصل السريع في الخصومات ، بقصد النظر في شكوى مقدمة من استتاري ضد استتاري آخر ، فهل أن تكون هذه الشكوى قد فصل فيها بالفعل أمام محاكم أول درجة ، والتعزير ، وتعزير التعزير ، على التوالي ، إلا في حالة ما اذا كان هذا الاستتاري الذي قدم الشكوى هو السيد الكبير أو نائبه . وكان السيد الكبير ، في هذه الحالة ، بالرغم من كونه موجبا للتهمة ، يملك سلطة تعيين رئيس محكمة الوكلاء التي تتشكل للفصل في شكواه ، ولكن اذا ثارت ضد هذا التعيين معارضة من جانب المشكوف في حقه ، تولى المارشال مهمة اختيار رئيس آخر للمحكمة .

أما اذا كانت الشكوى مقدمة من أحد الوكلاء الدبريين ، فتتشكل للفصل فيها محكمة للفصل السريع في الخصومات من أول درجة ، أي موافقة من أعضاء يحدد الطوائف القومية التي تتشكل منها هيئة الاستتارية برئاسة وكيل دبري يختاره السيد الكبير ، على أن يكون حكمها باتونهاشي وجب تنفيذه شأنها ، في ذلك ، شأن محكمة الوكلاء . (٢)

(١) أنظر : Les Statuts, Titre 8, PP.81-82 , nom. I (Coutume)

(٢) أنظر : Les Statuts, Tite 8 , P.83, nom. 2 (Coutume)

وسببها يكن من أمر تشكيل محاكم الفصل السريع في الخصومات ، على اختلاف درجاتها فقد كانت تماثلها في إجراءات التقاضي أمامها تتم بصورة مبسطة وخالية من التعقيد ، حتى تحقق الفرض الرئسي الذي أنشئت من أجله ، وهو سرعة الفصل في الخصومات المعروضة عليها . ومن أمثلة هذه الإجراءات ، أنه كان من اللازم على طرفي الخصومة ، وكذا من يأتيان بهم من شهود ، أن يدلوا بأقوالهم مختصرة ومشافهة من غير تقديم مذكرات أو إيضاحات مكتوبة لها .^(١)

ولعل هذه الأمثلة بالذات من الإجراءات ، بالإضافة الى عدم اختصاص هذا النوع من المحاكم بالنظر في شكاوى أخرى غير الشكاوى المرفوعة من أعضاء هيئة الاستشارة ، بعضهم ضد البعض الآخر ، هو ما دعا أمولا الأعضاء الى أن يطلقوا عليه - أي على هذا النوع من المحاكم - اسم " عدالة بيت " (une justice de maison)^(٢) وهو أيضا ما يميزه عن محكمة المجلس الاتحادي .

على أن هناك اجراء آخر يؤدي الى نفس الفرض ، أي الى سرعة الفصل في الخصومات كان يتخذ في هذه المحاكم بدرجاتها الثلاث ، ولكن كان يتخذ أيضا في محكمة المجلس الاتحادي ، وهو عدم السماح بحضور وكلاء للترافع أمامها ، عن أي من طرفي الخصومة الا اذا كان هذا الطرف مريضا أو متغيبا عن دير رودس^(٣) أو شاغلا لوظيفة من وظائف الوكلاء الديريين ، أو رؤساء الشعب ، أو الوكلاء المجمعين ، وعلى الا يزيد عدد الوكلاء الذين ينيبهم عنه عن اثنين .^{(٤) (٥)}

وفيما يتعلق بأسلوب اصدار الاحكام في هذا النوع من المحاكم ، كان لكل عضو في المحكمة ، بما فيهم رئيس المحكمة ، صوت واحد . وكان الادلاء بالاصوات يتم بأنفسهم

-
- | | |
|---|------------|
| Les Statuts, Titre 8, PP.81-82 nom. I (Coutume) | (١) أنظر : |
| Les Statuts, Titre 8 , P.82, nom. I (Coutume) | (٢) أنظر : |
| Les Statuts, Titre 8, P.82 nom. I (Coutume) | (٣) أنظر : |
| Les statuts, Titre 7, P.71, nom. 13 (St.: D'Aubusson) | (٤) أنظر : |
| Les statuts, Titre 7, P.70, nom. 9 (St.: Zacosta) | (٥) أنظر : |

الطريقة التي كان يحمل بها في محكمة المجلس الاعلى ، وتقضى بأن يضع كل عضو يديه
في أحد صندوقين صغيرين يحمل أحدهما اسم موجه التهمة ويحمل الآخر اسم القسم ، ثم
يحصى عدد ما وضع في كل من الصندوقين من هليات ، فمن يتضح أنه يحتوى على عدد
أكبر من الهليات حكم لصالح صاحبه ، الا في حالة صدور الحكم عن محكمة الوكلاء حيث كان
يضاف ، الى عدد الهليات الذي يحصل عليه كل من طرفي الخصومة ، عدد ما أحرزه من
هليات في المحاكم الثلاث التي فصلت في الخصومة قبل محكمة الوكلاء ، وهي محاكم أول ،
(١)

درجة والتعزير ، ومميز التميز .

وليس من شك في أن الاستتارية لم يأخذوا بهذا الأسلوب لإصدار الأحكام في محاكم
الفصل السريع في الخصومات ، الا كوسيلة لضمان عدالة هذه الأحكام . ومن وسائلهم
الآخرى لبلوغ هذا الهدف نفسه ما نص عليه القانون الذي صدر في عهد السيد الكبير
زاكوستا (١٤٦٦ - ١٤٦٧) من أن رئيس أعضاء هذا النوع من المحاكم ، بدرجاته
الثلاث ، ملزمون بأن يقسموا ، قبل البدء في إجراءات المحاكمة ، بأن يحكموا بالعدل ،
وبأن لا يفسدوا أسرار المحاكمة ، فإلا صدر عن أحدهم ما من شأنه أن ينقض هذا القسم ،
عوقب بحرمانه ، حتى مماته ، من تبوء أية وظيفة من وظائف هيئة الاستتارية ، نهما فيها ،
وظائف الأمرين في الشعب .^(٢) بأوروسا .

(١) أنظر : Les statuts, Titre 8, PP. 81-82, nom. I (Coutume)

(٢) أنظر : Les statuts, Titre 8, P. 85, nom. 11 (St.: Zacosta)

يضاف الى ذلك ما جاء في قانون صدر في عهد السيد الكبير أورسيني (١٤٦٧ —
١٤٧٩) ، خليفة زاكوسكا ، من أن رئيس المحكمة ملزم بمنع أعضاء محكمة من مقاطعة أى من
طرفى الخصومة ، أثناء ادلائهم بأقواله ، بالقول أو بالفعل ،^(١) وما نص عليه قانون آخر ،
صدر في عهد أورسيني نفسه ، من أن عضو المحكمة ، الذى يعلن أحد طرفى النزاع
شكه فى نزاهته وتحيزه لخصمه ، يجب أن يتسحب من المحكمة قورا ،^(٢) وهين عضو آخر
يبدل عنه .

(١) أنظر (St.:Orsini) nom. 10 (St.:Orsini) PP. 84-85, Titre 8, Les statuts,

(٢) أنظر : Les Statuts, Titre 8, P. 84 nom. 9 (St.:Orsini).

الفصل الرابع

العلاقات بين الاستنارة فسي رويس

والقوى المسيحية في إيطاليا وشرق البحر المتوسط

الفصل الرابع

العلاقات بين الاستتارية في رومس
والقوى المسيحية في ايطاليا وشرق البحر المتوسط

- العلاقات بين الاستتارية في رومس والهاجرة في اثيسيون اويوما
 - العلاقات بين الاستتارية وآل لوزجنان في قيسيرس
 - العلاقات بين الاستتارية وجمهوريات البندقية
-

ارتبط الاستنارية في رودس بعلاقات قوية واضحة بكل من البابوية في أفنيون أو روما

وبين لوزنجان في قبرص ، فضلا عن البلد قبيضي ايطاليا .

البابوية :

أما عن علاقة الاستنارية بالبابوية فكانت عضوية بحكم المركز الذي كان يتمتع به البابا كراع ورئيس أعلى لهيئة الاستنارية . وقد جرت العادة ، منذ أن أصدر البابا بامسكال الثاني (Pascal II, 1099-1118) في ١٥ فبراير عام ١١١٣ ، منشوره الذي نهى البابا بمقتضاه هذا المركز ، على أن يرسل السيد الكبير للاستنارية ، بمجرد أن يستأخذه للمنتصب عن طريق المؤتمر الاستناري العام ، سفارة خاصة إلى البابا للحصول على موافقه على هذا الانتخاب ، وتقديم شروط الطاعة والولاء له ، فضلا عن تقديم بعض الهدايا الثمينة والجواهر له وللكرادلة أعضاء مجمعه المقدس .^(١) ومن ناحية أخرى كان كل بابا جديد يرسل عند توليته منشورا بابويا إلى السيد الكبير للاستنارية يبلغه فيه بشأ هذه التولية وعرب له في الوقت نفسه عن حسن نواياه نحوه وهيئة الاستنارية التي يرأسها .^(٢) وكان السيد الكبير للاستنارية يرسل عندئذ على البابا برسالة وقد من كبار الاستنارية لهيئته وتأكيد واجب الطاعة والولاء له . فضلا عن ذلك كان البابا الجهة الوحيدة التي يتقدم إليها السيد الكبير للاستنارية باستقالته ، علما بأن ذلك لم يحدث في تاريخ الاستنارية في جزيرة رودس سوى مرتين : أولاها - حين قدم السيد الكبير جوزون - ثالث رئيس للاستنارية في رودس - استقالته للبابا انوسنت السادس في عام ١٣٥٣ ، وقبلها هذا

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.150,-151

(٢) أنظر : Pauli II, num. CXXX, PP.155-156 & num. CXLIX, P.177; Bouhours, pp. 150-151.

البابا بعد أن أصر جوزون عليها ،^(١) والثانية عندما قدم ريموند بيرنجر — سادس السادة الكهار في رودس — استقالته للبابا جريجورى الحادى عشر فى عام ١٣٧٢ ولكن البابا رفضها .^(٢) هذا الى جانب ما كان يتمتع به البابا من سلطات فى حكم هيئة الاستتارية مثل سلطات اجراء التحقيق لمعرفة أسبابا قد يتسرب الى الهيئة من فساد ، والدعوة الى عقد المومتمرات العامة للاستتارية فى الجهة التى يريد ها مع التصديق على القرارات التى تصدرها هذه المومتمرات لتصبح قوانينا دستورية للاستتارية ، واصدار قرارات الحرامان ضد مقدمى الشعب (Priours) وأمرى الآمرات (Commandeurs) المتوردين على السلطة المركزية فى رودس ، ودعوة فرسان الاستتارية المقيمين فى الشعب المختلفة بالسفر الى جزيرة رودس للدفاع عنها كلما احتاج الامر الى ذلك ، يضاف الى ذلك كله أن بعض البابوات اعتقد بأن من سلطته تعيين مقدمى الشعب ، غير أن مجلس الاستتارية لم يكف عن الاحتجاج بأن هذا الامر من سلطاته الخاصة بمقتضى قوانين هيئة الاستتارية التى صدق عليها البابوات الى أن اعترفت له البابوية بهذه السلطة بعد وقت طويل من النزاع بينهما جوله .

وفى الحقيقة كان البابوات — عندما كان مركز هيئة الاستتارية فى الشام حتى عام ١٢٩١ ، ثم فى جزيرة قبرص ابتداءً من عام ١٢٩١ وحتى عام ١٣١٠ على أكثر تقدير — يحرصون على ألا يتدخلوا كثيرا فى الشؤون الداخلية لهذه الهيئة ، وكان تدخلهم محصورا فى أمور محددة خارج نطاق السلطات الادارية التى كان السيد الكبير ومجلسه يعتمدان فيها بالاستقلال الادارى الكامل ، اللهم الا فى عهد البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ — ١٣١٤) الذى مارس نوعا من الضغط على الاستتارية على شكل توصيات تقدم بها لمجلس ادارتهم تقضى بتعيين مرشحين مقبولين لديه فى مناصب الهيئة .^(٣)

(١) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 112; Vertot II pp. 221-222.

(٢) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 173. ; Pauli II,

Dipl. XV, giunt, P. 407.

De Le Roulx: Op. Cit., pp. 25-26 .

(٣) انظر :

غير أن الأمر تغير عندما انتقل مركز الهيئة إلى جزيرة رودس . وفي بداية عهد الاستتارية بهذه الجزيرة وقع من الأحداث ما دعا إلى زيادة تدخل البابا في شئون الهيئة بل وفي صميم اختصاصات السيد الكبير نفسه . وأهم هذه الأحداث حل هيئة الدائمة وصدر قرار البابا كليمنت الخامس في ٢ مايو عام ١٣١٢ بتحويل أملاك هذه الهيئة إلى هيئة الاستتارية . فبعد مرور عام واحد من صدور هذا القرار - وعلى وجه التحديد في ٢٩ مايو سنة ١٣١٣ - أصدر البابا كليمنت الخامس قراراً جديداً حرم فيه على السيد الكبير للاستتارية الموافقة على أي تصرف في أملاك هيئة الاستتارية (١) . وبعد خمسة أعوام أخرى = أي في ٢٩ مايو عام ١٣١٨ - أصدر البابا حنن الثاني والعشرون (٧ أغسطس ١٣١٦ - ٤ ديسمبر ١٣٣٤) - خليفة كليمنت الخامس - قراراً بمن صراحة على عدم التصرف في الأراضي أو العقارات المملوكة لهيئة الاستتارية ، ولو بالتنازل عن بعضها على هيئة حكر دائم ، إلا بعد الحصول على إذن صريح بذلك من البابا . وفي نفس الوقت أصدر البابا أوامره إلى أساقفته في سائر الدول المسيحية الخاضعة لرياسته بإلغاء جميع صفقات البيع والرهن والحكر التي تمت قبل صدور هذا القرار (٢) .

(١) أنظر . De Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 20-21; De naberat .

P. 56

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 21; De naberat, P. 57.

وقد أخذ السادة الكبار منذ ذلك الحين يصدرون بين الغيبة والآخرى القرارات التي يحرمون فيها على رؤساء هيئات الاستتارية أن يتصرفوا في الأراضي والعقارات التابعة للهيئات التي يدبرونها إلا بعد الحصول على إذن السيد الكبير والموافقة العامة (أرجع إلى :

Les statit., Titre 14 , P. 134, n. 53 & Titre 16 PP. 143 - 144
noms. 7, 8, 9

وذلك ولا شك حتى يمكنها الاتصال بالبابا واخذ التصريح منه قبل إعطاء هذا الإذن .

وهكذا اتخذت البابوية من قرارها بتحويل هيئة الاستبارية أملاك الداوية ذريعة لتجريد مقدمى هذه الهيئة لحساب البابا من سلطة التصرف فيها تحت يدها من أملاك أصلية أو موروثة عن الداوية بحجة الرغبة فى المحافظة على هذه الاملاك للهيئة . على أن تسلم الاستبارية لارث الداوية من حكام أوروبا الطامعين فى هذا الارث لم يتحقق فى الواقع الا بفضل تدخل البابا كليمنت الخامس ، ومن بعده البابا حنانيا الثانى والعشرين ، لدى هؤلاء الحكام لصالح الاستبارية . ولقد قهر البابا حنانيا الثانى والعشرون الثمن من وراء هذا التدخل على شكل أنصبة من أملاك الداوية المنقولة حصل عليها من بعض الحكام وخاصة من ملكى فرنسا وناپلى ، مقابل السماح لكل منهم بالاحتفاظ لنفسه ببعض ما يطمح فيه من الارث وصلىم الباقي للاستبارية ^(١) . ولكن الاهم من ذلك أن هذا البابا اتهم فرصة حاجة هيئة الاستبارية اليه لى يتمكن من وضع يدها على ارث الداوية - الى جانب حاجتها الى قرارات البابوية التى تتيح لها التصرف فى بعض املاكها بالبيع أو الرهن بما يساعد على الخروج من أزمتها المالية التى وضعها فيها موج تدبير أول سيد كبير لها فى رودس ، فولك دي قبلاريه ، وحاجتها الى أن يستخدم نفوذه لدى مقدمى الشعب لى يدفعوا الضرائب الامتناعية التى كان من الضروري فرضها على شعوبهم للفرش نفسه - ^(٢) فأدار شئونها بمثابة رئيس حقيقى لها ، مع حرصه على أخذ رأى السيد الكبير هليون دي قبلينيف ، فيما يصدر عنه من قرارات وخاصة فيما يتعلق بالتصرف فى املاك الهيئة بالبيع أو المقايضة ^(٣) . ولقد أدرك حكام أوروبا وأمرأ الاقطاع فيها هذه الحقيقة ، فأنصلوا مباشرة بالبابا حنانيا الثانى والعشرين ، وليس بالسيد الكبير دي قبلينيف ، لقضاء حاجاتهم

Vértot II, PP.147-148

D. de Roulx: Les Hospit. à Rh., pp.22-23.

Ibid : Op. Cit., P.26

Ibid:op. Cit., PP.61-65

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

لدى الهيمنة ، علما بأن اعرابهم له عن رغباتهم فى مقايضة بعض ما يملكون من اراضى وعقارات بغيرها من املاك الداوية التى ورثها الاسبتارية ،^(١) ولطلب الذى تقدم له به ملك انجلترا - ادوارد الثانى - فى بداية عام ١٣٢٨ ،^(٢) ثم عززه فى ٣ مارس عام ١٣٢٩^(٣) لاعفاء مقدم شعبة انجلترا المدعو توماس النبل ، (Thomas the Archer) من منصبه لكبر سنه وتعيين الفارس الاسبتارى ليونارد وشيرتلى عوضا عنه فى هذا المنصب ، لم يكن سوى امثلة على ذلك .

هذا ، وهناك حدث آخر وقع فى اوائل عهد الاسبتارية بجزيرة رودس وساعد بدوره على زيادة تدخل البابا فى شئون الاسبتارية هو انقسام الاسبتارية على انفسهم فى عهد اول سيد كبير لهم فى هذه الجزيرة فولك دى فيلاربه ، ولعل اهم مظاهر التدخل البابوى نتيجة هذا الحادث - الى جانب محاكمة فولك وارغامه على الاستقالة - قيام البابا حنا الثانى والعشرين بتقديم التوصية للمؤتمر الاسبتارى العام ، الذى انعقد فى قصره بعد استقالة فولك ، بانتخاب هليون دى فيلينيف سيدا كبيرا جديدا للهيمنة^(٤) ، وهو

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP.22-23

(٢) انظر : Ibid: Op. Cit., P.69

(٣) انظر : Pauli II, P.79 num. LXI

(٤) انظر : Vertot II, P.175

لم يلبث دى فيلينيف أن رد الجميل للبابا حنا الثانى والعشرين ، فباع له فى ٢٠ نوفمبر عام ١٣٢٠ المنازل والارضى التى ورثها الاسبتارية عن الداوية فى مدينة كاهور Cahors الفرنسية وجاوراتها ، وأراد البابا أن تقنيها أسرته التى تستوطن هذه المدينة ليرفع عن طريقها من قدرها الاجتماعى المتواضع .

(انظر : De. Le Roulx: Les Hops. à Rh., P.59; Vertot II, P.176

هذا فضلا عن العديد من المقايضات فى الاراضى والعقارات التى اجراها فيلينيف مع أبناء واخوة هذا البابا .

(انظر : D. Le Roulx: Op. Cit., PP.59 - 60.

أمر لم يكن يحدث من قبل عند انتخاب السادة الكبار للاستتارية .

ومهما يكن من أمر زياد قد دخل البابا كليمنت الخامس ومن بعده خليفة حننا الثاني والعشرين في شؤون هيئة الاستتارية ، وعوامل هذه الزيادة ، فقد أدى هذان البابوان للاستتارية خدمات جليلة ليس ضم أملاك الداوية لهم ، ومساعدتهم على وضع يدهم على هذه الأملاك ، وعلى الخروج من الضائقة المالية التي ورطهم فيها السيد الكبير فولك دي قيلارية سوى بعضها منها .

ومن الأمثلة على الخدمات الأخرى التي أداها البابا حننا الثاني والعشرون — على وجه الخصوص — للاستتارية أنه قام في ١٣ يونيو عام ١٣١٧ بمنحهم دهرين ، بجميع ملحقاتهما من كنائس وقلاع وضياح ومنازل ، في إيطاليا .^(١) وفي ٢٩ سبتمبر عام ١٣١٩ أصدر البابا حننا الثاني والعشرون منشورا بابويا صدق فيه على جميع الامتيازات التي منحها من سبقه من البابوات لهيئة الاستتارية منذ تأسيسها في الشام في أوائل القرن الثاني عشر ، وفي مقدمتها إعفاؤهم من دفع ضريبة العشور الكنسية وسائر الضرائب التي اعتادت الكنيسة الكاثوليكية جمعها للأغراض الدينية على شكل رسوم أو تبرعات ،^(٢) علما بأن جميع البابوات الذين جاؤا بعد حننا الثاني والعشرين ، وحتى نهاية عهد هيئة الاستتارية بجزيرة رودس ، ما أن كان الواحد منهم يعتلي كرسى البابوية حتى يبادر بالتصديق على الامتيازات العامة القديمة لهيئة الاستتارية ، وعلى امتياز إعفاء هذه الهيئة من دفع ضريبة العشور الكنسية ، في منشور بابوي واحد أو في منشورين .^(٣) كما أن هذا البابا تنازل لهيئة الاستتارية في ١٤ مايو عام ١٣٢٠ عن كنيتين مركزيتين في مقاطعة

(١) أنظر :

Pauli II, PP. 58-59, num. XXXIX, D. Le Roulx:

les Hosp. à Rh., F. 25.

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., pp. 20, 57 ; De naberat,

PP. 57-58.

(٣) أنظر :

De naberat pp. 55-81.

لنكولن Lincolne بإنجلترا ، ^(١) وأصدر منشورا بها في ٨ مايو عام ١٢٢٢ أعلن

(٢)

فيه تكفل الكرسي البابوي بحماية هذه الهيئة من المراهبين والغشاشين والمفتصبين .

والواقع ان عهد البابا حنن الثاني والعشرين تميز بكثرة الطامعين في املك الهيئة
الاستبارية ليس من الحكام وأمراء الاقطاع فحسب ولكن أيضا من بعض فرسان الاستبارية
أنفسهم ، الامر الذي استلزم التدخل من جانب البابا مرات عديدة لكي تعود لهذه
الهيئة املكها المفتصة وبخاصة في أيرريا واسكندناوه وإيطاليا .

ومن الامثلة على تدخل البابا حنن الثاني والعشرين ضد أطماع بعض فرسان
الاستبارية وغيرهم من الافراد في أيرريا أنه طلب في ١٢ أغسطس عام ١٢١٧ من كل من
ملك ارغونه جيم الثاني Jaine II ، وملك صقلية مانفري Sanche ورئيس
أساقفة تاراغونه Tarragone في أسبانيا ، بالقبض على مقدم شعبة (قسطنطين)

أمبوستا المدعو ريموند دي لامبوردان Raymond de Lampourdan

لأنه قد رفض ، بالرغم من فصله من منصبه منذ عام ١٢١٤ ويصدر قرار بابوي في ذلك الحين
بحرمائه ، أن يتنازل عن الشعب للفارس الاستباري الذي عينته حكومة رودس مقدما لهذه

الشعبه خلفا له — وهو الفارس مارتين بيريز د'وروز martin Perez d'Cros

واستخدم القوة في الاحتفاظ بها لنفسه . وفي أول سبتمبر عام ١٢١٨ اضطرب البابا حنن
الثاني والعشرون الى اصدار قرار الحرمان ضد فارس استباري اسمه لوب دي لارو Loup de
لأنه خلع رداء هيئة الاستبارية وقاد فرقة مسلحة وأعدى بها على املك الهيئة في قشتالة .
ولم يلبث البابا أن أصدر في ٢٥ يولييه عام ١٢١٩ قرارا آخر بالحرمان ضد فارس قشتالي

اسمه ألفارو نويفوريز alvaro nunofores أحرق مدينة بوفيدا Boveda

المملوكة للاستبارية في مملكة قشتالة بعد ثلاث سنوات — وعلى وجد التحديد في

Pauli II, PP. 74-75 num. LVII

(١) أنظر :

De Naberat P. 58.

(٢) أنظر :

١٧ أبريل عام ١٢٢٢ - وضع هذا البابا أهالي مدينة اشبيلية بمملكة قشتالة تحت قرار
الحرمان لانهم رفضوا أن يسلموا للاستتارية حصنا في مديتهم - يقال له حصن فريجينا
Fregenal ورثه الاستتارية عن الداوية ، ولم يرفع عنهم قرار الحرمان الا في عام
١٢٣٥ بعد أن وافقوا على شراء الحصن من الاستتارية . وحدث في خلال تلك الاثنا
أن ثمرد مقدم شعبة أميوسنا ، ريموند دي لامبوردان - وكان قد أغنى عنه وأعيد الي
منصبه - مرة أخرى ، فاضطر البابا حنا الثاني والعشرون الى أن يطلب من ملك أرغونة
الفونسو الرابع ، في ١٤ مارس عام ١٢٣١ ، أن يرغمه على العودة الى الطاعة . وكان
السيد الكبير دي قيليئيف قد فصل في العام السابق (عام ١٢٣٠) الدعوات الى
دي ألوزيو Arnal de alosio ، مقدم شعبة قطلونيا من منصبه لعدم
كفايته وتمرد على أوامر حكومة رودس ، غير أن هذا الفارس الاستتاري رفض قرار الفصل
واحتفظ بالشعبة لنفسه بتأييد من الملك الارغوني الفونسو الرابع . وكان أن أصدر البابا
حنا الثاني والعشرون قرار الحرمان ضد الفارس الثمرد ، ثم أرسل الى الملك الفونسو
الرابع ، في ٢٠ نوفمبر عام ١٢٣١ رسالة يطلب فيها منه أن يتخلو عن تأييد هذا الفارس
ويرشح فارسا استتاريا غيره للمنصب . على أن البابا لم يلبث أن أرسل رسالة أخرى الى
ملك أرغونة في ٢٤ فبراير عام ١٢٣٢ يطلب فيها منه الموافقة على تعيين الفارس الاستتاري
أرنال دولموز Arnal d'olmos مقدما لشعبة قطلونيا . أما الفارس الثمرد
ألوزيو فقد قدم للمحاكمة في ١٩ يونيو عام ١٢٣٢ بأمر البابا حنا الثاني والعشرين . ولكن
البابا نفسه عاد في ٢١ يونيو عام ١٢٣٢ وكتب يتشفع له عند السيد الكبير دي قيليئيف
ما يدل على أنه يراه أو أراد أن يعفو عنه .

وفيما يتعلق بموقف البابا حنا الثاني والعشرين من أطماع حكام إيبيريا أنفسهم
فانه أرسل في عام ١٢٢٦ يطلب من الأخير بطرس ، ابن ملك أرغونة جيم الثاني (tome II
المنزل أعلاه في مدينة أشتيون لتبرئة نفسه من تهمة اغتصاب أملاك الاستتارية في إمارة
لامبوردان Lampourdan . غير أن الملك جيم الثاني رفض أن يلبى اهتبه

طلب المأوى ، وأرسل سفراءه لمحاولة اقناع ولايا البايبا ومندوبي الاسبتارية بمقعد اتفاقهم مع
الملك تلص على بيع أملاك الاسبتارية في كل من إمارة لامبورديان وإمارة القديس استبان من
باز (S. Esteban of Bas) للامير بطريرك * وبالرغم من
أن المفاوضات بين الطرفين حول هذا الامر قد امتدت حتى عام ١٣٢٤ إلا أنها انتهت في
أغلب الظن الى فشل * وفي خلال تلك الاثناء تدخل البايبا حنا الثاني والعشرون لدى
ملك البرتغال ألفونسو الرابع (١٣٢٥ - ١٣٥٧) ثلاث مرات على الاقل - الاولى في
٥ سبتمبر عام ١٣٢٦ ، والثانية في أول أغسطس عام ١٣٢٧ ، والثالثة في أول يولييه عام
١٣٣٠ - لكي يفرج عن دخل شعبة الاسبتارية في ملكته البرتغال الذي كان قد حصل
دون خروجه الى رودس ، كما تدخل لدى هذا الملك مرة رابعة في ٢٨ مايو عام ١٣٣٣ ،
لمنعه من اصدار قرار مماثل يحرم خروج دخل شعبة الاسبتارية في ملكة أرغونه - التي تولي
عليها الملك أيضا الى جانب البرتغال في الفترة الواقعة بين عامي ١٣٢٧ ، ١٣٣٦ -
الى جزيرة رودس * (١)

وإذا انتقلنا من ايريا الى اسكندناوه نجد أن البايبا حنا الثاني والعشرين شغل
ابتداءً من عام ١٣٢٠ في محاولة اقناع كل من ملك النرويج هاكون السابع Hakon VII
الذي طرد الاسبتارية من ملكه لانهم رفضوا مقايضة أملاكهم في هذه المملكة بما يقابلها من
أملاكه في الدانمرك ، وملك الدانمرك اريك الثامن Eric VIII - الذي اغتصب
جانباً من أملاك الاسبتارية في ملكه - ثم خليفة مكرستوف الثاني Christophe II

D. Le Roulx: Les hosp. à Rh., pp. 64-68.

(١) أنظر :

(* *) بخصوص تولية الفرنسي الرابع ملك البرتغال على أرغونه أيضا أنظر :

Trevor/ Rome, P. 246.

الذى رفض أن يعيد هذه الاملاك المقتضية لاصحابها — بأن يرد للاستتارية حقوقهم التى
اعتدى عليها . غير أننا لا نعرف فى الواقع ما انتهت اليه هذه المحاولات من نتائج .^(١)

وفى ايطاليا احتاج الامر الى تدخل اكبر من جانب البابا حنا الثانى والعشرين
لصالح الاستتارية ، كما أن هذا التدخل اصاب توقفا اكبر . ففيها يتعلق باقليم تسكانيا
اضطر هذا البابا الى أن يصدر فى ٢٢ يناير عام ١٣٢٦ منشورا يهبها يوصى فيه أهالى
مدن فلورنسا وبيز وقيتره (viterbe) وأورثينو (orvieto) خيرا بشعبة
الاستتارية فى بيتره ومقدمها حنا ريفارا Jean de Rivara . وإلى جانب ذلك
تدخل البابا مرتين — احدهما فى ٢٥ يناير عام ١٣٢٧ والثانية فى ٤ يناير عام ١٣٢١ —
من أجل استعادة قصر الاستتارية فى مدينة فلورنسا يقال له قصر القبر المقدس بفلورنسا .
اغتصب منهم فارس فلورنسى اسمه روبيير (Jean pini de Rubeis) ، كما تدخل
فى ١٦ أبريل عام ١٣٣٤ بهدف طرد فارس استتارى اسمه كاستليونى Pietro Lamberti
di Castiglione من قصر اغتصبه من الهيئة التى ينتمى اليها اسمه قصر القديس اچيديو
(S. Egidio di colle) . وفيها يتعلق بولايات الكليم قد دخل البابا حنا الثانى
والعشرون فى ١٣ يناير عام ١٣٢٩ بمنامة احداً أهالى مدينة بيان ديكاربينه
Pian di Carpine على الاستتارية المقيمين فى مدينتهم ، وفى ٦ فبراير عام ١٣٣١
لحماية الاستتارية من دفع ضريبة العشور على الفواكه والنبيذ التى طالبتهم بها المجالس
البلدية فى مدينتى بيان ديكاربينه ومونتيكولونيا montecolognona

(١) انظر : D. Le Roulx; Les Hosp. à Rh., P.70

لا بد وأن الاستتارية عادوا الى الترويج بعد ذلك حيث أن العهد الكبير جسوزون
أرسل اليهم فى أغسطس ١٣٤٧ بطلب منهم ضرورة ارسال نصيب رودس من دخل
الاملاك التى يدبرونها فى مملكة الترويج .

انظر :

Pauli II, PP.90-91 num. LXXII.

وفيها يتعلق بمملكة نابلج أصدر هذا البابا في ٢١ يولييه عام ١٣٢٩ منشورا بابويا يقضى بأن

يُرد الى هيئة الاستنارية بعض الاملاك التي ضمت ظلما لاسقفية القديس جرمانو germano

كما أصدر في ٢ ديسمبر من نفس العام منشورا طلب فيه من أهالي مدينة بويانو Boiano

أن يعلموا الاستنارية جنتان فارس استناري اسمه ديجن (Pierre Raymond de Penne

قتل ومثل به في تمرد شعبي وقع في هذه المدينة ، وأن يصلحوا الاضرار التي لحقت بأمالك

الاستنارية بسبب أعمال التخريب التي اقترنت بهذا التمرد ، هذا الى جانب أن البابا حنا

الثاني والعشرين اضطر في ١٤ مارس عام ١٣٣٤ الى أن يرسل خطابا الى الملك رهبوتو

بذكره فيه بضرورة احترام حقوق وامتيازات هيئة الاستنارية في مملكته .^(١)

ونرى أن نذكر فيما يتعلق بالعلاقة بين الاستنارية والبابا حنا الثاني والعشرين أن

هذا البابا كان يتخذ من بعض كبار الاستنارية مستشارين له أو نوابا عنه في قضاء بعض المهام

السياسية العامة المتعلقة بالكرسي البابوي . وكان على رأس هؤلاء السيد الكبير هليسون

دي قهليتيك نفسه الذي كلفه البابا في ٢٢ يولييه عام ١٣٢٦ بأن يقوم ، جنبها الى جنب مع

رئيس أساقفة تولوز ، بدور الوساطة في النزاع القائم ^(*) وذلك بين أربعة من أمراء الاقطاع

على تخطيط الحدود بين أملاكهم في امارة قينا الواقعة على نهر الون بفرنسا ، ونرى

٢١ مارس عام ١٣٣٠ بأن يقوم — بالاشتراك مع رئيس أساقفة امبرن Embrum

بالتوسط في النزاع المحدث بين أسقف فالنس .

وأخير يونانيه ، وفي ١٦ أكتوبر عام ١٣٣٠ ، ثم في ٢٤ أبريل عام ١٣٣١ بقضاء مهام

سياسية تخص البابا لدى ملك فرنسا فيليب السادس ^(٢) دي قالوا . ومن الاستنارية الآخرين

الذين أدوا مهام سياسية للبابا حنا الثاني والعشرين بطرس أو ليجل Pierre de l'ongl

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 76-77

(**) هم : جاي الثامن أمير قينا ، ادوارد أمير ساثوي ، هنري أسقف metz

، أمير مونتوبان)
(Baron montauban)

(٢) أنظر :

Ibid, : Op. Cit, P. 85

مقدم شعبة تولوز ، الذى أرسله البابا الى ألمانيا عدة مرات خلال الاعوام ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، اما للموساطة بين بعض الاساقفة المتنازعين — مثل النزاع بين أسقف كولون وأسقف لييج — ولتحصيل أموال للبابا على أملاك الاستبارية فى ألمانيا كان مديروها هذه الاملاك قد رفضوا دفعها له ، أو لتشجيع بعض الامراء الألمان على الاستمرار فى مقاومة الامبراطور الألماني لويس الخامس الشهير باسم لويس الهاقارى (١٣١٣ — ١٣٤٧) الذى اشتد الصراع بينه وبين البابا حنا الثانى والعشرين — ومحاولة كسب هؤلاء الامراء الى صف البابا . وهناك أيضا الفارس الاستبارى بولس الموديني Paul de modine الذى اعتمد عليه البابا حنا الثانى والعشرون فى الدفاع عن مصالحه وقضيته فى صراع ضدد الامبراطور لويس الهاقارى فى الوطن الألماني حتى عام ١٣٢٤ على الأقل عندما انتهت خدمة هذا الفارس كمدير لاملاك الاستبارية فى ولايات سكسونيا وثورنجا ومارش ولاد القسطنطينية ، وهى الاملاك التى تأسست فيها منذ عام ١٣٢٧ شعبة خاصة باسم وكالة براند بورج (١) هذا الى جانب بعض الفرسان الذين أدوا لصالح البابا حنا الثانى والعشرين فى إيطاليا نفس الدور الذى أداه له فى ألمانيا بولس الموديني (٢) .

وسا يجد ذكره أيضا أن انتقال دى فيلينيث من أفينيون — حيث كان يقيم منذ توليته فى عام ١٣١٩ — الى جزيرة رودس ، فى عام ١٣٣٢ ، ساعد على التخفيف من هيمنة

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 73-75

(٢) أنظر :

Ibid: OP. Cit?, PP. 77-78.

من هؤلاء الفرسان بطرس أمولا مقدم شعبة روما ، وحنا ريثارا مقدم بيتره ، وناپليون تيرتى مقدم شعبة الهندقية . ولقد توفى بطرس أمولا فى عام ١٣٣٠ ولكن زميله امتد بهما العمر الى أن كافأهما البابا بندكت الثانى عشر (١٣٣٤ — ١٣٤٢) على خدماتهما للبابوية بأن عين أحدهما — وهو حنا ريثارا حاكما على ولاية أنكونة ، وثانيهما — وهو ناپليون تيرتى — حاكما على ولايتى كامبانيا ومارينو .

Ibid: Loc. Cit.

الباهوية على رئاسة هيئة الاستتارية ، ومن تدخلها المستمر في شئون هذه الهيئة ، واعطى السيد الكبير ومجلسه قدرا كبيرا من حرية التصرف بحيث أصبح البابا فسخ الاحوال العادية لا يتدخل في اختصاصاتها الا اذا طلبها منه هذا التدخل لا يثام بعض مقدمي الشعب على الانتظام في دفع حقوق الخزائنة في رودس لديهم ، وتعدد الاموال المتأخرة عندهم لهذه الخزائنة ، او لمراجعة امير ارضي الحق الاذي بأمالك الاستتارية في بلاده ، أو ما شابه ذلك من الحالات التي لا مناص من استخدام النفوذ الباهوي للتصدي لها . ويدوان عددا من الكرادلة أعضاء المجمع المقدس — شريك البابا في ادارة شئون الكنيسة الكاثوليكية — قد ساءهم أن يتفرد السيد الكبير للاستتارية بتصريف أمور هيئته من غير أن يطلب المشورة منهم ، فشكوا في الهلاط الباهوي — بما لا شراك مع بعض فرسان الاستتارية الذين أحاطوا بالبابا في مدينة أفينيون يتمسكون في أعنابه من أجل أن يطلب لهم ما يطعمون فيه مسنن المناصب الادارية العليا داخل هيئة الاستتارية أو أن يعينهم حكاما على بعض الولايات الباهوية — حزبا قويا جعل همه الاول ايفار صدر البابا ضد حكومة الاستتارية في رودس . وقد وجد هذا الحزب في الاتهامات التي كملت للاستتارية منذ عهد البابا حنا الثاني والعشرين نفسه ، من جانب بعض الفئات الحاكمة عليهم بسبب ظفرهم بارتث الداوية الذي كانت هذه الفئات تطمع في أجزاء منه لنفسها ، ومن جانب بعض العناصر الحاسدة لحياة العرف والتعميم التي كان يمشيها مقدما شعب الاستتارية ، مادة دسمة استغلها — بعد أن تناولها بالاضافة والتضخيم — لتحقيق غيته لدى البابا (١) وليس من شك في أن كلا من البابا حنا الثاني والعشرين وخليفته البابا بندكت الثاني عشر (١٢٢٤ — ١٢٤٢) حين اشتكى من فتور حماس الاستتارية للحرب الصليبية ضد المسلمين ، ومن انغماسهم في اللهو ورغد العيش بها يتنافى مع حياة التقشف التي نذروا أنفسهم لها عند التحاقهم بهيئة الاستتارية ، كان واقعا تحت تأثير هذا الحزب (٢) وقد وضع هذا التأثير أيضا في الرمالسة شديدة اللهب التي أرسلها البابا كليمنت السادس (١٢٤٢ — ١٢٥٢) — خليفة بندكت الثاني عشر — في أغسطس عام ١٢٤٣ ، الى السيد الكبير دي فيليثيف يهغه فيها على

(١) انظر : 195; Vertot II, PP. 193-194. D. Le Roux: Les hospit. à

Rh., PP. 116, 125

Le Roux: Op. Cit.

no. 125-126.

(٢) انظر :

ما قال له بأنه سمعه من أن الاستنارية آثروا أن يهددوا قروشهم الواسعة ، التي تضاعفت
 قروشهم أملاك الداوية ، على حياة العرف بدلا من توجيهها الى افائة مسيحي الشرق الذين
 اشتدت عليهم هجمات المسلمين ، وإلى التخفيف عن الفقراء من قسوة الحياة ، وعرب له
 عن استيائه لما جاء في الشكاوى التي رفعها اليه الاستنارية المقيمون في رودس ، وخاصة
 الذين ينتمون منهم الى طائفتي الاخوة الرهبان والاخوة الخدم ، من عدم تقديرهم
 ضرورات الحياة من الغذاء والكساء لهم ، ومن تمييز طائفة الفرسان عنهم تمييزا كبيرا
 في المعاملة ، ثم يهدده بأنه ، ان لم يصرح الاستنارية باصلاح اسلوب حياتهم ، سوف
 ينفذ ما اقترحه عليه البعض من انشاء هيئة جديدة يحول اليها جانبها كبيرا من أملاك
 الاستنارية لتقوم بالجاز ما تنكر له الاستنارية من واجبات مفروضة عليهم ^(١) . وكان البابا
 كليمنت السادس قد بعث بهذه الرسالة الى دي ثيلينثيف بمناسبة التوصل الى عقد اتفاق
 مع مندوبي البندقية وقبرص والاستنارية أنفسهم بشأن تأليف عصبة بحرية ضد الاتسراك
 السلاجقة في امارتي ايد بن وصاروخان على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، فأمر فيها
 دي ثيلينثيف بأن يساهم الاستنارية في أسطول هذه العصبة - الذي تقرر أن يتألف من
 عشرين غرابيا - بمئة أغيرة - يساهم شأن البندقية ، ولكن بأزيد غرابين ما تقرر أن
 يساهم بهكل من البابا وملك قبرص ^(٢) . وقد اتضح للسيد الكبير دي ثيلينثيف من هذا
 التوزيع في السفن بين أعضاء العصبة ، ومن اللهجة التي صيغت بها الرسالة نفسها
 أن البابا كليمنت السادس أصبح منصاعا تماما لأمورات الحزب المعادي للاستنارية فسي
 الهلاط الباهوي ، وأنه والحالة هكذا سوف لا يتورع ، ان لم يظهر دي ثيلينثيف الطاعة
 الكاملة له ، عن تنفيذ وعده بتحويل هيئة الاستنارية كما حطم البابا كليمنت الخامس من
 قبل (في عام ١٣١٢) فرقة الداوية ، ومن ثم بإدراك ثيلينثيف باستصدار عدة تشريعات من
 مجلس حكومته تقضي بمحاربة الترف في هيئة الاستنارية ، وقرارا بالموافقة على اعداد السفن
 الست المطلوبة من الاستنارية لاسطول العصبة البحرية ، ثم أرسل ثلاثة من أعضاء المجلس

(١) أنظر :

Pauli II, PP.86-87 num. LXIX

(٢) أنظر :

Ibid: Loc.Cit.

الهارين لعرض هذه التشريعات على البابا في أفنيون مع تقديم رجاء دي فيليبيثف والمجلس اليه بأن يضيف اليها ما يراه مناسباً من التشريعات الاخرى التي تؤدي الى نفس الغرض. (١)

وهكذا استطاع دي فيليبيثف أن يرضى البابا كليثت السادس ويكسب ثقتهم. وليس أدل على ذلك من أن هذا البابا كان يدفع أجور قباطنة وسحارة الاغربة البابوية الاربعة قسي أسطول العصبة البحرية عن طريق السيد الكبير للاستتارية الذي كانت ترسل اليه الاموال المخصصة لهذه الاجور تهاا صحة سفراء من كبار الاستتارية أنفسهم اتحاد البابا على تكليفهم بحمل أوامره ورغباته الى قادة العصبة في بحر ابيجة ثم العودة اليه بأخبار هو "لا" القادة. (٢) ومن الادلة الاخرى أن البابا كليثت السادس، عندما علم بأن هذه الاغربة الاربعة لم تغفر في المارك التي دارت بين أسطول العصبة والاتيراك في عام ١٣٤٤ يواجهها وفق التعليمات المعطاة لها، أرسل الى السيد الكبير دي فيليبيثف و "مارشال" الاستتارية جيرالدو دي مونتياكوتو Gerald de monteacuto، في ١٢ مايو عام ١٣٤٥ يطلب منهما اجراء تخفيض على أجور قباطنة هذه الاغربة وعلى أجر قائدها الجنوي مارتينو زكريا martino Zaccaria نفسه. (٣) يضاف الى ذلك أن هذا البابا حدا حدو سلفه البابا بندكت الثاني عشر فممن حكما على بعض الولايات البابوية - وعلى وجه التحديد ولايات أنكونه، وسبوليتو spoletو وكامبانيا، ومارينو - من فرسان

(١) أنظر: Vertot II, PP.198-200; Biliotti, P.156-157

(٢) أنظر: Gay, P.127

وكان من هؤلاء السفراء الاعضاء في هيئة الاستتارية جاران دي شاتونيف

Garin de chateauneuf مقدم شعبة نقاره، وازنارد دي ألبرن

Isnard de Albarn مقدم شعبة كايوا (أنظر: Ibid: Loc. Cit.

(٣) أنظر: Ibid, PP.175-177

قتل مارتينو زكريا في الممارك ضد الترك في ضواحي أنزير في ١٧ يناير عام ١٣٤٥

(أنظر: gay, pp.55-56; F.O.1, P.104; Atiya, P.295

ولكن يبدو أن البابا لم يكن على علم بهذا الحادث حتى ١٢ مايو (عام ١٣٤٥) عندما أرسل يطلب تخفيض راتبه.

الاستشارية ، كما طلب من ملكة نابلي — عندما شغرت وظيفة المدعي العام sénéchaussée في مملكتها — أن تملأ هذه الوظيفة بتعيين مقدم شعبة الاستشارية في كاپوا ^(١) . هذا الى جانب بعض الامتيازات التي منحها هذا البابا لهيئة الاستشارية ومنها أنه — بخلاف المنشور البابوي الذي أصدره في ٦ أغسطس عام ١٣٤٢ ونص على إعفاء هذه الهيئة من دفع ضريبة العشور وغيرها من الضرائب التي تفرضها الكنيسة الكاثوليكية على رعاياها ، والمنشور الذي أصدره في ١٤ يونيو من العام التالي للتصديق على جميع الامتيازات التي منحها أسلافه من البابوات للاستشارية ^(٢) ، وهو ما اتخذ أن يفعله جميع البابوات منذ تأسيس هيئة الاستشارية بقلبيطين الى أن انتهى عهدا بحزيرة رودس — في ٨ أبريل عام ١٣٤٧ ، نظم لهم الرسوم التي يجب عليهم دفعها للاساقفة في مقابل التصريح لرهبانهم بالوعظ وجمع الصدقات في الكنائس العامة الخاضعة لرقابة الاساقفة ^(٣) ، وفي ٢٠ ديسمبر عام ١٣٥٠ صرح لهم بتناول الوجبات الدسمة من الاحد الثالث قبل الصوم الارباعي إلى أول أحد قبل ابتداء هذا الصوم الارباعي ^(٤) septuagesime إلى مطلع اصبحت أيام الجمع ابتداء من الاحد الاول قبل الصوم الارباعي حتى عيد القديس حنا ، وفي شهر سبتمبر عام ١٣٥١ أعفى الهيئة من واجب استضافة الوكلاء البابويين أو تقديم أية مساعدات مادية لهم اذا حلوا في أحد أملاك هذه الهيئة ^(٥) ، وهو امتياز يبدو

Gay, P.128

De naberat, P.59

D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., P.113

D. Le Roulx: Loc. Cit.; De naberat, PP.59-60

D. Le Roulx; Loc. Cit.; vertot II, P.217

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

أن الهايا منحه للاستشارة برهانا على اعترافه لهم بالجمل لانهم وافقوا على التنازل لابن أخيه المعروف باسم أمير تورن (le Vicomte de Turenne) عن حصن يقع بجوار أملاكه يعرف بحصن ديقرات (Detrats) مقابل بعض الاراضى التى تنازل لهم عنها بجوار نهر الون وضموها الى شعبة سان چيل . (١)

وفى الحقيقة لقد ظلت العلاقات طيبة بين الاستشارة والهايا كليمنت السادس حتى وفاته فى ١٢ ديسمبر عام ١٣٥٢ . (٢) والارجح أن علاقتهم كانت أيضا طيبة مع الهايا انوسنت السادس — الذى تولى فى ١٨ ديسمبر من نفس العام خلفا للهايا كليمنت السادس — فى بداية عهده ، مدليل أنه لم يقبل استقالة السيد الكبير جوزون عندما قدمها له أول مرة وأرسل اليه خطابا رقيقا يشجعه فيه على الاستمرار فى تحمل مسئولياته لـ بلا ضعف أو وهن ، فلما أصر جوزون على طلب الاستقالة وافق انوسنت السادس عليها فى ٤ يولييه عام ١٣٥٢ وأرسل الى رئيس أساقفة رودس بأمره بأن يعمل على ضمان معاش لجوزون يكفيه للعيش الكريم بقية سنى عمره ، (٤) هذا يقطع النظر عن المنشور الذى أصدره الهايا انوسنت السادس فى ٧ مارس ١٣٥٢ للتصديق على جميع الامتيازات والاعفاءات التى منحها أسلافه لهيئة الاستشارة ، (٥) باعتبار أن ذلك اجراء تقليدى للهابوات نحو هيئة الاستشارة .

غير أن الوضع لم يلبث أن تغير قبل أن يكمل مرور عامين اثنين على لتولية الهايا انوسنت السادس . وفى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٤٥٤ كتب هذا الهايا رسالة الى السيد الكبير بطرس كورنيلان — خليفة جوزون — أبلغه فيها بأنه احمد لديه سفارة مؤلفة

Vertot II, P.217.

Biliotti, P.162

Ibid: Loc. Cit.

D. de Roulx: Les Hospit. à Rh., P.112

De naberat, P.60

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

من ثلاثة من كبار أعضاء هيئة الاستشارة ، هم هيرديا — الذي أصبح فيما بعد السيد الكبير الثامن للاستشارة في جزيرة رودس — وثيماس ، وريموند بيرنجر — الذي أصبح السيد الكبير السادس في هذه الجزيرة — وپطرس كورنيلان — ابن اخ السيد الكبير — عضوين ، لكي يقدموا اليه أوامر البابا ومجمعه المقدس بشأن مستقبل هيئة الاستشارة .^(١)

ومن رسالة أخرى بحث بها البابا انوسنت السادس الى السيد الكبير پطرس كورنيلان في ١٤ أكتوبر عام ١٤٥٥ —^(٢) أي بعد رسالته الأولى بمعام واحد وعشرين يوما — يتضح بأن هيرديا وزميليه بيرنجر وكورنيلان عرضوا على مسامح السيد الكبير ، عند وصولهم الى رودس ، شكوى البابا والكرادلة أعضاء مجمعه المقدس من تعادى الاستشارة في رودس في حياة الشرف ومهادلة المسلمين بالرغم مما وجه اليهم بسبب ذلك من لوم من جانب البابوات حنة الثاني والعشرين وبنديكت الثاني عشر وكلبمنت السادس من الذين سبقوا انوسنت السادس مباشرة . كما أن هؤلاء السفراء أبلغوا السيد الكبير للاستشارة رأي البابا انوسنت السادس بأن ثروة الاستشارة لم تمنح لهم لتهدد في بناء حوائط لا نفع لها حول مدينة رودس ولكن لتستخدم في محاربة المسلمين ، وقوله بأن التوبتون الذين كانوا يملكون ثروة أقل من ثروة الاستشارة أصبحوا يحكمون ، بفضل بعدهم عن حياة الهذخ والكسل التي أنغمس فيها الاستشارة ،

(١) أنظر : D. Le Roulx: les Hopit. à Rh.; PP. 116-117; Vertot II, pp. 227-228.

(٢) أنظر نص الرسالة في : Pauli II, PP. 91-93 num. LXXIII.

علم بأن كورنيلان كان قد توفي منذ ٢٤ أغسطس عام ١٣٥٥ ،

(أنظر : D. Le Roulx Op. Cit., P. 126.

غير أن البابا لم يكن قد علم بالحدث عندما كتب اليه رسالته في ١٤ أكتوبر حيث أن نقل الاخبار من الشرق الى الغرب كان يستغرق وقتا كثلاثة شهور .

(أنظر :)

Ibid: Op. Cit., P. 127

على شراء عرض مائل لشراء هو "الاستتارية" وأخيرا نقل السفراء الثلاثة للسيد الكبير
أوامر البابا بضرورة أن ينقل الاستتارية مركز رؤسائهم من جزيرة رودس إلى إقليم تركي يستولون
عليه ، بحيث يكون من السهل عليهم منه استرداد الأرض المقدسة من المسلمين ، ولا
استعداد منهم البابا أملاك الداوية ومنحها لهيئة عسكرية جديدة بأمر بتأليفها لاستخدامها
في محاربة المسلمين .

وتبين من هذه الرسالة أيضا أن السيد الكبير بطرس كورثيان رد على سفراء البابا
الثلاثة بأنه لا يستطيع أن ينفذ هذه الأوامر التي أصدرها إليه البابا بسبب خطورتها من غير
أن يأخذ رأى المؤتمر الاستتاري العام الذي سوف يتخذ الاجراءات لعقده في اقرب
فرصة ممكنة .

ويبدو أن البابا ، عندما بلغه رد السيد الكبير ، خشى أن يتم انعقاد المؤتمر
الاستتاري العام في رودس بعيدا عن اشرافه وامكان تدخله مما يفرى أعضائه على رفض
أوامره ينقل مركز هيئتهم من رودس ، كما خشى أن يعتقد السيد الكبير ومجلسه بأن
هيريديا ، حين بلغها هذه الأوامر ، بالغ في اظهار نوايا البابا العدائية نحو
رئاسة الهيئة مما قد يؤدي الى تراخيها في تنفيذها ، ولذا قد أصدر الامر للسيد
الكبير ، في نهاية رسالته هذه ، بأن يتم انعقاد المؤتمر الاستتاري العام في مدينة
نيم nimes أو مدينة مونبلييه بفرنسا في موعد أقصاه أول يناير عام ١٣٥٦ ، وأكد له
في الوقت نفسه ، بأن الأقوال التي تكلم بها هيريديا معه كانت تمهيرا دقيقا عن نواياه —
أي نوايا البابا — ورغباته .

والواقع انه ما بحث على الدهشة أن يوجه البابا انوست السادس اللوم الى الاستتارية
على اهتمامهم ، بحصين عاصمتهم رودس ، ويقول لهم بأن الاجدى من ذلك أن يقوموا
بمهاجمة المسلمين في عقرب دارهم ، فماذا يكون الحال في جزيرة رودس لو أراد المسلمون
الرد على هجمات الاستتارية — وهم قادرون على ذلك — بمحاولة غزو هذه الجزيرة وهي
على قدر غير كاف من التحصين للدفاع عنها لا على أن الامر الاكثر غرامة أن يأمرهم هذا

البابا بنقل قاعدتهم الرئيسية من جزيرة رودس ، التي تمتاز بتحصيناتها القوية ومينائها الطبيعي
الجيد فضلا عن موقعها " الاستراتيجي " المماثل بالنسبة للحركة الصليبية التي يعتبر البابا
رهانها ، الى اقليم في آسيا الصغرى قد يستطيعون الاستيلاء عليه من الاتراك ولكنهم لا شك
لا بد وأن يعيشوا فيه ، اذا امكنهم الاحتفاظ به ، محاصرين من جانب هؤلاء الاتراك الذين
يتميزون عنهم بالتفوق الكبير في العدد على الاقل . ولعل أحسن ما قيل تعليقا على هذا
القرار البابوي الغريب قول المؤرخ نورتو^(١) بأن من أملى فكرته على البابا ليس الا عدو لهيئة
الاستبائية فضلا عن أنه سياسي غير كفؤ ولا يد راية له في الحرب .

وفي أغلب الظن أن البابا الوحشت السادس حين اتخذ هذا القرار في سبتمبر عام
١٣٥٤ كان واقعا تحت تأثير عاملين رئيسيين . وأول هذين العاملين وشايات الحزب المعادي
لهيئة الاستبائية في الهلاط البابوي ، وقد عززهم انضم اليه من كبار الاستبائية الذين تأثر
تفوذهم بما صدر عن المؤتمر الاستبائي العام المنعقد في ٢٠ يونيو عام ١٣٥٤ من قرارات
اصلاحية وبخاصة القرار الذي حرم مقدس الشعب من سلطة تعيين أمري الأمور داخل
شعبهم وقصر هذه السلطة على مجلس الحكومة في رودس بعد أخذ رأي السيد الكبير^(٢) .
أما العامل الثاني فهو الجزع الذي سببه للبابا عبور الاتراك العثمانيين ، بقيادة الأمير
سليمان ابن السلطان أورخان بن عثمان (١٣٢٦ - ١٣٥٩) مضيق الدردنيل واستيلائهم
على جزيرة غالينولي^(٣) في عام ١٣٥٤ ، واعتقاد هذا البابا بأن تواجد الاستبائية
بقوتهم الرئيسية في آسيا الصغرى وشايرتهم على مهاجمة أملاك الدولة العثمانية في أقاليمها

Vertot II, P.227

(١) أنظر :

Biliotti, PP.167 -168

(٢) أنظر :

وخصوص قرارات هذا المؤتمر العام أنظر D Le Vertot II, PP.223-224

Roulx: Les Hosp.à Rh., P. II6

Vertot II, P.226

(٣) أنظر :

Baynes & moss: Byzantium, P.47

(٤) أنظر :

الاسبوعين بأن يرغم القوات العثمانية التي عبرت الى أوروبا على الارتداد للدفاع عن هذه الاملاك ، ^(١) أو على الاقل يشجع الامبراطور البيزنطي حنا الخامس بالبولوجس على أن يظل على قتال هذه القوات الى أن يتم له اجلاؤها . ^(٢)

ومهما يكن من أمر عوامل اتخاذ هذا القرار ، فقد حدث ، بعد فترة قصيرة من إرساله الى السيد الكبير للاستشارة في رودس لتنفيذه ، أن تقدم أمير بيدمونت المدعو بمعقرب دى ساقوى (J. de Savoie) الى البابا انوسنت السادس بمعرض عليه أن يشتري منه اماره أخايا (Achaie) - موقع في شبه جزيرة المورة - التي كان يدعي ملكيتها عن طريق الوراثة من أمه ابراهيملا قبلها ^{hardouin} رداً عن Isabelle de Ville ولكن حكومتها الفعلية في يد مدع آخر هو روبرتو الثاني الانجيقي حامل لقب امبراطور القسطنطينية وأمير تاراتو Taranto . ^(٣) وقد اتهم البابا فرصة تقديم هذا العرض فأعاد النظر في قراره الخاص بنقل مركز هيئة الاسبنارية من جزيرة رودس الى أحد الاقاليم التركية ، واستقر رأيه - بعد أن استشار هيريدبا الذي كان يعد نفسه لتولي منصب السيد الكبير للاستبنارية مستقبلاً ، ويرى بأن بلاد اليونان وليس رودس هي المكان الذي يستطيع أن يقوم فيه بمغامراته العسكرية ويظهر بطولاته القتالية والسياسية عندما يصل الى هذا المنصب - على أن يشتري الاسبنارية اماره أخايا من الأمير معقوب دى ساقوى ، بعد أخذ موافقة روبرتو الثاني الانجيقي ، لولا اليها حكومتهم ومؤسساتهم المركزية الاخرى السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها بدلا من الدخول في محاولات غير مضمونة العواقب لاحتلال اقليم تركي يستقرون فيه ، على أن يكون واجبه الأول في أخايا الدفاع عن بلاد

Vertot II, PP.226-227

(١) أنظر :

Biliotti, P.168

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., pp.131-133,

(٣) أنظر :

vertot II, P.232.

اليونان عامة اذا حاول الاتراك العثمانيون المراهطون في غاليلوى الزحف اليها من ناحية البر أو هاجمها الاتراك الملايكة أصحاب امارات متشعبة وايدين وصاروخان وممره وغيرها من ناحية البحر^(١) . ويذكر المؤرخ ثرتو بأن البابا انوسنت السادس الذى غير رأيه أيضا فيما يتعلق بالمؤتمر الاستشارى العام الذى كان ينوى عقده بمدينة نيم أو مدينة مونبلييه فى أول يناير عام ١٣٥٦ ، واكتفى بأن عقد فى نفس الموعد بمدينة أقتيون جمعية عاد يأتين بعض كبار الاستشارية المقيمين فى القرب بحكم مناصبهم كقدمى شعب أو أميري أمريات — قدم قراره الأخير لاعضاء هذه الجمعية وأخذ موافقتهم عليه^(٢) . غير أن هذا المؤرخ يؤكد من ناحية أخرى بأن الاستشارية المقيمين فى رودس لم يستقبلوا القرار ، عندما أبلغ لهم فى مارس ١٤٥٦ ،^(*) إلا بالاشمئاط ، لأنه بدالهم — شأنه شأن القرار الاول — ينقل مركزهم من جزيرة رودس ، وأخذوا يصرحون علنا بأن البابا انوسنت السادس يستغل منصبه كرئيس أعلى للهيئة الاستشارية لهدم هذه الهيئة^(٣) .

هذا ولم يلبث البابا انوسنت السادس أن أتى علّا آخر سبب المزيد من الضيق للاستشارية فى رودس . وذلك أن هذا البابا ، أراد أن يكافئ هيرديا — مقدم شعبية (قسطلان) أمبوستا — على إخلاصه وخدماته له ، فلم يكف بأن عينه فى ٢٥ ديسمبر عام ١٣٥٦ حاكما بابويا على كل من اماره فينيسان)

Comptat Venaissin

وحاضرتها أقتيون ، ولكن عينه أيضا فى منصب استشارى كبير هو منصب مقدم شعبية سان چيل بفرنسا^(٤) . حقيقة سبق للبابا انوسنت السادس أن عين هيرديا ، فى ١٤ أكتوبر عام ١٣٥٥

(١) أنظر : D. Roulx: Les Hosp. à Rh., p. 132; Vertot II, P.232

(٢) أنظر : Vertot II, PP.241- 233

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., P.235

(**) أنظر :

D. Le Roulx: OP.Cit., P.131

(٤) أنظر : D. Le Roulx: les Hospt. à Rh., P.132; Vertot II, P.

مقدما لشعبة قشتالة وليون ، ^(١) ووافقت حكومة رودس ، في ٩ سبتمبر عام ١٣٥٦ ، على هذا التعمين من غير أن يعرف عنها أنها احتجت عليه ، ليس لأنها كانت راضية عنه ، فقد سبب لها الضيق لانه من ناحية اقتضات على سادتها ، ومن ناحية أخرى ومع سلطات هيرديا ، ولكن لان شعبة قشتالة وليون التي عين هيرديا مقدما لها كانت شعبة فقيرة ، كما كانت شعبة متمردة لا يتمتع السيد الكبير للاستتارية في رودس الا بسلطات ضعيفة عليها . ^(٢) غير أن الامر اختلف عن ذلك بالنسبة لشعبة سان چيل ، فقد كانت هذه الشعبة عند الاستتارية أهم شعبيهم وأكثرها درا للربح لهم ، وكان يلى منصب المقدم فيها — بحكم الدستور — أقدم عضو في هيئة الاستتارية من طائفة پروقانس ، ومن ثم كان تعيين البابا أنوسنت السادس هيرديا مقدما لهذه الشعبة بشكل اعتداء ليس فقط على دستور هيئة الاستتارية الذي يعطى سلطة تعيين المقدمين للسيد الكبير ومجلسه دون غيرهما ، ولكن أيضا على حق من الحقوق التي كانت تتمتع بها طائفة پروقانس داخل الهيئة ، هذا الى جانب ما يقدمه هذا التعيين لهيرديا من اضافة في الثروة والنفوذ بما يسمح له بأن يتمتع بسلطات لا تقل كثيرا عن سلطات السيد الكبير نفسه . ^(٣)

وقد رأى السيد الكبير روجردي بنز — خليفة كورنيان المتوفى في ٢٤ أغسطس عام ١٣٥٥ — ومجلس حكيمته في رودس ضرورة ابلاغ البابا باعتراضهم على قراره بتعيين هيرديا

(١) أول مرة يذكر هيرديا كمقدم لشعبة قشتالة وليون كان في رسالة البابا إلى

كورنيان في ١٤ أكتوبر عام ١٤٥٥ .

أرجع الى هذه الرسالة في :

Pauli II, P.91, num. LXXIII

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 135 -136.

(٣) أنظر :

Ibid, Op. Cit., P. 132.

مقدما لشعبة سان چيل . ومن ثم كلفا سفارة مؤلفة من ثلاثة من كبار الاستبارة لاجاز هذه المهمة الى جانب مسائل أخرى مهمة معلقة بين حكومة رودس والهابا وعلى رأسها مسألة نقل مركز هيئة الاستبارة الى امانة آخايا باليونان . ولتسهيل مهمة السفراء الثلاثة لدى الهابا فيما يتعلق بهيريدا سمح لهم بإبلاغ هذا الهابا بأن السيد الكبير أصدر قرارا بتعيين هيريدا في منصب نائب السيد الكبير في القرب تعويضاً له عن منصب مقدم شعبة سان چيل الذي يعترض عليه المجلس . على أن سفراء الاستبارة عندما وصلوا الى مدينة أثينون ففى مارس عام ١٣٥٧ علموا بأن هيريدا قد باشر بالفعل مهام منصبه الجديد مقدما لشعبة سان چيل قبل شهرين من ذلك وعلى وجه التحديد منذ ٢١ يناير عام ١٣٥٧ . ولما أبلغوا رسالة السيد الكبير للهابا طلب منهم أن يعربوا لهذا السيد الكبير عن امتنانه واعترافه بالجهد لتعيين هيريدا في منصب نائبه في القرب ، ويؤكدوا له في نفس الوقت استمرار الهابا على أن يحتفظ هيريدا أيضا بمناصبه الأخرى ومنها منصب مقدم شعبة سان چيل . ولم يلبث الهابا أن كتب للسيد الكبير روجر دى هنز ، فى ٢٥ مايو عام ١٣٥٧ ، رسالة قدم له فيها الاعتذار لانه عين هيريدا مقدما لشعبة سان چيل من غير أن يتخذ وصول موافقه اليه مبرراً تصرفه بقوله أنه لم يكن ^{يشك} أبداً فى وصول هذه الموافقة ، ثم أعرب ^{بشكل} له عن أمله فى عدم الاعتراض على الاجراء الذى تم على يد الهابا فى هذا الشأن . وازاء هذا الاصرار من جانب الهابا ، لم يجد السيد الكبير ومجلسه مناصاً من الاعتراف بالامر الواقع وسمحا منذ ٩ يونيو عام ١٣٥٨ بإضافة لقب مقدم سان چيل الى مجموعة الألقاب الأخرى التى يحملها هيريدا . وهى ألقاب قسطنطين امپوستا ونائب السيد الكبير فى القرب ومقدم شعبة قشتالة وليون . فى سائر المكاتب الرسمية التى تجربها معه مختلف فروع الادارة (١)

هرودس .

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 132-134

(١) أنظر :

وقد أشار هرتو (Vertot II, P. 235) الى هذه الواقعة بشكل عام

ومختصراً .

هذا ما انتهت اليه مسألة تعيين غيرديا مقدما لشعبة سان چيل . أما فيما يتعلق
بمسألة أخايا فقد أبلغ الهايا سفراء الاستشارة الثلاثة عند وصولهم الى أثينون بأنه قد بذل
محاولة لدى الامير روبرتو الثاني الانجيشي ، أمير تاراتسو ، لإقناعه بالتصريح للاستشارة
بشراء أمانة أخايا من أمير بيدمونت يعقوب دى ساقوى ، ولكن المحاولة انتهت الى فشل ،
وطلب منهم التوجه الى مدينة نابلي حيث يقيم روبرتو الثاني لمحاولة اثباته عن التمسك برأيه .
غير أن اثنين من السفراء الثلاثة اعتذرا عن القيام بهذه المهمة ، ويرأحدهما اعتذاره
بأن التعليمات التي تسلمها من السيد الكبير تأمره بأن يعود مباشرة الى رودس بعد انتهائه
مهمته في أثينون ، على حين يرد ثانيهما اعتذاره باضطرابه للسفر الى ألمانيا لانجاز بعض
المهام التي تهم الاستشارة فيها وكلفه السيد الكبير بانجازها . أما عضو السفارة الثالث فقد
وافق على السفر الى نابلي صحة القاعد الهاوى برنارد رئيس أساقفة سالرنو ، ولكنهما لم



بالمثل أن غدا منها الى أثنين بهجران أديال الفشل . (١)

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P. ;133

وجد بر بالذكرا أن الاستنارية عندما أصبح هيرديا سيدا كبيرا عليهم طمعوا في بسط سيادتهم على المورة في بلاد اليونان . وقد بدءوا في عام ١٣٧٧ بالحصول على اماره أخايا كرهن لخدمه . سنوات صا صحتها آنذاك ملكة ناپلى جوانا الاولى Joanna I (Miller, P. 308) . وإذا كانوا قد تنازلوا عن حقهم في الامارة قبل انتهاء السنوات الخمس (١٣٨١) ، . بسبب افلاسهم — لما عرف باسم الشركة الثغرية الكبرى التي تفلت وتذاك على المنطقة (miller, P. 317) ، فانهم لم يلبثوا أن اشتروها في ٢٤ يناير عام ١٣٨٧ من المدعوة مريم البريطانية Marie de Bretagne والدة المقل لويس الثاني الانجيفى الذى آلت اليه الامارة آنذاك بالوراثة ، ولكن البابا كلمنت السابع رفض الموافقة .

أنظر : D. Le Roulx; Op. Cit., PP. 221-223 ; Miller , PP. 318-319

وفى عام ١٤٠٠ اشترى الاستنارية — فى عهد رئيسهم دى ثيلاك ، خليفة هيرديا — أملاك البيزنطيين فى شبه جزيرة المورة ، وهى قيادة كورنثه وقيادة كالاقرتيا Kalavryta وامارة مسترا mistra ، من حاكمها الامير ثيودور الاول باليولوجس — أخى الامبراطور مانويل الثانى ، الذى عرض على الاستنارية أن يشتروها بسبب حاجته للمال ومرضه وخوفه من سقوطها فى يد العثمانيين . وقد وضع الاستنارية بداهم بالفعل على كورنثه حيث اشترى سكوت الاهالى اليونانيين بتقديم مختلف المنح لزعماهم . ولكن عندما وصل وكلاء الاستنارية الى مدينة اسبرطة عاصمة اماره مسترا كاد أن يفتك بهم الاهالى — وهم ارثوذكس بيزنطيون أعداء الكاثوليك ومنهم الاستنارية — لولا أن انقذهم منهم مطران المدينة وقد أدى تطور الاحداث على هذا الوضع الى الاتفاق بين ثيودور والاستنارية عام ١٤٠٤ على إلغاء المبايعه ليس بالنسبة لامارة مسترا فقط ولكن أيضا بالنسبة لكورنثه وكالاقرتيا على أن يرد ثيودور للاستنارية أموالهم ومنازل لهم عن مدينة سالونا ، التى لم يلبث أن استولى الاتراك عليها منهم .

(D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 277-281 , 301; miller, PP. 368-370)

وهكذا انفجرت الازمة التي نشبت بين الاستبارة في رودس والبابا انوسنت السادس بسبب قراره بنقل مقر هيئة الاستبارة من جزيرة رودس وشعبيين هيرديا مقدما لشعبة سان چييل .
على أن انفراجها لم يساعد تماما على تنقية جو العلاقات بين الطرفين بسبب اصرار البابا على حماية هيرديا ومناصرتها على حكومتها التي يرأسها روجر دي بينز في رودس بالرغم من تماهى هيرديا في تحدى أوامر هذه الحكومة وقوانين الهيئة التي يتبعها . ومن ذلك أن السيد الكبير روجر دي بينز أرسل الى هيرديا في ١٥ يونيو عام ١٣٥٨ — أى بعد أن اعترف به مرغما مقدما لشعبة سان چييل هيئة أيام فقط — يستدعيه للحضور الى رودس ليدافع عن نفسه ضدتهم اغتصابه حقوق الخزانة في رودس في دخول الشعب التي يرأسها ، وإدارة الأمور التي تشغلها وفاة أمها داخل هذه الشعب ، وتركات هؤلاء الأمور المتوفيين .
غير أن هيرديا لم يكثر بأمر الاستدعاء اعتمادا على تأييد البابا له . ومن ثم أرسل السيد الكبير في عام ١٣٥٩ الى مدينة أثينون سفارة مؤلفة من عضوي مجلس حكومته اللذين يلبانها مباشرة في المرتبة — وعما الأمر الكبير والمارشال — طلبت من البابا السماح لها بمحاكمة هيرديا وفق قوانين هيئة الاستبارة . غير أن البابا رفض هذا الطلب وشكل لجنة من ثلاثة من الكرادلة المتعاطفين مع هيرديا لفحص التهم الموجهة له ومحاولة الوصول الى تسوية شأنها مع سفيرى الاستبارة، وكان أن أصدرت هذه اللجنة حكما ببراءة هيرديا وعدم إثارة المسألة مرة أخرى . ولم يلبث البابا أن أرسل الى السيد الكبير روجر دي بينز ، في ٨ فبراير عام ١٣٦٠ يطلب منه إعفاء هيرديا من الاموال المدين بها لمصالح الخزانة في رودس ، لأنه لم يافقها الا فيما ينفع الكنيسة والكرسى البابوى . ولم يجد روجر دي بينز أمامه في هذه المرة أيضا إلا أن يخضع لأمر البابا ويصدر ، في ٢٠ مارس عام ١٣٦١ قرارا بإعفاء هيرديا من جميع ديونه للخزانة .^(١)

وفي الحقيقة فإن الجفوة بين الاستتارية في رودس والبابا انوسنت السادس ^{١٢٦٢} قائمة الى أن توفي هذا البابا في عام ١٢٦٢ ، وخلفه البابا أريان الخامس (١٢٦٢ — ١٢٧٠) في ٦ نوفمبر من هذا العام . ولكن حدث في ٢٩ مارس من العام التالي — أي في عام ١٢٦٣ — أن وصل الى مدينة أثينون الملك القبرصي بطريرك الاول لوزجان — في نطاق جولة كبرى قام بها في أوروبا ابتداءً من ٢٤ أكتوبر عام ١٢٦٢ وحتى شهر يوليو عام ١٢٦٥ لطلب المساعدة من حكامها له في اعداد حملة صليبية بنوي القيام بها ضد دولة سلاطين المماليك في مصر والشام — وأبلغ البابا بمشروع هذه الحملة وموافقة السيد الكهبر للاستتارية على الاشتراك فيها ، وربما أيضا توسط لديه لصالح هيئة الاستتارية ^(١) . وكان أن غيرت الباهوية من سياستها العدائية ازاء هذه الهيئة ، وقدم لها البابا أريان الخامس كل مساعدة ممكنة من أجل حل مشاكلها المالية والادارية حتى تتفرغ كلية للقيام بالدور العسكري المنتظر منها أن تؤديه في الحملة الصليبية جنباً الى جنب مع ملك قبرص . ومن الامثلة على ذلك أن البابا طلب في ٢٧ أغسطس عام ١٢٦٣ من حكام أوروبا التدخل لارغام رؤساء هيوت الاستتارية في دولهم على تسديد المبالغ المستحقة لديهم للخزانة في رودس ، وأصدر أمره في ١٠ أكتوبر من نفس العام الى مقدم شعبه قشتالة ^(**) — وكان منشقا على رئاسة الاستتارية في رودس بعدم التخلي عن حضور المؤتمر الاستتاري العام المقرر عقده في ٢٥ مارس عام ١٢٦٤ في مدينة مونبلييه بفرنسا صحة جميع ما عليه من مستحقات مالية لرودس حتى ذلك التاريخ ^(٢) . كما أن هذا البابا أصدر قرارا في ٨ يناير عام ١٢٦٥ ، هدد فيه بتمرد آخر على السلطة المركزية في رودس ، هو قينسال

(١) أنظر : Atiya: The Crus. in the lat. mid. ages, PP.330-331

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospt. à Rhodes, PP.142-143.

(**) اسمه جوتر جوميز الطليطلي Guter gomez de Toledo

وكان مفتصبا للسلطة في الشعبة من مقدمها الشرعي هيرديا .

ارجع فيما يتعلق بقصة هذا الاعتصاب الى :

Ibid: Op. Cit?, PP.137-138.

أمر أساقفة الكنيسة الكاثوليكية بأن يرفع اليه كل منهم تقريراً وافياً عن حالة بيوت الاستتار في الواقعة داخل نطاق أبروشيته بعد إجراء تحقيق دقيق عن سير الأمور فيها حتى يمكنه الاعتداء إلى أسباب الفساد الحقيقية في هذه البيوت ^(١) . وحدث بعد وفاة السيد الكبير ريموند بيرنجر في ١٦ فبراير عام ١٣٧٤ وتولية روبرت جولي مقدم شعبية فرنسا خلفاً له — أن تلقى كل من البابا جريجوري الحادي عشر والسيد الكبير الجديد — ولم يكن قد غادر فرنسا إلى رودس بعد — شكوى من مجلس الاستتار في جزيرة رودس ضد أعضاء هيئة الاستتار المقيمين في هذه الجزيرة متهمين إياهم باستغلال طلبات استدعاء مدبره السي الهلاط الباهوي للتهرب من القيام بواجباتهم في رودس ، وشكاوى أخرى من هؤلاء الأعضاء ضد المجلس متهمين إياه بعدم اتخاذ جانب العدالة أو مراعاة لقانون الأقدمية عند قيامه بتعيين مقدمي الشعب وأمرى الآمرات ، وعند اجتماعه للنظر في الشكاوى التي يرفعها الاستتار أحدهم ضد الآخر أمام محكمته . وتنسوية هذا النزاع أصدر البابا في ٣ أكتوبر عام ١٣٧٤ منشوراً نص على إلغاء جميع ما اتخذ في المجلس منذ وفاة السيد الكبير ريموند بيرنجر ، وما يتخذ فيه قبل وصول دي جولي إلى رودس ، من قرارات متعلقة بالتعيينات في الوظائف الشاغرة ، ومن أحكام في المنازعات بين الاستتار ، كما نص على شجب لسلوك الاستتار الذين يسعون للحصول على طلبات استدعاء باهوية إلى أقبسئون تسمى لهم الفرصة للتهرب من القيام بواجباتهم في رودس ، وعلى أمر للمجلس بعدم النظم إلى هذه الطلبات بعين الاعتبار عند إعطاء تصاريح سفر من رودس للاستتار في المستقبل ^(٢) . هذا ولم يلبث البابا جريجوري الحادي عشر أن وجد نفسه مضطراً في عامي ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ للتدخل مرة أخرى لاحتواء حركة تعود قام بها كل من مقدم شعبية إنجلترا ، ومقدم شعب

(١) أنظر : Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.170

(٢) أنظر : Ibid, Op. Cit?, p. 187. ; vertot II, PP.248-249.

قشتالة ، ويقدم شعبة البرتغال ، ونائب مقدم شعبة هنغاريا ، بمساندة طليعه ضد سلطة الحكومة المركزية التي يرأسها دي جوي في رودس . ومن الثابت أن هذا التدخل أدى الى عودة المقدمين المتمردين فيما عدا نائب مقدم شعبة هنغاريا الذي ظل على تمرد له الى أن تولى البابا كليمنت السابع (١٣٧٨ - ١٣٩٤) في أفنيون - خلفا للبابا جريجوري الحادي عشر الذي توفي في عام ١٣٧٨ - فأصدر في ١٨ أبريل عام ١٣٧٩ قرارا بتسليمه مقدما لشعبة لمارديا مقابل تخليه عن شعبة هنغاريا للمقدم حنا ريفيرا الذي عينه عليها مجلس الاسبتارية .^(١)

وفي الحقيقة لقد ظلت العلاقات بين الاسبتارية في رودس والبابا كليمنت السابع على مناسباتها التي كانت عليها في عهد سلفه البابا جريجوري الحادي عشر . ومن المعروف بأن الاسبتارية عقدوا بمدينة رودس في مارس عام ١٣٨٠ مؤتمرا عاما برئاسة السيد الكبير هيرديا قيروا فيه بمحض إرادتهم - ضمن قرارات أخرى - أن تدفع هيئة الاسبتارية نصيبها في الضريبة التي فرضها البابا كليمنت السابع على جميع المسيحيين الذين تأسسوا على منافسه أريان السادس (١٣٧٨ - ١٣٨٩) بابا روما ، وهو ما يتعارض مع امتيازات الهيئة التي تعفيهم من دفع أية ضرائب للكنيسة ، ويثبت بأن حكومة الاسبتارية في رودس كانت وقتذاك على استعداد للتضحية مؤقتا ببعض امتيازاتها لصالح البابا الذي شاع عنه مساهمة منها في تعزيز مركزه أمام منافسه أريان السادس ،^(٢) ولأنها كانت في حاجة اليه لمساعدتها على الخروج من ضائقتها المالية التي أوقعها فيها امتناع مقدمي الشعب الذين ناصروا بابا روما - وهي الشعب الموجودة في إيطاليا والمانيا وإنجلترا والبرتغال - عن إرساء الأموال المطلوبة منهم سنويا للخرانة في رودس ، وتحويل هذه الأموال الى حكومة السيد الكبير المنافس ، ريتشارد كاراتشولو Richard Caracciolo ، الذي عينه عليهم أريان السادس ، وكذا توقف بعض مقدمي الشعب الذين ظلوا على ولائهم لحكومة هيرديا عن إرساء

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. 'a Rh., PP. 192 - 198;

Vertot II, PP. 253 - 254.

(٢) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit. , P. 217

نصيب هذه الحكومة في دخول شعبيهم ،^(١) وذلك عن طريق قيامه بالضغط على هؤلاء
المقدمين الآخرين لكي يرسلوا الاموال المطلوبة منهم لرويس مستخدما في ذلك نفوذ
المستند من امكانه اصدار قرار الحرمان ضدهم وتاليب امراء الدول التي يعطون فيها
عليهم ، وعن طريق التصريح لحكومة رودس بأن تتصرف في بعض املاك الاستبارة بالبيع
أو الرهن أو الايجار طويلا^(٢) ، علما بأن رودس كانت وهكذا في مسير الحاجة
للكثير من المال لمواجهة خطر التهديد العثماني المتزايد ضد مستعمراتها ازمير .^(٣)
وعلى أي حال فان البابا كلمنت السابع لم يتأخر عن تنفيذ كل ما طلبه منه السيد الكبير
هيرديا من أجل توفير هذا المال . يضاف الى ذلك أنه بفضل هذا البابا تمكن
هيرديا من عقد ثلاث جمعيات للاستبارة في مدينة أفينيون — الاولى في عام ١٣٩٠
والثانية في عام ١٣٩٢ ، والثالثة في عام ١٣٩٣ — اتخذت فيها القرارات التالية
والادارية المناسبة لاصلاح الاوضاع في هيئة الاستبارة ، وتمكينها من أن تظل واقفة
على أرجلها بالرغم من حركة الانشقاق التي حدثت فيها نتيجة لوقوع الانشقاق في الكنيسة
الكاثوليكية العامة .^(٤)

وعندما توفي البابا كلمنت السابع في عام ١٣٩٤ منح الاستبارة قسسي رودس
تأهيدهم لخليفته البابا بندكت الثالث عشر (١٣٩٤ — ١٤١٧) الذي تولى في نفس
هذا العام بمدينة أفينيون ، غير أنه حدث في ٢٥ مارس عام ١٤٠٩ أن افتتحت أولسى
جلسات مجمع كنسي كاثوليكي عقد في مدينة بيزه الإيطالية لمحاولة الاهتداء الى وسيلة

(١) أنظر : Vertot II, PP. 290-292.

(٢) أنظر : De naberat, PP. 57 , 62; D. Le Roulx: les Hospit. a Rh, P. 184

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Op. Cit., P. 220

(٤) لمعرفة تفاصيل هذه القرارات ارجع الى :

De Le Roulx: Op. Cit?, PP. 225-234 ; vertot II, PP. 292-293

لا ليهناء الانشقاق الكبير الذي أصيبت به الكنيسة الكاثوليكية منذ عام ١٣٧٨ * وتسهيلا
 لبلوغ هذه الغاية قرر أعضاء المجمع في جلسة ٥ يونيو (عام ١٤٠٩) خلع كل من البابوين
 المتنافسين وتذاك — وهما بابا أفنيون بتدكت الثالث عشر ، وبابا روما جريجوري الثاني
 عشر — وتعيين بابا واحد مقره روما هو البابا اسكندر الخامس (١٤٠٩ — ١٤١٠) الذي
 تم تنويعه بالفعل في ٢٦ يونيو من نفس العام * ولقد رفض كل من البابوين المخلوعين
 الامتثال لقرار خلعهما مما ترتب عليه قيام ثلاث بابوات بدلا من بابوين * غير أن السيد الكبير
 للاستشارة فلبرت دي نيلاك Philibert de Maillac — الذي تولى بعد
 وفاة هيرديا في عام ١٣٩٦ ، وكان ضمن أعضاء مجمع بيتره صحة سنة عشر فارما استاريا
 عهد اليهم تولى مسئولية الحراسة في المجمع — أبد صراحة البابا اسكندر الخامس الذي
 عينه مجمع بيتره ، كما أن مجلس الاستشارة في رودس بحث في ٢٠ نوفمبر عام ١٤٠٩ برمائيل
 الى البابا اسكندر الخامس ومجمع الكرادلة المقدس والسيد الكبير دي نيلاك يعطون فيها
 تأييدهم المطلق لهذا البابا (١).

وكان من الطبيعي أن يرد البابا اسكندر الخامس الجميل للسيد الكبير دي نيلاك
 فأعترف به — في منشور بابوي خاص — سيدا كبيرا أوجده للاستشارة (٢) ولهيئة الاستشارة
 نفسها فصدق لها — بمقتضى عدة مشورات صدر بعضها في ٣٠ يولييه عام ١٤٠٩ والبعة
 الاخر في ١٠ أغسطس عام ١٤٠٩ أيضا — على جميع امتيازاتها وحقوقها القديمة *
 ومن ناحية أخرى دعا البابا اسكندر الخامس ، في ٢٠ أغسطس عام ١٤٠٩ ، لعقبة

tot II, PP.370 - 374.

(١) أنظر :

tot II, P.374; D. ^ee Roulx:op. Cit, P.307.

(٢) أنظر

i II, PP.113-114, num. X cl;

(٣) أنظر :

aberat P.66; D. ^ee Roulx:OP.Cit?, P.307 n° 2

مؤتمر استناري عام تتخذ فيه القرارات المناسبة لتعويض الوحدة التي أخذت تمود بالفعل الى صفوف الاستنارية له بالتدريج منذ أوائل القرن الخامس عشر . وقد افتتحت أولى جلسات هذا المؤتمر الذي انعقد في مدينة إكس بروفانس (aix en provence)
بناءً على أمر البابا في ١٩ أبريل عام ١٤١٠ ، وفيها تم انتخاب ثلاثة من مقدمي
الشعب — هم مقدم شعبة أوثرن ومقدم شعبة لمارديا ومقدم شعبة تولوز — لرئاسة المؤتمر
بالتناوب في حضور ممثل البابا في هذا المؤتمر ، وهو الكاردينال بطرس دي بوري

Fierre de vaury ، نيابة عن السيد الكبير دي نيلاك الذي كلفه البابا اسكندر الخامس بمهمة
دبلوماسية هي التوسط في الصلح بين كل من ملك فرنسا شارل السادس وملك إنجلترا هنري الرابع
ومن المعروف أن جلسات دورة هذا المؤتمر قد استغرقت خمسة أسابيع (١٩ أبريل — ٢٣
مايو) ، وأهم ما تقرر فيها — بقطع النظر عن القرارات الأخرى — الاعتراف بجميع القوانين
والقرارات ، بما فيها القرارات الخاصة بالنسب في الوظائف الكبرى ، التي أصدرها كل
من البابويين المتنافسين — وهما بابا أفينيون منذ الثالث عشر ، وبابا روما جي جوري الثاني
عشر ، بشأن هيئة الاستنارية ، فانتجى بذلك عهد الانشقاق في هذه الفرقة .^(١)

وكان البابا اسكندر الخامس قد توفي في أول مايو عام ١٤١٠ قبل انقضاء هذه الدورة
للمؤتمر العام ، وخلفه البابا حنا الثالث والعشرون (١٤١٠ — ١٤١٥) الذي تم انتخابه
في اليوم السابع عشر من نفس الشهر . وقد استقبل الاستنارية انتخاب هذا البابا بنفس
الحماس الذي استقبلوا به انتخاب سلفه اسكندر الخامس .^(٢) غير أن البابا حنا الثالث
والعشرين ، في الوقت الذي صدق فيه للاستنارية على جميع امتيازاتهم العامة ، أباح لنفسه^(٣)

(١) انظر التمهيد الذي أرسلها اليه مجلس الاستنارية بمناسبة انتخابه في :

D. Le Roulx; Les Hosp. à Rh, PP. 307-314; Verrot

II, PP. 374-377.

Pauli II, PP. 114-115 , num XCIII.

(٢) انظر :

D. Le Roulx; Les hosp. à Rh, P. 23 ; De naberat

(٣) انظر :

pp. 66-67.

حق تعيين مقدمى الشعب وأمرى الأمراء من غير أن يحصل على موافقة السيد الكبير
 للاستتارية ومجلسه الاعيادى ، وهما الجهتان الوحيدتان اللتان قررت لهما القوانين
 هذا الحق . وكان هذا البابا يتشبه فرصة موت أى مقدم أو آمر فيعين بدلا منه من يدفع
 لمن فرسان الاستتارية مهلتا أكبر من المال من غير مراعاة لشرط الاقدمية فى عضوية
 هيئة الاستتارية الذى نصت عليه قوانين هذه الهيئة بشأن ملى هذه الوظائف ،
 وأحيانا من غير مراعاة لشرط العضوية نفسه ^(١) وقد أرسل اليه مجلس الاستتارية فى
 ٦ نوفمبر عام ١٤١٠ خطابا طلب فيه منه أن يترك أمر تعيين مقدمى الشعب وأمرى الأمراء
 للسيد الكبير ومجلسه وفق نصوص قوانين هيئة الاستتارية ، كما أن السيد الكبير ^(٢)
 دى ثيلاك لفت نظره شخصيا فى العام التالى الى خطورة هذا الامر ومع ذلك لم يتغير ^(٣)
 من سياسته ، بل أنه فى عام ١٤١٢ عين على الامرية الكبرى فى قبرص أمرا طفلا عمره
 خمس سنوات ، هو لويس الابن غير الشرعى للملك القبرصى جانوس ، وذلك بعد أن وافق
 على قبول هذا الطفل عضوا فى هيئة الاستتارية ^(٤) التى تحرم قوانينها قبول عضوية من
 يقل عمره عن الثمانية عشر عاما ^(٥) وكان أن أرسل مجلس الاستتارية فى رودس خطابا
 ثانيا الى البابا حثا الثالث والعشرين ، فى ٦ نوفمبر عام ١٤١٢ ، أنذاره فيه بأن فرسان
 الاستتارية المقيمين فى جزيرة رودس عقدوا العزم على هجر هذه الجزيرة والعودة الى
 أوطانهم الاصلية للعيش فيها بين ذويهم اذا لم يترك البابا أمر شغل وظائف مقدمى

D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 323 - 324; Vertot II,
 PP. 380 - 382 ; Biliotti, P. 201.

(١) أنظر

) Pauli II, PP. 115-116, num. XCIV.

(٢) أنظر :

D. Le Roulx; Op. Cit., P. 324.

(٣) أنظر :

Hill II, PP. 462 - 463 ; vertot II, P. 382

(٤) أنظر :

Les statuts, Titre 2 , P. 9.

(٥) أنظر :

الشعب وآمرى الآمرات نعم وفق قوانين هيئة الاستتارية . وقد أحس البابا ما جاء في هذا الخطاب ، ومن أقوال السيد الكبير دى ثيلاك له في مقرر اقاضته بمدينة فرارا الإيطالية ، يعترف حركة التذمر بين فرسان الاستتارية ، ورأى أن من الحكمة تهدئة هذه الحركة ، فوافق على الفاء قراره الخاص بمنح الآمرية الكبرى في قبرص للطفل لويس ، ولكنه رفض فسى الوقت نفسه أن يعيد للملك جانوس المبلغ الذى كان قد استلمه منه ثمننا للآمرية . ومقداره على ما قيل أربع عشرة ألف دوكات . فأضطر الاستتارية الى دفعها للملك فى عام ١٤١٤ ، بالإضافة الى مبلغ آخر مقداره ستة آلاف فلورنسى دفعوها للبابا مقابل موافقته على الفاء القرار^(١) . كما أن هذا البابا رفض أن يتنازل عن ادعائه الخاص بأحقته فى تعيين رؤساء^(٢) بيوت الاستتارية بصفته راعيا ورثيها أعلى لهم .

وعلى أى حال فقد عزل البابا حنا الثالث والعشرين فى ٢٩ مايو عام ١٤١٥ على يد مجمع كنسى كان قد عقد فى مدينة كولستانس Constance الألمانية منذ ٥ نوفمبر عام ١٤١٤ لفرض العمل على انهاء حركة الانشقاق الكبير فى الكنيسة الكاثوليكية بعد أن فشل مجمع بيزه الذى عقد فى عام ١٤٠٩ فى تحقيق هذا الفرض . وقد ضغط مجمع كولستانس أيضا على الباباين الآخرين المنافسين للبابا حنا الثالث والعشرين ، وهما البابا جريجورى الثانى عشر الذى اضطر الى تقديم استقالته للمجمع فى ٤ يولييه عام ١٤١٥ ، والبابا بندكت الثالث عشر الذى رفض أن يقدم استقالته فعزل المجمع فى ٢٦ يولييه عام ١٤١٧ . ولم يلبث المجمع بعد ذلك أن شكل لجنة من ثلاثين عضوا ، جميعهم من رجال الدين ، وأحد هم كان مقدم دير رودس ، للتعاون مع الكرادلة الثلاثة والعشرين أعضاء المجمع المقدس فى عملية انتخاب بابا واحد يحل محل البابوات الثلاثة المعزولين . وقد عقدت لجنة

Vertot II, PP.382 -384; Biliotti, P.202;

(١) أنظر :

Hill II, F.463 ; D. le Roulx:Les Hosp. à Rh., P.324.

D. Le Roulx:Op. Cit, P.325

(٢) أنظر :

الثلاثين عضواً أولى اجتماعاتها المشتركة مع أعضاء المجمع المقدس في ٨ نوفمبر عام ١٤١٧ ، وظلت هذه الاجتماعات أربعة أيام متواصلة إلى أن انتهت في يوم ١١ نوفمبر عام ١٤١٧^(١) بما انتخاب البابا مارتن الخامس Martin V (١٤١٧ - ١٤٣١) .

وقد أتمهز السيد الكبير دى ليلاك فرصة تولية البابا مارتن الخامس فصل منه ففى ٢٢ ديسمبر عام ١٤١٧ على خمسة من المناشير البابوية التى كانت هيئة الاستتارية فى حاجة إليها وهكذا لتقوية النظام الذى رعىته حركة الانشقاق فى داخلها ولتوطيد العلاقات بينها وبين البابوية . وقد تضمن أول هذه المناشير تجديد جميع الامتيازات التى منحها البابوات المختلفون لهيئة الاستتارية منذ انشائها بما فيها الامتيازات التى صدرت عن البابوات المتنافسين خلال فترة الانشقاق الكبير فى الكنيسة (١٢٧٨ - ١٤١٧) ، على حين تضمن المنشور الثانى مطلقان جميع ما تم فى أملاك الاستتارية من عطيات رهين ، والثالث مطلقان ما تم فى هذه الممتلكات من عطيات بهم أو غيرها خلال فترة الانشقاق ، والرابع إلغاء جميع التعيينات فى مناصب مرمى الشعب وأمرى الآمرات التى تمت بطريقة تتعارض مع نصوص قوانين هيئة الاستتارية ، بما فيها ما لتعليمات التى تمت بأوامر البابوات ، والخامس تحريم أى اعتداء على الاستتارية فى أشخاصهم أو أملاكهم^(٢) .

وليس أدل على أن البابا مارتن الخامس لم يصدر هذه المناشير الخمسة إلا عن اقتناع بمضمونها من أنه ما كاد يعلم فى أول يولييه عام ١٤١٨ بأن ملقه البابا حنا الثالث والعشرين قد أتى مخالفة لقوانين هيئة الاستتارية بأن كلف كاردينالا بالتحقيق فى شكوى تقدم بها إليه - أى إلى البابا - فارسان استتاريان ، حتى أصدر أمره بسحب هذه الشكوى من الكاردينال المذكور وتحويلها إلى جهة الاختصاص التى نصت عليها تلك القوانين وهى السيد الكبير للاستتارية وموتمرهم العام . كذلك أصدر هذا البابا

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 329 - 335.

(١) أنظر :

Ibid, Op. Cit., P. 336. ; De naberat, p. 67.

(٢) أنظر :

في ١٢ ديسمبر عام ١٤١٩ منشورا بابويا نص صراحة على أنه ليس من سلطاته تعيين رؤساء هيوت الاستبارية أو تأييد أي من هؤلاء الرؤساء يكون قد طالب منه مباشرة ، وليس عن طريق السيد الكبير ، أن يتدخل لصالحه في أمرا . وفي نفس اليوم أصدر البابا مارتن الخامس مشورين آخرين قضى أحدهما بمنع قبول الاملاء غير الشرعيين في عضوية هيئة الاستبارية الا اذا كانت تجرى في عروقهم الدماء الملكية ، وقضى الثاني بالقضاء جميع الامتيازات البابوية التي استغلها بعض رؤساء هيوت الاستبارية في النهرب من تعديد التزاماتهم العالمية (١) للخرانة في رودس .

على أن البابا مارتن الخامس ، بالرغم من ذلك ، لم يكف هو وكرادته عن التدخل بالسواطة لدى رئاسة الاستبارية في رودس لصالح بعض فرسان الاستبارية الراغبين في الحصول عن طريقهم على مناصب ادارية هامة ، سواء مركزية في رودس أو اقليمية في الشعب ، من غير أن تتوفر فيهم الشروط التي نصت عليها قوانين هيئة الاستبارية لتعيينهم فيها ، وبعد وأن مارتن الخامس وكرادته تعادوا في هذا النوع من التدخل في عهد السيد الكبير أنطوان فلوثيران (١٤٢١ — ١٤٢٧) ، خليفة دي نيلاك ، مما دعا المؤتمرا الاستباري العام المنعقد في رودس برئاسة هذا السيد الكبير ، في ١٠ مايو عام ١٤٢٨ ، الى اصدار قرار ينص على عدم السماح لاي عضو في هيئة الاستبارية بأن يخادر مقر اقامته في جزيرة رودس أو في شعب الاستبارية المختلفة لفرض التوجه الى مدينة روما مقر البابا من غير أن يحصل على اذن السيد الكبير أو الوكيل العام لهيئة الاستبارية في البلاط البابوي . (٢)

(١) أنظر : D. Le Roulx : les hosp. à Rh., PP. 344-345 ;

(٢) أنظر : Vertot II, PP. 411-412 ; Biliotti, P. 209.

ولمعرفة طريقة تعيين الوكيل العام للاستبارية في البلاط البابوي .

أنظر :

Les statuts, Titre 13, P. L20

وعلى أى حال فقد كان توافد فرسان الاستتارية للإقامة فى البلاط البابوى بمفيسة
الحصول عن طريقه على مناصب هامة لهم فى هيئتهم ظاهرة قديمة . ومن ناحية أخرى
فقد ظلت هذه الظاهرة قائمة حتى نهاية عهد الاستتارية بجزيرة رودس . ولعل من
شواهد ذلك أن البابا بيوس الثانى Pius II (١٤٥٨ - ١٤٦٤) أصدر منشورا
بابويا فى ٣ يونيو عام ١٤٦٢ - بناء على طلب السيد الكبير القائم بالحكم فى رودس وقد اك
وهو زاكوسا (١٤٦١ - ١٤٦٧) - حرم فيه الحصول على عضوية هيئة الاستتارية
أو على أى منصب قيادى فى الشعب المختلفة الا عن طريق السيد الكبير للاستتارية ووفق
لوائح وقوانين الهيئة ، كما حرم على أعضاء هذه الهيئة البقاء طويلا حول أمراء أوروبا
ينملقونهم بغية أن يساعدوهم فى الحصول على مناصب مدمى بموت الاستتارية الموجودة
فى أماراتهم بطرق غير شرعية لا تتفق وقوانين الهيئة . ومن هذه الشواهد أيضا أن البابا
سكستوس الرابع Sixtus IV (١٤٧١ - ١٤٨٤) صادق فى ٢٥ يونيو عام
١٤٧٢ ، أى فى عهد السيد الكبير أورسنى (١٤٦٧ - ١٤٧٦) خليفة زاكوسا ،
على ما جاء فى قرار البابا بيوس الثانى ^(١) ، وأن البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ - ١٤٩٢)
خليفة سكستوس الرابع - أصدر منشورا بابويا ، فى ٢٨ مارس عام ١٤٨٩ ، أى فى عهد
السيد الكبير دوبيسون ونا على طلبه ولا شك ، تنازل فيه عن سلطة البابا فى تعيين
مقدمى شعب الاستتارية الشاغرة ، وأكد بأن هذه السلطة يملكها السيد الكبير للاستتارية
وحده . ^(٢)

ومهما يكن من أمر هذه الظاهرة فقد برزت خلال تلك الفترة نفسها ظاهرة أخرى كان
لها أكبر الأثر فى العلاقة بين البابوية وحكومة الاستتارية فى رودس هى ظاهرة لجوء بعض
فرسان الاستتارية من مقدمى الشعب وأمرى الأمراء الى البابا يشكون له من بعض تصرفات
السيد الكبير ومجلسه الضارة بهم ، ويطلبون منه أن يتدخل لائصافهم . وقد وضع أثر هذه

الظاهرة في عهد السيد الكبير حنا لاستيك (١٤٣٧ - ١٤٥٤) حيث أرسل اليه البابا
نقولا الخامس (١٤٤٧ - ١٤٥٥) في عام ١٤٤٨ رسالة أبلغه فيها بأن عددا كبيرا من
رؤساء هيوت الاسبتارية في أوروبا تقدموا اليه بشكاوى تلص على أن السيد الكبير فرض عليهم
بطريقة استبدادية دفع عائد عن الهيوت التي يديرونها أكبر من الدائد المعتاد دفعه
(Les responsions) ، وبأنهم عززوا شكاواهم بتقديم نسخة له من مجموعة
القوانين التي أصدرها المؤتمر الاسبتاري العام في دورته الأخيرة المتعقدة في رودس قبل
ثلاث سنوات - أي في عام ١٤٤٥ - تظهر نصوصها بهجلا بأنهم على حق في التمسك
بشكاواهم ضده ، وبعد أن منح البابا في هذه الرسالة السيد الكبير حنا لاستيك على عدم
احترامه هذه القوانين طلب منه ضرورة مراعاة التقيد بها في تصرفاته المستقبلية ، غير أن حنا
لاستيك لم يلتزم أن رد على البابا نقولا الخامس ، ٢٣ أكتوبر عام ١٤٤٨ ، في رسالة وقع
عليها معه جميع أعضاء مجلس حكمته ، يقول فيها بأن قرار رفع قيمة الدائد الذي اشتكى
منه بعض مقدمي هيوت الاسبتارية لم يصدر عنه وإنما صدر عن المؤتمر العام المتعقد في رودس
في عام ١٤٤٥ للمساعدة في تسديد الديون التي أضطر الاسبتارية الى اقتراضها لتعويض
الخسائر التي لحقت بهم نتيجة وقوع غزوة مصرية - مملوكية كبرى على جزيرتهم رودس في العام
السابق لاعتقاد هذا المؤتمر (أي في عام ١٤٤٤) ، وأن البابا يوجب الرابع
(١٤٣١ - ١٤٤٧) - الذي خلفه نقولا الخامس - قد صدق على هذا القرار بمسند
أن تأكد من صدق حسابات حكومة الاسبتارية حول تكاليف تلك الغزوة ، أما عن مجموعة
القوانين التي قدمها للبابا أصحاب الشكاوى وصحت بها هذا البابا الى السيد الكبير صحة
رسالته اليه ، فقد ذكر حنا لاستيك بأنه وأعضاء المجلس قد فحصوها بأنفسهم مطابقة على
النسخة الاصلية المحفوظة ضمن وثائق الحكومة ، واتضح لهم بأن الفرسان الذين رفعوها
للبابا قد حرفوا بعض نصوصها بما يخدم ادعائهم ضده ، هذا وقد هاجم دى لاستيك
في رسالته للبابا هؤلاء الفرسان ضهما اياهم بالهروب من حياة الديرة الصارمة في أديرة
الهيوت التي وضعوا على رأسها ، وبأنهم يهدلون البقاء في هذه الهيوت لادارتها على الوجه

الامثل ، غادروها من غير الحصول على اذنه ليعيشوا حياة الرخاوة والرغد في روما ، كما اتهمهم بالحرص على عدم الحضور الى رودس ، وبأنهم اذا جاؤا اليها لا يحقون فيها سوى مددا قصيرة تفاديا لعدم العيش في ظل القوانين الصارمة المساعدة فيها ، وتجنبا لانفسهم شر مقاتلة المسلمين . وختم دي لاستيك رسالته بأن رجا البابا ارسال المقدمين الذين سجنوا اشتكوه الى رودس ليتعلموا من اخوانهم المقيمين فيها من أعضاء هيئة الاستبارة كيف تكون الحياة الحقة للفارس الاستباري . ولم تقع تطورات لهذا الحادث مما يدل على أن البابا نقولا الخامس قد اقتنع بما جاء في دفاع لاستيك عن نفسه ضد التهمة الموجهة اليه .^(١)

غير أن حادثا مشابها لهذا الحادث لم يلبث أن وقع في عهد السيد الكبير زاكوسا (١٤٦١ - ١٤٦٧) حيث تقدم بعض مقدمي الشعب وأمرى الآمرات العاطلين في إيطاليا وأرغونه - عن طريق أمراء الدول التي يعملون فيها ، وخاصة دوق البندقية كريستوفورو مورو Cristoforo Moro (١٤٦٢ - ١٤٧١) وملك نابلي فرديناندو الاول (١٤٥٨ - ١٤٩٤) وملك أرغونة حثا الثاني (١٤٥٨ - ١٤٧٩) - للبابا بولس الثاني (١٤٦٤ - ١٤٧١) بشكاوى يتهمون فيها هذا السيد الكبير بالاستبداد في الحكم وبأنه يفرض عليهم دفع ضريبة استثنائية من غير وجه حق لا لشيء الا لاثراء نفسه على حسابهم . وكان أن أرسل البابا الى زاكوسا بأمره بأن يتخذ الاجراءات الضرورية لتفسير مقرراته عاد الموتمر الاستباري العام ، الذي كان زاكوسا قد دعا لمقده في مدينة رودس ، الى مدينة روما ، بحجة رغبته في الاشراف بنفسه على سير المناقشات فيه ، ولكن لغرض حقيقي هو احضار زاكوسا الى روما لمحاكمته بطريقة تحفظ له كرامته في شيخوخته على التهم المنسوبة اليه . ولم يلبث أن عقد هذا الموتمر العام في روما في شهر فبراير عام ١٤٦٧ ، وفيه دافع زاكوسا عن سياسته موكدا بأنها متفقة تماما مع نصوص قوانين هيئة الاستبارة ، وبأن الضريبة غسرت الاعياد التي اشكى منها بعض رؤسا هيوت الاستبارة فرضها الموتمر الاستباري العام

في دورته السابقة التي عقدت قبل خمس سنوات أى في عام ١٤٦٢ • وقد شهد بعض أعضاء
المؤتمر من فرسان الاسبتارية المشهود لهم بالنزاهة ، وعلى رأسهم بطرس دهبسون الذى
أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاسبتارية ، لصالح زاكوستا أمام البابا الذى حضر بنفسه بعض
جلسات المؤتمر ، وانتهى الامر بحصول زاكوستا على تأييد جميع أعضاء المؤتمر على
رضا البابا بولس الثانى • ولم يلبث البابا أن بحث مع السيد الكبير فيما يلزم انخاذه من
الاجراءات لرد مقدمى الاسبتارية المتمردين الى الداعة وارغامهم على دفع الضريبة المطلوبة
منهم ، كما أن هذا البابا ألقى أمام أعضاء المؤتمر العام خطبة حيث فيها هو "الأعضاء"
على اصدار ما يلزم من القوانين التى تلزم الاسبتارية على التزام جانب الحياة الفاضلة •
هذا ومن المعروف بأن زاكوستا توفى بمدينة روما ، فى ٢١ فبراير عام ١٤٦٧ ، ودُفن
بأمر البابا بولس الثانى فى كنيسة القديس بطرس بهذه المدينة ما يدل على أن هذا البابا
قد رد الاعتبار بالكامل للسيد الكبير للاسبتارية • وكان المؤتمر العام المنعقد
وتذاك فى روما قد كفر دورته بعد أن انتهى من بحث جميع أعماله ، ولكنه عاد الى الاجتماع
مرة أخرى بمجرد الانتهاء من مراسم دفن زاكوستا لانتخاب سيد كبير جديد خلفا لزاكوستا^(١)
فوقع اختياره فى ٤ مارس على مقدم شعبة روما أورسينى ربما تزكية من البابا بولس الثانى ،
والكاردنال أورسينى قريب السيد الكبير المنتخب •^(٢)

ولم يقع فى عهد أورسينى (١٤٦٧ — ١٤٧٦) ما يمكن أن يكون قد عكس صفو
العلاقات بينه وبين البابوية فى روما • غير أن الامر يختلف عن ذلك فى عهد خليفته بطرس
دهبسون (١٤٧٦ — ١٥٠٣) الذى وقعت الجفوة بينه وبين اثنين من البابوات المعاصرين

(١) أنظر : Bouhours, PP.29-31; Biliotti, PP.237-239.

(٢) أنظر : De Nabérat, P.73

له هما البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ - ١٤٩٢) ثم خليفته البابا اسكندر السادس ،
 (١٤٩٢ - ١٥٠٣) . وفي الحقيقة لم يكن البابا انوسنت الثامن - وهو سليل أسرة
 سيهو Sibbo الجنوية - غريبا عن جزيرة رودس التي يحكمها دوييسون ، فقد ولد والده
 وعاش فيها . وعندما تولى هذا البابا منصبه كتب رسالة الى دوييسون يبلغه فيها بأمر
 توليته . وقد خاطبه في هذه الرسالة بالابن المحبوب (dilecto filio)
 وتوسل اليه بأن يصلي ويقدم النذور الى الله ليمنح البابا هركات السماء ، ثم أكد له بأنه
 سوف يجده دائما على استعداد لتلبية جميع طلباته التي من شأنها أن تحقق المجد له
 ولهيئة الاستشارة التي يرأسها .^(١) ومن ناحية أخرى جدد البابا انوسنت الثامن لهيئة
 الاستشارة امتيازاتها العامة^(٢) والأوامر البابوية الهادفة الى حماية أملاكها وخاصة ما يخص
 منها على تحريم التصرف في هذه الاملاك بالبيع أو الرهن أو الامتبدال أو التاجير لمصلحة
 الحياة إلا بإذن البابا مع الغاء جميع ما تم من هذه العمليات من غير الحصول على هذا
 الاذن .^(٣) أضف الى ذلك أن هذا البابا قلد المسئول الديني في مجلس الاستشارة
 (رئيس الكنيسة) ونوابه سلطات دينية لم يتنازل البابوات عادة عن مثلها الا نادرا من
 أمثلتها غفران الخطايا ورفع العقاب بالقطع أو الحرمان من الكنيسة والاحلال من تأديسة
 القسم والنذور فيما عدا النذور بالطاعة والفقر والعفة الذي تستلزمه عضوية هيئة الاستشارة ،
 وتأييد الصلاة في الاماكن الواقعة تحت قرار الحرمان ، واستخدام مذبح متنقل يمارسون
 فوقه الشعائر الدينية أينما يحلون في البر أو البحر ، وغير ذلك من السلطات الدينية^(٤) .

(١) أنظر : Pauli II, PP. 155-156 / ^{Núm.} CXXX; Bouhours, PP. 150-151

(٢) ارجع الى منشور أول أبريل عام ١٤٨٥ ، ومنشور ١٤ يوليو عام ١٤٨٦ ، ومنشور

١٠ مايو عام ١٤٨٧ في De naberat , PP. 76-77

(٣) أرجع الى منشور ٢٩ ديسمبر عام ١٤٨٩ في Ibid: Op. Cit., P. 77

(٤) أنظر : Bouhours, P. 152; Thuasne, P. 130

هذا بخلاف المنع التي جاد بها انوسنت الثامن على دويسون وحميئة الاستنارية ثمة لقيام دويسون ، في عام ١٤٨٩ ، بتسليم الامير العثماني جسم — وكان قد لجأ الى رودس ، قبل ذلك بمسبوع سنوات ، اى في عام ١٤٨٢ ، فارا من وجه أخيه السلطان بايزيد الثاني — للبايا ، وأهمها تقليد دويسون لقب كاردينال باسم القديس أدريان ولقب نائب باهوى عمام في آسيا والشرق ، وضم هيئات القبر المقدس ، والقديس لعازر ، وميت لحم ، والناصره ، وميت مونتيميلون (mont morillon) — التابع لهيئة القديس أوغسطين فيسى أهروشية بواتيه — بعد الغائها الى هيئة الاستنارية .^(١)

على أنه حدث بعد ذلك — وعلى وجه التحديد في ٣٠ نوفمبر عام ١٤٩٠ — أن وصل الى روما قاصد عثماني اسمه مصطفى بك أرسله السلطان بايزيد الثاني للتفاهم مع البابا فيما يتعلق بإقامة جم في روما ، التي كان قد وصل اليها منذ ١٢ مارس عام ١٤٨٩ بعد أن وافق دويسون على تسليمه للبابا . وقد أبلغ هذا القاصد البابا بأن دويسون تسلم من بايزيد مبلغ مالية تزيد كثيرا عما اتفق عليه الطرفان في معاهدة مكتوبة بينهما وذلك في مقابل اعالة وحراسة جم . وكان دويسون قد أخبر البابا بأن بايزيد يدفع له كل سنة مبلغ أربعين ألف دوكت . ولكن البابا كان يشك في قوله فيما يتعلق بمقدار المبلغ نتيجة ما استقاه من أخبار كاذبة من مصادر أخرى منها تجار فلورنسا في تركيا ، ثم قوى الشك لديه نتيجة تصريح القاصد التركي مصطفى بك . وكان أن أرسل البابا الى دويسون بهيئة ويطلب منه ضرورة أن يرسل اليه نص الاتفاقية المعقودة بينه وبين بايزيد بشأن جم . وفي نفس الوقت وجه انوسنت الثامن اللوم للروادسة على ما أكده له مصطفى بك من كذب

(١) انظر : Pauli II, PP. 157-159 num. CXXXIV; PP. 160-164 num. CXXXVI; De naberat, P. 76; Bouhours, PP. 162-164; Thuasne, PP. 227, 238.

ادعائهم بأن بايزيد طلب منهم ضرورة بقاء جم تحت حراستهم الخاصة بالرغم من
التقال مقر اقامته الى روما ^(١) والارجح أن دهبسون أرسل الى البابا نص الاتفاقية الذي
طلبه منه ،الما أنه كان قد ذكر له الصدق فيما يتعلق بمضمونها ، وعلى أى حال فمن
الثابت أن دهبسون قدم للبابا انوسنت الثامن فى يولييه عام ١٤٩١ تقريراً شاملاً ضمنه
الوثائق المتعلقة بالامير جم منذ لجوئه الى رودس فى عام ١٤٨٢ حتى وصوله الى روما
فى ١٣ مارس عام ١٤٨٩ ، وكشف حساب بالاموال التى تسلمها من بايزيد خلال هذه
الفترة على أساس المبلغ المحدد فى الاتفاقية المعقودة بينهما وهو مبلغ أربعين ألف
دوكات سنوياً ^(٢) .

هذا ما كان من أمر البابا انوسنت الثامن مع الاستبارة فى رودس وسيدهم الكبير
دهبسون ، وقد توفى هذا البابا فى ٢٥ أغسطس عام ١٤٩٢ وخلفه البابا اسكندر
السادس الذى ابتهج الاستبارة فى رودس لتوليته لانه كان قبل أن يشغل منصب البابوية
يقوم بدور المحامى عندهم من زملائه الكرادلة الآخرين أعضاء المجمع المقدس ^(٣) ، غير أن
البابا اسكندر السادس الذى صدق ، شأنه شأن البابوات الذين سبقوه ، فى أخير
يولييه عام ١٤٩٤ ، على مائر الامتيازات العامة لهيئة الاستبارة ، والاوامر البابوية
الهادفة الى الحفاظ على املاك هذه الهيئة ^(٤) لم يلبث أن اجترا على امتياز سبق أن
أصدر سلفه البابا انوسنت الثامن منشوراً خاصاً بالتصديق عليه لاهيئة القصى عند
الاستبارة ، هو انفراد السيد الكبير للاستبارة مشتركاً مع مجلس حكومته بسلطة تعيين
مقدمى الشعب وأمرى الآمرات ، فعين ابن أخيه الايطالى ، لويس هورجيا ، مقدماً لشعبة
قطالونيا من غير أن يأخذ رأى دهبسون الذى كان يحتفظ بهذا المنصب لفارس استبارة
قديم ، اسمه فرانسوا دييوزولا Francis de Bosola يتسمى الى طائفة ارغونه

Thuasne, PP.139-140, 271 , 276 -281

(١) أنظر :

De naberat, P.78

(٢) أنظر :

Thuasne, PP.403 - 307 في Douhours, P.17 2

(٣) أنظر :

De naberat, P.79 .

(٤) أنظر :

وقطالونيا التي تعطيها قوانين الهيئة وحدها حق شغل هذا المنصب • وكان من الطبيعي أن يرفض دوييمون الموافقة على تصرف البابا ، ومطلب من ملك أرغونه ومثقالسة فرد يناند الخامس الشهير بالكاثوليكي أن يتوسط لديه في هذا الامر • وقد استجاب اسكندر السادس لوسادة فرد يناند الخاص فالتى قرار تعيين ابن أخيه مقدما لشعبة قطالونيا ، ولكنه لم يتنازل عن ادعائه بأن من سلطته تعيين كبار موظفي هيئة الاسبتارية بوصفه رئيسا أعلى لها ، كما أنه لم يلبث أن طرد هذه السلطة التي يدعيها بالفعل بتعيين أمين على بعض الأمراء الشاغرة من غير أن يعبأ بأي من الاحتجاجات التي رفعتها اليه دوييمون حول هذا الامر (١) .

وعلى أي حال لم يلبث هذا البابا أن توفي في عام ١٥٠٣ ، الذي توفي فيه أيضا السيد الكبير دوييمون • وقد تولى في الفترة التي تلت ذلك ، واستدت حتى أول يناير عام ١٥٢٣ حيث أرمغ الاسبتارية على الجلاء من رودس على يد السلطان العثماني سليمان الثاني ، ثلاثة بابوات في روما هم على التوالي : يوليوس الثاني Julius II (١٥١٢ - ١٥١٣) ، وليو العاشر Leo X (١٥١٣ - ١٥٢١) ، وأدريان السادس Adrian VI (١٥٢٢ - ١٥٢٣) • ونحن نعرف بأن أول هؤلاء البابوات - وهو يوليوس الثاني - قد أصدر قرارا في ٢٧ يونيو عام ١٥٠٥ - بناءً على طلب السيد الكبير المعاصر له امير دامبواز (خليفة دوييمون) - جدد بمقتضاه قرار البابا انوسنت الثامن المتعلق بضم هيئات القبر المقدس والقديسين لعسائر هيت لحم والناصره ويتجهون لكون لهيئة الاسبتارية • (٢) ونعرف أيضا بأن نفس البابا كرم هيئة الاسبتارية في عهد السيد الكبير جاي دي بلا تشفورت - خليفة دامبواز - بتعيين أمير البحر الاسبتاري كارتو (Carretto) ، الذي أصبح سيديا كبيرا للاسبتارية في رودس بعد وفاة جاي ، قائدا للحرس في المجمع الكنسي العام الذي افتتحه البابا

(١) أنظر : Bouhours, FP.179-180; Biliotti, P.272

(٢) أنظر : Pauli II, P.172 num. CXLIV; De naberate , P.80.

الاستنارية في رودس . ومن المعروف أن الهابا انوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦) قد
أوصى الاستنارية في ٢٠ نوفمبر عام ١١٩٨ - أي عندما كان مقرراً استنارهم في فلسطين - بأن
يساعدوا ملك قبرص عورى لوزجنان Aimery de Lusignan (١١٩٨ - ١٢٠٥)
في الدفاع عن جزيرته ضد هجمات المسلمين .^(١) وما أن تلقى الاستنارية هذه التوصية
حتى أرسلوا بعض قواتهم إلى جزيرة قبرص حيث استقرت في بعض قلاعها التي يوضعها الملك
عورى تحت تصرفهم ، فكان ذلك على الأرجح نقطة البداية في العلاقات بين هـيئة
الاستنارية وآل لوزجنان بقبرص .^(٢) وفي سبتمبر عام ١٢١٠ منح الملك القبرصي هيو الأول
(١٢٠٥ - ١٢١٨) - خليفة عورى - هيئة الاستنارية امتيازات خاصة هامة منها حق
اقتناء الأراضي ، وطحن الغلال في الطواحين الملكية ، والاعفاء من دفع الرسوم الجمركية
على الصادرات والواردات ، فضلا عن منحها أراضي ومنازل في مدينة ليماسول ، وأرسل
ضباع ، أهمها ضبعة كولوسي Kolossi التي أقام فيها الاستنارية قلعة تصيها
وجعلوا منها مركزا لما عرف باسم الإمرة الكبرى .^(٣)

وهكذا تشكلت نواة ثروة الاستنارية في جزيرة قبرص ، التي دارت حولها في بعض
الاحيان علاقاتهم مع حكام هذه الجزيرة من آل لوزجنان . وقد أخذت تلك الثروة منذ ذلك

(١) أنظر : D. Le Roulx: Cartulaire I, P.655 no 1044

(٢) أنظر : Hill II P.30.

(٣) أنظر : D. Le Roulx: Cartulair II, P.1217, no. 1354, ; D. Le Roulx: Les Hospit. Ex. T.S., PP.149 - 150. ; mas-latrie I, PP.190-191

ويجدد التنويه بأن الاسم كولوسي نسبة إلى اسم صاحبها الأصلي الذي أخذها منه

الملك هيو الأول بعد أن دفع له تعويضا عنها وهو Garinus De Colos

أنظر : Hill II, P.30, N.5

الحين في الاتساع عن طريق الشراء^(١) وإذا كان الملك هنري الثاني لوزجنان (١٢٨٥ - ١٣٢٤) قد حرم عليهم وعلى الداوية - بعد قليل من لجوئهم الى جزيرة قبرص على أثر طردهم من الشام في عام ١٢٩١ - امتناء المزيد من الاراضى والعقارات في هذه الجزيرة^(٢) فان الهياكل كنيست الخاص لم يدهش في عام ١٣١٢ أن عوضهم عن ذلك بتوحيشهم أملاك هيئة الداوية في قبرص بعد أن ألغى هذه الهيئة^(٣) ولعل أهم ما اشتغلت عليه هذه الاملاك من الاراضى والعقارات كنيسة المعبد والبيت الملحق بها في مدينة نيقوسيا ، وكنيسة القديس أنطوان والبيت الملحق بها في مدينة قاماجوستا ، وقلعة جاستريا *gastria* وعدة ضياع كبرى كل منها محصنة بقلعة تحميها^(٤).

وسببها يكن من أملاك الاسبتارية في جزيرة قبرص ، فقد كانت هذه الاملاك فسى الواقع تشكل عاملا هاما من عوامل قيام علاقات الود بين الاسبتارية في رودس وبيت لوزجنان فسى قبرص . ومن هذه العوامل أيضا عامل الجوار ، حيث تقع كل من دولتيهما بالشرب من الاخرى ، وعامل وحدة المصير ، حيث تقف الدولتان جنبا الى جنب في مواجهة عدو مشترك يتمثل فسى

(١) ربما كان من ذلك اراضى فى امسكون - بجوار كولوسى - شيد فيها الاسبتارية قلعة ظلت قائمة حتى القرن ١٦ أنظر : Hill II, P.24

(٢) أنظر : Vertot II, P.24; Hill II, P.198

(٣) أنظر : Amadi, P.395; Hill II pp.273 -274.

(٤) أنظر : Maslatrie II, PP.109-110

Hill II, PP.22-23, 274; Hill III, P.644 n. 2.

علما بأن أهم هذه الضياع ثلاث ، منها اثنتان تقعان فى إقليم پافوس هما ضيعتا فينيكا وأنوجيرا اللتان شكل منهما الاسبتارية ما عرف باسم الأمرية الصغرى ، وضبعة المعبد أو تمبروس *Tembros* التى شكل منها الاسبتارية أمره قاضية بذاتها بالقرب من مدينة كيرينيا . أما بقية أملاك الاسبتارية فى قبرص وما ورثوه عن الداوية - فيما عدا الضياع الثلاث المذكورة - فقد كانت ضمن الأمرية الكبرى .

أنظر :

Maslatrie III, PP.59 , 87; D. Le Ro-Lx: Les Hosp. à Rhodes,

PP. 24-25.

جيرانها المسلمين ، وخاصة المطلبك في مصر والشام ، والاثراك في آسيا الصغرى ، وهو عدو قوى يرغب في اخضاعها بحكم كونها مثالاً لرأس جسر متقدم نحو أراضي للحركة الصليبية الأوروبية العامة بمعصب هذه . يضاف الى هذه العوامل أن كلا الطرفين يهتمان الى طبقة اجتماعية واحدة هي طبقة الاشراف الأوروبية ، وإلى مذهب ديني واحد هو المذهب الكاثوليكي برؤسها البابا . وإلى عنصر قومي واحد هو العنصر الفرنسي الخالص بالنسبة لكل لوزجنان ، والتحالف مع أقليات أيبيرية وإيطالية وإنجليزية وألمانية مع دوام السيادة للعنصر الفرنسي بالنسبة للإسبانية ، هذا الى جانب أن كلا منهما مستعمرة بحكم رعية تختلف عنه في الدين — حيث تدن بالاثوذكسية الهيرنطية — وفي الجنس حيث أن الغالبية فيها من اليونانيين والأقلية من اللاتين .

وفي محاولة لتفتح العلاقات بين الطرفين الإسباني الروماني واللوزجاني القبرصي منذ عام ١٢٠٦ — وهو للعام الذي بدأ فيه الإسبانية محاولاتهم لفتح جزيرة رودس — نجد أن السيد الكبير فولك دي قبلاربه قد اشترك في قبل أن يخرج من جزيرة قبرص للقيام بهذه المحاولات ، وعلى وجه التحديد في ٢٩ أبريل عام ١٢٠٦ ، مع السيد الكبير للداوية وأساقفة قبرص ، في محاولة ناجحة لاتحاد المصلح بين الملك هنري الثاني وأخيه صوري لوزجنان — حامل لقب أمير صور (١) .

ومن المعروف أيضاً بأن الإسبانية قد توسطوا مرة أخرى ، بالاشتراك مع أساقفة قبرص وممثلي الهيئات الدينية الأخرى ، في المصلح بين الملك هنري وأخيه صوري ، في عام ١٢٠٨ ، وانتهت وساطتهم في هذه المرة بموافقة الملك على تعيين صوري حاكماً لقبرص مدى الحياة . (٢)

وقد حدث في ٤ فبراير عام ١٣٠٩ ، أو عام ١٣١٠ ، أن تمكن صوري وأتباعه من الافصال من ارغام الملك هنري الثاني على مفادرة الجزيرة والتوجه الى أرمينيا الصغرى

■ acheras, PP.29-36; Hill II, PP.220-222.

(١) أنظر :

A madi, P.262; Hill II, PP.229-230.

(٢) أنظر :

حيث قام ملكها أوشين Oshin — وهو أخو زوجة عمري إيزاهيل — بحجزه في حصن
لامبرون Lambron (١) وما أن وصل هذا الخبر إلى حكومة الاستبارة في رودس
حتى أرسلت الأمر الكبير جاي دي سفيراك إلى ملكة أرمينيا لتدبير أمر إرجاع هنري الثاني (٢)
إلى قبرص مع الملك الأرمني أوشين وللاتصال بالملك هنري للاستفسار منه عن حالته * وقد
منع الملك أوشين الأمر الكبير للاستبارة متعاقبة هنري الثاني في سجنه ، ولكنه سمح
بوصول رسالة من هذا الملك إلى الأمر الكبير يعلن فيها العفو عن يرجع إلى طاعته ممن
ألقوا به الأذى ، وأمر رعاياه في جزيرة قبرص بأن يطهروا السيد الكبير للاستبارة كتائب
عنه في حكم جزيرتهم إلى حين عودته من أرمينيا * وعندما وصل سفيراك إلى المينا القبرصية
قاما جوستا ، عائدا من أرمينيا ، في ٥ يونيو عام ١٣٠٩ أو عام ١٣١٠ ، قيل له بأن (٣)
الحاكم عمري شاعر ضد الاستبارة ضدها إياهم بالانحياز إلى جانب أنصار أخيه الملك هنري
الثاني ، فضل الهقا في سفينة إلى أن ينجلي الموقف * ولم يلبث أن علم في نفس اليوم
بأنها اغتيال عمري ، ولكنه لم يفاد في سفينة إلا في اليوم التالي عندما أرسل زعيم الحزب
المتاصر للملك من اتصال قبرص يستدعيه لإبلاغ أعضاء هذا الحزب بنتائج رحلته إلى
أرمينيا * وقد أطلع سفيراك هؤلاء الأعضاء على الرسالة التي حملها إياه لهم الملك هنري

(١) أنظر : Amadi, PP.320-325-Macheras, PP.37-38,

(٢) يقول أمادي (ص ٣٣٦) بأن الأمر الكبير أرسل إلى أرمينيا من قبل السيد الكبير
للاستبارة ، وهذا حقيق إذا كان الحادث وقع في عام ١٣١٠ كما ذكر أمادي * ولكن
إذا كان الحادث قد وقع في عام ١٣٠٩ كما ذكر فاكيراس (ص ٣٩) فلا بد أن مجلس
الاستبارة هو الجهة التي أرسلت الأمر الكبير إلى أرمينيا حيث كان السيد الكبير في عام

١٣٠٩ في أرمينيا * أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. en T.S., P.279

(٣) عن التاريخ ٥ يونيو عام ١٣٠٩ (أنظر : Hill II, P.246) وعن التاريخ

٥ يونيو عام ١٣١٠ (أنظر : Amadi, pp.329-331) * ويلاحظ بأن

المؤرخ ديلاثيل يؤيد أمادي ، وبأن فاكيراس
Macheras, P.39.

ذكر بأن التاريخ هو ٥ مارس ١٣٠٩ .

الثاني كما ذكر لهم بأن الملك الارميني أوشين اشتهر بطلا لاطلاق سراح هنري بأن ياتيه
 سفيراك بخطاب من عموري يوافق فيه على ذلك * وكان أن كلف أنصار الملك هنري الأمر
 الكبير للاستتارية بالمودة إلى أرمينيا صريحة اثنين من الفرسان القبارصة * لمطالبة
 الملك أوشين من جديد بأن يطلق سراح هنري الثاني بعد أن توفي أخوه عموري * وما
 أن وصلت السفينة التي تقل هؤلاء السفراء إلى ميناء مالونا malona الارميني *
 حتى تسلل منها الفارسي القبرصي نوحا للو - الذي كان قبلا يناصر عموري * ثم أقسم بيمين
 الولاء للملك هنري وما بعد أن اغتيل عموري - إلى داخل المدينة وأشاع بين الناس بأن
 عموري وزوجته ايزابيل أخت الملك أوشين وأطفالهما اغتيلوا جميعا على يد أنصار هنري
 بمساعدة الاستتارية * فبهزت جميع الأرمنيين الذين صدقوا الاشاعة إلى الميناء للقبض
 على الأمر الكبير للاستتارية ورفاقه ولكنهم اغتفوا بسبب تحصن هؤلاء في سفنهم *
 ولم يلبث سفيراك أن كتب من هذه السفينة رسالة إلى الملك أوشين أكد له فيها بأنه لم
 يأت اليه بشر وإنما لابلغه بخبر موت عموري ولزمائه باطلاق سراح الملك هنري * وقد رد
 عليه ملك أرمينيا مبررا له عن استمداه لتحقيق رغبته في اطلاق هنري إذا أتى له سفيراك
 برسالة من أخته ايزابيل أرملة عموري تؤكد له فيها سلامتها وأطفالها * وكان أن عاد سفيراك
 إلى فاما جوستا حيث أبلغ الأفعال الموالين للملك هنري بنتائج رحلته إلى أرمينيا * ثم غادرها
 إلى جزيرة رودس لاطلاع السيد الكبير فولك على هذه النتائج ^(١) على أن الأمر الكبير
 للاستتارية لم يلبث أن رجع مرة أخرى إلى فاما جوستا في ٢٦ يونيو عام ١٣١٠ على رأس قوة
 مؤلفة من أرمنين فارسي استتاريا * بكامل عدتهم وأسلحتهم وخيولهم * قرر فولك تعزيز أنصار

(١)

الملك هنري بهم * ربما رد اعين اسبيلز اند اوية في ظهور الى الافصال المتعديين عدني

(٢)

هذا الملك * اورية منه في تسديد ضريبة قوية نهو * الافصال * الذين وضع ضريبة

(٣)

مركزهم بعد موت زعيمهم عدوي واحد من مدن فالما جوستا وبافوس وباماسول ولا * هذا الملك *

فيضطرون الى انتهاء تمردهم * وفي الحقيقة ازداد مركز انصار الملك هنري قوة بفضل هذه

السلطة الاستارية حتى ان غولما هم المتعديين في مدينة نينوسيا ارسلوا اليهم بعرضون

لهم عن رغبتهم في التفاوض معهم من اجل ائصال * فردوا عليهم بالرفض وبأنهم عازمون

(٤)

على التقدم الى نيقوسيا لادشائها في * طاعة الملك بالقوة * وعندما وصل هذا الرد الى

الانصار المتعديين انما سبوا من نيتوميا الى مدينة مجاورة اسمها كورمانيتي ormakiti

رموا ان من الاسهل عليهم ان يدافعوا عن انفسهم فيها مما لو ظفوا في نيتوميا * فارسل

انصار الملك الى نيقوسيا قوة مؤلفة من خمسين فارسا قبرصيا * الى جانب اربعين فارسا

استقاريا بقيادة امر الاميرة الكبرى * وكان وخذات ابرزت الالمانس * فاحتلوا مواقعهم * م

(٥)

فيها في ٢٢ يولييه عام ١٣١٠ * وبعد يومين من ذلك * أي في يوم ٢٤ يولييه عام ١٣١٠

(١) انظر : adi, P.354

(٢) انظر : e Koulx: Les hospit. en T.S., P.281; Hill II, P.202

(٣) عن الاحداث التي كانت الى عودة هذه المدن الثلاث الى طاعة هنري * انظر :

adi, PP.333 - 335

(٤) انظر : madi, PP. 361 - 364

(٥) انظر : madi, PP.364 - 367

عقد اجتماع في القصر الملكي بنيقوسيا ضم اتصال المملكة وفرسانها وأعبائها ، حيث قرأ عليهم القارئ رولاند ود يلاهوم Rolando de la Baume نص الرسالة التي كان سفيراً قد أحضرها من الملك هنري مجين أرمينيا قبل اغتيال عموري ، وأمر فيها الملك اتصاله بالامتنان لاوامر السيد الكبير للاستتارية كئيب له في حكم قبرص الى أن يعود اليها . وبعد يومين آخرين - أي في يوم ٢٦ يولييه - وصل الى جزيرة قبرص تعزيز استتاري يودسي جديد بقيادة المارشال ومقدمي شعب فرنسيا وألمانيا والهندية ، فأرتفع بهوصوله عدد أفراد القوة الاستتارية بجزيرة قبرص الى ثمانين فارساً استتارياً وعشرين تابعاً للفرسان ومائتين من الجند المشاة ^(١) . هذا وقد حدث خلال الشهر التالي - أي شهر أغسطس عام ١٣١٠ - أن استقر الرأي عند أنصار الملك هنري ، بما فيهم الاستتارية ، على إرسال ايزابيل أرماتورى وأطفالها الى أرمينيا لافساد الحجة التي كان يندرج بها أخوها أوشين للاستمرار في احتجاز الملك هنري لديه . وقد عارضت ايزابيل في بداية الامر في سفرها الى أرمينيا ، غير أنها اضطرت في النهاية الى أن ترضخ للامر الواقع بحسب أن هدها الأمر الكبير للاستتارية يحملها الى تلك المملكة بالقوة اذا ظلت على عنادها ^(٢) . ومن ثم لم يجد الملك أوشين مندوحة من أن يخرج عن هنري الثاني الذي لم يلبث أن وصل الى ميناء فاما جوستا بقبرص في ٢٧ أغسطس عام ١٣١٠ ، ومنها توجه الى العاصمة نيقوسيا . فوصل اليها في ١٠ سبتمبر من نفس العام في موكب يتألف من ألف وثمانمائة فارس قبرصية ومسيحيين فارساً استتارياً وأربعة آلاف من الجند المشاة ^(٣) .

وهكذا انتهى الصراع على الحكم في جزيرة قبرص الذي وقف فيه الاستتارية في بداية الامر على الحياد ، ولكنهم لم يلبثوا أن انضموا الى أحد طرفيه وهو الملك هنري الثاني ،

-
- (١) أنظر : Amadi, PP. 368 - 371.
 (٢) أنظر : Amadi, PP. 375 - 377.
 (٣) أنظر : Amadi, PP. 380 - 383.

صاحب السلطة الشرعية في الجزيرة ، ضد الطرف الآخر ، وهو عموري أخو هنري ، مختصب السلطة . وفي الحقيقة لقد ظلت العلاقات الوثيقة قائمة بين الاستبارية في رودس وبين لوزجنان في قبرص حتى نهاية عهد هذا الهيئ في الجزيرة . ومن المعروف بأن البابا حنا الثاني والعشرين أرسل في عام ١٣١٧ يهناخ الملك هنري الثاني لأنه عوق وصول محاصيل أملاك الاستبارية في قبرص وأموالهم إلى رودس في ذلك العام الذي شحت فيه الاتسوات في رودس ، ويطلب منه أن يسهل وصولها ، ^(١) ولكن يمكن تفسير هذا التصرف من الملك هنري برغبته في رد الجميل للسيد الكبير فولك الذي ناصره في صراعه ضد عموري ، وذلك بمعاونة أعدائه من فرسان الاستبارية الذين سيطروا في ذلك العام على الحكم في جزيرة رودس بمساعدة المدعو موريس دي بانياك ، بعد اقضاء فولك عنه بالقوة .

كذلك حدث في عهد السيد الكبير الثاني للاستبارية في رودس ، هليون دي فيلينيث أن استولى الملك القبرصي هيو الرابع (١٣٢٤ - ١٣٥٩) خليفة هنري الثاني - من أملاك الاستبارية في قبرص على ما تروى قبته على ألفين وخمسمائة فلورنتي لموضها رعايا له تعرضوا للنهب من جانب قرصان ، كان فولك قد أقطع والده وعه (في ١٥ أغسطس سنة ١٣١٦) جزيرة نيسروس ^{nisyros} مناصفة فيما بينهما ، ثم ورث القرصان نصيب والده بعد وفاة هذا الوالد . غير أن هذا الحادث لم يؤد إلى وقوع جفوة بين الطرفين الاستباري واللوزجاني بسبب حكمة دي فيلينيث الذي يادر مطرد القرصان من أقطاعه ومع هذا الاقطاع (في ١١ يولية عام ١٣٤١) إلى ابن عمه يعقوب أمانتي ورث نصف الجزيرة الآخر .

ومن الدلائل على مرور هذا الحادث من غير أن يترك أثرا على العلاقات الوطيدة بين الاستبارية وبين لوزجنان دخول الطرفين منذ ذلك الوقت - وعلى وجه التحديد منذ عام ١٣٤١ - جنبا إلى جنب مع الهاوية وجمهورية البندقية في مباحثات بشأن اتخاذ موقف

Hill II, P.275

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP.5, 370-373

(٢) أنظر :

موحد ضد الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى انتهت في ٨ أغسطس عام ١٣٤٣ بتأليف
عصبة بحرية فيما بينهم قامت في العام التالي لتأليفها - أى في عام ١٣٤٤ - بها بحسب
ها سم الحملة الصليبية على أزهر نصبة الى مدينة أزمير التي استولى عليها الخلفاء في ذلك
العام (١) وقد ظلت العصبة قائمة - من الجبهة الرسمية على الأقل - حتى عام ١٣٦٢ .
وحدث قبل انتهائها بنحو عام - أى في عام ١٣٦١ - أن أسهم الاسبتارية بأربع سفن
حربية في أسطول قبرص مؤلف من مائة الى مائة وعشرين سفينة ، استولى بقيادة الملك
القبرصى بطرس الاول (١٣٥٩ - ١٣٦٩) على مدينة أنطاليا مركز إمارة العسلايا
مسمن أميرها تكة Tökke (٢) وبعد أربع سنوات - أى في عام ١٣٦٥ - أسهم
الاسبتارية بأربع سفن حربية ومائة فارس اسبتارى في المعركة البحرية التي غزا بها الملك
بطرس الاول مدينة الاسكندرية . ولم يخل الاسبتارية من مساعدة هذا الملك ، ثم من
مساعدة ابنه وخليفته بطرس الثانى (١٣٦٩ - ١٣٨٢) من بعده ، عسكريا وسياسيا
ضد السلطان المملوكى الحاكم وقتذاك فى مصر - وهو المظفر شيمان - الى ان وافق
هذا السلطان فى عام ١٣٧٠ على عقد الصلح مع بطرس الثانى .

وقد حدث فى العام التالى لعقد هذا الصلح أن الوصى على عرش قبرص - وهو حنسا
لوزجنان عم الملك بطرس الثانى الذى لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد - أرسل الى الهابا
جيجورى البغادى عنده يطلب منه أن يمين على الجزيرة طاريا بشد أزهر فى مواجهة الملكة
الوالدة ، الهانور الارغونية (Eleanor) التى تكثر من التدخل فى الحكم ،
فأرسل الهابا له أحد فرسان الاسبتارية لشغل هذا المنصب . وفى نفس الوقت أصدر الهابا
منشورا أمر فيه بوضع جزيرة قبرص تحت حراسة السيد الكبير للاسبتارية ريموند بيرنجر على

(١) تفاصيل هذه الحملة فى فصل العلاقات مع الاتراك .

(٢) أنظر :

Amadi, P.411; macheras, P.64; strambaldi, P.45.

أن يتولى ادارتها بالتشاور مع الملكة البانور ووالدها بطرس الفرانيسكاني * ^(١) ^(١) الوصى حثا لوزجنان ، والحاكم العسكري (الكونستابل) يعقوب لوزجنان .

وقد وصل الى رودس ، في شهر مارس وأبريل من عام ١٣٧٣ ، أسطول جنوى مؤلف من سبعة أغبره ، صرح قائده بأنه سوف يواصل طريقه الى جزيرة قبرص لا رغام ملكها بطرس الثاني وسادتها طوطا أو كراهية على أن يسلموا له المجرمين القبارصة والبنادقة الذبت قتلوا . أثناء الاحتفال بمتوج بطرس الثاني ملكا على بيت المقدس في ليلة ١٠ أكتوبر أو ١٢ أكتوبر عام ١٣٧٢ بمدينة فاما جوستا . بعض أفراد الجالية الجنوية في الجزيرة ونهبوا أموالهم وتناجرهم ، وأن يدفعوا له تعويضات مناسبة عن الاضرار التي لحقت بالجنوية بسبب اعدائهم . كما أن القائد الجنوى سلم السيد التبر للاستنارية رسالة من البابا جريجورى الحادى عشر يطلب فيها منه أن يتوجه الى جزيرة قبرص صحة الاسطول الجنوى لبذل مساعيه الحميدة فى الصلح بين سادة هذه الجزيرة وجنوة . غير أن السيد الكبير لم يوافقا وقد اك أن يرافق القائد الجنوى فى رحلته الى قبرص ، كما أنه لم يرسل مع هذا القائد فن ينوب عنه فى تنفيذ رغبة البابا ، ^(٢) ^(٢) بها لاعتقاده بأن الامر لم يبلغ من الخطورة حد الحاجة الى التدخل الفورى ، ^(٣) ^(٣) أولانه كان يرغب فى اعطاء الجنوية الفرصة لتلقيق سادة قبرص ، وعلى رأسهم الوصى حثا

Hill II, PP.378 - 379.

(١) أنظر

وفيما يتعلق بوالد الملكة البانور فقد كان ابنا لملك أرغونصه لوب الثانى (١٢٩١ -

١٣١٧) .

Amadi, P.438 n.1; Strambaldi, P.143 n.1

أنظر :

Amadi, PP.430-438; macheras, PP.184 -206;

(٢) أنظر :

Strambaldi, PP.131-149.

(٣) ذكر كل منعا كيرامس ٢٠٦ ، وسعرامبا لدى (ص ١٤٩) بأن الروادسة ر'وا مبي

الاغربة السبعة واستمعوا للتهديدات التى أعلتها هذه الاغربة ضد قبرص ، فلم

تأخرت فى مودتها عزيموا على البحث عنها .

لوزجنان وأخيه " الكونستابل " يعقوب ، درساً لوقوفهم في مذبة غاماجوستا - سبب الخصومة مع جنوة - الى جانب البنادقة الذين لم يكن الاستتارية يتعاطفون معهم ، وأرضاً للملكة الوالدة البانور الارغونية التي كانت تتهم هو "الساد" باعتقال زوجها بطرس الاول (١) صديق الاستتارية ، ويدوان هذا الموقف من السيد الكبير ريموند بيرنجر قد أثار الشكوك لدى البابا جيروجي الحادي عشر في نواياه الحقيقية ، فكتب اليه رسالة ، في ١٠ يونيو عام ١٣٧٣ ، أمره فيها بالامتناع عن الجنبه بأي مساعدة تفيدهم في وضع اليد على قبرص (٢) على ان السيد الكبير للاستتارية كان في الواقع قد أرسل في نفس هذا الشهر - يونيو عام ١٣٧٣ - المارشال الاستتاري الى جزيرة قبرص للقيام بتمهيد عن بدور الوساطة بين حكومة هذه الجزيرة والجنوة . وقد رحب الملك بطرس الثاني بالمبعوث الاستتاري ، وعين خمسة سفراء قبارصة لمرافقته عند أداء مهمته لدى قائد الاسطول الجنوي المراكبي في مياه ميناء غاماجوستا . ولكن عندما رجع اليه حاملاً شروط هذا القائد - وهي ضرورة أن يتنازل بطرس الثاني للجنوة في قبرص عن حصن يقيمون فيه ، وأن يعلم لجنوة مجرمي مذبة غاماجوستا أو أن يدفع بمسئولين عن ذلك مبلغاً كبيراً من المال - لم يوافق على أي من هذه الشروط ، وطلب من المارشال الاستتاري أن يبلغ القائد الجنوي باستعداده لقبول حكم البابا - فلما رفض هذا القائد عرض الملك القبرصي أنهى المارشال الاستتاري وسامته ورجع الى رودس في شهر سبتمبر عام ١٣٧٣ (٣) ولم يضع القائد الجنوي ، عندئذ ، وقتاً في اعلان الحرب على الجزيرة ، لهاجت قواته مدن الملاحات (Salines) وليماسول وبافوس وبندايا (Pendaia) على التوالي ، ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء منها سوى على مدينة بافوس ، ولم يلبث أن وصل

(١) بخصوص اتهم البانور لساد قبرص بقتل زوجها أنظر :

Amadi, PP. 437-438; macheras, PP. 197-198; strambaldi, P. 143

(٢) أنظر : Pauli II, P. 406 num. XIV giunt.

Amadi , PP. 442-444; macheras, PP. 206-211;

Strambaldi, PP. 149 - 153.

(٣) أنظر :

الى قاماجوستا في الشهر التالي - أي في شهر أكتوبر - اسطول جنوى آخر كبير ، مؤلف من ست وثلاثين سفينة ، فاستولى على هذه المدينة وأسر الملك بطرس الثاني بها ، ثم تقدمت قواته الى العاصمة نيقوسيا واستولت عليها . وعندما علم بأن المقاومة القبرصية أصبحت ، بعد سقوط العاصمة ، متركزة في مدينة كيرينيا Kerynia ، بقيادة " الكونتسابل " يعقوب لوزجنان والملكة الهانور ، أرسل قواته الى هذه المدينة فحاصرتها تمهيدا لفتحها . وقد حدث في تلك الاثناء - وعلى وجه التحديد في شهر يناير عام ١٣٧٤ - أن وصل السي قاماجوستا السيد الكبير للاستتارية ريموند بيرنجر ، الذي كان قد أقلقه عدم وصول أخبار اليه عن أحداث الحملة الجنوبية على قبرص منذ عودة المارشال الاستتاري - بعد أن فشلت وساطته في الصلح بين القبارصة والجنوية - قبل خمسة شهور ، فأراد أن يذهب الى قبرص بنفسه ليقيظ على مدى تطور هذه الاحداث فيقوم بهذا محاولة جديدة للصلح بين الطرفين . غير أن وساطة ريموند بيرنجر انتهت بدورها الى فشل . ولم يلبث أن أصابه المرض ثم توفى في ١٦ فبراير عام ١٣٧٤ ، ودفن في كنيسة القديس حنا المملوكة للاستتارية بعد بئس نيقوسيا . (١) وقد قام الجنوية بعد ذلك بثلاث محاولات لتأنيج مدينة كيرينيا انتهت كلها الى فشل . ولم يلبث أن تم الاتفاق بين أمير البحر الجنوي والملك بطرس الثاني على مشروع للصلح بين دولتهما ، وعلى أن يسمح " للكونتسابل " يعقوب لوزجنان بأن يرحل وأسرته فسيأمن الى الغرب لعرض القضية على البابا بعد أن يسلم حصن كيرينيا للفصل قبرص . وقد غادر يعقوب لوزجنان وأسرته وحاشيته ميلا كيرينيا على السفينة الملكية تحرسها سفيتسان جنوبتان . وعندما وصل الى رودس رحب به كبار الاستتارية برئاسة المارشال ، بصفته ناشئا

(١) أنظر : Amadi, PP.444-460; macheras, PP.211-263; Strambaldi, PP.153-192

وقد أشار المؤرخ ديلاثيل (الاستتارية في رودس ص ١٧٦) الى وساطة ريموند بيرنجر وذكر بأن السيد الكبير قرر السفر الى قبرص ليتوسط في الصلح عندما علم بأن الملك يفكر في هذا الصلح بالفعل . ولكن المؤرخ هل قال (في الجزء الثاني ص ٤٠٢) بأنه لم يجد مصدرا لتزعم ديلاثيل .

(٢) أنظر : Amadi, PP.460-473; macheras, PP.264-306; Strambaldi, PP.193-223.

للسيد الكبير ربرت دى جوبلى المتفنيب وهذاك فى فرنسا ، وأنزلوه فى الحى العسكري -
 أى الكولا شهر - المخصص لاقاضهم ، زيادة فى تكريمه . ومع ذلك لم يلبث أن طلب الاستتارية
 من ضيفهم - تحت ضغط تهديد قبطانى سفلى الحراسة الجنوتون باعلان الحرب على
 جزيرتهم - أن يرحل عن هذه الجزيرة . فلما استحلهم بحق محبتهم لوالده ملك قبرص الراحل
 هو الرابع ، وقانونهم الذى يلزمهم بنصرة المظلوم ، واتساع أملاكهم فى جزيرة قبرص ،
 أن يسمحوا له بالبقاء تحت حمايتهم فى جزيرة رودس أو أن يعمدوا له هرجا حصينا بالجزيرة
 يقيم فيه الى أن تعود السفيتان الجنوتتان أدراجهما الى قبرص فيعدوا له على حساب
 الخاص سفينة استتارية تتولى حراسته حتى مدينة روما ، وافقوا - بعد مشاورات فيما بينهم
 داخل مجلسهم استغرقت بضعة ايام - على اغلته الى أن يرحل الجنوة فيقومون بحراسته
 الى مدينة البندقية . ولكن لم يلبث أن وصل الى رودس - بعد مضي ثلاثة عشر أو أربعة عشر
 يوما على وصول " كونستابل " قبرص اليها - أمير البحر الجنوى فرجوزو ، على رأس عشر
 سفن من سفن أسطوله ، فجدد التهديد بمهاجمة رودس اذا لم يدفع اليه الاستتارية باللاجئ
 القبرصى ، فسلموه له فى صباح اليوم الثالث من شهر يونيه عام ١٣٧٤ . وقد قاد أمير
 البحر الجنوى " الكونستابل " ، ومن كان قد أسره فى قبرص من الفرسان القهارصة ،
 الى جنوة حيث ألقى بهم فى سجنين من سجونها ^(١) . هذا ولم يلبث أمير البحر الجنوى
 أن عاد الى قبرص حيث عقد مع ملكها بطرس الثانى ، فى ٢١ أكتوبر عام ١٣٧٤ ، معاهدة
 الصلح ^(٢) الذى كان الطرفان قد واثقا عليه قبل رحيل " الكونستابل " عن
 الجزيرة .

وقد حدث بعد ثمانى سنوات من عقد هذه المعاهدة - أى فى عام ١٣٨٢ - أن توفى
 ملك قبرص بطرس الثانى من غير أن يترك وريثا من صلبه ، فخلفه على العرش عمه " الكونستابل "
 يعقوب لوزجنان ، الذى لم يلبث الجنوة أن أطلقوا سراجه بعد ثلاث سنوات من توليته
 - أى فى عام ١٣٨٥ - مقابل تعهده بدفع المزيد من الفديات لهم ، وأصبح يعرف باسم
 يعقوب الاول ^(٣) (١٣٨٢ - ١٣٩٨)

(١) أنظر : Amadi, PP.473-476; macheras, PP.306315 ; strambaldi, PP.223 - 231

Hill II, PP.413 - 415

(٢) أنظر :

ومعكس الشوق لم ينتقم الملك يعقوب الاول لزوجتان من الاستتارية ، فلم يكن أمامه وسيلة
للاتنظيم الا أن يصادر بعض أو كل أملاكهم في قبرص ، وهو ما لا يقدر عليه بسبب حمايته
البابا لهذه الاملاك ، ووجود حاميات استتارية في حصون أقاموها - منذ آلت اليهم -
في وسطها للدفاع عنها بمفردها أو معززة بها باتيها من نجدات سريعة ترسلها رودس ،
وربما أيضا الجنوة في فاما جوستا . ومن ناحية أخرى فمن المعروف أن الملك يعقوب الاول
تولى في وقت كانت فيه كل من قبرص ورودس ، وسائر القوى الأوروبية المسيحية في شرق البحر
المتوسط ، واقعة تحت التهديد بالفتنة من جانب السلطان العثماني مراد الاول

(١٣٥٩ - ١٣٨٩) ، فوجد نفسه مضطرا - بعد لا من معاداة الاستتارية ، أصدقاؤه
أسرته التقليديون ، لا لشيء الا لالهم عجزوا عن حمايته من عدو أقوى منهم ولا يتورع عن
النزال ألدح الاضرار بجزييرتهم اذا قدموا له هذه الحماية - الى أن يعقد معهم ، في
أول ديسمبر عام ١٣٨٨ ، محالفة ضد هذا السلطان جنبها الى جنب مع ثلاث من مستعمرات
جنوة في بحر ايجه هي جزر خيوس Chios ، ميثيلين mytilene ، وبرا Pera (٢)

وعلى أي حال لم يلبث الملك يعقوب الاول أن توفي في عام ١٣٩٨ ، وخلفه ابنه
الملك چانوس (١٣٩٨ - ١٤٣٢) . وقد فرض هذا الملك ، في أوائل عام ١٤٠٢ ، الحصار
حول مدينة فاما جوستا لطرد الجنوة منها ، ولكن لم تلبث أن وصلت الى ميناء هذه المدينة
في أغسطس من نفس العام ، ثلاث سفن حربية جنوة بقيادة الفارس الاستتاري أنطونيو
جريمالدي antonio grimaldi ، أمر أمير جنوة ، فرفع الملك الحصار عنها
من غير أن يشتبك مع الجنوة ، علما بأن جريمالدي لم يأت الى قبرص بمقتضى استتارية بل جنوة

(١) بخصوص تفاصيل الظروف التي عقدت فيها هذه المحالفة ، ارجع الى فصلا العلاقات

مع الاتراك ، والى Hill II, PP. 439-440

(٢) عن كون هذه الجزر مستعمرات جنوة أنظر :

De La Ronciere II, P.131; D. Le Roulx: F.O.1, P.428.

ينفذ أوامر حكومه بلاده الاصلية ، وهو أمر سمع به قانون هيئة الاستنارية لأعضاء هذه الهيئة
شريطة الا يحصلوا أسلحة أو شارات هيئتهم أثناء القتال ، على أنه حدث في العام التالي
- أي في عام ١٤٠٣ - أن نعا إلى علم حاكم جنوة ، هوسيكو ، بأن چانوس يستعد مرة أخرى
لطرده الجنوية من فاما جوستا بتشجيع ومساعدة من جانب البندقية ، التي كانت تحقد على
جنوة لسيطرتها على ميناء فاما جوستا الهام بالنسبة للمنفذ التجارية التابعة لها . وكان أن
أرسل هوسيكو ، في ٢٤ مارس سنة ١٤٠٣ ، سفيرا إلى قبرص ، هو الناسك ديلافاي
L'Ermite de la Faye لمحاولة عقد الصلح مع الملك چانوس ، في حين خرج
هوسيكو بنفسه من ميناء جنوة ، في ٤ أبريل ، على رأس أسطول يتألف من تسع عشر سفينة
للتدخل به عسكريا ضد چانوس إذا فشل الناسك ديلافاي في مهمته . وقد وصل هوسيكو ،
في شهر يونيو ، إلى رودس حيث كان من المقرر أن يتقابل مع ديلافاي ، بعد عودته من
قبرص ، ليتعرف منه على نتائج مباحثاته مع الملك چانوس موفي الحقيقة فان ديلافاي لم يلبث
أن وصل إلى رودس ، وأبلغ هوسيكو برفض چانوس الموافقة على الصلح مع الجنوة قبل انسحابهم
من فاما جوستا . وقد عزم هوسيكو عندئذ على أن يتقدم بأسطوله لمهاجمة قبرص ، فسير
أن السيد الكبير للاستنارية دي نيلاك أقنعه بالترتب إلى أن يجرب وساطته الشخصية مع
چانوس . ولم يلبث دي نيلاك أن سافر إلى قبرص بالفعل ، في نفس ذلك الشهر يونيو عمام
١٤٠٣ ، صحة ديلافاي وبعض كبار الاستنارية ، للقيام بهذه الوساطة ، وهي وساطة
ناجحة انتهت في ٧ يولييه عام ١٤٠٣ بم عقد اتفاقية للمسلم والتجارة بين قبرص وجنوة .^(١)

(**) Les statuts, Titre 18, PP. 155-156 . n. 24.

(١) أنظر Hill II, PP. 449-455 ; D. ^e Roulx: F.O. 1, PP. 409-432; D. ^e Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 293-296; De la Roncier e II, PP. 129-132. ولمعرفة شروط الاتفاقية أنظر :

Mas-latrie II, PP. 466 - 471.

والمعتقد بأن الفضل في التوصل الى عقد هذه المعاهدة يعود الى افلاح السيد الكبير للاسبتارية في تخويف چائوس من قوة الاسطول الجنوى الذى جاء الى رودس بقيادة موسيكو ، أكثر ما يعود الى عامل الصداقة التقليدية بين الاسبتارية في رودس وآل لوزجسان في قبرص . ومن الادلة على أن چائوس لم يكن يقيم وزنا لهذه الصداقة في معاملاته مع الاسبتارية أنه في عام ١٤١١ أغاضهم من دفع ضريبة العشور الملكية على أملاكهم في قبرص ، ولكنه في نفس الوقت طلب من حكومتهم في رودس بأن تمنح على الأميرة الصفري - المعروفة أيضا باسم أميرة فينيكا أنوجيرا - التى توفى أمرها حديثا ، أمرا معين اختاره لها بنفسه لا يعرف عنه الا أنه كان يشغل وقتذاك منصبها آخر هو منصب آمر بلشيل Belleville . (١) كذلك من المحتمل أنه وضع يده على هذه الأميرة عندما لم تستجب حكومة الاسبتارية لطلبه وعينت أمرا آخر - اسمه لوقاد بقالين Luce de valines - غير الأمر الذى تقدم به اليها . (٢) ومن تلك الادلة أيضا أنه ، فى ٢٠ مايو عام ١٤١٢ ، شغل منصب آمر الأميرة الكبرى لمرشح چائوس لشغله أحد فرسان الاسبتارية ، وعندما ردت عليه حكومة الاسبتارية فسى رودس مستدرة (٤) بأنها اضطرت ، حسبا للمناقشة القائمة على هذا المنصب بين الطوائف السبع التى كانت تتألف منها وتحداك هيئة الاسبتارية ، الى اصدار قرار بتجربة الأميرة الكبرى الى سبع آمريات صفري يوضع على رأس كل منها أمر ينتمى الى إحدى هذه الطوائف ، استمدر

(١) أنظر : mas latrie II, PP. 498 - 500

(٢) أنظر : Mass latrie II, PP. 501- 502, Hill II, PP. 461-462

(٣) أنظر : Hill II, P. 462 n.6.

(٤) فى شهر يونيه عام ١٤١٢ كتبت الى كل من الملك چائوس ، والملكة الزوجة شارلوت

دي ميون ، والملكة الوالده هيلويز دي برونيك (Heloise de Brunswick) ،

تعتذر من عدم امكانها طلبية هذه الرغبة .

(أنظر : D. Le Roulx Les Hosp. à Rh, P.319

وفى ٢٤ مايو عام ١٤١٣ أرسلت سفراهما الى چائوس لاقتناعه بقرار تجزئة الأميرة

من الهابا حثا الثالث والعشرين - في نفس العام ١٤١٢ - قرارا يقضى بمنح الآمرة لابنه
غير الشرعى لويس البالغ من العمر خمس سنوات . وقد استند چانوس الى هذا المنشور فوضع
يده على الآمرة ، ^(١) وظل يضيق الاستنارة فى جزيرته الى أن اضطرت حكومتهم ، فى
٢٧ يولييه عام ١٤١٤ ، الى اصدار قرار باستدعائهم جميعا الى رودس . غير أن هذه
الحكومة لم تلتفت - من ناحية اخرى - أن أقامت الهابا حثا الثالث والعشرين ، قبل
٩ سبتمبر عام ١٤١٤ ، باصدار قرار آخر ألقى بمقتضاه قراره السابق بمنح الآمرة للطفل
لويس ، وأرسلت من جديد وكلاءها وفرسانها لادارة هذه الآمرة . ^(٢) وبالرغم من أن لويس
عوض بمقتضى نفس القرار بتعيينه أمرا للآمرة الصغرى ، ومعاشا سنويا مقداره ألفان مائة
الفلورنتيات ضماناته جميع أملاك الاستنارة فى قبرص ، ^(٣) فإن والده الملك چانوس لم يكف عن
وضع العراقيل أمام وكلاء الاستنارة فى ادارة الآمرة الكبرى الى أن أوشكت هذه الآمرة على
الافلاس . ^(٤) على أن الازمة فى العلاقات بين الاستنارة والملك چانوس فيما يتعلق بهذه
المسألة انتهت أخيرا فى شهر يناير عام ١٤٢١ بمقتضى اتفاق بين الطرفين نص على تساقط
چانوس عن ادعاءه بأحقية ابنه لويس فى ادارة الآمرة الكبرى مقابل موافقة السيد الكبير
دى ليلاك على تعيين لويس أمرا للآمرة الصغرى ، وعلى اعفاء چانوس ولويس من رد الاموال
التي حصلت عليها نتيجة تحصيلها دخل الآمرة الكبرى منذ وفاة أمها المدعور ريموند ديلسكير

Hill II, P.463

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.321

(٢) أنظر :

Hill II, P.463.

(٣) أنظر :

D. Le Roulx: Loc. Cit.

(٤) أنظر :

مع ملاحظة أن السيد الكبير دى ليلاك أصدر أمرا فى ٨ أكتوبر عام ١٤٢٠ أعاد بمقتضاه
للآمرة الكبرى وحدتها ، وعين عليها أمرا واحدا لانتقالها من افلاسها .

Ibid: Loc. Cit.

ففى ربيع عام ١٤١٢ ، فضلا عن اغنا' چانوس ، وخلفائه من بعده ، من تعدد مبلغ
اثنى عشر ألف دوكت بندقى كان چانوس مدبنا به للآمر بهوند ديلمكير ، وأصبح دفعه
واجبا لخزانة الاستبارة فى رودس بعد وفاة هذا الأمر .^(١) وليس أدل على عودة العلاقات
الطيبة بين الطرفين من اسهام الاستبارة بمبلغ كبير من المال فى القدية التى طلبتها
مصر المملوكية لاطلاق سراح چانوس الذى كانت جيوشها قد أسرته خلال غزوة قامت بها
لجزيرة قبرص فى صيف عام ١٤٢٦ ، وذلك بالرغم مما كان يعانى منه الاستبارة وقتذاك من
ضائقة مالية استدعت منهم أن يقترضوا الجز' الأكبر من هذا المبلغ من البنوك الاجنبية
والجز' الباقي من السيد الكبر لمهمتهم أنطوان فلوقيان .^(٢)

ولعل من دلائل استمرار علاقات الود والاخاء بين الاستبارة وقبرص فى عهد الملك
القبرصى حنا الثانى (١٤٣٢ - ١٤٥٨) - ابن چانوس وخليفته - ما ذكره الرحالة
بيرو تافور من أن السيد الكبير للاستبارة فلوقيان رشح فى عام ١٤٣٧ ، لملك قبرص
ان يتزوج من ابنة أمير ارجل (Count of Urgel) الارغونى وهى أخت زوجة الوصى
على عرش البرتغال بطرس (Don peter) ، وأن هذا الرئيس الاستبارى تسلم^(٣)
رسائل بعث بها اليه حنا الثانى شارحا له فيها أحواله وأحوال مملكته ، سحرة الرحالة
تافور عند مفادته قبرص الى رودس فى نطا فى جولته فى الشرق ، ورد عليها فور قرأته لها
بالرغم من شدة مرضه الذى أدى الى وفاته فى نفس تلك الليلة .^(٤)

(١) أنظر : mas-latrie II, P.505 ; Hill II, PP.463-464

(٢) بخصوص موقف الاستبارة من الغزوة المملوكية لجزيرة قبرص ، وتفاصيل المبلغ الذى
أسهموا به فى القدية أنظر فصل العلاقات مع الممالك .

(٣) اقتباس Hill III, P.526

(٤) أنظر : Pero Tafur, P.107

ولم يلبث أن برز بعد ذلك عامل ساعد على تدعيم ما بين قبرص ورودم من روابط الصداقة التقليدية هو حاجة الملك حنا الثاني لمساعدة الاسبتارية في رودس له ضد التهديد بالفسزو الذي تعرضت له وتقدك جزيرته قبرص ومستعمراتها جورهيوس^(١) الواقعة على الساحل التركي المواجه لهذه الجزيرة ، من جانب كل من أميرى العلما وقمرانيا التركيين اللذين ربما أغراهما عليه صغر سن الملك وما وصلهما من أخبار عن انقسام حكومته على نفسها وجبن أفعاله^(٢) فضلا عن ضعف قواته العسكرية منذ أن حطمتها الفزوة المملوكية لجزيرته قبرص في عهد والده عام ١٤٢٦ . فمن المعروف أنه بفضل تدخل الاسبتارية وحسده نجحت قبرص في عام ١٤٤٤ من الشروع على يد أمير العلما^(٣) . كما أنه حدث بعد أربع سنوات — أى في عام ١٤٤٨ — أن أرسل أمير قمرانيا ابراهيم بك الى الملك حنا الثاني يدعى عليه بأنه يدفع جزية سنوية لأمبر العلما قدرها خمسة آلاف دوكات ومطالبته بأن يدفع لسه مثلها . وقد أنكر ملك قبرص ادعاء أمير قمرانيا ورفض طلبه . ولم يلبث أن لما الى علمه بأن هذا الأمير أعد أسطولاً لفزو قبرص وجهتها لفزو مستعمراتها جورهيوس وكان أن أرسل سفيراً الى السيد الكبير للاسبتارية حنا لاستبكت بهته بالأمر . وقد رد عليه حنا لاستبكت ، فى ٢٨ أغسطس عام ١٤٤٨ ، بأنه فهم من أقوال قاصد قمرانى وصل الى رودس مؤخراً بأن ابراهيم بك يرغب فى السلم ، ومع ذلك فقد قرر إرسال سفير استبارى خاص ، لتحذير هذا الأمير التركى من القيام بأى عمل عدوانى ضد قبرص أو مستعمراتها جورهيوس ، فإذا أصر على العدوان أرسل الاسبتارية سفينة حربية أو سفينتين لمواذرة هذا الملك فى صد عدوانه^(٤) . وتفضى

(١) فى ٨ يناير عام ١٣٥٩ وصل الى قبرص وفد من أهالى مدينة جورهيوس التابعـة لملك أرمينيا وعرض على الملك القبرصى بطرس الأول الموافقة على وضع مد يتقهم تحت حمايته بعد أن عجز ملك أرمينيا عن توفير هذه الحماية لها ضد هجمات الأتراك . وقد استجاب بطرس الأول للعرض وأرسل حامية للمدينة صحبة سفينتين فى ١٥ يناير

(عام ١٣٥٩) — انظر : machras, PP. 62 - 64

Hill III, P. 521

(٢) انظر :

Hill III, P. 517

(٣) انظر :

Mas-latrie III, P. 48.

(٤) انظر :

التعليمات التي سلمها حنا لاستيك ، في نفس هذا اليوم ، لسفيره ، بأن يقدم هذا السفير
الشكر لأمير قرمانيا على رسالته الودية التي حملها قاصده الى السيد الكبير حنا لاستيك ،
وأن ينقل اليه موافقة السيد الكبير على ما عرضه عليه القاصد القرمانى بأن يرحب بالتجارة
القرمانية فى موانى رودس مقابل المعاملة بالمثل لتجارة رودس فى الميناء المشيد حديثا فى
مدينة أنامور Anamur القرمانية ، كذلك يجب عليه ابلاغه بموافقة حنا لاستيك على
طلبه بأن يتوسط السيد الكبير للاستتارة فى الصلح بينه وبين ملك قبرص ، مع ضرورة التأكيد
له بأن الملك القبرصى لا يدفع جزية سنوية لأمير العلایا ، ولكنه اذا كان قد دفع له مبلغا
من المال فان ذلك لم يكن سوى حالة فردية فى مناسبة خاصة . ويجب على السفير الاستتارى
بعد ذلك أن يطلب من أمير قرمانيا بأن يتخلى عن مشروعه بفرض جزيرة قبرص ومنذ عبرتها
جورهيچوس ، فاذا وجد منه استمرارا على الحرب أنذره بأن السيد الكبير للاستتارة يعتبر
نفسه والدا وحارسا لملك قبرص وأنه سوف يدافع عن هذا الملك ضد أى اعتداء قرمانى يقوم عليه
مثلا دافع عنه مؤخرا ضد أمير العلایا . وكان على سفير الاستتارية عندئذ أن يتنادر قرمانيا
ويتوجه الى جزيرة قبرص لاطلاع الملك حنا الثانى على حقيقة الأمر وطأته بالمساسدة
الاستتارية التى وعده بها السيد الكبير حنا لاستيك ، ثم يعود الى جزيرته رودس مارا بامارة
العلایا لتقديم رسالة ودية من حنا لاستيك لأميرها (١) وقد توجه السفير بالفعل الى قرمانيا
لأداء المهمة التى أوكله بها السيد الكبير حنا لاستيك . ولكن حدث بينما كان يتفاوض
بمساعدة سفير قبرص أرسله الملك حنا الثانى فى تلك الاثناء مع الأمير ابراهيم بك ،
أن استولت قوات هذا الأمير على مدينة جورهيچوس بالقواطع مع حاميتها القبرصية التى
دفعها الى ذلك نفاذ مشورتها واغراء الذهب الذى قدمه لها ابراهيم بك ، فأسرع بمقلدة

(١) ارجع الى نص خطاب اعتماد السفير فازلين فى

mas-Latrie III, PP. 49-50

والى نص التعليمات المعطاة لهذا السفير فى

Ibid: Op. Cit., PP. 50-53.

قرمانيا متوجها الى جزيرة قبرص ومنها عائدا الى جزيرة رودس حيث قدم للسود الكبير تقريرا
عن الواقع ضمنها رغبة الملك حنا الثانى ، التى أبداهما له عند مروره بقبرص ، فى أن يرسل
اليه حنا لاستئيك نصائحها بحجب عليه حله لمواجهة الموقف ^(١) . ولم يلبث حنا لاستئيك
أن يبعث فى ٢٠ نوفمبر عام ١٤٤٨ برسالة الى الملك حنا الثانى ينصحه فيها بأن يلجأ الى
السلطان المملوكى جقمق لمعاوئته فى استرجاع جورهيوجوس سلما أوحربا ، بالرغم مما عرف -
كما يقول لاستئيك - عن سماح هذا السلطان أمير قرمانيا باحتلال جورهيوجوس ، على أن
يعتمد الملك أيضا على مساعدة الاسبتارية له اذا اختار طريق الحرب ^(٢) . وفى نفس اليوم
- أى فى يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٤٤٨ - كتب حنا لاستئيك للسلطان جقمق يقول له بأنه
يحجز عن التصور بأن أمير قرمانيا قد تصرف ضد جزيرة قبرص باذن من السلطان الذى يستلزم
بالدفاع عن هذه الجزيرة بحكم أنها تدفع له الجزية سنويا ، ثم بحث على أن يجد -
المساعدة لفصله الملك حنا الثانى ^(٣) .

وواضح من رسالتي حنا لاستئيك الى الملك القبرصى والسلطان المملوكى بأن السود
الكبير للاسبتارية بينهم صراحة السلطان جقمق بأنه ضالع مع أمير قرمانيا فى احتلال جورهيوجوس
وذلك يعنى بأن الرئيس الاسبتارى حين فكر فى طلب العون من هذا السلطان كان يملك قس
موافقته على تقديم هذا العون . وفى الحقيقة لم يكن فى مقدور حنا لاستئيك وقتذاك أن يقدم
للملك حنا الثانى الا هذا العون السياسى ليس لأن أمير قرمانيا كان يملك من القوة ما جعل
حنا لاستئيك يخشى مواجهته بقوات جزيرتى قبرص ورودس وحدها ، ولكن الأرجح لأن السب
التبهر للاسبتارية كان فى ذلك العام - أى فى عام ١٤٤٨ - عاجزا عن تقديم أية مساعدة
عسكرية لقبرص لسبب داخلى هو تمرد معظم مقدمى شعب الاسبتارية فى أوروبا على سلطنته
وامتناعهم عن إرسال الأموال المطلوبة من شعبهم الى حكومته مما أدى الى إفلاس هذه
الحكومة ، ^(٤) وسبب خارجى هو ما وصل اليه من أخبار عن حشود عسكرية ضخمة يجن بها السلطان

(١) أنظر : Las-latrie III, P. 59; Hill III, PP. 519 - 520.
(٢) أنظر : bid:Op. Cit., P. 55 - 56.
(٣) أنظر : bid:Op. Cit., PP. 55 - 56.
(٤) لمعرفة تفاصيل هذه المسألة الداخلية ارجع الى :
arlot II . PP. 127 - 128 .

العثماني مراد الثاني بعد أن أحرز النصر على الجيوش المجرية التي يقودها جانوس هو نياي في موقعه قوصوه ، وهي حشود تبين فيما بعد بأن هدفها كان اخماد ثورة قامت ضد السلطان في ألبانيا بزعامة اسكندر بك ، ولكن حنا لاستيك حسبها وقتذاك موجهة - بمفردها (١) أو معاونة مع سلطان مصر - ضد جزيرة رودس .

وعلى أي حال فإنه لم يضر عام واحد على ذلك - أي في عام ١٤٤٩ - حتى كان حنا لاستيك قد أعاد النظام داخل هيمنة الامبتارية ، وعقد الصلح مع السلطان العثماني مراد الثاني . ومن ثم استطاع في العام التالي - أي في عام ١٤٥٠ - أن يرسل سفينتين اسبانييتين - صخرة أسطول أرغونى يتألف من عشرين سفن كان قد وصل الى مياه جزيرة رودس في ذلك العام للدفاع عنها وجزيرة قبرص اذا تعرضتا للهجوم من جانب الأتراك العثمانيين - للإسهام في الدفاع عن جزيرة قبرص التي كان أمير العلاما يهدد وقتذاك بفرضها ، (٢) مما اضطر هذا الأمير التركي الى أن يتخلى عن مشروعه العدائي ضد قبرص ويعقد مع ملكها حنا الثاني لوزجنان ، في ٢ سبتمبر عام ١٤٥٠ ، معاهدة صداقة وتجارة وافق فيها الطرفان على الاحتكام الى السيد الكبير للامبتارية في أي نزاع قد ينشب بينهما اذا خرق أحدهما شروط المعاهدة . (٣) هذا ولم يتردد حنا لاستيك في العام التالي

(١) ارجع الى نص رسالة حنا لاستيك الى ملك انجلترا في :

Pauli II, PP. 128-129 num. CVIII.

وارجع أيضا الى :

Vertot II, PP. 432-437; Biliotti, P. 218; Lamarline III, PP. 139 - 140, 147.

ولمعرفة تفاصيل من موقعه قوصوه وتاريخها ارجع الى :

Gibbon II, PP. 1317 - 1318.

(٢)

Vertot II, PP. 430 - 431, 437; Biliotti, P. 218

(٣) أنظر :

Hill III, PP. 520 - 521, 523

(٤) أنظر :

Mase-Latrie III, PP. 64 - 66.

لعقد هذه المعاهدة في ارسال بعض سفنه تلبية لطلب الملك حنا الثاني - الذي استضاف
به أمير العلما عندما حاصرت قوات ابراهيم بك أمير قرمانيا مد يته العلما انتقاما لتقاربه
لملك قبرص - فقامت هذه السفن البروسية ، جنباً الى جنب مع السفن القبرصية ، بهصار
مدينة أنامور القرمانية في محاولة لم تعرف تنجحها للضغط على الأمير ابراهيم بك ليرفع
الحصار عن مدينة العلما .^(١)

وبعد أن هذه المرة كانت الأخيرة التي احتاج فيها الملك حنا الثاني لأن يطلب
العمون السياسي أو العسكري من الاستتارية في رودس بعد أن توقف كل من أمير العلما
وأمير قرمانيا عن التهديد بغزو جزيرته قبرص . على أن ذلك لم يثل في شيء من نتائج
العلاقات التقليدية القائمة بين هذا الملك والاستتارية منذ توليته . وقد توفي حنا الثاني
في عام ١٤٥٨ ، وتولت ابنته الشرعية الوحيدة شارلوت خلفا له ، فأعترف بها الاستتارية
في رودس ، كما أبدوها ضد أخيها فير الشرعي بمقرب - أو كما ينطقه الفرنسيون - چاك
والانجليز چيمس - لوزجنان ، الذي لم يلبث أن ادعى بأحقية بالعرش ، ثم لجأ الى مصر
المملوكية للحصول على تأييد سلطانها اينال له .^(٢) وعندما علمت الملكة شارلوت وزوجها
الملك لويس أمير مافوى - الذي اقترنت به في ٧ أكتوبر عام ١٤٥٩ - بنيا فشل سفرائهما
الذين همما بهم الى مصر ورا بمقرب لاقصاد خطه عند السلطان اينال طلبا من السيد
الكبير للاستتارية ، بمقرب ميللى ، أن يرسل الى السلطان سفيرا استتاريا خاصا لتعزيز
موقف سفير قبرص قبرا أن همما به لمعاونة السفراء الذين سبقوه في التفاوض مع السلطان .
وكان أن سافر القاصد الاستتاري حنا دلفن (J. Delfin) الى مصر في عام ١٤٦٠ ،
ولكنه فشل في اقناع السلطان وماليكه بمسحب تأييدهم من مقرب لوزجنان ومنحهم لاخته

Hill III, P. 522

Ibid: Op. Cit., PP. 552 - 553.

Ibid: Op. Cit., P. 554

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

شارلوت ، كما أن السلطان لم يلبث أن ألقى به في سجن بالاسكندرية ظل به حتى مات ، على حين أمر السلطان بإعادة يعقوب لوزجان إلى جزيرة قبرص على رأس أسطول مملوكي قادر على اجلاسه على عرش هذه الجزيرة .^(١)

وما أن وصل الدعي يعقوب إلى قبرص في ١٨ سبتمبر سنة ١٤٦٠^(٢) حتى بحث قائد سفينة الحراسة الاستبارية التي كان السيد الكبير دي ميللي قد أرسلها إلى مياه قبرص لمراقبة الموقف منذ أن أشيع خبر عزيم السلطان على تأييد الدعي عسكريا ، واسمه نيكولا كورونيا (Nicolas de Gorogna) بالخبر إلى السيد الكبير في رودس ، وطلب منه أن يرسل إليه تعليماته بما يجب عليه . ولم يلبث دي ميللي ، في ١١ أكتوبر عام ١٤٦٠ ، أن كتب تعليماته^(٣) التي أمر فيها دي كورونيا ، وزميل آخر له اسمه حنا شيلي (J. de Chailly) ، بأن يتصلا بالملك لوي في مدينة كيرينيا ، التي لجأ إليها مع زوجته الملكة شارلوت عند وصول الدعي يعقوب وحنانه من الممالك إلى الجزيرة ، ويصرها له عن استعدادهما لنقله إلى جزيرة رودس أو أي مكان آخر ، إذا أراد مفادرة جزيرة قبرص ، على ألا يوافقا على أن يتوليا أو يتولى غيرهما من الاستبارية حراسة قلعة كيرينيا أثناء غيابه . ومنقضى هذه التعليمات أيضا يجب على الفارسين الاستباريين كورونيا وشيلى أن يطلبها من الملك لوي بأن يدير قبل مفادرتهم الجزيرة أمر حماية أميرة قبرص الكبرى ومركزها كولوسي ، وبأن يصح كتابة لئائب الأمر في هذه الأميرة بحول بقاء الوضع بالنسبة للأميرة من غير تغيير ، مع ضرورة طمأنة الملك لوي بأن هذا التفاهم سوف لا يضر بحقوقه في الجزيرة

(١) لتفاصيل سفارة السفير الاستباري دلفن إلى مصر ارجع إلى فصل العلاقات مع

الممالك . وارجع أيضا إلى :

Hill III, PP. 555-557; mas-latrie III, PP. 96-99.

Hill III, P. 560

(٢) أنظر :

Mas-latrie III, PP. 104-106;

(٣) أنظر :

لأن الاستتارية مضمون على عدم السماح للأمريّة أو لملكها - وهي قلعة لا تقل قدرتها
الدفاعيّة عن قدرة قلعة كبريتها نفسها - بالخضوع ليعقوب لوزجنان * هذا وقد أمر
السيد الكبير دى ميللى هذين الفارسين الاستتاريين ، فى رسالة سرية ^(١) سلمت لهما
صحّة تلك التعليمات ، بأن يتصلا سرا بالراهب الأوغسطينى جيانونسو سالفياتسى
Giannozzo Salviati - وهو أحد النصحاء المخلصين ليعقوب لوزجنان -
ويحاولا أن يصلّا معه الى وسيلة لتحقيق ما سوف يكلف نائب الأمر بالتفاهم بشأنه مع هذا
الأمير .

بعد أسبوع واحد - أى فى ١٨ أكتوبر عام ١٤٦٠ - أرسل السيد الكبير دى ميللى
بتعليمات خاصّة الى نائب الأمر ^(٢) أمره فيها بأن يرفض أى طلب لمقتصب السلطة يعقوب
لوزجنان ، أو لمقدم الجيش المملوكى المناصر له فى الجزيرة ، بإعلان الخضوع أو أداء يمين
الولاء أو تسليم قلعة كولوسى ، أو أن يتعهد لهذا المقتصب بعدم استخدام القلعة
فيها بضره ، وأن حراس هذه القلعة سوف يكونون رعايا طيبين ومخلصين له ، كما يجب عليه
أن يؤكد له استعداد هيئة الاستتارية لأن تقدم له الطاعة التى قدتها لأسلافه طالما
أن أمر الأمريّة والعاملين فيها يستطعمون أداء أعمالهم بهمس ومن غير أن يصيبهم أذى ^(٣)
وهكذا يتضح بأن الاستتارية فى رودس لم يكن لهم هدف ، بعد أن بلغهم نبأ
وصول يعقوب لوزجنان الى قبرص معززا بأسطول المملك من مصر الا ضمان سلامة الملك
لويس ، عن طريق إبعاده عن الجزيرة على سفينة استتارية ، وسلامة أملاك الاستتارية فى هذه
الجزيرة بكل امتيازاتها القديمة عن طريق التفاهم مع كل من لويس ويعقوب * وكان من الطبيعي

Mas-latrie III, P.106

(١) أنظر :

Ibid, : Op. Cit. , PP. 107-108.

(٢) أنظر :

(٣) وكان على نائب الأمر (واسمه وليم كومبورت Combort) أيضا بمقتضى هذه
التعليمات أن يخبر المقتصب يعقوب بأن هيئة الاستتارية علمت من سفيرها فى
القاهرة ، دلفن ، بأن السلطان وعد بإغاثة ضرائبية لأملاكها فى قبرص ، وأن
مقدم الجيش المملوكى فى قبرص صدق على هذا الموعد - أرجع للتفاصيل فى فصل
العلاقات مع المماليك .

ألا يحاول السيد الكبير دى ميللى أن ينامر بالتدخل العسكرى الذى لا يضمن له أية نتيجة
 الا قيام المفتصب وحصانه العاليك بتخريب أملاك الاستارية فى الجزيرة ، ^(١) الى جانب
 عوامل أخرى ساعدت على منعه من القيام بهذه المحاولة منها مبادرة أنالى قبرص بإعلان
 خضوعهم للمفتصب يعقوب بعد أن حقق سيطرته السريعة على الجزيرة عدا مدينة كيرينيا
 الساحلية التى تحصن فيها لويس وشارلوت وحاضرها أنصار يعقوب ، ووقع جزيرة رودس
 نفسها ، وسائر جزر الاستارية فى حراجه ، وهكذا ، تحت التهديد بالقزوم من
 جانب كل من السلطان العثمانى محمد الثانى - الذى حاصر أسطوله بالفعل إحدى هذه
 الجزر ، وهى جزيرة لانجو ، لمدة ثمانية أيام - والسلطان الملوكى إينال - الذى توقع
 دى ميللى أن يرسل أسطوله الملوكى لقزو جزيرة رودس فى فصل الربيع ، أى فى ربيع عام
 ١٤٦١ ، منفردا أو معاونا مع أسطول محمد الثانى - ^(٢) فضلا عن انتشارها الطاعون
 والمجاعة فى رودس ^(٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ساعد الأخذ بسياسة عدم التدخل العسكرى ضد المفتصب
 يعقوب لوزجان - الا بسفلة عسكرية رودسية ظلت مرابطة فى ميناء كيرينيا للمحافظة على
 سلامة شارلوت وزوجها لويس الشخصية وإبعادهما عن الجزيرة وقت اللزوم ^(٤) ، وبعض

(١) أنظر : Hill III, P.642; Biliotti, PP.227-228.

(٢) أنظر : نص الخطاب الدورى الذى أرسله دى ميللى فى عام ١٤٦٠ الى قسطنطين

أموستافى mas-latrie III, PP.108-113

(٣) أنظر المنشور الباهوى الذى أصدره البابا بيوس الثانى فى ١٦ فبراير سنة ١٤٦١
 لبحث أمراء المسيحية على سرعة الجاد رودس التى يهددها كل من السلطان
 العثمانى والسلطان الملوكى بالقزو فى الوقت الذى قتل فيه أهلها الطاعون
 والمجاعة . ويوجد هذا المنشور فى Pauli II, PP.138-139 num. CXVII.

Hill III, P.571 n.2

(٤) أنظر :

فرمان الاستنارية الذين الحقوا بحاشية الملك لويس وحرصه على نجاح مهمة نائب أمير الأميرة الكبرى لدى هذا المفتصب فيها يتعلق بوضع الأميرة .^(١)

على أن هذه السياسة من جانب الاستنارية لم ترض الملكة شارلوت وزوجها لويس ، ومن ثم وصلا - في أوائل عام ١٤٦١ - إلى جزيرة رودس لمحاولة اقناع السيد الكبير دى ميللى بإرسال قواته لمساعدتهما على استعادة عرشهما الذي اغتصبه يعقوب لوزجان . وقد استقبلتهما الاستنارية في رودس بحفاوة ، ولكن لم يقدموا لهما أكثر من سفينة واحدة للمساعدة في الدفاع عنهما في مدينة كيرينيا إلى جانب سفينة الحراسة التي وضعونا ثمنى خدمتهما منذ بدء محنتهما .^(٢) ومن ناحية أخرى لم يلبث السيد الكبير دى ميللى أن أرسل إلى قبرص بعد عودة شارلوت إليها سفيرا استناريا لمحاولة تحقيق الصلح بين هذه الأميرة وأخوها يعقوب ، ولكن السفير فشل في مهمته .^(٣) وفي تلك الاثناء وصلت إلى رودس شكوى من شارلوت مؤداها أن المفتصب بحشد حوله المزيد من الأنصار عن طريق دفع أعلى الأجر لمن يلزم إليه ، فهاذر السيد الكبير دى ميللى بإصدار بيان يحرم بقتضاء على جميع العاملين في أمريات الاستنارية بقبرص ، والمستفيدين من أملاكهم بتلك الجزيرة بأي صورة من الصور ، الدخول في خدمة المفتصب ، غير أن شارلوت كانت قبيلا يهدو وتطمع في أكثر من إصدار هذا البيان ، فقد قامت ، في مايو من هذا العام - أي في عام ١٤٦١ - بزيارة ثانية لجزيرة رودس حصلت خلالها على كميات وافرة من البسكويت ، واتفق دى ميللى على إرسالها إلى أنصارها في كيرينيا بالرغم من النقص الخطير في المؤن الذي كانت تعاني منه وقتذاك رودس نفسها ، كما استطاعت - وبإيثارهم - أن تقنع السيد الكبير وأعضاء مجلسه بالموافقة على اعداد سفيتين حربيين لتخرجاً - صحة أسطول أهلقتهم شارلوت بأن أمير ساقوي ، والد لويس ، أكد لها بأنه على وشك أن يرسله لمساعدتها في حمله على جزيرة قبرص بهدف إلى إعادة شارلوت وزوجها لويس إلى عرشهما في هذه الجزيرة . وعلى أي حال فقد حدث في ٢٧ مايو عام ١٤٦١ أن وصلت رسالة من أمير ساقوي إلى السيد الكبير

Hill III, op. Cit?, P. 569 n.2.

Ibid: ■p. Cit, P.571.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

دى ميللى يملفه فيها بأنه لم يفته بعد من اعداد السفن التى وعد بها شارلوت ، ثم يطلب منه بأن يقدم لهذه الاميرة القبرصية كل مساعدة ممكنة . وفى نفس اليوم وصل السى رودس فارسان قبرصيان ، صحة رسالة من لوس ، زوج شارلوت ، يشكو فيها من الحالة السيئة التى أصبح وأنصاره يعيشون فيها بمدينة كيريليا . وكان أن أبلغت شارلوت مجلس الاسبتارية - حيث كان السيد الكبير دى ميللى ومقداك مرغيا - بأنها قررت العودة للوقوف الى جانب زوجها فى جزيرة قبرص ، وظللت منه الموافقة على اعطائها سفينة حربية تصافر عليها السى تلك الجزيرة ، وتصرها يبيع لأفصال أمير ساقوى من أعضاء هيئة الاسبتارية الموجودين فى مدينة كيريليا بالبقاء فى هذه المدينة للمساعدة فى الدفاع عنها ، فضلا عن كميات كبيرة من الذخائر ومدفعين . وقد أجابها المجلس الى ما طلعت ، ولكنها ، مع ذلك ، لم تلبث أن اتصلت بصرة أخرى وأخبرته بأنها أصبحت تفضل السفر الى ايطاليا لبحث كل مسن اليها وأمير ساقوى على سرعة العمل لمساعدتها ، وحصلت على موافقة على مدها بحرس خاص من لوسان الاسبتارية بنهبها أينما ذهبت فى رحلتها الى ايطاليا وفرض قيمته ألف دوكات (١) وهكذا وجدت شارلوت من الاسبتارية ، فى زيارتها الثانية لهم فى رودس ، كل مساعدة ممكنة بما فى ذلك الموافقة على الاشتراك مع أسطول ساقوى لاعادتها الى العرش اذا وصل هذا الاسطول ، وهى موافقة بليت ولا شك على أساس التاكيد من قدرة أسطول ساقوى الكاملة على أداء مهمته فلا تنسها ليحقوق لوزجلان أية فرصة للانتقام منهم بتخريب أطلالهم فى جزيرة قبرص . وعلى أى حال فقد غادرت شارلوت مدينة رودس متجهة الى ايطاليا ربما فى شهر سبتمبر من عام ١٤٦١ (٢) . ومن مدينة لوزان بإمارة ساقوى أرسلت شارلوت سفيرين الى مدينة برشلونة بمملكة أرغونه - حيث كان يقيم السيد الكبير للاسبتارية ريموند زاكوسنا ، خليفة دى ميللى ، منذ أن كان يشغل منصب مقدم شعبة أميوسنا قبل انتخابه لرئاسة هيئة الاسبتارية فى ٢٤ أغسطس عام ١٤٦١ - لمطالبة التفاهم مع هذا السيد الكبير وملاك أرغونه حثا الثانى

Hill 111, PP. 580 - 581.

Ibid, : Op. Cit., P.581.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(١٤٥٨ - ١٤٧٩) حول ارسال حملة عسكرية لمعيدتها الى عرش قبرص . وأهم ما تقتضيه به
التعليقات ^(١) التي كتبها شارلوت لسفيرها ، في ١٧ فبراير عام ١٤٦٢ ، ^(٢) أن يتقدم
هذان السفيران بالشكر للسيد الكبير زاكوسا - الذي دعه شارلوت بالوالد وبالصديق
العزير - على جميع الخدمات والمساعدات التي أداها سلفه دي ميللي - وقد دعه شارلوت
كذلك بالصديق الفريد جدا - وهيئة الاستبارة بوجه عام لها ولزوجها الملك لويس
وأن يقوموا بإبلاغه بأن كلا من البابا بيوس الثاني وأمير ميلان - اللذين قامت شارلوت بهزيمتهما
في بلد بهما وهي في طريقها الى ساقوى - قدم كميات كبيرة من الحبوب والنفيد لانصارهما
في كيرتيا ، وأن أمير ساقوى أرسل اليهم بالفعل مؤخرًا سفينة كبيرة محملة بالموث والاموال
والرجال ، ووعد شارلوت بميزان كل ما في وسعه من جهود لاعادتها وزوجها الى عرشهما
الذي اغتصبه منهما أخوها يعقوب ، في نفس الوقت الذي عبر لها فيه مستشار ملك فرنسا ،
المدعو يعقوب فاليرج (J. de Valperge) - وكان يقوم وقتذاك
بزيارة لساقوى - عن رغبة ملكه القوية في مساعدتها على بلوغ هدفها ، ثم يعرض عليه
بأن يبادر الاستبارة من ناحيتهم بمساعدة شارلوت ولويس على استرجاع عرش قبرص بتقديم
قوة قوامها ثلثمائة فارس استباري وثلاثة آلاف جندي من المشاة - وهي قوة ترى شارلوت بأنها
كافية لتحقيق الغرض - أو - اذا رأى غير ذلك - الاكتفاء بتقديم مائتي فارس وألفين من
الجند المشاة ، مقابل وعد من شارلوت بمنح هيئة الاستبارة أملاكًا في جزيرة قبرص تعطى
دخولا قدرها ألف دوكات أو ألفي دوكات ، لتنشئ الهيئة فيها أمرة جديدة أو آمرتين ،
الى جانب تأمين أملاك الاستبارة الاخرى في هذه الجزيرة ، فاذا وافق السيد الكبير على هذا
العرض ، يقدم له السفيران بعض المال ليبدأ به على الفور في حشد الجند للحملة ، ويقترحان
عليه بأن يتوجه الى مدينة نيس للالتقاء بشارلوت والرحيل معها على سفينتها الى رودس ومنها

الى قبرص لهدم الحملة ضد يعقوب لوزجنان . وكان على سفيرى شارلوت أيضا - بمقتضى هذه التعليمات - أن يحصل على وعد من السيد الكبير زاكوستا بالآ يتأخر - فى حالة ظهور هوائى فى رودس ، بعد وصوله اليها ، تعطله عن ارسال الحملة - عن ارسال نجدة لمساعدة لويى على المقاومة فى كبرنيا الى أن يتمكن من تسير هذه الحملة ، وأن يظل أفراد الحملة فى خدمة شارلوت وزوجها لويى بجزيرة قبرص لمدة ثلاثة شهور كاملة ، وهى المدة المتظر أن يتم خلالها إعادة غزو هذه الجزيرة لحسابهما . أما اذا رفض زاكوستا التمسك بارسال الحملة فإن على السفيرين أن يأخذا منه وعدا بأن يمد شارلوت ولويى هما بمساعدة على الاحتفاظ بمدبنة كبرنيا والمحافظة على حياتهما من المؤن والاملحة والذخائر والزوارق ، مقابل وعد من شارلوت بأن تدفع له أثمان جميع هذه المساعدات . هذا وقد كلفت شارلوت سفيرها كذلك بأن يطلبها من السيد الكبير للاستتارية بأن يهتج لدى ملك أرغونة على انحياز رعاياه القطلونيين المقيمين بجزيرة قبرص للمفتصب يعقوب ، ويحثه على ارسال نوابه الى هذه الجزيرة لتهد يد أولئك الرعايا بترك خدمة المفتصب فى مدة يحدونها لهم ، والا عوقبوا بتهمة الخيانة والتفرد على يد السيد الكبير للاستتارية بتفويض من ملكهم الأرغونى حنا الثانى بطلبه السيد الكبير لنفسه ، كما يطلبه له السفيران ضمن طلبات أخرى أهمها أن يقدم الملك كل مساعدة ممكنة لشارلوت وأسوة بالبابا والسيد الكبير للاستتارية وغيرهما من أمراء المسيحية ، وأن يؤجر لهذه الملكة القبرصية أسطول الذى يقوده القبطان قبيلا مارينا

Bernard Villamarina

ومهما يكن من أمر فحوى هذه التعليمات فقد فشلت مهمة السفيرين المتعلقة بهما لدى كل من السيد الكبير للاستتارية وملك أرغونة (١) ولم تلبث شارلوت أن رجعت الى رودس فى نفس ذلك العام - أى فى عام ١٤٦٢ - ونزلت فى قصر السيد الكبير حيث منحها زاكوستا - وكان قد وصل الى رودس قبلها بقليل - جناحا خاصا أصبح يعرف منذ ذلك الوقت

باسم * قصر ملكة قبرص * وقد لحق بها زوجها لويس في رودس التي وصل اليها في ٢٣ فبراير عام ١٤٦٣ قادمًا من كيرينيا ^(١) . وكان لويس لا يزال مقيمًا في رودس في ١٨ سبتمبر عام ١٤٦٣ عندما عقد مع زاكوسا قرضًا ماليًا ، واعترف له في نفس الوقت بدين قيمته نحو أربعة آلاف وسبعمائة وواحد وأربعين دوكت ^(٢) . ولكن من الثابت أنه كان موجودًا بمدينة الهندقية يوم ٢٦ أكتوبر من نفس العام في طريقه إلى بلده الأصلي صافري ^(٣) ، ولم يعترف عنه أنه رجع مرة أخرى إلى رودس . ويدوان شارلوت قد غادرت جزيرة رودس في نفس الوقت الذي رحل فيه عنها زوجها لويس ، فقد كانت موجودة بمدينة كيرينيا في ٢٢ سبتمبر عام ١٤٦٣ ^(٤) ، ولكنها لم تلبث أن رجعت مرة أخرى إلى هذه الجزيرة ربما في أواخر هذا العام أو أوائل العام الذي يليه . وقد حدث في عام ١٤٦٤ أن أرسل البابا بيوس الثاني بشكر السيد الكبير زاكوسا على المساعدات التي قدمها لشارلوت وزوجها لويس ^(٥) . طلب منه أن يستمر في تقديم هذه المساعدات لهما ، وأن يبدل محاولة للصلح بينهما وبين مفتصب عرشهما يعقوب لوزجنان . ومن ثم أرسل زاكوسا - بعد أن استشار شارلوت التي كانت تقسم وقتذاك في رودس - فارسين استباريين إلى جزيرة قبرص للتفاوض مع يعقوب في أمر هذا الصلح . ولكن المفاوضات بين الطرفين انتهت إلى فشل . ولم يلبث يعقوب لوزجنان أن استولى في خريف عام ١٤٦٤ على مدينة كيرينيا ، آخر معقل لشارلوت وزوجها لويس في جزيرة قبرص ، وحقق نصره النهائي في هذه الجزيرة ^(٦) . وقد رحلت شارلوت ، بعد ذلك بقليل ، عسكراً إلى جزيرة رودس ، متجهة إلى أوروبا لبحث أمورها على مساعدتها على استعادة عرشها ^(٧) ، ولكنها عادت إلى هذه الجزيرة مرة أخرى في شهر يوليو عام ١٤٦٦ . ومن المعروف أن

Hill, III, P. 588

Mas-Latrie III, P. 38 n.1.

Hill III, P. 589

Mas-latrie III, P. 124

Hill III, PP. 593 - 594

Ibid:op. Cit., P. 594

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

(٦) أنظر :

السيد الكبير زاكوسنا أصدر - بناءً على طلبها - في المايح والعشرين من هذا الشهر قراراً نص على منح جميع أفراد حاشيتها ، من فرسان وخدم ، نفقة شهرية تعادل النفقة التي يحصل عليها أعضاء هيئة الاستشارة أنفسهم كل بحسب مركزه الاجتماعي ،^(١) كما أنه أرسل لها في رودس في ٢٢ ديسمبر من نفس العام - من مدينة روما ، التي كان يزورها وقتذاك ، تصريح صريح يسمح لها بحرية البقاء في رودس أو الرحيل عنها في أي وقت تشاء صحة كل أو بعض أفراد حاشيتها من كلا الجنسين بما فيهم من يكون قد تزوج في رودس أثناء إقامتهم بها بالرغم مما جرت عليه العادة في الجزيرة من تحريم هجرة المتزوجين . ومن المعروف أيضاً أن هذه الأميرة اللبرسية كانت لا تزال تقيم في رودس في عام ١٤٦٩ على معاش شهري من خزانة الاستشارة قدره ثلاثون فلورنتياً أمر لها به وقتذاك السيد الكبير أورسيني خليفة زاكوسنا . ولكن لم يسمح عنها خلال السنة الثلاث التالية لذلك - السعي بيد وأنما قضتها كلها أو معظمها في رودس - سوى مرة واحدة ، وذلك في ٢٧ فبراير عام ١٤٧٢ حيث طلبت من مجلس الاستشارة مدها بالمال اللازم لسفرتها إلى روما - صحة بعض السفن الفرنسية التي كانت وقتذاك على وشك مغادرة رودس إلى الغرب - واستجاب المجلس إلى طلبها . هذا وقد قامت شارلوت بهذه الرحلة ، ثم عادت إلى رودس ، قبل يوم ٦ يولييه عام ١٤٧٣ ، الذي حدث فيه وفاة أخيها يعقوب لوزجنان بقبرص .^(٢)

وبعد ، فقد كان ذلك عن الدور الذي قام به الاستشارة في النزاع بين شارلوت وأخيها يعقوب - الذي أصبح يعرف منذ أن أتم سيطرته على جزيرة قبرص في عام ١٤٦٤ باسم يعقوب الثاني لوزجنان - على عرش هذه الجزيرة . وفي الحقيقة لقد كان يعقوب الثاني آخر من حكم جزيرة قبرص من ملوك لوزجنان أصدر قائم الاستشارة وحفاظهم التقليديين

Hill III, P. 597

(١) أنظر :

Mas-latrie II, PP. 144-146

(٢) أنظر :

Hill III, PP. 597-598. Bouhours, P. 34

(٣) أنظر :

Hill III, P. 622.

(٤) أنظر :

يقطع النظر عن الفترات قصيرة العمر التي ساءت فيها العلاقات بين الطرفين ^(١) . حقيقة ولد

لهذا الملك ابن بعد وفاته بأقل من شهرين - وعلى وجه التحديد في ٢٨ أغسطس عام

١٤٧٣ - ^(٢) أطلق عليه اسم چاك - أى يعقوب - الثالث ، غير أن هذا الابن لم يلبث أن

توفي في ٢٦ أغسطس عام ١٤٧٤ ، ^(٣) أى بعد ولادته بعام واحد . ومن ناحية أخرى فسان

جمهورية البندقية - التي تنتمي اليها أرطة يعقوب الثاني المعروفة باسم كاتيرينا كورنارو

Caterina Cornaro ، أو باسم كاتيرينا البندقية Caterina veneta ^(٤)

الذي أطلقه عليها جمهورية البندقية عندما أعلنت تهنيتها لها - ^(٥) تصرف ، منذ اليوم الأول

الذي علمت فيه بوفاة يعقوب الثاني ، على أساس أن جزيرة قبرص إحدى مناطق نفوذها ،

متدربة بحجة أن من واجبها حماية مصالح ابناتها كاتيرينا ومصالح ابن كاتيرينا الذي لم تسكن

قد ولدته بعد ، ومن ثم أصبحت علاقة الاستتارية في رودس وجزيرة قبرص تشكل منذ ذلك

الوقت جزءاً لا يتجزأ من علاقاتهم مع جمهورية البندقية .

البندقية :

وفي الحقيقة لا يمكن القول بأن العلاقات بين الاستتارية والبندقية انست دائماً

بالمودة ، بل كثيراً ما شابهها التوتر الذي وصل أحياناً إلى حد قيام الأسطول البندقي بغرض

الحصار البحري على مدينة رودس والتهديد بمخزوها ، وذلك بالرغم من وجود مصالح اقتصادية

متبادلة بين الطرفين من أمثلتها وجود شعبة للهيئة الاستتارية في البندقية ، ^(٦) وانخال

(١) لقد حافظ يعقوب الثاني على علاقاته السلمية مع الاستتارية رغم انحيازهم لاختبسه

شارلوت . ومن الأدلة على ما كان يكته تجوهم من نوايا طيبة أنه أرسل في عام

١٤٧٢ بحرض ومساطته في خلاف وقع وقتذاك بين السيد الكبير أورسني ووكيل خزانته

قائلاً بأنه يعتبر نفسه ابناً مخلصاً للهيئة الاستتارية .

أنظر :

Hill 111, FP. 643-644

(٢) أنظر :

Ibid, Op. Cit., P. 563

(٣) أنظر :

Ibid: Op. Cit., P. 710

(٤) تزوجها في يولييه عام ١٤٦٨ - أنظر :

Ibid: Op. Cit., P. 631

(٥) أنظر :

Ibid: Op. Cit., P. 634

(٦) أنظر :

سفن الهندية التجارية من جزيرة رودس محدطة لها في طريقها الى أسواق شبرقي البحر المتوسط ، وفي طريق العودة من هذه الاسواق ، ^(١) مع وجود جالية هندية تجارية في مدينة رودس رأسها قنصل سميت جمهورية الهندية ، ^(٢) فضلا عن مواظمة الاستتارية على تأجير معظم أراضي أمريتهم الكبرى في قبرص لعائلة كورنارو Cornaro الهندية ^(٣) التي تملك ضيعة ايسكوبيا Episcopia المجاورة لهذه الأمية ، وقبائهم خلال القرن الخامس عشر على الأقل - يبيع محصول ضيعة كولوسي Kolossi - وهي احدى الضياع التي تتألف منها الأمية الكبرى - من مسحوق السكر الى هبت مالى هندية هو هبت مارتيني martini ، وأحيانا الى تجار هندية من أسيرة ^(٤) لوريدانو Loredano ^(٥)

ولعل ما كان بين الدولتين من عدم انسجام يعود أساسا الى التناقض بين سياسة الاستتارية القائمة على التعصب الأعلى ضد جيرانهم المسلمين - عنها كانوا أو تركا - وبين سياسة الهندية الرامية الى معالجة القوى الاسلامية الحاكمة في منطقة البحر المتوسط للاستفادة بتجارة هذه القوى وضمان عدم قيامها بمهاجمة التجار أو المستعمرات الهندية في ذلك البحر. على أن أول مرة ثار فيها النزاع بين هاتين الدولتين كان بسبب قيام أول سيد كبير للاستتارية في رودس - وهو فولك فيلاريه - في عام ١٣١٢ هـ ثم ثلاث جزر صاهية استعماري هندية اسمه أندريا الأول كورنارو Andrea I cornaro - هي جزر كارياثوس Karpathos ، ساريا saria ، كاكسو kaxo ، الواقعة في أرخبيل

(١) أنظر : Noiret, PP. 20, 230, 307, 315, 341, -342, 405, 408, 409, 413, 499

(٢) ألفيت القنصلية في عام ١٤١٠ مع بقاء الجالية - أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P. 327; Hill II, P. 449 n. 2

(٣) أنظر : D. Le Roulx : Op. Cit., P. 25 n. 1

(٤) أنظر : Mas-latrie III, PP. 27, 88-90; Hill III, P. 628

(٥) أنظر : Mas-latrie III, P. 93.

كارهاثوس مين جزيرة رودس وكريت - وذلك بالتواطؤ مع أهالي هذه الجزر الناشئين على سوء
معاملة أولاد كورنارولهم . وقد بادرت جمهورية الهندية - التي كانت تعد أرخبيل
كارهاثوس منطقة نفوذ لها - في ربيع عام ١٤١٤ بإرسال سفير هندي إلى رودس حيث طلب
من السيد الكبير فولك ضرورة إعادة الجزر الثلاث إلى صاحبها كورنارو . غير أن السيد الكبير
للاستبارية رد ، في ٢٥ أبريل عام ١٣١٤ ، بأن كورنارو لم يكن مالكا لهذه الجزر
والا كان يدبر شئونها بمقتضى اتفاق سرى بينه وبين أهاليها ، الذين اعتقدوا بأن غرض
مقدوره حمايتهم من اعتداءات القراصنة ، فلما ظهر لهم عجزه سلموا جزرهم - طوعا واختيارا -
للاستبارية أصحاب جزيرة رودس التي كانت هذه الجزر تخضع لها قبل كورنارو ، ثم خضع
فولك رده بأن اقترح على الهندية عرض القضية على البابا أو أى محكم آخر . ولم يلبث فولك
أن تلقى ، في شهر سبتمبر من هذا العام ، رسالة من دوح الهندية ، أخبره فيها بأن
حكومته ترفض فكرة التحكيم وتصر على ملكية الجزر الثلاث . ولم تكف جمهورية الهندية بعد ذلك
عن مطالبتها بهذه الجزر إلى أن تنازل لها فولك عنها في ٢٠ يونيو عام ١٣١٦ .^(١)

وهناك ثلاث ظواهر على الأقل تشير إلى استمرار روح عدم التعاطف بين الاستبارية
والهندية خلال القرن الرابع عشر ، بالرغم من اضطاررهاا للتخالف مما ، في هذا القرن ،
عدة مرات ، جلبها إلى جنب مع قوى مسيحية أخرى لها مصالح حيوية في شرق البحر المتوسط ،
للدفاع عن هذه المصالح أمام تهديدات الأتراك السلاجقة ثم الأتراك العثمانيين لها .

وأول ظاهرة من هذه الظواهر الثلاث هي اعتراض السيد الكبير للاستبارية دى فيليب
على دخول سفن الهندية ميناء مدينة أرمير ، بعد قليل من سقوط هذه المدينة ، فسي
٢٨ أكتوبر عام ١٣٤٤ ، في يد أسطول مسيحي مشترك ساعم في تشكيله كل من الاستبارية
والهندية إلى جانب البابوية والقبارصة والجنوية .^(٢)

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., pp. 3-4

(١) انظر :

Day, P. 74

(٢) انظر :

الى السيد الكبير جوزون - خليفة فيليبث - رسالة أبلغه فيها بأن دوج الهندقية ومجلس شيوخها (السلطانو) اشتكيا من وقوف عدد كبير من فرسان الاستنارية بكامل أسلحتهم الى جانب الجنوة في حرمهم القائمة وتخاذل ضد البنادقة ، ثم طلب منه ضرورة وقوف الاستنارية على الحياد بين هاتين الدولتين الايطاليتين (١) وقد رد عليه جوزون (٢) بأن هيئة الاستنارية حرصت على التزام جانب الحياد بين جنوة ولبندقية تنفيذا لمواد دستورها التي تحرم على أعضائها هذه الهيئة التدخل في الحروب الدائرة بين الدول المسيحية (٣) وبأن فرسان الاستنارية من الجنوة الذين اشتكت منهم البندقية لم يدخلوا الحرب ضد ههنا إلا بمقتضىهم الشخصية ودافع من حرم المطهرى لوطنهم الأم ، كما أن هناك عددا من فرسان الاستنارية البنادقة اشتركوا أيضا في هذه الحرب بمقتضى الشخصية ضد جنوة .

أما الظاهرة الثالثة فعادها أن البابا جريجورى الحادى عشر أرسل الى السيد الكبير ريموند بيرنجر ، فى ١٠ يونيو عام ١٢٧٢ ، رسالة أمره فيها بالآ بدد الجنوة بأية مساعدة تفيدهم فى احتلال قبرص (٤) التى كانت قواتهم قد بدأت بالفعل وتخاذل فى غزوها ، حيث كان البابا - على ما يعتقد - يخشى أن يقدم الاستنارية على تقديم مثل هذه المساعدة للجنوة بدافع من الحقد على سادة قبرص لأنهم وقفوا الى جانب البنادقة - الذين لا يتعاطف الاستنارية معهم - فى المعركة الدموية التى وقعت بينهم وبين الجنوة أثناء الاختلافات

(١) الرسالة منشورة فى : Pauli II, P.403 num. IX giunt.

تحت تاريخ سنة ١٣٥٠ . أما تاريخ ١٥ مايو ١٣٥١ فقد أورد المؤرخ

D. Le Roulx: Op. Cit, P.112 . وقد أشار الى هذه الرسالة أيضا المؤرخ

vertot II, P.217 من غير أن يذكر تاريخ تحريرها .

(٢) أنظر : Vertot II, PP. 418-220; D. Le Roulx: Op. Cit, P.112

(٣) أنظر : Les statuts, Titre 18 , PP. 155-156

(٤) أنظر : Pauli II, P.406 , num. Xlv giunt.

يبتهج الملك بطرس الثاني بمدينة قازا جوستا في ليلة ١٠ أو ١٢ أكتوبر عام ١٣٧٢ ، أى قبل أن يرسل البابا رسالته هذه للسيد الكبير بثمانية شهور .

وإذا انتقلنا الى القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الى أن جلا الاستتارية عن رودس في مطلع عام ١٥٢٣ ، نلاحظ أن الاستتارية تعرضوا خلال هذه الفترة للحصار الطويل في جزيرة رودس ثلاث مرات - أولها في عام ١٤٤٤ على يد المماليك المصريين في عهد سلطانهم جقمق واستمر نحو أربعين يوما ،^(١) وثانيها في عام ١٤٨٠ على يد الأتراك العثمانيين في عهد سلطانهم محمد الثاني ودام نحو ثلاثة شهور ، وثالثها (وهو الحصار الأخير الذي انتهى بهجلاء الاستتارية عن رودس في فجر أول يناير عام ١٥٢٣) على يد الأتراك العثمانيين أيضا في عهد سلطانهم سليمان الثاني وظل قرابة سبعة شهور - من غير أن تتقدم الهندقية لنجدتهم بالرغم من وجود سفن حربية تابعة لها أمام مستعمراتها في بحر ايجه -^(٢) وخاصة جزيرة كريت -^(٣) للقريبة من رودس ، فضلا عن أسطولها القوي في بحر الأدرياتيك ، وذلك ولا شك حتى لا تعرض نفسها للانتقام من جانب سلطان أى من هاتين الدولتين الإسلاميتين في مصالحها الواسعة لديه ، الى جانب ضعف الروح الصليبية لدى الهندقية - بالرغم من أن هذا الضعف لم يمنع قيام التحالف الصليبي بين الدولتين ضد الأتراك العثمانيين مرات كثيرة خلال تلك الفترة - وربما أيضا لأن الهندقية كانت وقتذاك تحقد على الاستتارية بسبب صداقتهم لمناقبها جنوة وخاصة منذ أن وقعت جنوة تحت سيطرة فرنسا - التي ينحصب لها العنصر الفرنسي المسيطر في هيئة الاستتارية - في ٤ نوفمبر عام ١٣٩٦ .^(٥)

(١) ارجع بشأنه الى فصل العلاقات مع المماليك

(٢) ارجع بشأن هذين الحصارين الى فصل العلاقات مع الأتراك

(٣) عن هذه المستعمرات انظر :

Miller , P.653

(٤) انظر :

Noiret, PP. 47 , 125, 406, 400, 428.

(٥) انظر :

D. Le Roulx: F.O.I, P.405.

على أننا من ناحية أخرى نلاحظ بأن الاستتارية لم يتقدموا لجمهورية البندقية ، خلال هذه الفترة ، بشكوى واحدة تفيد بوقوع اعتداء "بندقي ما عليهم ، في حين قدمت هذه الجمهورية لحكومتهم في رودس عددا غير قليل من الشكاوى ضد تصرفاتهم العدائية نحوها . ومن الأمثلة على هذه الشكاوى التي تقدمت بها البندقية أنها اشتكت في ٤ أبريل عام ١٤٠٤ على لسان سفيرها مرقس ميخائيل Marco michieli لدى السيد الكبير للاستتارية دي نيلاك من أن سفن الاستتارية ، التي خرجت بقيادة دي نيلاك نفسه في العام السابق - عام ١٤٠٣ - صحة أسطول حاكم جنوة بوسيكو لفرومدن ساحل الشام المملوكي ، ساعدت هذا الأسطول في نهب مناجر البندقية في مدينة بيروت ، وأن سفينة استتارية كانت ضمن سفن أسطول بوسيكو الذي اشتبك في معركة بحرية ضد أسطول البندقية أمام مدينة مودون ، التابعة للهنداكة على الساحل الغربي للمورة ، أثناء مروره بها في طريق عودته لجنوة . ثم طلعت من السيد الكبير أن يدفع لها تعويضا عن الخسائر التي منيت بها بسبب هذا الحادث . وقد رد دي نيلاك على السفير البندقي بأنه سوف يرسل مبعوثا استتاريا خاصا لتوضيح الموقف لسلطان البندقية . غير أن السيد الكبير ثابا في إرسال هذا المبعوث ، ولذا كلفت البندقية ، في ٢٩ أغسطس عام ١٤٠٤ ، قباطنة سفنها التجارية ، التي كانت على وشك القيام برحلتها الموسمية الى مدينة بيروت ، بالمرور بجزيرة رودس - قبل الذهاب الى بيروت - لتقديم طلب جديد للسيد الكبير دي نيلاك بدفع التعويض المطلوب منه ، وقدره ثمانية آلاف دوكات ، على أن يكون لهؤلاء القباطنة سلطة التفاهم معه على تخفيض المبلغ الى النصف . غير أن مبعوثي دي نيلاك لم يلبثوا أن وصلوا الى مدينة البندقية ، فمضى ١٦ أو ١٨ سبتمبر ، قبل وصول قباطنة سفن رحلة بيروت الى رودس ، وأكدوا لمجلس شيوخها (السناتو) بأن سفينة الاستتارية التي شاهدتها الهنداكة صحة أسطول بوسيكو أثناء معركة مودون البحرية لم ترسل الى تلك الجهات لفرض عدائي ضد البندقية ، بل لاطاعة أوامر بوسيكو بوصفه مثالا لملك فرنسا وللدفاع عن مصالح الاستتارية في المورة ، كما أكدوا له بأن دي نيلاك لم يخرج برفقة بوسيكو الى ساحل الشام للاحاق الأدي بالهنداكة ولكن لحرب المسلمين ، وأنه يعتذر عن نهب بيروت باللفظ من عدم اشتراكه في القيام به ، ومن أن

المضامع التي تسببت ردت بالكامل لمثلئ الهندية كيرنيا بقرص . وانتهى الأمر بموافقة السناتو
على الكف عن مطالبة الاستنارية بدفع التعويض عن هذا الحادث مكفيا بما قدمه السيد الكبير
دي نيلاك على لسان مبعوثيه من تأكيدات واعتذارات حوله . (١)

ومن الأمثلة الأخرى أن جمهورية الهندية اشتكت لدى دي نيلاك في عام ١٤١٠ من
قيامه بإغلاق قنصليتها في عاصمته رودس . وقد دافع دي نيلاك عن نفسه باضطرابه إلى اتخاذ
هذا الاجراء بناء على طلب الجنوة والقطالونيين الذين ساء لهم ، وهم الذين لا يحتفظون
بقناصل لهم في جنيرودس ، أن تتنزع الهندية في هذه الجزيرة بميزات أكثر مما لهم من
ميزات فيها . وما لا شك فيه أن جمهورية الهندية لم تتنزع في أول الأمر بالحجة التي ساقها
لها السيد الكبير للاستنارية ليبرر بها تصرفه ، حيث ظلت المراسلات بين الطرفين حول هذه
المسألة قائمة لمدة عامين ، ولكنها في النهاية رضخت - فيها يبدو - للأمر الواقع . (٢)

ويمكن أن نضيف إلى ذلك عددا من الشكاوى تقدمت بها الهندية لحكومة الاستنارية
في رودس . في أبريل عام ١٤٠٦ ، وديسمبر عام ١٤٢٣ ، وسبتمبر عام ١٤٢٤ ، وناببر
عام ١٤٤٢ ، وفبراير عام ١٤٤٤ ، وأغسطس عام ١٤٨٢ . ضد اعداءات الودسين على
بعض رعاياها من التجار مطالبة بدفع تعويضات مناسبة لهؤلاء الرعايا عما فقدوه من مضامع
وأموال نتيجة تلك الاعداءات . (٣)

وعلى أي حال فإن جميع هذه الشكاوى التي مثلنا لها قد قدمت وتم التفاهم بشأنها
سلما بالطرق السياسية . على أن هناك شكاوى ومطالبات لم تتورع جمهورية الهندية عن

١. Le Roulx: Les Hospit. a Rh., pp.300-301,

(١) أنظر :

Ibid, F.O.1, PP.475-476.

Ibid, Les Hopit. à Rh., P.327

(٢) أنظر :

Noiret, PP. 166, 300, 301, 400, 406, -407, 549

(٣) أنظر :

تقديمها مقرونة بعبارات التهديد أو معترزة بإرسال الأسطول الحربي لحصار مدينة رودس .
ومن هذه الشكاوى - وربما أولها - شكوى تقدمت بها البندقية في ٢٠ سبتمبر عام ١٤٦٤
للسيد الكبير زاكوستا من قيام فرسانه بمصادرة حمولة سفيتين بندقيتين - كانتا قد لجأتا
إلى ميناء رودس للاضمان فيه من عاصفة اجتاحتهما بالقرب منه - من الهضائع التي يملكها
بعض التجار المسلمين من رعايا السلطان المملوكي خشنقدم ، وتقوم هاتين السفيتين بنقلها
لحسابهم ، وأسروا من وجدوه على ظهرهما صحة هذه الهضائع من المسلمين ، مما دعا
السلطان إلى إصدار أوامره بالقبض على جميع التجار البنادقة الموجودين في سوريا في السجن .
وقد طلب السفير البندقي ، الذي تقدم بهذه الشكاوى ، من زاكوستا ضرورة الافراج عن جميع
الهضائع المستولى عليها والتجار المسلمين المأسورين . غير أن زاكوستا كان في الواقع يرغب في
الاحتفاظ بها تحت يده من أسرى هضائع إلى أن يطلق السلطان سراح السفير الاستباري
دلفن - الذي كانت حكومة الاستبارية قد أرسلته قبل أربع سنوات ، أي في عام ١٤٦٠ ، إلى
القاهرة بناء على طلب الأمير القبرصية شارلوت لمحاولة كسب تأييد الماليك لهذه الأميرة في
صراعها على عرش قبرص ضد أخيها يعقوب ، فزوج به هو "الملك" في أحد سجون الاسكندرية
- ويرد للاستبارية سفنهم التي كان رجاله قد استولوا عليها في ذلك الوقت ، ومن ثم لم يحط
للسفير البندقي جوابا شافيا عما طلب منه . وكان أن أرسلت البندقية إلى مدينة رودس العاصمة
أسطولا قويا مؤلفا من اثنتين وأربعين سفينة ما أن وصل إلى مينائها حتى هدد قاعده بفتح
بهران مدافعه عليها إذا لم يهتن السيد الكبير لطلب الافراج عن الأسرى المسلمين وهضائعهم
المحجزة . وهنا تدخلت الأميرة القبرصية شارلوت لوزجنان - وكانت تقيم وقتذاك في مدينة
رودس كلاجته بعد أن سقط آخر معقل لها في قبرص ، وهو مدينة كيرينيا ، في يد أخيها
يعقوب - بالوساطة بين الطرفين ، وانتهت مساطحتها في ١٢ نوفمبر (عام ١٤٦٤) بموافقة
السيد الكبير زاكوستا - الذي أترقه ولا شك تهديد القبطان البندقي بقصف عاصمته ، وما
يلفه من معلومات عن هذا القبطان بأنه يحفل تعليمات من حكومته بأن يأسر أكبر عدد ممكن
من أهالي رودس لتسليمهم لسلطان مصر - على إطلاق سراح أسراه والافراج عن هضائعهم .
(١)

أما بقية ما نعرف من شكاوى وطلبات تنتمي الى هذا النوع فتعود جميعها في الواقع الى اختلاف سياسة كل من الاسبتارية والهندقية فيما يتعلق بمشكلة السيادة في جزيرة قبرص ، وخاصة بعد وفاة ملكها يعقوب الثاني لوزجنان . فقد كانت هذه الجزيرة محطة تجارية هامة لسفن الهندقية في شرق البحر المتوسط ، وقد تأثر مركز تجارة الهندقية فيها منذ أن استولى الجنوة - وهم أكبر منافس تجارى واستعماري لها في منطقتي البحر المتوسط والبحر الأسود - في عام ١٣٧٣ على مدينة فاما جوستا الساحلية التي تعتبر أهم ميناء تجارى بالجزيرة ، فلما تمكن الملك يعقوب الثاني لوزجنان - بمساعدة الهنادقة - من تحرير جزيرته من الاستعمار الجنوى في عام ١٤٦٤ ، عقدت جمهورية الهندقية المعزم على بسط سيطرتها على هذه الجزيرة التي لم تلبث أن خضعت لها بالفعل عقب وفاة يعقوب الثاني في عام ١٤٧٣ ، وإن كان خضوعها من الناحية الرسمية لم يتم سوى في عام ١٤٨٩ . وليس من شك في أن الهندقية كانت منذ البداية غير راضية عن الاسبتارية في رودس لأنهم يبدوا من أن يمدوا يد المساعدة لملوك قبرص من آل لوزجنان - وهم أصدقاؤهم - تقليديون لهم - في محاولاتهم لتحرير مدينة فاما جوستا من مستعمرها الجنوة ، تصادقوا مع هؤلاء المستعمرين ، ثم لأنهم بعد ذلك ظلوا على تأييدهم السياسى لشارلوت منافسة حليفها يعقوب الثاني وزوجته كاترينا الهندقية . ومن المعروف بأنه عندما وصل الى رودس خبر وفاة يعقوب الثاني لوزجنان تقدمت شارلوت - وكانت تقيم آنذاك في رودس - الى مجلس الاسبتارية طالبة اعطائها غرامين اسبتاريين يساعدوها على استعادة عرشها في قبرص ، جنبها الى جنب مع انصارها في هذه الجزيرة ، ولكن المجلس رفض طلبها منعا لوقوع صدام مع الهندقية التي أعلنت صراحة تحللها لمسئولية الدفاع عن مصالح انتها كاترينا أرملة يعقوب الثاني . على أن جمهورية الهندقية رأت في بعض التصرفات الأخرى لهيئة الاسبتارية ما جعلها تشك في النوايا الحقيقية لهذه الهيئة . ومن هذه التصرفات أن الهيئة عندما توفي يعقوب الثاني في ٦ يولييه عام ١٤٧٣

كان لها سفينتان تعملان بقيادة التركوبلى حنا وستون J. Weston جنباً

الى جنب مع سبع وأربعين سفينة هندقية بقيادة اللهبطان بطرس موشينوجو Pietro mocenigo
وعشر سفن بابوية بقيادة رئيس أساقفة سبالاترو spalatro - في أسطول مشترك قاعده

العام القبطان الهندى بطرس موتشينيجو ، قائد السفن الهندية المشتركة فى هذا الأسطول ، ضد الأتراك فى المياه القرمانيه ، فلما وصل خبر هذه الوفاة الى بطرس موتشينيجو أراد أن يتوجه على رأس الأسطول المشترك الى جزيرة قبرص لمراقبة الموقف ، غير أن تركيولى الاستبارية حثا وستون اعتذر عن الذهاب معه الى هذه الجزيرة وانسحب فى الحال بسفيتيه الى رودس . ومن هذه التصرفات أيضا أن هيئة الاستبارية سمحت لأمبر البحر الرودى ، بأن يتوجه ، موقدا من شارلوت ، لمقابلة بطرس موتشينيجو فى ميناء فيميكى (فيسكو) ، الواقع على الساحل الأسوى فى مواجهة رودس ، قبل أن يتحرك الى جزيرة قبرص ، ويطلب منه باسم هذه الأميره أن يقدم الهدايه بمساعدتها على استرجاع عرشها .^(١) وأيا كانت هذه التصرفات فقد ترتب على الشك الذى أثارته عند الهندية أن القبطان بطرس موتشينيجو ، ما أن اطمأن على مركز كاتيرينا فى قبرص - التى كان قد وصل اليها فى ١٨ أغسطس ١٤٧٣ قادما من ميناء برفينيكو - حتى توجه الى جزيرة رودس ليستوثق من لواء السيد الكبير أورسنى ، ولكن عندما وصل الى ميناء مدينة رودس ، فى أول أكتوبر ، لم يسمح له بدخول هذه المدينة - شأنه شأن كل من وصل فى تلك الايام لزيارة المدينة - بسبب انتشارها الطاعون فى قرمانيا ودول أخرى فى شرق البحر المتوسط ، فواصل سيره الى ميناء مودون الخاضع للهندية فى المسيرة ليمضى به فصل الشتاء .^(٢) على أن القبطان الهندى لم يلبث أن تلقى من حكومته رسالة ، محررة بتاريخ ٤ أكتوبر عام ١٤٧٣ ، تطلب فيها منه هذه الحكومة بأن يرسل مبعوثا الى السيد الكبير للاستبارية أورسنى يحذره من القيام بتشجيع أية محاولة من شأنها أن تثير الطاعب للملكة كاتيرينا فى قبرص . وعندما تسلم أورسنى هذا التحذير أرسل يحض عليه لدى حكومة جمهورية الهندية عن طريق فرديناند الأول ملك نابلى الذى أبلغ هذه الحكومة أيضا بأن السيد الكبير للاستبارية سوف لا يقدم لها أية مساعدة الا فى حروبها ضد المسلمين بسبب قيامها بإرسال التحذير اليه .^(٣)

Hill III, PP. 599 - 600

(١) أنظر :

Ibid : Op. cit., PP 660 n.1 - 661

(٢) أنظر :

Ibid:Op. Cit., PP. 660 n.1 - 661

(٣) أنظر :

وهكذا تدهورت العلاقات بين الاسبتارية في رودس والهندية . وحدث في أواخر هذا العام . أن ، قام رئيس أساقفة نيقوسيا - بمساعدة عدد من الشخصيات البارزة في جزيرة قبرص - بمحاولة للاستيلاء على السلطنة في العاصمة نيقوسيا ، ولكن محاولتهم انتهت إلى فشل ، وهرب بعضهم إلى خارج الجزيرة ، على حين اختبأ البعض الآخر في أماكن مختلفة داخل الجزيرة منها ضيعة كولوسي المملوكة للاستبتارية . ولم يلبث أن لما إلى علم مستشاري كاترينينا من الهلادقة ، في أول يناير عام ١٤٧٤ ، أن رئيس الأساقفة المنعزل وأربعة من كبار أعوانه ، تمكنوا من الهرب من الجزيرة على سفينة يملكها فرد بناند الأول ملك نابولي الذي كانوا قد قاموا بحركتهم الفاشلة لصالحه . ومن ثم أطلقت سفينتان هنديةتان خلفه سفينة الهاربين لأسرها وأعادتها بمن فيها إلى قبرص . وقد وجدت هاتان السفينتان ضالتهما رأسية في ميناء مدينة رودس ، ولكنهما لم تنفاسرا بمهاجمتها بعد أن هدد السيد الكبير أورسيني بحزمه على مقاومة أية محاولة من هذا القبيل بقوانينها . ولم يلبث أن وصل بطرس مونشيني جوفينفسه إلى رودس ، في ٢٥ يناير عام ١٤٧٤ ، وطلب من أورسيني ضرورة أن يعلم له القبارصة الفارين ، فرد عليه أورسيني بأن هؤلاء القبارصة الذين يطلبهم قد خسروا أنفسهم ولا يمكن العثور عليهم ، كما أنه لا ينوي تسليمهم لأحد . وقد أهدى القبطان الهندي موافقه على ما جاء في رد أورسيني عليه ، ولكنه أصر على ضرورة ألا يسمح للمطالبين بالاقامة في جزيرة رودس ، ثم رجع عائدا إلى قبرص ، على حين جد أورسيني في البحث عن هؤلاء القبارصة حتى تم له اكتشافهم - فيما بعد - واحد منهم قهض عليه الهلادقة مختبئا في ميناء رودس وأخذوه معهم إلى قبرص - ورحلهم عن جزيرته إلى الغرب في شهر فبراير ومارس^(١) .

(١) انظر :

Hill III, PP. 687 - 689.

وما يجدر ذكره أن أورسيني سلم لرئيس هؤلاء القبارصة ، وهو رئيس أساقفة نيقوسيا ، عند مغادرته رودس في ٢٣ مارس عام ١٤٧٤ ، رسالة تتضمن التوصية به لفدى جميع أعضاء ورعايا هيئة الاستبتارية أينما وجدوا - انظر :

Mas-latrie III, P. 165 .

ومهما يكن من أمر هذا الحادث ، ففي شهر أكتوبر من هذا العام - أي في عام ١٤٧٤ - وصلت إلى الهندية أنها "موجهة من قبرص مفادها أن كثيرين من القبارصة اتجهوا فرصة موت الملك الطفل يعقوب الثالث لوزجنان ، في ٢٦ أغسطس عام ١٤٧٤ ، وقاموا بمظاهرات عنيفة ضد كاتيرينا كما طالبوا بعودة شارلوت . وكان أن قرر مجلس الشيوخ الهندي ، في ١٩ أكتوبر ، إرسال مرقس كورنارو marco cornaro - والسيد كاتيرينا - إلى جزيرة قبرص لمواذرة ابنته في محبتها . وقد تعلم هذا الشريف الهندي في التعليمات الخاصة برحلته في ١١ نوفمبر عام ١٤٧٤ ، ولكنه لم يبدأ القيام بهذه الرحلة إلا في ٣ يناير عام ١٤٧٥ . والذي يهمنا في الأمر أن التعليمات المعطاة لمرقس كورنارو تقتضي منه بأن يمر - وعرفى طريقه إلى قبرص - بجزيرة رودس ليسلم للسيد الكبير أورسني خطابات كتبها له الدوج ومجلس الشيوخ ، وليطلب منه بأن هيئة الاستبارة إذا لم تكن مستعدة لتأييد كاتيرينا والغنية الهندية ، فإن عليها على الأقل أن تمتنع عن اغاثة المتمردين عليها ، على أن يؤكد له في نفس الوقت بأن كل ما يصيب قبرص من خير أو شر على أيدي الرومانيين سوف يعود إلى رودس على أيدي الهنادقة الذين وطئوا البحر على ألا يعاملوا الاستبارة في رودس إلا بمثل ما يعامل به هؤلاء الاستبارة قبرص ، ويوضح له بأن من الخير له هيئة الاستبارة أن تكسب صداقة الهندية . هذا وقد طلبت التعليمات من مرقس كورنارو بأن يؤدي هذه المهمة من غير أن ينزل إلى ساحل رودس حرصا على سلامته الشخصية ولا كساب كلماته تأثيرا أقوى ، كما طلبت منه بأن يوجه كلامه إلى السيد الكبير ، إذا وجد منه روحا معادية ، على شكل انذار أو تهديد .^(١)

وفي الحقيقة فأننا لا نعرف ماذا تم بشأن سفارة والد الملكة كاتيرينا في رودس .
 يقطع النظر عن ذلك فقد حدث في ١٥ يونيو من العام التالي - أي في عام ١٤٧٥ -
 أن أبلغ مجلس شيوخ البندقية القائد العام للأسطول البندقي أنطونيو لوردانو -
 Antonio loredano بأن الفارس الاستباري جنا كانوزا J. de canosa أعد
 في نابلي - بالتعاون مع الملك فرديناند الأول والتمرد القبرصي الهارب ريتسو دي مارينو -
 سفنا حربية يقصد إرسالها إلى قبرص لإعادة شارلوت - وكانت قد غادرت رودس نهائيا
 إلى القرب في ٤ يوليو عام ١٤٧٤ -^(١) إلى عرشها في هذه الجزيرة ، وطلب منـه
 بأن يرسل تعزيزات كافية من السفن إلى ميناء قاجوستا لتخظيم أية حملة معادية
 تصل إليها ، ثم يتوجه إلى جزيرة رودس ، بعد أن يتأكد من زوال الخطر عن قبرص ،
 لئلا ارالسيد الكبير أورسيني بأن جمهورية البندقية سوف لا تقف مكتوفة الأيدي أمام أية
 محاولة من شأنها تهديد الأمن والسلام في قبرص -^(٢) وسواء قدم هذا الانذار أولم يقدم -
 وهو أمر لا يزال تجهله وإن كنا نرجح عدم تقديم الانذار نظرا لعدم وصول الحملة التي
 قيل بأن الفارس الاستباري جنا كانوزا أعدها في نابلي لغزو قبرص لصالح شارلوت -
 فالشيء المؤكد أن القائد العام البندقي أنطونيو لوردانو - الذي كان قد وصل إلى
 قبرص في خريف عام ١٤٦٧ عندما عرف في البندقية بأن بعض الصائرين على نفوذها في هذه
 الجزيرة قد أقنعوا من نابلي في غرايين لغزوها ، وأن بعضهم الآخر يتآمرون بزعامة ريتسو
 دي مارينو ضد هذه الجزيرة مع السيد الكبير دوبيسون ، خليفة أورسيني ، في رودس - قد
 أرسل من هذه الجزيرة مبعوثا إلى رودس حيث سلم لدوبيسون رسالة من الدوج أندرياس
 فيندرامين Andrea Vendramin يطلب فيها منه بلمحة عتيقة عدم تشجيع
 ريتسو دي مارينو أو غيره من أعداء الملكة كاتيرينا ، ولا فإن جمهورية البندقية ، التي صعدت
 على أن تقوم بحماية قبرص كما لو كانت ملكا لها ، سوف تعامل هيئة الاستبارية معاملة
 الأعداء ، وقد رد دوبيسون على المبعوث مشافهة وعلى الدوج ، في رسالة كتبها لـه

بتاريخ ١٨ سبتمبر عام ١٤٧٦ وسلمها للمبعوث ، بأن هيئة الاستشارة لم تتدخل قسط
في أحداث قبرص الداخلية وسوف لن تتدخل مستقبلا في هذه الأحداث ، ولكنها كدولة
حرة سوف تتمسك دائما بحقها في ايواء كل من يلجأ اليها . ولكن يبدو أن لورد دانييل
لم يعجبه هذا الرد ، فقد توجه بنفسه ، في الشهر التالي ، الى رودس حيث طلب
من دويسون أن يسلم له المتمردين ، فبرأ دويسون رفض أن يجيبه الى هذا
الطلب ، ولم يرد عليه الا بنفس ما رد به على الدوج والمبعوث .^(١)

وعلى أي حال فلم تلبث جمهورية الهندقية أن أرغمت كاتبرينا كورنارو في عام ١٤٨٩
على أن تتنازل لها عن جزيرة قبرص .^(٢) ومن ثم رأى الاستشارة في رودس عدم جدوى
الاستمرار في تأييد قضية شارلوت ، وأصبح لا يهمهم سوى عدم غضاب الهندقية حتى
لا تنتقم منهم بالاستيلاء على أملاكهم الضنية في تلك الجزيرة . على أن الهندقية لم تنسى
لهم أبدا مواقف العدائية السابقة ضد نفوذها في قبرص ، فكانت أول من أرسل يهنيئ
السلطان سليمان الثاني في مطلع عام ١٥١٣ عندما تم له طردهم من جزيرة رودس وسائر
الجزر الخاضعة لهم في بحر ايجية .^(٣)

Hill III, PP. 606 -607; Biliotti, FR250 -251;

(١) أنظر :

Bouhours, PP. 39, 41- 42

(٢) أنظر :

Hill III, P. 746

(٣) أنظر :

Ibid Op. Cit., P. 834.

الفصل الخامس

العلاقات بين الاسبتارية في رودس ودولة سلاطين المماليك

في مصر والشام

- الدور الذي رسه بمفردها الحروب الصليبية ليقوم به الاسبتارية في هذه الحروب .
- الحملة التي قام بها الملك القبرصي ، بطريرك الاول ، على مدينة الاسكندرية ، في عام ١٣٦٥ ، ودور الاسبتارية في رودس فيها .
- الدور الذي قام به الاسبتارية - بالاشتراك مع قبرص والهندية وجنوة - من أجل تصفية آثار حملة ١٣٦٥ ، والتي تم صلح عام ١٣٧٠ مع السلطان .
- لمشاركة الاسبتارية في رودس مع بوسكو الحاكم الفرنسي على جنوة - في غزو بعض مدن ساحل الشام في عام ١٤٠٣ .
- معاهدة صداقة وتجارة بين الاسبتارية في رودس والمماليك في عام ١٤٠٣ .
- الاسبتارية يمدون ثلاث حملات ملوكية على جزيرة رودس في عام ١٤٤٠ ، وعام ١٤٤٣ ، وعام ١٤٤٤ - صلح عام ١٤٤٥ .
- جنوة بين الاسبتارية والمماليك ، بسبب معارضة سياسة كل طرف منهما مع سياسة الطرف الآخر في حرب الوراثة بين شارلوت وأخيها يعقوب لوزجنان على عرش قبرص ، بدأت في عام ١٤٦٠ ، وانتهت بصلح عام ١٤٧٧ بين الاسبتارية والمماليك .
- موجه من الاتحادات الاسبتارية على سفن المماليك في شرق البحر المتوسط في أواسل القرن ١٦ (١٥٠٦ - ١٥١٠) .
- سقوط دولة المماليك في يد العثمانيين في عام ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ثم سقوط رودس في يد العثمانيين في ١٥٢٢ .

إذا كان الاستتار قد قاموا بدور ملحوظ في الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، فإن طرد الصليبيين من الشام في نهاية القرن الثالث عشر وما ترتب عليه من استيلاء الاستتار على رودس واستقرارهم فيها ، لم يؤد كل ذلك إلى نهاية الحروب الصليبية وإنما دخلت تلك الحروب مرحلة جديدة في أواخر العصور الوسطى غلب عليها فيها الطابع البحري ، وترجمتها في شرق البحر المتوسط قوى عديدة منها أرمينيا الصغرى وآل لوزجنان في قبرص والاستتار في رودس . والواقع أن نجاح الاستتار في إقامة دولة لهم في رودس لم يضعف فيهم الرغبة في مواصلة الحرب ضد دولة سلطنة المماليك في مصر والشام ، ليس فقط لأن هيتهم — أي هيئة الاستتار — تأسست أصلاً لقتال المسلمين في الشرق ، ولأن ثروة هذه الهيئة من أرض وغار ، فسي أوروبا والشرق اللاتيني ، آلت اليها عن طريق التبرع لمساعدتها على المضي في تحقيق رسالتها ، ولكن أيضاً من أجل استرداد أملاكهم وقلاعهم في الشام ، وفي مقدمتها مستشفاهم في مدينة بيت المقدس ، الذي نشأت فيه هيتهم وأحاطوه بها لمكبيرة من المقدس ، فضلاً عن مدينة بيت المقدس ذاتها ، حلم كل صليبي — منذ أن طردوا منها على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في عام ١١٨٧ . يضاف إلى ذلك أن المنشور البابوي الصادر في ٢ مايو سنة ١٣١٢ بشأن توريث أملاك هيئة الدامية — الملقاة في ٢٢ مارس من نفس العام — لهيئة الاستتار ، نص صراحة على أن الاستتار منحوا هذا الارث لتدعيم جهودهم الرامية إلى استرداد الأرض المقدسة . (١)

على أن الاستتار وجدوا أنفسهم ، في بداية عهدهم بجزيرة رودس ، مضطرين إلى مواجهة مجموعة من المشاكل الأخرى التي شغلتهم عن مواصلة الحرب ضد دولة سلاطين المماليك ومن هذه المشاكل — على سبيل المثال — المعارك الدفاعية والهجومية

(١) أنظر :

التي خاضوها ضد الأتراك السلاجقة بأسيا الصغرى ، لحماية ملكهم في جزيرة رودس أو
لقد سلطانهم على الجزر المجاورة لهذه الجزيرة في ^{بحر} أيجه ، فضلا عن محاولات للخروج من
الأزمة المالية التي ورطتهم فيها سو^ن تدير أول رئيس لهم في رودس فولك دي فيلاريس
(١٢٩٦ - ١٣١٩) ، ومشاكل وضع السيد على ارث الداوية في أرميا .

يضاف الى ذلك ، أن الاستتارية كانوا يدركون - ونظرا - أنهم أعجز من أن يقوموا ،
منفردين ، بعمل عسكري فعال ، ضد دولة كبرى ، مثل دولة سلاطين المماليك ، وأنه لم
يكن أمامهم سوى الانتظار لما تسفر عنه الجهود التي كانت تبذلها البابوية في أفنيون ،
بالتعاون مع ملوك فرنسا ، منذ أن سقطت مدينة عكا في يد خليل بن قلاوون عام ١٢٩١ ،
من أجل اعداد حملة صليبية عامة ، فيتحركون في نطاق هذه الحملة .

ومن المعروف أن هذه الجهود اقترنت بمظاهرة تقديم المشروعات التي تضمنت آراء
أصحابها ، من المهتمين بشئون الشرق ، فيما يجب أن تكون عليه الحملة الصليبية العامة
الناجحة ضد المماليك ، من حيث وسائل اعدادها وخط سيرها . ولعل من المناسب أن
نتعرض هنا لبعض هذه المشروعات التي رسم فيها أصحابها دورا للاستتارية بؤدونس ،
في نطاق الحملة الصليبية العامة ، حتى يمكننا معرفة حجم هذا الدور كما ورد في كل
منها ، وبخاصة أن اثنين من هذه المشروعات ، تقدم بهما رؤساء الاستتارية في رودس ،
فتقدم بأحدهما أول سيد كبير للاستتارية تولى حكم رودس ، وهو فولك دي فيلاريس
(١٢٩٦ - ١٣١٩) ، وتقدم بالآخر خليفته هليون دي فيلينيغ (١٣١٩ - ١٣٤٦) .

وأول مشروع من تلك المشاريع التي جاء فيها ذكر للاستتارية ، هو المشروع الذي تقدم
به ملك صقلية ، شارل أنجو الثاني ، الى البابا نقولا الرابع (١٢٨٨ - ١٢٩٢) ، قبل
وفاته في عام ١٢٩٢ . وقد بين الملك في مشروعه عدم جدوى إرسال حملة صليبية عامة
ضد مصر لأن المصريين - في رأيه - قادرون على صدها ، وفضل عليها حربا اقتصادية
تستهدف اضعاف قوة المماليك ، عن طريق تدمير تجارتهم الخارجية ، بصفة عامة ،
ومنع وصول السلع الحربية ، من رقيق وخشب وحديد وقار وغيرها ، اليهم بصفة خاصة .

وفى رأيه أن أسطولاً مؤلفاً من خمسين سفينة حربية ، وخمسين سفينة أخرى من سفن النقل ، إلى جانب قوة عسكرية ضاربة صغيرة ، مؤلفة من ألف وخمسمائة جندي ، كافية لتحقيق هذا الهدف . واقترح بأن تلغز كل من هيئتي الاستتارية والدأوية ، وملك قبرص ، بأعداد وتقدم عشر سفن ، على حين يتكفل البابا بتدبير بقية سفن الأسطول ، والقوة العسكرية . عسى أن ملك صقلية يصح - لتحقيق أفضل النتائج - بتوحيد جميع الهيئات الدينية والعسكرية فى هيئة واحدة ، يتمتع رئسها - الذى يشترط أن يكون ابن ملك ، أو ، على الأقل ، من أبناء طبقة كبار الأشراف - بسلطات مطلقة فى هيئته ، ويحظى وعداً بحر شهيت المقدس . وقد قدر الملك قوة الهيئة الموحدة المقترحة بألفين من الفرسان ، ومائتين من خدم السلاح ، وثلاثمائة فارس . وعرض بأن تتكون موارد هذه الهيئة من أموال العشر ، التى تجبى من جميع بلدان العالم للمسيحيين لغرض الحرب الصليبية ، ومن الممتلكات ، كما تقول اليهسا الخيول وعدة السلاح الخاصة بالأمراء والفرسان بعد موتهم . (١)

وفى شهر أبريل من عام ١٣٠٥ وضع الراهب المورقي ، ريموند لول Raymond Lull مشروعا نادى فيه بتوجيه حملتين صليبيتين ضد المسلمين على أن تكون أحدهما حملة سلمية وسيلتها التهشير والاقناع ، والثانية حملة حرب أدائها التفتك والضرب . وأوصى بهسان يختار البابا والكرادلة قائدا للحملة العسكرية يلقب بلقب السيد الملك المحارب Dominus Bellator Rex ممن تجرى فى عروقهم الدماء الملكية ، وأن يأذوا بتحصيل ضريبة العشر الكنسية لتغطية تكاليف الحملة ، ويطلبوا من رجال الدين ، فى جميع أركان العالم المسيحي ، بالعمل لتبشيرة النفوس للحملة . ومن ناحية أخرى ، طالب الراهب المورقي بتوحيد الهيئات الحربية الثلاث ، الاستتارية والدأوية والتبشرون ، فى هيئة واحدة رئسها قائد الحملة الصليبية . واقترح بأن يلبس أعضاء الهيئة الجديدة الموحدة أردية سوداء وصلباناً حمراء ، وبأن يطلقوا لحاهم طويلة ، ويتخفوا من بينهم

(١) أنظر : The D. Le Roulx: F.O.1 PP. 16-19, 57, Atiya: Crus. in the Later middle ages, PP. 35 - 36.

مخطط مبعثه تقديم المشورة لرئيس البهيمه . وأشار ريموند لول ، أيضا ، بأن مختار قائد الحملة الصليبية - الذي هو في الوقت نفسه قائد البهيمه الموحدة - فارما من أعضاء نهيمته لشغل منصب أمير البحر ، وقيادة أسطول مبعثه منح سفن تجار أوروبا من الوصول الى سواحل مصر والشام ، وتدمير جميع المدن الواقعة على هذه السواحل ، على أن يبدأ أمير البحر عملياته البحرية بالاستيلاء على جزيرتي رودس ومالطة ، حتى يستفيد بموقعهما الممتاز ، وموانئهما الجيدة ، في أداء مبعثه ضد دولة سلاطين المماليك . وقد تنبأ ريموند لول بأن سلطان هذه الدولة سوف يستسلم للصليبيين خلال ست سنوات ، اذا أحكم الحصار البحري على بلاده ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن ريموند لول كان يكتفى من الحملة الصليبية العسكرية بالحرب الاقتصادية ، وأنه كان يؤمن أكثر بحرب الاقتناع والتبشير . هذا وقد تجرول ريموند لول في بعض دول أوروبا والشرق المسيحي ، في محاولة لاقتناع حكوماتها بفكرته الصليبية عن الحرب الصليبية ، فلم يجد له آذانا صاغية الا عند حكام جمهوريتي جنوة وبيزة .^(١)

وفي الواقع ، كان كل من البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤) ، والملك الفرنسي ، فيليب الرابع - الشهير بفيليب الوسيم - (١٢٨٥ - ١٣١٤) ، يفكر ، وقتذاك ، تفكيراً جدياً في إرسال حملة صليبية مسلحة الى الشرق لانتزاع فلسطين بالقوة من المسلمين ،

(١) أنظر :

Atiya / The crusade in the later middle
ages, PP. 75-85; Le Roulx; F.O.I, 29-31.

مع ملاحظة أن الدكتور عزيز سوريال عطيه يذكر في ص (٧٥) بأن ديبلاشيل لرواكد بأن ريموند لول رفض فكرة الحرب الصليبية ، ونادى فقط بمقرو المسلمين عن طريق التبشير . وقد ذكر ديبلاشيل لرو ذلك فعلاً في ص (٢٨) من كتابه (فرنسا في الشرق ح ١) غير أنه ذكر في ص (٣١) من نفس الكتاب بأن لول تحصن لشقرو مصر عسكرياً . أرجح أيضاً الى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ح ٢ ص ١١٩٣ -

وكانت النداءات المتكررة ، التي وجهها الاستتارية ، من مقرهم في جزيرة قبرص ، الى هذين
العاقلين ، من أهم دوافع اهتمامهما بهذا الامر .^(١)

وقد رأى البابا كليمنت الخامس أن يستشير في أمر هذه الحملة ، كلا من رئيس هيئة
الداوية ، يعقوب دى مولى (J. de Molay) ، ورئيس هيئة الاستتارية ،
هولك دى شيلاريه ، لما لهما من خبرة طويلة بشئون الشرق ، فاستدعاهما من جزيرة قبرص ،
واستقبلهما ، في عام ١٣٠٧ ، بمقره في مدينة پوانتييه الفرنسية ، واستلم من كل منهما
مذكرة ضمنها وجهة نظره الخاصة .

وقد تحسّن رئيس هيئة الداوية ، في مذكرته ، لصالح فكرة ارسال حملة صليبية عامة
الى الشرق ، على حين أبدى رفضه لأى اتجاه الى أن يحل محلها نجدات صغيرة يبعث بها
بين حين وحين . واشترط بأن تتألف الحملة العامة ، على الأقل ، من خمسة عشر ألف فارس ،
 وخمسين ألف جندي من المشاة . وأوصى ، لنقل هذه القوات ، بالاستعانة بالقوى البحرية
الاطالية ، واستخدام سفن النقل الكبرى ، لأنها - فى رأيه - أفضل وأرخص من السفن
البحرية المعروفة باسم الأغربة . وكذلك نصح بأن تتوقف الحملة فى جزيرة قبرص ، فترة - من
الزمن ، للراحة ، قبل أن تواصل سيرها الى هدفها فى الشام ، من غير أن يذكر اسم هذا
الهدف ، خوفا من وقوعه - على حد تعبيره - فى أيدى المسلمين بطريقة ما .

على أن السيد الكبير لهيئة الداوية أشار أيضا بضرورة ارسال عارة بحرية ،

مؤلفة من عشرة أغربة ، تحت قيادة أمير البحر الارغونى المجرب ، روجر دى لوريا Roger de

lauria ، الى مياه البحر المتوسط ، لمطاردة سفن التجار الاوربيين

الذين يصرون على المتاجرة مع دولة المماليك فى مصر والشام وأمدادها بالسلم البحرية المحرمة

الى حين وصول قوات الحملة الرئيسية .^(٢) ويتضح من ذلك بأن يعقوب دى مولى كان عسلى

اتفاق فى رأى مع شارل أنجوا الثانى ، ملك صقلية ، والراغب الميورقى . ريموند لول فى

(١) أنظر : D. Le Roux: F.O.I, P.55

(٢) أنظر : Ibid: Op. Cit., PP. 55-57 : Ibid en Les Hospit. P.S.

أهمية الحرب الاقتصادية ضد دولة سلاطين الماليك ، ولكنه لم يكن مثلها ، على أنه
في قدرة هذه الحرب على كسب المعركة بمفردها من غير أن تنتهيها حملة عسكرية عامة
تجنى ثمارها .

وقد تعرض يعقوب دى مولى ، في مشروعه ، أخيرا ، لمسألة توحيد الهيئتين
الاستشارية والداوية في هيئة واحدة تضمهما معا ، فأعلن معارضته القاطعة لأي اتجاه
يتخذ في هذا الشأن ، لأن الاضرار التي تنتج عنه — في رأيه — تبرز كثيرا الفوائد
التي ترجى منه . وفي مجال سرده لهذه الاضرار ، أوضح الاخطار التي تتعرض لها
سلامة الهيئتين بإرغام أعضاء كل منهما على التخلي عن قانونهم الأول ، الذي دخلوا
الهيئة على أساسه ، ونذروا نفوسهم للمعش في ظله ، لكي يعضوا بقية سنى عمرهم
في ظل قانون آخر ، هو قانون الهيئة الموحدة ، وكشف عن خطورة الاحقاد ، بل
والممارك ، التي قال بأنها لا بد وأن تتولد داخل الهيئة الموحدة ، نتيجة لمباريات
للتفاخر المتوقعة بين الاستشارية والداوية ، كل فريق منهما بهيئته القديمة ، ونتيجة
لرغبة أعضاء كل من الهيئتين في الاستمرار بمراكز الصدارة في الهيئة الموحدة . ومضى
دى مولى ، فأظهر مخاوفه من أن يؤثر التوحيد بين الهيئتين ، تأثيرا ضارا ، على
نشاطهما المجهود في مجالات الخدمة الدينية والتصدق على الفقراء ورعاية المرضى وأعمال
الضيافة ، وبين مدى الغبن المنتظر وقوعه على أصحاب المناصب الكبرى من الاستشارية ،
والداوية ، الذين يستحق عزلهم ، بعد توحيد الهيئتين ، منعا للارتداد والوظائف ،
وجميعهم — في نظره — من الفرمان القدامى الذين رفقوا إلى هذه المناصب مكافأة لهم
على ما قاموا به من خدمات ، وما أدوه من تضحيات ، لصالح الهيئتين والقضية المسيحية .
ولم يفت على يعقوب دى مولى ، في هذا المجال ، أن يورد على الاتهامات ، التي
دأب بعض الحكام والاساقفة والهيئات ، في أوروبا ، على توجيهها لهيئتي الاستشارية
والداوية ، بأن المنافسات بين هاتين الهيئتين هي السبب في ضياع فلسطين من أيدي
المسلمين ، فأكد بأن هذه المنافسات — في الواقع — أفادت كثيرا الحركة الصليبية ،

لأن كلا من المهتمين كانت ، في سبيل التفوق على الهيئة الأخرى ، تجعل قصارى جهدها ، ليس فقط من أجل أحراز البطولات والانتصارات في المعارك على المسلمين ، ولكن أيضا ، في جلب أكثر ما يمكنها من الفرمان والسفن والامثلة والذخائر من شعوبها المنتشرة في أوربا . وخلص دى مولى من ذلك بأن وجه الى هذه الافتات تهمة مضادة ، هي أنها تصعد المهتمين على ثروتهما الواسعة ، وأنها ترغب في المساواة هذه الثروة بمختلف الاعذار ، وطلب من البابا أن يفت عليها هذه الفرصة .^(١) ومن الأرجح أن السيد الكبير لهيئة الداوية كان يشير بهذا الاتهام ، أيضا - من طرف خفى - الى العناصر التي أظهرت - وقد اكتملت - مداوئها الصريحة لهيئة الداوية ، واتهمتها بالاحاد والاحلال وخيانة القضية المسيحية . ولما كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع (الوسيم) ، على رأس هذه العناصر ، وكان البابا ، كلمنت الخامس ، واقعا تحت سيطرة هذا الملك ، فقد شعر السيد الكبير لهيئة الداوية بأن مشروع توحيد هيئتي الاستتارية والداوية ، لو تم تنفيذه ، فانه سوف يتم على حساب هيئة الداوية ، وهذا هو السبب الحقيقي - فيها يظن - لموقف المعارضين للمشروع .^(٢)

هذا عن فحوى مشروع السيد الكبير لهيئة الداوية ، بمقوب دى مولى . وإذا انتقلنا الى السيد الكبير لهيئة الاستتارية ، فولك دى فيلاوية ، نجد أنه قد طالب ، بدوره - في المشروع الذي قدمه للبابا ، كلمنت الخامس ، في نفس العام الذي قدم فيه السيد الكبير للداوية مشروع ، وهو عام ١٣٠٧ ، أى بعد عام واحد من نزول الاستتارية على أرض جزيرة رودس - بإرسال حملة صليبية عامة كبرى الى أراضي دولة سلاطين المماليك في مصر والشام لاحتلالها وأوصى بأن يقوم البابا بالدعوة لهذه الحملة ، وأن يحدد موعدا مناسباً لقيامها لا يتعد كثيرا عن وقت الدعوة لها ، حتى لا تفسر الحراسة وتبرد الهم وتكثر الاعتذارات وتوضع العراقيل في طريقها . ونصح فولك ، أيضا ، بضرورة أن يخطر البابا ، السيد الكبير لهيئة التقيون في ألمانيا ، بالاستعداد للجهاد الى الشرق على رأس جميع قواته ، وأن يطلب - أى البابا - من ملوك وحكام أوربا ، عدم التعرض للفرمان ، من أعضاء الهيئات

(١) أنظر : en D; Le Roulx: Les Hospit. T.S. PP. 271-272 ;

(٢) أنظر : Ibid: F.O.1, PP. 57-58 ; vertot II, PP. 68-71.

Ibid, F.O.1, PP. 272; Ibid, F.O.1,

الهيئة الثلاث ، الاستنارية والداوية والتيتون ، عند خروجهم من ديارهم للانضمام الى قوات الحملة ، وأن يمسد بقيادة الحملة لاجد الكرادلة ، على أن يساعد في الامور العسكرية البحتة أحد رجال الحرب .

ودخل فولك ، بعد ذلك ، في تفاصيل دقيقة ، عن وسائل تدبير الأموال اللازمة للحملة ، شملت الجانب الأكبر من مشروعه . ومن الوسائل التي اقترحها جبي ضريبة عشر على أملاك الكنيسة والاشراف ، وفرض ضريبة خاصة على ممتلكات جميع اليهود في العالم المسيحي ، لا تقل قيمتها عن عشرة قيمة هذه الممتلكات ، وتحويل دخول الاراضي المخصصة لمعاشات الاساقفة ، وايرادات الاوقاف الخالية ، وشركات رجال الدين الذين يموتون من غير أن يتركوا وصايا تحدد مصير ثروتهم ، والاراضي الذهبية والفضية التي يتركها الاساقفة بعد وفاتهم . وأضاف فولك الى ذلك ، بأن أصحاب المناصب العليا في العالم المسيحي ، الذين يتفعلون من ادارة عدة جهات ذات دخل ، ويكون مصرحا لهم بالاقامة بعيدا عنها ، فانهم يكفون بايراد إحدى هذه الجهات ، ويتنازلون عن ايرادات الجهات الاخرى لافراض الحملة الصليبية ، أما اذا لم يكن مصرحا لهم بالاقامة بعيدا عن الجهات التي يتفعلون بمواردها ، ومع ذلك لا يقيمون فيها ، فان ايرادات جميع هذه الجهات تحول الى الحملة . وطالب السيد الكبير للاستنارية ، أيضا ، بأن تعطى الأوامر لرجال الدين ، في جميع أنحاء العالم المسيحي ، بجمع التبرعات لصالح الحملة الصليبية ، عند قيامهم بواجب زيارة المرضى ، وشمزية أهالي الموتى ، وأن يمسد ، بحقوقه الحرمان ، أي شخص لا يكشف عن الوصايا التي تحوي تصورا لصالح الحملة الصليبية ، مع طه بأمرها ، أو يخفي هذه النصوص ، وأي شخص لا يدفع - في فترة محددة - المبالغ التي يكون قد وضع يده عليها ، من غير وجه حق ، من الأموال الموصى بها لصالح الحملة . فاذا كان هذا الشخص حاكما لدولة ، واعتصب أموالا جمعت في دولته من أجل الحملة ، وجب عليه ردها دفعة واحدة ، أو على أقساط . هذا وقد طالب السيد الكبير فولك ، أخيرا ، باعفاء أصحاب الديون من دفع الفوائد عن الاموال التي

استدانوها بالرها ، بشرط أن ينبروا للحفلة ، حتى عطلوا هذا الاغراء ، بطبقتهم مسرع
قدواتهم الطالية .

والرغم من هذا الاهتمام الكبير الذي أبداه السيد الكبير للاستشارة بالحفلة العامة ،
الا أنه كان يؤمن - شأنه شأن زميله السيد الكبير للداوية ، يعقوب دى مولى - بعدم
جدواها من غير أن يهتبه من الحرب الاقتصادية التي تضمن عدم وصول السلع الحربية
المحرمة الى الموانئ المملوكية . وفي رأيه أن الاسطول الذي يكلفه هذه المهمة ، ينفق
ألا يقل عدد سفنه عن خمس وعشرين سفينة حربية ، الى جانب جميع سفن قبض والاستشارة
والداوية ، وهو عدد ضخم بالمقارنة مع عدد السفن العشر الذي اقترحه السيد الكبير
للداوية لهذه الاسطول . وهذا ~~ويشكك في رأي السيد الكبير~~
لذلك دى فيلاري ، أيضا ، أن يمد اسطول آخر ، يتراوح عدد سفنه بين خمسين وستين
سفينة ، نصفها من سفن النقل الكبرى ، والنصف الآخر من الاغربة ، لغرض تدمير المنشآت
الساحلية في مصر والشام ، عن طريق القيام ضدها بمسلسلة من الغزوات هنا وهناك ، لان
هذه الغزوات - في رأيه - تؤدي ، ليس فقط ، الى شل حركة الدفاع البحرية عند الممالك ،
ولكن أيضا ، الى وضعهم في حالة حيرة وشك من مقاصد الصليبيين الحقيقية مما يسهل لنزول
قوات الحفلة العامة عند وصولها . (١)

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Cart. Iv, nom. 4681; D. Le Roulx: Les Hosp.
en T.S., FF. 269 - 271; Joseph Petit: memoire de Foulques
de Villaret sur la croisade, dans B.E.C., LX (an. 1899)
PP. 602-610.

هذا ما جاء في مشروع السيد الكبير للاستتارية ، فذلك لدى فيلاريه من الملاحظات
عدم ورود أية إشارة فيها تفصح عن رأيه في مسألة توحيد هيئتي الداوية والاستتارية ، ما
يدل على أن البابا كليمت الخامس لم يطلب نصيحتة في هذا الشأن ، وإنما اكتفى
باستشارة السيد الكبير لهيئة الداوية ، التي كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع (الوسم)
يطلب حلها ، وكان يأمل في أخذ موافقة على ادماج الهيئة التي يرأسها مع هيئة
الاستتارية ، حتى لا يضطر تحت ضغط ملك فرنسا - إلى الغائها ، مما يجلب عليه
بأي على البابا - مناعب التحقيق مع أعضائها في التهم التي يراها بها ملك فرنسا ،
ونجح لهذا الملك فرصة احتساب ثروتها وتملاكها الواسعة في بلاده فرنسا .^(١)

على أن السيد الكبير للاستتارية ، كان في مقدور أن يتطوع بإبداء الرأي في هذا
الموضوع ، كوسيلة من وسائل الاعداد الكامل للخطبة الصليبية ، كما فعل - مثلاً -
كل من شارل أنجيل الثاني ، ملك صقلية ، والراهب المورني ، ريموند لول . وكان من
صالح الهيئة ، التي يرأسها ، أن يوصى بتنفيذ فكرة توحيد الهيئتين ، لأن تنفيذها ،
في تلك الآونة حيث اشتدت الخطبة ضد هيئة الداوية إلى درجة المطالبة بالقائها ،
سوف يكون على حساب الداوية لصالح الاستتارية . على أن السيد الكبير للاستتارية أشعر
الصمت ، بها خوفاً من ربه ، وهيئته الاستتارية ، بتهمة الانتهازية ، من جانب أنصار
هيئة الداوية ، ومن يحفظون عليها ، أو ربما كان هو نفسه يحفظ على هيئة الداوية ،
بالرغم من الخصومات والمصادمات القديمة بينها وبين هيئة الاستتارية التي يرأسها ، وذلك
بسبب ما ضيها الطويل في خدمة الحركة الصليبية ، وبسبب اقتناعه بأن خطة ملك فرنسا ،
فيليب الرابع ، عليها ، مصدرها طمع هذا الملك في مصادرة أملاكها الواسعة في بلاده
لحسابه الخاص ، وإذا كان ملك فرنسا قد اتهم هذه الهيئة بالهرطقة ، فقد سبق لهيئة

الاستتارية أن اتهمت بنفس هذه التهمة وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر^(١) ومن الممكن لملك فرنسا أن يرميها بها مرة أخرى لنفس السبب الذي رمى بها هيئة الداوية ، وهو الطمع في الثروة ، علما بأن هيئة الاستتارية تملك من الاراضي والعقارات في مملكة فرنسا ما لا يقل عما تملكه هيئة الداوية . ولا يستبعد كذلك أن يكون صمت السيد الكبير للاستتارية سببه الرغبة في عدم توريط هيئة الاستتارية - في تلك الآونة التي تستلزم تضافر جميع القوى المسيحية من أجل العمل للعودة الى فلسطين - في منازعات جديدة محتملة مع هيئة الداوية اذا ما خرجت من أرضها مع الملك الفرنسي ، فيليب الرابع ، متحصرة ، وهو أمر في الامكان حدوثه ، فقد سبق لها أن خرجت ظافرة من أزمت مماثلة منذ عهد الملك لويس التاسع ، وربما نستطيع أن نحققه مع الملك فيليب الرابع بالتنازل لسه عن جانب صغير ، أو كبير ، من ثروتها في فرنسا . هذا ولا يمكن أيضا استبعاد احتمال اقتناع السيد الكبير للاستتارية بالاضرار التي أوردتها الرئيس الداوي ، يعقوب دي مولى ، في مشروعه ، لتوحيد الهيئتين ، ولكنه لم يشأ أن يصرح بذلك ، خشية أن يجلب على نفسه ، وهيئة الاستتارية ، غضب ملك فرنسا ، فيليب الرابع .

وسبما يكن من أمر ما جاء في مشروع فولك دي شيلاري ، فإن هذا السيد الكبير ، ما أن رفعها الى البابا ، كليمت الخامس ، حتى أخذ يلح عليه - خلال المقابلات التي أجراها معه في مدينة بوانتييه - من أجل الاسراع في ارسال الحملة الصليبية ، التي دعا اليها في مشروعه ، الى الشرق . وكان فولك دي شيلاري - في الواقع - يأمل في أن يتمكن من الاستفادة بهذه الحملة في استكمال بسط السيطرة الاستتارية على جزيرة رودس التي بدأ رجاله في احتلالها منذ عام ١٣٠٦ . وعندما صرح البابا - كليمت الخامس - بتأجيله أعطاه البابا ، في ٥ سبتمبر عام ١٣٠٧ ، موافقه على فتح رودس^(٢) ، وعينه ، في عام ١٣٠٩ ، قائدا للحملة الصليبية^(٣) ، لكي يستطيع توجيهها الى ما يخدم غرضه ، وأمره

(١) عن اتهم الاستتارية بالهرطقة في القرن ١٣ - أنظر :

Martin IV, PP. 468 - 469

(٢) أنظر D. Le Roulx: Les Hospit en T.S., P.278; Ibid, Cart. 1V nom. 475

(٣) أنظر Amadi, PP. 298 - 299

- في نفس الوقت - بمساعدات مالية ^(١) ، استخذ منها - الى جانب الاموال التي جمعها من بيعت الاسبانية في أوروبا ، والقروض التي عقدها مع جمهوريتي فلورنسا وجنوة ، والتبرعات التي تلقاها أثناء جولته داعما للحملة في فرنسا وإيطاليا - في شراء كميات كبيرة من الاسلحة والدخاثر والخيول ، وتسليم أوها ^(٢) عدد من السفن لحساب الاسبانية ^(٣) واستجابة لرغبتها ، طلب البابا من ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، مرتين ، أن يحل الصليب ، المرة الاولى في ٢٩ يونيو عام ١٣٠٩ ، والمرة الثانية في ٢٧ أكتوبر من نفس العام ، ووافق كل من ملك إنجلترا ، إدوارد الثاني ، وملك أرمونة جيم الثاني Jaime II ، لروثنا ^(٤) للهيئات الحربية الثلاث ، الاسبانية والدعوة والنيسون ، في نفس العام ١٣٠٩ ، على أن يتوردوا من بلد ، الاسلحة والخيول والنوتة والدخاثر والمؤن اللازمة للحملة ^(٥) على أن جميع هذه الجهود ، التي بذلها فولك دي شيلاري ، معززة بجهود البابا كليمنت الخامس ، لم تؤد في النهاية الى اعداد الحملة الصليبية العامة التي أرادها ^(٦) ، ولم يخرج ، ما حدث بالفعل ، عن تجمع عدد من الصليبيين - الذين دفعتهم حماسهم الدينية ، من غير أن يحشد لهم ملك ليو أمير - في ميناء برنديزي ، حيث اختار فولك أكثرهم شرافة وأكملهم تسليحا ، على قد ما استطاعت سفنه أن تنقل منهم ، الى جانب فرسان الاسبانية الذين حشدتهم من بيعت الهيئة في أوروبا ، وأقنع بهم ، في عام ١٣١٠ ، مباشرة الى جزيرة رودس ، ولكنهم ما لبثوا أن تسربوا منها - عندما تأكدوا بأن استكمال فتحها لحساب الاسبانية هو الهدف النهائي من هذه الحملة لقولك - من غير أن يتعاونوا معه في تحقيق هذا الهدف ^(٧) .

Vertot II, P.74

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. en T.S., PP. 279-280;

(٢) أنظر :

Vertot II, PP. 74-75; Biliotti, P.133

D. Le Roulx / f.O.1, P.58

(٣) أنظر :

Ibid, Les Hospit en T.S., P.280

(٤) أنظر :

وهكذا لم يكن من الغريب أن تدرج مسألة الحرب الصليبية ضد دولة سلاطين المماليك ضمن جدول أعمال المجمع الكنسي العام ، الذي افتتح ، في ١٦ أكتوبر عام ١٣١١ ، بمدينة فيلنا - على نهر الرون بفرنسا - إلى جانب موضوعات أخرى ، أهمها وضع أسس الإصلاح الكنسي العام ، وقرار مصير هيئة الداوية التي أضربها الملك الفرنسي ، فيليب الرابع ، على حلها ^(١) . وفيما يتعلق بالحرب الصليبية عرض على أعضاء المؤتمر مشروران ، تقدم بأحدهما وليم دي نوجاريه ، المستشار المقرب للملك الفرنسي ، G. de Nogaret ، المستشار المقرب للملك الفرنسي ، فيليب الرابع ، على حين تقدم بالآخر هنري لوزجنان ، ملك قبرص (١٢٨٥ - ١٣٢٤) . وقد ركز وليم دي نوجاريه ، في مشروعه ، على وسائل اعداد الحملة الصليبية العامة . واقترح أن يتولى ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، قيادة هذه الحملة ، على أن يعطى الحملة الكافية للاعداد لها ، وأن تحل هيئة الداوية ، وتصادر أموالها وأماكنها المنقولة ، ودخول أماكنها الثابتة ، لصالح الحملة ، إلى جانب الفرق بين إيرادات ومصاريف هيئة الاستشارة ، والهيئات الدينية والخريرية الأخرى ، فضلا عن الكائنات والاديرة ^(٢) . أما هنري لوزجنان الثاني ، ملك قبرص ، فقد اهتم أكثر بالعطيات العسكرية البرية والبحرية للحملة ، وأكد أهمية الدور ، الذي يمكن أن يؤديه للحملة ، أسطول ، يتراوح عدد سفنه بين خمس عشرة سفينة وعشرين سفينة ، يبعث به ، قبل قيامها بستين أو ثلاث سنوات ، لشن الغارات المتواصلة على سواحل مصر وسوريا ، ومطاردة السفن المسيحية التي تحصل السلع الحربية المحوكة إلى هذه البلاد ، على أن يكون الأسطول الصليبي مستقلا عن الجمهوريات الإيطالية التجارية التي اعتمدت سلعها على مد المماليك بالسلع الحربية ^(٣) .

Martin IV, PP. 494 - 495

(١) أنظر :

D. Le Roux: F.O.1, PP. 59 - 61 ; Atiya: The crusade in the later middle ages, PP. 53 - 54

(٢) أنظر :

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشر : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٤ ، نفس المؤلف : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٠٤

وأنظر أيضا :

D. Le Roux: F.O.1, PP. 59-61

وتنضم من ذلك بأن ملك قبرص ، هنرى لوزجنان الثانى ، قد تبنى ، فى عام ١٣١١ ، ما سبق أن قال به كل من السيد الكبير لهيئة الداوية ، يعقوب دى مولى ، والسيد الكبير لهيئة الاستنارية ، فولك دى شيلارية ، فى عام ١٣٠٧ ، من أن الحملة الصليبية العامة لا بد - لضمان نجاحها - أن تكون مهيوة بالحرب الاقتصادية ، وأن كان قد اختلف معها فى تقدير عدد السفن التى يجب أن يتألف منها أسطول الحرب الاقتصادية ، فطالب به عدد أكبر من العدد الذى طالب له به السيد الكبير للداوية ، وأقل مما طالب به السيد الكبير للاستنارية ، فضلا عن اختلافه مع السيد الكبير للاستنارية - بصفة خاصة - فى أنه قال بأسطول واحد للحرب الاقتصادية وتدمير سواحل مصر والشام ، على حين قال الرئيس الاستنارى بأسطولين أحدهما للحرب الاقتصادية والآخر لغزو السواحل .

ومما مكن من أمر مشروعى وليم دى نوجارية ، وهنرى لوزجنان الثانى ، فإن المجمع الكنسى لم يأخذ بأى منها . وقد أراد ملك فرنسا ، فيليب الرابع ، أن يبرز مشروع مستشاره ، وليم دى نوجارية ، فأعلن أمام أعضاء المجمع الكنسى عن استعداده لقيادة حملة صليبية ضد دولة سلاطين المماليك خلال عام واحد . غير أن البابا ، كليمنت الخامس ، وأعضاء المجمع ، لم يوافقوا على الجانب المالى فى هذا المشروع - وهو الهدف الحقيقى الذى رعى إليه المملك بإعلانه عن استعداده لقيادة الحملة - واكتفوا بأن يقرروا السماح لملك فرنسا بتحصيل ضريبة العشر على الكنيسة فى دولته لمدة ست سنوات ، مقابل ما يصرفه على الحملة ^(١) وإذا كان البابا ، كليمنت الخامس - رغبة منه أيضا فى إرضاء الملك الفرنسى ، قد قرر ، فى ٢٢ مارس عام ١٣١٢ ، إلغاء هيئة الداوية ، ووافق أعضاء المجمع الكنسى ، فى جلسة ٣ إبريل ، على هذا القرار ، ^(٢) فأنهم لم يحققوا للملك فيليب الرابع رغبته ، التى وردت فى مشروع مستشاره وليسهم دى نوجارية ، وهى إصدار قرار من البابا والمجمع الكنسى بمصادرة أملاك الهيئة المملوكة لصالح الحملة الصليبية التى يقودها الملك ، على أن أصدر البابا منشور ٢ مايو عام ١٣١٢ القاضى بتحويل هذه الأملاك لهيئة الاستنارية ، ووافق أعضاء المجمع على هذا المنشور قبل أن يفضوا

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

جلسات مجملتهم بعد ذلك بأيام قليلة (١)

وسواء كان ملك فرنسا ، فيليب الرابع الوسيم ، جادا ، حين عهد بقيادة حملة صليبية ضد دولة صلاح الدين المماليك ، أو لم يكن ، فإنه لم ينفذ وعده . وقد توفي في ٢٩ نوفمبر عام ١٣١٤ (٢) وخلفه ابنه لويس العاشر الذي أعلن ، بدوره ، عن عزمه على المضي فيما بدأ في عهد والده من استعداد للحملة الصليبية . غير أن هذا الملك توفي بعد توليته عامين اثنين - أي في عام ١٣١٦ - وخلفه أخوه فيليب الخامس الملقب بالطويل فأعلن بمثل ما أعلن به أخوه وأبوه . وحدث في نفس العام ١٣١٦ أن تولى كرسى البابا الجديد في أفينيون ، هو البابا حنا الثاني والعشرون ، بعد عامين ظل فيهما كرسى البابوية شاغرا منذ موت البابا كليمنت الخامس (٣) وما أن تولى البابا حنا الثاني والعشرون حتى أصدر قرارا صادقا فيه على قرار سلفه كليمنت الخامس الخاص بالسماح لملك فرنسا بتحصيل ضريبة العشر على أملاك الكنيسة الفرنسية لصالح الحملة الصليبية . وطلب منه في إعطاء الملك فيليب الخامس الطويل قوة دفع جديدة ، صرح له بتحصيل ضريبة العشر على جميع الدخول في مملكة فرنسا لمدة عامين متتاليين ، هما عام ١٣١٦ ، ١٣١٧ (٤) وفي الرابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٣١١ ، رفع البند في مارينو سانودو Marino ganudo ، إلى البابا حنا الثاني والعشرين نسختين من كتابه " أسرار المؤمنين بالصليب " (Secreta fidelium Crucis) ، الذي ضمنه مشروطا للحملة الصليبية ، بقرب ، في خطوطه الرئيسية ، من المشروعين اللذين تقدم بهما السيد الكبير للداوية ، يعقوب دي مولي ، والسيد الكبير للاستنارية ، فولك دي ثيلاريه

(١) أنظر : Martin; Hist. de France, vol 1V, PP. 496-498

وأنظر أيضا المنشور البابوي الصادر في ٢ مايو عام ١٣١٢ في :

Pauli II, PP. 23-26 num XXI

Yonge; History of France P.51

Martin 1V, F.543. ; D. Le Roulx:F.O.1, F.78

D. Le Roulx:F.O.1, P.78

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

وأرسلنا جاء فيه من وجهات نظر (١)

وما كادت تضي شهر قليلة ، بعد وصول كتاب مارينو سانودو الى البابا حنا الثاني والعشرين ، حتى تلقى البابا ، في اوائل عام ١٢٢٢ ، انباء مرمجة من الشرق ، مفادها ان قوات تنزية ، وأخرى تركمانية ، وثالثة مملوكية مصرية ، فزت أرمينيا الصغرى من ثلاث جهات مختلفة ، في آن واحد ، وأن جماعة الهاربين من مدينة أياص التي استولى عليها المماليك ، لجأت الى بعض السفن القبرصية الراسية في ميناء هذه المدينة ، مما يتوقع معه وقوع عدوان مملوكي على جزيرة قبرص (٢) . وكان أن أصدر البابا حنا الثاني والعشرون ، في هذا العام - أي في عام ١٢٢٢ - منشورا جديدا لحظر التمليل التجاري مع مصر (٣) ، وشدد الضغط على الجمهوريات الإيطالية الثلاث التي تمارس التجارة مع دولة المماليك ، وهي جمهوريات البندقية وجنوة وبيزة ، فاستجابت لقراره وقطعت كل علاقة تجارية لها مع هذه الدولة ابتداء من عام ١٢٢٢ (٤) وحتى عام ١٣٤٥ بالنسبة للبندقية ، (٥) وعام ١٣٤٦ بالنسبة لجنوة ، (٦) وربما أيضا لبيزة . يضاف الى ذلك أن البابا حنا الثاني والعشرين طلب ، في ٢٢ يونيو عام ١٢٢٢ ، من ملك فرنسا ، شارل الرابع الوصيم (١٢٢٢ - ١٢٢٨) - وكان قد تولى العرش ، في هذا العام ، خلفا لاخته فيليب الخامس الطويل -

(١) أنظر : D. Le Rouix: Les Hospit a Rh., pp.80 -81

Ibid: F.O.1, PP. 32 -39 ,81 ; Atiya: The Crus. in the Lat.

وارجع أيضا الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٨ - ١١٩٩

وفيما يتعلق بالفترة المملوكية لأرمينيا عام ١٢٢٠ ارجع الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور نفس المرجع ص ١٢١٩ .

(٢) أنظر : D. Le Rouix: Les Hospit. à Rh., PP. 79-80

ولتفاصيل أحداث أرمينيا في هذه الفترة ارجع الى :

Continuation de la chr. de semp., dans Rec. des Hist. des crois.

ومن موقف المماليك من أرمينيا ارجع الى دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢١٩ - ١٢٢٠ .

(٣) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

(٤) أنظر :

Ibid II, PP. 37 , 44

Ibid, P.45

(٥) أنظر :

Ibid, P.49

(٦) أنظر :

(٧) لا تعرف عن تجارة بيزة مع مصر والشام شيئا منذ عام ١٢٢٢ سوى انباء ارسلت الى القاهرة في عام ١٢٨٥ مفيرا ، يدعي ثقولا ثقيقالدس وطلب من السلطان برفوق تعويض التجار البيزانين في مدينة الاسكندرية عن اضرار لحقت بسفنهم .

بأن يعجل بأخذ مشورة أهل الرأي من لهم داية بمشئون الشرق ، لتكون له عوناً عند خروجه على رأس الحملة الصليبية ، التي أعلن الملك - عند اعتلائه العرش - عن استعداد له لقيادتها .^(١)

وأهم من استشارهم الملك شارل الرابع ثلاثة هم : هليون دى قبلينث ، السيد الكبير للاستشارة فى رودس (١٣١٩ - ١٣٤٦) ، ووليم ديران الصغير ، أسقف مونتنيون

G. Durand Le Jeune, évêque de mende

Garcias D, Ayerbe (١٢٩٧ - ١٣٢٨) ، جارسيا ز داييرب ، أسقف ليون

(١٣١٩ - ١٣٣٢) .

وكان أولهم ، وهو هليون دى قبلينث ، السيد الكبير للاستشارة ، موجوداً ، وتذاك فى فرنسا . وقد أشار بإرسال حملة صليبية عامة الى مصر تتألف من ألف فارس ، وأربعة آلاف رام من حملة الاقواس . ونصح بأن يقوم أسطول صليبي ، مؤلف من ستين سفينة ، بهتل هذه القوات ، من موانئ فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ، الى حيث تلتقى جميعاً فى جزيرة قبرص أو جزيرة رودس قبل أن تطلع معاً الى مصر . ورأى أن يتم اعداد الحملة ، بسفنها ، خلال أربع سنوات . واشترط - فى الوقت نفسه - ضرورة تدبير مرتبات أفرادها لمدة خمس سنوات متصلة ، وأجور سفن أسطولها ، بواقع ثمانية شهور فى السنة ، خلال فترة السنوات الخمس . وكما فعل مارينو سانودو ، فى كتابه " اسرار المؤمنين بالصليب " ، فقد أصر السيد الكبير للاستشارة على ضرورة أن تقطع الدول المسيحية كل علاقة تجارية لها مع مصر ، قبل إرسال الحملة الدامة . وطالب دى قبلينث أخيراً - بأن يتولى أسطول صليبي خاص ، مهمة شل حركة الصادرات والواردات المصرية فى البحر الأبيض المتوسط ، لان شلها - فى تقديره - لا يؤدى فقط الى اضعاف مصر ، ولكن أيضاً الى انعاش أرمينيا المسيحية ، التي سوف تتحول اليها - عندئذ - التجارة الهندية ، للوصول عن طريقها الى البحر المتوسط ، بدلا من طريق البحر الأحمر ومصر .^(٢)

(١) أنظر : D. Le Roulx: F.O.1 , P.79 ; Ibid : Les Hospit. à Rh.,

PP. 80 - 81.

Ibid : F.O.1, PF. 79 -81. ; Ibid: Les Hosp.

(٢) أنظر :

à Rh..P. 81

ثم جاءت نصيحة أسقف مند ، وهو أحد الذين استشارهم الملك شارل الرابع الواسع ، متفقة مع نصيحة السيد الكبير للاستتارية ، هليون دي قبلينيف ، في ضرورة إرسال الحملة الصليبية العامة عن طريق البحر ، وقطع العلاقات التجارية بين أوروبا ومصر . غير أنه أشار بأن يستعان بالقوى البحرية الإيطالية ، وخاصة قوى البندقية وجنوة وبيزة ، وقوة عسكرية استتارية خاصة مهتمة بتسهيل عملية انزال الصليبيين في آسيا الصغرى لانجاد أرمينيا المسيحية .

أما أسقف ليون ، وهو الشخصية الثالثة التي أعطت رأيها لملك فرنسا ، شارل الرابع ، في الموقف ، فقد نصح بالتحالف مع التتار ، وأن تملك الحملة الطريق البري الذي سلكته قوات الحملة الصليبية الأولى في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي . ولأنه أسباني ، فقد أهتم ، بمسألة خاصة ، بتوضيح الفوائد التي يمكن الحصول عليها في حالة الاستعانة بالهبيات الحربية الأسبانية والباسكونية ، عند تشكيل الحملة (١) .

وسمما يكن من أمر هذه النصائح التي تلقاها الملك الفرنسي ، شارل الرابع الواسع ، من السيد الكبير للاستتارية ، وأسقف مند وليون ، فإنها لم تكن سوى فاتحة لنشاط آخر أبداه الملك من أجل استئناف الحرب الصليبية . وذلك أنه أصدر ، في ٧ فبراير عام ١٢٢٤ ، قراراً بتعيين الفيكونت عموري السادس من الناربوني ، وأمير البحر بيرنجه بلان Ber. Blane قائداً للحملة الصليبية . وبعد عشرة أيام - أي في يوم ١٧ فبراير - أرسل سفارة إلى البابا حنا الثاني والعشرين ، في مدينة أشنون ، للوصول معه إلى وضع الترتيبات النهائية للحملة ، وطرق تنفيذها ، ولتقديم اقتراح الملك الفرنسي له ، بأن يكون تاريخ إبحار الحملة الصليبية العامة إلى الشرق هو شهر أغسطس من عام ١٢٢٤ ، أي بعد عام ونصف العام ، على أن يخرج الفيكونت عموري السادس ، فوراً ، على رأس أسطول صليبي خاص ، لتقود قوات صليبية تعزز بها ملكة أرمينيا المسيحية حاميات قلاعها وحصونها ، وللدفاع عن أرمينيا وقبرص ، وللسيطرة على مياه البحر المتوسط . (٢)

على أن الملك شارل الرابع الوسيم ، ما لميث أن تلقى ، في صيف عام ١٣٢٢ ، أنباء
عن صلح طويل الأجل ، مدته خمسة عشر عاماً ، بين أرمينيا الصغرى وسليمان مصطفي
السلوكي ، اللاصر محمد بن علاون ، ^(١) فشطت همته فيما يتعلق بالحرب الصليبية ،
ثم توفي في ٢١ يناير سنة ١٣٢٨ . ^(٢)

وعندما تولى الملك فيليب السادس دي فالوا - ابن عم شارل الرابع - في ٢٩ مايو
عام ١٣٢٨ ، عرش فرنسا ، ^(٣) أعلن بأن سياسته هي استئناف الجهود التي بذلها
أسلافه ، فيليب الرابع الوسيم ، ولويس التاسع ، وفيليب الخامس الطويل ، وشارل الرابع
الوسيم ، من أجل مواصلة الحرب الصليبية . ^(٤) ولمساعدته في الإعداد لهذه الحرب ،
سمح له البابا حنا الثاني والعشرون - بمقتضى منشور بابوي خاص أصدره في ١٦ يونيو
عام ١٣٣٠ - بجمع ضريبة العشور في فرنسا لمدة عامين . ^(٥) ومن الأدلة على صدق نيته
أنه اتصل بجمهورية البندقية ، في ١٨ نوفمبر عام ١٣٣١ ، وطلب منها أن تساعد
في نقل جيش الحملة إلى الديار المقدسة . وقد ردت عليه البندقية ، في ١١ مايو
سنة ١٣٣٢ ، فأعيت له عن استعدادها لأن تضع تحت تصرفه أسطولاً يكفي لنقل خمسة
آلاف فارس وخيولهم ، وألف جندي من المشاة ، وأن تقدم له أربعة آلاف تونى بندقية
لمدة ستة أشهر على نفقتها الخاصة ، ولكنها اشترطت عليه أن يحدد جيشاً ضخماً ،

(١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

(٢) أنظر :

D. Le Roux: Les Hosp. à Rh., P. 83

(٣) أنظر :

Martin IV, P. 562

(٤) أنظر :

Ibid, Op. Cit., P. 565

(٥) أنظر :

D. Le Roux: Les Hospit. à Rh., P. 84

(٦) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٥

واسطولا كبيرا ، وألا يتصرف الا بالتعاون مع البابا حنا الثاني والعشرين^(١) . على أن
الهندية ، ما أن توصلت الى عقد اتفاقية محالفة ضد الاتراك السلاجقة - الذين دأبوا
منذ عام ١٢٢٥ على غزو سواحل بلاد اليونان وجزر بحر ايجه -^(٢) مع امبراطور الدولة
البيزنطية ، أندرونيق الثالث ، والسيد الكبير للاستبارة في رودس ، هليون دى فيليب
في ٦ سبتمبر عام ١٢٢٢ ، حتى أرسلت - ربما بالاتفاق مع حليفها الامبراطور البيزنطى
والرئيس الاستبارى - الى ملك فرنسا ، فيليب السادس ، تعرض عليه الانضمام الى المحالفة
ضد الترك .^(٣) وقد رد عليها فيليب السادس ، في ٣ نوفمبر سنة ١٢٢٣ ، بأنه يعتذر
عن تلبية طلبها ، قورا ، لانشغاله فى الاعداد للحملة الصليبية من أجل استعادة الارض
المقدسة ، ولكنه يتعهد بإرسال بضع سفن فرنسية للانضمام الى اسطول المحالفة ضد
الترك فى الربيع القادم .^(٤) على أن ملك فرنسا ، أرسل ، بعد ثمانية أيام فقط ، أى فى
الربيع القادم .^(٥)

(١) أنظر :

Mas . Latrie: Comm. et Exp. mil., pp. 97-101; B. Le
Roulx: F.O.I, PP. 87 - 88; Le Roulx : les Hospit. à Rh., PP. 86-87;
Atiya : The crusade in the later middle ages, P.96; De la
Roc. et Dorez: lettres Inedites , dans B.E .C., LV1, an.
1895, PP. 22 - 23.

(٢) فى عام ١٢٢٥ وصل الى مدينة أثينون وفد استبارى من عضوين لعرض مخاوف الاستبارة
فى رودس ، من الاستعدادات الضخمة التى يجرها الاتراك لغزو جزيرة رودس وغيرها
من الدول المسيحية فى شرق البحر الابيض المتوسط ، على مسامح البابا ، حنا الثانى
والعشرين ، والسيد الكبير للاستبارة دى فيليب - الذى كان فى وقتئذ فى أثينون
منذ انتخابه لمنصبه عام ١٢١٩ ، وحتى عام ١٢٢٢ عندما رحل الى رودس -
البابا عرضى الوفد الاستبارى الى ملك فرنسا ، شارل الرابع ، لحثه على التدخل
السريع ، غير أن مخاوفهما لم تجد جدى عند هذا الملك .

أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., p. 84

(٣) أنظر :

Ibid : Op. Cit, P.87 ; gay: le Pape, P. 22-23

(٤) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.88

(٥) أنظر :

Mas - Latrie : Commerce et Expéditions, PP. 101-102

١١ نوفمبر سنة ١٢٣٣ ، الى البندقية بملفها بأن البابا حثا الثاني والعشرين قد عينه قائدا عاما للحملة الصليبية الى الارض المقدسة ، ويطلب منها أن ترسل اليه سفراءها للتفاهم معا في وسائل انقاذ الحملة .^(١) وكان أن وصل الى فرنسا السفيران البندقيان حثا جرادونيكو (J. gradonico) ، وأندرياس بانيليوسو

(Andrea Basilio) ، وهما يحضلان تعليمات حكومتها ، بمحاولة اقناع كل من ملك فرنسا ، فيليب السادس ، والبابا حثا الثاني والعشرين ، بالانضمام الى المحالفة أو العصبة ضد الترك ، على أساس أن تدمر قوة الاتراك السلاجقة ، في ششرق البحر المتوسط ، هو الضمان الاكيد لوصول أسطول الحملة الصليبية الى الارض المقدسة سالما .^(٢) ونتيجة لمساعى هذين السفيرين في فرنسا ، تم عقد اجتماع ، في ٨ مارس عام ١٢٣٤ ، بمدينة أفليون ، حضره ، الى جانب السفيرين البندقيين ، والبابا حثا الثاني والعشرين ، ممثلين عن الاسبتارية وفرنسا وقبرص ، اتفقوا فيه على أن تشترك دولهم في القيام بحملتين بحريتين ضد الاتراك السلاجقة ، على أن تخرج الحملة الاولى في شهر مايو من نفس العام - أي في عام ١٢٣٤ - وهدفها تدمير أساطيل الاتراك تصيدا للقيام بالحملة الثانية في العام التالي - أي في عام ١٢٣٥ - وهدفها غزو الساحل الاسيوي نفسه .^(٣) وهكذا نجحت الدبلوماسية البندقية ، معززة بالدبلوماسية الاسبتارية ،

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 88

Ibid: F.O.I, PP. 99- 100; mas - latrie: Commerce et Expéditions, P. 103

(٢) أنظر :

gay: Op. Cit., P. 21,

(٣) أنظر : ; Mas-latrie: commerce et Expéditions, PP. 104-106

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 88-89 ; ibid.: F.O.1, PP.

99-100; Atiya , P. 112

في تحويل جهود ملك فرنسا ، فيليب السادس ، الصليبية ، عن دولة سلاطين المماليك في مصر والشام ، الى الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى . ولقد شارك فيليب السادس في الحملة الاولى ضد الاتراك في موعدها المقرر من عام ١٣٣٤ ، ^(١) ولكن ما أن اكمل استعدادة للقيام بدوره المتفق عليه في الحملة الثانية ، وهم بما عدا رأوا امره لقواته بهما الاقلاع الى الشرق ، حتى فوجئ بهتاهب أعداء الانجليز للهجوم على مملكته ، فقهر أرجاء العمل الصليبي ، والتفرغ للانجليز (فبراير ١٣٣٦) . ^(٢)

وقد أثر هذا الحادث في حاسة الهابا بنوا الثاني عشر - وكان قد خلف الهابا حثا الثاني والعشرين بعد وفاته في ٤ ديسمبر عام ١٣٣٤ - ^(٣) للحروب الصليبية في مسند المسلمين تركا وعربا ، فطلب من الملك فيليب السادس ، في ١٣ مارس عام ١٣٣٦ ، عزم العودة لها ، كما أمر بوقف تحصيل ضريبة العشر الذي كان سلقه ، الهابا حثا الثاني والعشرون ، قد أمر به من أجل الحملة الصليبية الى الارض المقدسة ، وهرد ما جموع منها لاصحابها . ^(٤) وعندما طلب منه ملك أرمينيا الصغرى ليون الخامس (١٢٢٠ - ١٣٤١) ، المساعدة ضد قوات السلطان السلوكي ، الناصر محمد بن قلاوون ، أكفى ^(٥)

(١) أنظر :

De La Ronciere et Dorez: Lettres Inedites, dans B.E.C.

LVl, an .1895 , PP. 22-36; Atiya: Op. Cit., PP. 112-113 ; D. Le Roulx: Les Hospit. a Rh., PP. 89-90; De La Roncier 1, PP. 233-237 (٢) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 90 ; Atiya, P. 113

(٣) أنظر :

- D. Le Roulx: F.O.1, P. 103

(٤)

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 90-91

(٥) عندما علم ليون الخامس ، ملك أرمينيا ، بأن فيليب السادس ، ملك فرنسا يستعد

للقيام بحملة صليبية على الشرق ، أغار على بعض البلدان الاملامية في بلاد الشام ، الامر الذي جعل السلطان الناصر محمد يرسل حملة ، تحت قيادة علاء الدين

الطيفي ، لاثاب حلب ، ضد أرمينيا سنة ١٢٣٦ - أنظر دكتور سعيد عبد الفتاح

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٠

بأن وجه ، في أول مايو عام ١٢٣٦ ، لدا' عاما ، إلى جميع المسيحيين ، في صقلية
وقبرص رودس وجزر بحر ايجة ، بأن يهبوا لنجدة أهل أرمينيا اخوانهم في الدين .^(١)

وهكذا تعطل العمل الصليبي من أجل اخضاع دولة سلاطين المماليك واستعادة
الارض المقدسة ، وان كان قد استمر ضد الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى ، من غير
أن يشترك فيه ملك فرنسا ، الى أن تولى ، على عرش قبرص ، في عام ١٣٥٩ ، الملك
بطرس الاول لوزجتلان ، فقرر أن يستأنفه تحت قيادته ، حتى اغتبرت سنة ارتقائه العرش
- أي سنة ١٣٥٩ ، بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية المتأخرة .^(٢)

على أن الملك بطرس الاول رأى ضرورة الحصول على موافقة البابا أنوسنت السادس ،
وعلى تأييد وعون ملوك أوروبا وحكامها البارزين ، في رحلة يقوم بها شخصا الى بلادهم .
وقد بدأ رحلته ، في ٢٤ أكتوبر عام ١٣٦٢ ، بالتوجه الى جزيرة رودس ،^(٣) لتتفاهم فسي

أمر الحملة مع السيد الكبير للاستينارية الحاكم آنذاك في هذه الجزيرة ، وهو روجر دى هينز
(١٣٥٥ - ١٣٦٥) ، قبل أي حاكم مسيحي آخر ، باعتبار أن الاستينارية هم قطب

الرحى في كل عمل صليبي يوجه ضد المسلمين في الشرق .^(٤) وعندما وصل بطرس الاول الى
جزيرة رودس ، استقبله الاستينارية بحفاوة بالغة يمكن تفسيرها برغبتهم في تكليفه بالتوسط
لصالح هيتهم لدى البابا ، أنوسنت السادس ، الذي عرفهم بوله العدائية نحوها .^(٥)

وما أن رحل عن هذه الجزيرة ، متوجها الى أوروبا ، حتى قامت فيها الاستعدادات للحملة

(١) أنظر : Gay , P.25

(٢) أ. د. م. سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٦

(٣) نفس المؤلف والمرجع ص ٥٦ - ٥٧

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.142

(٥) أنظر : Atiya, PP. 330 - 331

على قدم وساق ^(١) ومن ناحية أخرى ، قدم البابا أريان الخامس - الذي تولى خلفا للبابا
 أنوسنت السادس في ٦ نوفمبر عام ١٢٦٢ - وتقابل مع بطرس الاول في مدينة أثنيون فسي
 ٢٩ مارس سنة ١٢٦٣ ^(٢) كل مساعدة ممكنة لهيئة الاستتارية ، من أجل أن تحل
 مشاكلها المالية والادارية في أوروبا ، حتى تتفرغ كلية للقيام بالدور العسكري المتظـر
 منها أن تساهم به في الحملة الصليبية التي يحد لها ملك قبرص . كما أن هذا البابا رجـا
 ملوك فرنسا وإنجلترا وناقاره ولشماله وأرغونة والبرتغال في ١٤ أبريل عام ١٢٦٥ ، بأن
 يصرحوا لـ "مـا" هيئـة الاستتارية ، في دولهم ، بالسفر إلى مدينة كاربنترا Carpentra
 لحضور الجمعية التي قرر " مارشال " الاستتارية عقدها في هذه المدينة ، من أجل
 مناقشة وسائل تدبير ، الاموال اللازمة لاسيماهم في هذه الحملة . ^(٣)
 على أنه لم يكن من المتفق عليه بين الاستتارية والملك بطرس الاول ، قبل سفره إلى
 أوروبا ، بأن يساهموا في الحملة بالسفن والفرسان فحسب ، ولكن أيضا بوضع جزيرتهم
 رودس تحت خدمة الصليبيين كمركز تجمع لهم ولسفنهم قبل خروجهم لتحقيق هدفهم الصليبي
 في هذه الحملة . وعلى ذلك فقد توجه الملك بطرس ، بعد أن انتهت رحلته في أوروبا ،
 مباشرة إلى جزيرة رودس ، من غير أن يمرج على جزيرته قبرص ، فوصل إلى رودس في شهر
 يوليو عام ١٢٦٥ ^(٤) ، صاحبة خمس عشرة سفينة ^(٥) ، بخلاف ست عشرة سفينة أخرى كانت قد
 سبقتها إلى ميناء مدينة رودس عن طريق جنوة وقبرص . ^(٦) وفي ٢٥ أغسطس وصل إلى رودس

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 146

(٢) أنظر :

Atiya: Op. Cit., P. 331

وفيما يتعلق برحلة بطرس الاول في أوروبا أرجع إلى

Ibid., Op. Cit., PP. 330-343, Hill II, PP. 326-329.

(٣) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP. 142 - 144

(٤) أنظر :

Machaut, PP. 52 - 54

(٥) أنظر :

Macheras, P. 91

(٦) أنظر :

Atiya, P. 343.

- (١) أسطول قبرص المؤلف من مائة قطعة بحرية وثمان قطع ، بقيادة أخى الملك جنا لوزجنان
أما السيد الكبير للاستتارية ، ريموند بيرنجر (١٣٦٥ - ١٣٧٤) - الذى خلف روجر دى هنز ،
فى مايو سنة ١٣٦٥ - فقد قدم أربعة أغربة ، ومائة فارس استتارى ، تحت قيادة أمير البحر
الاستتارى ، فرلينو دى اسكاسكا Ferlino D , Airasca (٢) واشترك معه من كبار أعضاء هيئة
الاستتارية رئيس شعبة المبارديا ، فضلا عن عدد آخر من كبار شخصيات هيئة الاستتارية فى
رودس . (٣) وكانت هذه أول مناسبة تقابل فيها الاستتارية ، بعد سيطرتهم على رودس ، وجيها

(١) أنظر : Strambaldi, ١٢. 65-66, machaut, P. 56, Hill. II. P. 329
أما الحادى (amadi, P. 414) فقد ذكر بأن أسطول قبرص أرسل الى رودس فى
٢٥ يونية ليتنظر فيها الملك الذى وصل الى رودس فى ٢٥ أغسطس . وذكر أن عدد
قطع أسطول قبرص ٩٢ قطعة .

(٢) أنظر : Macheras, P. 91-92 , Strambaldi, P. 66

أما ماشور (Machaut, P. 59) فإنه يذكر بأن الاستتارية ساهموا فى الحملة
بقوة قائدها أمير البحر ، ولكنه لم يحدد عدد أفراد هذه القوة ، كما لم يحدد عدد

السفن ويلاحظ بأن دى لاقليل لرو (D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh, P. 152
ذكر بأن الاستتارية فى رودس ساهموا فى الحملة بست عشرة سفينة . ويمنقذ الدكتور
عزيز سهربال عطيه)

بأن دى لاقليل أخذ هذا العدد عن سترامبالدى (ص ٦٦ - ٦٧) الذى خلط بين
عدد سفن الاستتارية ، وعدد سفن الملك الست عشرة ، أو عدد سفن الجنوة والبندقية ،
غير أن سترامبالدى - فى الواقع كان قاطعا فى قوله بأن الاستتارية ساهموا بأربعة أغربة ،
فهو يقول فى (ص ٦٦ - ٦٧) .

"Et il gran maestro armò quattro gallere, et mandò cento
freri et cavalli et gallere; et commandò che menasse con lui
(يقصد بطرس الاول الذى قاد معه الى رودس ١٥ سفينة)
Quindise gallere ;

et la gallera che ritornò da genoa, in tutto no 16.

"Il re..., et del Hospital quattro; et moltri altri vasselli."
هذا ولم يذكر لنا دى لاقليل مصادرا أخرى لروايته عن حملة ١٣٦٥ على الاسكندرية - الى
جانب ماشو ، سترامبالدى ، ماخيراس ، الحادى ، الامرجا حديثا ، وليس معاصرا ،
قال دى لاقليل بأنه يعتمد عليه اعتمادا رئيسيا لانه رجع فى روايته الى جميع المصادر والوثائق
المعاصرة الافرنجية والعربية . وهذا المرجع هو :

Jorga: Philippe de mézières et la croisade au XIVS., PP. 284-304 (٣) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit , P. 152

عكا عام ١٢٩١ ، وكانت المرة الاولى حين اشتركوا مع القبارصة والداوية ، في شهر
يوليه من عام ١٢٠٠ ، في الاغارة على ساحل مصر الشمالي من رشيد الى الاسكندرية ،
وعدن عكا وانطربوس وشرقية على ساحل الشام ، والمرة الثانية حين اشتركوا مع حلفائهم
القبارصة والداوية ، في شهر نوفمبر من نفس العام ١٢٠٠ ، في غزو جزيرة أرواد القريبة
من ساحل الشام ^(١) . كذلك انضم الى أسطول الملك بدارس الاول سفن أخرى ، ربما
مملوكة لقراصنة ، بحيث أصبح مجموع سفن هذا الأسطول نحو ١٦٥ سفينة من مختلف
الانواع والاحجام ، ^(٢) على حين بلغ عدد قوات الحملة عشرة آلاف مقاتل من بينهم
الف فارس ووقاس ^(٣) .

وقد أفلح أسطول الحملة من ميناء رودس ، في ٤ أكتوبر عام ١٣١٥ ، ^(٤) ومن
سقطر الاسكندرية فوصل اليها في صباح ٩ أكتوبر ^(٥) وفي صباح اليوم التالي ، أي في
يوم ١٠ أكتوبر - وكان يوم جمعة - بدأت عملية انزال الجند الى البر عن طريق بحر
السلسلة ، وهو الميناء القديم - أي الغربي - ^(٦) فيما عدا قوات الاستتارية ، بقيادة
فرلينود براسكا ، التي نزلت الى البر عن طريق الميناء الجديد - أي الشرقي - ثم

(١) ارجع الى الفصل الاول

(٢) انظر : Strambaldi, F.67; Amadi, P.414

بمقتضى ماخيراس ج ٣ ص ٩٢ عدد السفن ١١٥ سفينة . ومقتضى أبو المحاسن
(النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٩) سبعين قطعة .

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.152
يقول أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩) أن عدة الفرنج تزيد على
ثلاثين ألفا .

(٤) انظر : Hill II, P.331; Atiya, P.347

(٥) انظر : machaut, P.67; machéras, P.92

(٦) النويري الاسكندري ، الاعلام بالاعلام فيما جرت به الاحكام بالامور المقضية فسي
واقعة الاسكندرية ج ١ ورقة ٧٨ ، المقريزي السلوك ج ٤ ورقة ٤٧ . يقول ماسر
ص (٦٧) بأن الأسطول التي مراسيه أمام الميناء القديم ، ويعلق الناشر ، ماس
لا ترى ، في نفس الكتاب ص ٢٨٠ ملحوظة (١٩) بأن الميناء القديم هو الغربي ،
والميناء الجديد هو الشرقي ناحية رشيد . والنويري الاسكندري نفسه الجزء الثاني
ورقة (٢٧٥) يقطع بذلك فيقول " وكان بالمينة الغربية المعروفة بهجر السلسلة
لرقورة ... "

شقت طريقها ناحية الميناء القديم ، وفتحت الجموع المدافعة ، لما لقي كانت تعرقل تقدم بقية جند الحلة في المياه الضحلة نحو اليايس ، من الخلف ، فأرغمت هذه الجموع على الفرار مذعورة الى داخل أسوار المدينة . (١)

وفي الحقيقة لقد هدت الاسكندرية لغزاتها الصليبيين ، من وراء أسوارها العالية ، وأبوابها الضخمة القوية ، بمدينة المنال . وحدث ، بالفعل ، قبيل أن يهجم الصليبيون الهجوم على أسوار المدينة ، أن خارت عزائم بعض قادتهم ، وفكروا جد يا في هجر مشروع الغزو والعودة الى أوطانهم ، واقترح أحدهم - وهو على ما يعتقد أمير البحر الاسبتاري - على الملك بطرس بأن يأمر جيشه بالانسحاب . (٢) ففسر أن بطرس الاول استطاع أن يقنع قادة جيشه بمواصلة الحرب . وكان أن هجم الصليبيون على أسوار المدينة عند باب البحر ناحية الميناء الغربي ، من غير أن يشترك معهم فرسان الاسبتارية ، الذين وضعوا في الاحتياط ، جنباً الى جنب مع الافصال القهارصة بقيادة الملك بطرس الاول نفسه . فلما صدت القوات المهاجمة ، خرج الملك على رأس الفرق الاحتياطية ، ومن ضمنها فرسان الاسبتارية وحشى تفهقوا . ثم أن الملك لم يلبث أن قاد

(١) أنظر : D. Le Roulx : les hosp. à Rh., P.153 ; Hill II,

pp. 331-332

(٢) أنظر :

Machaut, PP. 80-81

مع ملاحظة أنه لم يحدد شخصية المتكلم مع الملك في صالح الانسحاب ، وقال عنه أنه اميرال (un amiraut) أما الذي قال بأنه أمير البحر الاسبتاري

فرلينود يراسكا فهو :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.153

علما بأن ديفاليل لرو يتكلم بقطع من غير أن يستخدم كلمات مثل " يعتقد " أو " يظن " أو " يرجح " ولا يعطينا مرجعاً استقى منه روايته ، معتمداً على ما ذكره في حاشية سابقة من أن مرجعه الرئيسي هو (

Jorga: Philippe de mézieres

ويقول دكتور عزيز سوريال عطيه في كتابه : The crus. in the Lat. mid. ag. P. 67 Jorga يقترح بأنه أمير البحر الاسبتاري ويؤكد بأن كلا من أمير البحر

الاسبتاري وأمير البحر القبرصي كان من بين القمرديين انصار العودة . ويشطرد دكتور عزيز سوريال بأن كلمة " amiraut التي استخدمها ماشو يمكن ان تؤخذ

ايضاً على أنها بارون (baron) ولقد أخذها ، بالفعل ، ماس لاثري ،

الذي نشر رسالة ماشو ، بهذا المعنى (بارون) - أنظر ماشو ص ٨١ .

جيشه بأكمله في هجوم جديد ، وتركز ، في هذه المرة ، على السور ناحية الميناء الشرقي ، فأحرق بعضهم باب الديوان ونفذوا فيه ، على حين وصل بعضهم الآخر إلى داخل المدينة عن طريق تعلق السور في هذه الناحية ومهروا ، ولم يزل مسا ذلك اليوم حتى كان الملك بطرس الاول قد استولى على جميع أبواب الاسكندرية فيما عدا باب الفلقل ، الذي كان يؤمن الاتصالات مع القاهرة ، فقد استولى عليه الصليبيون في اليوم التالي - أي في يوم ١١ أكتوبر ، وأنصروا ، باستيلائهم عليه ، سيطرتهم على المدينة بأسرها .^(١)

وكان بطرس الاول قد اجتمع ، في صباح اليوم الثاني للغزو - أي في يوم السبت ١١ أكتوبر - بمقادة جيشه ، لاستطلاع آرائهم فيما يجب عمله بعد أن تم فزو الاسكندرية . وقد اتضح جليا في هذا الاجتماع أن أنصار الانسحاب كانوا لا يزالون عند رأيهم الاول . وكان لسانهم المنكلم عنهم الفيكونت دي توريون * Le vicomte de Turenne . قريبا اليها كلمت السادس . وقد ناصره الصليبيون الاوروبيون . أما أمير البحار الاسبتاري ، فرلينوديراسكا ، فقد هدد قائلا بأنه ، في جميع الاحوال ، سوف يتسحب مع فرقته من فرمان الاسبتارية .^(٢) ويمكن تفسير معارضة الصليبيين الاوروبيين للبقاء ،

(١) أنظر : Machaut, PP. 82-95, D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P.153

وعن نجاح الصليبيين في اقتحام المدينة ناحية الميناء الشرقي ، وحرقتهم لاسباب الديوان - أنظر النويري الاسكندري الامام ج ١ ورقة ٣٢٢

(٢) أنظر : Machaut, PP.100-103
علما بأن ماشو في هذه المرة أيضا لم يحدد شخصية الاميرال الذي هدد بها لانسحاب ولكن ديلا فيل لرو (الاسبتارية في رودس ص ١٥٤) يقطع بأنه أمير البحار الاسبتاري .

بأن كثرة ما حصلوا عليه ، شجبا ، من القنائم في الاسكندرية ، جعلهم متمسكون أكثر بالحياة حتى تتاح لهم فرصة التمتع بهذه القنائم في بلادهم ، وشعورا لا يمكن أن يضمنوه عند مجيئ جيش القاهرة لتحرير الاسكندرية منهم . أما مملك أمير البحر الاسبتاري فيمكن تفسيره بأنسه^(١) ، بحكم خبرته بمشئون الشرق ، كان مقتنعا منذ البداية بأن الدولة المملوكية أقوى من أن يهضم عليها ملك قبرص ، وإذا أفلح في استقاطها ، فإنه لا يستطيع الاحتفاظ بفنجه طويلا ، لأن أوروبا — التي ضعفت فيها الروح الصليبية ، واشتعلت الحروب بين دولها — لا يمكن الاعتماد عليها في تدعيم الفتح ، ولأن أهل مصر والشام — بل والمغرب أيضا — سوف لا يسمع لهم حاسم الدين ، وتراثهم التاريخي في النضال ضد أطماع الأوروبيين ، يتقبل الاخلال الصليبي لفترة طويلة . هذا وهناك أيضا احتمالات أن فرلينود براسكا كان يهدف في تجنب هزيمة الاسبتارية خسارة فقدان مائة فارس اسبتاري ، وهو عدد كبير بالنسبة إلى قلة عدد أعضاء الهيئة من الفرسان عموما الموجودين في رودس ، وأنه ، بمقتضاه اسبتاريا رودسيا ، كان لا يحب أن يرى هذا الفتح الكبير ، هدف للحركة الصليبية منسبذ أن نشأت هذه الحركة ، وقد تحقق على يد آل لوزجنان بقبرص ، مدفوعا ، ليس فقط بحامل الحسد ، بحكم أن آل لوزجنان هم المنافسون الوحيدون للاسبتارية في رودس

(١) يخلق D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 154

على موقف أمير البحر الاسبتاري بقوله أن موقفه في هذا الظرف غريب ، أنه لم يكشف منذ بدء الحملة عن اظهار الحذر والتعقل الزائد . ثم يتساءل ديلافيل قائملا : هل أمير البحر الاسبتاري كان يبالغ في اظهار أخطار الاخلال الدائم للاسكندرية ، مثلما يبالغ من قبل في اظهار صعوبات الهجوم على هذه المدينة ؟ هل خبرته بمشئون الشرق تبرر نصائحه ومخاوفه ؟ هل كان يخشى عواقب موت خيول فرسان الاسبتارية المشتركين في الحملة ، على أساس أن هذه الخيول لو قُتلت في المعارك فإن قتلها سوف يثقل حركة الاسبتارية في بقية المعارك ؟ مهبط كانت مواقفه فقد كان نصيرا لانصار الانصحاب ، وكان لرايه تأثير قاطع .

— بين القوى المسيحية الحاكمة شرقى البحر المتوسط — فى ميدان العمل الصليبي ضيق
المسلمين ، ولكن أيضا معامل الشك فى أن يسمح حكام قبرص للاستثنائية بوضع يد هم على
ما يطمعون فيه من أملاك دولة السلاطين المالكي وخاصة فى الشام ، واضعا فى اعتباره
ما لاقاه الاستثنائية من مضايقات على يد الملك هنرى الثانى لوزجنان عندما لجئوا الى
جزيرة قبرص بعد سقوط عكا فى عام ١٢٩١ ، وحتى رحيلهم عن هذه الجزيرة الى جزيرة
رودس ابتداءً من عام ١٣٠٦ .

وسبما يكن من أمر العوامل التى دفعت أمير البحر الاستثنائية الى المطالبة بالانسحاب
— وهى فى أغلب الظن نفس العوامل التى يفسرها صفر حشم المساهمة الاستثنائية لمسى
الحملة — فقد كان واحدا بين كثيرين قالوا رأيهم صراحة للملك بطرس الاول . وهنا حاول
الملك ، والنائب الباهوى بطرس دى توماس ، اقناعهم بالصعود فى مدينة الاسكندرية . الى
حين وصول النجدات المطلوبة من الغرب وقبرص وروسلطة سلطنة طيبة ، فقد زادهم الخوف
من وصول امدادات ، لا قبل لهم بمواجهتها ، من القاهرة ، اصرارا على موقفهم .^(١)
وارتأ هذا الوضع لم يجد الملك بطرس الاول مناصا — حين بلغه نبأ اقتراب جيش السلطان
شعبان ، بقيادة الاتاك بليغا العفرى الخاصكى ، من الاسكندرية — من أن يصد رأسه
لجميع رجال الحملة بالانسحاب الى سفن الاسطول . وعندما دخل بليغا مدينة الاسكندرية ،
فى يوم ١٦ أكتوبر عام ١٣٦٥ ، كان الصليبيون فى مرحلة الانحلال . هبط منهم نحو قبرص ،
صحة خمسة آلاف أسير وأسيرة^{منهم} المسلم والمسلمة ، واليهودى واليهودية ، والنصرانية^(٢)
والنصرانية^(٣) ، عدا الاسلاب والثنائيم^(٤) .

(١) أنظر : achaut, PP. 103-107

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٦٨

(٣) النهرى : الاطام ج ١ ورقة ٣٦٦ ، المقهرى : السلوك ج ٤ ورقة ٤٧٠ .

أنظر أيضا دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٦٨

(٤) أنظر : Atiya , PP. 366-367

هذا ما كان من أمر الحملة الصليبية التي قلد لها ملك قبرص ، بطريرك القسطنطينية ، على مدينة

الاسكندرية ، في اكتوبر من عام ١٢٦٥ ، مع تركيز على الدور الذي لعبه الاستتار في هذه الحملة ^(١) . على أن هذه الحملة خلفت وراءها آثارا وذبولا ، كان للاستتار في رودس ، أيضا ، دور في ازالتها ، بالحرب أحيانا ، وبالمفاوضات أحيانا أخرى ^(٢) .

فقد حدث في أوائل العام التالي لوقوع تلك المفزعة — أي في أوائل عام ١٢٦٦ — أن ، تواترت الأنباء ، في كل من رودس وقبرص ، بأن تحالفا اسلاميا عقد بين سلطان مصر وأمرآ آسيا الصغرى ، من الأتراك السلاجقة ، لتوجه ضربة انتقامية قاصمة الى الدول المسيحية التي اعدت على الاسكندرية وتعتمدى باستمرار على أرض الاسلام ، وعلى رأس هذه الدول جزيرة رودس وقبرص ^(٣) . صاحب هذه الأنباء ، وعززها ، وقوع غزو اسلامي مملوكي

تركى لارمينا الصغرى ، نتج عنه تشريد عدد كبير من أهلها ، لجثوا أولا الى جزيرة ميتميلين ، ثم الى جزيرة لانجوا الخاضعة للاستتار ، حيث منحهم السيد الكبير ، ريموند بيرنجر ،

(١) لمعرفة وقائع هذه المفزعة بالتفصيل بمقتضى المراجع العربية والافرنجية ، وخاصة العربية ، ارجع الى : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٦ — ٧٠ . وارجع ايضا الى نفس المؤلف : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٧٢ وما بعدها ، وكتابه " الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٤ وما بعدها .

(٢) لمعرفة تفاصيل ما حدث بين عامي ١٢٦٥ ، ١٣٧٠ ارجع أيضا الى : دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٧١ — ٨٢

(٣) أرسل السيد الكبير للاستتار ، ريموند بيرنجر ، رسالة الى هيو جونون أحد مقدمي ^{أخبره فيها عن استعداد} شعب الاستتار بفرقته ^{المصريين والأتراك} ضد رودس وقبرص ، وأمره بأن يحضر السي رودس على رأس حافة قارص استتاري للدفاع عنها :
أنظر :

في ٨ فبراير عام ١٣٦٦ ، تسبيلات ضخمة للثأمة .^(١)

وقد أصيب السيد الكبير للاستشارة في رودس ، ريموند بيرنجر ، بذهر شديد من جراء هذه الانباء دفعه الى اتخاذ اجراءات عاجلة لتمتد وسائل الدفاع من جزيرة رودس ومن هذه الاجراءات ، أنه أرسل ، في يناير عام ١٣٦٦ ، يطلب شراء الخيول والاسلحة والدخاير من ايطاليا ، كما بعث ، في نفس الشهر ، بامر نائب رئيس شعبة كايوا ، بسان يرسل الى رودس ، جميع أعضاء هيئة الاستشارة الزاعدين عن حاجة هيوت الاستشارة فسي ملكة فاهلي بشرط أن يكونوا صالحين للقتال .^(٢) يضاف الى ذلك أن ريموند بيرنجر ، بعث ، في أول مارس عام ١٣٦٦ ، الى أحد مقدمي شعب الاستشارة في فرنسا ، وهو مقدم شعبة لاسلف La Selve ، المدعو هو جوون ، رسالة شرج له فيها قوة اسطول المرسين والأتراك المعد للهجوم على جزيرة رودس وقبرص ، انتقاما لغزوة الاسكندرية ، ثم طلب منه أن يحصل لمارشال الاستشارة مهمة شحن مائة فارس استلاري الى جزيرة رودس ، على أن يطلع ستون من هؤلاء الفرسان من ميناء مارسيليا ، على سفيتين حربيين ، ويبحرا اليهمون قارصا الهافون الى رودس عن طريق المندقية .^(٣) وبعد عشرين يوما - أي في يوم ٢٠ مارس عام ١٣٦٦ - أرسل السيد الكبير للاستشارة الى نائبه في الغرب يطلب منه أن يعمل بقوة من أجل أن تصل الى جزيرة رودس في أقرب فرصة ممكنة ، جميع الاموال المتأخرة لسدي هيوت الاستشارة في أوروبا من حقوق الخزانة في رودس .^(٤)

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P.155 ; Flandin, P.

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.155

(٣) أنظر :

Archives de L'Orient Latin, T.1, PP.391-392

(٤) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit , P.155

(١) وكان ملك قبرص ، بطريرس الاول ، من ناحيته ، على علم بالاستعدادات السلوكية التركية لغزو رودس وقبرص ، عندما وصل اليه ، في نهاية شهر أبريل عام ١٢٦٦ ، السفيران الهنديان ، سورانتسو (Pietro Soranzo) وبيمو (Francesco Bembo) ،
 قادمين من مصر ، لاقتناعه بمقعد الصلح مع السلطان ، ولكن مقاضات الصلح بين الطرفين فشلت لتطرف ملك قبرص في شروطه^(٢) . وكان أن صمم الملك بطريرس الاول على الحرب ، وحشد لهذا الغرض ، في ميناء فاما جوستا بجزيرة قبرص ، أسطولاً كبيراً تألف من مائة قطعة حربية وست عشرة قطعة ، منها ستة وخمسون غراباً ، وستمسون سفينة أخرى مختلفة الانواع والاحجام .
 وقد ساهم الاسبتارية في رودس ، في هذا الاسطول ، بأربعة أغربة ، وبأثنتى عشرة سفينة أخرى من النوع السريع ، وصلت الى ميناء فاما جوستا في ١١ نوفمبر عام ١٢٦٦ . وعندما اكتمل اعداد الاسطول ، أقطع من ميناء فاما جوستا ، في ٧ ديسمبر عام ١٢٦٦ ، بحسب رواية ماخيراتس^(٣) ، وفي ١٧ يناير عام ١٢٦٧ ، وفق رواية سترامبالدي^(٤) ، بالبحر الى ساحل الشام . غير أن عاصفة هوجاء هبت على الاسطول ، وفوق عرض البحر ،

(١) أنظر : Hill II, P.339

(٢) أنظر : Machéras P.96; Machaut, PP: 118-119

(٣) أنظر : Machéras, PP. 96-100; Hill II, PP.339-340

(٤) أنظر : Machéras, P.103; Strambaldi, PP.75-76; Amadi, P.415

وقد ذكرت المراجع الثلاثة بأن السيد الكبير للاسبتارية ، أرسل هذه السفن الست عشرة على حساب هيئة الاسبتارية ، ولكنه أرسل أيضاً أربعة وجميع السفن الموجودة آنذاك في ميناء رودس ، وإنما على حساب بطريرس الاول ومطلبه .

(٥) أنظر : Machéras, P.104

(٦) أنظر : Strambaldi, P.76

مع ملاحظتين أولهما أن المؤرخ (Amadi, P.415) ذكر بأن الاسطول

أقطع من فاما جوستا يوم ١ يونيو عام ١٢٦٦ . والملاحظة الثانية أن المؤرخ ديلاكسيل

D. Le Roux, Les Hosp. à Rh., P. 158
 احمد رواية سترامبالدي وان كان مرجعه دائماً في الحروب ضد المماليك سواء في الفرق

١٤ أو أوائل القرن ١٥ (حيث ان كتاب ديلاكسيل لم ينتهي عند عام ١٤٢٠) هو

فرقت عمل سفنه ، وأجبرتها على العودة الى قبرص ،^(١) فيها عدا أربع عشرة سفينة ، أو خمس عشرة سفينة ، منها - بحسب اختلاف روايات المؤرخين - دفعتها المعاصلة الى مينسسا مدينة طرابلس ، فاحتلت هذه المدينة لمدة اثني عشر يوما ، ثم عادت الى قبرص بعد أن فقدت الأمل في وصول بقية سفن الأسطول .^(٢) وقد حدث أثناء المفاوضات المتقطعة بين ملكة نسيه الماليك والملك بطرس لوزجنان أن سافر الى قبرص في صيف سنة ١٢٦٧ سفيران من ميسان لعرض شروط السلطان على ملك قبرص .^(٣)

وكان الملك بطرس الأول ، وكذلك ، موجودا في جزيرة رودس ،^(٤) التي سافر اليها ليكون في استقبال السيد الكبير للاستنارية ، ريموند بيرنجر ، فور عودته من رحلة قام بها هذا العام الى أوروبا ، فيتعرف منه على تطورات ونتائج الدعوة - التي كان قد وجهها اليها أريان الخامس لامراء أوروبا عقب فشل حملة الاسكندرية عام ١٢٦٥ -^(٥) من أجل اعداد حملة صليبية جديدة توجه ضد سلطان القاهرة ، ثم يتفاهم معه بشأن التسليحة التي يلزم اقتضاها اراء السلطان على ضوء هذه التطورات والنتائج .^(٦)

(١) الثوري الاسكندري : الألمان ج ٢ ورقة ٢٨

وأنظر أيضا : Amadi, P. 415 ; Strambaldi, P. 76 ; Macheras , P. 104

(٢) المؤرخ الذي قال بأنهم أربع عشرة سفينة هو ديلافيل في كتابه الاستنارية في رودس

ص ١٥٨ نقلا عن المؤرخ جورجا (Jorga) في كتابه فيليب ميزيرس ٢٥٤

غير أن مؤرخي قبرص يطمعون بأن عدد السفن خمس عشرة .

أنظر سترامبالدي ص ٧٦ ، ماخيراس ص ١٠٤ - ١٠٥ ، أمادي ص ٤١٦ .

(٣) أنظر : Machéras, PP. 105-109 ; Strambaldi, PP. 76-77

(٤) أنظر : Machéras, P. 113 ; Strambaldi, P. 82 ; Michaut, P. 286

(٥) فيها يتعلق بهذه الدعوة أنظر : D. Le Roulx ; Les Hosp. à Rh., P. 157

(٦) أنظر : Hill II, PP. 349, 351

وعندئذ اضطر السفيران المصريان - وكان أحدهما يسمى ناصر الدين محمد بن قراجا الشيرى ، والثانى يدعى سيف الدين الجهان - ^(١) الى مفادرة قبرص وارجل الى جزيرة رودس ، فوصلوا اليها فى ٢٨ يولية سنة ١٢٦٧ . وفى رودس قدم للسفيران المرسسان مشروع الصلح الذى وضعه السلطان للملك بطرس الاول . وبعد أن تدارس ملك قبرص هذا المشروع مع مستشاريه والسيد الكبير للاستتارية ، ريموند بيرنجر ، رفض شروطه وقرر العودة الى حل الصلح ، ^(٢) وهو قرار لم يقدم بطرس الاول على اتخاذه - فبدأ يظن - إلا بعد تأكده من السيد الكبير للاستتارية بأن دعوة البابا ، أريان الخاص ، للحطة الصليبية قد أثمرت ، وأن عددا من الصليبيين المتحمسين فى طريقهم الى جزيرة قبرص للمساهمة فى هذه الحملة .

وقد أعد بطرس الاول لحملة الجديدة أسطولا تراوح عدد سفنه بين مائة وثلاثين سفينة ، ^(٣) ومائة وخمسين سفينة ، ^(٤) ساهم فيها الاستتارية فى رودس بعشر سفن ^(٥) وحشد لهذه الحملة قوة عسكرية تألفت من سبعة آلاف مقاتل ، بعضهم من القبارصة وفرسسان

(٢) النهرى الاسكندرى : الاعلام ج ٢ ورقة ٢٧ ، ٢٨ ، ١٢٨

(٢) أنظر : Macheras, PP. 113-114; Strambaldi, F. 82; Machaut, pp. 202-203; D. le Roux : F.O. 1, PP. 137-138

(٣) أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٢ ، النهرى : السلوك ج ٤ ورقة ٦٠

(٤) النهرى : الاعلام ج ٢ ورقة ٢٨ . مع ملاحظة أن النهرى قال أيضا (فى ورقة ٣١)

انهم ١٧١ مركبا . ومقتضى (د بلاقل فى كتابه : الاستتارية فى رودس ص ١٥٩)

من (جورجيا فى كتابه : فيليب ميزيرس ص ٣٦٤ وما بعدها) فان عدد سفن الاسطول

مائة وأربعون سفينة ، وعدد المقاتلين سبعة آلاف مقاتل . ومقتضى ³⁵² H111 II, P.

مائة وأربعون أو مائة وستون سفينة ، وسبعة آلاف مقاتل .

(٥) النهرى الاسكندرى : الاعلام ج ٢ ورقة ٣٠ . وذكر النهرى بأن أسيرا فرنجيا

أدلى لناشب طرابلس بأن طوائف الفرنج الذين أتوا مع القبرسى ، جنوة وبلدقسية

وخراطة (أى كرتمين) ورودية وفرنسية وهنكر وأغراب وحطتهم ستة عشر ألف

منهم ألف فارس ، فانت الهلادقة فى ثلاثين غرابا والجنوة فى عشرين والروادسة =

الاستبارية ، والبعض الآخر من الصليبيين الانجليز والفرنسيين والبنادقة والجنوة ، الذين وفدوا الى جزيرة قبرص استجابة لنداء البابا اريان الخامس ^(١) . وكانت وجهة الرحلة غسى هذه المرة مدينة طرابلس على ساحل الشام ، وليس مدينة الاسكندرية التي كان بطرس الاول يحلم بأنها وضعت - منذ غزوه الفاشلة لها في عام ١٢٦٥ - في حالة استعداد وترقب دائمين لصد أي عدوان صليبي قد يقع عليها . وقد وصل اسطول الحملة - الذي أقطع من ميناء فاما جوستا في ١٧ سبتمبر سنة ١٢٦٧ - الى ميناء طرابلس في مساء يوم ١٨ سبتمبر عام ١٢٦٧ ^(٢) . وفي صباح اليوم التالي بدأت فرقة من الصليبيين الجنوة والبنادقة تساهم في مهاجمة المدينة ، فصدوها الاهالي . وكان أن تقدم الملك بطرس بالاول ، على رأس فرسان الاستبارية المشتركين في الحملة ، وعدد من فرسان الغرب ، للجدة هذه الفرقة . ولم يلبث الصليبيون أن اتصروا في هذه المعركة التي دارت على الساحل ، ثم دخلوا المدينة ، وشرعوا في نهبها ^(٣) ، على حين اغتصم أهلها بهيل مجاور ^(٤) . ولكن ما أن حل المساء

في عشرة والاغراب في خمسة عشر والبقية من قبرص .

أما ديلافيل لرو فانه لم يحدد عدد سفن أي من الطوائف المشتركة في الحملة ، ولا المؤرخين القبارصة مثل ماخيراس وسترامبالدي وأما دي وماشو .

(١) أنظر : D. Le Roux: Les Hosp. à Rh. P.159

(٢) التواريخ المستخدمة مأخوذة من ديلافيل لرو (Les Hosp. à Rh. P.159)

ويعترف هذا المؤرخ بأنها تتعارض مع التواريخ التي قال بها مؤرخو قبرص ميشيل ماخيراس وسترامبالدي ويقول بأنها مأخوذة من تقرير كتبه قائد سفينة بندقية ، اسمه ميخائيل روسو Micaletto Rosso ، كان يتبع خطى الاسطول للنجس ،

وقدمه لحكومة بلاده جمهورية البندقية . وقد أشار المؤرخ (Hill II و PP352-353) الى تقرير هذا القبطان البندقي ولكنه سجل التواريخ التي جاءت في كتب المؤرخين القبارصة للوصول الى طرابلس - وهي ٢٥ سبتمبر بمقتضى أمادي ، ٢٨ سبتمبر بمقتضى ماخيراس ، ٢٩ سبتمبر بمقتضى سترامبالدي - في ملحوظة زء وسرد وقائع الحملة باختصار .

(٣) أنظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rh. P.159

(٤) النويري الاسكندري : الاعلام ج ٢ ورقة ٣١ ، المقرئ : السلوك ج ٤ ورقة ٦٠

حتى كان أهالي طرابلس قد تقربوا بالامدادات التي وصلت اليهم من الجيوش المجاورة ،
فقتلوا هجوما شديدا على الصليبيين ، وأفلحوا في طردهم من المدينة إلى السفن ، مكهدين
أيامهم خسائر في الأرواح بلغت ثلاثمائة قتيل على الأقل ^(١) من بينهم تركيولي الاسبانية ،
على حين سقط من المسلمين واحد وعشرون شهيدا ، ^(٢) بمنقضى رواية النويري الاسكندري ،
وأربعون شهيدا ، بحسب رواية كل من القزويني وأبي المحاسن ^(٣) .

وقد ظل أسطول الصليبيين طوال اليوم التالي - أي يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٢٦٧ -
في ميناء طرابلس من غير أن يجرؤ على انزال قواته في هذه المدينة مرة أخرى . فحسب أن
الأسطول أقيم في صباح ٢١ سبتمبر ^(٤) واتجه شمالا حتى وصل إلى مدينة أنطربوس فاستولى
عليها الصليبيون ، بعد أن هجرها أهلها . وقد أقام الصليبيون في هذه المدينة يوما
وليلة ، ثم انسحبوا منها بعد أن أحرقوا منازلها ^(٥) ، وما وجدوه فيها من سلع بحرية كان
أمير طرابلس ، فوجك ، قد كدسها فيها لفرضهنا أسطول سوريا السلوكي ^(٦) . ومن

(١) المرجع السابق ص ١٤ : وأنظر أيضا :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P.160 ; Hill II, P.353

أما أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٢) ، القزويني (السلوك ج ٤ ورقة ٦٠)
فيقولان القتل من الفرنج ألف قتيل .

(٢) أنظر : B. Le Roulx: Op. Cit., P.160 ; Hill II, P.353

(٣) النويري الاسكندري : الألبام ج ٢ ورقة ٣٠ : يقتل النويري الاسكندري في هذه الورقة :

ولم يقتل من المسلمين بطرابلس سوى إحدى وعشرين . ومنهم من قال لم يقتل من
المسلمين بطرابلس سوى أربعة أنفس ، وهم مغربيان وتركمانى ورجل من أهلها . وقتل
خارج البلد من الفرنج نحو ثمان مائة . . . ومنهم من قال قتل من الفرنج أربع مائة . . .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٢ ، القزويني : السلوك ج ٤ ورقة ٦٠

(٥) أنظر : D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh. , P.160

(٦) النويري الاسكندري : الألبام ج ٢ ورقة ١٦

Macheras, P.116

(٧) أنظر :

علما بأن سم نائب طرابلس من النويري الاسكندري : الألبام ج ٢ ورقة ١٢ ، ١٦

أنطرسوس توجه الاسطول الصليبي الى مرقية ، حيث أشعل رجال النيران في ثلاثة بيوت
 ، من بيوتها ^(١) ، ثم غادرها الى باناس ، فأحلاها أهلها للصليبيين الذين احتلوها
 يوما وليلة ، ثم رحلوا عنها بعد أن أشعلوا النيران في منازلها ، وأحرقوا ما وجدوه
 من سفن اسلامية في مينائها وثمانية آلاف جنداء كانت حاصلا للمسلمين بها . وقصد ^(٢)
 المسلمون بعد ذلك جبله ، فاجتازوها عن غير أن ينزلوا فيها ، بسبب ريح عاصفية
 هاجمت أسطولهم أمامها وكسرت لهم سفينة من سفنهم ، ^(٣) الى اللاذقية حيث ارتطمت
 ثلاث سفن لهم بسلسلة الميناء فكسرت عنها سفينتان ، وأسر المسلمون السفينة الثالثة . ^(٤)
 وقد دفعت العاصفة أسطول الصليبيين بعد ذلك ^(٥) الى موقع على ساحل قيليقية يقال
 لمالو Mallo ، فاحتله الصليبيون لمدة يومين ^(٦) ، ثم رحلوا عنه شرقا الى مدينة
 أياص الواقعة على ساحل أرمينيا الصغرى ، فاستولوا بسهولة على قلعتها الخارجية
 — وهي قاعة مقامة على جزيرة أمام الميناء — ولكنهم تقاعسوا عن التقدم لاحتلال قلعتها
 الداخلية بسبب المقاومة الشديدة التي لاقوها من أهالي المدينة ، ^(٧) وكلفتهم

(١) النهرى الإسكندري : الاعلام ج ٢ ورقة ٦٦ .

(٢) المرجع السابق : ورقة ٥٨ ، ٦٦ .

(٣) المرجع السابق : ورقة ٥٤ ، ٦٦ .

(٤) المرجع السابق : ورقة ٥٧ ، ٦٦ .

(٥) من الملاحظ أن النهرى الإسكندري سرد خط سير الحملة مرتين بأسلوبين مختلفين :

في المرة الاولى قال بأن أسطول الحملة بدأ بطرابلس ثم جبله ثم اللاذقية ثم باناس
 ثم أياص . ثم رجع في المرة الثانية وتكلم بترتيب آخر هو الترتيب الذي جاء في الكتب
 الفرنجية ، وهو ط أوردناه في هذه الصفحات (طرابلس — أنطرسوس — مرقية — السلي
 لم تذكرها الكتب الفرنجية — باناس — جبلة التي لم يأت لها ذكر في الكتب
 الفرنجية — اللاذقية) .

(٦) أنظر Macheras, P. 116, ; Hill II, P. 353

(٧) أنظر : Macheras, PP. 116-117; Hill II, PP. 353-354

خمس مائة قتيل لو اكتمر ، ولم يلبثوا أن أحرقت أياهم وانسحبوا عنها إلى سفنهم حتى لا يشتبكوا مع الحملة التي أرسلها نائب حلب لنجدتها .^(١) وقد يعم اسطول الصليبيين ، بعد ذلك ، مطر صيدا جور هيجوس ، الذي كانت تحفه قبرص على ساحل أرمينيا ، ففكك الملك بطرس الاول فيها ثمانية أيام ، ثم رحل عنها إلى صيدا ، فاما جوستا في قبرص التي وصل اليها في ٥ أكتوبر عام ١٢٦٧ ، أما سفن الاسبانية التي اشتركت في الحملة فقد رحلت إلى جزيرة رودس .^(٢)

وفي العام التالي - أي في عام ١٢٦٨ - خرج الملك بطرس الاول إلى أوروبا ليقوم فيها بدوره أخرى داعيا لحرب صليبية جديدة ضد دولة سلاطين المماليك . ولكن لحق به في مدينة نابولي مبعوث من قبل دوق البندقية ، وأخبره بأن الجمهورية عازمة على إرسال سفراء آخرين للتشاور مع سلطان مصر في أمر الصلح وإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين في صيدا . وأنها تود تأييد الملك . فلما علم بطرس الاول بأن جمهورية البندقية نجحت في اقناع البابا أريان الخامس - وكان قد انتقل من أفينيون إلى روما في ١٦ أكتوبر عام ١٢٦٧ - بالصالح لها بإرسال سفرائها إلى مصر ، وجد نفسه مضطرا إلى قبول وساطة سفراء البندقية وبعثه لدى السلطان (مايو ١٢٦٨) .^(٣) وكان أن تقابل في جزيرة رودس - التي أصبحت ، منذ سفر بطرس الاول إلى أوروبا - مركزا للاتصالات بين الجانبين الصليبي والمملوكي -^(٤) سفيرا جنوة ، وسفيرا للبندقية ، وخرجوا جميعا ، في ٢٥ يوليو عام ١٢٦٨ إلى القاهرة

(١) النويري : الأمام ج ٢ ورقة ٦٤ ، ٦٦ . أنظر أيضا :

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٧٨

(٢) أنظر : Machéras, P. 117 ; D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P. 160 ;

Hill : Op. Cit., P. 354 .

(٣) أنظر : Machéras, P. 120-121 ; Hill II, PP. 355-356 ; Heyd II, P. 56

بخصوص تاريخ انتقال البابا إلى روما أنظر :

D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., P. 161

(٤) أنظر :

D. Le Roulx : op. Cit., P. 165

مؤيد بن منصور السيد الكبير للاسبانية ، ريموند بيرنجر .^(١) بعد مفاوضات مطولة
 أهيئ فيها أحد سفيري جنوة - واسمه كسانتوشيجالا ، أو ، كما يسميه النوري الاسكندري -
 قازان - موسجن ،^(٢) كلف السلطان هذا السفير بالعودة إلى قبرص ، لاحتضار أسيرى
 الاسكندرية وطرابلس ، ولأخذ وعد صريح من الملك بطرس الاول بأنه تخذ الفكرة الصليبية
 ولم بعد يستعد لحملة جديدة على بلاد السلطان . وقد تمهد السلطان للسفير الجنوى
 بأنه سوف يوافق على عقد الصلح بمجرد موافقة الملك على هذه الطلبات . وقد أعلن بطرس
 الاول - وكان قد عاد من أوروبا في ٢٣ سبتمبر سنة ١٢٦٨ - صراحة تخليه عن كسب
 فكرة صليبية ، وسلم للسفير الجنوى نحو عشرين أسيرا مسلما ، كانوا في قبرص ،
 لتسليمهم للسلطان .^(٣) غير أن السفير ، عندما رجع إلى الاسكندرية ، بعد ثلاثة شهور
 من مغادرتة أياها ، أصر على عدم تسليم ما يحوز من أسرى مسلمين قبل أن يدفع اليه
 بالتجار الاوربيين المحتجزين في سجون القاهرة ، فلما رفض السلطان شروطه عاد أدراجه
 من غير أن يسلم الأسرى .^(٤) وكان أن انفتحت جبهة جديدة وللبندقية على وقف كل تجارة
 لهما مع مصر ، وطلدنا في ٢٨ يولييه سنة ١٢٦٩ محالفة ضد السلطان تنتهى مدتها في
 أواخر سنة ١٢٧٠ ، ثم طلبنا من جزيرة قبرص ورود من الانضمام إلى هذه المحالفة . واد
 تم لهما ذلك ، أرسلت الحليقات الأربع رسلها إلى مصر على ظهر ثمانى سفن لكل منها

(١) أنظر : Macheras, PP. 123-124 ; Heyd II, P.56; Hill II, P.357

(٢) أنظر :

Macheras, PP.124-126

(٣) النوري الاسكندري : الاعلام ج ٢ ورقة ١٢٦ - ١٢٨

(٤) أنظر : النوري الاسكندري : الاعلام ج ٢ ورقة ٢٧٢ . أما خيرا من (ص ١٢٧) فيقول :

" أسيران وجدوا في قبرص " . وما يذكر أن بطرس الاول كان قد أرسل بعض

الأسرى إلى مصر في أكتوبر ١٢٦٦ ، أى في المراحل الاولى من المفاوضات مع السلطان

من أجل الصلح ، غير أن السلطان رفض وقتذاك عقد الصلح وأصر على جميع الأسرى .

(٥) النوري الاسكندري : الاعلام ج ٢ ورقة ٢٧٢ ، ٢٧٤

سفيتان • وما أن وصل رسل جنوة والبندقية وقبرص ورود من الى الاسكندرية ، في اكتوبر
سنة ١٢٦٩ ، حتى كتبوا للسلطان في القاهرة رسالة طلبوا فيها اطلاق سراح الاربعة
المحتجزين في سجونهم منذ غزوة الاسكندرية عام ١٢٦٥ • فلما طلب منهم السلطان
— بدوره — الحضور الى القاهرة لمناقشة الأمر معه ، رفضوا ثم أعلنوا عليه الحرب ، ففى
ورقة تركوها له على الساحل على طرف رمح ، وعادوا أدراجهم الى رودس (ديسمبر ١٢٦٩) •
وكان أن خشى السلطان من تكاثف أوربا هذه ، فأطلق من السجن تاجرين •
أحدهما جنوى ، والثاني بندقى ، وصحبتهما الى جزيرة قبرص ليعملتا للوصى على الملك
بطرس الثانى ، الذى خلف أباه بطرس الاول ، أن السبب فى عدم عقد الصلح هو رفض
السفراء مقابلة السلطان الذى يرغب رغبة صادقة فى السلم ، ويطلبها ارسال سفراء جدد
لمقابلة هذا السلطان والاتفاق معه على شروط الصلح • وعندما وصل التاجران الى قبرص
أعد لهما قنصلا جنوة والبندقية فى هذه الجزيرة سفينة خاصة ألفتها ، فى ١٠ ابريل
سنة ١٢٧٠ ، الى بلدتهما فى ايطاليا لاستطلاع رأى حكومتى الجمهوريتين • فلما طال
فيهما على السلطان ، أخرج من السجن تاجرين آخرين ، أحدهما جنوى والآخر بندقى ،
وكلفهما بنفس المهمة • واذ وصلا الى جزيرة قبرص وصحبتهما قنصلا جنوة والبندقية السبى
ايطاليا فى أفراسيلتهما • أما السلطان فقد أرسلت اليه رسالة تطلعه على الأمر كله •
(٢)

وقد استقبلت كل من جنوة والبندقية رغبة السلطان فى الصلح بالترحيب والاعتباط ،
وأرسلتا الى البابا اريان الخامس ليطلب من رودس وقبرص أن تبعثا برسلكهما الى السلطان •
وعندما استجاب البابا لطلب الجمهوريتين ، أعدت كل من الدول الاربعة ، جنوة والبندقية

(١) أنظر : Strambaldi, PP.117-119; Amadi, P.428; Macheras
PP.166-168

علم بأن ماخيراس ص ١٦٦ قال أن رودس اشتركت بسفينة واحدة ، أما سترامبالدى
ص ١١٨ ، أمادى ص ٤٢٨ فقد قال أنها سفيتان رودسيان •

(٢) أنظر :

Macheras, PP.169-170; Strambaldi, PP.119-121; Amadi, PP.428-429

رودس الاستبارية وقبرص ، غرابين ، وعينت لها سفيرا للسلطان ، فيها عدا قبرص التي عينت
 هيئت سفيرين . وقد وصلت الاغربة الثمانية والاربع والخمسة الى الاسكندرية في ٨ أغسطس سنة
 ١٣٧٠ . ورفض السفير الاستباري ، وسفيرا قبرص ، النزول الى البر قبل اقرار السلم ،
 فأستقبل السلطان سفير جنوة وسفير البندقية ، وعرض عليهما ، في مقابل الصلح ، ضرورة
 اتفاقه من رد مضائق التجار الاوربيين التي كان قد استولى عليها انتقاما لنزوة الاسكندرية
 الفاشلة عام ١٣٦٥ . وكان أن وافق السفيران بعد امتناع كل منهما السجن مدة أربعة أيام .
 وعندئذ استدعى السلطان سفرا رودس وقبرص من الاسكندرية للاشتراك في مناقشة شروط
 الصلح التي قوتت بالموافقة من الجميع . وما أن تم التوقيع على هذه الشروط حتى عاد
 السفراء الى الاسكندرية ، وانتظروا فيها - فيما عدا سفير رودس الذي سبقهم ، صعدة
 غرابي الاستبارية ، الى قانا-جوستا ، التي وصل اليها في ٢٩ سبتمبر سنة ١٣٧٠ ، لاعلان
 بها الصلح للملك بطرس الثاني - الى أن وافاهم سفيران من لدن السلطان ، سافرا صحبتهم
 الى قبرص حيث حملا على تصديق كل من الملك بطرس الثاني ، والوصي على العرش جنبا
 لوزجنان ، على شروط الصلح .
 (١)

وبقطع النظر عن شروط صلح عام ١٣٧٠ - وهي شروط لم يحفظ لنا التاريخ لموصفها
 سفان هذا الصلح لم يكن صلحا منفردا مع جزيرة قبرص وحدها ، بالرغم من أن ملك قبرص
 هو الوحيد بين حكام اوربا الذي صدق عليه ، وانما شمل جميع الدول المسيحية بما فيها
 دولة الاستبارية في رودس ، وهو أمر نص عليه صراحة في ديباجة معاهدة أخرى عقدت
 فيما بعد ، في عام ١٤٠٣ ، بين هيئة الاستبارية في رودس ومصر ، وتعتبر تجديدا
 لمعاهدة عام ١٣٧٠ بالنسبة للاستبارية .
 (٢) (٣)

(١) أنظر : Macheres, PP. 170-174 ; Strambaldi, PP. 121-122 ;

Amadi, PP. 429-430 ; Hill II PP. 374-375 ; Golubovich II
 P. 198

(٢) أنظر : D. Le Roulx; Les Hospit. à Rh., PP 165 -166

(٣) أنظر : Pauli II, PP. 108-110, num. LXXXVI

والأرجح أن الاستتار سـ و ، في عهد سـ هـم الكبير ، فليبرت دى نيسلاك
 (١٢٩٦ - ١٤٢١) ، لعقد معاهدة صداقة مع السلطان المملوكى فى مصر ، فسر
 بنى برقوق (١٢٩٨ - ١٤٠٥) ، ردا على احتلال تيمورلنك التترى لقلعته سـ
 أزمير على الساحل الاسوى ، فى ديسمبر سنة ١٤٠٢ ، وتهدد هذا القائد التترى
 لملوكهم الاخرى فى بصرى ، علما بأن الاستتار درجوا طوال مدة بقائهم فى رودس
 على انتباه سياسة خاصة كلما اضطرتهم الظروف الى مواجهة تحركات عدوى ، هـسى
 مصالحه القوي المعادية الاخرى ليأمنوا جانبها وقت انشغالهم مع العدو الذى تحسرك
 هـهم . (١)

• رجب السلطان فرج بمبادرة الاستتار لانه كان نفسه ، وقتذاك ، واقعا تحت
 تهديد تيمورلنك التترى بعد ان امتولى هذا القائد من المماليك ، فى عام ١٤٠٠ ،
 - أى فى عهد السلطان فرج - ، على شمال الشام حتى شمال دمشق ، وارغم السلطان
 فرج ، فى عام ١٤٠١ ، على سك العملة فى دمشق نفسها باسم تيمورلنك . (٢)

وجاء فى خطاب بعث به وكيل بندقى فى رودس الى حكومة بلاده ، بأن الطرفيين
 المملوكى والاستتارى توصلا ، فى آخر ابريل عام ١٤٠٢ ، الى الاتفاق على شروط معاهدة
 صداقة بينهما ، وأن الاستتار يعتبرون هذه الشروط مكسبا لهم . (٣) على أن الأمر ،
 فى الواقع ، لم يكن قد ثبت فيه ، وقتذاك ، بصورة نهائية . وهذا ما جمع السرد الكبير
 دى نيلاك على الاتفاق - بدون تردد - مع بوسيكو ، حاكم جنوة ، فى شهر يونيو عام ١٤٠٢ ،
 على القيام بحملة صليبية مشتركة على مدينة الاسكندرية . وكان بوسيكو قد حل بجزيرة رودس ،
 فى هذا الشهر ، انتظارا لعودة صهيوت ، كان قد بعث به الى جزيرة قبرص للتفاوض مع ملكها
 جانوس (١٢٩٨ - ١٤٣٢) من أجل ايجاد تسوية لجفوة قامت بين جنوة وقبرص ، سببها

(١) انظر : Vertot II, PP. 401 , 414 .

(٢) دكتور ابراهيم طوق : طريقان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٧١ - ٨٨ .

(٣) انظر : D. Le Roux: Les Hospit. à Rh., PP. 291-292 .

ما قام بهه چانوس من محاولات تشهيد ف طرد الجنود من الميناءين القبرصيين فاما جوستا ،
كسبريتا ، اللذين كانت جنوة قد احتلتها منذ عام ١٢٧٣ . وقد فشل المبعوث في أداء
مهمته مع الملك چانوس ، ولحق بهوسيكو في رودس بعد أيام قليلة من وصوله اليها . وكان أن
قرر السيد الكبير دى نيلاك أن سفره بنفسه للقيام بدور الوساطة بين جنوة وقبرص . ولما كان
واضحا في عين الاعتبار مسألة الحلة على الاسكندرية المتفق عليها فيها بينه وبين هوسيكو ،
فقد اصطحب معه الى قبرص - التي أبحر اليها قبل يوم ١٩ من نفس الشهر يونيه - فراهسين
وسفينة النقل الكبرى المخصصة لنقلات السيد الكبير والمعروفة باسم سفينة القيادة ، فضلا
عن قوة مجهولة العدد من فرمان الاسبانية على رأسهم مجموعة من كبار أعضاء هيمنة
الاسبانية المشهود لهم بالكفاءة البحرية ، من بينهم حنا لاستيك الذي أصبح فيما بعد
سيدا كبيرا للاسبانية في رودس .^(١)

وقد وفق دى نيلاك في اصلاح ذات الميون بين قبرص وجنوة . وانتصر الملك چانوس
لفرصة توقيع معاهدة الصلح مع هوسيكو ، في ٧ يولييه سنة ١٤٠٣ ،^(٢) فعرض عليه أن يضع
تحت تصرفه سفيتين حربيتين لمعاوئته في الحلة على الاسكندرية التي ينوي هوسيكو القيام
بها بالاشتراك مع السيد الكبير للاسبانية . وقبل هوسيكو العرض ، ولكن لم تنضم اليه سفينة
سفينة قبرصية واحدة يملكها من يدعى برنارد دى سانت ساتورنين^{Saturnin} Bernard de S.
أما السفينة الاخرى فقد اتضح أنها سفينة قرصنة واختفت .^(٣)

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 293-294 ; Ibid :

F.O.1, PP. 426-427, 438 note 4; vertot II, P. 353 ; De La Ronciere II, P. 132

(٢) أنظر : Mas - latrie II, PP. 466 - 471 ; De Le Ronciere; op. Cit, vol II, P. 131; Hill II. F. 454

Hill II , P. 455 , note 1

(٣) أنظر :

وكان أن أفلح أسطول الحملة من جزيرة قبرص ، في الخالص من شهر أغسطس عام
 ١٤٥٣ ، مؤلفا من تسع عشرة سفينة جنوية تابعة لهوسيكو - بها من بينها السفينة
 القبرصية - وسفن الاسبتارية الثلاث ، وعدد آخر من السفن الصغيرة يتراوح بين عشر سفن
 واثنى عشرة سفينة .^(١) ولسوء الاحوال الجوية ، في ذلك اليوم ، قرر هوسيكو والميد الكبير
 للاسبتارية الهدوء بفقرى مدن الشام الساحلية من الشمال الى الجنوب قبل الوصول الى
 الاسكندرية .^(٢) وقد اختار الصليبيون مدينة طرابلس لتكون أول هذه المدن . وعند ما
 وصلوا اليها ، في ٧ أغسطس ،^(٣) فوجئوا بوجود أكثر من خمسة عشر ألف مدافع عنها من أهلها
 وحاميتها ، بينهم سبع مائة فارس ، بحسب تقدير هوسيكو ، في انتظارهم على الشاطئ ،
 مما يقطم بأن المدينة أذرت قبل وصول الفرقة الجنوية والاسبتارية اليها . وما أن نزلوا
 الى البر ، وهو أمر تم لهم بصعوبة بالغة ، حتى قسوا أنفسهم الى ثلاث فرق ، هاجمت
 للمدينة من عدة جهات ، وأظهر الاسبتارية في هذا الهجوم بما لكبيرة ، أثناء هبسا
 هوسيكو ، ولكنه فشل .^(٤)

- (١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.297 ; Ibid : F.O.1., P.438 note 4
- (٢) أنظر : De La Roncière; Histoire De marine franc, vol. II, P.132
- ويلاحظ بأن ديبلاقليل (الاسبتارية في رودس ص ٢٩٧) لم يذكر عدد السفن ،
 وأن كلا من (Biliotti, P.196) ، (Farochon P.92)
- ذكر بأن عددها ست عشرة سفينة . أما (Piloti: L'Egypte , P.85)
- فذكر بأن عددها أربع وعشرون سفينة منها ست سفن تقدمت بها مستعمرات جنوية في الشرق
- (٣) لم تعد غزوات هوسيكو ، ودى نيلاك الاسبتارية الى الاسكندرية قط بالرغم من أن هيلوتى
- ذكر بأن هوسيكو أرسل الى الاسكندرية سفيرين لأيهام السلطان بالفرغ في عقد الصلح .
 وبعد عودة سفيره الى قبرص (حيث كان يوجد هوسيكو آنذاك) ، من غير أن يعقد
 معها السلطان فرج الصلح ، أرسل هوسيكو عشر سفن لغزو الاسكندرية ، ولكنها فشلت
 في غزوها بسبب حسن استعدادات السلطان فرج . ولقد حذر الاستاذ P.H.Dopp
 الذى نشر كتابه هيلوتى فى القاهرة سنة ١٩٥٠ ، من الاعتماد على ما ذكره هيلوتى عن حملة
 عام ١٤٥٣ على الاسكندرية قائلا بضرورة أن يؤخذ كلامه بحذر فى تفاصيل كثيرة - أنظر :
 ص ٨٤ ملحوظة ٦ .

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

D. Le Roulx: Les hospit. à Rh., P.297

De la Roncière II, P.132 ; D. Le Roulx: Les Hosp. a Rh., PP.

297 - 298 ; D. Le Roulx: F.O.1, PP. 438 - 439 ; Vertot II, PP.359 -

361 ; Farochon, PP.92-94 .

بعد أن ألقى القرابة من طرابلس أنجبتهم بأسطولهم صوب الجنوب ، ووصلوا في التاسع من أغسطس إلى مدينة الهطرون التي وجدوها من غير دفاع فنهبتها ^(١) ثم واصلوا تقدمهم جنوباً إلى أن دخلوا ميناء بيروت في العاشر من أغسطس . وقد أسر الصليبيون في ميناء بيروت سفينة إسلامية عربية فقتلوا جميع أفراد طاقمها ، كما أسروا مراكباً صغيراً تابعة للبلدقية أخبرهم قبضاته بأنه جاء إلى بيروت لئلا يار أهلها بوصول أسطول الجنوينة والاسبنازية لغزو بلادهم ، وأنه سبق وأخذ رماني إسلامية أخرى في الشام وفلسطين ومصر . وقد اتضح لهوسيكو أيضاً بأن القائد العام لأسطول البلدقية في بحر الأدرياتيك ، واسمه شارل تسينو Zeno ، كان يتعقب أسطوله خطوة خطوة منذ خروجه من جنوة ، علماً بأن هوسيكو كان قد أخطر جمهورية البلدقية بتواطئه العدوانية ضد دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧) قبل خروجه من جنوة بعشرة أشهر . وهكذا لم تكن مفاجأة للغزاة الصليبيين أن يجدوا مدينة بيروت ، عندما نزلوا إليها من سفنهم ، خالية من أهلها الذين هجروها إلى القنابة والجهل . طى أن الصليبيين نهبوا المدينة وأحرقوها ، ولم تنسج بضائع البلدقة ، المقدسة في مخازنها ، القرية من الميناء ، من النهب ، وذلك بالرغم من الصلح القائم بين جمهوريتي جنوة والبلدقية منذ عام ١٢٨١ ، والمعروف باسم صلح تورينو ^(٢) نسبة إلى المدينة الإيطالية التي عقد فيها .

ثم واصل أسطول الصليبيين ، بعد مفادرتة ميناء بيروت ، تقدمه جنوباً إلى أن وصل ، في اليوم الثاني عشر من أغسطس ، مدينة صيدا . وسبب المواصلات المستطاع التزول من الصليبيين في هذه المدينة سوى عدد صغير يتراوح بين اربعماية وستماية صليبي على رأسهم

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les hosp. à Rh., P. 298 ; Ibid: F.O. 1,

P. 442 ; De la ronciere: Op. Cit. , VII , P. 133

D. Le Roulx: Les hopit. a Rh. PP. 298 , 300 ;

(٢) أنظر :

Ibid: F.O. 1, PP. 442 - 443 , 447-449 ; De la Ronciere II,

PP. 132 - 133 ; Vertot II , PP. 362 - 363.

بوسيكو ونيلاك . وقد اضطر هؤلاء إلى القتال دفاعاً عن أنفسهم ضد جيش من المداحسين من المدينة ، يتراوح عدد أفرادهم بين عشرة آلاف واثنى عشر ألف مدافع ، يتنظرون وصولهم ، خمس ساعات كاملة ، قبل أن تتمكن سفنهم من مخالفة الأمواج وتلقطهم .

وما أن انتهت هذه السفن الصليبية عن مياه صيدا حتى بعثتها العواصف ، ودفعها صوب الشمال بدلاً من الجنوب . وكان أن وجد بوسيكو ودي ليلاك نفسيهما أمام مدينة اللاذقية في ربح الأسطول فقبل . وقد استقر رأيهما على عدم النزاع ما تحت أيديهم من قوات في هذه المدينة بسبب قلة هذه القوات ، ووجود جرحى ومرضى بينهم ، واختصاص أكثر من ثلاثين ألف مسلم على شاطئ هذه المدينة للدفاع عنها ، وواصل بوسيكو طريقه إلى لاما جوسنا ، على حين - بهم دى ليلاك شطركيهتسا ومنها إلى رودس التي وصل إليها قبل ١٧ سبتمبر عام ١٤٠٣ (١) .

ولا شك في أن هذه الفروقات - أو بالأحرى المغامرات العسكرية - التي قام بها الاستتارية ، بالاشتراك مع بوسيكو ، حاكم بجنوة ، على ساحل الشام ، قد فشلت في أن تلحق بدولة المماليك الجراكسة أضراراً مادية تذكر ، وإنما تعود أهميتها إلى أنها وقعت في وقت كان فيه مدائن هذه الدولة ، فرج بن برقوق ، يعاني من الفتنة والانقسام بين أمراءه ، وخروج بعض هؤلاء الأمراء عليه ، ومن سوء الأحوال الاقتصادية وارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة في بلاده ، فضلاً عن تدوير تجارة مصر والشام الخارجية بسبب تلك الفتنة من ناحية

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. a Rh., P. 298 ; Ibid: F.O.I, P. 444 ; De la Ronciere II, P. 133 ; Vertot II, PP. 363 - 365.

(٢) دكتور إبراهيم على طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٦ - ٢٧

(٣) Wiet: L'Egypte Musulmane (dans: Précis de L'His. d'Eg. T. II , PP. 260 - 261.)

وفتوحات القطار من ناحية أخرى ،^(١) ما حدا بهذا السلطان الى أن يبادر بموصل ما انقطع من مفاوضات المصلح بهذه هبة الاستتارية ليأمن غيرهم وما قد يسيبوه له من متاعب أخرى بمفردهم ، أو بالاشتراك مع غيرهم من قوى أوروبية معادية ، خلال أزمنة الداخلية .

وكان أن أرسل السلطان فرج الى رودس مائرا مصريا توصل ، في ٢٧ أكتوبر عام ١٤٠٢ ، الى عقد معاهدة صلح وتجارة مع السيد الكيردى نيكلاك . وعندما غادر السفير المصري جزيرة رودس ، في ٤ نوفمبر عام ١٤٠٢ ، للعودة الى بلاده ، رافقه الفارس الاستتاري ، رولندى لسكير مقدم شحنة تولوز ، الذى يعود اليه الفضل فى اقتناع السلطان فرج بالتصديق على شروط المعاهدة .^(٢)

وقد بدأت شروط المعاهدة بالنص على نوايا السلم الذى كان قد عقد بين مصر وقبرص ،

D. Le Roux Les Hosp. à Rhod., P.292

(١) انظر :

(٢) من المعاهدة منشور فى :

Pauli II, PP.108-110, num. LXXXVI

وهى باللغة الفرنسية المستعملة فى أوائل القرن ١٥ ، فيها عدا الديباجة السحرية ذكر فيها اسم السفيرين المصرى الحاج محمود ، والاستتارى دى لسكير ، فهسى باللغة اللاتينية . وقد أورد (Depping: Hist. du commerce T.II, PP. 28-30) ملخصا كبيرا لهذه المعاهدة ولكنه أخطأ فى نقل إحدى فقراتها سوف نتره عنه فى حاشيته عندما نصل اليه . ومن ناحية أخرى أورد لنا ديلاكيل (فى كتابه : الاستتارية فى رودس من ٢٩١ - ٢٩٢) ملخصا مقتضيا جدا لهذه المعاهدة . وكذلك فعمل فرتو (ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨) . وقد نقل فرتو خطأ بأن الاستتارية سمع اسم لهم بقنصلية فى الاسكندرية فى حين أن من المعاهدة ، وكذا دهنج وديلاكيل ، جاء فيه بأن القنصلية فى دمياط . وقد وصل خطأ فرتو الى كل من :

(Flandin, P.158); (Miliotti, P.199); (Ziada : Foreign

Relations, P.184);

مطرخان (مصر فى عهد دولة المماليك الجراكسة من ٩٩) .

في عام ١٢٧٠ ، وشمل جميع أمم الفرنجة • وتقرر في معاهدة عام ١٤٠٣ ، أيضا ، بأن جميع أعضاء هيئة الاستبارة وعائلاتهم يستطيعون أن ينتقلوا بزيهم الخاص من مكان الى مكان داخل بلاد السلطان ، مشاة أو راكبين مختلف أنواع الدواب ، بحرية ومن غير أن يدفعوا أية رسوم ، بشرط أن يكونوا مزودين بشهادات تدل على شخصياتهم من السيد الكبير ليهيتهم أو نائبه • كما أن المعاهدة سمحت للسيد الكبير للاستبارة بتعيين قناصل ، في كل من بيت المقدس والرملة ^(١) ودمياط ، لرعاية شئون رعاباء في بلاد السلطان • وقد نصت المعاهدة ، فيما يتعلق بقنصل دمياط خاصة ، على أن يتمتع هذا القنصل بحماية السلطان وجميع الحقوق والامتيازات التي احاد القناصل الآخرون في الازمنة الماضية أن يتمتعوا بها ، ولا يدفع للسلطان سوى الضريبة القديمة المعتاد دفعها له ، وهو ثلث بيت بأن معاهدة عام ١٤٠٣ ليست أول وثيقة دبلوماسية تعطي للاستبارة الحق في تعيين قنصل في دمياط ، وإنما تقرر لها هذا الحق من قبل ، بما في معاهدة عام ١٢٧٠ ، بين مصر وطرش الثاني لوزجستان ملك قبرص • ثم ان معاهدة عام ١٤٠٣ أعطت لقناصل الاستبارة الحق في شراء الرقيق المسيحيين ، من كلا الجنسين ، في بلاد السلطان ، ودفع ثمنهم نقدا أو ابدالهم بأعداد مساوية لهم من الاسرى المسلمين الذين في حوزة الاستبارة في رودس ، بحيث لا يجوز شراء أو ابدال أحد على غير رغبته •

وحول موضوع آخر ، نصت معاهدة عام ١٤٠٣ على أن يكون من حق الاستبارة

(١) كان قنصل الاستبارة يقيم في مستشفى ، يديره الاستبارة كذلك ، في مدينة الرملة. ومن الثابت أن مستشفى الرملة كان في عام ١٤٩٧ لا يزال تحت ادارة الاستبارة ، ولكن في عام ١٥١٤ كان تحت ادارة القرائمسان •

الإشراف على مستشفى في مدينة بيت المقدس ، يديره ستة أعضاء أو أكثر من أعضاء الهيئة
الاستشارية أو من رجال الدين غير الأعضاء في هذه الهيئة ، لغرض إيلاء وخدمة
الحجاج المسيحيين إلى المدينة المقدسة بحيث لا يدفع الاستشارة عن هذا المستشفى
إهجاراً أو رسوماً ، ويكون لديره الحق في إقامة سور حوله وحول الأرض المجاورة له وإضافة
ما يرون أنه ضرورياً من الغرف والأجنحة والطبقات الأخرى من أجل إعلاء الحاج ضيافة
وخدمة أفضل .

وأضافت المعاهدة إلى ذلك بأن من حق الاستشارية صيانة كنيسة القيامة بمدينة بيت
المقدس ، وكنائس بيت لحم والناصرة وجبل صهيون ، وجميع الكنائس الأخرى التي يزورها
الحجاج ، وذلك منعاً لها من السقوط .

وعنت معاهدة عام ١٤٠٣ عناية خاصة بمسألة الرسوم التي يلزم أن يدفعها الحجاج
المسيحيون في بلاد السلطان ، فتمت على ألا يؤخذ منهم أكثر مما اعتادوا دفعه قبل غزوة
الاسكندرية ، كما أوردت فئات هذه الرسوم وموضوعاتها .

(١) عندما زار الرحالة الألماني سوثيم بيت المقدس عام ١٣٣٥ ، رأى مستشفى ، تديره
راهبه اسمها مارجرينا الصقلية ، شيد على أنقاض المستشفى القديم الذي كان يملكه
الاستشارية في مواجهة القيامة . وكان هذا المستشفى يستخدم كإي للحجاج
المسيحيين إلى بيت المقدس تحت حماية وعناية حكومة السلطان المملوكي . وكان يقيم
فيه الرهبان الفرنسيسكان إلى أن انتقلوا منه عام ١٣٣٣ إلى دير صهيون ،
فأصبح يديره طائفة الرهبان المعروفه باسم الرهبان الصغار ، إلى أن انتقلت إدارته
عام ١٤٠٣ إلى فرسان الاستشارية في رودس بمقتضى المعاهدة المعقودة مع السلطان .
وكان قلصل الاستشارية وغيره من القناصل الأجانب في المدينة المقدسة يقيمون في
مستشفى بيت المقدس .

أنظر :

واهتمت المعاهدة كذلك بتنظيم المعاملات التجارية بين الطرفين المتعاقدين ،
فلما حلت للاستيانة سرا^١ الحبوب ، من قمح وشعير وغيرهما من المواد التموينية الاخرى ،
من دمياط والاسكندرية وجميع بلاد السلطان ، دون دفع ضرائب من أى نوع ، على أن
يدفعوا رسوما جمركية على السلع الاخرى غير التموينية بمواقع ١٢ % فى ميناء دمياط ، ١٠ %
فى ميناء الاسكندرية ، ٤ % فى ميناء يافا ، ٢ % فى ميناء طرابلس ، وحسب التمريرة
المحلية الجارية فى كل من بيروت ودمشق . وفى مجال التجارة أيضا حرص الاستيانة
على أن ينص فى المعاهدة على أن التجار المسيحيين محرم عليهم جلب السلع الحربية الى
بلاد السلطان ولا يستطيعون غرض الطرف عن هذا التحريم ولا تعرضوا للمقاصد
المعتادة .

هذا وقد تم الاتفاق أخيرا فى نهاية المعاهدة على أن يكون لأى من الطرفين
المعاهد بن الحق فى فسخ شروط هذه المعاهدة ، بهر^٢ الطرف الآخر ، فى أى وقت
يشاء ، وبخاصة فى حالة ما اذا أراد السلطان أن يمتأف للحرب ضد المسيحيين ، أو اذا
نوى البابا وأمر^٣ المسيحية بجريد حملة عسكرية ضد السلطان ، بشرط أن يتم هذا الفسخ
بعد مرور مهلة قدرها ثلاثة شهور^(١) من بدء^٤ الاداره ، وفى مهلة لازمة لاجلاء^٥ رعايا
وضائع كل من الطرفين من بلاد الطرف الآخر .

وقد أضاف بوناكورسو جريمانى Buonaccorso grimaldi — وهو وكيل
الهندية فى ريدس^٦ الذى أنها حكومته بأمر هذه المعاهدة قبل عقدها — الى شروط المعاهدة
شرطا لم يرد فى نصها ، خلاصته أن الاستيانة تعهدوا للسلطان ببرد الاسرى المسلمين ،
واعادة سفينة اسلامية ، كانوا قد أسروها عند دمياط ، مع دفع مبلغ يتراوح مقداره بين
اثنى عشر ألف ، وستة عشر ألف دوكلات تعويضها لاصحابها عن الخسائر التى تكبدوها من وراء
أسرها . واستطرد الوكيل الهندى قائلا بأن السيد الكبير للاستيانة دى ليملاك ،

(١) اعظم نقطة هذا المبلغ عن طريق فرض ضريبة مقدارها ٤ % على أرباح تجار يودس في سوريا .
 هذا عن معاهدة عام ١٤٠٣ بين الاسبتارية وسلطنة المماليك في مصر . وتجسدر
 الاشارة هنا الى أن الفارس الاسبتاري ريموند دي لسكير الذي أفلح في اقناع السلطان ،
 فرج بن برقوق ، بالتصديق على هذه المعاهدة ، كلفه ملك قبرص ، چانوس ، وكان معجبا
 بمهارة دي لسكير الدبلوماسية . بالسعى لدى السلطان فرج من أجل عقد معاهدة ماثلة
 بينه وبين قبرص . غير أن السلطان فرج - الذي كان يحقد ، وقتذاك ، على قبرص بسبب كثرة
 اعدائهم قرصان قبرص على سفن التجارة المملوكية - رفض الامتناع الى مقترحات دي لسكير ،
 وطلبى به في أحد سجون القاهرة ، ولم يطلق سراحه الا بعد أن دفع السيد الكبير للاسبتارية
 دي نيلاك ، من أجله ، فدية مقدارها خمسة وعشرون ألف دوكات ، منها ستة آلاف دوكات
 اقترضها دي نيلاك من التجار الجنوبية والهندية والقطالونية والفرنسية المقيمين بالاسكندرية .
 (٢) وحدث في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٤٠٥ ، أن عين ريموند دي لسكير
 في وظيفة آمر على أمية الاسبتارية الكبرى في قبرص . ولما كان الملك القبرصي چانوس وضع
 فيه ثقة الكاملة فقد أرسله في أغسطس عام ١٤٠٧ سفيرا عنه الى جنوة للتفاهم مع حاكمها
 بوسيكو في أمر يتعلق بالصلح الذي كان قد عقد بينهما في عام ١٤٠٣ بفضل وساطة السيد
 الكبير للاسبتارية دي نيلاك . وفي جنوة ، أفصح بوسيكو للفارس الاسبتاري دي لسكير عن
 عزمه على تجديد حملة على الاسكندرية ، فحاج منه توفير مبلغ مائة واثنتين وثلاثين ألف
 فلورنسي ، واعداد تسعة أفرجة ، مائة واثني عشر رجلا ، فأشار عليه دي لسكير بأن يرسل
 سفارة الى ملك قبرص ، چانوس ، لمحاولة اقناعه بالمساهمة في هذه الحملة ، وقد شكل بوسيكو ،
 بالفعل ، سفارة من فارسين ، أحدهما عضو في هيئة الاسبتارية ، لاداء هذه المهمة
 التي أشار بها عليه ريموند دي لسكير . وتضمنى التعليقات التي سلمها بوسيكو لسفيره

بأن يتوجها أولا الى جزيرة رودس ، عن طريق الهندية ، ليطلعا السيد الكبير دى نيسلاك
على نتائج سفارة ريموند دى لسكير في جنوة بشأن المسائل المتعلقة في الصلح بين قبرص وچنوة ،
وبالها منه أن يسهل لهما وسائل الوصول الى جزيرة قبرص . وعندما يمثلان أمام الملك القبرصي
چانوس ، فإن عليهما ، للوصول الى غرضهما منه ، أن يتلقاهما بالقليل له بأنه الامير السدي
تعتقد عليه آمان المسيحية في مشروعاتها ضد المسلمين ، ثم عليهما - بعد ذلك - أن
يوضحا له بأن الخطة الموضوعة للحملة تقضى بأن يتوجه جند قبرص الى رودس أولا ، من أجل
القوية على السلطان فرج ، ومن رودس يتوجهون الى جزيرة قشتيل الروج ، الخاضعة
للاستبارة في رودس ، حيث يتم اللقاء بين هؤلاء الجند القبارصة وبين قوات جنوة ، ويخرجان
منها معا الى الاسكندرية ^(١) .

ومما يلفت النظر في التعليلات التي سلمها هوسيكو لسفيره الى ملك قبرص ، چانوس ،
أنه لم يطلب من هذين السفيرين أن يعرضا على السيد الكبير للاستبارة دى نيسلاك المساهمة
في الحملة الصليبية على الاسكندرية ، وهو أمر ربما كان للفارس الاستباري ريموند دى لسكير
يد فيه ، فهو السفير الاستباري الذي وقع عليه عبء اتناع السلطان فرج بالتصديق على معاهدة
عام ١٤٠٣ ، ويتنظر منه أن يأمر هدم ما بناه بنو طهيسة الاستبارة التي يتسبب اليها في
عملية عسكرية صغيرة اضطرابات الفشل فيها أكبر من احتمالات النجاح .

غير أن عدم اشراك الاستبارة عسكريا في الحملة ، لو أنها وقعت بحسب الخطة السلي
وضعها لها هوسيكو ، لم يكن يعقّبهم من المسؤولية أمام السلطان فرج ، باعتبار أن أحسب
زعماهم - وهو ريموند دى لسكير - كان على هيئة المشروع ملاذ بدايته ، وربما ساهم
في التخطيط له مع هوسيكو ، وأن جزيرة قشتيل الروج ، الناهية للاستبارة ، هي المكان
الذي اختير مركزا لتجمع قوات الحملة ، فضلا عن دور قوات قبرص بجزيرة رودس نفسها قسما
أن تقصد جزيرة قشتيل الروج ، وكلها أمور يمكن للمنادقة معرفتها ، وإبلاغها للسلطان .

ولم ينل الموقف ، في الواقع ، صيانة على حالة السلم القائمة بين الاسبتارية
في رودس ودولة للمالك الجراكسة ، على أساس معاهدة عام ١٤٠٣ ، سوى رفض ملك
قبرص ، جانوس ، الاشتراك في الحملة بحجة ضعفه ، وتعرض بلاده للانقسامات الداخلية ،
وللتهدد بالغزو من جانب أتراك آسيا الصغرى ، وعدم رغبته في معاداة السلطان المصري
بعد أن تحسنت العلاقات بين بلديهما .^(١)

على أن حادثا آخر وقع بعد أربع سنوات - أي في عام ١٤١١ - كاد أن يودي مرة
أخرى بهذه الحالة من السلام بين الاسبتارية والمالك ، لولا أن تداركته حكمة الطرفين .
وذلك أنه في عام ١٤١١ أسرت حامية قلعة القديس بطرس الاسبتارية ، الواقعة على الساحل
الأسوي ، سفينة مصرية ، كانت مارة بجوار ساحل تركيا في طريقها إلى مصر ، وأرسلت
شحنها إلى جزيرة رودس . وقد اعتبر السلطان فرج بن برقوق أن هذا الحادث انذارا
اسبتاريا له بمطامح العلاقات معه ، ورد عليه بالقبض على جميع التجار الروادسة في مصر
والزج بهم في السجن . غير أن حكومة الاسبتارية في رودس أرسلت إليه في ١٠ ديسمبر من
هذا العام - عام ١٤١١ - تعتذر من الحادث ، وتلتزم بأن لها أفرجت عن شحنة السفينة ،
وتطلب منه أن يأمر بإطلاق الأسرى الروادسة . وكان أن استجاب السلطان لرغبة الاسبتارية ،
وعادت العلاقات الطيبة بينهم إلى سيرتها الأولى قبل الحادث .^(٢)

غير أن هذه العلاقات لم تلبث أن شابها التبر مرة أخرى بسبب الغزوات الثلاث التي
قام بها السلطان المملوكي الأشرف برسباي (١٤٢٢ - ١٤٣٧) لجزيرة قبرص في الأعوام
١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ .^(٣)

(١) أنظر : D. Le Roux: F.O.I, P.509

(٢) أنظر : Ibid : Les Hospit. à Rh., P.327

(٣) عن غزوات السلطان برسباي لجزيرة قبرص ارجع إلى :

دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب المملوكية ص ١٠٣ - ١٢١

وكانت ألباء الغزوة الأخيرة من هذه الغزوات — وهي غزوة عام ١٤٢٦ — قد وصلت إلى الملك القبرصي جانوس قبل أن تخرج من مصر * واتصل جانوس على الفور بالسيد الكبير للاستشارة ، القائم بالحكم في رودس آنذاك ، وهو أنطوان فلوشيان (١٤٢١ — ١٤٣٧) (١) وطلب منه المساعدة * ولم يكن السيد الكبير يملك إلا أن يلبى هذا الطلب ، لأن وقوع جزيرة قبرص في قبضة المماليك ، يعنى سقوط خط الدفاع الأول عن جزيرة رودس ضد أى هجوم يوجه إليها من جانب مصر أو الشام ، وحصول المماليك على قاعدة بحرية هامة لتموين أسطولهم في الطريق إلى رودس مما يسهل لهم فتح هذه الجزيرة ، يقابل ذلك حرمات الاستشارة من قاعدة لسفنتهم العاملة في ميدان القرصنة قرب السواحل الملوكمية ، ومن أغنى شعوبهم خارج رودس ، وضياح سوق هامة للتجارة البودسية ، هذا إلى جانب التزام الاستشارة أديها أمام الرأي العام الأوروبي — الذى أمدهم باستمرار بمختلف السوان المساعدات — وسمح لهم باقتلاك العقارات والأراضى الواسعة في أوروبا ، وسأهم بالعديد من الامتيازات والافاضات الضرائبية — بالدفاع عسكريا عن مراكز المسيحية في الشرق ، وفى مقدمتها بطبيعة الحال جزيرة قبرص التى يرتبط ماركها ، آل لوزيجان ، مع هيئة الاستشارة بوحدة الهدف الصليبي ، وشعركون مع المنصر المتغلب بين عناصر هذه الهيئة فىسي الالتمساء إلى الدم الفرنسى *

غير أن السيد الكبير أنطوان فلوشيان فضل أن يبدل أولا وساطته للصلح بين المملك جانوس والسلطان برسباى ، عسى أن تسمى المسألة بطريقة سلمية تحفظ لجزيرة قبرص استقلالها ولجزيرة رودس صلاحها مع دولة المماليك الجراكسة * ولكن هذه الوساطة فشلت ، شأنها شأن وساطة أخرى قام بها وتذاك امبراطور القسطنطينية ، حنا الثامن بالبولوجيسس (١٤٢٥ — ١٤٤٨) ، بسبب رفض الملك جانوس شروط برسباى لالقاء الحطة ، وهى أن يعلن جانوس تبعية مصر ، ويدفع جزية سنوية للسلطان ويدفع تكاليف أسطول الحملة * (٢)

Hill II, P.476.

(١) أنظر :

Vertot II, PP.401 -402; Hill II P.476 note 2.

(٢) أنظر :

وكان أن خرجت الحملة من مصر ، في شهر يونية عام ١٤٢٦ ، واستولت على جزيرة قبرص ، ثم عادت ، في شهر أغسطس من نفس العام ، ومعها الملك جانوس ، أسيرا . ومن الثابت أن نجدات قوية من الاسبتارية وُذيت الى جانب قوات قبرص في الدفاع عن الجزيرة قبل سقوطها .^(١) وعرف أن عددا كبيرا من فرسان الاسبتارية قُتلوا في المعركة التي دارت ، في السابع من شهر يولييه ، في خيروكيتيا Chierokitia ، وانتهت بوقوع جانوس في أسر المماليك .^(٢) وعندما وصلت أنباء هذه المعركة الى السيد الكبير للاسبتارية في رودس ، أنطوان فلوشيان ، أرسل الى قبرص نجدات أخرى ، من الرجال والذخائر والاموال ، كان لها الفضل في تأخير سيطرة المماليك على الجزيرة بعد وقوع ملكها في الأسر .^(٣) هذا وقد أرسل الاسبتارية الى جزيرة قبرص ، أيضا ، سفيتين حربيتين ، انضمنا الى أسطول الملك جانوس ، ولكن لم يثبت اشتراكهما في أية معركة بحرية ضد أسطول الفتر والملوكي .^(٤)

وكان من الظهيم أن ينتقم القائد الملوكي على الحملة ، وهو تغري بردي المصودي ، من الاسبتارية ، على موقف المداء الذي وقفه من حلفه في قبرص ، فقام به قبل أن يغادر هذه الجزيرة عائدا الى مصر بهتريب أمرينهم الكبرى ، بالتحريب من كولوسى ، وتخريبها شاملا .^(٥)

(١) مقتضى رواية كل من (Macheras, P.378) ، (strambaldi, P.277)

فإن أسطول المماليك - وقتئذ - وخمسون سفينة ، وخمسمائة ملوكي مقتضى ، ماخيراس ، وخمسمائة وثمانية من المماليك مقتضى سترامبالدى ، وستمائة عربى ، وألفين من المماليكين الآخرين - وصل فى أول يولية عام ١٤٢٦ الى قبرص . وما أن انزل قرائنه على الساحل حتى همت هذه القوات شطر قلعة ليماسول فأخذتها . وفى اليوم الثالث من هذا الشهر وصل الخبر الملك جانوس ، فتقدم على رأس جيش من ألف وستمائة فارس ، وأربعة آلاف راجل ، من العاصمة نيقوسيا الى بوتاميا Potamia ، فلما وصل الى هذه المدينة أرسل الى رودس يطلب منها النجدة .

(٢) أنظر : Hill II, P.479 note 2; Vertot II, P.402; Biliotti,

P. 206 ; Flandin, P. 164

وارجع أيضا الى المعنى : عقد الجمان ص ٢٨ ص ٢٥٥

وهذا التنويه بأن أيا من سترامبالدى ، ماخيراس ، أمادى (وهم ثلاثة من مؤرخى قبرص اليمانيين) لم يذكر شيئا عن فرسان اسبتارية اشتركوا في هذه المعركة .

بكلى للدلالة عليهم أن الهيئة عهدت بهذه الأمور ، في عام ١٤٢٨ ، إلى اثنين من أعضائها لاستغلالها واستصلاحها مقابل إيجار أسعى مقداره أربعة دوكات لا غير في السنة لمصلحة سبع سنوات ، علما بأن إيجارها السنوي المعتاد هو اثني عشر ألف دوكات ، وأنها لم تستعد إيجارها المعتاد إلا في عام ١٤٤٩ ، أي بعد ثلاث وعشرين سنة من تخریبها ^(١) .

وإذا كان السلطان برسباي ، قد أعلن ، خلال المفاوضات التي جرت معه ، من أجل اقتداء الملك چانوس ، عن اعتزازه أعداد حصة لاحتلال جزيرة رودس ، فإمكان تعبيره ذلك عن استيائه من الاستتارية لموقفهم المعادي من سلطنة المماليك ، بالرغم من الصلح المفقود بين الطرفين في عام ١٤٠٣ ، هذا بطبيعة الحال إلى جانب رغبة برسباي في تصفية آخر الجيوب الصليبية في الشرق ، بعد أن أصابه التوفيق في غزو قبرص ، فتتجسسا بهذا التوفيق .

وليس من شك في أن مندوب الاستتارية ، الذي حضر مفاوضات اقتداء چانوس في القاهرة ، عندما أرسل إلى السيد الكبير أنطوان فلوقيان في رودس بما تم عليه الاتفاق مع برسباي مقابل إطلاق سراح چانوس ، أنهاء أيضا بما أعلنه برسباي بشأن رودس ، ومن ثم

Vertot II, PP.402 -403; Biliotti, P.206.

(٢) أنظر :

Macheras, P. 386; Strambaldi, P.282; Amadi, P.509,

(٤) أنظر :

Vertot II, P.403; Biliotti, P.206; Flandin, P.165 .

(٥) أنظر :

Hill II, P.487.

(١) أنظر :

Ziada , P.185

(٢) أنظر :

طلب انطوان فلوقيان المساعدة من البابا مارتن الخامس (١٤١٧ - ١٤٣١) ومعظم
 أمراء المسيحية في أوروبا ، وأرسل أولمر مستعجلة إلى جميع مقدمي شعب الاستتارية
 في أوروبا بأن يرسل كل منهم إلى رودس ، على وجه السرعة ، ما لا يقل عن خمسة
 وعشرين فارسا استتاريا ، وثلثهم من تابعي الفرسان ، وما يستلزم إرساله من الأسلحة
 والذخائر والمؤن .^(١) وفي نفس الوقت أرسل أنطوان فلوقيان إلى القاهرة مفسيرا
 استتاريا صحة مبلغ خمسة وأربعين ألف دوكات على الأقل ،^(٢) ساهم بها لاستتارية في مقدم

(١) أنظر : Vertot II, P.405 ; Biliotti, P.206 ; Flaudin, P.116.

علما بأن هؤلاء المورخين الثلاثة ذكروا بأن طلب المساعدة تم بعد أن طرد
 الاستتارية الصلح مع السلطان بنا على تحذيرات جواسيس الاستتارية للسيد
 الكبير بأن السلطان يستعد ، بالرغم من الصلح ، لغزو رودس . ولكن هناك
 وجهة تثبت بأن الاستتارية اتصلوا بالبابا طالبين منه المساعدة قبل أن يفسدوا
 الصلح مع السلطان . فالمرسوف أن الاستتارية اصطالحوا مع السلطان بعد أن
 دفع له مقدم الفدية الذي تم في مارس ١٤٢٧ (طرخان : مصر في عصر دولة
 المماليك الجراكسة ص ١٠٢) . ولكن البابا مارتن الخامس أرسل السيد السيد
 الكبير للاستتارية ، في ٩ فبراير ١٤٢٧ ، رسالة سمح له فيها برهن بعض أملاك
 الاستتارية لمواجهة ثغقات الدفاع من الجزيرة ضد أسطول مصر .
 (Pauli II, PP. 117-118, num. XCVI)
 ما يثبت بأن الاستتارية طلبوا المساعدة من البابا قبل دفع مقدم الفدية
 للسلطان ، وبالتالي قبل عقد الصلح معه بشهر على الأقل .

(٢) منها ١٥ ألف قدمها السيد الكبير ، فلوقيان ، من ماله الخاص ، كقرض لهيئة
 الاستتارية ، ١٥ ألف أخرى قدمها بعض المواطنين الروادسة وأخصـال
 الاستتارية ، ١٥ ألف ثالثة استدانها هيئة الاستتارية لهذا الغرض مسن
 الهندقية على يد السفير الريدسي يعقوب الألماني (Hill II, PP.488-489)
 أما قروش ٢ ص ٤٠٤ فيقول بأن هيئة الاستتارية تحملت الجانب الأكبر
 من الجزية . هذا ويذكر ماس لاتري (

(أنظر : Mas-Latrie: Nouvelles Preuves, dans B.E.C, an. 1874 , P.136 .

بأن السيد الكبير للاستتارية قام بالدور الرئيسي في الوساطة لدى سلطان مصر
 من أجل اعتداء ملك قبرص .

هدية چانوس ، الهالغ ما ٢٠ ألف دوكلات - أى نصف مقدار المبلغ الاجبالى للقدية ، وهو مائة ألف دوكلات - وصحة هدية قيمة للسلطان برسباى قدر ثمنها بنحو مائة ديلار .
(١)
وعندما أذن لهذا السفير بمقابلة السلطان لتقديم ما أتى به من رودس إليه ، طلب منه عقد معاهدة صلح وعدم اعتداء . وقد استجاب برسباى لطلبه وأعطاه تجديدا لمعاهدة عام ١٤٠٣ ، قبل ١٢ مايو عام ١٤٢٧ ، وهو تاريخ اليوم الذى وصل فيه چانوس ، بمسند الافراج عنه ، الى ميناء پافوس بجزيرة قبرص ، فى حراسة خمس سفن حربية ، أحداها سفينة سفير رودس الى القاهرة .
(٢)
(٣)

أما اذا كانت بعض السفن المصرية قد هاجمت ، فى عام ١٤٣٤ ، أملاك الاسبتارية فى كولوس ، بجزيرة قبرص ، وخربتها ، فان ذلك - على الأرجح - كان انتقاما من ملكها ، قصد به عائلة Ferrer الفطالونية ، التى كانت تدبر هذه الأملاك كقطاع لها من الاسبتارية ، للرد على غارات قام بها فطالونيون على ساحل الشام ، أو قصد به الاسبتارية ، أنفسهم ، أصحاب هذه الممتلكات ، لاحتقاد السلطان بأن المقيمين على الشام خرجوا من موانئ رودس ، أو الجزر الخاضعة لها فى محرابجه ، طالما أنهم لا يستطيعون الخروج من جزيرة قبرص التى تدفع الجزية للسلطان .

وبعد وأن السلطان برسباى شرع فى اعداد السفن التى قامت بتخريب أملاك الاسبتارية

Hill II, P.488

(١) أنظر :

وأنظر أيضا دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ح ٢ ص ١٢٢١ .

Ziada: Foreign Relations of Egypt, PP.185-186

(٢) أنظر :

هذا كوردكتور ابراهيم على طرخان (مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٠٥) بأن السفير الوردسى وعد السلطان بدفع جزية سنوية ، وهو ما تستبعد حدوكسه ، ليس فقط لانه لا يوجد أى دليل يثبت بأن الاسبتارية دفعوا جزية للسلطان بعد هذا العام ، ولكن أيضا لان الاسبتارية رفضوا عدة مرات أن يدفعوا الجزية للعثمانيين عندما طلبوها منهم وجيوشهم معدة لغزو رودس ، أو تحاصر هذه الجزيرة معسلا ، وهذا ما سوف نبيته فى فصل العلاقات بين الاسبتارية فى رودس والاتراك .

Strambaldi, PP.285-286; Hill P.490

(٣) أنظر :

Hill III, PP.515 - 516

(٤) أنظر :

في كولوس ، بمجرد عودته ، في أواخر عام ١٤٢٢ ، من رحلة قام بها ضد عثمان قراييلوك
 زعيم قبيلة الشاه البهنا التركمانية في أعالي الفرات ^(١) وأن الاستتار في رودس علموا
 بذلك بأمر هذه السفن عن طريق عيونهم في مصر ، واعتقدوا بأنها تعد لغزو جزيرة
 رودس نفسها ، ومن ثم اتصلوا بالبابا يوجين الرابع (١٤٣١ - ١٤٣٩) لمساعدتهم في
 مواجهتها . ومن الدلائل على ذلك ، رسالة تلقاها ملك قشتالة وليون ، خا الثاني
 (١٤٠٦ - ١٤٥٤) ، من البابا يوجين الرابع ، طلب فيها منه البابا بأن يحسب
 لشجدة رودس ، التي قال بأن حاكمها ، السيد الكبير أنطوان فلوشيان ، كتب له بأن
 سلطان مصر بعد العدة لغزوها ، فهذه الرسالة البابوية كتبت بتاريخ ١٧ يناير عام
 ١٤٣٤ ^(٢) ، في تقريرها في بداية العام الذي وقع فيه الهجوم السلوكي على كولوس ،
 مما يدل على أن الإعداد لهذا الهجوم تم في أواخر عام ١٤٢٣ ، وأن الاستتار في رودس
 كانوا على علم به .

ومما يكن من أمر ذلك ، فإن الاستتار في رودس لم يعتبروا الاقدا السلوكي على
 كولوس سوى مقدمة لغزوة كبرى توقعوا بأن يوجهها السلطان برسباي في العام التالي
 لجزيرة رودس نفسها . وكما هي عادتهم ، في مثل هذه الظروف ، أرسلوا يطلبون المساعدات
 المختلفة من أمراء المسيحية في أوروبا . ومن ذلك أنهم أرسلوا قائد الخيالة الخفيفة السوي
 وطه الأصلي ، إنجلترا ، حيث صرح له الملك هنري السادس (١٤٢٢ - ١٤٦١) ، في
 ٣ يونيو عام ١٤٢٤ ، بجمع كميات من الذهب والفضة ، وأخذها معه خارج المملكة . ^(٣) وفي
 ٢٥ يناير عام ١٤٣٥ أصدر الملك هنري السادس تصريحاً بتقديم شحنة الاستتار في إنجلترا ،
 بمفادرة المملكة ، صحة كميات وافرة من الأموال والأواني والأوعية الذهبية والفضية ،
 لتوصيلها إلى جزيرة رودس بأقصى سرعة ممكنة ، حتى تستفيد منها . كما جاء في التصريح -
 في مقطورة سلطان مصر الذي يهددها بالغزو ^(٤) . وبعد أربعة أيام فقط من ذلك - أي في

(١) دكتور ابراهيم طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٢٣

Pauli II, P.118, num. XCV11.

(٢) أنظر :

Ibid, P.119 num. XCV111.

(٣) أنظر :

١١٤ / ٤١

للكاثوليك والشرق الهيزنطى الارثوذكسى على السواء^(١) . أما سلطان الممالك الجراكسة ،
 يحقق ، فقد كان ، من جانبه ، له دوافعه الخاصة لتنفيذ مشروع غزو رودس ، منها رغبته فى
 أن يحدو حذو برصباى ، ليحقق لنفسه مجدا يمتطى به يحقق اغتصابه للحلقة من الممر
 يوسف بن برصباى ، من ناحية ، منصرف الممالك من المنازعات الداخلية ، وبوجه طاقتهم
 نحو الغزو والجهاد من ناحية ثانية^(٢) . يضاف الى ذلك تدمير السلطان يحقق من الاستتارية
 فى رودس بسبب تدخلهم فى تجارة قبرص بما يضر رعاياه القبارصة^(٣) ، وتبره من اغسارات
 القراصنة على شواطئ مصر ، التى لم تنقطع عقب استيلاء الممالك على قبرص (عام ١٤٢٦)
 مما لا بدع مجالاً للشك لديه بأن أولئك القراصنة اتخذوا من موانئ رودس قواعد لهم^(٤) .
 وقد رأى حنا لاستيك أن يبدأ فى مواجهة الموقف بمسبرغور مراد الثانى وسحاولة حمله
 على التدخل لوقف مشروع الغزو ان أمكنه ذلك . وكان أن أرسل اليه ، فى عام ١٤٣٨ ،
 رئيس الكنيسة النديرة فى رودس ، حنا موريل J. Morel ، فى سفارة خاصة ،
 لايلاغه بأ تولىته منصب السيد الكبير للاستتارية فى رودس ، وليعرض عليه رغبته فى تجديد
 المعاهدة القديمة المعقودة بين الاستتارية والعثمانيين ، وهى المعاهدة التى كان قد
 عقدها السيد الكبير أندوان فلوشيان ، سلف حنا لاستيك ، فى عام ١٤٢٥ ، مع مراد الثانى
 نفسه^(٥) . غير أن مراد الثانى ، بالرغم من المعاملة الطيبة التى لاقاها منه سفير الاستتارية
 رفض الدخول فى أية مفاوضات بشأن تجديد أو وفد معاهدة جديدة معه ، ورد على السفير
 بأن المعاهدة القديمة لا تزال نافذة المفعول ، وهى كافية لأمن كلا الطرفين الوردسسى
 والعثماني^(٦) .

-
- (١) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٧٠
 وأنظر أيضا : Vertot II, P.414; Biliotti, P.212; Ziada, P.187
 (٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٧١
 (٣) أنظر : Hill III, P.516
 (٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٧٠
 (٥) أنظر : Hammer II, P.256
 (٦) أنظر : Vertot II, PP.414-415; Biliotti, PP.212-213; Flandin, P.168.

لم يبقى كالم حنا لاستيك ، عندئذ ، سوى أن يستوثق من ناحية السلطنة السلوكية ،
فكرسل ابن أخيه ، ولهم لاستيك ، في سفينتين ، إلى سواحل مصر ، للوقوف على ما يجرى
فيها من استعدادات . ولم يلبث هذا المبعوث أن رجع إلى رودس ، وأخبر عنه السيد الكسندر
بأنه رأى هذه الاستعدادات رأى العين ، فأيقن السيد الكبير بأن الهجوم على جزيرة رودس
من جانب ممالك مصر واقع لا محالة ، وأخذ على الفور يحصن جزيرته ، ويستعد بالقوات البحرية
والبرية اللازمة لحمايتها .^(١)

(١) أنظر :

Vertot II, PP.415-416 , Farochon, P.69

يتكلم ابن حجر (إنباء النمرح ٢ من ٧٢١) عن معركة وقعت ، في ربيع الأول سنة
٨٤٢ هـ / يولية ١٤٣٩ ، بين " المطوعة في البحر من أهل دمياط " والفرنج عسكرو
ساحل صيدا قتل فيها كبير المطوعة ، المجاهد عبد الرحمن ، كما قتل عدد من رجاله
وأسر الباقون وسفنتهم الثلاث . ويذكر نفس المؤرخ (في ص ٧٢٣) بأنه ثبت على نصرائين
من أهل دمياط أنه " بان النصب في قتل المجاهدين ، وأنه كتب الفرنج بقتلهم حتى
استعدوا لهم ودل على عوراتهم " .

وقد ربط الدكتور زيادة (Foreign Relations of Egypt, P.188)

بين هذا الحادث ورحلة ابن أخ السيد الكبير للاستتار إلى مصر فذكر بأن هذا الفارس
الاستتاري علم بأمر استعدادات السلطان لغزو رودس عن طريق مسيحي من دمياط فداد
إلى رودس بعد أن أسرى طريقه ، أصاب صيدا ، سفينة استطاع لمجاهدين مسيحيين
دمياط .

ونحن نعتقد بأن كلا الواقعتين - واقعة أسر السفينة ، أو السفن الثلاث على الأصح ،
واقعة رحلة ولهم لاستيك إلى مصر - لا صلة للواحدة منهما بالأخرى . وذلك أن المؤرخ
فرتو ، الذي أورد واقعة إرسال ولهم لاستيك إلى سواحل مصر ، قال بأن هذا الفارس
الاستتاري أخبر عنه ، عند عودته إلى رودس ، بأنه شاهد جميع قوات مصر عن قرب ، ولما
كانت قوات الحملة لم تخرج من بولاق إلى دمياط إلا في ٨ أغسطس عام ١٤٤٠ (بحسب
قول الدكتور زيادة نفسه ص ١٨٩) ، فلا بد أن يكون ولهم لاستيك قد وصل قرب دمياط
في شهر أغسطس - بعد يوم ٨ - عام ١٤٤٠ ، على حين وقع حادث أسر سفينة المجاهدين
أمام صيدا في عام ١٤٣٩ أي قبل ذلك بنحو عام .

هذا من ناحية حنا لاستيك ، كما من ناحية يمين ، فقد أخذ طاحلة قلمس رودس ، في
 ميناء بولاقي ، أربعة عشر غرابا وستمائة من الصالحات السلطانية ، بقيادة تفرى برمش الزرد كاش ،
 يقتضى رواية المينى ، وخمسة عشر غرابا ومائتين من الصالحات بقيادة تفرى برمش الزرد كاش ،
 رئيس المحررى كهر اخور ، يقتضى رواية أبو المحاسن ، على أن الحملة عندما أفلست
 من ديباط ، في أغسطس عام ١٤٤٠ ، لتأدية مهمتها في رودس ، كانت قوتها من المقاتلين
 قد ازدادت فأرست على الألف مقاتل ، بسبب ما انضم اليها من التطوعين في القاهرة وديباط .
 وقد رما أسطول الحملة أولا في جزيرة قبرص حيث تزود بحاجته من المؤن والذخائر ، ثم توجه
 إلى ميناء الماليا ، الواقع على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، فأمد ، صاحب الميناء التركي
 بخراجهن انضما إلى بقية سفن الاسطول عند اقلاعها من هذا الميناء إلى رودس .
 يقتضى
 رواية السيد الكهر حنا لاستيك نفسه ، في رسالة يمدت بها ، في ٦ نوفمبر عام ١٤٤٠ - أي
 بعد وصول الحملة إلى رودس بمرتين يوما فقط ، حيث وصلت في ٢٥ سبتمبر عام ١٤٤٠ - إلى
 رئيس شعبة أبوستا ، فان أسطول الصالحات كان يتألف من سبع عشرة سفينة ، منها ست عشرة
 سفينة من نوع الحراقات () ، وأن هذا الاسطول رما أولا في جزيرة
 قشتل البرج وخرها ، ثم وصل إلى جزيرة رودس ، حيث رما في موضع رمل ، ليس بعيدا
 عن ميناء الماسة رودس ، في الطرف الشمالي من الجزيرة . وفي هذا الموضع دهم أسطول
 الاسبتارية ، الكون من أربع سفن كبرى ، وست سفن صغرى مختلفة الأنواع ، بقيادة مارشمال
 الاسبتارية ، وأخذ يتبادل معه إطلاق نيران المدافع طوال نهار ذلك اليوم ، وهذا حل ظلام

(١) المينى : عقد الجمان ح ٢٨ من ٤٤٧

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٧ (طبعة كاليفورنيا) ص ١١٢ ،

Zida, P.189

Ziada: Loc. Cit.

(٣) أنظر :

(٤) المينى : عقد الجمان ح ٢٨ من ٤٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٧
 (طبعة كاليفورنيا) ص ١١٤

(٥) أنظر :

Pauli II, PP.121-123, num. C11

(٦)

"... primo ad Castrum Rubrum Insulam nostram, ubi varias
 iniurias intulerat..." Ibid, P.121

(٧)

"Deinde Rhodum, odio quodam obstinato, transmisit &
 anchoras iecit, non multum longe a portu nostro, ad locum,
 quem dicunt puncta arenarum." (P.121)

للليل لمحب أسطول المالوك ، وهم شمالا وعلى جزيرة لانجو ، وهي الجزيرة التي تسكن
جزيرة روه منى الأهمية بالنسبة للاستراتيجية ، فلما اقترب منها ، في الصباح - أي في صباح
٢٨ من شهر عام ١٤١٠ - رأى أن أسطول الاستتارية بقيادة المارشال قد صعد إليها ، فآثر
عدم مهاجمتها ، واتجه شرقا إلى أن وصل إلى أحد الخلجان التركية المتدة في ساحل
أسيوط الصغرى ، فتحصن فيه ، فغدر أن أسطول الاستتارية ، الذي كان يتبعه عن بعد ،
لم يلبث أن بلغت في هذا الموضع ، ثم اشتبك معه في معركة قارية انتهت في آخر النهار عن
مقتل أكثر من ستمائة من المصريين ، البالغ عددهم ألفا مقاتل ، على حين فقد الاستتارية
سبعين قتيلًا ، وعندما حل ظلام الليل غادر أسطول الاستتارية الموقع واتجه رأسا إلى جزيرة روه منى
بسبب ظهور نذر عاصفة ، فوصل إليها في فجر وسط طوفان من المطر ، أما أسطول المالوك
فقد غادر هذا المكان ، في الليلة التالية ، وتوجه مشرعا إلى جزيرة قبرص حيث أعاد تجهيزه
أمالك الاستتارية ، ثم عاد إلى مصر .^(١)

هذا ما رواه السيد البير حنا لاستيك عن الحملة .^(٢) أما روايات المؤرخين العرب
المعاصرين عن هذه الحملة فقد جاءت ناقصة ، واقتصرت على ذكر أن أسطول الحملة توجه مسن

(١) "max instaurata classe, dato stipendio Teurcis, in cyprum traiciunt, resque ibi nostras ferro igne que in aliquibus locis populantur" (P. 122)

(٢) لم تختلف روايات Vertot II, PP. 416-420 ; Biliotti, PP. 212-214; Flandin, PP. 168-169; Farochon, PP. 96-107

في وقائعها الرئيسية عما رواه السيد البير حنا لاستيك في رسالته إلى رئيس جمعية
أبيوسنا ، وأن كان قرونًا ذكر بأن سفن المالوك ثمان عشرة سفينة ، وليوش ذلك
بأن قائد أسطول الاستتارية هو أمير البحر ، كما وحين ذكر بأن المارشال هو ابن
السيد البير أي هو ولده لاستيك ، وأن المعركة الكبرى بين المصريين والاستتارية
وقعت عند ساحل جزيرة تربية اسمها Katharoua ، وأن أتركا كثيرين
من أهل الجزيرة ، ومن الساحل الاسويدي وفدوا إلى مكان المعركة وشاركوا فيها إلى
جانب المصريين ، وغدر ذلك من التفاصيل المتباينة .

ويجدر التنويه هنا بأن الدكتور زيادة لجأ إلى كتب هؤلاء المؤرخين الأجانب
وغدرهم - إلى جانب استرجاع العربية - ولما جاءت الكتب العربية خلوا من واقعتي تخريب
جزيرة قشتال البرج ، وأمالك الاستتارية في قبرص ، فقد أحبط هاتين الواقعتين مسن
روايته منوها بأنه تعمد استقاطهما لأنه لا يملك وثيقة أجنبية معاصرة تعرض عليهما ، فضل
رواية الكتب العربية المعاصرة - أرجع إلى

الصلاحيات إلى روم حيث أُنْفِر على إحدى قرأها الساحلية وخرابها ، ثم رجع مباشرة إلى د موط ،
 ومنها إلى القاهرة فوصل إليها في ١٨ أكتوبر عام ١٤٤٠ . وقد ذكر العيني ^(١) بأن المصريين
 خربوا القرية للروادسة عند وصولهم إلى جزيرة رودس ، ولم يتكلم هذا المؤلف عن أية معركة
 دارت عند رودس ، وبالتالي لم يتكلم عن خسائر في الأرواح بين المصريين . أما ابن حجر فقد ^(٢)
 تكلم عن معركة دارت بجوار ساحل جزيرة رودس ، وذكر بأن الروادسة أحاطوا بالمصريين
 و " قاتلوهم إلى الليل ^{فهيبت} ربح شديدة ، ومطر ، فأخرجت لهم ، فساروا كما هم إلى أن مروا على
 بعض سواحل البلد فرأوا في طرفها مقبرة نصب سكر ، فنهبوا ما فيها ، وأسروا من وجسدوه
 من المزارعين وغيرهم ، ورضوا بهذه الفدية النافذة ، ونجوا بأنفسهم ، بعد أن قتل منهم نحو
 الأربعمائة ورجل جملة " . وتكلم أبو المحاسن ^(٣) أيضا عن معركة بين المصريين والروادسة ،
 ولكنه أفاد بأن القتلى بين المصريين اثني عشر قتيلًا لا غير بخلاف الجرحى .

وسواء يكن من أمر تفاصيل الحملة السلوكية الأولى على رودس فقد انتهت هذه الحملة إلى
 فشل . وما أن رجع أسطول الحملة إلى مصر حتى أخذ السواد الكبير حنا لاستيكا من ناحية
 يستعد لصد حملة أخرى توقع أن يرسلها المماليك إلى جزيرة رودس لفصل عار الهزيمة التي منيت
 بها حملتهم الأولى أمام هذه الجزيرة . ولم يقتصر في استعداداته على تهيئة حصون الجزيرة
 والجزر الأخرى الخاضعة لها في بحر الأرخبيل ، وتعمير حاميات هذه الحصون ، ولكنه أيضا
 أرسل استدعاء لجميع الاسبغارية القادريين على حمل السلاح من الفاضلين عن حاجة الشعب

(١) العيني : عقد الجمان ج ٢٨ ص ٤٤٧

(٢) ابن حجر : انباء النصار ج ٢ ص ٧٥١ - ٧٥٢

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ (طبع في بيروت) ص ١١٤

وأُنظر أيضا :

(١) الاستتار في الخارج ، فصادر كمانا لجميع الضحايا - غيا عدد اثنى عشر الفتن - بالمسودة في الردس للمساهمة في الدفاع عنها ، وطلب من مقدم شعبية فرنسا أن يرسل الى جزيرة رودس ، على جناح السرعة ، كل ما يمكن إرساله من الاموال والذخائر والبنون ، وفرض على حاكم كل من جزيرة لانجو ، وحصن لندوس الواقع على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، بأن يجهز عسكرا بحسب الخاير سفينة حربية يحتفظ بها للمساعدة في الدفاع عن موقعه ، ولتوفير نفقات الدفاع والحرب استصدر حنا لاستيك من البابا فيليكس الخامس (Felix V) (١٤٢٩ - ١٤٤٧) ، في أبريل عام ١٤٤١ ، قرارا سمح فيه لهيئة الاستتار بالتصرف في بعض املاكها ، كما أرسل - الى حنا لاستيك - أوامره الشديدة الى رؤساء هيئت الاستتار بضرورة إرسال أنصبة الخزائن في رودس من دخول هذه الهيئت في مواعيدها وبدون نقصان . يضاف الى ذلك كله أن حنا لاستيك أرسل ، عن طريق قصادة ورسائله الخاصة ، أو عن طريق الناصر البابوي ، يطلب المساعدة من معظم ملوك وحكام أوروبا ، ولكن لم يجبه سوى امبراطور القسطنطينية ، حنا الثاني باليولوجيس ، الذي عقد معه معاهدة دفاعية هجومية لانفع لها من الوجهة العملية ، بحسب عدم استطاعة هذا الامبراطور ايجاد قوات وسفنه عن دولته خوفا عليها من أن تجتاحها قوات أعدائها العثمانيين المحيطين بها ، أما سائر ملوك المسيحية فان اجاباتهم لم تخرج عن نطاق التمنيات واظهار التعطف .

أما عن السلطان چققي فتد أخذ ، منذ عام ١٤٤٢ ، يعد المدة عسكريا للحصول الثانية على جزيرة رودس ، ومن ناحية أخرى سعى دبلوماسيا لملل الاستتار عن أكسبر

(١) من ذلك استدعاؤه لفرسان شعبية أمبوسا في الرسالة التي أرسلها الى رئيس هيئته الشعبية ، في ٦ نوفمبر ١٤٤٠ ، وذكر فيها وقائع الحملة الملكية الاولى .

انظر : Pauli II, PP. 121-123 num. C11

(٢) انظر : Vertot II, PP. 420-422 ; Biliotti, PP. 214-215;

Flandin, PP. 159-170; Farochon, PP. 107-108.

ويخصص القرار البابوي الذي تعرض على السماع للهيئة بالتصرف في بعض املاكها .

انظر : Pauli II, P. 124 num. CIV.

فوجين مبعوثين في المنطقة يستعملان تقدم المون لهم • وهذا الهندقية وقبرص • وكان يحقق
 بعض من أن تدخل الهندقية باسم الدفاع عن مصالح المدعو فانتينو كويريني Fantino Quirini
 وكيل جزيرة لانجو الخاضعة للاستتارية • فقد كان هذا التوكيل • الذي كان يشغل أيضا منصب
 أمير البحر في حكومة رودس • ينتمى إلى عائلة هندقية كبرى لها نفوذ واسع في مجالس السناتسو
 بالهندقية • وكانت هيئة الاستتارية قد أقطعت • إلى جانب جزيرة لانجو التي يشتملها •
 جزيرة أخرى بجوار لانجو • هي جزيرة نيسروس Nisyros وكلفتها بالدفاع عن مائتين الجزيرة
 إذا تعرضت للخطر من جانب الماليك • فبعض يحقق أن تضغط عائلته • أي عائلة فانتينو •
 كويريني • على حكومة جمهورية الهندقية لكي ترسل أسطولها إلى رودس لمساعدتها في صد
 حملته التي يمدد لها لفرز هذه الجزيرة • ومن ثم عرض يحقق على فانتينو كويريني • عن طريق
 الهندقية نفسها • أن يعقد معه معاهدة خاصة تنص على حياد جزيرتيه لانجو ونيسروس • وتحدد
 وافق فانتينو كويريني على عرض السلطان يحقق • وعقد معه المعاهدة التي طلبها • بعد أن أخذ
 فانتينو موافقة السيد الكبير • حنا لاستيك • الذي اشترط عليه فقط أن يتعرض للمعاهدة
 صراحة على تسمية الجزيرتين وخضوعهما للاستتارية في رودس • عاما بأن حنا لاستيك أعطى
 موافقته على أمل أن هذه المعاهدة الخلسة مع فانتينو كويريني • أن لم تومي إلى عقد معاهدة
 عامة للصلح بين الاستتارية والسلطان يحقق • فهي على الأقل تزيح عن كاهل هيئة الاستتارية
 عبء الدفاع عن جزيرتي لانجو ونيسروس في الحرب ضد السلطان •
 (١)

أما عن جزيرة قبرص فقد سلك السلطان يحقق لمزلها عن رودس طريقا آخر • فقد علم
 ١٤٤٣ أعلن يحقق عن إمكان قيام سلم بينه وبين الاستتارية في رودس • إذا توصل الطرفان
 إلى اتفاق بشأن شكوى السلطان من أن الاستتارية يتدخلون في تجارة قبرص على حساب رعاياه
 القبارصة • ومن ثم أرسل السيد الأكبر • حنا لاستيك • في أواخر إبريل عام ١٤٤٣ • السفير
 حنا مارزاناك J. de marsanac • نائب الأمر على الأمير الكبير في قبرص •
 صحة هدايا وكثير من أسرى المسلمين إلى مصر للتفاهم مع يحقق في أمر الصلح • غير أن

للمطعونين هذا السفير والسلطان يجمع لم تسفر عن نتيجة سوى اتفاق الطرفين على حيا
قبرص في النزاع المسلح بين الممالك رودس * وقد صدق السيد الكبير ، حنا لاستميك ،
على هذا الاتفاق ، بعد عودة السفير حنا ماراثاك الى رودس ، ثم تولى البندقى حنسا
ديلفينو J. Delfino مهنة توصيل تصديق حنا لاستميك الى جقمق في مصر .^(١)

وكان السلطان جقمق ، في غضون ذلك ، قد استكمل اعداد الحملة * وعندما أقلمت
هذه الحملة من دسباط ، في ١١ أغسطس عام ١٤٤٣ ، كانت قوتها من السفن ، ثمانين
سفينة مختلفة الانواع والاحجام ، عدا الزوارق ، ومن المقاتلين ، ما بين ألف ، وألف
وخمسة مائة من الممالك السلطانية ، وعدد كبير من المطوعين ، بقيادة الدوادار الكبير^(٢)

(١) أنظر : Hill III, PP. 516-517

وقد ذكر فاروشون (Farochon, F. 107) ، بصورة مقضية ، أن حنسا
لاستميك عقد معاهدة مع السلطان نمت على حيا قبرص .
أما قرنو (Vertot II, p. 423) ، دكتور زيادة^{p. 191} Foreign Relations, فقد ذكر بأن السلطان عقد معاهدة مع الملك القبرصى حنا الثانى تمت على حيا
جزيرة قبرص بين رودس ومصر .

ومن ناحية أخرى جاء في كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوى (ص ٦١) ،
٦٢) أن السلطان أمر بحبس الفرنج القادمين من رودس لطلب المبادلة * ومعهم
نقدمة وأسرا من المسلمين ، فحبسوا بالمقشرة ، حسب أولى الجرائم ، وهم ينف على
عشرين نفسا ، وكان السلطان فهم منهم المخادعة لكونهم أحصوا بالتجهيز اليهم *
ويبدو أن سفير رودس فوجى في القاهرة بأن السلطان يعرض عليه الموافقة على حيا
قبرص وليس الصلح مع رودس ، فرفض عرض السلطان ، ولم يقبله الا بعد أن أمضى فترة
في السجن .

(٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٢ - ٦٣

ابن حجر : انباء الفجر ح ٢ ص ٨٠٢ - ٨٠٤

المعنى : عقد الجمان ح ٢٨ ص ٤٧١ (لم يذكر عدد السفن ، وذكر أن عدد
الممالك السلطانية في الحملة أكثر من ألف مملوك) .

ابن العلاء ، المعروف بالاجروء ، الذى أصبح فيها بعد سلطانا على مصر ، بمساعدة راس
 النوبة الكبير نمرهاى ، فى قيادة الاسطول فقط . وقد هم اسطول الحملة ، فورا قلاعه مسن
 دماط ، فطر مدبلة بيروت لاصطحاب قوة من جند الشام تقرا اشتراكها فى الحملة . غير أن
 العواصف أخرت وصوله الى بيروت ، كما عزلت خمس عشرة سفينة من سفله ، منها سفينة نمرهاى ،
 قائد الاسطول ودفعتها الى ميناء طرابلس بدلا من بيروت . وعندما استبطائه قوة الشام ،
 أفلتت من بيروت ، فى خمس عشرة سفينة ، وسبقته الى جزيرة قبرص . ولم تلبث سفن اسطول
 مصر أن أفلتت بدورها من بيروت وطرابلس ، كل مجموعة منها على حدة ، من غير علم الاخرى ،
 واتخذت طريقها الى قبرص ، حيث التأم شملها على الملاحة ، ^(١) بالقرب من لارناكا Larnaka ^(٢)
 ولكنها لم تجتمع مع سفن الشام ، الخمس عشرة ، الا بعد وصولها - أى سفن مصر - الى ميناء
 ليهاسول (المسمون) قادمة من لارناكا . ^(٣) ولم تلبث العمارة باكملها أن رحلت عن ليهاسول
 الى قرية قرية من يافوس (الباف) ، حيث شردت بمحاجتها من العتوة ، ثم أفلتت عنها فى
 ظروف جوية سيئة ، حيث الريح كانت ساكنة ، وشرفت فى طريق رودس ، مارة بالموانى التركية
 الصديقة ، الواقعة على الساحل الجنوبي لاسيا الصغرى ، العلاما فأنطاليا فقيصكا ، الى ان
 وصلت الى جزيرة قشتل الروح ، الخاضعة للاسبانية فى رودس ، فى ٧ أكتوبر عام ١٤٤٣ ،
 فأحاطها المصرون وهدموا حصنها ، وخرّبوها تخريبها شاملا عبر عنه المؤرخ المعاصر ابن حجر
 بقوله " ولم يبق فى تلك الجزيرة ديار ولا نافع نار " ^(٤) . وكان فى لية الحملة بعد ذلك
 مواصلة السير الى رودس ، ولكن حطرت فصل الشتاء حصل العسكر على التفكير فى تفضية الشتاء ،
 كما يقول السخاوى " بهلاد الروم ، فسرقهم عنه صارف ، فاقضى رايهم التزول بجزيرة قبرص ،

(١) ابن حجر : انبا الفخر ج ٢ ص ٨٠٢ - ٨٠٣

السخاوى : التبر الصبوك ص ٦٣
 (٢) أنظر :

Ziada, P.192

(٣) ابن حجر : انبا الفخر ج ٢ ص ٨٠٤

(٤) انبا حجر : انبا الفخر ج ٢ ص ٨٠٤ - ٨١٠

فلم يهبط لهم ذلك ، بل توغلوا في جزائر الفرج ، وصفت عليهم للريح والأمطار ، ودخل
الشنا ، فاجتمعت الآراء على العودة الى الديار المصرية ، خوفاً من هيجان البحر ،
وعدم موافقة الرياح ^(١) . وفي الحقيقة لقد منعت عواصف البحر سفن الاساطيل من الوصول
الى مصر مجمعة ، ولكن وصل بعضها الى دمياط ، والبعض الآخر الى الاسكندرية ،
وأكثرها الى رشيد ، ولم تجتمع الا عند وصولها ، من هذه السوانى ، الى بولاق ، ففى
٢١ ديسمبر سنة ١٤٤٣ . ^(٢)

هذا ما حدث للحملة الثانية التى أعدها السلطان جقمق من أجل احتلال جزيرة رودس ،
فلم تحتل سوى جزيرة صغيرة خاضعة لرودس هى جزيرة قشتيل الريح ، وكان احتلالها هو
كل حصيلة الحملة الى جانب ما تبين ، أو ما تبين عشرة من الاسرى ، منهم متون رجسلا
لقط ، والهاقون من الشيخ والنساء والأطفال ، جلبهم الجند معهم من هذه الجزيرة ،
علما بأن عدد القتلى بين هؤلاء الجند أمام قشتيل الريح كان ثلاثون قتلاً خلا الجرحى
وعدد هم كثير ^(٣) .

ويجدر التنويه هنا بأن الهابا يوجين الرابع ، كان قد علم بأمر اعداد هذه الحملة
القاسية ، قبل خروجها من مصر . ومن ثم فكر فى اعداد أسطول يابى على لفته الخاصة
للدفاع عن جزيرة رودس ، وغيرها من مراكز المسيحية فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط .
وأصدر بالفعل ، فى شهر يناير عام ١٤٤٤ ، منشورا يابها أعلن فيه وقوع اختباره على
الكارد بنال فرانيسكو دى سانت كليمنت

Franciscum Di S. clemente

- (١) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤
- (٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤ — ٦٥
- أين حجر : انباء الفجر ح ٢ ص ٨١٢
- السيوطى : غزوات قبيل رودس ص ١٥
- (٣) أين حجر : انباء الفجر ح ٢ ص ٨١٠
- السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤
- المعنى : عقد الجمان ح ٢٨ ص ٤٧٣
- (٤) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٤
- أين حجر : انباء الفجر ح ٢ ص ٨١٠

لقيادة هذا الاسطول^(١) وفي نفس الشهر أصدر وثيقة أخرى بتعيين للمعمودوقس ، حامل لقب بطريرك الاسكندرية ، رئيسا لحلف مسيحي ضد المسلمين ، وقاصدا رسولا في جزيرة رودس وقبرص ، مع تكليفه بمهمة الدفاع عن هاتين الجزيرتين ضد أي أعداء إسلامي عليها^(٢) .
غير أن جهود البابا يوجين الرابع ، بشأن اعداد الاسطول البابوي ، وتأليف العصبة المسيحية ، لم تنمض - على الأرجح - عن شيء أكثر من اصدار هذه المنشور البابوي .
على أن هذا في هذا الاتجاه يعكس ، بصورة واضحة ، ما كان عليه البابا ، ومن وراءه الاسبتارية ، من دعر شديد بسبب تحركات المماليك ضد جزيرة رودس .

ومن ناحية أخرى فإن الاسبتارية ، عندما وصلت اليهم الانباء بما انتهت اليه الحملة الملكية الثانية ضدهم ، وما كان يقوم به السلطان لتحقيق من استعدادات ضخمة لانتفاذ حملة ثالثة الى جزيرة رودس ، اتصلوا بالبابا يوجين الرابع ، فأصدر ، بناء على رغبتهم ، منشورا بابويا خاصا ، في شهر ابريل عام ١٤٤٤ ، حث فيه رؤساء بيوت الاسبتارية وفرسان الاسبتارية في الخارج ، على أن يجمعوا ، بأقصى سرعة ، الاسلحة والمقاتلين الى جزيرة رودس للمساعدة في تعزيز وسائل الدفاع عنها ، ومن الجزر الخاضعة لها في بحر ايجه ، ضد اسطول سلطان مصر الذي يتهددها^(٣) .

أما عن السلطان فحقق فقد جيز حملته الثالثة بقوة من المماليك السلطانية تتألف من أكثر من ألف وخمسمائة مملوك ، وهو - كما يقول السخاوي - " عدد كثير أزيد منه في التي قبلها " ، الى جانب عدد كبير انضم اليها من السطوحيين^(٤) . واختار تحقيق قاعدتي الحملة السابقة لقيادة هذه الحملة أيضا ، وهما امثال العلائي ، والدوا دار الكبير ، للقيادة العليا ، أو - كما يقول

(١) أنظر : Pauli II, PP.126-127 num. CVI

(٢) أنظر : Ibid: Op.Cit., T.II, PP.127-128, num CVII.

(٣) أنظر : Ibid, OP.Cit, T.II, P.125, num. CV.

(٤) السخاوي : التبر المملوك ص ٨٨

بحر مع أسطول الاستتارية ، قد تحلى بيته ومن انزال قوائمه على البر . وقد نهب المصريون المنطقة التي نزلوا فيها ، ثم تقدموا شمالا ، بأقصى سرعة ، على أحد الطرق التي عدها الاستتارية داخل الجزيرة ، إلى أن وصلوا إلى العاصمة رودس في أقصى شمال الجزيرة ، فحاصروها من جهة البر ، على حين حاصرها الأسطول من جهة البحر .^(١)

وقد ظل الحصار ستة أسابيع .^(٢) وفي بدايته استطاعت فرقة ملوكية ، تعززها المدفعية الثقيلة ، أن تقيم لها معسكرا حول كنيسة القديس أنطوان ، الواقعة في مواجهة برج القديس نقولا ، من ناحية الغرب . وأن تعطر هذا البرج ، والجانب من السور القريب منه ، بوابل من طلقات مدافعها . وعندما أخذ القصف يحدث صدوا خطيرة في ستارة أبراج السور في المنطقة الممتدة من برج القديس بطرس إلى ميناء الأغربة ، المعروف باسم المانديراكي ، اضطر السيد الكبير حنا لاستئجار إلى أن يهدر الأمر بالهجوم على المعسكر الملوكي المصري الذي تسببت مدافعها في أحداث هذه التصدعات ، وهو المعسكر الواقع حول كنيسة القديس أنطوان . ونا ، على هذا الأمر ، خرجت ، في صبيحة يوم ٢٤ أغسطس ، عند شروق الشمس ، جميع قوات الاستتارية التي أمكن حشدتها في برج القديس نقولا - ومن ضمنها مجموعة المقاتلين البرمانيين والقطالونيين التي تصادف وجودها في رودس ، عند وقوع هذه المدينة تحت الحصار الملوكي ، وعززها السيد الكبير حنا لاستئجار حامية برج القديس نقولا - خرجت من بوابل القديس بطرس والقديس نقولا يهدو ، وفتت المعسكر الملوكي فتسببت معظم أفرادها ، بحيث لم ينج من القتل منهم سوى قلة ألفت بنفسها في ماء البحر والتقطتها السفن المصرية .^(٣)

(١) أنظر :

Farochon, P.108

(٢) أنظر :

Farochon: Loc. Cit.

وجاء في (Hammer III, P.275) بأن الحصار دام اثني وأربعين يوما .

Biliotti, P.216

(Vertot II, P.424) ،

فقد ذكرها أنه دام أربعين يوما .

(٣) أنظر :

De Belabre, P.28

وقد أشار كل من السخاوي (التبر المسبوك ص ٨٨ - ٨٩) ، وأبي المحاسن (النجوم الزاهرة ج ٧ طبعت كاليفورنيا ص ١٢٥ - ١٢٦) إلى هذا الحادث . ومقتضى رواية أبي المحاسن قل في هذا الحادث أكثر من عشرين نفسا .

في نحو ذلك الوقت حاول اسطول الاسبتارية^(١) هفت السفن المصرية في البحر أمام
المناء ، فبر أن محاولته هامت بالفشل بسبب بقظة الأمير بلخجا^(٢) الذي علمه چقچق قائدا
للاسطول بعد أن طلب تعريهاى اغنامه من القيام بهذه المهمة عندما همت الحملة بالخروج
من مصر .^(٣)

على أن حادث مذبحة كنيسة القديس انطون ، قد أثر تأثيرا فسيما في نفوس المماليك .
ثم ان المماليك أصابهم الوهن بسبب مجزهم عن اقتحام أسوار المدينة أو النيل منه
بعد الفهم ، وسبب كثرة من أصيب منهم نتيجة القصف العنيف الذي تعرضوا له في سفنهم

(١) مقتضى رواية فاروشون ص ١٠٩ فان سجلات الاسبتارية أشارت الى أن أسطول الاسبتارية
كان معدا للمعركة اعدادا جيدا ، وأن سبع سفن ، على الأقل ، قد انضمت اليه مسن
الخارج بحيث قدم كل من حاكم جزيرة لانجو ، فاتينوكهرينى ، وقائد حصن لندوس ،
الواقع على الساحل الشرقى لجزيرة رودس ، والصقلى أنجيلودى ليونى Angelo de leone
والبرغندسالى حثا كافايون J. de Cavaillon والكلايان ، يعقوب دى ثيلاراجوت
Jacques de Vilaragut وجراسيان دى مؤسيرات gracion de monserrat
والفرنسى جود فرى ليرمان Godefroy lerment ، والمورقى فرديناندى
برتران Hernando Bertran واحدة من هذه السفن السبع . وقد أنفاد
دكتور احمد دراج (المماليك والفرنج ص ٥٨) بأن السلطان چقچق بعد حملة ١٤٤٤
صب انتقامه على تجار الكتلان بالاسكندرية بسبب اشتراك سفنهم فى الدفاع عن رودس ضد
هذه الحملة . وجاء فى نفس المرجع (ص ٧٤) أن دوق برغنديه ، فيليب الطيب ،
أرسل خطابا الى ملك فرنسا ، شارك السابج ، فى مايو عام ١٤٥٢ ، على يد أسقف مدينة
شالون ، جاء فيه أن سفن برغنديه قامت بدور فى احباط حملة عام ١٤٤٤ المملوكية
على رودس .

(٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٨٨ ، أبو المعاصن : النجم الزاهرة ج ٧ (طبعه
كاليفورنيا) ص ١٣٤ .

(٣) السيوطى : غزوات قبرص ورودى ص ١٥

من مدافع أبراج الميناء وخاصة برج القدس نقولا . وعندما جاءت أحوال الحملة كتب الواظ
السيد نهر الدين على الكردي المعروف بالقصير ، وكان مصاحبا للحملة ، إلى السلطان
يقيم شرح له الموقف ، فأرسل السلطان اليهم مددا مؤثقا من أن يحمله أو خمسة من
المالكة ، بقيادة الأمير شاد بك ، رأس نوبة . ولكن قبل أن يصل المدد إلى رودس ،
كانت الحملة قد رفعت الحصار عنها ، بعد أن هُتبت من أحرار النصر وأوشك موسم الصيف
على الانتهاء ، ورجعت إلى الاسكندرية ودمياط ، ثم إلى بولاق ، وتلتها بعد ذلك
بقليل الفرقة التي كانت قد أرسلت مددا للحملة . وقد عرف أن الحملة الثالثة على رودس
تهدت خسائر فادحة في الأرواح بلغت أكثر من ثلثائة قتلى وأكثر من خمسمائة جريح ،
بخلاف من لجأ من المالكة إلى معسكر الاسبتارية حيث اعتنقوا الدين المسيحي ، ومنهم
مهادر الترجمان^(١) الذي عرف أنه رجع ، بعد ارتداده ، إلى اسمه القديم ، أنطونان ،
الذي كان يحمله قبل أن يدخل في خدمة المالكة ، وأنه حارب في صفوف الاسبتارية بنفس
العجاجة التي حارب بها ضدهم قبل لجوئهم إلى معسكرهم ، فلما رفع الحصار عن رودس عين
له السيد الكبير ، حظا لاستيكت ، معاشا منها مقداره مائة وخمسون فلورنتيا ، يدفع لـ
على حساب شعبة الاسبتارية في مسينا بجزيرة صقلية^(٢) .

وبما يكن من أمر وقائع الحملة المملوكية الثالثة على رودس ، فقد انتهت - شأنها
شأن الحملتين الأولى والثانية - إلى فشل . وما أن عادت هذه الحملة إلى مصر حتى بعث
السيد الكبير ، حظا لاستيكت ، يابن أخيه ولهم لاستيكت ، في رحلة إلى الغرب لينبئ^(٣) البابا
بوجين الرابع ، وحكام أوروبا ، بنصر الاسبتارية على المالكة ، ويطلب منهم إرسال النجدة
لصد محاولة مملوكية أخرى متوقعة ضد رودس . وتجهة لعمى ولهم لاستيكت وتعزيرا لـ ،

(١) المسخاي : التبر المسهوك ص ٨٩

العيني : عقد الجمان ح ٢٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣

المسوطي : غزوات قبرص ورودس ص ١٦

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

أصدر البابا يوجين الرابع في ٢٨ ديسمبر عام ١٤٤٤ ، منشورا بابيا أشاد فيه بمسالة
الاستنارية في الدفاع عن جزيرة رودس ، وحث ملوك وأمرأ أوروبا على عدم حجب جيوشهم
عن مساعدة هذه الجزيرة ، لأن سقوطها في يد المسلمين ، في رأيه ، سوف يفتح الطريق
أمام هؤلاء المسلمين لغزو المسيحية حتى إيطاليا ، وختم البابا منشوره بأن أعلن عن عزمه
على إرسال أسطول انقاذ الى جزيرة رودس من هم أعداءه على حساب البابوية .^(١)

على أن السيد الكبير ، حنا لاستيك ، لم يلبث ، في صيف عام ١٤٤٥ ، أن تلقى من
ابن أخيه ، ولیم لاستيك ، أنباء بفشل مهمته في أوروبا ، بسبب انشغال ملوكها وأمراءها
في شاراتهم الداخلية القائمة فيما بينهم ، فضلا عن ضعف الروح الصليبية ، على وجه
العموم ، لدى هؤلاء الملوك والأمراء ، واتهم ولیم لاستيك بأن نصحه به بأن ترتب هيئة
الاستنارية أمورها على قاعدة أن تعتمد اعتمادا كليا على قواتها الخاصة .^(٢) ومن ناحية أخرى
قدم البابا يوجين الرابع نصاحه للاستنارية بأن يتولوا بأنفسهم تسوية أمورهم مع سلطان مصر .^(٣)

وكان أن وسط السيد الكبير ، حنا لاستيك ، التاجر الفرنسي ، صاحب الشهرة
العالمية ، جاك كير Jacques Coeur ، لمفاوضة السلطان چقق - السدي
تمهيطه بهذا التاجر صلات طيبة في أمر الصلح . وبعد أن استأذن جاك كير ، الملك
الفرنسي شارل السابع ، أرسل أحد عماله الى السلطان چقق ، صحة قاصد استناري
فلهرنسي الاصل ، اسمه برناردو سالتياني Bernardo Salviati ، فتم على يديهما عقد
الصلح معه (عام ١٤٤٥) ، ومن ثم رجع القاصد الاستناري الى رودس صحة عدد كبير
من الاسرى والعبيد المسيحيين دفعهم اليه چقق عربونا للصدقة .^(٤) وقد أصدر السيد

(١) أنظر :

Farochon, P.109

(٢) أنظر :

Vertot II, PP.425 -426; Biliotti, P.216

(٣) أنظر :

Ziada:, P.201

(٤) أنظر :

Vertot II, PP.426 -427; Biliotti, PP.216-217

Lane -Poole: A Hist. of Egypt in the middle Ages, P.339

وخصوصا اسم القاصد الاستناري ارجع الى : Pauli II, P.129, num. CIX.

الكبير ، حنا لاستيك ، فى ٨ فبراير عام ١٤٤٦ أمرا الى مقدم جمعية الاستنارية فى سان جيل ،
وسراف طاوافة بروتانس ، وهى احدى الطوائف التى تتألف منها هيئة الاستنارية ، بأن يمددا
للتاجر الفرنسى چاك كير جميع المبالغ التى تكلفها بسبب قيامه بالوساطة .^(١) أما القاصد الاستنارى ،
برناردوسالقيانى ، فقد كافأه حنا لاستيك ، على ما قام به من مجهود فى الدفاع عن رود من أشلاء
وقومها تحت الحصار السلوكى ، وفى التفاوض مع السلطان چمق ، بعد رفع هذا الحصار ، الذى
أن حصل منه على صلح مشرف لهيئة الاستنارية ، بأن سمح له - فى وثيقة خاصة أصدرها حنا
لاستيك ، فى ٤ نوفمبر عام ١٤٤٨ ، بأن يضم أسلحة (شاربات) السيد الكبير لهيئة الاستنارية
الى مجموعة الأسلحة الخاصة بحافته الفلورنسية .^(٢)

أما عن العلاقات بين الاستنارية وسلطنة الممالك الجراكمة ، فقد خيم عليها الهدوء ،
بفضل صلح عام ١٤٤٥ ، الى أن اعترى هذه العلاقات التوتر - من جديد - فى عام ١٤٦٠ ،
بسبب تأييد الاستنارية للاميرة القبرصية شارلوت لوزجنان - وهى ابنة الملك حنا الثانى ، الذى
تولى فى عام ١٤٥٨ ، وصاحبة الحق الشرعى فى وراثته - فى صراعها على عرش جزيرة قبرص ،
ضد أخيها يعقوب لوزجنان - وهو ابن غير شرعى للملك حنا الثانى وأصغر من شارلوت - الذى
وصل الى القاهرة ، فى عام ١٤٥٩ واستنصر الممالك فناصروه .^(٣)

(١) أنظر : Vertot II, P.427 ; Biliotti, P.417

لقد حصل چاك كير ، من وراء هذه الوساطة ، على قاعدة لوطنه فرنسا . وذلك أنه ، فى
عام ١٤٤٧ ، زار القاهرة صجة أسلحة فاخرة من النوع الذى تشمله التحريمات الباهية ،
فاستقبله السلطان چمق استقبالا حافلا ، ورد له الجمل بأن اتفق معه على أن يلقى
التجار الفرنسيون معاملة خاصة فى بلاد السلطان ، وزوده بهدايا ثمينة للملك الفرنسى ،
شارل السابع ، تشتمل على بلسم فاخر ، وخمف صينى ، وزنجبيل أخضر ، وسكر ، ولوز ،
وهيد -

De La Ronciere II , P.280

Pauli II, P.L29, num. ClX

(٢) أنظر :

(٢) دكتور سميد عهد الفتح عاشر : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٢

وذلك أنه في عام ١٤٦٠ أرسل السيد الكبير للاسبتارية ، الحاكم آنذاك في رودس ،
وهو يعقوب دى ميللى (١٤٥٤ - ١٤٦١) ، خليفة حنا لاستيك ، سفيراً الى القاهرة ،
اسمه حنك دلفن ، لتعزز مركز سفير قبرص ، اسمه بطرس بود وكاتارو (P. Podocataro)
أرسلته الى القاهرة ، الملكة الشرعية شارلوت ، وزوجها لويس أمير مافري ، للحصول على
اعتراف السلطان المملوكى الحاكم وقتذاك ، وهو السلطان ابنال ، بحكومتها في قبرص ،
ولمحاولة انتزاعه عن منح تأييده العسكرى للدعى يعقوب لهيتمان ، أخى شارلوت . وكان على
السفير الاسبتارى دلفن - بمقتضى التعليمات التى ملئها السيد الكبير للاسبتارية اليه -
أن يتصل ، فمروصوله الى القاهرة ، بالمندعولىم جونيم Goneme ، مستشار
الدعى يعقوب وشخص آخر من حاشية الدعى اسمه جانوسوسا القيانى Giannozzo salviati
للتعرف منهما على مخططات ، أولويات ، الدعى فيتمسق خطواته على هديها ، وعليه أيضاً
أن يبحث السلطان بقوة على أن يتزوج سياسة من شأنها المحافظة على السلام في جزيرة
قبرص ، فإذا وجد بأن ميل السلطان تنجه الى السلام ، فإن على السفير الاسبتارى أن يبحث
سفير شارلوت على التعجيل الى التفاهم مع السلطان ، أما اذا انتزع له - أى للسفير
الاسبتارى - بأن السلطان عازم على ارسال الدعى يعقوب لوزجنان الى قبرص ، واعطائه
عرش أخيه شارلوت بالقوة ، عليه ، في هذه الحالة ، أن يطلب من السلطان أمالاً من أجل
أمالك الاسبتارية في جزيرة قبرص .^(١) وقد عرف عن سفير الاسبتارية ، حنك دلفن ، عند وصوله
الى القاهرة ، أنه صدق ، لدى السلطان ابنال ، على عرض قدمه بهيوت شارلوت وزوجها
لويس ، مضمونه أنه اذا اعترف السلطان بوليس ملكاً على قبرص ، يرفع لويس الجزية المقررة على
الجزيرة من خمسة آلاف الى عشرة آلاف دوكات ، ويرتب مثلها معاشاً ليعقوب لوزجنان ،
فضلاً عن مبلغ ثلاثين ألف دوكات تدفع للسلطان نظير مساعدته وتأييده . كما أن دلفن حاول
أن يكسب تأييد السلطان - من ناحية أخرى - عن طريق التهديد بالعقاب من جانب
أمها ، التى أكد له بأنها سوف لن تتخلى عن لويس وزوجته شارلوت .^(٢) ولا يستبعد أن

يكون لتدخل سفير الاستتارية أثر عندما غير السلطان رأيه بحيث أصبح يميل إلى تأييد شارلوت وزوجها ، بعد أن كان قبلاً يؤيد الديي يعقوب ^(١) . غير أن تدخل معظم المالكة الأجانب - الذين استمالهم يعقوب عن طريق أحمد ، ابن السلطان ، وبعض الوزراء - وربما أيضاً تدخل السلطان العثماني فمحمّد الثاني - الذي قيل بأنه أرسل خطابها لاينال يطلب فيه منه أن يؤيد يعقوب - ^(٢) أدى في النهاية إلى أن يعود اينال إلى تأييد يعقوب ^(٣) . كما أن اينال ومالكة قهضوا على جميع سفراء شارلوت وزوجها لويس ، ودفعوا بهم إلى يد يعقوب ، فاقادهم معه إلى قبرص التي وصل إليها ، في ١٨ سبتمبر عام ١٤٦٠ ، في حى أسطول ملكى يتألف من ثمانين سفينة مختلفة الأنواع والأحجام ، وقوة عسكرية قوامها أكثر من خمسمائة ملوك - مثلاً المظلمين - بقيادة الأمير هونس الأقباشي ^(٤) . أما سفير الاستتارية حينئذ دلفن فقد احتجز سجيناً في مصر إلى أن توفي بها ^(٥) . وقد رد الاستتارية على أسردلفن بالقبح على ثلاثة تجار مسلمين أغنياً ، تصادف وجودهم آنذاك في رودس ، ووضع اليد على سفنهم ^(٦) . غير أن الاستتارية ، مع ذلك ، أرادت أن يضمنوا سلامة أملاكهم في قبرص ، ومن ثم أرسل السيد الكبير يعقوب دى ميللى ، في ١٨ أكتوبر عام ١٤٦٠ ، إلى بعد شهر من وصول يعقوب

(١) تكلم أبوالمحسن (النجوم الزاهرة ج ٧ طبعة كاليفورنيا ص ٥٣٧) عن وصول وفد إلى القاهرة " من ملوك الفرنج وأهل قبرص " ، وأن القائد ميسون الفرنج على قسمين ، فرقة تسأل أملاً ملكة قبرص على الملكة ، وفرقة تسأل عزلها وتولية أخيها جاكم . غير أن أبا المحاسن لم يذكر شيئاً عن وصول سفير الاستتارية ضمن هذا الوفد .

(٢) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٣ - ١٢٤

(٣) أنظر :

Biliotti, PP. 226 - 227

(٤) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٤

(٥) أنظر :

Hill III, PP. 556 - 557

(٦) أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ج ٧ طبعة كاليفورنيا ص ٥٤٨ - ٥٤٩

ودكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٢٤

(٧) أنظر :

Hill III, P. 557 - note 1; Biliotti, P. 227

(٨) أنظر :

Hill III, P. 557 note 1

لورجنان الى قبرص ، بتعليمات الى نائب قائد قلعة الاسبتارية في كولومبي بقبرص ، ونسرو
 وليم دي كومبورت G. de Combort ، نقضى منه بمخدم تسليم قلعة له يعقوب
 اول مقدم الفرقة السلوكية التي تحصى يعقوب في قبرص ، اذا طلب منه أحدهما تسليمها له ،
 مع التهامهما بأن السلطان ايتال أعطى وعدا بالأمان لسفير الاسبتارية في القاهرة ، حثا
 دلفن ، لصالح أملاك الاسبتارية في جزيرة قبرص^(١) ومن ناحية أخرى حذر السيد الكبير
 للاسبتارية ، في نفس اليوم - ١٨ أكتوبر ١٤٦٠ - رسالة باللغة العربية الى مقدم القوة
 السلوكية في قبرص ، طلب فيها منه أن يوافق في تبرعاته وعد السلطان لسفير دلفن
 بالأمان لأملاك الاسبتارية في قبرص ، وأوصى السيد الكبير حامل هذه الرسالة للسفير
 الملكي أن يبلغه بأن عيثة الاسبتارية ، اذا كانت تروا زواج شارلوت ، فهي
 مضطرة الى ذلك خوفا على أملاكها في بلاده ماقوى ، وفي دول أخرى المؤيدة له^(٢)
 على أن الاسبتاري كانوا - بالرغم من ذلك - يشعرون بأن السلطان سوف لن
 يتركهم من غير عقاب على تدخلهم ضد سياسته في قبرص ، وعلى تجرؤهم على أمر التجار
 المسلمين الثلاثة في رودس . ونتج من رسالة السيد الكبير ، يعقوب دي ميللي ،
 في ٦ نوفمبر سنة ١٤٦٠ ، الى مقدمي شعب الاسبتارية في أوروبا ، بأن الاسبتارية
 كانوا يتوقعون أن يهاجم السلطان جزيرتهم رودس في فصل الربيع من العام التالي -
 أي في عام ١٤٦١^(٣) . فلما حل هذا الفصل وانصرم ، رأى يعقوب دي ميللي أن يمتدح من
 السلطنة السلوكية ، وخاصة أن السلطان ايتال توفي في ٢٦ فبراير عام ١٤٦١ ، وحصل

Mas-Latrie III, PP. 107-108

Ibid: Op. Cit., T. III, P. 106 n. 3.

Hill III, PP. 569-570

وقد نشرها من لاتري (Mas-Latrie III, PP. 108) الرسالة الموجبة

الى قسطنطين أمبوستا .

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

محله سلطان آخر ، هو ابنه الملك المؤيد أحمد بن اينال ^(١) وكان أن كلف السيد

الكبير للاستشارة في ٢٢ يونية عام ١٤٦١ ، تاجرا قطلونيا اسمه بارثولميو باريت

Barthelemy de Parete بأن يتوجه الى مدينة الاسكندرية حيث يسلم

خطاها ، ووده بها ، للسفير الاستشاري ، حلا دلفن ، المضجرفي هذه المدينة ،

ثم يرحل عنها الى القاهرة فيقدم للسلطان احتجاجا على أسر دلفن وسوء معاملته

بالرغم من كونه سفيرا ، وإذا رأى بأن الظرف مناسب يدعو السلطان الى إعادة شارلوت

الى كرمى السلطنة في قبرص ^(٢) غير أن هذه السفارة قد فشلت ، ولا شك ، فسي

الوصول الى أي تفاهم مع السلطان المملوكي الذي تفاوض معه التاجر القطلوني ، وهو

السلطان خشقدم (١٤٦١ - ١٤٦٧) ، الذي تولى بعد أحمد بن اينال فسي

٢٦ يونية ١٤٦١ ^(٣) ودلائل فشلها ، ليس فقط أن دلفن ظل حتى وفاته في سجنه

بالاسكندرية ، وأن السلطنة المملوكية ظلت على تأييدها ليعقوب لوزجنان ، وهما

موضوعا السفارة ، ولكن أيضا أن الاستشارة انتهت فرصة جلوح مفيتين هندقيتين السى

ميناء رودس ، مضطرتين بسبب العواصف ، في عام ١٤٦٤ ، فاستولوا على شحلتيهما من بضائع

لمسلمين من رعايا خشقدم ، وأسروا أصحاب هذه البضائع ^(٤) وعندما رد السلطان

عليهم ، في نفس العام - أي في عام ١٤٦٤ - بتخريب أملاكهم في قبرص ^(٥) ، انتقموا

بأسر ثلاث سفن محملة ببضائع ، قيمتها زهاء مائة ألف دينار ، مملوكة لتجار مراكشيين ،

كانت مارة بجوار سواحل جزيرتهم وهي في الطريق من الاسكندرية الى مراكش (صيف عام

^(٦) ١٤٦٤)

Wiet: L(Egypte Arabe, P.586

(١) أنظر :

Mas - Latrie III, P.86

(٢) أنظر :

Wiet: OP. Cit., P.588

(٣) أنظر :

Hill III, PP. 592 - 593 ; Biliotti, PP. 228-230

(٤) أنظر :

Hill III, P.569 note 2

(٥) أنظر :

Ziada, P.202.

(٦) أنظر :

وفي الحقيقة ، لم يحاول الاستتار ، منذ ذلك الحين ، أن يصنوا علاقتهم
المتأزمة مع القاهرة ، إلا بعد أن هدد السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ -
١٤٨١) بفتح جزيرتهم رودس ، وسائر جزر بحر ايجه الخاضعة لهم . وقد رأى السيد
الكبير الحاكم في رودس وقتذاك ، وهو بطرس ديميسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، أن يبدل
محاولة دبلوماسية من شأنها عزل محمد الثاني عن دولة المماليك الجراكمة في مصر ،
بدولة بني حفص في تونس . وهما الدولتان الاسلاميتان الكبيرتان اللتان من المحتمل أن
تمنحا تأييدهما للسلطان العثماني محمد الثاني . عن طريق عقد معاهدة سلم وتجارة مع كل
منهما ، علما بأن آخر معاهدة عقدت مع المماليك يرجع تاريخها الى عام ١٤٤٥ ، ولم يسبق
للاستتار عقد معاهدات مع بني حفص .

ولم ينظر المماليك الجراكمة ، بعين الارتياح الى فتوحات السلطان العثماني ، محمد
الثاني ، في آسيا الصغرى ، على حدود دولتهم في الشمال ، بل كانوا يتظفرون الى هذه
الفتوحات بعين الحسد والخوف في آن واحد ، وخاصة لأن محمد الثاني استولى في عام
١٤٧١ على محميتهم امارة قرمان ^(١) ، وفي عام ١٤٧٢ على صديقتهم امارة العلايا ^(٢) ، ولأنه
كان دائم التدخل في شئون محميتهم الاخرى ، دلفادر ، وشجع أمراءها على الخروج عن
طاعة المماليك ^(٣) ، وهذه كلها أمور تشكل خطرا على المماليك أشد من خطر القرصنة التي
يمارسها الاستتار على سفنهم في عرض البحر .

وكان أن استجاب السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٦) ، لمسعى
السيد الكبير ، ديميسون ، فأرسل الى رودس قاصدا ملوكيا عقد ، في عام ١٤٧٧ ، معاهدة
مع ديميسون . وتقرر في هذه المعاهدة أن يكون لتجار وتجارة أي من الطرفين المتعاهدين ،

(١) دكتور محمد مصطفى صفوت : السلطان محمد القاتح ص ١٥٦

(٢) أنظر :

Gibbons: The Foundation, P.285; Hill III, P.623

(٣) دكتور ابراهيم علي طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكمة ص ١٢٦ - ١٣٤

حرية التنقل الآمن في موانئ وأسواق الطرف الآخر . وتعهد الاسبتارية ، فيها ، بعدم السماح لرجالهم بتسليح السفن ، في ميناء رودس ، وفي غيره من الموانئ الخاضعة لهم ، من أجل الحاق الأذى بالمسلمين من رعايا سلطان مصر ، وعدم السماح لرجالهم بمد يد المساعدة ، بالجند أو البحارة أو المرشدين الى القراصنة الأجانب العاملين ضد السلطان ورعاياه . وتعهد قاييتباي ، في مقابل ذلك ، بعدم توجيه أى أعمال عدوانية ضد دولة الاسبتارية ، واستقبال سفنهم ، استقبالا حسنا ، في جميع ثغور الدولة المملوكية ، فاذا احتاجت إحدى هذه السفن الى تعيين أو تسليح مدتها لها حاجتها ، وإذا كانت هذه السفينة قد جاءت لاجته ، بسبب مطاردة عدولها ، وفرت لها الحماية ، وإذا كانت قد جاءت جائحة قدمت لها الاغاثة . ووافق قاييتباي أيضا ، في هذه المعاهدة ، على أن يحتفظ السيد الكبير للاسبتارية بفنصل في مصر ، وأن يسمح لتجار رودس بفندق خاص مستقل بهم في مدينة الاسكندرية ، وأن تكون مدينة القاهرة مفتوحة دائما ليهؤلاء التجار . ووافق أيضا على ألا يؤخذ على بضائع الاسبتارية ، في موانئ دولته ، سوى الرسوم الجمركية المعتادة ، على أن يعفى النہيد ، الذى يحضره تجارهم معهم لاستعمالهم الخاص ، من هذه الرسوم . كما وافق على عدم فرض أية أعاء مالية ، كرسوم المرور مثلا ، على الاسبتارية ، أو رعاياهم ، الذين يقدون لفرض الحج الى دير القديسة كاترينا بسينا . أو الى سائر الأماكن المقدسة غنى فلسطين . واتفق أخيرا ، في هذه المعاهدة على أن تتم عملية تبادل الأسرى ، بين الطرفين المتعاهدين ، على قاعدة المساواة العددية ، أى أسير مسلم مقابل أسير مسيحي ، وذلك بخلاف العادة التى كان الجانب المملوكى يمسك بها ، من قبل ، وهى أن يطلق سراح أكبر عدد ممكن من الأسرى المسلمين مقابل إطلاق أقل عدد من الأسرى المسيحيين .^(١)

هذه هي أهم بنود معاهدة عام ١٤٧٧ بين الاسبتارية والمماليك . على أن هذه المعاهدة لغت بعد أربع سنوات فقط من عقدها ، أى فى عام ١٤٨١ ، بسبب اغارة سفن الاسبتارية ، فى ذلك العام ، على بحر موانئ مصر والشام ، رداً - بحسب ادعائهم - على اعتداءات قراصنة قايتباى على بعض سفنهم وجنودهم فى بحر ايجس (١) . ثم انتقام قايتباى لهذه الاغارة بأسر رعايا الاسبتارية من التجار الذين وجدتهم فى مدينة الاسكندرية وغيرها من المدن المملوكية . (٢)

وقد حدث فى نفس العام - أى فى عام ١٤٨١ - أن توفي السلطان العثماني محمد الثاني ، وخلفه ابنه بايزيد ، الذى فوجئ بمخرج أخيه چنم عليه ، (٤) ولجؤ هذا الاخ ، فى عام ١٤٨٢ ، الى جزيرة رودس ، مما اضطر بايزيد الثانى الى عقد صلات ود وصداقة مع السيد الكبير للاسبتارية ، بطريرك ديهيون ، حتى لا يسلبم الاسبتارية الأميرچم الى أحد أعداء الدولة العثمانية المسيحيين ، وعلى رأسهم ملك هنغاريا المدعو ماثياس كورفين Mathias Corvin ، فيستخدمه ضد بايزيد (٥)

وكان أن أثار هذا التقارب ، بين الاسبتارية والسلطان بايزيد الثانى ، القلق لدى السلطان المملوكى قايتباى - الذى كانت علاقته متأزمة مع الطرفين - (٦) ودفع به الى التفكير فى تحصين علاقته مع السيد الكبير للاسبتارية ، بطريرك ديهيون ، لسكى بأمن شره أثناء صراعه مع بايزيد الثانى ، من ناحية ، وبطاول اغراءه على أن يسلّم چنم اليه فيستخدمه ضد بايزيد الثانى ، من ناحية أخرى .

- | | |
|---|------------|
| Bouhours, P.115 | (١) أنظر : |
| Ibid: Op. Cit. PP. 147 - 148 | (٢) أنظر : |
| Thuasne , P.18 | (٣) أنظر : |
| Ibid, Op.Cit., PP. 31-34 | (٤) أنظر : |
| Ibid: Op. Cit., PP. 82 - 84 , 94 - 95 | (٥) أنظر : |
| Ibid: Op. Cit., P.120 ; Bouhours P. 147 | (٦) أنظر : |

وقد أرسل قايتباى الى جزيرة رودس ، فى عام ١٤٨٤ ، سفيرا صليوكيا ، اسمه
 دوان أغا Duan Aga ، جدد مع دهبسون صلح عام ١٤٧٧ (١) . وفى الرابع
 والعشرين من شهر مايو من العام التالى - أى فى عام ١٤٨٥ - وصل الى رودس مفسير
 مملوكى آخر من لدن قايتباى ، طلب من بطرس دهبسون أن يسلمه جم . وقد وعد
 دهبسون سفير قايتباى بإرسال قاصد اسبناى الى القاهرة ، فى أقرب وقت ، للوصول
 مع قايتباى الى اتفاق فى هذا الامر . وكان دهبسون ، وقتذاك ، ينتظر عودة سفيره
 من كبار الاسبناى ، أحد عما التركىلى قائد الخيالة حنا كندال J. Kendal
 والآخر مكوتير عام هيئة الاسبناى وليم كاورمين ، كان قد أرسلهما الى إيطاليا ،
 قبل شهر قليلة ، للتفاهم مع البابا أنوسنت الثامن (١٤٨٤ - ١٤٩٢) بشأن مصير
 جم . وقد عاد السفيران الى رودس فى ٢١ يولية عام ١٤٨٥ ، وأخيرا دهبسون - بأن
 كلا من البابا ، أنوسنت الثامن ، وملك نابلى ، فرديناند الاول ، طلب الأمير جم لنفسه .
 ومن ثم كان رد دهبسون على السلطان المملوكى قايتباى بأنه ليس فى مقدوره أن يسلم جم
 اليه ، لأن البابا - الذى لا يستطيع دهبسون أن يرفضه طلبا بحكم كونه رئيسا أعلى
 لهيئة الاسبناى ، التى يتولى فيها دهبسون منصب السيد الكبير الخاضع لأمر البابا -
 طلب الأمير جم لنفسه (٢) .

وكان أن انتهز قايتباى فرصة إرسال سفير له ، فى أواخر عام ١٤٨٧ ، الى جمهورية
 فلورنسا ، من أجل عقد معاهدة تجارية جديدة مع هذه الجمهورية ، فكلفه بأن يوسط
 رئيسها لورنزو ميدنشى ، لتبليغ البابا رسالة مضمونها أن قايتباى على استعداد لبذل
 مبلغ كبير من المال فى سبيل أن يسلم جم الى البابا ، لكى يدفعه ، الى ملك هنغاريا ،
 ماثياس كورقن ، أو ملك نابلى ، فرديناند الاول ، أو جمهورية البندقية ، أو أى عدو آخر

Thuasne , P.120; Bouhours, P.149

(١) أنظر :

Thuasne , PP. 133-134 ; Bouhours , P.152

(٢) أنظر :

للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، يستطيع أن يستخدم جم في منع بايزيد الثاني من أن يقوم بأي اعتداء على أي من الطرفين المسيحي الأروبي أو المملوكي ، ^(١) علما بأن السيد الكبير ، بطريرك ديهيسون ، كان قد عقد بالفعل ، في ١٣ فبراير عام ١٤٨٦ ، عن طريق سفيره في روما - وهما أمين الخزانة فيليب دي كلوي Ph. de Cluys والسكرتير العام وليم كأورسين - اتفاقية مع وكلاء البابا ، نصت على شروط تسليم جم للبابا - التي اشتمل احداها على تصريح باهوى لرعايا هيئة الاستشارة بالمناجزة مع مصر والشمام - ولكن تنفيذ هذه الاتفاقية كان متوقفا على أخذ موافقة ملك فرنسا ، شارل الثامن (١٤٨٣ - ١٤٩٨) ، الذي احتفظ بالاستشارة بالأمير جم سجيلا في إحدى بيوتهم بالدولة التي يحكمها هذا الملك ، فرنسا . ^(٢)

ولكن حدث في ربيع عام ١٤٨٨ أن نجحت قوات بايزيد الثاني قرب أدنه ، واستولت على قلعة أياص . ومن ثم سير قايتباي حملة ، بقيادة أريك بك ، أمير كبير ، لمحاربة هذه القوات . ^(٣) وأرسل ، في نفس الوقت ، سفيرا إلى جزيرة رودس ، هوريتشودي مانيسني Riccio de Marini ، أحد أشرف قبرص ، ^{فطلب} بمجرد وصوله إلى مدينة رودس العاصمة ، في ١٠ يونيو عام ١٤٨٨ ، من السيد الكبير ، بطريرك ديهيسون ومن مجلس الاستشارة ، أن تعقد رودس مع قايتباي محالفة ، وأن تسلم له الأمير جم ، لأن قايتباي يرى بأن ظهور هذا الأمير العثماني على رأس القوات المملوكية سوف يؤثر فسي معنويات الجند العثمانيين بما يضمن النصر للملوك . وقد رأى ديهيسون ، وأعضاء مجلس الاستشارة ، بأنهم لا يستطيعون تلبية رغبة قايتباي من غير أن يثيروا عليهم غضب البابا ، الذي يهدد جم لنفسه ، من ناحية ، وبعرضوا دولتهم في رودس للانتقام بايزيد الثاني ، من ناحية أخرى . غير أن السيد الكبير للاستشارة وأعضاء مجلسه ، أرادوا ، في الوقت نفسه ، عدم اغضاب قايتباي ، حيث روج الأمل فيه ، لكي يواصل الحرب ضد

هايزيد الثاني الى أن يهد أحدهما الآخر ، وهو ما ينعته الاستتارية أولا وأخيرا بحكم
روحهم الصليبية وطبيعتهم التعصبية ضد المسلمين . ومن ثم ردوا على سفير قايتباي
بأنهم لا يخططون لنوبة طلب سلطان الماليك في مصر إلا بعد أخذ موافقة البابا ،
وعدده بأنهم سوف يكتفون للبابا في هذا الشأن ، وأنهم سوف يتركون طلب قايتباي
لدهنه .^(١)

على أن المعركة بين قايتباي وهايزيد الثاني لم تنتظر نتيجة هذه المحاولة التي
عد دويسون بأن يقوم بها مع البابا ، إذ أن أسطول هايزيد الثاني ، بقيادة أحمد
باشا ، قهرب هايزيد ، لم يلبث أن هاجم القوات المملوكية التي يقودها أنك بك ، بمجرد
وصول هذه القوات الى ناحية باب الملك (اللادقية) ، ولكن " بعث ملك تمالى برح
عاصف ، ففرق غالب تلك المراكب في البحر المصح ، والذي فر من البحر ، من المعسكر
العثماني ، وطلع الى البر قتله المعسكر المصري ، وكانت النصر لهم على العثمانية ^(٢) .
وكان أن تشجع أنك بك ، فتقدم شمالا وهاجم في ١٥ أغسطس سنة ١٤٨٨ (٩ رمضان
٨٩٣ هـ) القوات العثمانية المجتمعة بالقرب من مدينة أنطارسوس ، واتصر عليها ، ثم
طاردها الى مدينة أدنة ، التي ظل أنك بك على حصارها الى أن ملكها بالانمان محمد
أكثر من ثلاثة شهور . ولم يلبث دويسون أن علم بنياً انتظار الجيش المملوكي على جيش
هايزيد الثاني ، عن طريق جواسيس الاستتارية في مدينة أدنة . كما أن السلطان المملوكي
قايتباي أرسل اليه سفيراً أبلغه بنصره على العثمانيين ، وطلب منه رأيه ووساطته فيما يتعلق
بمسألة مملوكية بعث بها قايتباي الى البابا في روما ، لمحاولة اقناعه بالموافقة على تسليم
جم للسلطان قايتباي .^(٤)

(١) أنظر :

Thuasne , P.199; Bouhours , PP.157-158

(٢) ابن اياس : هدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٢ ص ٢٥٣
وأنظر ايضاً :

Bouhours, P.159

(٣) ابن اياس : هدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٢ ص ٢٥٤

(٤) أنظر :

Bouhours, PP.159-160

وليس من المعروف رد السيد الكبير ، ديهيسون ، على سفير السلطان قايتباي .
ولكن من الثابت أن قايتباي ، عندما علم بأن الأمير جم قد سلم بالفعل إلى البابا ، ووصل
إلى مدينة روما ، في ١٢ مارس سنة ١٣٨٩^(١) ، أرسل إلى هذه المدينة - قبل ٨ مايو
١٤٨٩ - سفيراً ملكياً عرض على البابا رغبته في أن ينضم إلى عصبة أرومية ضد بايزيد
الثاني .^(٢) غير أن قايتباي لم يلبث أن أرسل إلى البابا مرة أخرى - عن طريق ملك
هناغاريا ، ماتياس كورفن - يعرض عليه أن يسلم له جم ، مقابل مبلغ مائة ألف قطعة ذهبية
من العملة المعروفة باسم إيكوس ، بدفعها قايتباي للبابا ، بالإضافة إلى مبلغ ستين ألف
قطعة من نفس العملة تدفع للبابا باسم أم الأمير جم .^(٣)

كان أن عين البابا ، أنوسنت الثامن ، مندوباً بابياً ، اسمه فيليب كانوڤي
Philippe de Canovi ، وكلفه بأن يتوجه إلى القاهرة للتفاوض مع السلطان قايتباي
في هذا الشأن . وتلقى التعليمات التي سلمها البابا للمندوب كانوڤي ، بأن يتوجه
أولاً إلى جزيرة رودس لمعطي السيد الكبير ، ديهيسون علماً بمعرض قايتباي للبابا ، وليطلب
منه ، باسم البابا ، بأن يفتح باب المفاوضات مع قايتباي بحول هذا الأمر ، على ألا يفتقد
معه اتفاقاً من غير أن يأخذ رأي البابا وأذنه . وكان كانوڤي مطالباً ، بمقتضى هذه
التعليمات ، بأن يؤكد لدهيسون بأن البابا قد فهم من عرض قايتباي ، بأن هذا
السلطان لا يقدم المبلغ المالي الكبير ، الذي تعهد بتقديمه ، لكي يصرف على المنافس
الشخصية للبابا ، بل على تجهيز أسطول وحشد جيش من أجل الحرب ضد بايزيد الثاني .
وطلب البابا أيضاً من كانوڤي ، في هذه التعليمات ، بأن يتصل به ، لأخذ رأيه ، إذا تأخر
دهيسون في إعطائه التعليمات الخاصة ، ودا أنه يريد أن يكسب وقتاً ، أو إذا جاء في
هذه التعليمات ما يتعارض مع صالح وشرف البابا . وجاء في تعليمات البابا لثانيه كانوڤي ،
أخيراً ، بأن يتصل بالفارس الاستبشاري الذي يدبر جزيرة لانجوا الخاضعة لهيئة الاستبشارية ،

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

Thuasne , F.227; Bouhours, PP.162-163

Thuasne PP. 242-243; Bouhours, P.163

Thuasne , P.254

وهو قريب للبابا ، ويتصرف وفق ما يراه هذا الفارس مناسبا .^(١)

على أن النائب البابوي ، فيليب كانوخي ، ما أن وصل الى القاهرة ، في صيف عام ١٤٨٩ ، حتى صرح بأن السيد الكبير للاستتارية ، بطرس ديهيسون ، لم يعد يملك سلطة التصرف في مصير الأمير العثماني جم ، وأن البابا أنوست الثامن أصبح يملك هذه السلطة وحده .^(٢) وربما كان كانوخي قد اضطر الى أن يدلي بهذا التصريح عندما قيل له في القاهرة بأن ديهيسون قد وعد بتسليم جم للسلطان قايتباي ، وأنه حصل من السلطان ، ومن ولده جم ، على مبلغ عشرين ألف دوكات من أجل أن يعد السفن اللازمة لنقل الأمير العثماني الى القاهرة ، وهو حدث وقع منذ عام ١٤٨٣ وظل خافيا حتى تلك اللحظة .^(٣) غير أن السيد الكبير ، بطرس ديهيسون ، غضب من التصريح الذي أدلى به كانوخي ، وعده خروجا على التعليمات المعطاه له ، واشتكى تصرفه للبابا .^(٤) وعلى أي حال فإن سفار كانوخي الى القاهرة لم تسفر عن شيء ، لأن قايتباي ، فيما يعتقد ، لم يشأ أن يغامر بدفع المبلغ الكبير الذي وعد به البابا قبل أن يتأكد من وصول جم الى القاهرة ، أو - على الأقل - قبل أن تتكون العصبة المسيحية القوية ، وتخرج جيوشها - التي كان من المقرر أن يصرف هذا المبلغ على اعدادها - لقتال بايزيد الثاني .

وقد عرف بأن قايتباي أرسل الى مدينة روما ، في شهر نوفمبر أو شهر ديسمبر عام ١٤٩٠ ، قاصدا طالب بضرورة أن يرد اليه الاستتارية مبلغ العشرين ألف دوكات التي حصل عليها ديهيسون من السلطان ، نصبا واحتيالا ، مقابل وعد زائف بتسليم جم اليه في القاهرة . غير أن القاصد المملوكي اكتفى ، أخيرا ، باستلام مبلغ خمسة آلاف دوكات فقط ،

(١) أنظر : Thuasne , PP. 254 - 255

نص التعليمات المعطاه للنائب البابوي كانوخي منشورة في نفس المصدر ص ٤٢٧ ملحق رقم ١٣ .

(٢) أنظر : Thuasne , PP. 264 - , 271; Bouhours, P.168

(٣) أنظر : Saad-ed-din, dans. J.A., (an .1826) , PP.161,167;

Thuasne, , P.161; Lamartine: Hist.de la Turquie, vol.4, P.97 (٤) أنظر

Thuasne , PP. 264, 271; Bouhours , P.168

دفعها له جاي دى لانشفورت ، مقدم شعبة الاستبارة فى أوترن ، خضوعا لأوامر البابا واستجابة لوساطة سفير عثمانى ، اسمه مصطفى بك ، تصادف وجوده ، وتذاك ، فى روما ، (١) وكان ذلك خاتمة الاتصالات التى دارت بين دويسون وقايتهاى فيما يتعلق بموضوع الأمير العثماني جم .

على أن الهدوء ظل ، مع ذلك ، مهيما على العلاقات بين الاستبارة فى رودس ودولة المماليك الجراكسة ، الى أن بدده الاستبارة ، فى عام ١٥٠٦ ، باستيلائهم على اسطول مملوكى من سبع سفن فى مياه جزيرتهم الكبرى لانجو ، وقد انفقنا " مؤرخى الاستبارة على أن هذه السفن أرسلها سلطان مصر للاقتداء على جزيرة لانجو " (٢) غير أن الأرجح هو أنها كانت فى مهمة تجارية فى تركيا ، ربما لجلب بعض مواد بناء الاسطول وبعض الأسلحة لاستخدامها فى تجهيز عمارة كبرى ترسل لمحاربة البرتغاليين فى المياه الهندية ، (٣) ثم جنحت الى مياه لانجو ، أو وصلت اليها غازية بمقتضى فكرة طارئة لقائدها أثناء العودة من تركيا بدون أوامر سابقة من السلطان الأشرف قانصوه الغورى (١٥٠١ - ١٥١٦) ، وذلك أنه لم يعرف عن الاستبارة أنهم أتوا فى ذلك العام (١٥٠٦) ، أو العام الذى قبله ، علاءه وانما يستحقون عليه الانتقام من جانب السلطان قانصوه الغورى ، بل من الثابت أنهم كانوا فى خلال هذه المدة - أى فى عام ١٥٠٥ وأوائل عام ١٥٠٦ - مشغولين بالدفاع عن جزيرتهم رودس ، والجزر الأخرى الخاضعة لها فى بحر ايجه ، ضد هجمات مجاهد تركى

(١) أنظر : Thuasne , P.281; Hammer III, PP. 267-268

ومن السفير العثماني مصطفى فقد وصل الى روما فى ٣٠ نوفمبر عام ١٤٩٠ -

أنظر :

Thuasne PP, 276 - 297.

(٢) أنظر : Biliotti, P.277; Farochon, P.156; Flandin, P.237

(٣) كانت العلاقات حسنة بين المماليك والعثمانيين فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٤٩٢ ، ١٥١٥ - أنظر طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٧٣ - ١٧٥ . وفيما يذهب أن الغورى كان يشتري أخشابا وأسلحة من العثمانيين ، أنظر ابن الياس ج ٤ ص ١٩٦ (أحداث شهر رجب عام ٩١٦ هـ / أكتوبر ١٥١٠) . هذا وقد أفاد لاروشون (ص ١٥٦) بأن الغورى حصل فى نحو ذلك الوقت على إذن من بايزيد الثانى بأن يتزود بالخشاب من قبايقه لهذا الاسطول بوجه ضئيل البرتغاليين .

(١) كمال أو كمالى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لم يكن السلطان قانصوه الغورى ،
وقد اك ، فى حالة تسمح له بارسال حملات عدوانية ضد الاستتارية ، فقد شغل عن ذلك
باعداد " ثلاث تجاريد ، واحدة الى مكة بسبب يحيى ابن مبع أمير بنهج ، وواحدة الى الكرك
بسبب فساد عمران بنى لام ، وواحدة الى الهند بسبب تعميت الفرنج بسواحل الهند " ،
ذكرها المؤرخ المصرى ابن ايامس ، الذى عاصر تلك الأحداث ، من غير أن يذكر بأن
السلطان أرسل ، فى ذلك العام ، تجهده رابدة الى أى جهة أخرى للغزواو للانتقام .
وعلى أى الأحوال ، فان هذا الفوز لم يطلع صدور الاستتارية بقدر ما أثلجها
استيلاؤهم بعد ذلك بقليل ، فى نفس العام ، أى فى عام ١٥٠٦ ، على السفينة
الملوكية التجارية الكبرى المعروفة باسم المغربية)

La mogharbine 'ou' Mograbine

نسبة الى جهة بنائها فى تونس وتسمى بلاد المغرب . وكانت هذه البارجة - التى أطلق
عليها العرب أيضا اسم ملكة البحار ، وعرفتها أوروبا باسم الفرقاطة الكبرى

La

(Grande Carraque) ، مبنية من خشب أشجار السديان والأرز
والنك () ، وتتألف من سبعة طوابق ، منها خمسة طوابق ظاهرة فوق سطح
الماء ، وطابقان أسفل هذا السطح ، ولها أربعة صواري ضخمة مستقيمة عدا صواري
المقدم ودفة السفينة ، وحملتها من النوتية حوالى ألف وثمان مائة ، يضاف اليهم ألف
جندى للدفاع عنها بعدداتها المائة والعشرين . وقد تخصصت هذه البارجة فى نقل
التجارة الهندية من ميناء الاسكندرية الى كل من تونس واستانبول ، وكذا الهند قبة
التى أقترت حيااد البارجة فى أوقات السلم والحرب بمقتضى قرار خاص صدر عن مجلس منائو
الهند قبة . كان الاستتارية يفكرون فى الاستحواز عليها منذ عهد رئيسهم ، بطرس
دهيسون (١٤٧٦ - ١٥٠٣) ، الذى وضع خططا لأسرها ، ثلاث مرات ، من غير

(١) فيما يتعلق بهذه الهجمات أنظر : Biliotti, PP. 275-277; Farochon, PP. 155-156

(٢) ابن ايامس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ٤ (تحقيق محمد مصطفى
عام ١٩٦٠) ص ٨٢

أن يظفروها ، (١) إلى أن أسرها الفارس الاستاري ، يعقوب دى جاستينو ، أمر أمرته
لهمج ، التابعة لشعبة الكهنة ، في عام ١٥٠٦ ، في عهد السيد الكبير ، اميرى
دامواز (١٥٠٣ - ١٥١٢) ، خليفة ديمسون . وكان جاستينو قد تهرص لهذه البارجة
بفلمونه عند سواحل جزيرة كريت ، وعندما شاهدها فاجأها بالضرب بالمعدافع السى أن
أعجزها عن الحركة ، ومن ثم اقترب منها بفلمونه ، وقفز فيها ، يتبعه ثلاثون فارسا
ومائة وعشرون بحارا ، تمكن بمساعدتهم من أسر السفينة واهتيادها إلى رودس . وقد (٢)

(١) أنظر :

Farocho, PP. 155-157

والذى بلغت النظر أن المؤرخ المصرى ، ابن اياس ، الذى عاش عصر السلطان
قائصه الفورى لم يشر ، من قريب أو بعيد ، إلى واقعة أسر هذه البارجة التى
عده الاستارية من مفاخرهم البارزة . تخميننا أن ابن اياس كان يعنى هذا
الحادث بقوله ، من أحداث شهر دى القعدة عام ٩١١ هـ / مارس - أبريل ١٥٠٦ .
" وفيه سافر تفرى بردى الترجمان إلى بلاد الفرنج ، وأخذ معه كتاب البعرك ،
وكان قد تزايد تبعث الفرنج بالسواحل وأخذ أموال التجار " (ابن اياس :
بدائع الزهور ج ٤ ص ٩١) . ولم يذكر ابن اياس شيئا عن مهمة تفرى بردى ،
فى بلاد الفرنج ، ولكنه أفاد بأن عودته كانت فى جمادى الاولى عام ٩١٣ هـ /
سبتمبر ١٥٠٧ ، بعد غيبة دامت نحو عامين (نفس المرجع ص ١٢٠) ، وقال
" لما توجه إلى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الفرنج عدة أسرى من المغاربة بنحو
من خمسين ألف دينار " (نفس المرجع ص ١٦٤) ، مما يجه لنا اعتقد بأن
من أهداف رحلته إلى أوروبا كان شراء حمولة البارجة المذكورة من رودس ، وربما
كان هؤلاء الأسرى المغاربة الذين اشتراهم بعضا من محاربتها . هذا وقبول
الدكتور احمد دراج فى كتابه " الماليك والفرنج " بأن السلطان الفورى اعتقد
بأن الحادث وقع بتحرير من البندقية ، نظرا للخلاف القائم بينهم منذ العام
الماضى بسبب اجبارهم على شراء البهار بالثمن المرتفع الذى حددته ، فقبض على
قنصلهم وتجارهم بالاسكندرية ، فسارعت البندقية إلى إرسال سفير بندقى السى
القاهرة ولكنه توفى اثنا تفاوضه مع السلطان . وعندئذ أرسل الفورى إلى البندقية ،
فى أبريل ١٥٠٦ ، الامير تفرى بردى الذى مرفى طريقه إليها برودس ، واشترى
عددا من الأسرى المغاربة ، هوكل ما توصل اليه مع الاستارية ، علما بأن الدكتور
دراج أفاد بأن الحادث وقع عام ١٥٠٥ بخلاف مؤرخى الاستارية الذين اتفقوا
على أنه وقع فى عام ١٥٠٦ ، كما أن الدكتور دراج لم يقدنا أى شىء عن السفينة
نفسها - أنظر : احمد دراج : الماليك والفرنج ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) أنظر :

Farocho, PP. 155-164; Biliotti, PP. 277-278; Flandin,

اتصل السلطان الفخرى بالسيد الكبير ، دامهوز ، عن ضيق كبير التراجمة في مصر ،
 فخرى بردى ، وحصل منه بمصعوبة على الاذن بشرا^(١) ثلثي حصة السفينة من البضائع
 بمصر أعلى من قيمتها لتسليمها لأصحابها في المواعيد التي ضمنها لهم ،^(٢) كما
 اشترى هدا من الأسرى المغاربة ، ربما من بحارة هذه السفينة ، بنحو من خمسين ألف
 دينار^(٣) . أما البارجة نفسها ، فقد احتفظ بها الاستتارية ضمن أسطولهم ، بعد أن
 أدخلوا تمديدات في بنائها بحيث أصبحت صالحة للحرب ، واشتهرت في أوروبا باسم
 فرقاطة رودس الكبرى^(٤) .

وبما يكن من أمر البارجة المسماة بالمغربية ، فإن أسرها لم يكن آخر اعتداء
 استتارى وقع على سفن المالك في عهد السيد الكبير دامهوز ، وذلك أنهم استولوا
 أيضا ، ربما في عام ١٥٠٧ ، أو في عام ١٥٠٨ ، على ثلاث سفن ملكية أخرى ،
 بعد إقلاعها من ميناء دماط^(٥) . تخميننا بأن التجربة التي ذكر ابن اياس^(٦) بأن

(١) أنظر :
 Farochon, P. 166, note 1.

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ ص ١٦٤ .

(٣) من التمديدات التي أدخلها الاستتارية على السفينة ، أنهم هدموا أحد صواريخها ،
 وقبوا الصواريخ الباقية على النمط الجنوى ، وهدموا طابقين من طوابقها الخمسة
 العلوية ، وطابقا من الطابقين السفليين ، وخفضوا ارتفاع المقدمة والمؤخرة ،
 وحولوا عنهاها المخصصة للبضائع الى عتابر للنوم ، وأخرى للجند ، ومستشفى ،
 وقاعة صلاة ، وورش حياطة ، ولجن ، وطاحونة ، ومخزن للسلاح من أجل خدمة
 مقاتل . يضاف الى ذلك أنهم أزالوا ما عليها من نقوش ، وطلوا دهاليز المؤخرة
 بأصم الزهور .

أنظر :
 Farochon, P. 166; De La Roncière II, PP. 474-475

(٤) أنظر :
 Biliotti, P. 278; Farochon, P. 166

علما بأن أيا من المرجعين لم يحدد العام الذي وقع فيه الحادث ، واكتفى بالقول
 بأنه وقع بعد وقت قصير من حادث أسر السفينة المغربية .

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ ص ١٢٩

بأن السلطان قانصو الغوري قد عنىها ، في شهر ذي القعدة طم ٩١٣ هـ / مارس ١٥٠٨ ،
 " الى بلاد الفرنج ، وقد تزايد منهم الأذى والتعيب بالناس في البحر الملح ، وكسان
 الهامش على هذه التجريدة الأمير محمد بك قريب السلطان ، وصحته جماعة جماعة من
 الصالحين السلطانية وأولاد الناس وغير ذلك " ، إنما كانت للانتقام من الاستيلاء على هذا
 الحادث ، علما بأن هذه التجريدة قد تأخر خروجها حتى صيف عام ١٥٠٩ ، وتحصل
 هدفها الى مجرد احضار الأخشاب من " الجون " أي من خليج أياص .^(١)

(١) تتبعنا ذكر محمد بك ، قائد التجريدة في كتاب بدائع الزهور لابن اياس الجزء الرابع ،
 فجاء عنه في ص (١٢٠) ما يلي : " وفي يوم الخميس تاسع عشر (١٩ شهر
 ذي الحجة عام ٩١٢ الموافق ٢٠ أبريل عام ١٥٠٨) توجه ناظر الخاص علاي الدين الى
 نحو الاسكندرية ورشيد بسبب تجهيز المراكب التي عنىها السلطان للتجريدة صهوة
 محمد بك " . وفي (ص ١٢٩) ما يلي : " وفيه (رجب ٩١٤ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٨)
 حضر علاي الدين ناظر الخاص ، وكان مسافرا نحو رشيد بسبب أمر المراكب التي عنىها
 السلطان لأجل التجريدة . وفي ذلك اليوم حضر الأمير محمد بك ، وكان توجه بسبب
 عرض المراكب المعينة للتجريدة " . وفي (ص ١٤٢) ما يلي : " وفي يوم السبت ثالث
 عشر (٢٠ شعبان ٩١٤ هـ الموافق ١٧ سبتمبر ١٥٠٨) حضر مراكب أغرية عدتها
 ست ، وهي التي كان ناظر الخاص توجه الى رشيد بسبب عاقبتها " . وفي (ص ١٥٦)
 ما يلي : " وفيه (صفر ٩١٥ هـ / مايو - يونيو ١٥٠٩) سافر ناظر الخاص والامير
 محمد بك قريب السلطان الى ثغر الاسكندرية ، بسبب تجهيز المراكب التي يتوجه
 فيها الامير عسلان (جاء في ص ١٦٠ أنه الدوادار الثاني) الى بلاد ابن عثمان .
 وفي (ص ١٦٠) ما يلي : " وفيه (جمادى الاولى ٩١٥) حضر علاي الدين ناظر
 الخاص ، وكان توجه الى ثغر الاسكندرية بسبب تجهيز المراكب المعينة صهوة الامير
 محمد قريب السلطان " . وفي (ص ١٦٢) ما يلي : " وفيه جاءت الاخبار (رجب ٩١٥
 هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩) من ثغر الاسكندرية بأن الامير محمد بك لما توجه الى
 الجون بسبب احضار الأخشاب صادف مراكب فيها فرنج يعيشون في البحر على التجار ،
 فتحارب معهم ، فقتل منهم ، وقتل فيهم جماعة كثيرة ، وأسر الذي بقي منهم ، وفتح
 ما كان معهم في المراكب ، وهو أشياء كثيرة بنحو من مائة ألف دينار " . وفي
 يوم الخميس سادس عشر (١٦ شعبان ٩١٥ هـ / الموافق ٢٩ نوفمبر ١٥٠٩) حضر
 الامير محمد بك الذي كان قد توجه الى الجون بسبب احضار الأخشاب ، وحضر
 صحبته تلك الفرنج الذين أسره كما تقدم ، فكانوا نحو من خمسين نفرا .

وعلى أى حال فقد اعتدى الاستتارية ، فى عيد سيدهم الكبير ، امهرى دامهواز ،
مرتين أخريتين - على ما عرف - على مصالح الممالك ، وقد قاموا بالاعتداءين فى عام
واحد ، هو عام ١٥١٠ . موقع الاعتداء الاول على خمس سفن فرنسية أثناء عبورها
بمياه رودس ، فى طريقها الى بلاد المغرب ، قادمة من الاسكندرية ، وانتهى بأسر
هذه السفن وجميع من عليها من المفارقة ، وتاجرهم التى تقدر قيمتها بنحو أربعين
الف دينار . ولكن لم يلبث الاستتارية أن أطلقوا السفن ، واحتفظوا بحصولتها ، مما
جعل السلطان القوي على الاعتقاد بأن الحادث تم بناء على اتفاق سابق بين قباطنة
السفن الفرنسية والاستتارية من أجل اقتسام الفدية ، وأصدر أمره بالقهر على القنصل
الفرنسى فى الاسكندرية ، واسمه فيليب دى ^{tes}باريت Philippe de Peretz (Parétes) (١)

أما الاعتداء الثانى فقد وقع على أسطول ملكى ، يتألف من ثمانى عشرة سفينة ،
أرسله السلطان قانصوه القوي ، فى شهر يولييه عام ١٥١٠ (١٤ ربيع الاول عام ٩١٦ هـ) ،
الى خليج أياص ، المعروف عند ابن اياس باسم الجون ، لجلب المزيد من الاخشاب التى
أراد السلطان استخدامها فى بناء أسطول جديد تعوضا عن أسطوله الذى دمره
البرتغاليون ، فى العام السابق ، فى معركة بحرية جرت فى مياه جزيرة ديو الواقعة
بجوار ساحل الهند الغربى ناحية الشمال . (٢)

(١) أنظر : Thenaud: Le Voyage d'Outre-mer; PP. LV-LVI

(٢) يذكر ابن اياس (هداية الزهر فى وقائع الدهر ج ٤ ص ١٨٣ - ١٨٤) عن
أحداث شهر ربيع الاول عام ٩١٦ هـ الموافق يونيه - يولييه ١٥١٠ ، " وفيه عين
السلطان تجريداه الى الجون ، وكتب بها نحو من مائتى مملوك ونفق عليهم ،
وعين الأمير محمد بيك قريه باشا على ذلك المعسكر .
ومستطرد ابن اياس فيقول (ص ١٨٥) " وفى رابع عشره (نفس الشهر) خرج
الأمير محمد بيك الذى تعين الى نحو الجون بسبب قطع الاخشاب لاجل عمارة
المراكب المعينة الى تجريدة الهند ، فخرج فى موكب حافل وكان ذلك آخر معده
أرجع أيضا الى نفس المصدر ص ١٩١ - ١٩٢ ، وإلى دكتور ابراهيم على طرخان فى
كتابه : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٢ - ١١٣ ، وكذلك الى جيلو-
هوفيتش

Golubovich I, P.108; n.4.

والى جاستون شيت فى كتابه :

wiet : L'Egypte Arabe, PP. 621-622

وكان مجلس الاستبارة ، برئاسة السيد الكبير دامبواز ، قد قرر تحطيم هذا الاسطول بمجرد علمه بوصوله الى مياه ايهاس ، ليس فقط لأن الاسطول يمتلك اسلحة راي الاستبارة ان واجههم الصليبي وأن جزرهم يحتم عليهم حرمان المسلمين منه ، أولاً أنه يحتم على مواد وسهلات حربية قامة أرادوا اضافتها الى قوتهم البحرية والعسكرية ، ولكن أيضاً لعلمهم بأن هذه المسواد والمهمات سوف توجه ضد دولة البرتغال التي يعتبرها الاستبارة من الدول الاكثر صداقة لهم ، والتي يقدرون لها ، بحكم طبيعتهم الصليبية ، دورها ضد المسلمين المغاربة ، وحكم انتمائهم الالهوي ، دورها في حركة الكشف الجغرافية ، (١) هذا فضلاً عن وجود أخ للقائد البرتغالي الميدا ، هناك معركة ديو البحرية ، اسوة بهيجون الميدا Diego d'Almeida في عضوة مجلس الاستبارة بصفته رئيساً لحافطة البرتغال في رودس . (٢)

ولما كانت معلومات الاستبارة عن هذا الاسطول السلوكي أنه يتألف من خمس وعشرين سفينة ، فقد أعدوا لمهاجمته أسطولين ، يتألف أحدهما من أربعة أغرة ، من بينهم السفينة الخراب الكبيرة المعروفة باسم سفينة القيادة الرودية (La Capitane de Rhodes) ويقوده القارس الاستباري برتغالي الاصل ، دون أندريا دامارال .

Andrea D. Amaral ، على حين يتألف الاسطول الآخر من ثمان عشرة سفينة من نوع البوارج (Vasseaux) ، من بينهم فرقاطة رودس الكبرى ، التي أسرها الاستبارة من المماليك عام ١٥٠٦ ، ويقوده القارس الاستباري الفرنسي الاصل ، فيليب فيلييه دي ليل آدم Philippe villiers de l'Isle - Adam (٣) الذي قدر له أن يكون آخر سيد كبير حكم رودس من فرسان الاستبارة .

(١) أنظر :

Farochon, P. 165

(٢) أنظر :

Ibid, P. 144

(٣) أنظر :

Farochon, PP. 165-167; Flandin P. 237; Biliotti, P. 278.

ولم يخرج القائدان دamaraz ، ودي ليل من رودس في وقت واحد ، فقد خرج دamaraz
 قبل زميله ببضعة أيام ،^(١) كما أنهم لم يسلكا نفس الطريق للوصول الى مكان اللقاء ، المتفق
 عليه فيما بينهما ، وموراس القديس أندراوس (Cap saint-andre) ، في أقصى
 الطرف الشرقي لجزيرة قبرص ، فقد دار دamaraz حول جزيرة قبرص من الجنوب ، على حين
 سار دي ليل آدم بين هذه الجزيرة ، الى الجنوب منه ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ،
 الى الشمال منه .^(٢) وعندما تم اللقاء بين القاديين ، قدم دي ليل آدم لزميله دamaraz
 اقتراحا بعدم مهاجمة أسطول المصريين قبل أن يخرج الى عرض البحر محملا بالخشاب
 لتحصد هذه الاخشاب من حركته في المناورة . غير أن دamaraz أصر على ضرورة هزمت
 السفن المصرية في مرساها في خليج آياس . وكاد الأمر يتطور الى معركة بالسيوف بين
 القاديين لولا أن تدارك دي ليل آدم الموقف بحكته ، فتنازل عن اقتراحه ، ووافق
 على رأى دamaraz .^(٣)

وكان أن تقدمت سفن الاسبثارية ، في ٢٣ أغسطس عام ١٥١٠ ،^(٤) رأسا الى خليج
 آياس . وبعد ثلاث ساعات من القتال العنيف بين الاسطولين - بدأ بالتراشق المتبادل
 بين مدافع السفن في كلا الجانبين ، ثم أصبح تلاحا بالسيوف ، عندما اقتربت السفين
 بعضهما من بعض ، وتشابكت - استطاع دamaraz أن يهمل ، على رأس نحو مائة من الاسبثارية
 البرتغاليين ، أبناء طاقته ، الى سفينة قائد الاسطول المصري ، وهو محمد بك ، قريب
 السلطان الفوري ، وقتلوا على ظهرها . وبالرغم مما رآه محمد بك من تردد في القتال

-
- (١) أنظر :
 Farocho, P. 167
 (٢) أنظر :
 Farocho, FF. 167-168; Flandin, P. 237
 (٣) أنظر :
 Farocho, PP. 168-170; Biliotti, P. 279
 (٤) أنظر :
 Golubovich I , P. 108 n. 4

لدى جنده المحيطين به ، فقد جرى بشجاعة نحو داما رال وحاجله بهلعه من حرته أصابته
 في كتفه ، ولكن عندما هم يتوجيه الضربة الثانية له ، عاجله الفارس البرتغالي المرافسق
 داما رال ، واسمه فاسكونسيلوس Vasconscellos بضربة خنجر قطعت رصفه +
 ومع ذلك ، فقد استل محمد بك سيفه ، بيده اليسرى ، واتصب في اعياه ، وأخذ يضرب به
 بمئة وهرة في أعدائه ، وتلقى طعناتهم ، الى أن خرصها مشخنا بالجراح + وفي
 نفس الوقت قطع أحد فرسان الاسبتارية حول راية سفينة القائد المملوكي ، سيفه ، فسقط
 في الماء ^(١) . وما أن رأى المصريون ، في بقية سفن الاسطول ، ذلك ، حتى ألقوا
 أسلحتهم ، وقفزوا في الماء ، أو في القوارب الصغيرة ، طلبا للنجاة فوق مرتفعات
 الساحل الأسباني المطهر . غير أن القائد الاسبتاري دى ليل آدم ، طاردهم على رأس
 فرقة من فرسانه ، وأسر الكثيرين منهم ، ولم يرجع ، رجاله ، الى سفنهم الا بعد أن
 أشعلوا النيران في مخازن المبردين الواقعة بجوار قلعة أياص ، وفي أكوام الخشب
 المكدسة فوق الساحل في انتظار شحنها ، فأنت عليها كلها + وقد غم الاسبتارية ^(٢)

(١) أنظر : Farochon, PF. 173-183

مع ملاحظة أن اسم قائد الاسطول المصري ، وهو محمد بك ، أخذناه من ابن
 أياص : (هذا هو الزهور ح ٤ ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩١ - ١٩٢) . أما فاروشون
 فقد سجل عجزه عن معرفة اسم القائد المملوكي حين قال (في ص ١٧٢ ملحوظة ١)
 بأن المؤرخين لا يذكرون اسم هذا القائد . ويقصد فاروشون ، بطبيعة الحال ،
 المؤرخين الأوروبيين المعاصرين لذلك الحادث الذين رجع اليهم ، وهو لا يعرف
 ابن أياص . غير أن فاروشون ، وكذا المؤرخان بليوتي (Biliotti, P. 279)
 وفلانديان (Flandin, P. 238) ، يؤكدون بأن القائد المملوكي
 هو ابن أخ السلطان الشوي ، وشيدون بطولته .

(٢) أنظر : Farochon, P. 183; Biliotti, PF. 279-280; Flandin, P. 238

في هذه المعركة ، التي اشتهرت باسم معركة أياص ، أحد عشرة سفينة سليمة ومملوكة
بالأخشاب والدخائر ، بخلاف الاسرى من بحارة هذه السفن .^(١) أما السفن المهتقة
الآخري فقد غرقت أو التهمت بها النيران .^(٢) ولتخليد ذكرى معركة أياص أوجد السيد الكبير ،
ابن دابوز ، عادة إقامة سرادق من الملاحة ، التي كانت تغطي مؤخرة سفينة القائد
الملوكي ، الأمير محمد بك ، وذلك فوق ظهر فرقاطة رعد من الكبرى - وهي السفينة
" المشهورة " التي أسرها الاسبانية من المطليح عام ١٢٠٦ - عشية عيد القديس حنا
المعدان ، شفيع هيئة الاسبانية الذي تحمل اسمه ، حيث كان السيد الكبير للاسبانية
يقدم بنفسه قليات النهب المستورد من لارناكا لرؤساء الطوائف الثاني التي تتألف
منها هيئة الاسبانية ، اقتلح الخليفة عظيمة تنبع ذلك في نفس الليلة داخل هذا
السرادق .^(٣) كما أن دابوز صمم سجادة نقش عليها وقائع المعركة ، شوهدت في
جزيرة مالطة - كما يقول فلاندا - في بداية القرن السابع عشر الميلادي .^(٤)

ويجد التنويه هنا بأن المعلومات التي أفادنا بها المؤرخ المصري المعاصر ،
ابن أياص ، عن وقائع معركة أياص متواضعة ، فلم يذكر عنها سوى أنه " في يوم الأحد عاشره " ،
أي العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٦ هـ ، الموافق منتصف شهر سبتمبر عام ١٥١٠ ،
" جاءت الاخبار من عند نائب طرابلس ، بأن الفرنج خرجوا على الأمير محمد بك ، قريب
السلطان ، الذي قد توجه الى الجون ، بسبب احضار الأخشاب ، فخرجوا عليه طائفة

(١) أنظر : Farochon, P.183 ; Flandin, P.238

أما بليني (Biliotti, P.279) ، فيذكر بأن الاسبانية غنموا خمس عشرة
سفينة سليمة .

(٢) المراجع الثلاثة المذكورة في الحاشية السابقة ، مع ملاحظة التهميم ويكدون بأن اجمالي
عدد سفن الاسطول المصري خمس وعشرون سفينة ، وليس ثمانى عشرة سفينة كما ورد
في هذا الزهور للمؤرخ المصري ابن أياص .

(٣) أنظر :

Farochon, P.184 ; Flandin, PP. 238-239

(٤) أنظر :

Flandin, P.239

من الفرنج ١٠٠٠ رجل من جنده ١٠٠٠ رجل من جنده ١٠٠٠ رجل من جنده ، وقد عرغته من
كان معه من العسكر ، فقتل ، وقتل من كان معه من الجنود ، وأخذوا ما كان معه من
المراكب المشحونة بالسلاح وآلة الحرب ، وكانت نحواً من ثمانية عشر مركبة .^(١)

على أن ابن إمام أنافى في ذكر أثر الحادث على السلطان المنصور ، وما اتخذ
هذا السلطان من إجراءات الرد عليه ، فأوضح بأن السلطان ، عندما بلغه الخبر بالموافقة ،
" تفكك إلى النهاية ، وامتنع عن الأكل يومين " .^(٢) وذكر ابن إمام أيضاً بأنه حدث " في
يوم الأربعاء ثالث عشر " - أي في اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة عام ٩١٦ هـ ،
الموافق السابع عشر من سبتمبر عام ١٥١٠ ، أي بعد ثلاثة أيام فقط من وصول الخبر
للسلطان - " أرسل السلطان بالتمهيد على الرهبان الذين بالقيامة التي بالقدس ، وكذلك
تمهيد على سائر الفرنج الذين بالاسكندرية ، ودمياط ، وغير ذلك من السواحل ، وهذا
بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد ، وأخذوا مراكب السلطان " .^(٣) ويستلزم ابن إمام ،
بما نقل في أحداث شهر رجب عام ٩١٦ هـ ، إلى يوانق شهر أكتوبر عام ١٥١٠ ، وفيه
حدث إلى الأيوبيين الشريعة رهبان القيامة التي بالقدس ، وكان السلطان أرسل خلفهم
بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد بهيك ، قريب السلطان . . . فلما وقفوا بين يدي
السلطان ، وهضم بالكلام على لسان ثغرى بردى الترجمان ، وقال لهم : كاتبوا صلوك
الفرنج بأن يردوا ما أخذوه من الفرنج من المراكب والسلاح ، وأن لم يردوا ذلك هدمت القيامة
وأشنى الرهبان ، فتسلمهم لظاهر الخاس على ما يحذر من أمرهم ، وكانوا نحواً من عشرين

(١) ابن إمام : هدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ ص ١٩١ - ١٩٢

(٢) نفس المرجع ص ١٩٢

(٣) ابن إمام : هدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٤ ص ١٩٢

راهبها ، وفي عقيب ذلك قهر ثاوي الاسكندرية على جماعة من تجار الفرنج الذين كانوا يشترون الاسكندرية ، وبعث بهم الى السلطان ، وكانوا نحو من خمسين انسانا * (١)

وهذا كراهن اياس ، بعد ذلك ، بأن السلطان حين ، في نفس الشهر * الامير اقباي الطويل ، امير آخر ثاني ، بأن يعوجه الى القدس ، وخطا على مال الفرنج الذي فسي القيام ، فخرج وسلك من يومه * (٢) وواصل ابن اياس كلامه عن هذه الواقعة فيقول

* وفي شوال ، في يوم سابعه * وهو ما يوافق يوم الثلاثاء السابع من يناير عام ١٥١١ ، حضر الامير اقباي الطويل ... وأصبح بين الناس أنه احتاط على ما نى القيامة من مال الفرنج * (٣) انتهى ابن اياس من ذلك الى الكلام عن سفارتين استقبلهما السلطان الفوري ، في القاهرة ، احدهما فرنسية ، وصلت في يوم الاثنين التاسع والعشرين من

(١) ابن اياس : هذا مجمع الزعوع ج ٤ ص ١٩٥

(٢) نفس المرجع ص ١٩٦

(٣) نفس المرجع ص ١٩٩ . وذكر شيكو (Thénau: Le voyage, PP. LV1-LV11)

وذكر احمد دراج (الماليك والفرنج ص ١٤٢) ، بأن السلطات الملكية فسي القدس استولت على ما كان يوجد بدير صهيون والكنيسة الملحقة به من تحف ونقائش هلفت قيمتها نحو خمسة آلاف دوكات ، فضلا عن أربعة آلاف دوكات أموال نقدية كانت بالدير .

وقد نشر جولو بوشيتش (Gölubovich I, P 108, n.4) مقتطفات مما كتبه سائود في يومياته عن هذه الاحداث ، جاء فيها أنه بمقتضى رسالتين كتبهما البندقي بولس لوريدانو (Pietro Loredano) من الاسكندرية ، احدهما بتاريخ ٢ ديسمبر عام ١٥١٠ ، والثانية بتاريخ ٧ يناير سنة ١٥١١ ، فان السلطان ارسل اميرا الى مدينة بيت المقدس لقتل كنيسة القيامة ومصادرة ما بها من أموال . وقد صادر الامير ما وجده من نقائش في كنيسة القيامة وصهيون ، واستولى على أربعة آلاف دوكات وجدها في كنيسة صهيون ، واقتصاد الرهبان من بيت المقدس الى القاهرة . وأضاف البندقي في رسالته الثانية ، التي كتبها في ٧ يناير ١٥١١ ، بأن السلطان امر الرهبان ، عندما اجتمع بهم في القاهرة ، بأن يرسلوا سفارتين الى اوربا احدهما للسيد الكبير في رودس والاخرى الى البابا ملك فرنسا ، من أجل أن يعهد الاسبتارية السفن التي استولوا عليها في ١٥ أغسطس ومعضوا السلطان عما سببه له من اضرار نتيجة أسرهما . وقد تشكلت كل سفارة من سفارتين من راهبين ، وسافرتا في يوم واحد ، هو يوم ٢٤ ديسمبر ١٥١٠ ، كل منهما على سفينة خاصة (Sanuto: Diarii, TXI, Col. 827-30, T. XII Col. 153) وواصل سائود وكلامه فيقول بأن السفارة التي توجهت الى رودس رجعت في مايو ١٥١١ صحة جواب ملي * بالقطرسة (Ibid XII, 296-308) أما ملك فرنسا فقد ارسل سفيراً استقبله المسلمون في القاهرة في مارس ١٥١٢ (Ibid XIV, 497-500)

شهر مارس عام ١٥١٢ (١١ محرم سنة ٩١٨ هـ)^(١) ، والثانية بلندقية ، وصلت في يوم الاثنين
العاشر من شهر مايو عام ١٥١٢ (٢٣ صفر سنة ٩١٨ هـ)^(٢) ، وأوضح ابن اياس بأن قاصد
البلندقية " جا " يسمى عند السلطان في فتح القيامة التي بالقدس الشريف ، وكان السلطان
أغلق بابها ، ومنع الفرنج من الدخول اليها^(٣) . غير أن ابن اياس لم يتعرض للمهمة التي
جاء من أجلها القاصد الفرنسي ، وهي مهمة تتعلق ، على الأرجح ، بنفس الموضوع ،
وهي جاء ليوكد للسلطان ما سبق أن تقدم به اليه قنصل فرنسا في الاسكندرية ، فيليب
دي هاريت ، بعد اطلاق سراحه ، من أن فرنسا مستعدة لعدة بالمساعدات المادية ضد
البرتغاليين ، وللمسمى لدى فرسان رودس - وهو الاسم الذي أطلق عادة على فرسان
الاسبتارية في رودس - من أجل أن يردوا اليه سفنه ، التي استولوا عليها أمام ايهاس
عام ١٥١٠ ، مقابل فتح كنيسة القيامة^(٤) . وبالرغم من أن المؤرخ المصري ، ابن اياس ،
لم يذكر شيئا عن جواب النجوى على أي من الصغرين الفرنسي أو البلنقي ، فليس من الصعب
أن نؤمن بأنه طلب منهما أن بحثا حكومتهما على ممارسة الضغط على الاسبتارية في
رودس لكي يعيدوا له سفنه . وفي الواقع لم يكن أمام النجوى ، وقتذاك ، طريقا آخر يسلكه
لاستعادة سفنه سوى هذا الطريق " الدبلوماسي " ، طالما أن موارد نهلاذه المالية
- التي تدهورت بسبب تحول الطريق التجاري الى رأس الرجاء الصالح ، وقوتها البحرية -
التي انهارت بسبب تدمير الأسطول المصري في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ ، واستيلاء

(١) ابن اياس : هداية الزهور في وقائع الدهور ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨

(٢) نفس المرجع ص ٢٥٩

(٣) نفس المرجع والصفحة المذكورة في الحاشية رقم ٢ . وذاكر كل من دكتور طرخان (مصر
في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣) وجاستون فييت (

L'Egypte Arabe, P.622

بأن السلطان أغلق كنيسة القيامة في يناير سنة ١٥١١

(٤) دكتور ابراهيم على طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣

الاستتارية على عدد من سفن هذا الامتطلى أمام ايام عام ١٥١٠ - لا تسمطان له هان
بها الى القوة لتطيق غرضه . ولى أى حال فقد رفض الاستتارية أن يتنازلوا عما غنموه ،
وضاحت على السلطان الفخرى صفه .^(١)

وهما يكن من أمر حادث ٢٢ أغسطس عام ١٥١٠ وآثاره ، فقد كان - على
الأرجح - آخر الملاحم الهارزة فى تاريخ العلاقات بين الاستتارية فى رودس وولاية
سلاطين المماليك ، فلم يلبث بعده أن الشغل كل من الطرفين الاستتارى والمملوكى
بالتهديد العثمانى لبلاده ، الى أن دخل السلطان العثمانى ، سليم الاول ، القاهرة ،
فى عام ١٥١٧ وأسقط دولة المماليك فيها ، واستولى ابله ، السلطان سليمان الثانى ،
على جزيرة رودس ، فى عام ١٥٢٢ ، وقضى على حكم الاستتارية لها .

(١) دكتور ابراهيم على طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٣

الفضل السادس

المعاهدات بين الاستتارية في رودس والأنتسراك

في القرن الرابع عشر للميلاد

- * المعارك الأولى بين الاستتارية في رودس والأنتسراك .
- * اشتراك الاستتارية في حصة بحرية مسيحية استولت في عام ١٣٤٤ على مدينة أزمير التركية .
- * وصل حملة صليبية بقيادة هينري الثاني ومساعدة الاستتارية في رودس إليها (عام ١٣٤٥) .
- * الاستتارية يدبرون مفاوضات الصلح مع الأتراك - فقد الصلح وحل المعاهدة المسيحية (عام ١٣٤٧ - عام ١٣٥١) .
- * السيد الكبير للاستتارية هيرديا يقود حملة صليبية استتارية خالصة ضد الأنتسراك في المرة (عام ١٣٧٧) .
- * هيرديا يتخذ إجراءات دفاعية ضد تهديدات السلطان العثماني مراد الأول لرودس وأزمير .
- * موقف الاستتارية في رودس من تهديدات السلطان العثماني بايزيد الأول .
- * دور الاستتارية في الحملة الصليبية على ليقوبوليس (عام ١٣٩٦) .
- * الاستتارية يدخلون طرفا في مجموعة من المعالقات مع بعض حيرائهم المسيحيين ضد بايزيد الأول بعد موقعة ليقوبوليس .

بدأت المقاتلين الاسبتارية والأتراك ، في أغلب الظن ، على شكل معارك بحرية ،

ذلك أن الاسبتارية ، أثناء إقامتهم في جزيرة قبرص بعد طردهم من الشام ، عملوا على
الاتحام بحريا مع الأتراك ^(١) ، أما بدافع من التمسب الديني أو لغرض القرصنة ، فقاموا

بهجمات بحرية ضد أمارات الأتراك السلاجقة التي قامت في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي
على أنقاض سلطنة قونية على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وهي الإمارات التي حملت

أسماء مؤسسيتها ، وعلى رأسها إمارة منتيشه Mentéché (١٣٠٠ - ١٤٢٦) التي

ظهرت في عام ١٣٠٠ ، وإمارة أيدين Aidin (١٣٠٢ - ١٣٩٠) التي تأسست

في عام ١٣٠٢ ، وإمارة صاروخان çarou-khan (١٣٠٢ - ١٣٩٠)

التي تأسست في عام ١٣٠٢ أي في نفس العام الذي تأسست فيه إمارة أيدين ^(٢) .

على أن استيلاء الاسبتارية في عام ١٣١٠ على جزيرة رودس من أتراك إمارة منتيشه ،
أصحاب السيطرة الفعلية على معظم هذه الجزيرة الخاضعة إسميا للمميطيين ^(٣) ، اضطرتهم

إلى الدخول في عدة معارك بحرية وهرب منها عليهم أولئك الأتراك ، منفردين أو مشتركين

مع أتراك أيدين وصاروخان ، بقصد طردهم من جزيرة رودس ، والجزر الأخرى التي

استولى عليها الاسبتارية في بحر إيجه خلال تلك الممات .

الممات الأولى بين الاسبتارية في رودس والأتراك :

ولعل أول ما وقع من أحداث في الصراع الذي دار بين الاسبتارية في رودس والأتراك

السلاجقة في آسيا الصغرى أن حاكم إمارة منتيشه ومؤسسها ، وهو منتيشه بك بن بهاء الدين

(١) أنظر : Vertot II, P.60

(٢) د . سميد عبد الفتاح عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٣٢ .
وأنظر أيضا :

Grousset: L'Empire du Levant, PP.599-604;

Heyd I, PP. 534-535.

Heyd I, P.537

(٣) أنظر :

الكردي (١) أسرى في عام ١٣١١ - أي في العام التالي مباشرة للمام الذي أتم فيه
الاستتارية سيطرتهم على جزيرة رودس - مائتين وخمسين تاجرا رودسيا وجد هم في موانئ
أماره • هذا إلى أنه قبض مبلغ خمسين ألف قلوينت من الضريبة - المدين رغبوا في
الانتقام من الاستتارية في رودس لأن سفن الاستتارية أسرت في ذلك العام (عام ١٣١١)
سفينة جنوية كانت متجهة إلى مصر رغبوا عن التهربات الباهوية - لإعداد جيش وأسطول
بوجهها لطرد الاستتارية من جزيرة رودس • وإذا كان متعشبه بذلك قد فشل وقتذاك فسي
استرجاع جزيرة رودس من الاستتارية ، فإنه استطاع بمعاونة بعض السفن الجنوية -
(٢) أن يسيطر على مياه بحر إيجه ، ويحتدي على كل سفينة تقصد تلك الجزيرة بتجارة أو تعوين •
لما كان العام التالي - أي في عام ١٣١٢ - وصل إلى جزيرة رودس أسطول تركي
يتألف من ثلاث وعشرين سفينة ، لغزوها • غير أن سفن الاستتارية تعدت له وطردته بعيدا
عن سواحل الجزيرة ، ثم تمقته إلى أن رسا بجوار جزيرة صغوية في بحر إيجه اسمها
جزيرة أمورجو Amorgo ونزل رجاله إلى ساحلها ، فهتكت سقته وأشعلت فيها
النيران التي انت عليها • ولم يلبث أفراد القوة الاستتارية أن نزلوا وراء الترك في الجزيرة ،
ولحقوا بهم فوق صفح جبل قريب من الساحل حيث خاضوا معهم معركة انجلت عن مصراع
وأسر جميع أفراد القوة التركية ، البالغ عددهم ثمانمائة جندي ، فيما عدا تسعة أو عشرة
جند تمكنوا من الهرب ، في حين خسر الاستتارية سبعة وخمسين غارما وثلاثمائة من الجند
(٣)
المشاة •

Grousset: L'Empire , P.599
, PF.31433

(١) انظر :

(٢) أنظر رسالة البابا كليمنت الخامس إلى جمهورية جنوة في Pauli II, num. XXV

Amadi, P.393

(٣)

وليس من شك في أن عدم القوة البحرية للأتراك السلاجقة في هذه المعركة كان من أهم
العوامل التي ساعدت الإسبتارية في عام ١٣١٤ على غزو أكبر جزيرة في جزر بحر ايجه وهي
جزيرة لانجوا التي ضموها إلى دولتهم في رودس (١)

وعلى أي حال لم يلبث الأتراك السلاجقة أن استعادوا بناء قوتهم البحرية بالتدريج وطردوا
الإسبتاريين من جزيرة لانجوا وسيطروا مرة أخرى على بحر ايجه • وكان أن خرج من جزيرة رودس

في عام ١٣١٨ أسطول إسبتاري بقيادة الأمير الكبير البرتدي شقارتزبورج Albert de

schwarzbourg انتصر على أولئك الأتراك في معركة بحرية نصرا كبيرا استحق عليه التهنئة

من البابا حنا الثاني والعشرين كما سهل له أمر استعادة جزيرة لانجوا • وفي الثامن والعشرين (٢)

من شهر يونيو من العام التالي - أي في عام ١٣١٩ - خرج البرتدي شقارتزبورج مرة أخرى

من جزيرة رودس على رأس أسطول يتألف من أربع وعشرين سفينة ، أعدها على حسابه الخاص ،

وقوة عسكرية مؤلفة من ثمانين فارسا إسبتاريا وعدد غير معروف من الجنود ، وهم شطر جزيرة خيوس

التي وعده صاحبها الجنوي مارتنو زكريا Martino Zaccaria بمساعدته في حرب الترك -

لوصول إليها في ١٣ يولييه • وبعد عشرة أيام قضاها الأمر الكبير للإسبتارية في خيوس - أي في

يوم ٢٣ يوليو عام ١٣١٩ - جاءت إليه الأخبار بأن أسطولاً تركياً يتألف من ثمان وخمسين سفينة

أعدها أمراء أهل دين في ميناء أيا سلوق Aya Soluque يتقدم نحو هذه الجزيرة ، فخرج اليه

دي شقارتزبورج على رأس سفنه الأربع والعشرين ، جنباً إلى جنب مع سفن جزيرة خيوس - التي

يتراوح عددها بين سبع وتسع سفن - بقيادة حاكم الجزيرة مارتنو زكريا ، وانتصر عليه في معركة

(١) فيما يتعلق باحتلال الإسبتارية لجزيرة لانجوا انظر : D. Le Roulx:

Les Hospit. à Rhodes, P.4.

(٢) انظر :

Ibid : Op. Cit. P.8.

بحرية خسرها الترك جميع سفن أسطولهم فيها عدا ست سفن صغيرة تمكنت من الهرب وتحمل على ظهورها أقل من أربع مائة مقاتل هم البقية الباقية التي نجت من أفراد قوة الأسطول البالغ عددهم ألفان (١) وبالرغم من جسامه الخسارة التي مني بها الأتراك في هذه المعركة فقد استعاضوا فسي العام التالي - أي في عام ١٣٢٠ - أن يصدوا أسطولا يتألف من ثمانين سفينة ، ويخرجوا بسبه لمحاولة قزو جزيرة رودس نفسها . ولكن ، قبل أن يملقوا ساحل هذه الجزيرة ، أدركهم الأمر الهول ، البرت دي شقارتزبورج ، على رأس أسطول استبارقي يتألف من أربع وعشرين سفينة ، إلى جانب ست سفن جنوية كانت عائدة لتوها من مهمة تجارية في أرمنيا ، وأنزل بهم الهزيمة فسي معركة بحرية خسروا فيها معظم سفن أسطولهم بين غرقه وأسيره . ولم تلبث سفن دي شقارتزبورج أن هدمت في نفس اليوم نحو جزيرة صغيرة تقع بالقرب من جزيرة رودس - هي جزيرة مسكوبيا التي كان أسطول الفنزواتركي قد استولى عليها من الإسبانية قبل المعركة البحرية التي هزم فيها وأنزل فيها نحو عشرة آلاف تركي جلبهم معه من الساحل الأسوي لتوطئتهم في جزيرة رودس إذا أفلح

(١) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, PF. 8-9

وقد أورد أمادي (Amadi, P. 400) قصة هذه الواقعة ، ولكنه ذكر بأن أسطول الإسبانية كان يتألف من أربع سفن ، وأن هذا الأسطول دمر أسطولا تركيا مؤلفا من ثلاثين سفينة ، وقتل أو أسرقوا به البالغ عدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل تركي .

(١)

لن نؤمها - فهاجستها الى أن استسلمت لها وأسرت جميع من أنزل فيها من ترك *
وليس من شك في أن هذه الانتصارات المتوالية التي أحرزها لدى شقارتينج على الأتراك
السلاجقة جعلت الاستتارية مرهوى الجانب وأخذ الأتراك منذ ذلك الحين يوجهون نشاطهم
الحربي الى سواحل المورة وجنر بحراية الواقعة بالقرب من هذه السواحل بعيدا عن جزيرة
رودس وغيرها من جزر الأرخبيل الروديسي الخاضعة للاستتارية * وقد حدث في عام ١٣٢٩ أن
جبهة الهندقية ، صاحبة المصالح التجارية والاستعمارية الواسعة في تلك الجهات من شرق
البحر المتوسط ، سمعت لدى سائر القوى المسيحية الأخرى في المنطقة - بيزنطية كانت أو
لاتينية - من أجل الدخول معها في حلف مسيحي مشترك ضد الأتراك * ولما كانت جميع تلك
القوى تشعر بنفس الخطر الذي تشمر به الهندقية على مصالحها ووجودها فقد واقت على

D. La Roulx: Op. Cit., PP. 78-79.

(١) أنظر :

Vertot II, PP. 171-175

ذكر المؤرخ فرتوبان قائد أسطول الفرو التركي هو السلطان العثماني أورخان ، وأن هذا
السلطان هزم لنقص رأيته بفن الحرب البحرية التي برع فيها الاستتارية بسبب كثرة
معاركهم في البحر * ونرد على ذلك بأن الدولة العثمانية لم يكن لها وقتذاك أملاك
على الساحل الغربي لآسيا الصغرى المطل على البحر لكي تهتم بأمر جزر هذا البحر.
ومن ناحية أخرى ذكر المؤرخ التركي مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (في كتابه تحفة
الكبار في أسفار البحار * الذي ترجمه James Mitchell تحت اسم

The History of the maritime wars of the Turks, P.12

بأن العثمانيين لم يخامروا بأية معارك بحرية قبل عهد السلطان محمد الثاني (١٤٥١ -
١٤٨١) ، وأنهم لم يشعروا بالحاجة الى الشاء أسطول الا أثناء الحصار القاشل
الذي فرضه السلطان مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١) ، والد محمد الثاني
حول القسطنطينية عام ١٤٢٢ * وبالرغم من أن حاجي خليفة لم يكن دقيقا ، كل الدقة ،

فيما رواه - حيث من المعروف بأن العثمانيين قاموا بأول حملة بحرية في عام ١٣٩٠
(أي في عهد السلطان بايزيد الأول) ضد جزيرة نجرينوت (أنظر Gibbons, P. 186)
ولم يقوموا بحملة بحرية أخرى فيما يبدو الى أن تحطمت قواتهم على يد تيمور لك التتري
في عام ١٤٠٢ - فإنه يكفى هنا للرد على فرتوبان أورخان لم يتول كرس السلطنة الا في
عام ١٣٢٦ - أي بعد ست سنوات من المعركة التي نحن بصدد ما (أنظر :

Baynes & Moss: Byzantium, P.47.

الدخول في الحلف المقترح فيما عدا الاستتارية في رودس الذين أجابوا بأنهم لا يمكن إلا أن ينظروا إلى أن يرسل لهم السيد الكبير ليهيئتهم — هليون دي فيليني — من فرنسا — حيث كان يقيم منذ انتخابه للرئاسة قبل عشر سنوات ، موافقه على الانضمام إلى الحلف ، والأموال اللازمة لأعداد سفينتين أو ثلاث سفن يملكون بها في هذا الحلف ^(١) . وكان أن ظل الأمر معلقا إلى أن نقل دي فيليني مقر إقامته إلى رودس ، في صيف عام ١٢٣٢ ، فوافق عليها عدد قائد أسطول البندقية في بحر الأدرياتيك ، بطرس دي كانالي P. di Canale مؤفدا من حكومة بلاده وإمبراطور الدولة العثمانية أندرونيق الثالث باليولوجس للتفاوض معه بشأن انضمام الاستتارية للحلف . وقد انتهت المفاوضات بينهما في ٦ سبتمبر عام ١٢٣٢ بحقد اتفاقية نصت على أن تؤلف عصبة مسيحية ضد الأتراك مدتها خمس سنوات من البندقية وبيزنطة ورودس الاستتارية ، وعلى أن يتولى بندقي قيادة أسطول هذه العصبة الذي تقرر أن يتألف من عشرين سفينة يسهم الإمبراطور البيزنطي بنصفها ، وتسهم البندقية فيها بست سفن والاستتارية بأربع سفن ، وأن يصل إلى مقر تجمعهم عند ساحل جزيرة نغروبونت Negropont — وهي جزيرة خاضعة للاستعمار البندقي منذ عام ١٢٠٩ وتقع على بعد قليل إلى الشرق من بلاد اليونان — في ميماد غايته ١٥ أبريل من العام التالي أي في عام ١٢٣٣ ^(٢) .

على أنه من الأرجح أن هذه الاتفاقية لم توضح موضع التنفيذ ، ففي ٨ مارس عام ١٢٣٤ عقدت بمدينة أثينون الفرنسية اتفاقية أخرى بين ممثلي كل من البندقية وبيزنطة ورودس وقبرص وفرنسا والبابا حنا الثاني والعشرين — نتيجة مسمى جديد قامت به جمهورية البندقية عن طريق

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.86 ; Gay, PP.18,21

(٢) انظر : Golubovich II, P.193; Gay, PP.22-23.

وعن تاريخ الاستعمار البندقي لجزيرة نغروبونت انظر :

Miller: The latins, P.653

مثلها حناجراد ونيكو Johanni Gradonico وأندريا باسيلييو
 Andrea Basilio - نصت على تحالف هذه الدول جميعا في توجيهه
 حملتين ضد الأتراك المسلمين تبدأ أولهما في شهر مايو عام ١٣٣٤ - أي بحمد
 شهرين اثنين من عقد المحالفة - وتستمر لمدة خمسة شهور ، وتخرج الثانية
 في العام التالي - أي في عام ١٣٣٥ ، وتستمر لمدة ستة شهور * واشترط
 أيضا أن يتجه أسطول الحملة الأولى عند ساحل جزيرة نجرولونيت الخاضعة
 للبندقة ، على أن يتألف من أربعين سفينة حربية تساهم فيها كل من رودس والبندقية
 بحشر سفن ، وتساهم كل من قبرص والإمبراطور البيزنطي بست سفن ، ويساهم
 البابا وملك فرنسا معا بالباقي أي بثماني سفن . أما أسطول الحملة الثانية المقرر
 قيامها في عام ١٣٣٥ ، فقد اتفق على أن يتكون من اثنين وثلاثين سفينة حربية ،
 ومثلها من سفن النقل (Uyaserii) لحمل جيش الحملة وقوامه
 ثمانمائة فارس بخيولهم ، وهو عدد قليل لا يتناسب مع خطورة المهمة الملقاة على عاتقه ،
 ولكن روى عند تحديده روف غيب الوقت * وقد نص على أن يساهم الاسبانية
 ضمن أسطول وجيش هذه الحملة الثانية بست سفن حربية وثمانى ناقلات للجند ومائتى
 فارس ، ويساهم ملك قبرص بست سفن حربية وأربع ناقلات للجند ومائة فارس ، وتساهم
 البندقية بحشر سفن حربية ، ويساهم البابا وملك فرنسا معا بنصف قوات الحملة من الـ
 الفرسان - أي بأربعمائة فارس - ونصف ناقلات الجند ، أي بست عشرة ناقلة *
 وتقرر أيضا أن يساهم ملك صقلية بأربع سفن حربية على الأقل ، وأربع ناقلات للجند ،
 ويساهم إمبراطور القسطنطينية بست سفن حربية وبقية الفرسان ، أي بمائة فارس (١)
 فإذا امتنحنا عن الاشتراك في الحملة لب هذه المساعدات من جمهوريتى جنوة وقسيو*

(١) شروط المحالفة منشورة في :
 Mas - Latrie: Commerce et Expéditions, PP. 104 - 106

ويلاحظ ما يأتى :-

جاء في نص الشرط بأنه تقرر أن يتألف أسطول الحملة الثانية (حملة ١٣٣٥)
 من ثلاثين سفينة حربية واثنين وثلاثين سفينة ناقلة للجند (١٠٥) * ولكن عند
 توزيع السفن الحربية على الدول - كما جاء في نص المصدر - اوضح بأنها اثنتان
 وثلاثون سفينة وليس اثنتون * وقد تداركنا ذلك كما تداركه من قبل دكتور عزيز
 سوريار عناية عند كرده عن المحالفة في كتابه :

Atiya: The Crus. In the later mid. ages P. 112

وهو ما لم يقم به المؤرخ ديلافيل لو في كتابه :

D. Le Roulx; Les Hospit. - à Rh. , PP. 88-89. ; Ibid: F.O.1, PP. 99-100

وبعد أن عقدت هذه الاتفاقية أرسلت البندقية إلى ملك فرنسا فيليب السادس من
دي قالوا ، سفارة خاصة طلبت منه - ضمن طلبات أخرى متعلقة بالتجارة بين بلديهما -
الموافقة على أن تمد الفترة المحددة لكل من حملته سنة ١٣٣٤ وحملته سنة ١٣٣٥ ضد
الأتراك شهرا واحدا (١) فأبدي فيليب السادس عدم اعتراضه على هذا المد إذا رأى
الحلفاء ضرورة لئله .

وكان أن اشتدت مشن أسطول الحملة الأولى أمام جزيرة نجروبول في السواحل
المحدد لها وباعدادها المقررة فيما عدا سفن قبرص التي وصلت ناقصة سفينتين ، وسفن
بيزنطة التي تخلفت كلها عن الحضور . ولم يلبث هذا الأسطول أن اشتبك - في
شهر سبتمبر عام ١٣٣٤ - مع مائتي سفينة تركية تابعة لأمر مرمر الواقعة في الشمال
الغرب من آسيا الصغرى ، واسم الأمير يخشى Iakhschi ، في عدة
مبارك بحرية ، وقع بحضرتها في عرض البحر والبحر الآخر في خليج أزمير الذي لجأت
إليه السفن التركية أسيرا ، انتهت بتدمير نصف سفن الأسطول التركي ، بخسلاف
حوافسة آلاف مقاتل قتلهم الأتراك في هذه المراكب البحرية وعلى البر الأسبوي
الذي لجأوا إليه بعد أن خيبت الصليبيون عليهم الخنادق في خليج أزمير ثم طارد هم
الصليبيون فيها .

(١) انظر :

Mas - Latrie: Commerce et Expéditions,

PP. 107 - 108.

(٢) انظر :

De La Roncière et L. Dorez: Lettres Inédites, dans B.E.C.,
LXI, an. 1885 , PP. 23-25; De La Roncière: Hist. de la mar. I,
PP. 233 - 237; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., pp. 89-90; Atiya: The
Crus. in the lat. mid. ages, PP. 112-113. وارجع أيضا إلى المرجع العربي
د . سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٣٦ .

(xx) يتكلم ابن بطوطه (تحفة النظار ح ١ ص ١٩٥) عن مدينه اسمها برغصنة
بها قلعة مينة مبنية بأعلى جبل ، وسماها اسم يخشى خان ، ربما
هو نفسه يخشى الذي نحن بصدده ، علما بأن ابن بطوطه زار آسيا
الصغرى في الفترة الواقعة بين عامي ١٣٣٠ ، ١٣٤٠ - انظر :

Gibbons: The foundation, P. 279.

وقد أخذ الحلفاء ، بغير تردد عودتهم إلى أوطانهم ، يعدون المساعدة للقيام بحملتهم الثانية ضد الأتراك . ولم يفتحهم موت البابا حنا الثاني والعشرين في ٤ ديسمبر عام ١٢٣٤ عن النضى في الاستعداد لهذه الحملة ، وخاصة بحمد أن أظهر خليفته البابا بندكت الثاني عشر (١٢٣٤ - ١٢٤٢) حماسا كبيرا للمشروع من دلائله أنه أرسل إلى ملك صقلية ، في ٢٠ مارس سنة ١٢٣٥ ، يطلب منه أن يتعاون مع الاسبتارية والبنادقة وملك فرنسا في الحرب ضد المسلمين .^(١)

وربما تأخر الحلفاء قليلا في الانتماء من استعداداتهم للقيام بالحملة . ولكن ما أن بدأ عام ١٢٣٦ حتى كانت سفن روم من الاسبتارية ترابط جنبا إلى جنب مع سفن جمهورية البندقية أمام جزيرة كريت ، الخاضعة للبنادقة ، في انتظام مسار وصول سفن بقية الحلفاء . وإذا كان ملك قبرص ، فيو الرابع (١٢٢٤ - ١٢٥٩) قد أحله البابا بندكت الثاني عشر من أن يبقى بالتزاماته بشأن هذه الحملة ، فإن الامبراطور البيزنطي أندرونيق الثالث باليولوج مرقد حشد - على ما قيل - عشرين سفينة من سفن أسطول له ، في القطاع الشمالي من بحر ايجه لخوض المعارك ضد الأتراك إلى جانب سفن الحلفاء . ومن ناحية أخرى ذهب ملك فرنسا ، فيليب السادس إلى قلاو ، في شهر فبراير من نفس العام - أي في عام ١٢٣٦ - إلى مدينة أثين ، حيث وضع مع البابا بندكت الثاني عشر الترتيبات النهائية للحملة ، ثم غادرها إلى مدينة مارسيليا ليتفقد سقته التي حشدها في ميناء تلك المدينة لصالح الحملة تمهيدا لإصدار أوامره لها بالرحيل إلى الشرق . ولكن بينما كان هذا الملك لا يزال في مدينة مارسيليا وصله نبأ تأهب الانجليز لغزو بلاده فرنسا ، فما كان منه إلا أن أرجأ موعد قيام سفن الحملة ضد الأتراك البنادقة إلى أن ينجلي الموقف مع الانجليز ، وكان ذلك كافيا لتأجيل مشروع هذه الحملة .^(٢)

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.90 , n.3. ;
(٢) أنظر : Ibid: F.O.1, P.103.

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., p. 90 ; D. Le Roulx: F.O., 1. P.101-103
(٣) أنظر :

Gay, P.24

(٤) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhodes, P.90 ; D. Le Roulx:

F.O.1, PP.101-103; Atiya: The crus. in the lat. mid. ages, P.113

وكذلك كان كافيا لتأجيل مشروع الحملة الصليبية العامة لاستعادة الأرض المقدسة التي كانت فرنسا تعد لها منذ عهد ملكها فيليب الرابع الملقب بالوسيم (١٢٨٥ - ١٣١٤) ، حيث أن البابا بندكت الثاني عشر ، لم يلبث أن صرح - وقد هزه ما حدث في فرنسا - بأن الحرب الصليبية خطره وليس في استطاع القيام بها ، ثم طلب من الملك فيليب السادس قلاو - في ١٣ مارس عام ١٢٣٦ - بوقف الاستعدادات لهذه الحرب - أنظر :

اشتراك الاسبتارية في عصبة بحرية مسيحية استولت في عام ١٣٤٤ على أزمير :-

على أنه حدث بعد خمس سنوات - أي في عام ١٣٤١ - أن أرسل ملك قبرص ،
هو الراجح لوزجنان - وقد أزعجه تمادي سفن الاتراك ، وبخاصة سفن إمارة آيد يسن ،
في مهاجمة سفن رعاياه وسواحل جزيرته - بمعوثا خاصا ، هو أسقف ليماسسول ،
الى كل من السيد الكبير للاسبتارية في رودس ، هليون دي ثيلينيف ، ودوج البندقية
بارتولوميو جراد ينيجو Bartolomeo gradenigo ، يطلب اليهما أن
يشركا معه في توجيه نداء لبابا بندكت الثاني عشر لاتخاذ اجراء صليبي عام يهدف
الى تدوير القوة البحرية للاتراك المسلحة ، وخاصة السفن التي حشدتها عمر بك بن محمد
بن أيد ين ، أمير أيد ين ، في ميناء أزمير ، وتلك التي حشدتها خضر بك ، اخيه
عمر بك ، في ميناء أياسلوق التي يحكمها .

وقد استجاب السيد الكبير للاسبتارية لرغبة ملك قبرص بالرغم من أنه كان قد سبق
له أن أرسل سفيرا اسبتاريا خاصا لتقديم نصر الطلب لبابا بندكت الثاني عشر (٢) .
وكذلك أبدت جمهورية البندقية موافقتها على أن ترسل سفيرا لها الى البابا بندكت
الثاني عشر صحبة سفراء قبرص ورودس الاسبتارية ، وأرسلت الى ملك قبرص ، في ٢٢
نوفمبر من نفس ذلك العام - أي في عام ١٣٤١ - تعريفا له عن استعدادها للانضمام
الى الحلف أو العصبة البحرية ضد الاتراك عند إعادة تشكيلها (٣) .

وكان أن وصل سفراء قبرص ورودس بالفعل الى مدينة أثينون على حين تخلص
سفراء البندقية (٤) ربما نتيجة علمهم بوفاة البابا بندكت الثاني عشر التي وقعت في
عام ١٣٤٢ . غير أن البابا الجديد كليمنت السادس (١٣٤٢ - ١٣٥٢) ، الذي
تولى في شهر مايو من نفس العام - أي في عام ١٣٤٢ - خلفا للبابا بندكت
الثاني عشر ، لم يلبث أن أرسل الى دوج البندقية في ٢ نوفمبر من ذلك
السنة

(١) انظر : Gay, PP. 18, 28.29; D. Le roulx: Les Hos. à Rh. P.91; D. Le Roulx:F.O.1, PP. 103-104; Hill II, P.299.

وفيما يتعلق باسم والد عمر بك وأخيه خضر بك أرجع الى ابن بطوطه (تحفة
النظار ح ١ ص ١٩٠ - ١٩٤) . ويمقتضى أقوال هذا الرحالة العربي فان محمد
بن أيد ين كان يقيم في مدينة بركي . وقد زاره ابن بطوطه في هذه المدينة ورأى
ابنيه عمر بك أمير أزمير وخضر بك أمير أياسلوق في حضرته .

Hill II, P.299.

(٢) انظر :

Mas. - Latrie II, PP. 180-181

(٣) انظر :

Gay, P.33

(٤) انظر :

Ibid: Op. Cit., P.15

(٥) انظر :

الممام - عام ١٣٤٢ - مبعوثا خاصا ، هو هنري داستي Enrico d,Asti
أسقف نجر و بونت و بطريرك لاتين القسطنطينية - صحيفة رسالة أبلغه فيها بأنه اتفق
مع سفراء رود من قبرص على ارسال حملة صليبية عامة ضد الأتراك آسيا الصغرى ،
وأنه في انتظار أن يصل اليه وأى البنادقة حول هذا الامر (١) . وقد ردت
جمهورية البندقية على البابا كليمنت السادس ، في ١١ يناير عام ١٣٤٣ ، بأن أسطولاً
مؤلفاً من أربعين سفينة حربية تحمل كل منها مائتى مقاتل ، وخمسين سفينة من سفن
النقل تحمل كل منها مائة وعشرين مجذفاً وعشرين فارساً بأحصنتهم ، يكفى لتدمير
قوة الأتراك ، ولكن نظراً لأن خطورة الوضع في بحرايجه تستدعى الإسراع في العمل
بحيث لا يمكن الانتظار الى أن يتم اعداد مثل هذا العدد الضخم من السفن ،
فإن الجمهورية ترى بأن أسطولاً صغيراً مؤلفاً من عشرين سفينة يفى بالغرض بشرط
بقاء تلك السفن في مياه الأرخبيل ثلاث سنوات متواصلة وكاملة . وختمت البندقية
ردّها على البابا بأن أبدت له استعدادها للاسهام ببعض عدد سفن أى من الأسطولين
الذين اقترحتهما بفضل ارساله لمعارضة الأتراك (٢)

وكان أن اصدر البابا كليمنت السادس من فى ٨ أغسطس من نفس الممام - أى فى
عام ١٣٤٣ - قراراً بتأليف عصبة مسيحية بحرية ضد الأتراك تضم البابوية ورود من
الاسبتارية والبندقية وقبرص . ونص القرار على أن يتألف أسطول العصبة من عشرين
سفينة يسهم فيها كل من السيد الكبير للاسبتارية ودوج البندقية بست سفن ، وكسل
من البابا وملك قبرص بأربع سفن ، كما نص على أن تكون مياه جزيرة نجر و بونت مكاناً
لتجمع هذه السفن قبل أن تبدأ في مهاجمة الأتراك (٣)

(١) انظر : Golubovich II, P.194

(٢) انظر : Gay, PP. 33-34; Atiya: The Crus. in the Lat. mid. Ages, P. 292.

(٣) انظر : Gay, PP. 34, - 35 ; Atiya: Op. Cit. , PP. 392- 293 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.93; Hill II, P.299

وقد كتب البابا لحلفائه الثلاثة في العصبة رسائل تتضمن قرار تأليفها

(١)

في نفس اليوم الذي أصدر فيه هذا القرار . ويتضح من الرسالة التي
يبحث بها إلى السيد الكهنة للاستشارة ، هليون دي فيليني (٢) ، بأن البابا ،
حين فرض على الاستشارة أن يساهموا في أسطول العصبة بست سفن - وهو عدد
أكبر من العدد الذي قرره لكل من قبرص واليابوسية - إنما كان باعته ما أشبه
وقد ذك عن الشراء الفاحش الذي كانت تمنحه دينة الاستشارة في رودس (٣) .

على أن هناك دافعا آخر يمكن إضافته إلى ذلك هو تقدير البابا بأن الاستشارة
سوف يكونون - مع الهادفة - أكبر المستفيد من أسطول العصبة بحكم قربهم
من تركيا مصدر الخطر والتهديد الذي صدر قرار البابا بتشكيل العصبة المسيحية
وأسطولها أصلا للقضاء عليها (٤) .

ومهما يكن من أمر فقد امتثل السيد الكهنة دي فيليني لأوامر البابا من غير
مراجعة ، وأصدر أوامره - عهد استلامه رسالة البابا - بالهدوء فوراً في إعداد
السفن الست (٥) . وفي ربيع العام التالي - أي في عام ١٣٤٤ - كانت هذه
السفن الست وفي سفن الأسطول المسيحي المشترك قد اجتمعت بها في ميناء
نجروبيوت الذي اختاره البابا في مشوره تأليف العصبة مكانا لتجميع هذه السفن
قبل أن تبدأ في عملياتها العسكرية ضد الأتراك . وقد تألف الأسطول
المسيحي ، بخلاف سفن الاستشارة الست التي كان يقودها حنادي بياندر
Jean de Biandra مقدم شمية لمبارديا ، من خمس أوسست
سفن بندقية بقيادة بخرس تسينو Pietro Zeno ، وأربع سفن قبرصية
بقيادة إدوارد بوجو Edward, Sire de Beaujeu وأربع سفن بابوسية

(١) انظر : رسالة البابا إلى ديج البندقية في :

Golubovich II, P.195

(٢) انظر :

Pauli II, PP. 86-87 , num. LXLX

(٣) أفاد فورتو (Vertot II, PP.199) بأن دي فيليني اضطـر
إلى فرض ضريبة استثنائية على شعب الاستشارة في الخارج لتدبير الأموال
اللازمة لإعداد السفن الست .

(٤) انظر :

Gay, P.35

(٥) انظر :

Vertot II, P. 199

بقيادة الجنوى مارتنو زكريا ، فضلا عن خمس سفن جنوية تصادف وجودها وقتذاك في مياه بحر الأرخبيل ربما بقيادة كونرادو بيكاميليو
Conrado Piccamiglio
واحتفال انضمام سفينتين ثلوع بهما بعض الحكام اللاتين في بحر ايجه ، بحيث أصبح المجموع الكلى لسفن الأسطول يتراوح بين أربع وعشرين سفينة وسبع وعشرين سفينة (١) .

وكان من المفروض أن يتولى الجنوى مارتنو زكريا منصب القيادة العليا للحملة بصفته قائدا للسفن الهابوية في الأسطول المشترك ، ولخبرته السابقة في محاربة الأتراك منذ أن كان حاكما على جزيرة خيوس التي طرده منها البيزنطيون قبل أربع عشرة سنة . غير أنه يبدو أن البابا كليمنت السادس خشى أن يشير بهذا التمييز ضد الهنادقة أعداء الجنوية ما قد يعطل مشروعات الحملة ، وربما خشى البابا أن يحاول مارتنو زكريا استغلال عهده الكبير - كقائد عام للأسطول العصبية - في استرجاع ملكه وملك عائلته القديم في جزيرة خيوس ما قد يوغر صدر امبراطور الدولة البيزنطية الذي كان البابا يأمل في جزئه الى عضوية العصبية ، ويخلق أهمية كبرى على هذه العضوية بعد أن فشلت جهوده مع الأنجيقيين حكام نابلى وآخايا لاقناعهم بلاشتراك في الحملة . فمن أجل ذلك ، ولاحتمال وجود رغبة عند البابا في تعيين قائد عام مدنى للحملة يد بين له بالولاء الكامل بحيث لا يتردد في تنفيذ الأوامر الهابوية في الوقت المناسب مهما كان نوعها ، وفي استخدام هذه الاوامر في كبح جماح القادة العسكريين في الأسطول المشترك اذا دعت الضرورة لذلك ، فقد عين البابا في هذا المنصب - أى منصب قائد عام الحملة والأسطول المشترك - هنرى داستى Enrico d' Asti ، بطريرك اللاتين فى القسطنطينية ، وسلمه أوامر مشددة بالآلا يسمح لقوات الحملة بأن تخرج عن أهدافها الأصلية المقررة ، وهى تدمير قوة أمير أيدين التركى ، عريك ، وطرد الأتراك من اليونان ، والدفاع عن أرمينيا (٢) .

(١) انظر : Gay, PF. 36-39; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 93-94; Atiya: The crus. in the Lat. mid. ages, PP. 292-293; Hill II, PF. 299 - 300.

Gay, pp. 36-39, 80.

(٢) انظر :

وكان أن قضى أسطول المصبة شهر الربيع والصيف من ذلك العام - أي في عام ١٣٤٤ - في مزارده ، سفن الأتراك في بحر ايجه ، وفي الدخول معها في مراك بحرية لم يعرف من تفاصيلها سوى أن واحدة منها وقعت في ١٢ مايو (عام ١٣٤٤) في شمال بحر ايجه على مرأى من مونت أثوس Mont - Athos (١) ، وانجذبت عن اغسراق وتخصيم ما بين اثنين واربعين سفينة (٢) وخمسين سفينة للأتراك (٣) ، وأن بعض هذه المراك البحرية وقع في شهور يونية ويولية وأغسطس وانتصر فيها الحلفاء المسيحيون الأوربيون على الأتراك - بمقتضى ما جاء في الخطابات التي وصلت بشأنها إلى البسايا كليمنت السادس في أثينون من قبل القائد العام للمصبة هنري داسني والسياسة الكبير للاستتارية دي فيليني ، - بفضل بطولة سفن البنادقة في أسطول المصبة وقائده هذه السفن بطر من تسينو (٤) .

فلما كان شهر أكتوبر ، اقتحم الحلفاء الصليبيون ميناء أزمير ، واشملوا الصيران في سفن إمارة أيد بن الراسية فيه ، ثم نزلوا على الساحل واستولوا على قلعة واقمة عليه بالقرب من الميناء . وفي اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر احتلوا مدينة أزمير نفسها فيما عدا قلعتها الحسوية الواقعة فوق تل يحد المدينة من ناحية الشرق (٥) .

(١) تقع حاليا في إقليم الروميلي بتركيا الأوربية - انظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 431

(٢) انظر : Ibid: Op. Cit., P. 94 , no. 7

(٣) انظر : Atiya: The crus. in the lat. mid. Ages, P.293

(٤) انظر : Atiya: Loc. Cit., Gay, P.39

(٥) انظر : D. Le Roulx: Le Hosp. à Rh., PP. 94-95; D.

Le Roulx:F.O.1, P.104; gay, P.40; Atiya , P.294 ; Vertot II, P.201

Mas-Latrie II, P. 201; Daru I, P. 598.

وكان صاحب أزمير - وهو صربك أمير أيدين - وقد ألك متخفيا في بلاد اليونان
 لمساعدة العدو وحلا كالتكوين^(١) ، منقلب السلطة في الدولة البيزنطية ، ضد امبراطور
 هذه الدولة الصغير ، حنا الخامس بالمولوجس ، والامبراطورة الوالدة آن الشهيرة بأميرة
 سافوي .^(٢) وقد سمع صربك بهذا الاغتيال الصليبي على امارته منذ هدا وقوعه . ولكنه عندما
 تمكن من العودة اليها كانت مدينة أزمير قد سقطت بالفعل في أيدي الفزاة الصليبيين ،
 فلم يجد أمامه الا أن يقيم الحصار على هذه المدينة ويتنظر .^(٣)

وعندما حل يوم ١٧ يناير من العام التالي - أي في عام ١٢٤٥ - خرج الفزاة
 الصليبيون من مدينة أزمير - وقد تشجعوا بنصر بحري أحرزوه اسطولهم قبل ذلك بفترة قصيرة
 على أسطول تركي اشتبك معه في معركة في شمال بحر ايجه قربها من رأس كاسندرا *Kassandra*
 الواقع في إقليم سالونيك اليوناني فقد فيها الاسطول التركي ستين سفينة من سفنه - لا يزال
 صربك على فك الحصار الذي ضربه حول هذه المدينة ولقد صدعهمهم أزمير الى الداخل
 في اماره أيدين . ولكنهم عندما اشتبكوا مع قوات صربك انتمرت عليهم هذه القوات
 وأجبرتهم على الارتداد الى مواقعهم الأولى وقد خلفوا وراءهم أربعين قتلا من بينهم
 القائد العام للعصبة ، حنا داسقي ، وقائد سفن الهنادقة في أسطول العصبة ، بطرس
 تسينو ، وقائد السفن الهابية في هذا الاسطول ، مارتيوزكريا .^(٤) وقتل من الاسبانسة

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 94-95; D. Le Roulx: F.O.1, P.104; Hammedr 1, PP. 180-182 .

(٢) أنظر :

Runciman : Byzan. Civil. P. 58.

(٣) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.95.

(٤) أنظر :

Golubovich IV, P.395; D. Le Roulx: les Hosp. à Rh., P. 95; D. Le Roulx: F.O.1, P.104 , Gay , PP. 55-57 ;

Atiya: , P. 295

في هذه المعركة قائد الفرقة التي اشتركت فيها ، واسمه فلوردي بوجو ^{Beaujeu} (١)
Fleur de
وثمانية من فرسانه . (٢)

وقد وصلت أخبار المعركة وتناجها الى البابا كليمنت السادس من طريق رسالة خاصة
كتبها له دوج البندقية أندريا داندولو
Andrea Dandolo

(١٢٤٢ - ١٣٥٤) . ولم يلبث البابا أن تلقى رسائل أخرى من السيد الكبير للاستتارية
في رودس ، هليون دي قلمينت ، ومن البنادقة حكام جزيرة نجرهونت ، يحثونه فيها على
ارسال لجدات سريعة الى الشرق . (٣) غير أن البابا رأى أن يبدأ أولاً بعمل " الوظائف
القيادية الشاغرة في العصبة بعد مصرع أسطيليا . ومن ثم عين رئيس أساقفة كريت ، وهو
يُدعى أسدوفرايسكو ، ممثلاً شخصياً له في العصبة برتبة وكيل نائب بابوي ، كما عين أحد
قباطنة السفن البابوية في أسطول العصبة ، وهو چنوي اسمه كونراد بيكاميليو

(٤) Conrado Piccamiglio ، قائدا لهذه السفن . أما منصب القائد

العام للعصبة فقد عين البابا لشغله جنادي بياندرا ، قائد سفن الاستتارية في أسطول
العصبة ، ليس فقط بسبب قدرته الشخصية التي أظهرها أثناء عملية غزو أزمير ، ولكن أيضاً
لأنه يمثل هيئة الاستتارية التي أصبح من حقها قيادة العصبة بعد أن وقع على عاتقها
بعد ما تقره مهمة اعداد مدينة أزمير بحامية ، اذقة للدفاع عنها ، وهو أمر شهِر منسبه
أعضاء العصبة الآخرون لما فيه من ارهاق مالي وعسكري لهم ، وحكم أن أعضاء هذه الهيئة
أقدر من حلفائهم الآخرين في العصبة على اسعاف قواتها باللجذات السريعة وقت الحاجة
من جزيرتهم رودس الواقعة داخل نفس المجال الذي تعمل فيه هذه القوات ، هذا السى

(١) أنظر : Flandin, PP. 116 - 117

(٢) يقول (Vertot II, P. 203) قتل عدد كبير من فرسان الاستتارية ،

ولكن جولوهر نقش نشر وثيقة)

Golubovich IV, P. 395

تدلنا على أن عدد القتل من فرسان الاستتارية تسعة (IX milites fratres Hospitalis)

(٣) أنظر :

Gay, P. 59

(٤) أنظر :

Ibid, PP. 59-61

جانب أن وجود استبشاري كثرة مثل حنا دى بياندرا على رأس المصبة ضمن عدم انحرافها
من أهدافها التي تألفت من أجلها ، وبحول دون وقوع خيانة أو تواطؤ مع الأشرار
من أجل الحصول منهم على كسب مادي أو امتياز تجاري خاص ، وهي أمور من المحتمل
وقوعها إذا تولى بندقي أو جنوي منصب القيادة العليا للمصبة (١).

وصف حملة الصليبية بقيادة هيبورت الثاني. ومدة الاستبشارية لها (عام ١٣٤٥)

وسمها يكن من أمر فقد كان تعيين حنادى بياندرا في المنصب مؤقتا ، ولم يلتزم
البابا كليمنت السادس أن عين في ٢٥ مايو من نفس العام - أي في عام ١٣٤٥ - قائدا
عاما آخر للمصبة ، هو الأخير الفرنسي هيبورت الثاني ، أمير لينا الواقعة على نهر
الرون بفرنسا (Humbert II dauphin de Viennois) الذي تسلم (٢)
أيضا من البابا في اليوم التالي (٢٦ مايو) راية كنيسة روما التي كانت تعطى عادة
لقادة الحروب الصليبية (٣).

وقد وصل الأخير هيبورت الثاني بالمثل إلى جزيرة نجيروينت الواقعة في بحر
إيجة في نحو آخر ديسمبر من ذلك العام (٤) ، على رأس بضع مئات من الصليبيين الذين
جمعهم من فرنسا وإيطاليا (٥) . وفي هذه الجزيرة وجد هيبورت الثاني في انتظاره
استطلا مولا من ممتلكات سفن حريمه ، قدم له البابا منها أربع سفن هي نفسها السفن

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 95-96; Atiya, P.296

(٢) القرار البابوي بتعيين الأخير منشور في :

Pauli II, PP. 87-88, num. LXX

انظر أيضا : D. Le Roulx : les hospit. à Rh., P. 96 ; Ibid: F.G. 1. P. 105

(٣) انظر :

Atiya: , P. 307

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.97

(٤) انظر :

(٥) عن شخصية هيبورت والشواصل التي دفعت له للقيام بالحملة واتصاله بالبابا ، والاتفاق
الذي عقده مع هذا البابا بشأن الحملة ، ورحلته من بلرميليا - التي ألق منها
في ٢ سبتمبر - إلى جزيرة نجيروينت عبر إيطاليا .

انظر : Gay, PP. 61-66 ; D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., PP.

96-97 ; Atiya: The crus. in the lat. mid. ages, PP. 301-311.

الهابوية المشتوكة في أسطول العجة البحرية ، وندمت له الهندقيه ورويس الاسبتارية
 المسليتين البافيتين بواقع سفينة واحدة لكن منهما (١) ووجد في انتظاره فيها أيضا
 عددا من أشهر فوسان أوريا الذين ثابوا قد سبقوه الى الشرق لقتال الأتراك عند أن وصلت
 اليوم الأخبار باستيلاء أعضاء العصبة البحرية على مدينة أزمير ، والذين كان من أبرزهم
 أحد الأتريين الاسبتارية في فرنسا ، وهو أمير أميرة پوي انشيليه (Puy-en-velay)
 الواقعة في أعالي نهر اللوار (٢).

على أن هيبوت الثاني لم يلبث ، بعد أن استقر به المقام في جزيرة نجروپونت ،
 أن دخل في مفاوضات طويلة ، ولكن غير مجدية ، مع القطارونيين حكام دوتية اثينسا
 بقصد أن يمدوه بفوق من فوسانهم وجنودهم المشاة ، ومع البلاط البيزنطي من أجل
 أن يتنازل له مؤقتا عن جزيرة خيوس الواقعة بالقرب من شاطئ أزمير لاستخدامها
 كقاعدة أمامية في حربه ضد أمير أيدين ، ثم مع قبطان جنوى اسمه سيجوني فيسبوزي
 Simone Vigniosi وقد من بلده الى جزيرة نجروپونت في أوائل شهر يونيه سنة
 عام ١٣٤٦ ، على رأس أسطول مؤلف من ثلاثين سفينة لهدف ظاهري معلل
 أنه هو محاولة استعادة مستعمرتهم القديمة كفا Caffa ، الواقعة
 على البحر الأسود ، من التتار ، والدفاع عن المصالح الأوروبية المسيحية في هذا
 البحر ، ولهدف حقيقي هو الرغبة في استعادة جزيرة خيوس من البيزنطيين ، وذلك
 لكي يشبه عن نوايا بشأن خيوس ، ويقنعهم بأن يتقدم معه على رأس سفنه الثلاثين
 لمحاربة عربك (٣) ، وأخيرا غادر هيبوت جزيرة نجروپونت ، في شهر يونيه عام ١٣٤٦ ،
 على رأس سفنه الست ، وعشرين سفينة أخرى صغيرة انضمت اليه بمقتصد أنهم

(١) D. Le Roulx: les hosp. à Rh., P.97; D. Le Roulx : F.O.1,

P. 106; Vertot II, P. 206

(٢) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.97; D. Le Roulx : F.O.1,

P.106; Gay, P.658.

(٣) انظر

نبرصه (١) وتوجه رأسا إلى أزمير فوصل إليها في نفس الوقت الذي حاصرت فيه سفن
 الجنوى سيموني فسوزى جزيرة خيوس علما بأن هذه الجزيرة لم تسقط في يد الجنوية
 إلا بعد شهرين منذ بدء حصارها . وقد أحرز هيجوت عدة انتصارات على قسوات
 عر بك بالقرب من أزمير ولكنه فشل في الاستيلاء على القلعة العلوية ، صدر للخطر
 الحقيقى على النخلة الصليبيين في القلعة الساحلية ، بالرغم من جماعة ما تكبدوه في جهل
 ذلك من غلط ثروا الأرواح بوزجالة . ولم يلبث أمير فيها أن وجد نفسه عاجزا عن
 مواصلة القتال حول أزمير بسبب شدة قهظ الصيف وعدم وجود مال لديهم يكفى لشراء
 ما يلزم قواته من مؤن من يودس أو تبرص ، وأصابته شخصا بالمرض الذى تفشى أيضا
 بين صفوف جنده ففتك ببعضهم ودفع بالبعض الآخر إلى العودة فوفا إلى أوروبا
 فرادى أو جماعات (٢) . وكان أن وصل هيجوت ومن تولى حوله من رجاله إلى يودس
 للمعاج . وما أن عوفى من المرض حتى كتب للبابا كليمينت السادس عن صلح يواء مشرفا
 عرضه عليه أتراك أيدى من عوالمب منه ان ياذن له بالتفاوض معهم بشأن هذا الصلح . وقد
 رد عليه البابا في ٢٨ نوفمبر عام ١٣٤٦ بالموافقة لأن حالة الحرب القائمة وتذات بين
 دون أوروبا الكبرى وبخاصة بين فرنسا وإنجلترا جعلت من المتعذر عليه . بحسب قوله -
 تحصيل ضريبة المشور والاعانات المالية اللازمة للاستمرار في الحرب الصليبية ضد الاتراك .
 فبر أن البابا اشترط على أمير فيها ضرورة أن يتناهم عند وضع بنود الصلح مع كل من
 وكيل النائب الباهوى في العصبة ، وفانمسكر ، والسيد الكبير للاستبارة فبسس يودس ،
 دى جوزون ، وكان قد خلب دى فيلوثيف قبل خمسة أشهر ، ومقدم شعبة الاستبارة فبس
 كاهوا ، إزنااردو دى البارنو Isnardo de Albarno . وكان قد وصل

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 98

Gay, PP. 71-74; Atiya:,, PP. 312-313; D. Le Roulx: F.O.1, PP. 106-107.

لنوه الو. رودس صحيفة تعليمية مصرية عن البابا تتعلق بهذا الشأن «وقائد سفن الهندفة المشتركة نو. تاليف أسطول المصبة» نيابة عن الدوق أندريا داندولو، وقائد سفن القبارصة نو. هذا الأسطول نيابة عن الملك القبرصي هيو الرابع، كما اشترط عليه بأن تكون جميع بنود الصلح مشروطة للمسيحية، وأن ينص أحدها على عدم سرقاتها قبل أن يمدد البابا شخصيا عليها (١).

وفي نفس هذا الوقت تمت البابا كليمنت السادس برسالة خاصة إلى السيد الكبير للاستشارة، «دي جوزون» إبان له فيها ما يمانيه الكرسي البابوي من فاقه، ثم ناشده بأن يشحن في التفاوض مع الأتراك من أجل الصلح (٢).

الاستشارة يدورون مفاوضات الصلح مع الأتراك -

عقد الصلح وحل المصبة (عام ١٣٤٦-١٣٥١) :

وكان أن دارت المفاوضات بين الجانبين التركي بزعامة عمر بك أمير أيدين، والصلبيين بزعامة هيمبرت الثاني أمير ثينا. وسببت هذه المفاوضات اضطرابا فائدا عام المصبة إلى تضييق شتاء عام ١٣٤٦ - ١٣٤٧ في جزيرة رودس جنبها إلى جنب مع زعماء المصبة الآخرين يتلقون النصح والمشورة من السيد الكبير للاستشارة دي جوزون. ولكن حدث في شهر مارس عام ١٣٤٧ أن فقد هيمبرت زوجته بالوفاة في رودس، فتلته عليها حزن شديد افتقر بما كان يمانيه من يأس في إمكان نجاح مفاوضات المتشكك مع أمير أيدين، وأدّى به ذلك إلى مناصرة رودس في شهر مايو من نفس العام عائدا إلى بلاده في فرنسا بمدد حصوله على إذن البابا (٣).

(١) انظر : Pauli II, PP. 89-90, num. LXX1? ; Gay, PP. 74-76

(٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.107

(٣) انظر : Gay, FF. 77-79 ; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P.

107; D. Le Roulx: F.O.I, P.108 , ; Atiya, P.314

ونى ثلاثا أثناء كانت المصبة البحرية قد وصلت الى درجة كبيرة من التصدع بسبب
 عودة القارصة الى جزيرتهم ، وتحول اهتمام جمهورية البندقية الى اخلاء ثوة فاصت
 فدها في مستعمرتها دالماسيا ، والى الممل على احباط النخل الاستعماري والتجاري
 الذي كانت تقوم به منافستها جنوة وقتذاك في شبه جزيرة القرم^(١) ، هذا الى جانب
 قيام منافسة بين الاسبتارية والبنادقة من دلائلها احتجاج السيد الكبير للاسبتارية
 دي جوزون على دخول بعض سفن البندقية في ميناء ازمير^(٢)
 وقد ترتب على ذلك ان اصبحت سفن الاسبتارية في اسطول المصبة تشكل القوة
 الرئيسية الماطة ضد الاثرائغو. ذلك الاسطول^(٣) ، وقدا قائدها ، وهو بطرس
 ارناي دي بييرز توريز Pierre Arnal de Peres Tortes مفيد
 شهرة الاسبتارية في قبالونيا^(٤) ، قائدا عاما للمصبة^(٥) ، وحدث بعد ايام قليلة
 من رحيل الشهر هيجرت الثاني عن رودس - اى في شهر مايو عام ١٣٤٧ (في الشهر
 العشرين من هذا الشهر) - ان لما الى علم هذا القائد الاسبتاري في رودس بان
 اسطولا تركيا مؤلفا من مائة وخمسين وحدة بحرية صغيرة - كان قد تشكل في طرسل
 الهدوء الحربي الذي ساد المنطقة خلال فترة المفاوضات الفاشلة بين مصر وبيوتهمسرت
 الثاني - بنت جزيرة إمبروز Imbros ، الواقعة على بعد اثني عشر ميلا
 من مدخل مضيق الدردنيل في شمال بحرايجي ، واستولى عليها ، فخرج اليه على رأس

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hospt. à Rh., P.108; Ibid: F.O.1, P.108

(٢) انظر :

Gay, P. 74:

(٣) انظر : D. Le Roulx: Les Hesp. à Rh., P.108; Gay, P.78; Atiya, P. 315

(٤) انظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., P. 108

(٥) جاء في (Vertot II , P.209) بان قائد سفن الاسبتارية في اسطول

المصبة ، حنا بياندرا ، اصبحت مرة أخرى قائدا عاما لهذا الاسطول بعد عودته
 هيجرت . وواضح بان ثوتو لم يعرف بان قائد سفن الاسبتارية وقتذاك لم يكن
 بياندرا وانما بطرس ارناي دي بييرز توريز.

اسطول المصبة المكون في معظمه من سفن تابعة للاستبارة ، ودخل معه في معركة بحرية ، في مياه تلك الجزيرة ، وانجلى عن تدمير أكثر من مائة قطعة من قطع الأسطول التركي . وهكذا أحرزت المصبة البحرية بفضل الاستبارة أعظم نصر لها على الأتراك منذ تأسيسها . وقد بحث البابا كليمنت السادس ، في الرابع والعشرين من شهر يونيو - أي بعد مرور شهر واحد على المعركة - برسالة خاصة إلى السيد الكبير للاستبارة دي جوزون هناك فيها على ذلك النصر ^(١) ، والطلب منه أن يضمن على أساس استئناف المفاوضات التي بدأها الأمير هيبيرث الثاني مع الأتراك ^(٢) . وكان ان دارت المفاوضات مرة أخرى بين الجانبين الصليبيين والترك . وقد مثل فيها الجانب الصليبي كرس من الفارس الاستبارة دراجونيت دي جويون Dragonet de Joyeus نائباً عن السيد الكبير دي جوزون ، والقس بارثولميس دي توماريس Barthélemy de Tomaris ، نائباً عن وكيل النائب البابوي في المصبة فرانيسكو ، على حين مثل الجانب التركي كرس من عمر بناسير أيدين ، وأخيه خضر بناسير أيدين ، وأياستلوق . أما دور الوساطة بين الجانبين فقد قام به التاجر الجنوي لوكاشيان زكرياسا Octavien Zaccaria الذي يعتقد بأنه ابن أو ابن أخ للمدعو مارتينو زكريا قائد السفن الباهوية المشتركة في اسطول المصبة البحرية وقت أن استولى هذا الأسطول على مدينة أزمير . وقد انتهت هذه الجولة من المفاوضات في شهر يناير عام ١٣٤٨ بتوقيع مشروع معاهدة تضمنت أن يقوم أعضاء المصبة ، مقابل الحصول على بعض الامتيازات التجارية من أتراشايدين ، بهدم القلعة التي تحتلها قواتهم على ساحل مدينة أزمير . ويمتد هذا المشروع نصراً للمصبة بصفة عامة والاستبارة ، الذين يقع على

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh, P.108 ; Gay, PP.78-79 ; Vertot II, PP. 212-213 ; Biliotti, P.160 , Atiya, P. 315 ;

ومن الملاحظ بأن المعركة قد استغرقت وقتاً طويلاً يبدو ، فهناك وثيقة (انظر : D. Le Roulx: Op. Cit? P. 108 n. 2, Gay, P. 79 n.2 تدلنا على أن السيد الكبير للاستبارة جوزون أرسل في ١٠ مايو ، عندما وصلت إليه فسي رودس أنباء النصر الأولى للأسطول المسيحي . نجد من ثلاث سفن استبارة بقيادة نائب المطرغال .

(٢) انظر :

كأهلهم الجانب الأكبر من عبء الدفاع عن مدينة أزمير ، بصفة خاصة ، فقد ضمن لهم ، بخلاف الامتيازات التجارية التي نص عليها ، الاحتفاظ بمدينة أزمير ، والبقاء فيها بالمين آمنين من تهديد القلعة الملوية ، التي كانت لا تزال تحت السيطرة التركية ، بحيث أصبح في مقدورهم تخفيض عدد أفراد حاميةهم العسكرية في المدينة ، وما يترتب على ذلك من توفير في النفقات الباهظة التي تتكلفتها هذه الحامية ، وهذا بالإضافة الى ما ينظر أن يحققه المسلم من رواج تجارى لمدينة أزمير ، واعطاء هذا الميناء القدرة على منافسة الجنوية المسيطرين على جزيرة نخيوس وميناء فوكايا تجاريا ، كن ذلك مقابل هدم قلعة قريبة من ميناء أزمير أشارت التقارير الجديدة التي كانت نص باستمرار الى انبائها من زعماء المصبة بضالة أهميتها وأنه كان من الأجدر هدمها منذ بدء احتلال المصبة للمدينة (١) . ومن الواضح أن أثراك أيدين ما كانوا يقبلون التوقيع على مشروع لفك أزمير بتحقيق مثل هذه الميزات لو لم يكن أسطول الاسبتارية قد دمروا قوتهم البحرية عند جزيرة امبروز قبل ذلك بشهر قليلة (٢) . وبالرغم من جميع هذه الاعتبارات فقد رفض البابا كليمنت السادس أن يمدد على مشروع الاتفاقية الذي اعتبره سببا في جبهة المسيحية واعترافا من أعضاء المصبة بضمهم . ومن ناحية أخرى أعلن دوج البندنية ، أندريا داندولو ، عدم موافقته على هدم قلعة أزمير ، ووجه اللوم الى الاسبتارية لأنهم قبلوا شروطا غير متكافئة ، وأنهم ، بانتهاج سياسة شديدة المسالمة مع الأتراك ، وبأنهم طلبوا من قائد سفنهم في أسطول المصبة ، وهو دي بييرز تورنيز ، عدم تحمل مسؤولية الدفاع عن قلعة أزمير (٣) .

وفي تلك الأثناء كان عمر بك أمير أيدين يستعد للمسير الى أوروبا لكي يساعد صديقه حنا السادس كاتاكوزين ، مختصبا المملوك في الدولة البيزنطية ، ضد قوات

D. Le Riulx: Les Hosp. à Rh., PP. 108-109, Gay,

PP. 86-87

Atiya: The Crus. in the lat. mid. ages, P. 315

Gay, PP. 87-88

(١) انظر:

(٢) انظر:

(٣) انظر:

الإمبراطور الشرفي لهذه الدولة ، حنا الخامس باليولوجي ، فلما سمع بنيا احتشاع
 البابا عن انتصدين على مشروع الاتفاقية قرر تأجيل سفره إلى أن يتولى حسيابه
 نهائيا من غزاة أزمير . فمراته عندما هاجم هذه المدينة ، في شهر مايو أو شهر
 يونيو عام ١٢٤٨ ، أصيب في مقتل ثم ارتد جيشه (١) . وهكذا أصبح الطريق
 سهلا لبدء جولة جديدة من المفاوضات بين أتراك أيدون والحصبة البحرية يحصل فيها
 أعضاء الحصبة على امتيازات أفضل . وقد تولى هذه الجولة من المفاوضات حسن الجانب
 التركي خضر بن حاكم مدينة أيا سُلُوق الذي اختير أميرا على أيدون خلفا لأخيه
 عمر بك ، على حين تولاه عن الجانب البلطيق السيد الكبير للاستتارية في رودس ،
 دي جوزون ، بالاشتراك مع الفارس الاستتاري الذي قاوت عمر بك في الجولة السابقة
 من المفاوضات ، دراجونيت دي چواييز ، ممثلا لوكيل النائب البابوي في الحصبة
 فوانيسكو . وقد انتهت هذه المفاوضات الجديدة في ١٨ أغسطس عام ١٢٤٨ بمشروع
 اتفاقية يتميز عن سابقتها بخلوه من شرط عدم قلعة أزمير الساحلية ، وبكثرة ما تضمن
 من ميزات ضخمة منحها خضر بن لأعضاء الحصبة المسيحية البحرية ، مما يدل على
 براعة المفاوضات الاستتارية من ناحية ، وعلى ما وصل إليه أتراك أيدون من ضعف نتيجة
 الهزائم المتكررة التي منيت بها قواتهم في البحر والبر على يد الحصبة البحرية ، وآخرها
 هزيمتهم في المعركة التي قتل فيها الأمير عمر بك ، من ناحية أخرى .

Gay, FP. 105 ; 188

(١) أنظر :

عندما زار ابن بطوطة مدينة أزمير كان أميرها عمر بن قتي زيارته لأبيه محمد بك في مدينة
 برقي . ولكن عندما ألف كتابه الذي ضمنه أخبار رحلته كان عمر بك قد قتل . وقد
 تكلم ابن بطوطة كلاما مثيرا وشيئا دقيا عن فتنة أزمير وسبوح هذا الأمير ، فقد قال :
 " وكان هذا الأمير كريما صالحا ، كثير الجهاد ، له أجنان فزوية بخرب بها على
 نواحي القسطنطينية المنظم فيسبون ويقيم ، ويفتي فذلك كرم وجودا ، ثم
 يهود إلى الجهاد ، إلى أن اشتدت على الروم وعلامة فرفضوا أمرهم إلى البابا
 فامر نصارى جنوه وأغوانيسه بفزوه ففزوه ، وجهزوا جيشا من روميه ، ووطنوا
 مدينته ليد في عدد كثير من الأجنان وملكوا العرسي والمدينة ، ونزل اليهم
 الأمير من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعته من ناسه واستقر النصاري
 بالبلد ولم يقدروا على القلعة لضعفها " .

(ابن بطوطة : تحفة النظار ج ١ ص ١٩٤) .

ولعل أهم ما ورد في تلك الاتفاقية الأخيرة من ميزات قدّمها خضر باشا لخصمها
 المصبة البحرية المسيحية موافقته على التنازل لهم عن نصف ما يجني في مناسبات
 إياسلوق ، وفهره من موانئ امارة أهدين التي يحكمها ، من رسوم جمركية ، وعلى
 معاملة رجالهم المقيمين في قلعة أزميز الساحلية معاملة طيبة ، وعلى صاحب سفينة
 وسفن رعاباء من مياه بحر ايجة الى البر في خلال شهر واحد لكن تنزع عنها اسلحتها
 أو تحرق اذا رغب البابا في أن تحرق . ومن تلك الميزات أيضا تمهيد الأمير خضر بك
 بعدم تقديم المون لا ئي أمير تركي آخر بحاربه أعضاء المصبة البحرية ، أو لا ئي أمير
 مسيحي متعبد على البابا ، وتمهيد بعدم قيام أحد من رعاباء بالاعتداء على المسيحيين
 المقيمين في مدن امارة أهدين ، بما فيها مدينة أزميز ، أو القاديين إليها لفرض
 التجارة ، لا بدافع من نفسه ولا بتحريض من الأتراك الاثنا للمجاورين ، وأن يحسم
 للمصبة أهمية سفينة تجنح الى البابا في امارته أهدين من السفن التي يملكها الاثراك
 أو القراصنة المسيحيين ويطاردها اسطول هذه المصبة ، وتمهيد أيضا بأن يخفف
 رعاباء الى نجدة السفن المسيحية التي تشرف على الفرق ، وأن يسمح لسفن المصبة
 بالدخول الحر والامن في جميع موانئ امارته أهدين للتزود بحاجتها من المؤونة ، ويسمح
 للاستبارة والبنادق والطارقة بتحصين قناصل لهم في تلك الامارة يتولى كل منهم
 مهمة الفحص فيما ينشأ بين أفراد الجالية التي ينتمى إليها ويرأسها من منازعات ،
 فاذا وقعت خصومة بين أحد هؤلاء الأفراد ومواطن تركي استلزم الأمر أن ينظم الفصل
 مع مشيوش تركي مختص (noster naypi) قبل أن ينطق بالحكم في تلك
 الخصومة . هذا وقد وافق خضر بك أيضا في مشروع الاتفاقية على أن يضمن تمهيد
 ما للمسيحيين من ديون على رعاباء ، وأن تبقى الضرائب الممولى بها على التجارة مسج
 المسيحيين في بلاد بلا زيادة ، وأن تعطى ملكية الكنائس في كل من أزميز وإياسلوق
 لرئيس الأساقفة المقيمين من البابا في تلك المدينة ، وأن يسمح لرئيس الأساقفة رئيس
 المدينة بمن باقاة الشمامسة الدينية وفق عقيدتها المسيحية بكل حرية ، مستعملين
 بحماية الأمير خضر بك لهما وبحق وضع الحراسة عليهما وحق تعطيل المقارنات ، كما
 وافق خضر بك أخيرا على أن يرد للمسيحيين عبيدهم الهاربين منهم الى الجانب

(١) التركي في اشارة ايدين واوران تدفع لهم التمتع بامتيازات الترتيب عن هؤلاء المهيمنين.

هذا اهم ما ورد في مشروع الاتفاقية الذي قدمه الاستشارية مع خضر خضر
ايديين من مميزات لهم لصالح اعضاء المصيبة البحرية المسيحية فحسب ، ولكن
ايضا لصالح سائر المسيحيين الترتيبين . وقد اضافت جمهورية البندقية الى مواد هذا
المشروع ، في النسخة التي ارسلها اليها السيد الكبردي جوزون وخضر بك ، موادا
اخرى تضمنت وعودا بذاتها الذي اندريا داندولو ووجلس للشيوخ البندقي للتيسر
خضر بك مقابل ما تمهد به لاجزاء المصيبة في المشروع الاصل للاتفاقية . على ان
من الملاحظ ان جمهورية البندقية لم تطلب هذه العود باسمها وانما باسم المصيبة
البحرية المسيحية عامة ما يدعي انما تضافت بشأنها مسبقا مع السيد التيسر
للمستشارية الذي ادار المفاوضات مع امير ايدين ، كما يدعي بالتالي على ان الرئيس
الاستشاري قد تمهد بمثلها لذلك لاثير الترتيب . وايضا كان الامر فان نصت عليه
تلك العود البندقية عدم الحاق الاذى من اي نوع برعايا الاثير خضر بك ، والسماح
لهم بالتفول الحر والامن في جميع الاراضي الواقعة تحت سيطرة المصيبة . ونصت ايضا
على انه اذا ارادت قوى مسيحية اخرى غير مشتركة في عضوية المصيبة مهاجمة املاك
الاثير خضر بك ، فان من واجب المصيبة ان تبذل أقصى ما في وسعها لدى تلك القوى
لتمنع عن هواباها المدوانية ضد الاثير التركي ، فلما اخفقت المصيبة في معارضاها
اصبح من واجبه ان تحذر ذلك الاثير من الخطر المترتب به في اقرب وقت ممكن (٢)

وقد حدث في اوائل عام ١٣٤٩ ان وصل الي مدينة افنيون رسول تركي من قبل
الاثير خضر بك ، اسمه عز الدين بالابان Essedin Balaban ، وبصحبه

التاجر الجنوي اوكتافيان زكريا الذي يظن بأنه قام بدور الوساطة في المفاوضات بين

(١) المعاهدة منشورة في عشرين مادة باللغة اللاتينية في :

Mas - Latrie: Commerce et Expéditions militaires de la
France et de Venise au moyen age, PP. 112-119.

انظر أيضا :

Heyd I, P.543; gay, P.91; D. Le Roulx ; Les Hosp. à
Rhodes, PP. 109-110.

(٢) انظر :

Mas - Latrie; Commerce et Exp. milit., PP. 119-120; gay, PP. 91-92

السيد الكبير لاستشارية ، دن جوزون ، والاثيو التركي ، خضرت ، وقدمنا للبابا كليمنت السادس خطابا من خضرت ونسخة من مشروح الاتفاقية للتصديق عليه حتى يصير ماري المفسون . فمر أن البابا طلب من المصفيو التركي والتاجر البنتوي اعطاء مهلة كافية لدراسة المشروح على يد رواد خان للتصديقات التي يراها عليه . وبعد بضو نحو ستة شهور ، وعلى وجه التحديد في شهر يوليو عام ١٣٤٩ مرر البابا على المبعوثين القادمين من الشرق بأنهم يلزمه الآن هو الحصول على موافقة كن من ملانفريس ودون البندقية على المشروح بصفتها شركيين في العصبة المسيحية مع السيد الكبير لاستشارية الذي وضع توقيعهم على ذلك المشروح ، وذكر لهما بأنه يحدد أن يكتب إلى الملك القبرصيسي والدوق لكر يرسل اليه سفراءهما قبل شهر مايو عام ١٣٥٠ للتفاهم معه في هذا الشأن وأنه لذلك ، وانتظارا لما تسفر عنه المحادثات مع هؤلاء السفراء ، قرر أن يكتفى بالموافقة على عقد هدنة مؤقتة مع الاثيو فخر بشتظ ملرية المفسون حتى يفسر ١٥ ديسمبر عام ١٣٥٠ (١).

ونتيجة للاتصالات التي أجراها البابا كليمنت السادس بعد ذلك مع أعضاء العصبة (٢) وصل إلى مدينة أفينيون ، خلال عام ١٣٥٠ ، سفراء عن قبرص والبندقية والاستشارية ، وبعد أن عقد هؤلاء السفراء سلسلة من الاجتماعات ، التي حضرها اثنان من الكرادلة نوابه عن البابا كليمنت السادس ، في غاحية من فولمر مدينة أفينيون اسمها فيانيسيل Villeneuve وقعوا جميعا ، في ١١ أغسطس عام ١٣٥٠ ، على اتفاقية نصت على أن تواصل العصبة البحرية المسيحية الحرب ضد الأتراك لمدة عشر سنوات أخرى تبدأ من أول يناير عام ١٣٥١ ، وأن يخصص لهذا الغرض أسطول مشترك مؤلف من ثمان مئتين مائة منهم فيها كل من رودس الاستشارية وجمهورية البندقية بثلاث سفن ، وتسهم جزيرة قبرص بالمسفيتين الباقيتين ، أما البابا كليمنت السادس فقد أقر من المساهمة بأربعة سفن في الأسطول لفقرو الذي أوضحه صراحة لشركائه في العصبة.

(١) انظر :

Gay, PP. 89-90, 92

(٢) كتب البابا إلى قبرص بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٣٤٩ Hill, II, P.301

وكتب للبندقية في شهر أكتوبر من نفس العام (D. Le Roulx: Les Hosp. à

Rh., p. 110

كما أنه كتب لجنوة - بالرقم من أنها ليست عضوا في العصبة - في عام ١٣٥٠.

وند نصت الاتفاقية كذلك على ان يقوم البابا بتعيين القائد العام للأسطول المشترك ، والا
يضمن هذا الأسطول لا ضد المسلمين ، ولا يضمن بالتجارة ، كما نصت على ان يملهم
من عضو من أعضاء العصبة الأرمينية ، أي البابا وروس الاستبارة والبنديقية وقبرص ، ومع
تكاليف مستمرة أزهر وثمنا بمعدل اثني عشر ألف فلورنتي في العام الواحد (١).

ويبدو ان قرار عواصم الحرب ضد الأتراك جاء نتيجة ضغط من جانب البابا
كلمنت السادس إما لقلّة ثقته في الوعود التي بذلها الأمير خضر بك والسيّد الكبيّر
دي جوزون ، أو لكبر أمل عنده في ان كان تكوين محالة مريحة كبرى تضم الى جانب أعضاء
العصبة البحرية كل من بيزنطة وچنوة . ومن دلائل ذلك موقف الماطلة والتوسيف
الذي وثقه في السفير التركي والتاجر اللجنوي اللذين قدما اليه في أفينون وقدمتا
له مشروع الاتفاقية العبري بين الأمير خضر بك والسيّد الكبير للاستبارة دي جوزون ،
وكذلك مراسلاته التي اجراها خلال عام ١٦٥٠ في دن من الاميرال خير الشريك في الدولة
البيزنطية حنا السادس كانتاكوزين ، وحاكم چنوة حنا مورتا (J. Murta) ، وطلب
فيها منهما ان يشاركا في المحاكمة ضد الأتراك (٢).

وسمما يكن من امر فان هذا القرار لم يكن سوى حبرا على ورق ، وذلك ان مسافرا
كثرا من البندقية وقبرص صرحوا في نفس اللحظة التي كانوا يوقعون فيها عليه بان دولتهم
لا تستطيع الوفاء بالتزام دفع ربح تكاليف مستمرة أزهر الذي نصت عليه الاتفاقية
لانها ترى بان البابا وديمية الاستبارة مسئولان وحدهما عن دفع جميع تكاليف تلك
المستمرة ، كما ان دوج البندقية أندريا باندولو ارسل الى البابا كلمنت السادس
في آخر عام ١٦٣٥ - أي بعد اربعة أشهر من صدور القرار - يطلب منه اعفاء بلاده
من تقديم السفن الثلاث التي فرضها عليها قرار فيلينيوف بسبب قيام الحرب بينها وبين

(١) انظر : Mas Latrie II, PP. 217-218 ; Gay, PP. 93 ; 120-121 .

(٢) بخصوص اتصالات البابا مع بيزنطة انظر (Gay, PP. 107-10)

وبخصوص اتصالاته مع چنوة انظر (Ibid: Op. Cit., PP. 119-120)

جنوة . وهكذا تم على تشكيل الأسطول المشترك بسبب تلك الحرب التي لم تلبث أن
انتهت بسلامها حتى شملت جميع القوي المسيحية في الشرق بما فيها قوة الاستبشارية
في رودس التي قاصرت جنوة . وقد بذل البابا كليمنت السادس في شهر يوليو عام
١٣٥١ محاولة للتوصل إلى الصلح بين حكومتى الهندية وجنوة ، غير أن محاولته
انتهت إلى فشل . وأخيرا كتب البابا في ٨ سبتمبر من نفس العام - أي في عام
١٣٥١ - إلى السيد الكهنة الاستبشارية ، دى جوزون ، رسالة يخبره فيها بأنه قد قرر
إلغاء العصبة البحرية ، وأنه ، بناء على ذلك ، يهدف إلى إنهاء الاستبشارية من تقديم
السفن التي كان عليها بمقتضى قرار ليلونيك أن تنضم بها في أسطول تلك العصبة (١)
غير أن البابا كليمنت السادس توفي في ١١ ديسمبر عام ١٣٥٢ وخلفه البابا
أنوسنت السادس ، (٢) وهناك دلائل تشير إلى أن البابا الجديد استطاع فورا
بداية عهد إحياء العصبة البحرية من نفس اغنائها القدامى . ومن هذه الدلائل
أن البابا طلب في ٣ نوفمبر عام ١٣٥٣ ، من كل من الهندية ورودس الاستبشارية وقبرص ،
بأن يتبادر بتسديد الاشتراك السنوى ، ومقداره ثلثة آلاف فلورنتى ، وفقا لسيا
حدد لها في الاتفاقية المبرمة حديثا ، وأنه أعلن ، في اليوم الثامن والعشرين
من نفس الشهر ، عن إرسال سفينتين محملتين بالمؤن والجند إلى الشرق على نفقة الحلفاء
الأنيمية (٣) . غير أن ظروف الحرب بين الهندية وجنوة - وكانت لا تزال قائمة -
حالت ، في الواقع ، دون وصول الجيوش التي بذلها ، آنذاك ، البابا أنوسنت السادس
لدى طفائه الثلاثة الآخرين ، إلى طياتها الأخيرة ، وهي جعل هؤلاء الحلفاء على
أعداد أسطول مشترك يستطيع أن يحطم قوة الاتزان في بحرايجه وعلى ساحل آسيا
الغربية (٤) .

- (١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP; 111- 112; Gay, PP. 121-123
(٢) انظر : Mas-Latrie II, P. 221; Hill II, P.301
(٣) انظر : Hill II, P.301
(٤) انظر : Hill II, P.301

فلما عقد الهدنة بين الدولتين الايطاليتين المتحاربتين * في اول يونيو عام ١٣٥٥ (١) ، استأنف البابا بذن تلك الجهود ، وكان ان ارسل ، في ربيع عام ١٣٥٦ ، الى كل من السيد الكبير للاستبارة الحاكم وقتذاك في رودس ، وهو روجردي بنسز ، ملك قبرص هو الرابع ، ودونج البندقية حنا جرادينيجو Giovanni gradenigo * يطلب منه ان يبعث بالسفن التي سبق وتمهد بان يهاجم بها في اسطول المصيبة المشتركة الى ميناء ازمير قبل اول يولييه المقبل - اي في عام ١٣٥٦ - وان يوسل سفرا الى مدينة اثنيون قبل اوان نوصير من نفس المام للمصادقة على الاتفاقية القائمة بين ابناء المصيبة المسيحيين الاربعة اولاصافة اتفاقية جديدة بينهم (٢) .

وقد وصل سفراء الحلفاء الثلاثة الى مدينة اثنيون بالفعل ، ولكن متأخرين من الموعد الذي حددته البابا لوصولهم باثتر من عام بسبب اضرار الحرب في ذلك المام - اي في عام ١٣٥٦ - بين البندقية وبنفاريك * ولم يلبث هؤلاء السفراء ان قدموا في ندوب البابا ، في ٢٢ مارس عام ١٣٥٦ ، على اتفاقية جديدة نصبت على دوام المصيبة المسيحية لمدة خمس سنوات اخرى ، وتشكيل اسطول مشترك من سفن حربية تهاجم فيها كل من رودس والاستبارة والبندقية وقبرص بسفنتين على ان تكون مهمته الرئيسية هي القيام بجولات تفتش فيه متخرة في مياه بحر ايجه ، وان يتلقى اوامر من قائد عام المصيبة الذي يهينه البابا (٣) .

على ان عقد تلك الاتفاقية ، ومبادرة البابا انوسنت السادس ، همد عقدها * بتميين اورسو Orso ، رئيس اساقفة تريست ، نائبا بابويا قائدا عاما للمصيبة

Wiel: Venice, P.216

(١) انظر :

Mas -Latrie II, P.221; Hill II, PP. 301 -302

(٢) انظر :

Mas - Latrie II, P.218 ; Hill II, P.302; D. Le

(٣) انظر :

Roulx: Les Hosp. à Rh., P.133

ومن الملاحظ بأن سفراء رودس لم تكن مهمتهم الوحيدة هي التفاوض مع البابا بشأن احياء المصيبة ، وانما كانت لهم مهمة اخرى هي محاولة تمويه ما بين حكومتهم في رودس وهذا البابا من خلافات -
انظر :

D. Le Roulx: OP. Cit., PP. 132 - 133.

لم يرد بها في الواقع إلى تشكيل الاسطول المشترك الذي نصت عليه الاتفاقية ، وذلك بسبب
 نقص المالغبرص هو الرابع عن تقديم السفينتين المطلوبتين منه لاسطول (١) ، وإذا
 كانت سفن الاسبتارية ، بقيادة راييموند بونجر ، قد هاجمت في خلال ذلك المام -
 ان في عام ١٢٥٤ - بالتعاون مع سفن الهندية وامراة الميرة ، اسطولا تركيا بالقسوب
 من ميناء ميجارا Megara اليوناني ، ولحقت خمسة وثلاثين مركبا من وحداته البحرية ،
 فان ذلكم خالف نظام العصبة ، وهو نفس ما يقاس به عن حادث الاسبتارية على مدينة
 انطاليا - وكانت مركزا لامارة تكية Tekke من امارات الاثرنا المستجقة الواقعة
 على الساحل الجنوبي لاسيا الصغرى - الذي وفي في يوم ٢٣ ، ٢٤ اغطس عام
 ١٢٦١ على يد اسطول قبرص بقيادة ملك قبرص بطرس الأول ، وتالف من مائة وعشرين
 سفينة بين كبيرة وصغيرة ما هم فيها البابا بنوسنت السادس بسفينتين ، والقراصنة
 الاوروبيين باثنتي عشرة سفينة ، والاسبتارية في رودس بأربع سفن كبيرة قائدها أمير البحر
 في حكومة الاسبتارية ، أو نائبه ، صبية قسطل زهدوس لقيادة قوات البر (٢)
 وسها يكن من امر فانه في عام ١٢٦٢ انتهى أمد آخر اتفاقية عندت بشأن العصبة

(١) أنظر : Hill II, P. 302

(٢) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 139 ; Miller :

The Latins, P. 284

(٣) عن تفاصيل حادث الاسبتارية على انطاليا أنظر :

Macheras , PP. 62-68; Strambaldi, PP. 45-48; Amadi, PP.

441-443; Hill II, PP. 320-322; D. Le Roulx: Les Hospit. à

Rh., PP. 140-142 ; D. Le Roulx: F.O. 1 , PP. 118-119. ; Atiya,

PP. 324-327

ومن الملاحظ بأن المؤرخ أمادي (ص ٤) أطلق على أمير البحر الاسبتاري اسم :

Joan Fortin وقد صرح ماس لاتري - الذي نشر كتاب أمادي - هذا الاسم (نفس

الصفحة ملحوظة ٤) قائلاً بأنه ربما يكون Joan Forbin ، أميا

ماخيراً وسترامبالدي فانهما لم يعليا هذا الموظف الاسبتاري اسماً ولكن

ماس لاتري - الذي نشر كتاب سترامبالدي - قال (ص ٤٥) أن اسمه Joan

Forbin بمقتضى ما جاء في كتاب مؤرخ آخر قديم عن قبرص اسمه باسترون

(ص ٢٥٠) ، وأخيراً جاء ديلاثيل لور (ص ١٤١ ملحوظة ٢) بأن اسم

أمير البحر الاسبتاري وقتذاك Ferlino d'Alrasca وربما كان

Forbin نائباً له .

البحرية الرابعة ولم تجدد مرة أخرى قسراً ، وبالتالي لم تقم لتلك المصبة بمددها
قائمة . وقد فشل الاستتارية في رودس بمدد ذلك فترة من الزمن بالمشاركة في مخامرات
الملك القبرص بطرس الأول ضد دولة صلاح الدين السالط في مصر والشام ، وهي المخامرات
التي بدأت في عام ١٢٦٥ هـ فيسزومدينة الاسكندرية ، وانتهت في عام ١٢٦٠ هـ بمقصد
مهادنة صلح بين السلطان الملك الأشرف شعبان والملك القبرص بطرس الثاني
ابن خليفة بطرس الأول (١) .

السيد الكبير هيويديا يفود حملة صليبية استتارية خالصة ضد الاثراك في المورة (عام ١٢٧٧ هـ) :

وحدث في نفس العام الذي عقدت فيه مهادنة الصلح هذه - أي في عام ١٢٦٠ هـ
- أن تولى في **أفنيون** بابا جديد هو جريجوري الحادي عشر (١٢٧٠ - ١٢٦٨ هـ) وقد
شغل هذا البابا في مستهل عهده بالسمر لاعداد حملة صليبية يشترك فيها الاستتارية
ضد اقليم اسلامي آخر هو الدولة المشرقية تحت حكم السلطان مراد الأول (١٢٥٩ -
١٢٨٩ هـ) ثالث سلاطين تلك الدولة بعد جده عثمان بن ارطغرل (١٢٠٨ - ١٢٢٦ هـ) ثم
والده ارخان بن عثمان (١٢٢٦ - ١٢٥٩ هـ) (٢) . وإذا كان الهدف الرئيس
من الحملة التي قادها الملك بطرس الأول ضد الاسكندرية في عام ١٢٦٥ هـ هو الاعتداء
على دولة اسلامية مباشرة بقصد ارجائها على التنازل لوصفة نهائية عن جزء منها هو
فلسطين وساحل الشام ، والرفقة في تأمين سلامة هذا الجزء بتدعيم القوة العسكرية
للدولة في مصر ، فضلاً عن الرقعة في الاستفادة من موانئ مصر وللشام التجارية وفرض
مقدمتها ميناء الاسكندرية ، فإن الغرض الاساسي للحملة التي قادها البابا جريجوري
الحادي عشر باعدادها هو الرفقة في وقف خطر اسلامي عثماني زحف لمساعدة
على ارض المسيحية في البلقان وشبه جزيرة المورة .

وكان أول من حدث البابا جريجوري الحادي عشر على المص من اجل ارسال
حملة صليبية ضد الاثراك المشرقيين ثبير الاثراك في اللاتين في مدينة نيويانتراس ببلاد

(١) انظر النص الخامس بالمصادقات مع المالك .

(٢) انظر :

الحرة الذي هدد المشطانيون مدينته (١) بعد أن استولوا على إمارة اثينا بجوارها ،
وكذا الجنوية الذين تزعزعت مصالحهم التجارية في المنطقة بسبب تصرفات السلطان
مراد الأول (٢) . وقد استجاب البابا لهم ووجه نداء عاجلا إلى كنيسة إنجلترا
وملك فرنسا وأمبراطور النمسا بدعوه فيه للمساهمة في تلك الحملة . وفي الوقت نفسه طلب
البابا من دعاة المسيحية الذين يهددون المشطانيون بلادهم أو مصالحهم في شرق وجنوب
أوروبا - وهم الأتباع بطريرك القسطنطينية حنا الخامس بالمولودجيس ، وحامل لقباميرا لفسور
بيزنطة فيليب الثالث ، وملك قبرص وصقلية وهنغاريا ، ونبوغ المندقية ، وحاكم جنوة
والعهد الكبير للاسبتيارية في رودس ، وسائر حكام بلاد النمرو وجزر بحر ايجه - أن يمددوا
في مدينة طيبة اليونانية ، في أول أكتوبر عام ١٢٧٣ ، اجتماعا يضمهم جميعا لوضع خطة
مشتركة للمصل ضد الأتراك المشطانيين . وقد تم عقد ذلك الاجتماع بالفعل ، ولكنهم
لم يلبث أن انقض من غير التوصل فيه إلى نتيجة بسبب إثارة المناظرات الشخصية
القائمة بين أعضائه (٣) .

وقد حدث في شهر فبراير من العام التالي - أي في عام ١٢٧٤ - أن توفي
في جزيرة رودس السيد الكبير للاسبتيارية القائم وتذاعها الحكم ، وهو ريموند برونچيس ،
وخلقه في المنصب روبرت دي جويلي . وكان السيد الكبير الجديد وقت انتخابه
شخص وظيفة مقدم خدمة الاسبتيارية في فرنسا ومقره مدينة باريس . فلما علم بالنبأ غادر
باريس وتوجه إلى أثينون لأخذ الأذن من البابا جريجوري الحادي عشر بالمفوضية
المرعولة الجديد في رودس (٤) . وقد انتهز البابا هذه الفرصة لطلب سمن
الرئيس الاسبتياري أن تتولى هيئة الاسبتيارية منذ الآن مسؤولية الدفاع عن حصن
ومدينة أزمير والصرف عليها من موارد الخاصة جزئيا لا يتجزأ من الأسباطونية

(١) أنظر :

Miller: The latins, P. 303

(٢) أنظر :

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 175

(٣) أنظر :

Miller, PP. 303-304; D. Le Roulx. Les Hosp. à Rh.,

PP. 175 -176

(٤) أنظر :

D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 176, 178, 183; Vertot II,

P. 246

الاستراتيجية في شرق البحر المتوسط (١) وكان الاستراتيجية قد رفضوا طلبات ساطلة
قدسية لهم من بابوا ما يقين عندما استقرت الأمور للفرقة الصليبية في أزمير، لما يسيبه
ذلك ليهبتهم من أرهاق مالي وعسكري هو في قتي عنه. وقد وجدت البابوية نفسها
عندئذ مضطرة إلى أن تمهد بهمة حراسة الحصن والمدينة إلى قائد من المرتزقة
يقولها لفترة محدودة ولأجور سنوي معين يدفع له البابا بعد أن يتصله من أعضاء
المصبة البحرية الرباعية التي استولى أسطولها على مدينة أزمير، فلما توقفت
عن من الهندية وقبوض عن دفع نصيبها وقامت مسئولية تسديد الدبلج كله على
طاني البابا والاستراتيجية مناصفة (٢). غير أن البابا جريجوري الحادي عشر رأى
أن من الخطورة، بعد أن تزايد في المنطقة خطر الأتراك العثمانيين الذي أخذ
ينمو تدريجياً على حساب بقية الإمارات التركية، دوام الاعتماد على أيدي مرتزقة،
لا يمكن ضمان إخلاصها للقضية الصليبية، وفي الدافع عن المتحصنة، وأن الوفست
قد خان لأن يتحمل الاستراتيجية العبء، ولكن برغبتهم البابا على التنازل عن معارضتهم
القديمة للأفكار أصدر منشوراً بابوياً خاصاً في شهر سبتمبر عام ١٢٧٤ هدد فيه هدية
الاستراتيجية بمقوية الحرمان إذا رفضت أن تتسلم زمام حكومة أزمير في خلال ثلاثة شهور
بعد وصول السيد الكبير روبرت دي جويلز إلى جزيرة رودس، وتسلم مهام منصب
الرئاسة فيها. ومن المنشور أيضاً على ضرورة أن يوفر الاستراتيجية للمدينة، بصفة
دائمة، حامية قوية من الفرسان والجنود، على أن يسهم البابا في نفقات هذه الحامية
لمدة خمس سنوات ببلغ سنوي مقداره ثلاثة آلاف فلورنسي من الذهب تخضع من
حصيلة ضريبة عشر نفوس على دخل الكنيسة الكاثوليكية في قبرص (٣).

(١) انظر:

D. Le Roulx: Les Hospit. à Rh., P. 185 ; Vertot II,

p. 247; Biliotti, P. 178

(٢) انظر:

D. Le Roulx : Op. Cit., PP. 145, 175 n.3, 185

(٣) انظر:

D. Le Roulx: Op. Cit., PP. 185-186; Vertot II , PP. 247-248 ;

Biliotti, P. 178

وأمام هذا المنشور البابوي لم يجد السيد الكبير روبرت دي جويلي بداً من
الخنوع لرغبة البابا جريجوري الحادي عشر . على أن مسألة الزمير لم تكن الموضوع
الوحيد الذي تناقش فيه البابا في مدينة أثينون السيد الكبير للاستبارة قبل سفره
إلى رودس ، وقد تناقش أيضاً في مسألة الحملة الصليبية ضد الآثار المشانين وانتفا
في هذا المجال على توجيه الدعوة لمقد مؤتمر يضم ديار أعضاء هيئة الاستبارة ومثلها
في الحرب المناقشة الوساطة التي تتمكن بها الهيئة من إعداد حملة صليبية عامة ضد
الآثار المشانين متعدد أساساً على مواردها البشرية والمالية في الحرب إلى جانب
المساعدات المتوفرة من حكومات أوروبا ، وهي مساعدات لا ينتظر أن تكون ذات قيمة
كبيرة . وقد عقد المؤتمر الاستبارة المراد عقده بالفصل في ٢٠ أكتوبر من نفس العام —
أي في عام ١٣٤٤ — وقرر الموافقة على أن تتحمل هيئة الاستبارة مسؤولية القيام
بالحملة الصليبية ضد الآثار المشانين ، وأن يتولى نائب السيد الكبير في الحرب
وهو هويدا ، الذي أصبح سيجاً كبيراً للاستبارة بعد موت روبرت دي جويلي ،
قيادة هذه الحملة على أن يسمح له باختيار أعضاء هيئة الاستبارة الذين يرفع في
حشد لهم ، وأن يصرح له بأن يوجر الأراضي والمقارن المخصصة دخولها راتباً له
من شغلته ووظيفة مقدم شعبة المهوستان لصالح الحملة الصليبية (١) . وفي أول نوفمبر
من العام التالي — أي في عام ١٣٤٥ — عقد في مدينة أثينون مؤتمر استبارة آخر
بواسطة هيريديا اتفق فيه على أن يرسل إلى الشرق ، في ربيع عام ١٣٤٦ ، لمحاربة
الآثار المشانين ، قوة مؤلفة من خمسمائة فارس استبارة وعدد مماثل له من مساعدي
الفرسان على أن يمد على لكل فارس حق اختيار مسلحه . وقرر أيضاً أن تقوم لجنة مؤلفة
من الأبرار الكبير بورتاندي فلوت Bertrand Flote ، ومقدمي شعب الاستبارة
في فرنسا وشامبيني وسان جويل ، بتحديد عدد الفرسان الذي يجب أن تسهم به
كل شعب من شعب الاستبارة في الحرب في تلك القوة ، على أن يتم تعيين أسماء

مؤلا الفوسان في انجمنيات العمومية الخاصة بطلب الحرب (١). وقد أرسل البابا
ميجوري الحادي عشر، في اثنان من الشهر التالي، الر ملو عو حكام اوربا يذ لهم
بقرارات المؤتمر الاستثنائي ويطلب منهم ان ياذنوا لفوسان الاستثنائية وساعد بهم
المؤمنين في دولهم، وفي علمهم الاختيار للمساهمة في الحملة الصليبية ضد الاثريان
المثاليين، بخادرة تلك الدون للرحيل عنها الى الشرق، واخيرا يرحوهم بان يشجعوا
الحملة المذكورة بتقديم المساعطة المختلفة من رجال لها (٢). ومن ناحية اخرى
من البابا في اوان مارس عام ١٣٧٤ للجنة مؤلفة من اربعة من مقدمي شمس
الاستثنائية، عين السيد الكبير روبرت دي چوبلي اثنين منهم، وعين البابا الاثنين
الاخرين، بان نجح لصالح الحملة ما قيمته ستون الف فلورنتي عن املك هيشة
الاستثنائية في ايطاليا، وهو مبلغ ضخم يذن على تضيحية جسيمة (٣).

وفي محال ذلك كله بان الاستعداد للحملة الصليبية يجري على قدم وساق في
مدينة نابلي التي اختيرت مركزا لتجمع قوات تلك الحملة (٤). وقد وصل القائد المدين
للحملة، وهو هيريديا، الى ايطاليا في يناير عام ١٣٧٢ (٥) كذا مراف بنفسه على

(١) انظر: D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 188; Vertot II, P. 252

وجدير بالذكر بان المؤرخ Vertot (loc. Cit) ذكر بان الفوسان
الخصائفة وساعد بهم وصلوا الى رودس. وقد نقل المؤرخان بليونسي
(Biliotti, P. 179) وفلاندا (Flandin, P. 134) هذا القول
غير ان ديلافيل لو (OF. Cit. P. 188 n.2) حدد عدد الفوسان الذين
اختار منهم السحب للسفر الى الشرق بثلاثئة وتحسين غرينا، ونظرك من واقع الكشف
الرسمية.

(٢) انظر: D. Le Roulx: Op. Cit, PP. 188-189

وقد نشر ياولي الخطاب البابوي المرسل الى ملانج لترا اذوارد الثالث بتاريخ

١ ديسمبر عام ١٣٧٥ (انظر: Pauli II, PP. 96-97 num. LXXVII

كما نشر الخطاب المرسل بنفس التاريخ الى بوهيميا (انظر

Ibid, PP. 97-98-num. LXXIII

D. Le Roulx: Op. Cit, PP. 190-191

Ibid:Op. Cit, P. 199

Ibid:Op. Cit, P. 192

(٦) انظر:

(٧) انظر:

(٨) انظر:

اعداد المراحل الأخيرة في الحملة قبل قيامها . وكان هيريديا لا يزال موجودا فسي
إيطاليا حين بلغه نبأ اختياره سبيدا كبيرا للتسبب بخرية خلفا لروبيرت دي جويلسي
الذي توفي في ٢١ بولمة عام ١٣٧٤ (١). غير أن هيريديا قد رآه أخيرا مينا تالسي
في ديسمبر من ذلك العام - أي في عام ١٣٧٤ - على رأس أسطول الحملة الموسلف (٢)
بحسب أقوال المؤرخ بلوتس من تصح سفن حربية وبمسفن نقد ، واتجه به رأسا
إلى بند العورة من غير أن يمر بجزيرة رودس التي كان يعلم سلفا افتقارها إلى ما قد
ينفذه من الفوسان أو الأسلحة أو المؤن . ولم يلبث هيريديا أن رما بأسطوله على
الساحل بهلاد العورة . قريبا من مدينة باتراس Patras فوجد في انتظاره الأسرا
اللاتين الحاكمين في تلك البلاد . جاءوا للتوجيه به وتقديم يد المساعدة له . وعندما
دخل مدينة باتراس نفسها قدم له رئيس أساقفتها ، الذي كان يتولى الحكم فيها
أيضا وهو يند في اسمه بولس فومكاري Paul Poscari ، تمزيقات وساعات
عسكرية هامة . ومن ثم عبر هيريديا خليج باتراس واستولى على مدينة لوبانتو Lepanto
الواقعة على الخليج في مواجهة مدينة باتراس ، من يد الأمير الألباني حليف الأتراك
المشائين ، حنا بواسباتاس Gin Bua Spatas علما بأن مقر هذا
الأمير كان في مدينة آرتا Arta المجاورة ، وأن مدينة لوبانتو لم تخضع لسيده
إلا في عام ١٣٧٨ قبل سقوطها في يد هيريديا بفتوة قصيرة . وكان على هيريديا بعد
ذلك أن يتقدم للاستيلاء على مدينة آرتا نفسها . وبينما كان في طريقه إليها في صيف
عام ١٣٧٨ وقع في كمين أعد له الألبانيون أتباع الأمير حنا بواسباتاس ، فأسسروهم
ثم بلغوه للأتراك المشائين الذين احتفظوا به في حوزتهم إلى أن اقتدته منهم
هيئة الاسببارية التي يرأسها ، في ربيع عام ١٣٧٩ ببلج كبير من المان . أما مدينة
لوبانتو ، التي كان هيريديا قد استولى عليها قبل أن يقع في أسر الألبانيين ، فقد

(١) انظر : D. Le Roul : Les Hosp. à Rh., PP. 198-199

(٢) انظر : Ibid: OP. Cit. , P. 20 2

(٣) انظر : Biliotti, P. 184

علما بأن أبا من ثوتوود بلاثيل لرو لم يذكر عدد هذه السفن

دافعت عنها قوة استبارية بقيادة أنج الموروزي Ange de Pérouse ضد
محاولات الألبانيين لاستعادتها إلى أن اضطرت ، في عام ١٣٨٠ إلى التنازل
عنها لهم . (١)

(١) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 202-206

ويلاحظ بأن المؤرخين الذين سبقوا ديلافل في الكتاب عن تاريخ الاستبارية

من : 185-186 Vertot II, PP. 274-278; Billotti, PP.

(Flandin., PP. 139 - 140)

قد ذكروا بأن هيريدا بدأ بأن اشعلوا من الأثر العلى مدينة باتراس ، ثم تقدم
نحو مدينة كورنت لتخليصها منهم ، ولكنه لم يلبث أن وقع في كمين كانوا قد
نصبوه له في الطريق إلى هذه المدينة ، وظل في أسرهم إلى أن اقتدته أسرته
بأموالها فأطلقوا سراحه عام ١٣٨١ . وقد سرد المؤرخ ميللو :

(انظر : Miller: The Latins, P. 309)

وقائع هذه الشزوة فأنه بأن مدينة باتراس لم تكن في يد الأثر العلى يستولى
عليها هيريدا ، وبأن السيد الكبير للاستبارية وقع في أسر الألبانيين
ثم بلغوه إلى الأثر . وقد نشر ميللو كتابه في عام ١٩٠٨ . وبعد خمس
سنوات أي في عام ١٩١٣ - نشر كتابه (الاستبارية في رودس) فصدق
على ما وصل إليه ميللو بفتح النظر عما أتى به في روايته من أخطاء ، ولم
يختلف معه سوى في تحديد تاريخ إطلاق سراح هيريدا فقد ذكر ميللو
أن هذا التاريخ هو عام ١٣٨١ متفقا في ذلك مع المؤرخين القدامى للاستبارية ،
في حين أصر على أن السيد الكبير للاستبارية أطلق سراحه ففسس
عام ١٣٤٩ ، وقال بأنه يستند في ذلك إلى وثيقتين من وثائق الاستبارية
المحفوظة في جزيرة مالطة ، وأحدها تبين أن هيريدا كان في ٢٠ مايو عام
١٣٤٩ في مدينة شيارنزا Chiarenza ببلاد الموره في طريق عودته
إلى رودس بعد إطلاق سراحه ، والثانية تفتح بأن هيريدا كان في رودس
قبل ٢٣ سبتمبر من نفس العام .

هيرديا يتخذ اجراءات دفاعية ضد تهديدات السلطان المشاني مراد الاون لرووس وازمير:

وهكذا انتهت الحملة التي قام بها الاستيطارية بقيادة مسيدهم الكبير هيرديا
لوقت تقدم الاتراك المشانيين في هذه اليونان الى فشل دون أن تشتبك معهم ففسى
أية معركة حربية . وعندما استعاد هيرديا حريته من أسر الاتراك المشانيين كان العالم
المسيحي الغربي مشغولا عن أحداث الشرق بما عرف باسم حركة الانشقاق العظيم
في الكنيسة الكاثوليكية ، وهو الانشقاق الذي حدث نتيجة انتخاب بابويين بدلا من بابا
واحد لخلافة البابا جيورجيو الحادي عشر الذي توفي في ٢٦ مارس عام ١٢٦٨ فأحدهما
ابطالو اسم اربان السادس انتخب في ٨ أبريل من نفس العام واتخذ مدينة روما مقرا لاسمه
والثاني فرنسوا اسم كلمنت السابع انتخب في ٢٠ سبتمبر واتخذ مدينة اشيون مقرا لاسمه (١)
ومن ثم أدركت الاستيطارية أن قيامهم في تلك الأوقات بأي نشاط جديد ضد الاتراك
المشانيين في هذه المرة سيؤدي لا تكون له النتائج المرجوة ، وأن من الأفضل لهم
أن يوجهوا جل اهتمامهم الى تعزيز وسائل الدفاع عن جزيرتهم رودس وسائر مستعمراتها
في بحر ايجه . وقد حدث في عام ١٢٨١ أن دعا الى علمهم بأن الاتراك يعدون لظهورهم
من ازمير بالتواطؤ مع أحد المرتزقة في حامية تلك المستعمرة اسم نقولا روبرود Nicolas
Robaud . ولم يجد السيد الكبير هيرديا ، عندئذ ، بدا من أن يصدر أوامره ، في
٢٨ مارس عام ١٢٨١ ، الى قائد الحامية ، وهو الفارس الاستيطاري يعقوب دي ليونسي
Jacques de Leoni بأعداد جميع الجند المرتزقة من صفوف الحامية
وبالتحقيق مع نقولا روبرود في التهمة المنسوبة اليه ، وببذل أقصى جهد مستطاع لانقاذ
المستعمرة من الأخطار التي تهددها (٢) وقد نفذ القائد يعقوب دي ليونسي تلك الأوامر
على الفور ، وفيما يتعلق باتخاذ الاحتياطات الدفاعية اللازمة عن المستعمرة استخدم ذلك
القائد الأموان الفاضلة من دخلها ، وكذا الهبات الموصى بها لأعمال الخير ، في تهيئة
بعض حصونها . فبر أن ذلك الاجراء لم يكن كافيا لبث الطمانينة في نفوس سكان المستعمرة

(١) أنظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rhod., P. 210; Trevor:

Rome, PP. 269 - 271.

(٢) ارجع الى نص خطاب هيرديا الى قائد حامية ازمير في :

من الأوروبيين المسيحيين الذين كانوا يتوقعون أن يهاجمها الأتراك بين لحظة وأخرى ،
 فاجلوا في خريف ذلك العام - أي في عام 1381 - اثنين منهم ، هما رئيس الأساقفة
 المدعوجي ، و (الكونسابل) نقولا من مانتوا nicolas de mantoue إلى
 رودس حيث قابلوا السيد الكبير هيريديا وطلبوا منه ضرورة إرسال النجدة ، المرمية
 لتدريز حامية المستعمرة . وكان أن استدعى هيريديا إلى رودس في 8 ديسمبر من نفس
 العام ، قائد عام المستعمرة ، يعقوب دي ليونو ، وطلبهم معه فيما يجب اتخاذ مسرعة
 إجراءات عاجلة لمواجهة أي احتمال . وفي التاسع من شهر أبريل عام 1382 طار هيريديا
 جزيرة رودس متوجها إلى أوروبا لتدبير النجدة ، في الأموال والرجال من بيوت الاسبتارية
 في تلك البلاد وأرسلها إلى أزمير ورودس ، ولابدل محاولة بمساعدة البابا كليمنت السابع
 الذي ناصر هيريديا ودير الاسبتارية في رودس بوجه عام - لدى حكام المسيحية في
 الغرب لانقاذهم بالتدخل المسمى عند تقدم الأتراك المشاكسين في الشرق ، أو -
 على الأقل - لانتزاع المساعدات منهم (١) . على أن هيريديا ، عندما وصل إلى أوروبا
 لم يستطع أن يحقق فيها شيئا مما سافر إليها من أجله ، وذلك لأن ، حسب الاسبتارية
 في الدول الموالية لبابا روما أربان السادس - وهو دول إيطاليا وألمانيا وإنجلترا
 واليونان - كانت منشقة على رئاسة هيريديا وتدبر بالطلبة لسيد كبير آخر اسمه
 ريتشارد تارانشولو Richard Caracciolo ، ومن ثم فقد أتت أن تقدم
 أموالها ورجالها لخدمة قضية يتبناها هيريديا ، على حين كانت الشعب الأخرى الخاضعة
 لرئاسة هيريديا تعاني من الفوضى المالية والادارية ما جعلها عاجزة عن تلبية طلبات
 هيريديا منها ، وبجمل هيريديا يقضي بل وقته في معالجة تلك الفوضى (٢) . هذا من ناحية
 الاسبتارية أنفسهم ، أما من ناحية دول أوروبا الغربية فقد كانت لا تزال مشغولة عن
 قضايا الشرق بحركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية . وكان أن اضطر
 هيريديا في نهاية الأمر إلى أن يلجأ ببعض احتياجات الحاميات والحصون في رودس وأزمير

(١) انظر : D. Le Roux: Les Hosp. à Rh., pp. 212-215
 (٢) انظر : M. Le Roux; Op. Cit., PP. 215-220, 226.;
 Vertot II, PP. 286 - 287 , 290, 292-293.

من أمواله الخاصة (١) التي قدمها لها قروضا على الخزائنه في رودس (٢).

وعلى أي حال فقد كان من حسن حظ الاسبتارية في رودس ولحق القوى المسيحية الحاكمة شرق البحر المتوسط ان سلطان الاثراك المشائين مراد الأول ، وهو مصدر التهديد الحقيقي لهم ، حول نشاطه الحربي في تلك الأثناء ضد إمارة بنو قومانة وهي إحدى إمارات الأثراك السلاجقة بآسيا الصغرى - ثم ضد بلاد الصرب والبلفار - باليونان والألبان وغيرها من دول المصوب السلافية القاطنة بين نهر الدانوب وبحر الأدرياتيك (٣) . وبينما كان المراد الأول يحشد قوات ضخمة سنة ١٣٨٨ لمواجهة تحالف سلافي بحري تألف ضده ، أبدأ بالدول المسيحية في شرق البحر المتوسط ، بما فيها دولة الاسبتارية في رودس ، تخشى على نفسها من تلك الحشود ، فأسرعت خمس دول منها ، هي رودس والاسبتارية وقبرص وقبرص وميتيلين وبيرا (Pera) (وهي مستعمرة يونانية ، شأنها شأن ميتيلين وقبرص ، ولذا تقع بجزر القسطنطينية عبر القرن الذهبي) ، في أول ديسمبر من ذلك العام - أي في عام ١٣٨٨ - إلى عقد اتفاقية تحالف فيما بينها ضد الاثراك المشائين لمدة عشر سنوات . وقد نصت تلك الاتفاقية على أن تشترك جزر رودس وقبرص وقبرص وميتيلين في تكوين أسطول مشترك من أربع سفن حربية بواقع سفينة واحدة لكل منها ، على أن تقوم السفينة القبرصية بقيادة الأسطول إلا إذا تضرعت إحدى الدول الأعضاء في الحلف ، في قبرص ، للغزو من جانب المشائين ، فانه يتمين في هذه الحالة أن تعطي القيادة لسفينة تلك الدولة المعتدى عليها إلى أن تنتهي حالة الغزو . واستقر الرأي في تلك الاتفاقية على أن تخرج السفن المتحالفة الأربع ، في شهر مايو من العام التالي - أي في عام ١٣٨٩ - من مكان تجمعها في ميناء رودس ، لتقوم بزيارة كل من قبرص وميتيلين وبيرا والقسطنطينية ، فإذا لم تجد أيا منها مهددة تهديدا حقيقيا بالغزو من جانب السلطان المشائي مراد الأول ، أو أي أمير توكي آخر ، تعود أدرأجها إلى ميناء رودس لتتلقى

Vertot II, P. 293; Biliotti, PP. 186-187
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , PP. 226-227
Gibbon: The Decline, Vol. II, P. 1224

(١) انظر :
(٢) انظر :
(٣) انظر :

مرة أخرى إلى جوريجيوس Gorchigos ، وهي المستعمرة القبرصية الواقعة على الساحل الآسيوي ، ومنها إلى ميناء كيرينيا kerynia في جزيرة قبرص نفسها حيث يجب أن تبقى سفن رودس وقبرص وميتيلين أطول مدة ممكنة إلى جوار السفينة القبرصية قبل أن تعود إلى أوطانها . وإلى جانب ذلك أكدت الاتفاقية بأن يظل الحلفاء في القيام بالداوريات في المياه المملوكة لتركيا ، فإذا وجدوا أن من السليم عليهم الدخول في بحرية بحرية ضد اسطول عثمانى يتألف من خمس وعشرين سفينة وجنود أن يضاع كل منهم نصيبه من السفن التي يملكونها في الأسطول المشترك بحيث تبلغ عدد سفنه ثمانى سفن . وأخيرا نصت الاتفاقية بأن يكون شعار الحلف الذي ينشأ على رايته صورة السيد اندرا ، وهي بالاسنة تحمل ابنها وترتديه مع طفلا أبيض اللون مرسما بالنجوم (١) .

موقف الاستتارية من تهديدات بايزيد الأول :

ومهما يكن من أمر مسرور هذه الاتفاقية فإنه لا توجد دلائل تشير إلى أنها وضعت موضع التنفيذ (٢) . وأغلب الظن أن المرافعة عرضا الطرف عنها عندما تأكد لهم أن هدف الحشود المملوكية ، التي أمر بها السلطان مراد الأول ، محاربة الحلف السلافي وقد انتصر مراد الأول بالفعل في عام ١٣٨٩ على جيوش ذلك الحلف ، التي قادها لازار ملك الصربية في سهل ثومو . ولكن بينما كان مراد يتفقد ميدان الحرب بعد الموقف نهض جندي صربي من بين القتلى ولحمته بخنجر فخر صريعا

Hill II, PP. 439 - 440

(١) انظر :

وما يجدر ذكره هنا أن المؤرخ ديلاكيل لم يذكر عن هذه الواقعة سوى قوليه بأن ميويديا عقد ، في عام ١٣٨٩ ، مع ملك قبرص وبعض حكام الشرق الآخرين معاهدة تحالف ضد الأتراك لتصرف شؤونها .

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. P. 225

(٢) انظر :

أما مجموعة مؤرخي الاستتارية التقليديين الذين سبقوا ديلاكيل ، وعلى رأسهم فوثير ، فلم تشير إلى هذه الواقعة بالمره .

ومات لشوة وخلفه ابنه السلطان بايزيد الأول الذي لقب بالخاضعة (١) Yildirim

وحدث أن استولى السلطان الجديد بايزيد الأول في العام التالي لتوليته -

أي في عام ١٣٩٠ - على إمارة أيدى بن التركية السلجوقية التي تقع فيها مدينة أزمير

الخاضعة للاستبارة في رودس (٢) ، في نفس الوقت الذي سيطر فيه مستون سفينته

هاجمت جزيرة خيوس التابعة للجنوب والواقعة في بحر ايجه في مواجهة تلك الأسمار ،

وأصدر أوامره بمنع تصدير الذهب والفضة إلى رودس وليموس

Lemnos

وميثولون وخبوس ، وجميعها واقعة في بحر ايجه (٣) وقد ترتب على هذه التحركات

المشائية ، وما صاحبها من أنباء عن مشروعات جديدة بعدد السلطان بايزيد الأول

لغزو أزمير ورودس وسائر جزر بحر ايجه ، أن انتاب نائب السيد الكبير للاستبارة

في حكم رودس أثناء غيابها في مدينة اثيون ، وهو البارسان بطرس دي كيسان

P. de Culan ، الفقيه ، فأرسل في ١٢ أبريل عام ١٣٩٠ -

مؤلفة من سفيرين إلى فرنسا لابتدأ السيد الكبير هيريدا والياها لكيمنط البليج

والملك الفرنسي شارل السادس بخاف حكومة الاستبارة في جزيرة رودس من

نوايا السلطان المشائي المدائية ، وحشهم على سرعة إرسال المساعدات المالية

والسكرية التي تمكن تلك الجزيرة وستعمراتها في بحر ايجه من الصمود .

وقد وصل مبعوثا رودس إلى مدينة اثيون بفرنسا في ١٠ يونيو من نفس العام

- وبعد أن استمع السيد الكبير هيريدا لهما في نفس يوم وصولهما دعا إلى عقد

جمعية في مدينة اثيون تضم أصحاب التمتع المالية في هيئة الاستبارة لاتخاذ ما يلزم

من إجراءات تطلبها خلوقة الوقت . وبالرغم من أن هيريدا حدد يوم ٣٠ أغسطس

(عام ١٣٩٠) لانقضاء تلك الجمعية ، فقد تأجل افتتاحها حتى يوم أول سبتمبر

(١) انظر :

(٢) انظر :

Gibbon: The Decline, PP. 1224-1225

Atiya: The crusade of nicopolis, P. 17 ; gibbons:

The foundation, PP. 185 , 283.

(٣) انظر :

Hammer I, P. 303; Gibbons: The foundation , P. 186

وقد تركزت المناقشات فيها حول موضوع ماثلتدبير الأموال التي طلبتها رودس ،
وانتهت الى اصدار قرار نص على ضرورة ان تحصل عن السنة المالية الجارية وتمت
انفاق الجمعية والتي تنتهي في ٢٤ يونيو عام ١٣٩١ ، من كل شعبه من شمسب
الاستراتيجية غريضة استثنائية تعادل نصف دخلها في تلك السنة ، وان تامل
المصروف تدفع غرائب استثنائية لمدة أربع سنوات مالية أخرى فيمتد عشره آلاف
فلورنتر عن كل سنة منها ، تحصلها كلها المصروف التي تدفع بالاطاعة السيد الكبير
هيرديا بوزعة عليها كل بحسب قناتها ، فإذا عادت لهيئة الاستراتيجية وحدتها
التي كانت عليها قبل وقوع حركة الانشقاق العظيم في الكنيسة الكاثوليكية ، خلال
تلك السنة ، أسهمت المصروف المنشئة في دفعها ، يضاف الى ذلك أن هيرديا
أرسل الى رودس في ربيع العام التالي سفينة تحمل كميات كبيرة من المواد ونجسده
من الفونسان القيمين في شعب الاستراتيجية بأوروبا اختارهم هيرديا بنفسه ، وبين
ناحية أخرى طلب الجبايا كلفت المايج من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الموالين له
في ١ مارس من نفس العام (عام ١٣٩١) ، البدء في جمع التبرعات من الناس فسي
دولتهم الدينية لغرض المساعدة في تقوية حصون مدينة أزمير ، كما أذن للاستراتيجية
في ٢٩ أبريل بتسليم كل من يتجه لهذا الغرض بمبلغ فلورنتين اثنين صكا سنين
صكوك الشفيران (١) .

وقد حدث في العام نفسه - أي في عام ١٣٩١ - أن استولى السلطان
المشاور بايزيد الأول على الإماراتين المنقبطين للأتراك السلاجقة على الساحل الغربي
لأسيا الصغرى ، وهما إمارة منتشه وصاروخان ، بحيث أصبح يسيطر على ذلك
الساحل كله فيما عدا عتمة أزمير الاستراتيجية . وقد أدى ذلك الى تماظم القلق
أدى حكومة الاستراتيجية في رودس وأزمير بالرغم من تحول بايزيد وفتداه عنهما
الى فزو إمارة بني قربان بالداخل ، فقد أدركوا بأن المسألة فيما يتعلق بأزمير لا تعدو

ان تكون مسألة وقت (١) . وعندما علم هيريدبا بالاثار من هذه الحكومة عقد بمدينة اغنيون في شهر أبريل عام ١٣٩٢ ، جمعيه من مقدمي الشعب الحوالمين له وأمرى الاتريات الكبرى والمحامين في هذه الشعب اتخذت فيها عدة قرارات من شأنها ان توفر للأخرانسة المركزية في رودس جميع الأنواع اللازمة للصرف على تعزيز وسائل الدفاع عن أزمير وسائر ممتلكات الاستبارية في بحر ايجه ، كذلك ناقشت الجمعية الجانب العسكري في موضع الدفاع عن أزمير وانتهت الى اصدار قرار نص على ضرورة تجهيز أغسراد حامية المدينة داخل دائرة ضيقة (٢) تقع بالقرب من البحر لأن ذلك يهيئ لها تحصينات أقوى تحتمس فيها ، ويعد عليها قوة أكثر في القتال ، ويزيد من فرص النجاة امامها اذا طالت بها الهزيمة . وقد كيف عضو الاستبارية دومينيكا الألمانية Dominique'Allemagne بتوصيل مضمون هذا القرار بصورة عاجلة الى أزمير والاعراف على تنفيذ (٣) .

وسمما يكن من أمم قرارات طام الجمعية فإنه لم يبق على مندوبها عام واحد - اي في ابريل عام ١٣٩٣ - حتى كان هيريدبا قد تلقى من نائبه في رودس والمارشال بطرس دي ميلان ، أنباء أخرى بظدها ان ذلكم النائب اتصل بالسلطان بايزيد الأول من اجل السلام ، وان السلطان استوفى في مقابل ان يعقد مع الاستبارية

(١) انظر : Atiya: The crus. of nico., P. 17 ; Gibbons,

pp. 186-187

في عام ١٣٩١ حاول بايزيد ثرو أزمير ولكنه فشل بالرغم من ضعف حاميتها وقتذاك بسبب انتشار وباء الطاعون بين أفراد هذه الحامية . وكان أن فوض بايزيد حصول المدينة حصاراً برياً بقصد منع التزويج من الوصول اليها ، ولكن حاميتها لم تسلح له لخصوسها على حاجتها من المؤن عن طريق البحر الذي لم يكن بايزيد يملك السيطرة عليه . وفي الحقيقة فان بايزيد لم يضمن هجوما حاسماً على هذه المستعمرة الاستبارية خشية أن يفشل فيؤثر ذلك على توجهه الجديد في أيدين ، ورغبة منه في عدم إثارة نيران رودس في هذا الوقت الذي كان يحاول فيه إخضاع سائر الامارات التركية السلجوقية الواقعة غرب آسيا الصغرى فلا يقدمون المساعدات لهذه الامارات من ناحية البحر .

انظر :

Gibbons, P. 185

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. PP. 231 - 232

Flandin, P. 144

(٢) انظر :

(٣) انظر :

صالحا عاما في البر والبحر ان يوافقوا على رد النجاشين الى رودس وازسرو من الاثسراهم
الى بلادهم ، والامعان اوعاها السدان من التجار وغيرهم بزيارة جزيرة رودس وصارسة
التجارة ، وبخاصة تجارة الرقيق فيها . واغدا على الاثنا ايضا بان حكومة رودس رغبت
في الشروط وتتوق ان ينتقم السلطان بخزوا زمبر . وكان ان اصدر هيريديا في
٥ مايو عام ١٣٩٣) منشورا امر فيه بارسال نجدة سيمة الى رودس بوظيفة صين
واحد وثلاثين نفرا استتاريا . غير ان هيريديا لم يمتنع ترحيلهم
الا في شهر يونية عام ١٣٩٤ بسبب عجزه عن تدبير مكان لهم على السفن الذاهبة
الى الشرق . ومن ناحية اخرى عقد هيريديا بمدينة أثيون في الفترة الواقعة بين
٢٣ يولية ، ٢٦ يولية عام ١٣٩٣ جميعه جديدة من مئذ من بيوت الاستتارية الموالمين
له في أوروبا فرت فوس غربية استثنائية أخرى على شعب الاستتارية مقدارها
٥٠ مر . ٢ قورنتي ، لمدة أربع سنوات . (١)

دور الاستتارية في الحملة الملبية على نفقرواين (عام ١٣٩٦) : -

وبالرغم من ذلك شكك فقد كان السلطان بايزيد الأول مشغولا عن الاستتارية خلال
عام ١٣٩٣ وحتى عام ١٣٩٥ بتوسيع فتوحاته في شمال آسيا الصغرى وشرتها
- حيث استولى على مدن ميسون وسينوب وسيرواس واسطونى - على الصغرى
الاسيوى (٢) ، واكمال سيلونته على بلشاريا - حيث استولى على مدن مستوثا

sistova وويدين widin ونيفورواين Nicopolis وسيلسترا Silistra

وكلها محلة على نهر الدانوب من الناحية الجنوبية - على الصغرى الأوروبية (٣) .

وقد حدث ان ارسل ملك بلغاريا مسجونين - فقد افترقه تقدم العثمانيين على نهر
الدانوب حتى وصلوا الى حدود بلاده - الى جميع قوى المسيحية في أوروبا يطلب منها
النجدة . وكان اول من اجاب له بابا روما بونيفيوس التاسع ، وبابا أثيون بفدكت الثالث

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 223-234.

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

Atiya: The Crus. of năcopolis, P.17

Hammer I, P.324

عشر ، فدعى كل منهما في الدول الخاضعة لوثاقته الدينية للحرب الصليبية
 العامة ضد الأتراك المشركين (١) . وقد قولت دعوتها بحماس شديد من الأتراك
 والفرس الأرمن الذين هدده المشركون أملاكهم وممالكهم والذين همز توطئهم "لا"
 الأتراك المسلمين في قلب قارتهم المسيحية وجدانهم الصليبي . وفيما يتعلق بالاسبتارية
 فقد كانوا من بين الأوائل الذين استجابوا للدعوة بسبب عداوتهم للرومية من مجسمون
 الذي أصبح فيما بعد عضوا منتسبا في هيئتهم الاسبتارية ، وأرغبتهم في أرضها
 فليب الجصور - أمير بوجندا الذي اختار ابنه حنا المعروف باسم كونت نيفرس
 (Le Conte de nevers) قائدا للجيش الفرنسي في الحملة . عرفانا
 لهم منهم بالجميل من أجل هباته المخبية التي قدمها للمهتمة ، يضاف إلى ذلك
 أن الاسبتارية رأوا في هذه الحملة فرصتهم الكبرى التي قد لا تمون للفتاة على عدوهم
 القوي الذي يهدد بقوته العسكرية الغاشمة وجودهم كله في بحر أجه ، وإن ظهرهم
 إلا بغوثها من غير أن يسهموا فيها بأقصى ما في وسعهم لانجاحها (٢) . ومن
 الثابت أن فرقة من فرسان الاسبتارية الألمان المقيمين في أمريات الاسبتارية بألمانيا
 انضموا بقيادة غودريك هوهنتزلرن (frédéric de Hohenzollern)
 مقدم شهيد ألمانيا ، إلى القوات الفرنسية أثناء تقدمها عبر الأراضي الألمانية (٣)
 إلى مدينة بودا Buda الهنغارية ، التي اختيرت مكانا لتجمع ملوك جيوش
 الحملة قبل أن تبدأ عملياتها العسكرية ضد المشركين (٤) ، فوصلت إليها قبل أو خلال
 شهر يولية عام ١٣٩٦ (٥) . أما قوات الاسبتارية الرئيسية من الفرسان المقيمين في
 جزيرة رودس فقد تأخر قيامها من تلك الجزيرة للأسف في الحملة حتى شهر أغسطس (بعد
 يوم ١ وبقين يوم ٢ من ذلك الشهر) أما لانشقاق المهتمة وقذا التي عاية اختصار

Atiya: The Crus. of nicopolis, PP. 33-34.

ibid: Op. Cit., P. 15

Vertot II, P.303; Hammer I, P.327; D. Le Roulx: F.C.1, P.245.

Atiya: Op. Cit. , P.54 ; D. Le Roulx: F.C.1, P.249

Atiy: Op. Cit., 54.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

سجد كبير جديد لها غلاف لم يريديا الذي كان قد توفي في شهر ملوس من ذلك العام
او لا انتظار وصول أسطول مسيحي مشترك عرف من أريج وأرمين سفينة أسهم فسي
اعدادها كان من البندقية وخنوة وميزنطس وخيوس وميلين لغرض المشاركة في تلك الحملة
تتضم منهم إلى سفن ذلك الأسطول الذي كان يقوده أمير البحر البندقي توماس
موتشينيغو Thomas mocenigo - ثم توأمل الرحلة جنبا إلى جنب
معها حتى تصل إلى نهر الدانوب (١) . ومن المؤكد أن قائد تلك القوات كان ظهيرت
دي نيكال الذي وقع عليه اختيار الاسبتارية سيدا كبيرا لهم خلفا لميريديا ، واكس
لهم من الثابت بصورة قاطعة شمله ذلك المنصب قبل خروجه الحملة . ومن ناحية أخرى
لهم من المستوف عدد الفرسان الذين شكلوا تلك القوات أو عدد السفن المصاحبة
كما أننا نجدهم اللطيف الذي ملكوه منذ أن قادروا سفنهم واقفوا إلى جوار سفن
الأسطول المشترك الذي كان يقوده توماس موتشينيغو ، عند مصب نهر الدانوب
في البحر الأسود ، إلى أن أحرقوا ببقية جيوش الحطة في بودا (٢)
ومعها يكن من أمر ذلك أن وصل دي نيكال وفيلته إلى مدينة بودا حتى خرجت
جيوش الحملة بأجمعها من تلك المدينة وسارت على الضفة اليمنى (الجنوبية) للنهر
الدانوب - التي تقي عليها بودا - متجهة ناحية الشرق إلى أن وصلت إلى مدينة
ويدين Widin فاحتلتها ، ثم واصلت سيرها شرقا فاستولت على مدينة
راهوفا Rahova فاحتلتها بعت سائر مدينة نيقوبوليس الواقعة على نهر الضفة
اليمنى للنهر إلى أن بلغت الحصار حولها (٣) . وقد رابطت جيوش الصليبيين
خارج أسوار نيقوبوليس في معسكرين تألف أحدهما من القوات الفرنسية - التي كانت
تشكل الأكثرية فيه - إلى جانب الفرق الانجليزية والألمانية وفرسان الاسبتارية الألمان

(١) أنظر : D: Atiya: The crus. of nico., PP. 54-55, 179 n.20; D: أنظر : D:

Le Roulx: F.O.1, P.249.

(٢) أنظر : D: Atiya: The crus. of nico., P.55; D: Le Roulx:

Des hospit. à Rh., P. 235.

(٣) أنظر : D: Atiya: The crus. of nico., P.58.

بقيادة نور الدين هوشتزوارن ، علو حين تشكل الثانو ، الذي كان يقوده الملك
البنشاري سجموند بنفسه ، من بينه هشاريا وحلفائها الترانسلطانيين والولاشيين
والبوهيميين والمستوريين والبولنديين ، فضلا عن نومان الاسبتارية الذين وفدوا من رودس
بقيادة دي نيلاك (١) . وعندما وصل السلطان بايزيد الاول لانقاد المدينة
بعد ستة ايام من حصار الصليبيين لها (٢) استطاع بعد سلسلة من المماركات ينزل
هزيمة ساحقة بقوات الحلف الصليبي ، بحيث انتهر امر معظم الجيش الصليبي بالقتل
او الاسر . وقد تمكن الملك سجموند ، ومنجا من القتل او الاسر ممن كان يحيط
به من قادة الجيش الصليبي وعلو راسهم قائد القوة الاسبتارية فليبرت دي نيلاك ، من
الوصول الى مركب صغير كان راسيا عند شاطئ نهر الدانوب قريبا من ارغز الممر كيسة
فاستقلوه الى مدخل ذلك النهر حيث انتشلتهم سفن الاسطول الصليبي المشترك
وسفن الاسبتارية واقلتهم الى مدينة القسطنطينية ومنها الى جزيرة رودس (٣) التي
دخلوا اليها في اواخر شهر ديسمبر عام ١٣٩٦ او اوائل يناير عام ١٣٩٧ (٤) .
وبالرغم من الحزن الذي تملك الاسبتارية في رودس عند سماعهم من دي نيلاك بنبأ
الفاجمة التي حلت بزملائهم من نومان الاسبتارية ومات الصليبيين امام اسوار
نيقوبوليس فقد رحبوا بالملك سجموند وصحبوه ترحيبا كبيرا في جزيرتهم الى ان وصل
عليها عائدا الى بلاده هشاريا عن طريق بحر الادرياتيكودالماشيا (٥) .

ولم يلبث ان وصل الى رودس ، ربما في شهر ابريل عام ١٣٩٧ ، اثنان من
أعزى موقده نيقوبوليس الفرنسيين ، هما بوسيكو ، وجاي دي لا تروموال
Guy de La Tremoille . كان السلطان بايزيد الاول قد اطلق سراحهما لاحضار
الفدية التي ارتضاها لقاء أسر مائتين من تلك الموقعة ومقدارها مائتا ألف دوكة

Atiya: The crus. of nico., Pp. 86, 93

Hammer 1, P. 328.

Atiya: Op. Cit., .i. 82-99.; D. Le Roux: F.O.1,

Pp. 270-305 ; Froissart, in "Ziada, El--Arini & Ashour:
Sel. Doc. of med. Hist. " , Pp. 230-233.

D. Le Roux: Les Hosp. à Rh., Pp. 237-271.

Atiya: The Crus. of nico., .i. 99, 104,

Vertot II, P. 315.

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) انظر :

(٥) انظر :

استضافهم حاكمها ما يزيد على الشهر ، أرسل اليهم في تلك الجزيرة سفينتين حربيين
اقتامهم الى جزيرة رودس التي وصلوا اليها في آخر شهر أغسطس عام ١٢٩٧ ولقبوا
بها كن ترحيب واكرام من الاسبتارية التي ان وصلت الي رودس فاقلة من المشركين
البندقية كانت عائدة الى وطنها من رحلة تجارية فحلوا صحبها في منتصف شهر اكتوبر
من نفس العام (١).

الاسبتارية يدخلون طروا في مجوعة من المحالطات مع بعض جيوشهم المسيحيين ضد
بايزيد الاول بعد موقعة نيقيوليس :

وهكذا انتهت حملة نيقيوليس وديولها بالنسبة للاسبتارية في رودس . وقد
حدث في العام التالي للحملة - أي في عام ١٢٩٧ - أن توفي جوشان الممثمانين
في بلاد اليونان ، فاحتل احدها بقيادة السلطان بايزيد الاول اقليم تاليا في
الشان وأرفم صاحبه - وهو أمير صلبونا - على دفع الجزيرة لها ، في حين غسرا
الجيش الآخر بقيادة يدقوب واثيرينوس (Jacoub & Evrenos) بعض مدن
شبه جزيرة المورة في الجنوب وأرفم اثنين من قادة شبه الجزيرة - هما تيودور باليوولوجيس ،
آخر الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني وسيله في حكم شبه الجزيرة طما بأن سلطانه
عليها كانت اسمية ، من طرفين لدى مان جوهريان المشهور باسم بوردو (Pierre
de S. Superan, dit Bordo) قائد الضخامين للناغارابين على أجزاء من المورة
- على قبول دفع الجزيرة للسلطان ، ثم عاد أدراجه الي تركيا بعد أن نشر الدمار
والخراب في بلاد المورة كلها (٢). ولم تمر تلك الحملة على بلاد اليونان من غير أن
تحدث ردود فعل في الجانب المسيحي كان للاسبتارية في رودس دور فيها . ومن هذه
الردود أن جمهورية البندقية ، وقد تملكها القدر على مستعمراتها ومسالحتها في بلاد
اليونان ، سمعت في شهر أغسطس عام ١٢٩٨ لدى كل من رودس الاسبتارية وقبوص وخيوس

(١) انظر :
D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 272.-273; Ibid:
F.O.1, PP. 315-317
(٢) انظر :
D. Le Roulx: F.O.1, PP. 349-353; Miller: The Latins, PP. 358-359

والكسوس لمقد حلف يضم هذه الدول جميعا ضد الاثراك المشائين. غير أن
البنديقية لم تلبث أن أعلنت في شهر يولييه من العام التالي - أي في عام ١٢٩٩ - تخليها
عن المشركين خشية أن ينتقم السلطان منها بالهجوم على املكها اليونانية ، وكلفت
فائد أسطولها في بحر الادرياتيك بمقد الصليبي من ذلك السلطان ، فلم يتم إلا الحسم
التي (١).

وعلى صعيد آخر أرسل الاسبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليوولوجيس (١٢٩٨ -
١٤٤٨) سفرا إلى حكام ايطاليا وفرنسا وانجلترا طالب منهم لتجديد ضد المسلمين
بازيد الأول ، الذي لم يكتف بالحملة التي قام بها عام ١٢٩٢ على بلاد اليونان ، ولكنه
بادر ، بعد انتصاره تلك الحملة في نفس العام ١٢٩٧ ، إلى غرض الحصار حول مدينة
القسطنطينية عاصمة الاسبراطور ، كما أبدى ادعاءات ابن اخيه جونا السابح باليوولوجيس في
المرش الاسبراطوري . وقد بادر السلطان الفرنسي شارل السادس ، مدفوعا بالرغبة في
الانتقام للدماء الفرنسية التي أهدرها المشائون أمام نيقوبوليس ، إلى إرسال نجده
إلى مانويل الثاني بوفدة من ست سفن وأربعمائة فارس مجهزة كل منهم جندي مسن
الشاه المسلمين وأحد مائة المهاد ، بقيادة المارشال بوسيكو . وقد ألقى
بوسيكو بسفنه من تونس في آخر يولييه عام ١٢٩٩ . وانضمت إليه في الطريق بعض
السفن التي وعدت بها كل من البندقية وجنوة رودس الاستبارية - وعددها تسع
عشرة سفينة - منها ثلثي سفن مطوكة البندقية ومثلها لجنوة وسفنتان للاستبارية
لرودس وسفينة واحدة قدمتها جزيرة ميوليس - فقادها بوسيكو جميعا إلى مدينة
القسطنطينية ، عبر بوزاز الدردنيل وبحر مرمرة ، دون أن تعرص السفن المشائية
طريقها . ولم تلبث سفن هذا الحلف المسيحي أن خرجت من مياه القسطنطينية ،
بعد أن أضاف إليها الاسبراطور مانويل الثاني خمس سفن بيزنطية بقيادة شخصية
وانضمت شبرا في شن الاغارات المقرونة بعمليات النهب والسلب واشمال الحرائق

(١) انظر : D. Le Roux; Le Hosp. à Rh., P.275; miller:
The Latins, F. 361

على غوانج الميثانيين على سواحل البحر الأسود وأسيا للصراع، ثم عادت السفن
أوطانها التي خرجت منها نحو عدا أربع سفن جنوبية ومنها بندقية ثقافتا في ميسام
البوسنيون للمساعدة في الدفاع عن مدينة القسطنطينية إلى جانب فرقة فرنسية
مؤلفة من مائة فارس ومثلهم من الجنود المشاة وعدد كبير من رماة المسهام توكهاسا
بوسيكو في المدينة لتتميز حاصتها البيزنطية لمدة عام كامل على حساب فرنسا (١)

ويبدو أن جمهورية البندقية قد تشجعت من نتائج هذه المفارقة العسكرية فأجرت
في عام ١٤٠٠ م مشاورات مع الاسبتارية في رودس وحكومة أثينا - وهي حكومة خاضعة
للبنديقية نفسها (٢) - بقصد اتخاذ إجراء مشترك ضد الميثانيين في بلاد
اليونان (٣) ، وإذا كنا نجعل نتيجة تلك المشاورات غائبا نعرف بأن اتفاقا بتأليف
أسطول مشترك لمهاجمة الميثانيين تسهم فيه كل من جزيرة كريت ونيجروبيونست
الخاضعتين للبندقية وجزيرة رودس الاسبتارية بسفنتين ، وكل من حاكم جزيرة
لاكسوس البندقي، والحكومة الجنوبية في جزيرة خيوس بسفينة واحدة ، قد عقد
في أوائل عام ١٤٠٢ م نتيجة اتصالات تمت أيضا بمبادرة من جمهورية البندقيسية
مع أطراف ذلك الاتفاق (٤) ، وبالرغم من وجود وثيقة تفيد بأن جمهورية البندقيسية
ألمحت في ٢٠ مايو من نفس العام قائدا أسطولها بنيا انشغال السلطان الميثاني
بالمزيد الأول بتهديد التتار بقيادة تيمورلنك لبلادهم ، وللميت أنه بأن يتوجه إلى بحر
أيجه لتوصيل هذا النبا إلى أراغ الاتقان المذكورين فبادروا ، انتهازا الفرصة
إلى تسخير سفنهم صالحة سفن أسطولهم للإفارة على جميع الأهداف البحرية
الميثانية التي تستلزم الوصول إليها ، فأننا لا نملك دليلا على خروج تلك السفن (٥)

(١) انظر :

D. Le Roulx: F.O.1, PP. 365-399. ; De La
Ronciere II, PP. 125-129.

(٢) انظر :

Miller, P. 652.

(٣) انظر :

Noiret, P.110

(٤) انظر :

Noiret, P. 125. ; D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh.,
P. 283 ; Ibid: F.O.1, P. 386.

(٥) انظر :

Noiret, PP. 129-131.

(١) وثامها بأى نشاط حربي ضد المشركين ، وبالتالي لا تملك الدليل على أن الاتفاق نفسه وضع عوض التنفيذ . وأياً كان الأمر فقد كان ذلك الاتفاق آخر اتفاق تم عقده بالفعل بين القوى المسيحية الحاكمة في بحرايجة وشرق البحر المتوسط من أجل القيام بعمل عسكري عدواني مشترك ضد المسلمين ، وإن كانت المحاولات للاتفاق قد استمرت خلال القرن الخامس عشر بعبادات من الاستنارية رودس لهم فقط لأنهم أشد تلك القوى المسيحية تعصبا ضد المسلمين وحماة العالم بحكم طبيعته مؤسستهم والفرغ من قيامها ، ولكن أكثر من ذلك لأنهم في ذلك القرن الخامس عشر تعرضوا في جزيرتهم رودس عدة مرات للهجوم العنصري والحصار المحكم من جانب المسلمين ، سواء الأتراك المشركين أو المماليك ، وهو أمر لم يحدث لهم من قبل منذ أن احتلوا المحاولات الأولى التي قام بها الأتراك السلاجقة لطردهم من رودس في السنوات للظلمة التي تلت استيلائهم على تلك الجزيرة .

(١) انظر : D. Le Roux: Les Hosp. à Rh. , P. 283; Ibid: F.O.1, P. 386.

الفصل السابع

سقوط رودس في أيدي الأتراك العثمانيين
ونهاية حكم الاستبارة فيها

- سقوط أزمير في أيدي الترك عام ١٤٠٢ •
- المسلم يمسود العلاقات مع العثمانيين من عام ١٤٠٢ حتى عام ١٤٥٣ •
- السلطان العثماني محمد الثاني ينهي حالة السلم مع الاستبارة بنفسه
- استيلائه على القسطنطينية عام ١٤٥٣ — تبادل الاعتداءات •
- حصار عثماني فاشل حول رودس العاصمة عام ١٤٨٠ •
- عودة السلام في عهد السلطان بايزيد الثاني نتيجة لجوء نجم أختي
- السلطان إلى رودس عام ١٤٨٢ •
- تدهور العلاقات مرة أخرى — تمهين دويغون قائدا عاما لحملة عليه
- ضد بايزيد عام (١٥٠٠) •
- قيام السلطان العثماني سليمان الثاني بحصار رودس وطرده الاستبارة
- منها (عام ١٥٢٢) •

سقوط أزمير في أيدي التتار عام ١٤٠٢ :

لعل أبرز حادث وقع للاستتارية في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي هو طردهم من مستعمراتهم أزمير على يد التتار بقيادة تيمور لنگ. وكان تيمور لنگ قد انتصر (١) على السلطان العثماني بايزيد الأول وأسره قويا أنقصره في ٢١ يولييه عام ١٤٠٢ ، ومن ثم فقد قُدت أسبيا الصغرى كلها تحت رحمة جيوشه (٢) . وكان أن أخذت ناحية الاستتارية في مدينة أزمير - وكانت تتألف بصفة دائمة من مائتي فارس استتاري ، تعتمد منذ ذلك الحين لمواجهة التتار على أسوار المدينة . ومن ناحية أخرى أوفد الحكومة الاستتارية في رودس بعض كبار المسؤولين والقادة للتحقيق على وسائل الدفاع عن أزمير وتميزها بالمزيد من المقاتلين والدخائر والمؤمن (٣) .

وقد بدأت قصة تيمور لنگ مع الاستتارية في أزمير بأن أرسل اليهم رسالة من بعض أمراء التتار طلبت منهم أن يمتثلوا أسبا اعتناق الاسلام أو دفع الجزية أو الخال ، ثم هددتهم بأنهم إذا أبوا إلا القتال وضعتهم قوات التتار المظفصرة جميعا تحت حد السيف . وكان ان رد القائد وليم دي مين G. de mine بتضيقه على الدفاع عن المدينة ، ثم أرسل بالخبر الى رودس فأمدته بكميات اضافية من الدخائر والأسلحة والمؤمن ، وبفرقة من المقاتلين الأشداء . وعندما علم تيمور لنگ وكان آنذاك بمدينة كوتاهية - بذلك الانباء وسنأه أزمير وقوة تحصيناتها ، قرر أن يتوجه اليها لحصارها بنفسه في ديسمبر عام ١٤٠٢ . وبعد أن اكتسب وصول قواته التتار طلبها من مختلف أنحاء آسيا الصغرى شن هجوما عليها ، وقد أحكم حصارها عليها برا وبحرا . ولم يستطع الاستتارية رفع ما أبدوه من شجاعة الصمود أمام التتار فسقطت أزمير في يد تيمور لنگ ولم يزلت من الموت من رجال الناحية

(١) انظر : D. Le : Hammer II, F. 92; De La Roncière II, F. 129;

Roulx: F. 0.1, F. 393

(٢) انظر : Biliotti, PE. : Hammer II, F. 117; Vertot II, F. 337; 192.

D. Le Roulx : Les Hosp. à Rh., F. 284.

(٣) انظر :

الاستراتيجية سوى الصدود القليل من بينهم قائد الدفاع وليم دي مين * وقد
النس هو لا * وجه النجاة في البحر فلقوا بأنفسهم في مياهه * ووصل من نجا منهم
من الخوف سباحة إلى سفن الاستراتيجية * التي كانت تتجول قريبا من المناسا *
منذ أظحت في الضيق منه قبل أن يصد المتار عليها في بدء الحصار * فالتقطتهم
واقضهم إلى رودس (١).

وأين من شأنه أن ضياع مدينة أزمير وحصنها من أيدي الاستراتيجية قد هبما
لهم نوصة الميث في ملام من جيروانهم الاثراك * وأزاح عنهم عبء النفقات العسكرية
والإدارية التي كانوا يتكبدونها في سبيل الاحتفاظ بهما * وهو نفقات أكبر مما كانت
تتحيط موارد غزائهم * وأراحهم بما كانوا يعانون منه من ألوان الجهد الحربي
من أجل الدفاع عنهما بسبب بعدهما عن رودس (٢). غير أن السيد الكبير للاستراتيجية
ظيوت دي نبالك * أم يقر لهذه الاعتبارات وزنا * وخير بنفسه * ربما في عام
١٤٠٣ (٣) - طرأ رأس نوة من الاستراتيجية استولى بها * من غير قتال على موقع

(١) أنظر: Cherefeddin (trad. de Petits de La Croix): Hist. de Timur - Beg, vol. IV, pp. 47-53; Vertot II, pp. 332-341; Billotti, pp. 191-195; Hammer II, pp. 114-117; D. Le Roux: Les Hosp. à Rh., pp. 285-286; D. Le Roux: F.O.1, p. 395.

(٢) أنظر: Farochon, p. 66n.1.

(٣) يقول المؤرخ ديلاشيل بأن الرأي السائد هو أن بناء حصن القديس بطرس تم بصد
تدمير حصن أزمير وكتفوي عنه * ويستطرد بأن مؤرخ الاستراتيجية القديم بوزيسو
يذكر بأن حصن القديس بطرس شيد في العام التالي بعد معركة أنقرة * وبناء على
أقوال ديلاشيل هذه (انظر كتابه - الاستراتيجية في رودس ص ٢٨٨ - ٢٩٠) فقد
رجحنا أن يكون بناء حصن القديس بطرس قد تم في عام ١٤٠٣ باعتبار أن معركة
أنقرة دارت في عام ١٤٠٢.

وقد ذكر كل من قرتو (الجزء الثاني ص ٣٤٤) ويليوتى (س ١٩٦) صراحة بأن
الاستراتيجية بنوا حصن القديس بطرس تعويضا عن حصن أزمير الذي دمره التتار *
واكنه لم يذكر العام الذي شيد فيه الحصن * أما المؤرخ هامر (الجزء الثاني
ص ١٦٦ * والجزء الثالث ص ٢٧٤) فذكر بأن السيد الكبير للاستراتيجية بنى حصن
القديس بطرس بأذن من السلطان محمد الأول وعلى أرض في إقليم ينتسبه منحه
أيامها هذا السلطان * على أن رواية هامر لا يمكن أن تكون صحيحة لأن محمد
الأول تولى في عام ١٤١٣ (هامر ج ٢ ص ١٢١) على حين تكلمت وثائق الاستراتيجية
المحفوظة في جزيرة مالطة عن حصن القديس بطرس ابتداء من عام ١٤٠٨ في بلاشيل
لسو: الاستراتيجية في رودس ص ٢٨٩).

ساحل آخر نو. آسيا الصغرى يواجه جزيرة لا نجو وعلى بعد اثني عشر ميلا الى الشمال
 الشرق منها ، هو موقع مدينة هاليكارناس القديمة عاصمة كلريا وسفلا رأس الصورخ الاغريق
 هيودوت (١) . وما يصير له صهيته حالة الذعر والغوص التي تسببها وجود التتار في
 آسيا الصغرى منذ نصرهم على بايزيد نو موقعة انقره (٢) . وقد أقام الاسبتارية في
 هذا الموقع حصنا قويا لا تخافه جميرا يواصلون عن طريقهم البرية ضد اتسراك
 آسيا الصغرى عوضا عن حصن أزهر الذي فقدوه . وقد أطلق الاسبتارية على
 حصنهم الجديد اسم القدس بطرس غير ان الاثرا يعرفوه باسم بودريوم ، وهو اسم الملقوم
 أيضا على 'الصينا' الواقع الى الغرب من شبه الجزيرة التي اقيم الحصن عند طرفها ،
 وعلى المدينة التي قامت الى الداخل من شبه الجزيرة . وقد اشتق الاثرا لهذا الاسم
 بودريوم - الذي لا يزال الذي هو اليوم على الصينا - والمدينة - من الترجمة اليونانية
 للاسم القديم بطرس ، ونسبها سان بدرو San Bedro (٣) . هذا وقد
 تم بناء الحصن تحت اشراط الفارس الالماني هسسو شاجلهواتز Hesso
 Schlegelholts حاكم جزيرة لانجو الاسبتاري ومالك فكرة استيلاء الاسبتارية
 على تلك المنطقة من ساحل آسيا الصغرى (٤) التي لا تزيد مساحتها عن الثلاثة
 كيلومترات مربعة (٥) .

وبالرغم من صناعة حصن القدس بطرس وما كان يجاوره من تحصينات أقامها الاسبتارية
 بعد تشييده (٦) فان حصن أزهر كان يتميز عليه بكونه قاعدة عسكرية أمامية للاسبتارية أكثر

- (١) انظر : Vertot II, PP. 344-345; Biliotti, P. 196.
- (٢) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 287.
- (٣) انظر : Vertot II, P. 345; Biliotti, P. 196; Flandin, P. 153; Hammer III, P. 274 n.1; D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 287.
- (٤) انظر : Farochon, P. 66 n.1.
- (٥) انظر : Farochon, P. 121.
- (٦) انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., P. 287. ; Hammer III, P. 274.
- (٧) انظر : Farochon, P. 66 n.1.
- (٨) بخصوص وصف الحصن وما يحيط به من تحصينات انظر : D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh., PP. 287-288; Vertot II, PP. 345-346.
- (٩) Farochon, P. 66 n.1.

لها من عاصمة أعدائهم الأتراك العثمانيين في بوسنة ، ثم ومن هذه الناحية أقدر على
النجس على أولئك الأعداء ، وعلى رصد تحركاتهم للتأكد من عدم اقلاع سفنهم لبحر
رودس أو إحدى جزر بحر ايجه الخاضعة لها ، ومن ناحية أخرى كان حصن أزميز
أكثر فائدة لبلادهم من الاستراتيجية التي تماردها سفن الأتراك وسفن القراصنة
السيحيين في عرض البحر بعيدا عن جزيرة رودس ، يضاف إلى ذلك أن قلعة مكان
مدينة أزميز حوز ، الحصن كانت من المسيحيين (١) الذين ولا شأنهم تعاونوا
بانتشار مع الحامية الاستراتيجية في الدفاع عن الحصن والمدينة معا ، على حين كان
مكان مدينة رودس بجوار حصن القديس بطرس من المسلمين الذين كانت حامية
الحصن الاستراتيجية ترتاب في أمرهم فاضطر في أوقات الحرب إلى التحفظ عليهم كرهائن
وقائمين (٢) ، ولكن من الناحية الأخرى فإن حصن القديس بطرس بفضل حصن أزميز بموقعه
القريب من جزيرة رودس والجزر الخاضعة لها في بحر ايجه وبخاصة جزيرة لانجو (٣) ، أهم
هذه الجزر بعد رودس ، فإن هذا الموقع يساعد على انجاد الحصن ، لذا المستمر
الأمر ، في الوقت المناسب ، وبجمل من المستطاع الاستطلاع الاستطلاع مما لدى الحصن من
سفن صدها الاستراتيجية في مينائه لخدمته ، في الدفاع بصورة أكثر فاعلية عن جزيرة رودس
أو إحدى الجزر الخاضعة لها إذا تعرضت للهجوم من عدو فضلا عن مطاردة للقراصنة
في المياه القريبة من تلك الجزر (٤) .

المسلم يسود العلاقات مع العثمانيين من عام ١٤٠٢ حتى عام ١٤٥٣ :

وبعد ، فهذا فيما يتعلق بسقوط حصن أزميز في يد تيمور لنگ التتري في ديسمبر

عام ١٤٠٢ وبناء حصن القديس بطرس في عام ١٤٠٣ عوضا عنه ، وقد حدث أن تيمور لنگ

(١) انظر : Atiya: The Crus. in the later mid. ages, p. 294

(٢) انظر : Farocho, P. 66, n.1.

(٣) انظر : Biliotti, pp. 195-196.

(٤) انظر : Verbot II, P. 346.

بعد ان انتصر على السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة في عام ١٤٠٢ ،
 وتمكن من أسر ذلك السلطان وارسله في قفص الى سمرقند ، أعاد أمراء الأتراك الملاحقة
 الى أقاليم أيدين ومنتهشمه وتكمه وقرمان التي كان بايزيد العثماني قد طردهم
 منها في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، على حين تحصن أولاد بايزيد كل في قلعة
 داخل آسيا الصغرى ، فبدأ أعداء أكبرهم سليمان الذي عبر البحر بمساعدة البيزنطيين
 الى اقليم أدرنه وغیره من اقاليم الدولة العثمانية في أوروبا (١) . ولما توفسسى
 السلطان بايزيد الأول في أسره في ٩ مارس عام ١٤٠٣ (٢) — وهو نفس العام الذي
 انسحبت فيه قوات تيمورلنك من آسيا الصغرى (٣) — نادى ابنه سليمان بنفسه
 سلطانا على الدولة العثمانية المنهارة باسم سليمان الأول . ولم يلبث ذلك السلطان
 ان عقد مع الاسبانية في رودس وجمهورية البندقية وچنة والامبراطور البيزنطى
 مانويل الثانى باليوولوجى ودوق الارخبيل الحاكم في جزيرة ناكسوس بمقوب الأول معاهدة
 صداقة وتجارة تضمنت موافقة السلطان سليمان الأول على منح جميع التجار
 المسيحيين الذين يتددون على بلاده تسهيلات تجارية واعفاءات ضرائب وجعركية
 كثيرة فضلا عن الحماية والأمان ، كما تضمنت المعاهدة اعتراف السلطان للدولة
 الموقسة عليها بمدة ببعض الممتلكات الاقليمية في بلاد اليونان منها دوقية سالونى
 التي اعترف بملكيتها للاسبانية (٤) . وما يلاحظ في هذه المعاهدة أنها لم
 تتضمن نصوبا بتعهدات من جانب اطرافها المسيحيين للسلطان سليمان الأول ففى
 مقابل وعوده التي بذلها لهم ، ومما كانت تعهداتهم قد سبقت في المعاهدة ثم
 لفتت أواشيها لم تجعل على الاطلاق ، ظيما من شأنى أنها كانت ترمى الى قيام
 تحالف برى وبحرى بين أولئك الاطراف المسيحيين والسلطان سليمان الأول ضد
 تيمورلنك . ويلاحظ أيضا بأن المعاهدة لا تحمل تاريخ توقيعها الذي يمكن حصره بين

(١) انظر :

Gibbon: The Decline, Vol. 2, PP. 1256-1257;

Hammer II, PP. 120-121.

(٢) انظر :

Maw - Latrée: Comm. Et Expéd., P. 178 n.1; Hammer

II, P. 119

(٣) انظر :

D. le Roux: Les Hosp. à Rhod. 286

في ١٤٠٣

في ١٤٠٣

مارس سنة ١٤٠٣ هـ وهو اليوم الذي توفي فيه السلطان بايزيد الأول ، وأول
 إبريل عام ١٤٠٥ هـ وهو اليوم الذي توفي فيه تيمورلنك (١) . والأرجح أن المعاهدة
 لم تعقد قبل عام ١٤٠٤ هـ وهو العام الذي تنازل فيه تيودور باليولوجس - نائب
 الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوجس في حكم بلاد المورة - للاستتارية عين
 الدولة سالونا التي اقترح فيها السلطان سليمان الأول بمقتضى تلك المعاهدة (٢)
 وسهما يكن من أمر تلك المعاهدة فإن الاستتارية في رودس لم يمدوا عليها
 ضمرا لأن السلطان سليمان الأول الذي عقدوا معه المعاهدة لم يعتمد نفسونه
 إلاك الأوربية للدولة المشرقية ، أما آسيا الصغرى نفسها فقد تنازع النفوذ
 فيها بقية أخوة سليمان فضلا عن أمراء الأتراك الذين أعادهم تيمورلنك التمسرى
 إلى عروشهم قبل انصحابه من تلك الجهات . ولذا فقد بنى الاستتارية سياستهم على
 أساس أن الخطر المشرقي لا يزال قائما بالإنابة إلى عودة الخطر المملوكي واحتمال
 عودة التتار . ومن ثم سعى الاستتارية في الأعوام ١٤٠٤ هـ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٤٠٦ هـ لدى
 كل من شارل توكو أمير جزيرة كيغالونيا الواقعة إلى الشمال الغربي من شبه
 جزيرة المورة ، ومانويل الثاني باليولوجس الإمبراطور الدواة البيزنطية ، وثلاثية
 من أقارب ذلك الإمبراطور - هم ابنه حنا الثاني وابن أخيه حنا السابع وأخوه تيودور
 - وكذا لدى چانوس لوزجنان ملك قبوع ، لاقتاعهم بالدينول بمصر في حلف معجس
 بضمهم جميعا ضد الأتراك وكافة أعداء المسيحيين ، غير أن مساعي الاستتارية
 هذه باءت كلها بالفشل ، كما فشل لهم سعي آخر بذلوه في ٢٣ نوفمبر عام

١٤٠٨ هـ لمعقد محالفة مع مستوريون زكريا Centurione Eaccaria

(١) أنظر : Mas - Latrie: Comm. et Exped., PP. 178 n.3.
 (٢) أنظر : Miller, PP. 361 n.2, 369.

وما يجدر ذكره هنا أن المؤرخ ديلاثيل (الاستتارية في رودس ص ٢٩٠ ملحوظة ٣)
 يرى بأن المعاهدة عقدت قبل انصحاب تيمورلنكوا بتمام خطره عن آسيا الصغرى ،
 أي أنه يرى أنها عقدت في عام ١٤٠٣ هـ . وواضح أنه لا يعلم بواقعة تنازل تيودور
 باليولوجس عن سالونا للاستتارية في عام ١٤٠٤ هـ ، أو أنه قد فات عليه ذلك .

أمر أخايا في المعركة (١) ، وأعمل السبب في ذلك لاخفاف يوجب الواجبات القوي
 السببية الحاكمة وتذالك في شرق البحر المتوسط بان الخطر الرئيسي الذي تخشاه
 وهو خطر الدولة العثمانية ، قد خربت جذورها فقط بسبب انهيار تلك الدولة
 تحت اقدام التتار في عام ١٤٠٢ ، أو بسبب اتفاقية السلام التي عقدتها تلك
 القوى مع السلطان سليمان الأول بن بايزيد الأول في عام ١٤٠٤ أو في عام ١٤٠٥ ،
 ولكن أيضا بسبب انشغال اولاد بايزيد الأول في حرب الوراثة التي نشبت بينهم ،
 عند وفاة والدهم في عام ١٤٠٣ ، حول منصب السلطنة الذي رفضوا أن يعترفوا
 به لأخيهما الأكبر سليمان

ومهما يكن من أمر ذلك ، فقد حدث في أول فبراير عام ١٤١٣ أن علم الاستتارية
 ارتد من بأن السلطان الحاكم في الدولة العثمانية وتذالك ، وهو السلطان
 موسى بن بايزيد - الذي نادى بنفسه سيادانا على تلك الدولة بعد أن نجح في
 التخلص من أخويه سليمان وموسى ولم يبق منافسا له سوى أخيه الأصغر محمد -
 ملحق في ميناء فالينبولي أسطولاً من ثلاثين سفينة حربية ، وبالرفق من أن السلطان
 أعلن بأن هذا الأسطول قد أعد المدافع من صالونيك ، فقد ظن الاستتارية بأن هدفه
 الحقيقي هو غزو جزيرتهم رودس ، ومن ثم بادروا في اليوم الثالث عشر من ذلك الشهر
 بالاتصال بكل من جزر خيوس وميتولمين وناكسوس وكريست وقبرص عارضين عليها الدخول
 فيها في خلاف مسيحي ، قادر على مواجهة ذلك الغزو ، ولكن معان ما تكلمت الاستتارية
 بأن أسطول موسى بن بايزيد لم يكن موجهاً ضد صهيح الشرف وإنما ضد أخيه ومنافسه
 محمد فزالت مخاوفهم وكفوا عن المعنى لمقد العصية ، أما عن السلطان موسى فإنه

(١) انظر : D. Le Roux: Les Hosp. à Rh. , Pp. 302-203

وما يجدر ذكره أن المورخ ديلاثول لم يذكر اسم ملك قبرص ضمن الأحكام الذي
 سمى لديهم الاستتارية لمقد الاتفاقية ، غير أن هيل Hill II, P. 467 n.2
 يؤكد دخول هذا الملاح في المعركة .
 هذا وقد نشر پاوار التعاليمات المطالبة لمقاربة الاستتارية إلى أمير كيغاليونسيا
 عام ١٤٠٤ (Pauli II, P. 111, num. LXXXVIII)
 وإلى أمير البحر القسطنطينية عام ١٤٠٥ (Ibid, P. 112, num. LXXXIX)

لم يلبث أن هزم في نفس ذلك العام - أي في عام ١٤١٣ - أمام أخيه محمد الذي أصبح منذ ذلك الحين سلطاناً بلا منافس على جميع أقاليم الدولة العثمانية العثمانية والأوروبية ، وعرف باسم السلطان محمد الأول (١).

وقد دام السلام بين الاسبتارية في رودس والعثمانيين في عهد ذلك السلطان محمد الأول الذي أقام سياسته الخارجية على قاعدة العلم مع جيرانه المسيحيين لينفخ نفوذاً لتوليد دعائم دولته من جديد . ومن الثابت أن السلطان محمد الأول أرسل في أبريل عام ١٤١٥ سفراً إلى جزيرة رودس لطلب مساعدة الاسبتارية له في حربه ضد أعدائه وأعدائهم أمراء الأتراك السلاجقة في مديةتراباسلوق وبالاتشيا الواقعة تبين بالقرب من موقع حصن الاسبتارية القديم بطرس . وكان السيد الكبير دى نيكلاك متضيقاً وتذاع في أوروبا ، فرد مجلس الاسبتارية على سراء السلطان محمد الأول بأن عليهم أن يتوجهوا إلى جزيرة خيوس التابعة للجنوة حيث يجدون سفينة حربية مخصصة للاسبتارية للحراسة في تلك المنطقة ، فيطلبون من قائد تلك السفينة أن يتقدم بسفنته ، إذا رغب ، لمساعدة السلطان العثماني . وفي نفس الوقت أرسل مجلس الاسبتارية إلى ذلك القائد ، واسمه بطرس دى باليكا (Pierre de Baliva) يطلب منه بأن يتصرف مع سقاء السلطان بطرس كما تتصرف به معهم حكومة جزيرة خيوس . وفي الحقيقة لأننا لا نزال نجدهم ما انتهت إليه تلك الواقعة ، فيرأنا تمام بأن العلاقات الطيبة بين الجانبين الاسبتاري والعثماني ، التي أقامها السلطان محمد الأول المساعدة من الاسبتارية الدليل على وجودها ، استمرت إلى أن توفي ذلك السلطان في عام ١٤٢١ وخلفه ابنه مراد الثاني (٢) (١٤٢١ - ١٤٥١) .

D. Le Roulx: Les Hosp. à Rh. , P. 328

(١) أنظر :

Ibid: Op. Cit. , PP. 328-329.

(٢) أنظر :

على انه حدث بعد مرور عامين على تولية السلطان مراد الثاني - اى في عجم
 ١٤٢٢ - ان ارسى ذلك السلطان جيشا عثمانيا لغزو بلاد العورة ^(١) . وكان ان طلب
 حكام تلك البلاد النجدة من الاسبثارية في رودس وما ان اعد الاسبثاريه السفن
 الحربية اللازمة لنفي تلك النجدة حتى جاءتهم الاخبار بان امير المديا التركي قد حشد
 بالتعاون مع السلطان مراد الثاني اسلولا تركيا مشتركا من السفن ذات الانواع والاحجام
 المختلفة من بينها ستة افرية . وانه سائلا اسبثارية في ان تكون وجهة ذلك الاسطسول
 التركي جزيرتهم رودس ^{xx} او احدى جزر الارخبيل الخائفة لهما ، انشوا ارسال النجدة
 التي اعدوها لبلاد العورة وسحبوا سفنهم الحربية للبحث عنه وسلا رده . فلما حضر
 الاسطسول التركي بان سفن الاسبثارية تجد في اثره اتفق باسبر بعض سفن رودس
 انجارية التي اتفق بها في بحر ايجة واد الى مراسيم التوافق منها ^(٢) .

وهما يكن من امر ذلك الحادث فان السلطان مراد الثاني لم يلبث بعد عامين اى
 في عام ١٤٢٥ - ان عقد الصلح مع الاسبثارية ^(٣) . وقد طلب الاسبثارية من السلطان
 مراد الثاني في عام ١٤٣٨ تجديد ذلك الصلح لكي يطعنوا على عدم وقوفه الى جانب
 السلطان المملوكي جعفر الذي كانوا يتوقعون قيامه بمحاولة لغزو جزيرتهم . غير ان مراد
 الثاني رد عليهم بان المعاهدة القديمة لا تزال قائمة بالتزاماتها وهي كافية لضمان امن
 كلا الطرفين ^(٤) . وفي عام ١٤٤٩ طلب الاسبثارية - وقد جزعوا من انباء واصلتهم عن
 حشود عسكرية ضخمة امر بها السلطان مراد الثاني بعد عودته من انشوا من موقعة قوصسوه
 التي دارت بينه وبين بعض المجر بقيادة چانوس هونيادي في العام السابق - من ذلك

(١) انظر : Baynes & Moss: Byzantium. P. 48

^{xx} وقد شككت البندقية بدورها في ان يكون هدف الاسطسول التركي مهاجمة جزيرة رودس
 فأصدرت قرارا في ٣ سبتمبر عام ١٤٢٣ حرمت فيه على سفنها الراضية في موانئ
 كريت بان تتجه الى جزيرة رودس .

Noiret, P. 404

Vertot II, PP. 399-400; Biliotti, P. 205

Hammer II, P. 256.

Vertot II, PP. 414-415; Biliotti, P. 212-214;
 Faladin, P. 168.

انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) انظر :

السلطان مرة أخرى أن يحدد الصلح المقطوع بينهما بالوفاء من عدم حدوث شر * يضر به
على غيره * ولما كان مراد الثاني يعتمد وقد انزعجته جهوشه لاختلاف ثوره فاست
مده في البانيا بقيادة اسكندر بك * ويرغب في ضمان عدم قيام الاستتارية بتقديم المون
من أي نوع لذلك التأثير فقد اعطاهم للتجديد بعد ما لذي طلبوه (١).

وهكذا السلطان السيد الكبير للاستتارية الحاكم وقد اتفق رودس * وهو حنسا
استتار * من ناحية السلطان مراد الثاني * فلما وصل الى ميناء رودس في المصام التالي
في أي في عام ١٤٥٠ - الأسطول المسيحي المكون من عشر سفن * الذي كان
قد أعد ملك ارفونة الفونسو الخامس وطلعه في اعداده البابا نقولا الخامس عن سيد
ملكها بانيا حشد السلطان مراد الثاني بعد انتصاره على المجرمين في مؤنة
لحمه للدفاع عن جزيرة رودس ونهر انا وقتا هدا لطلال حشد * ام يتردد حنا
استتار في ان يقع قائده - أي قائد الأسطول الارغوني - بالتوجه بحبة سفنتين
استتارين الدفاع عن جزيرة قبرص التي كان أمير الملايا * يهدد وتذا ببضروها *
كان وصول ذلك الأسطول الى مياه قبرص * الى بجانب أسطول آخر مائل له في عدد
السفن أرسله - طور ما قبل - السلطان المملوكي جعفر * من أهم المواصل التي اضطرت
لأمير الملايا التركي الى أن يمدد عن القيام بمشروع العدائي ضد تلالا لجزيرة ويمقد مع
ملكها حنا الثاني لوزجان في ٧ سبتمبر عام ١٤٥٠ معاهدة صداقة وتجارة وافسق
لها الطوفان على الاحتكام الى السيد الكبير للاستتارية في رودس اذا نشب بينهما
أي خلاف حول خرق شروط المعاهدة (٢).

وقد حدث في ٥ فبراير عام ١٤٥١ أن توفي السلطان العثماني مراد الثاني وبخلفه
ابن محمد الثاني (٣). ولم يلبث السيد الكبير للاستتارية حنا لاستتار أن أرسل المسمى
السلطان الجديد * في نفس العام الذي تولى فيه - أي في عام ١٤٥١ - سفيرا استتاريا

(١) انظر : Vertot II, P. 432-433- , 437 ; Biliotti, P. 218
(٢) انظر : Hill III, PP. 52-523.
وارجع ايضا الى كتاب دكتور سعيد عاشور : قيس والحروب الصليبية ص ١٦٤.
(٣) انظر : Hammer II, P. 368.

فدأبها في حكومة الاستبصارية في رودس بمنهج وطالب منه تجديد المصلح بهنسن
بديها فأعطاه السلطان محمد الثاني ما طلبه (1)

السلطان الميثاق محمد الثاني ينهي حالة المصام في الاستبصارية عقب استيلائه على
القسطنطينية عام ١٤٥٣ - تبادل الاعتداءات -

على أن تلك الفترة الطويلة من السلم بين الاستبصارية والميثاقيين التي أعقبت هزيمة
السلطان الميثاق بايزيد الأول أمام تيمورلنك التتار في موقعة أنقرة في عام ١٤٠٢ هـ ثم
انفعال خلفائه من بعدهم فلم يحدث إعادة توطيد أركان الدولة الميثاقية من الداخل
انتهت باستيلاء السلطان محمد الثاني على مدينة القسطنطينية في ٢٦ مايو عام ١٤٥٣ هـ
وطقت عليها فتوة جديدة في العلاقات بين الجانبين امتدت حتى وفاة ذلك السلطان في
٢٦ مايو عام ١٤٨١ هـ واتسمت بالتهديد المقرون أحيانا بالهجوم المصلح على جزيرة رودس
بحر الأوغريل الخاضعة لها من جانب السلطان محمد الثاني ، وبلاستعداد المتواصل
بواجهة ذلك التهديد أو لاحتياط ذلك الهجوم من جانب الاستبصارية .

وكان أن بدأ السلطان محمد الثاني في تنفيذ سياسته العدوانية إزاء الاستبصارية
في رودس بأن أرسل إلى سيدهم الكبير حنا لاستيلاك في أواخر نفس العام الذي استولى
له على مدينة القسطنطينية - أي في عام ١٤٥٣ هـ - سفراء الذين طلبوا منه أن يقبل ،
إذا أراد أن يتفادى الحرب مع السلطان الميثاق ، أن يدخل في تسمية ذلك السلطان
بديع له جزيرة صوبية مقدارها ألف دوكة . وبالرغم من علم السيد الكبير حنا لاستيلاك
بأن جزيرا غير رودس في بحر إيجه ، مثل جزر ميتليمون وخيوس ولينوس وامبوس ، وقوى مسيحية
أخرى واقعة على حدود الدولة الميثاقية ، مثل غرابيزون وبيروا وسوريا وكينا ، وانفست
من أن تدفع الجزيرة للسلطان ضمانا لأمنها أو إسلاميتها ، فقد رفض بأصرار الموضع الذي تقدم
به إليه سفراء ذلك السلطان .

(1) أنظر : Vertot II, PP. 439-440; Billotti, PP. 218-219;
Hammer II, PP. 368-369.

(2) أنظر : Baynes & Moss: Byzantium, P. 49. ; Runciman: Byz.
Civil., P. 60

وكما اعتاد السادة الكبار للاستشارة عندهما بحيث الخطر بجزيرتهم رودس ، فقد سادر
حنا لاستيكت بالكتابة الى رؤسا " بيوت الاستشارة في الخارج فضلا عن البابية وطلوك الغرب
بخطرهم بذلك الخطر الجديد راجيا اليهم سرعة ارسال ما يمكنهم ارساله من الرجال
والاسلحة والمعونات للمساهمة في الدفاع عن جزيرة رودس . (١)

وعلى أى حال فان السيد الكبير حنا لاستيكت لم يشرح حتى يرى نتائج سفاراته السي
أمرها ، فقد توفي في نفس ذلك العام - أى في عام ١٤٥٤ - وبين يعقوب دى ميسللى (٢)

(١) كتب حنا لاستيكت الى مقدم شعبه ألفيرنيا Alvernia - واسمه امبرت بوفيسير
Embertus de Bauver - قائلا بأنه ان لم يرسل البابا وأمر " المسيحية
النجادات والمعونات بأقصى سرعة فان الاستشارة في رودس سوف يظلمون كالحيوان
الوديعه وسط الذئاب المفترسة .

"ET NISI NOBIS A SANCTITATE DOMINI NOSTRI , & DOMINIS
CHRISTIANIS AUXILIA, & SUBSIDIA TRAICANTUR, REMANEBIMUS

TANQUAM HUMILES AGNI IN MEDIO LUPORUM , ETC. "

Pauli LL , PP. 131-132, NUM . CxI

ارجع الى هذه الرسالة في
مع مراعاة أن الرسالة مذكلة بتاريخ ٢٠ يناير عام ١٤٥٢ ، وهو تاريخ خاطئ ، فالرسالة
لا بد وأن تكون قد كتبت في عام ١٤٥٤ حيث أن لاستيكت ذكر في بدايتها بأن السلطان
ارسل اليه سفراء بعد استيلائه على القسطنطينية .

(٢) لا توجد في الحقيقة دلائل تشير الى اهتمام حكام امريكا سوى ملك انجلترا هنرى السادس
الذى كتب مجيئة من الرسائل بتاريخ ٢٤ يوليو عام ١٤٥٤ أظهر فيها تعاطفه مع
الاستشارة وعجزه عن مساعدتهم .

ارجع الى رسالته الى كل من دوج القندقية والامبراطور الالمانى فردريك الثالث والبابا
لقولا الخامس ثم المجمع المقدس

Pauli III, PP. 132-136; Numbri CxII-

Cxv.

ارجع ايضا الى الرسالة التى كتبها هذا الملك للرئيس الاستشارى في نفس اليوم حيث
هناك لرفضه دفع الجزية للسلطان محمد الثانى ، وشجعه على الاستمرار فى الصمود
أمام ذلك السلطان ،

Ibid , PP. 137-138, Num. Cxvi

علما بأن الملك كان قد حث دوج القندقية فى رسالته اليه بأن يبادر بتسوية خلافاته
مع الاستشارة بمنأى عن استخدام العنف لكي يتفرغوا لمواجهة السلطان ، وكان قد طلب
من البابا ومجلس كرادلته الاذن بتنظيم حفل سنوى لجميع صكوك الغفران فى مملكته
لمصالح الاستشارة فى رودس .

ارجع الى رسائل الملك الى الدوج والبابا والمجمع المقدس المخصوص عليها فى هذه
الحاشية .

(١) ثم سميت الاستبشارية في أوغرن بفرونتا خلفا له . وقد رأى السيد الكبير الجديس ،
 هذا أن ياشترى مهابم منجبه في جزيرة رودس ، أن يستوثر من نوايا المملطان محمد الثاني
 ليرسل اليه ، في أوائل عام ١٤٥٥ ، سفارة قدمت له هدايا ثمينه وعرضت عليه
 قد يعاهده تبين للاستبشارية حرية التجارة على شواطئ آسيا الصغرى مقابل المسامح
 رهايا المملطان بحرية التجارة في جزيرة رودس . غير أن المملطان أصر على ضرورة أن
 تدفع جزيرة رودس له الجزية ، وصير صحة سفراء تلك الجزيرة عند عودتهم مغفورا
 تركيا لعمرو قواره على السيد الكبير يمد قوب دي بيللي . وكان يمد قوب دي بيللي متساهلا
 عن ملته هنا لاستنهاضه أمدى استعداد له لأن يرسل الو. المملطان في كل عام سفارة
 محملة بالهدايا بدلا عن الجزية التي رفضها باتا أن يؤدبها لذلك المملطان . فمصر
 أرمحمد الثاني أن يقبل من الاستبشارية عن دفع الجزية له بدلا (٢) ، وأصدر
 أوامره إلى نحو ثلاثين سفينة من سفنه التي كانت تتجول آنذاك أمام شواطئ آسيا الصغرى
 بهاجمة جزيرهم للتمرد على مدى قوتها (٣) . وعندما عادت تلك السفن محملة بالكنائس
 التي ظفوت بها نتيجة قيامها بغزو شواطئ جزيرة رودس ولا نجو ، كان المملطان محمد
 الثاني قد أتم حشد أسطول كبير آخر يتألف من نحو مائة وثمانين سفينة (٤) مختلفة
 الأنواع والأحجام بقيادة القبطان حمزة بك ليلود الاستبشارية نهائيا من جزيرة رودس ومائس
 الجزر الخاضعة لهم في بحر الأرخبيل . وبعد أن مر حمزة بأسطولهم على جزيرة ميتلين
 حيث قدم له حاكمها اليوناني الهدايا ، ثم على جزيرة غريوس التابعة للجنوية حيث توسل
 بالمداء من أهلها فذهب شواطئها ، ووصل إلى هدفه الأطلى جزيرة رودس الاستبشارية .
 وقد حاول أن يقتحم ميناء العاصمة رودس فغسل بسبب قوة نيران مدفعية الأبراج التي تحصين (٥)

(١) انظر : Biliotti, P. 221

(٢) انظر : Hammer III, PP. 20-21, Lamartine III, P. 272

(٣) انظر : Hammer III, PP. 21, 275 ; Biliotti, P. 222

(٤) انظر : Hammer III, PP. 21, 275

مع ملاحظة أن المورخ (Lamartine III, P. 273) ذكر بأن عدد السفن

ثلاثمائة ، أمّا بليوتي (Biliotti, P. 223) فإنه لم يحدد عدد

سفن الأسطول ولكنه ذكر بأن هذا الأسطول كان يقلّ نحو ١٨ ألف مقاتل

(٥) انظر : Hammer III, P. 23

بعد ذلك توجه الى جزيرة لانجو والى الشبان من رودس ، فخرّبها واكنه لم يستطع ان يستولى على قمتها - وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي من الجزيرة - بالرغم من حصاره لها اثني عشرين يوما ، واضطر اخيرا الى رفع الحصار عنها والانسحاب من الجزيرة بسبب كثرة القتل بين رجاله ونشوب قتلهم في صفوفهم . على ان الاسطول التركي ، بدلا من العودة الى استانبول هبهم جنوبا مرة اخرى شطوط جزيرة مسيى الخاضعة للاستبارة بين لانجو ورودس فغربها وخرّبها ، ثم واصل سيره الى ان رسا على الساحل الشرقي لجزيرة رودس قرب قرية اركانجيلوس حيث تقع اخصب بقاع الجزيرة فاعل فيها رجالهم الذهب والمسلح ، كما اسروا كل من وقع في ايديهم من سكانها واشعلوا فيها النيران ثم رحلوا عنها ليقوموا بنصف الشىء في جزر نيسيروس وكاليمنوس وليرودس وجميعها من الجزر الخاضعة للاستبارة في بحر الارخبيل قبل ان يعودوا باسطولهم الى مدينة استانبول التي وصلوا اليها في ٥ اكتوبر عام ١٤٥٥ بعد غيبة عنها دامت شهرين (١)

وكان من الطبيعي ان يبحث السيد الكبير للاستبارة بمقرب دى ميلامسى بانبا ما حدث للبابا كاليكستوس الثالث Calixtus III (١٤٥٥ - ١٤٥٨) بفتح الرئيس الاقلى لهرينة الاستبارة . وقد رأى ذلك البابا بان الشرف يستدعى سرعة ارسال قوة بحرية على حساب البابوية للدفاع عن الجزر الخاضعة للاستبارة وسائر الجزر والمراكز المسيحية في بحر ايجه اذا ارسل السلطان محمد الثانى اسطوله مسيرة اخرى ليهاجتها . ومن ثم أصدر اوامره في ١٧ ديسمبر عام ١٤٥٥ الى كبير رجال الدين الكاثوليك في البندقية وهو الكاردينال لويس سكرامبو (Louis Scrabo)

ان يتولى مهمة الاسراف على اعداد تلك القوة ثم قيادتها بصفتة نائب بابوى وقائد عام على ان يساعد في قيادة الاسطول كنائب له القبطان البوتمالى فولانو فارينما (Velasco Farina) (٢) ومن ناحية اخرى منح البابا كاليكستوس الثالث في العام التالي - اى في عام ١٤٥٦ - التاجر الفرنسى چالكير ، بناء على رغبة ذلك التاجر ، لقب قائد عام ولكنه بقيادة ستة عشرة سفينة حربية اعدّها چاك كير على حسابه

الخامس لا فاشة جزر بحر الأرخبيل، ولم يلبث جاكبير أن وصل إلى مياه ذلك البحر حيث
 أخذ من جزيرة رودس قاعدة لأسطوله الذي ظل يوجهه منها - ربما بالاشتراك مع بعض
 من الاسبتيارية - لشحن الذنارات على سواحل آسيا الصغرى والجزر الخاضعة
 للمثانيين بجوار تلك السواحل، إلى أن أدركه الموت في ٢٥ نوفمبر عام ١٤٥٦ أثناء
 زيارته لجزيرة خيوس فانتبهت بذلك حملته^(١) وعندما علم البابا كاليكستوس الثالث
 بأنها خشي أن ينتهز السلطان المثناني محمد الثاني الفرصة فيمجل بأرسال سفنه
 ضد جزر الاسبتيارية لينتقم منهم على المساعدات التي قدموها لأسطول جاكبير
 ومن ثم فهم للهزيمة التي منيت بها جهودهم منذ شهر قليل - وعلى وجه التحديد في
 أغسطس عام ١٤٥٦ - أمام مدينة بلجراد على يد چانوس هونيادي، قائد قوات المجر،
 وحلفاء البولنديين والترانلفانيين والصربيين الإيطاليين الذين كانوا قد هرعوا
 بقيادة المدعو كاسترانو Capistrano للدفاع عن تلك المدينة تلبية لنداءات
 البابا كاليكستوس الثالث^(٢) ولذا لم يبق البابا أن ينتظر إلى أن يخرج سكاراميو من
 أعداد السفن البابوية المكلف بقيادتها ضد المثانيين في بحراجه، وبأمر من
 أوائل عام ١٤٥٧ بأرسال إحدى تلك السفن بحبة سفينة أخرى قدسها له أمير فوندي
 الإيطالية، بعد أن وضع طو. رأس كل منهما فارما اسبتياريا لقيادتها، إلى جزيرة
 رودس لمساندة سفن الاسبتيارية في الدفاع عنها إذا هاجمها السلطان قبل وصول
 سكاراميو إليها^(٣) وفي الحقيقة فإن سكاراميو لم يلبث أن وصل إلى تلك المنطقة خلال ذلك
 العام نفسه - أي في عام ١٤٥٧ - ولكن طو. رأس اسطول ديشيور لم يزد عدد سفنه عشرين
 ثمان عشرة سفينة^(٤) وبعد أن سلم للاسبتيارية في رودس ما جله لهم من أسلحة
 وأسلحة وقذائل، توجه إلى كل من جزيرة خيوس وجزيرة ميتيلين حيث طلب من حكومتها أن
 تكف عن دفع الجزية للسلطان محمد الثاني ولكن طلبه رفض خوفا من انتقام السلطان،
 وعندئذ قام سكاراميو على رأس أسطوله بالاشتراك مع أربعين سفينة مملوكة لقراصنة
 الطالونيين بهجامة بعض الجزر الخاضعة للمثانيين فطرد منها حامياتها المثنانية

(١) انظر: De La Ronciere II, P. 286

(٢) عن هزيمة محمد الثاني أمام بلجراد انظر:

Hammer III, PP. 30-34, Lamartine III, PP. 283-292

Pastor II, P. 375

(٣) انظر:

رائل محلها حاميات مسيحية بابوية ، ثم رجع مرة أخرى الى جزيرة رودس حيث وضع السيد
الكبير دى ميللو تحت تصرفه إحدى الترسعات البحرية الكبرى (١)

على أن وجود الأسطول البابوي بقيادة سكاراميو في مياه رودس لم يخف - في
الواقع - من قدر كرس البابا كاليكستوس الثالث والسيد الكبير دى ميللو لاعتقادهما
أن ذلك الأسطول اضعف من أن يصد أمام أسطول الميثانيين إذا اتجه لغزو رودس
بكل قوته . ومن ثم جدد البابا مساعدته لدى حكام أوروبا لتأليف حلف مسيحي ضد
العثمانيين (٢) ، على حين أرسل السيد الكبير للامبتارية الفارس الاستباري
بطرس دوبيسون (الذي أصبح فيما بعد سيديا كبيرا للاستبارية) لطلب المساعدة
من ملك فرنسا شارل السابع (٣) (١٤٦٢ - ١٤٦٨) . وكان الملك الفرنسي - في الحقيقة
متثابرا على أن يخضع الاستبارية في رودس بالجانب الأكبر من دخل ضريبة المشهور
الكنيسة في بلاده ، حتى أن البابا كاليكستوس الثالث نفسه احتج على ذلك
النصف منه ، ولقد نظره الى أن من الأنسب بهد أن تالت رودس الكثير من وسائل
الرعاية والاهتمام ، توجيه أموال تلك الضريبة للمساهمة في اعداد أسطول صليبي قوي يوجه
لحرب الأتراك الميثانيين (٤) . ومع ذلك فان شارل السابع لم يقدم للمسيحيين
دوبيسون عندما وصل اليه سوى مبلغ مالي صغير مقداره ستة عشر ألف قطعة ذهبية
من العملة المبرومة باسم الأيكون ووعده بمساعدات أكبر عندما تسمح له الظروف
بدل على عدم تحصين ذلك المبلغ وقتذاك لتلويط في حرب ضد الميثانيين قد يطول أمدها (٥)
ولقد ترتب على ضلالة السلطة الفرنسية وعدم تحرر أحد من حكام أوروبا
لظلمة الدعوة التي وجهها اليهم البابا بتأليف حلف ضد الميثانيين (٦) ، الى جانب

- | | |
|--|------------|
| Hammer III, pp. 36-37; Pastor II, p. 375 | (١) انظر : |
| Pastor II, p. 376 | (٢) انظر : |
| Bouhours, pp. 23-26; Farochon, pp. 114-115 | (٣) انظر : |
| Pastor II, p. 379 | (٤) انظر : |
| Bouhours, p. 26; Farochon, p. 115 | (٥) انظر : |
| Pastor II, p. 376 | (٦) انظر : |

رغبة الاستتارية في أن يستوثقوا من نوابيا محمد الثاني بعد أن حاصرت مقلته في عام ١٤٦٠ جزيرة لانجوا التابعة لهم ثمانية أيام (١) ، ونما إلى علمهم بأنه بعد أسطولاً منها لطلودهم من جزيرة رودس بالتحالف مع سلطان المماليكانيين (١٤٥٢ - ١٤٦٠) ، الذي كان يهدف وقتذاك إلى الاستتارية بسبب تأييدهم لثورة القبرصية شارلمسوت لورجنان في صراعها على عرش قبرص ضد أخيها يديفوب الذي ناصره المماليك (٢) ، ثم على ذلك أنه أن طلب السيد الكبير للاستتارية يديفوب دي ميللي ، في ذلك العام ١٤٦٠ أو في العام الذي يلحقه ، من السلطان المماليك محمد الثاني التفاوض معه بشأن الصلح . وقد رفض السلطان وقتذاك طلباً ذلك التصريح . ولكنه لم يلبس بعد فترة قصيرة ، في عام ١٤٦١ ، أن غدر فتح ولاية لوابيزون البيزنطية ، وأراد أن يفسد المسلم والمهدوء بالنسبة لأملاك الواقعة في بحراجه قبل أن يقدم على تلك الخطوة . وكان أن انتهز فرصة تولية سيد كبير جديد في رودس ، هو ريموند زاكوستا - خلفاً للسيد الكبير يديفوب دي ميللي ، الذي توفي في ١٧ أغسطس عام ١٤٦١ - فأرسل إليه يطلبه بوائقه على التفاوض مع سفير استتاري في أمر الصلح بين بلديهما . وقد بعث إليه زاكوستا على الفور ، في أواخر عام ١٤٦١ ، سفارة برئاسة المارشال ، عندئذ مهمم ملحقاً لعدة عامين تنازل فيه السلطان عن الجسد الخاص بدفع الجزية له . (٣)

والواقع أن الاستتارية نجحوا بالنسبة من السلطان محمد الثاني طوال عهد السيد الكبير لهميشتم زاكوستا الذي توفي في ٢١ فبراير عام ١٤٦٧ . ولكن حدث في نفس ذلك العام ، بعد تولية السيد الكبير أورسيني التي تمت في ٤ مارس عام ١٤٦٧ ، أن أرسل محمد الثاني إلى جزيرة رودس أسطولاً مؤلفاً من ثلاثين سفينة أشاع الخراب والدمار في كثير من قرىها الساحلية (٤) .

(١) انظر : Mas-Latrie III, pp. 108-113; Hill III, pp. 569-570.
 (٢) انظر : Hill III, p. 559.
 (٣) انظر : Hammer III, p. 276; Biliotti, pp. 227, 236.
 (٤) انظر : Hammer III, p. 276; Biliotti, pp. 240-241.

وبعد عودة ذلك الأسطول أرسل المشايخون إلى نفس الجزيرة أسطولا آخر تسمى
الذعر بين أهلها (١) ربما انتقاما لكثرة الضحايا من الأسرى والقتلى بين أفراد قوة
الأسطول الأول (٢)

وقد رد السيد الكبير أورسيني على تلك الاعتداءات المشائية بأن أرسل
في صيف عام ١٤٧٠ م سفينتين حربيين لمساعدة أسطول بندقي في محاولة تحطيم
الحصار الذي فرضه المشايخون وقد انجول جزيرة تجرويونت الخاضعة للبندقية في
هراجه (٣) وبالرغم من فشل تلك المحاولة في انقاذ الجزيرة من السقوط فسي
أهدى أفراد جيش الحصار المشايخ في ١٢ يولية عام ١٤٧٠ م (٤) أن السلطان
محمد الثاني قضى من اقدام الاستتارية على المشاركة فيها ، وقيل بأنه أصبح عن رغبته
في أن يتقدم جميع الماملين بالترغية من المسلمين أيا كانت جنسياتهم لمهاجمة جزيرة
رودس وسائر الجزر الخاضعة لها في الأرخبيل الرودي إلى أن يصل بنفسه على
رأس الأسطول المشايخ لدمستور على تلك الجزيرة (٥) وقيل أيضا بأن السلطان قسم
على أن يقتل السيد الكبير للاستتارية بيده وأن يمزق أربا من يقع من فرسانهم
في أسره (٦) وسواء أكانت تلك التهديدات صحيحة أم غير صحيحة ، فالذي لا شك
فيه أن السيد الكبير أورسيني أرسل وقد اتفقت كل من البابا بولس الثاني (١٤٦٥ -
١٤٧١) والملك الفرنسي لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) بخبره سلطان
السلطان محمد الثاني بمدد بمزعه على غزو جزيرة رودس ، وأن الاستتارية وأهل تلك
الجزيرة تملكهم الجز من جراء ذلك التهديد . ولقد بدأ البابا بولس الثاني في
٢٠ يناير عام ١٤٧١ م بكتابة رسالة إلى أورسيني وعده فيها بالمساعدة ونصحه بالآ
بالوجهة في تنوية تحصينات جزيرة رودس وأصناف خنادقها . وأرسل البابا في نفس

(١) انظر :

Hammer III, P. 276

(٢) يقول (Biliotti, P. 241) بأن جميع الفخاة المشايخين الذين نزلوا

أرض جزيرة رودس في الفخوة الأولى - حيث أن بليوتي لم يشر إلى الفخوة الثانية -

قد قتلوا أو أسروا على أيدي الاستتارية .

(٣) انظر :

Farochon, PP. 116-119; Biliotti, PP. 241-242;

Bouhours, PP. 31-32; Flandin, PP. 187-188

(٤) انظر :

Easton IV, P. 176

(٥) انظر :

Farochon, P. 119.

(٦) انظر :

Bouhours, P. 33

رسالة خاصة الى أهل مدينة رود من حشهم فيها علو التمسك بأهداب الشجاعة
 وحشهم بأن يصلوا بسرعة علو اصبح السواك المتهدمة في مدينتهم * وفي ١٢ مارس من
 من العام كتب البابا بولس الثاني رسالة اخرى الى السيد الكبير اورسيني نائمه
 بها الثبات والصمود امام تهديدات الاثراك المشانين (١) اما ملك فرنسا اوجين الحادي
 عشر فقد اصدر في ٢٠ سبتمبر عام ١٤٧١ أمرا مأكوا الى جميع المسئولين في مملكته
 بتهيئ مهمة مندوبيه ووكلاء الاستبارة في حشد المتطابقين وشراء الذخيرة والاطلحة
 والدخائر وجمع الهدايا والتبرعات من الفرنسيين وارسل ذلك كله الى جزيرة رود من
 اناتها على الصمود اذا هاجمها المشانين (٢)

وعلى أي حال فان السلطان محمد الثاني لم يتحرك فذلك لفرو جزيرة رود من
 سبب انشغاله فيها في الحرب التي دخلها في عام ١٤٧٢ ضد اوزون حسن (حسن الاول)
 امير قبيلة الشاه البيضاء التركمانية في شرق آسيا الصغرى (٣) وقد حدث عندما
 بدأت تلك الحرب ان وصل الى رود من سفير من قبل اوزون حسن طلب من السيد الكبير اورسيني
 ان يقدم معه مهادنة دفاعية هجومية ماثلة لمجموعة من المهادنات كان اوزون حسن
 قد عقدها ايضا مع البابا بولس الثاني وملكى ناپلو وارغونه وجمهورية البندقية وقلونيا
 ولم يتردد اورسيني في عقد المهادنة التي طلبها سفير اوزون حسن فوفى طلبه
 طلباته الاخرى الخاصة بمدد السلاح لأمير التركمانى بكمية من المدافع والبنادق وبمسدد
 من رجال المدفعية وصانعي الأسلحة النارية عليهم اوزون حسن لتدريب جيشه على
 استخدام ذلك السلاح من الملاحظة (٤) ومن ناحية اخرى يادر السيد الكبير للاستبارة

Pastor IV, P. 183

(١) انظر :

هذا وقد نشره Pastor (Ibid: Op. Cit, PP. 498-499) نصوص الرسائل

البابوية الثلاث *

Fauli II, PP. 141-142, num. CXX

(٢) انظر :

Pastor IV, P. 183; Thuasne, PP. 4-6

(٣) انظر :

Biliotti, PP. 243-244; Flandin, PP. 190-191; Hammer

(٤) انظر :

III, P. 173.

الاسهام بسفونتين حريتين (١) في اسطول صليبي اعد في ذلك العام - اي في عام ١٤٧٨ - البابا سكستوس الرابع (١٤٧١ - ١٤٨٤) بلاشعراصح جمهورية البندقية ملكة نابولي بفقد الاقارة على المدن الساحلية في آسيا الصغرى أثناء انشقاق السلطان المشانق محمد الثاني في حربه ضد اوزون حسن الحليف المتماهد مع تلك القسوى المسيحية ، علما بان الاسطول الصليبي كان مؤلفا من عدة سفونتي استبارية من ثلاث وثمانين او ثمان وثمانون سفينة اسهم فيها البابا بتسع عشرة او اربع وعشرين سفينة ، واسهمت البندقية بجمع واربعين سفينة ، واسهمت نابولي ببقيسة سفن الاسطول وعدد هسا مع عشرة سفينة (٢) وقد اختار قادة الاسطول ابد حلفهم مدينة انطاليا نظرا لوقوعها على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى حيث يتركب حلفا اوزون حسن من الاسراة الثمانية الذين كان اولئك القادة يرغبون في اظهار قوة اسطولهم الصليبي لهم لتشجيعهم على عدم التخلو عن حلفهم أمير قبيلة الشام البيضاء (٣) - ولم يجد الفزاع الصليبيون معونة كبيرة في اخراج ميناء تلك المدينة او في النزول الى شاطئها ، على انهم لم

(١) يبدو أن الاستبارية تعهدوا في بداية الأمر بتقديم أربع سفن ولكنهم لم يقدموا الا سفونتين ، ويتضح ذلك من التلميحات التي اعطتها جمهورية البندقية في عام ١٤٧١ للسفير البندقي Andrew Bragadin ، فقد أمرته فيها بان يتوجه الى رودس لشكركم السيد الكبير للاستبارية بالخطر المشانق الذي يهدد المسيحيين ولحتم على اعداد السفن الاربع التي ارتبطت في المعاهدة المبرومة بينهم وبين سن البندقية ونابولي ، بتقديمها بحيث تكون جاهزة للعمل في بداية الربيع (من عام ١٤٧٢) انظر :

Hill III, P. 625

(٢) انظر : Pastor ; Daru III, P. 348 ; Hammer III, P. 174-175

IV, PP. 226 - 227.

ونلاحظ بان المراجع المذكورة اختلفت فيها بينها بشأن عدد سفن الاسطول المشترك فقد جاء في كل من هاسر ودارو بان عدد سفن الاسطول خمس وثمانون سفينة ساهم فيها البابا بتسع عشرة سفينة والبندقية بجمع واربعين سفينة ونابولي بجمع عشرة سفينة ورومن بسفونتين ، اما المؤرخ پامستور فقد ذكر بان البابا ساهم في الاسطول بأربع وعشرين سفينة والاستبارية بسفونتين ، فاذا أضفنا الى تقديماته ، تقديمات هاسر فيها بتعلق سفن البندقية ونابولي أصبح عدد سفن الاسطول تحسب سفينة هما فيها سفونتين الاستبارية .

(٣) انظر :

Pastor IV, P. 227.

بنحوها في حصار قنصتها الا بعد ان اتوا نهب أسواقها وتاجرها . وبالرغم من نجاحهم في الاستيلاء على الصور الخارجى لتلك القلعة فانهم عجزوا عن امتلاكها بحسب استيصال حائتها في الدفاع عنها وسبب قصر ما تحت أيديهم من سلال بالقسمة لصلو ارتفاع من القلعة الداخلى ، وعدم وجود مدافع ضخمة في حوزتهم تمكنهم من فتح ثغره ففى ذلك الصور ينقدون منها الى داخل القلعة . ومن ثم لم يجد النصارى بدا من ان ينسحبوا من المدينة ويصعدوا الى أسطولهم الرابى في مينائها تاركين وراءهم قتلاهم (١) الذين انهم ان من بينهم قائد مسفينى الاسبتارية في ذلك الأسطول وعدد من فوسان غرقهم (٢) عندما قاد الأسطول الصليبي مياه انطاليا وهم في جزيرة رودس (٣) فيها عسدا من ناپلى المسيح عشره التو اتجهت راسا الى بلادها بسبب نزاع نشيبين قادتها وقادة من البنادقة في الأسطول (٤) فير ان ذلك الأسطول لم يلبث ان دخل عن رودس وانخفض لغيره ناحية مدينة أزمير الواقعة على الساحل الشرقى لآسيا الصغرى فحتمها واحتلها عليها . وكان النائب البابوى كاراغا (قائد السفن البابوية في الأسطول المشترك) يوجب في الاحتفاظ بتلك المدينة واتخاذها قاعدة للمطبات العسكرية الصليبية ضد الأتراك فحسب ان البنادقة خالفوه ذلك الرأى وأصرروا على الانسحاب منها (٥) . ومن ثم جلا الصليبيون من مدينة أزمير ، بعد ان قام البنادقة وحلفاؤهم الاسبتارية بنهب حوانيتها واشتمال الحرائق في أحيائها (٦) واتجهوا بأسطولهم الى مدينة ملكرى الواقعة على الساحل الآسيوى تجاه رودس ، ثم الى جزيرة أرمينوى الواقعة في البحر بالقرين تلك المدينة ، لعل بها على يد البنادقة والاسبتارية ما حل يكن من انطاليا وأزمير قبلهما (٧) ولما كان الموسم وقتذاك قد فصل الشتاء فقد انسحبت سفن البنادقة لتضيق ذلك الفصل في مينائى

(١) انظر :

Hammer III, pp. 175-177; Biliotti, P. 243

(٢) انظر :

Biliotti, P. 243

(٣) انظر :

Hammer III, P. 177 , Biliotti, P. 243

(٤) انظر :

Pastor IV, P. 228

(٥) انظر :

Ibid: Loc. Cit.

(٦) انظر :

Lamartine III, P. 584; Hammer III, P. 177

علما بان هلمر لم يذكر بان الاسبتارية اشتركوا مع البنادقة في نهب أزمير .

(٧) انظر :

Lamartine III, I. 584

ونولها بشعب جزيرة العرة ، علو حين رحل كارانا بمقته الى ايطاليا ، وسفنتا
 استبارية الى رودس بعد أن ولّى الشتاء وحل فصل الربيع (ابريل عام ١٤٧٣) أرسل
 اليها مكنتون الرابع الى مياه بحر ايجة عشر سفن عربية فانضمت اليها سفنتا
 استبارية علو حين فضلت سفن البندقية أن تعمل مستقلة . وفوق الحقيقة فإن سفن المسيحيين
 لم تعمل في تلك المرة أكثر من أنها أظهرت نفسها لحلفاء أوزون حسن من أمراء بنى قريمان
 على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى . وقد حدث في ٦ يوليوز عام ١٤٧٣ أن توفى ملك
 بنى قريمان الثانى لوزجنان . وعندما علم القائد البندقي بالخبر طلب من زملائه
 الكهنة في قيادة الأسطول المسيحي أن يتوجهوا بمسفنهم فوراً الى جزيرة قبرص لمراقبة
 السفن فيها . (١) فقرر أن قائد سفنتو الاستبارية - واسمها وبيستون - لم يكن خافها
 بل أن السيد فالحقير للبنادقة هو تسخير الأسطول المسيحي المشترك لتعزيز مركز
 البندقي بنى قريمان الثانى لوزجنان ، وهو بندقية أصحها كاترينا كورنايو ، والحزب المناصر للتدخل
 البندقي في جزيرة قبرص علو حساب وفور الا شيو شارلوت لوزجنان التي يومئذها الاستبارية
 والحزب القبرصي المناوى للنفوذ البندقي في الجزيرة ، ولذا اعتذر للقائد البندقي بأن
 سفنتا صبحتا في حاجة للتزود بالمؤن من ميناء رودس ، وانحجب بهما على القصور
 فاندأ البلاد . (٢) هذا ولم تلجأ العرب الدائرة بين السلطان محمد الثانى والاشير أوزون
 حسن أن انتهت في ٢٦ يوليوز عام ١٤٧٣ بهزيمة أوزون حسن ، ومن ثم لم تعد ثمة حاجة
 أن يرسل الاستبارية سفنتيهما مرة أخرى الى شواطئ بنى قريمان ، وخاصة أن السفين
 الباقية للحلقة قد انسحبت من تلك المياه عند سماعها بنى هزيمة أوزون حسن ، وأن
 من البنادقة انشغلت بالمسألة القبرصية (٣) .

وكان من المتوقع أن يقوم السلطان المملوك محمد الثانى ، بعد أن فرغ من حربه
 ضد أوزون حسن ، بتوجيه غزوه التالية للاستبارية في رودس تخلفاً لتهديده لهم قبل أن

Pastor IV, pp. 228-229; Hill III, p. 599

Hill III, pp. 598-600

Pastor IV, p. 229; Hill III, pp. 600, 663; Thuasne,

p. 23

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

على يد سوريه من . . . سلطان لم يثبت ان اشغل عنهم مرة اخرى لقيامه بعملية
 هذه من الحروب والفجوات في آسيا وأوروبا . . . (١) فصار عن حربه ضد الهندية التي
 في سنة عام ١٤٦٣ (٢)

وفي تلك الاثناء كان الاستتارية في رودس يعملون مهمة في استكمال بناء وسائل
 الدفاع عن جزيرتهم اعتمادا على المقدم الاثران المشائين في ايسة الحظية (٣) . فلما
 كان اليوم الاول من شهر يولية عام ١٤٧٧ ارسل السيد الكبير دوييسون خليفة
 لوسيني (توفي في ٨ يونيو عام ١٤٧٦) ، خطابه دوريا الى جميع مقدمي شمسب
 الاستتارية لمر فله بحضور جميع نومان الاستتارية المقيدين على تلك الشصب .
 باعهم مقدموها والامسرون نهما . الى جزيرة رودس ، مهددا بفرض اشد العقوبات
 مائة على من يتدخل منهم عن الحضور الى هذه الجزيرة في ميدان ظيته اول مايو ١٤٧٨ .
 بعد الحج دوييسون مقدمي الشصب في ذلك الخطاب بان تنازروا وجواسيرا الاستتارية
 في بلاط السلطان المشائ محمد الثاني تشير كلها الى ان هذا السلطان مصر
 من سارية الاستتارية ، وانه أعد لهذا الغرض جيشا واسطولا كبيرين ، واعطى
 لاسمهم السيد الطوف التي سيملكها ذلك الجيش الى ولاية ليكيا (منتشمة) الواقعة
 في مواجهة جزيرة رودس . وبعد ان لفت دوييسون نظر نومان الى ضرورة ان يعتمد
 الاستتارية في الدفاع عن انفسهم على قوتهم الذاتية بسبب عدم ضمان وصول النجيدات
 من الخان ، وبعد ان ذكرهم بالقسم الذي فطموه على انفسهم عند دخولهم في عضوية
 الهيئة التي ينتسبون اليها ، اهاب بهم الحضور جميعا الى رودس في الميدان الذي حدد به
 لذلك ، فاذا اعتوض طريق احدهم مانع لا يقهر ارسلا وكلا شرعا يحل محله (٤) . هذا
 وقد استعد دوييسون ايضا سياسيا بحركته المرتقبة ضد السلطان محمد الثاني ، فعقد
 معاهدة سلم وتجارة في عام ١٤٧٧ مع السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (١٤٦٨ -
 ١٤٨١) (٥) وذلك لوضع حد لانضمامه الى السلطان المشائ اذا قام بعمل عدائي ضد

(١) فيما يتعلق بنزواته في آسيا انظر شير قناه الجزء الثاني ص ١٠٧ .
 وفي أوروبا انظر :
 (٢) شارل ديل (ترجمة د . عزت عبد الكريم ، توفيق اسكندر) البندقية - ص ١٣٨ .
 (٣) انظر :
 (٤) انظر :
 (٥) انظر :
 Lamartine III, P. 585
 Flandin, FF. 192 - 194
 Pauli II, FF. 143-146, num. CXXII ; Bouhours 47-49
 Bouhours , FF. 50-51; Flandin, FF. 199-200

استتارية في رودس - كذلك عند دوييسون في مستهل العام التالي - أن في عام

١١١٠ - معاهدة مع دولة بني حفص في تونس ضمن بمقتضاها شراء ثلاثين ألف بوشل

(١)

من القمح التونسي. ملاحظة من الرسوم الجمركية في ايروقت يشاء.

وقد حدث في شهر فبراير من نفس العام الذي عثرت فيه المصادفة مع تونس أن وصل

الروماني قاض عثمان. اسمه ديمتري سوفيان (Dématrius sofianos) مسلم

دوييسون رسالة مكتوبة باللغة اليونانية بتاريخ ٩ فبراير عام ١٤٧٨ ، وموقعا عليه

الخط التركي باسم الأميرين المشايخين جم - وهو ابن السلطان محمد الثاني كان يشغل

مقام حاكم قومانيا - وشماليا - وهو ابن أخ للسلطان كان يشغل منصب نائب السلطان

في لوكيا (مكتشفه) - أهدى فيها هذان الأميران استعدادهما للتوسل بهبوس

الاستتارية والسلطان محمد الثاني. إذا قبل دوييسون عرضا للمسلم كلفه التاج ديمتري

مريان بتقديم اليه (٢) ، غير أن المسلم الذي عرضه صغير الأميرين جم وشماليا

كان مشروطا بأن يدفع الاستتارية الجزية السنوية للسلطان ، وهو أمر لم يكن في مقدور

دوييسون أن يوافق عليه لئلا يفسد لأن اثنين من أسلافهما هنا لا يستطيعون مقابلة

رعا أن يرفع هذا المسلم عن السلطان محمد الثاني نفسه علو أسام ذلك الشرط ، أو لأن

استور هيئة الاستتارية يحرم أن يدفع أحد أعضائها الجزية لأية قوة أجنبية

إسلامية كانت أو مسيحية ، ولكن أيضا لأن دوييسون كان قد أحبط علما من عروته نفسي

سماي السلطان بأمر ملاحظة ديمتري سوفيان قبل أن تصل اليه تلك المظارة في رودس ، وبأن

المسلم الذي سوف تعرضه عليه تلك المظارة لم يقصد به سوى تخدير الاستتارية وتبديد

قوتهم فحصل بنيتهم بجيش جرار يجري إعدادا بالفصل لحاربهم بمجرد أن ينشروا

السلطان من حربه القائمة وقتذاك في مستعمراتهم الألبانية وكان أن رد

دوييسون علو الأميرين جم وشماليا - في رسالة كتبها في ١٩ فبراير (عام ١٤٧٨)

وعلمها للقائد ديمتري سوفيان لتوصلها اليهما حيث كانا ينتظرانه في مدينة باتيسرا

(١) انظر : Bouhours, P. 51; Flandin, P. 200; Biliotti, P. 253

(٢) توجد ترجمة كاملة للرسالة الى اللغة الفرنسية في Bouhours, P. 57

Thuasne, P. 13

وملغها وانها لها في

(Fatera) الواقعة على الساحل الاسيوي للمواجهة لجزيرة رودس — بأن فرسان الاسبتارية لا يوفون في دفع الجزية للمسلطان مهما كلفهم ذلك من ثمن ، ولكنهم يرفضون الامتناع الى شروط مماثلة لشروط السلام الذي سبق ان عقده معهم والسند السلطان مراد الثاني (عام ١٤٤٩) وجدده لهم السلطان محمد الثاني نفسه في اوائله (في عام ١٤٥١ ثم في عام ١٤٦١) ، وهو شروط لم يود فيها أي ذكر لدفع الجزية للمسلطان (١) علو ان القاصد ديترى سوفيان لم يلبث ان رجع مرة اخرى الى رودس صحية رسللة جديدة من الاثريين چم وشليين عرضا فيها علو دوبيسون ان يوافق على ارسال هدية سنوية للمسلطان يقدر دوبيسون قيمتها بنفسه بدلا من دفع الجزية لذلك السلطان . وقد رد دوبيسون في هذه المرة بأن الحور الذي قدم اليه ديترى سوفيان في سفارته الاولى قد ارسل الى بابا روما مكثوس الرابع بعفته رئيسا لطلبه بشدة الاسبتارية ، ومن ثم لا يمكن البت في شرو . قبل تلقى الجواب منه خلال ثلاثة اشهر على اكثر تقدير . فبر ان دوبيسون اقترح في رده ان تقوم خلال تلك الفترة هدية بجمع فيها بتبادل التجارة بين الدارفين الاسبتاري والمثاني . ولم يتردد القاصد ديترى سوفيان في الموافقة علو اقتراح دوبيسون باسم الاثريين چم وشليين ، ثم وحصل من رودس الى مدينة احتانبول مباشرة من غير ان يمر علو مدينة پاتيرا لا طلاع ذلك كما الاثريين علو نتائج سفارته (٢) مما دعاها الى ارسال سفير آخر ، اسمه تانجيسي تونوسي tanghi vernussi الى رودس لم يلبث ان رجع اليهما وبعم وحالة من دوبيسون (بتاريخ ١٨ اغسطس عام ١٤٧٨) اوضح لهما فيها حقيقة ما دار بينهما وبين سفورهما المباين ديترى سوفيان (٣) . هذا وقد وصل الى رودس في اول فبراير عام ١٤٧٩ سفير تركي آخر اعلن انه موفد من قبل السلطان محمد الثاني وابنه چم لمعرفة رد دوبيسون النهائي علو مقترحاتهما للملزم ، فأجاب دوبيسون بأنه كان دائما ولا يزال على استعداد لمقد المسلم مع السلطان الميثاني علو اساس الشروط القديمة التي

Bouhours, FF. 58-60; Thuasne, F. 14

Bouhours, P. 59; Thuasne, F. 15; Hammer III, Fl.

277-278

Thuasne, F. 16

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

بعد عود المسنجر التركي الى استانبول اوفد دويشون معه قاصدا اسبانيا اتيليس
 به السلطان شخصيا . وقد صرح ذلك القاصد بعد رجوعه الى جزيرة رودس بان
 قد اتم في الوصول الى اتلان مع السلطان على شروط دويشون وان اسلول المشانين
 ولا يتأخر كثوا عن الظهور في مياه تلك الجزيرة (١) وشروعا كان يتوقعه دويشون دائما
 وخاصة عندما يلزمه با عقد الصلح (في ٢٠ يناير عام ١٤٧٩) بين السلطان محمد الثاني
 والنادية الذين كان يحاربهم في مستعمراتهم الالبانية (٢) .

حصار عشاني لأشعل حول رودس الماصدة عام ١٤٨٠ :-

وبالفعل حدث في ٤ ديسمبر عام ١٤٧٩ ان وصلت أمام قرية فانز (Fanés)
 الواقعة على الساحل الغربي لجزيرة رودس قريبا من الماصدة رودس ، بعض السفن
 المشانية الخفيفة التي جاءت للاستطلاع بقيادة الوزير مسيح باشا . وقد انزلت تلك
 السفن بعض فئات الفرسان على الساحل المتمركز على احوال الجزيرة ، غير ان قوة من
 ريسان الاسبانية بقيادة رودولف فالنبرج ، وكوليا لاسبانية في براندولف Rddolph
 (de walenberg, bailli de Brandbourg) أجبرتهم على الارتداد
 الى سفنهم . ولم تلبث تلك السفن ان اعلنت بهم وبعت شطر جزيرة يسكنها الخاضعة
 لاسبانية في بحر ايجه ، فحاصرتها ثانية أيام ثم رحلت عنها - بعد ان عجزت عن
 احتلالها - الى مدينة فنيكا الواقعة على ساحل ليكيا - لتضيق فصل الشتاء وانتظار
 قوة من الاسطول الممعد لاستيلاء على جزيرة رودس فبعد عن شحن تلك السفن بالجنود
 المشانين الذين حشدوا في فنيكا لهذا الغرض (٣)

وكان المشانين قد أشاعوا كذبا خلال تحركاتهم الى فنيكا عبر ليكيا - للتوحيش
 على عيون لاسبانية - بأن الهمد تمكن تحريك هذه القوات ضد وقوع أية قلاقل قد تحدث
 نتيجة لوفاة السلطان محمد الثاني الفجائية . غير ان دويشون عرف حقيقة الأمر من جاسوس

(١) انظر : Thuasne, P. 17; Bouhours P. 62 ; Farochon, P. 123

(٢) انظر : Bouhours, P. 63

اما بخصوص تاريخ عقد الصلح بين محمد الثاني والبندقية انظر :

musatti I, P 345 , Wiel, P. 297

(٣) انظر : Bouhours, P. 66, Hammer III, PP. 278 - 279; Biliotti,

PP. 255-256; Thuasne, P. 17 n.2.

بوزنطس المشانين اكتشف أسره في رودس ، ومن الجند المشانين الذين وقفوا في أسر
حامية مدينة فانز (١) . ومن ثم أصدر دوييسون بهدم جميع المباني الواقعة خارج أسوار
مدينة رودس - ومن بينها كنيسة القديس أنطوان ، وكنيسة القديس مريم المقام فوق
جيش فلورنوس - حتى لا يستفيد بها المشانين من غرض عملياتهم العسكرية ضد المدينة .
ومن ناحية أخرى أصدر دوييسون أمرا بتمهين أخيم الأكبر أنطوان دوييسون - وكان قد
وصل منذ فترة قصيرة من أوروبا على رأس فرقة من الوطن المتطوعين للاستمرار في الدفاع
عن رودس - قائدا عاما لرودم ، كما أصدر قرارا بتمهين المشرف على وأمر البحس
بحامل الاختام ووكيل الخزائن مساعد من المقائد العام وقادة لفرز الانقاذ خلال الممارك .
ولما كان دوييسون يشك في إمكان الصمود منفردا أمام حصار عثمانى طويل الأمد فقد
أرسل ثلاثة سفراء لحث كبار حكام أوروبا على إرسال النجدة اليه (٢) .

ولم يكد يحل يوم ٢٣ مايو عام ١٤٨٠ (٣) حتى كان مسيح باشا قد عاد مرة أخرى
الى جزيرة رودس على رأس أسطول قدرت مصادره المشانين عدد ستة بنحو ستين
سفينه (٤) وقدرة مصادره الاستتارية عدد ثمان بنحو مائة وستين سفينة حربية عدا سفن
النقل وقد أحضر مسيح باشا معه مئة عشر مدفعاً من المدافع النخفية التي تستطوع
ان تقذف أحجارا يتراوح قطرها واحد منها بين سبع بوصات واحدى عشرة بوصة فتدمر
أكثر الأسوار والحوائل سكا ، وهذا بخلاف المدافع النارية الأخرى وجيش الغزو المندى

Bouhours, F. 67

(١) انظر :

Biliotti, PP. 254-255; Bouhours, PP. 67, 72-73

(٢) انظر :

Hammer III, F. 278

(٣) انظر :

Bouhours, P. 63

(٤) بخصوص التفاصيل الكاملة لهذه الغزوة التي اشتهرت باسم حصار عام ١٤٨٠ انظر :

Pauli II, FP. 148-153 numo. CXXV, CXXVI; Hammer III, F. 279
-290; Bouhours, PP. 64-108; De Belabre, FP. 26, 28-31, 36, 43, 75, 81
82; Biliotti, PP. 255-266; Farochon, FP. 125-139; Creasy, FP. 91

Hammer III, F. 279 n.2.

(٥) انظر :

Hammer III, F. 279 ; Biliotti, P. 256; Bouhours,
P. 68 .

(٦) انظر :

بمراجع عدد أفرادهم بين ثمانين المائتين (١) ومائة الفجندى (٢). وقد رسمنا
استطول التزوا المشانق في هذه المرة في خليج ترواندا (٣) أمام جبل القديس اسطفان
الواقف على بعد ثلاثة أميال الى الغرب من العاصمة رودس (٤). وما أن نزلت قوات الاسطول
الى البر حتى احتلت ذلك الجبل، الذي اتخذ منه مسيح باشا مقرا لقيادته، ثم سيم
حاصرت مدينة رودس من ناحية اليابس (٥). ولم يلبث القائد المشانق أن أقام بطارية
من ثلاثة مدافع ضخمة في الحدائق المحيطة بحمام كنيسة القديس اناوان الواقعة
في مواجهة برج القديس نقولا، لصف هذا البرج الذي تفر الهدء بالاستيلاء عليهم
لأنه أقوى حصون رودس ويتحكم في مينائها الممرى باسم الماندراكى (٦) وبالوفهم من
تعرض بطارية المشانقين المصفى الشديد من جانب بطارية مضاده من ثلاثة مدافع
أقامها الاستتارية سريعا لهذا الغرض في حديقة قدس. أو ثون، فقد ظلت مدافعها
تطلق قذائفها على البرج حتى أصابته بنحو ثلثائة قذيفة من الأجرار الضخمة خلال
سنة أيام، فأحدثت به تصدعات ضخمة ودمرت جداره الغربى المواجه للبطارية تدميرا
كاملا (٧). فبر أن السيد كبير دوييسون لم يلبث أن أرسل نجدة قوية من الغوسسان
والجنود للدفاع عن البرج، كما أن دوييسون وصل بنفسه الى ذلك البرج وأشرف على
تعزيز التحصين فيه وإصلاح ما تهدم منه (٨).

وقد حدث في فجر اليوم التاسع من شهر يونيو أن أظمت بعض السفن المشانقية

- (١) أنظر : De Belabre, PP. 28-29
(٢) أنظر : Biliotti, P. 256; Bouhours, P. 72
(٣) أنظر : Biliotti, P. 256
(٤) أنظر : Hammer III, P. 281; Bouhours, P. 72; Farochon, P. 125 ; De Belabre, P. 30.
(٥) أنظر : Hammer III, P. 282; Bouhours, P. 72 ; Farochon, P. 126; Biliotti, P. 256
(٦) Hammer III, P. 282; Bouhours, P. 74; De Belabre, P. 29, Biliotti, PP. 256-257
(٧) أنظر : خطيب دوييسون الى اميراطور النمروين وتاريخه ١٤٨٠ - في : Pauli II, PP. 149-153, num. CXXVI
وأرجع ايضا الى :

De Belabre, P. 29; Biliotti, PP. 256-258; Bouhours, PP. 74-76

De Belabre, PP. 29-30; Bouhours, PP. 76-77; Biliotti, PP. 256-257

من مملكتها في خليج تيراندا ويصمت شطوطه بين القديس نقولا لمهاجرتهم من ناحية البحر . فمهر أن جميع المحاولات التي قام بها رجال تلك السفن لغزو البحر باءت بالفشل بسبب استحصال حاجيته - وغر رأسها دوييمون نفسه - في الدفاع عنه . وعندما رأى المشاهير الذين قاموا بذلك الهجوم أن عدد مجاهديهم ارتفع إلى نحو المئتين قتيل ، وشاهدوا سفنهم تنفك بها نيران مدافع البحر وزوارق الاسبترية الحارقة ، كفوا عن القتال وانسحبوا إلى ما استلخ النجاة من سفنهم فمادت بهم على الفور إلى حيث توجد بقية سفن الاسطول في خليج تيراندا (١) .

وقد ترتب على فشل ذلك الهجوم على بين القديس نقولا أن قرر مسيح باشا محاولة غزو المدينة عن طريق اتحام أضلاع منطقة في تحصيناتها الخارجية وهو منطقة حصن أو سور إيطالي (٢) . ولقد مير ذلك المسور أقام مسيح باشا بدلا من ثانية مدافع في ناحية القديس جرجس المرتفعة التي تقع إلى الجنوب من مدينة رودس في مواجهة المنطقة المراد قصفها . كما نصب مسيح باشا مدفعا ثامنا في مواجهة مصيف الطواحين الهواء لقص الطواحين الثلاث عدسة المقامة على طول امتدادها ولقد مير بهج طواحين الهواء القائم عند طوف (٣) . وما أن بدأ القصف وكان نصفا شديدا مع بوضوح في كل من جزيرة لانجو الواقعة على بعد مائة ميل إلى الغرب من رودس ، وجزيرة قشتول المروج الواقعة على بعد مائة ميل إلى الشرق من رودس (٤) - حتى هرج السيد الكبير دوييمون وساعده إلى البحر اليهودي الواقع خلف سور إيطالي لتفقد وسائل الدفاع عنه . وقد

(١) انظر : الخطاب الذي يبعث به دوييمون في ١٢ سبتمبر عام ١٤٨٠ إلى امبراطور
الغرب في :
وانظر أيضا :
Pauli II, PP. 149-153, num. CXXVI

Bouhours, PP. 77-79; De Belabre, P. 30; Hammer III, P. 283; Biliotti, PP. 259 - 260.

(٢) انظر :
Bouhours, P. 80; De Belabre, P. 30; Farochon, P. 127

(٣) انظر :
Bouhours, P. 80 ; Biliotti, P. 260; Hammer III, P. 283

وخصوص عدد الطواحين انظر :
De Belabre, P. 36

(٤) انظر :
Hammer III, P. 284

أمر دوبيسون نور وصوايه إلى ذلك الحين بهدم منازل اليهود الواقعة خلف السور بمباشرة
 واستخدام انقاضها في بناء سور آخر داخلي يفصل بين السور الخارجي وعند (١) غير
 أن مدافع المشائين المتحصنة المنصوبة في ناحية القديسين جويج لم تليق أن توضع
 بقائدها السور الخارجي والواحد من الثلاث عشرة ، كما أصابت السور الداخلي
 وأحدثت به ثغرات واسعة (٢) وكان من المتوقع عندئذ أن يأمر مسيح باشا نواته
 بالهجوم على تلك المدافعة من المدينة ، ولكنه بدلا من ذلك قرر العودة إلى الهجوم على
 برج القديسين نفولا . وقد وضع القائد المشائي خطته في هذه المرة على أساس أن يعبر
 إلى فرقة عثمانية بمهاجمة البرج من ناحية الشرق في حين يبرزان مدافع ثلاثين سفينة
 تلوم ينقلها من خليج ترواندا إلى تلك الجهة ، على حين تكلف فرقة عثمانية أخرى بالهجوم
 على ذلك البرج من ناحية الشمال على أن تصل إليها من مدافعة حزام كنيسة القديسين
 أنطوان عن طريق جسر عائش يتسع لمرور ستة أشخاص تحاذي من وضع لهذا الغرض من
 الأشجار أو السفن (٣) . ولم يلبث مسيح باشا أن نفذ خطته في منتصف ليلة ١٩
 يونية (عام ١٤٨٠) . فبرأى الهجوم على البرج لم يستمر أكثر من عشر ساعات أي أنه
 توقف في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ثم انسحب المشائون تاركين وراءهم نحو
 ألفين وخمسمائة قتيل ومن المواصل التي أدت إلى هذه النتيجة تمكن مدفعية المسح
 من الجسر الخشبي القائم فدمرت تحت أقدام المشائين ، وأصابه اصطلول الحصار
 المشائي الذي دأب على تحصن البرج من ناحية الشرق بتشتيت الشمل بعد أن أفرقت
 مدافع البرج أربع سفن من سفن الثلاثين ، وأشعلت ذوارق الاحراق التابعة للاستتارية
 النيران في بقية سفنه ، هذا بالإضافة إلى وقوع زيج بنت السلطان محمد الثاني ، والمدعو

(١) انظر : De Belabre, P.81; Hammer III, P.283; Billotti, P.261;

Bouhours, P.80; Farochon, P.127.

(٢) انظر : Bouhours, PP. 80-82; De Belabre, P.81; Hammer, III,

PP.283-284

(٣) انظر : Bouhours, PP.86-87; De Belabre, P.31; Billotti, P.

261; Hammer III, P.284; Farochon, PP. 128, 131

سليمان بك منجز قطعوني ، صريما تحت أسوار الهرج (١)

وبما أن علم مسيح باشا بأمر فشل الهجوم حتى أمر بغزو حصار بوى بحرى محكم
حول مدينة رودس يستمر خذله نصيب جميع أموارها بتدائف المدافع ، مع التركيز على مورد
إيطاليا أضربت مناصرة في تلك الأسوار ، تمهيدا لشن هجوم شامل عليها جميعا . وفى
خلال هذه المرحلة من مراحل التزوج حرب مسيح باشا محاولة للفيل من تمامنا الجبهة
الداخلية في مدينة رودس ، وذلك لتبليغ التي إلى داخلها بالمساهمة خطا بها ، تضمنت
تحريرها لسكانها اليونانيين الأرثوذكس على التردد على حكاهم الاستمارة الكاثوليك
على القيام بتسلم المدينة المشاهدين مقابل وعد بتأمينهم على أرواحهم وأموالهم . (٢)
في الوقت نفسه أن القوا القبض على ثلاثة جواسيس لمسيح باشا في مدينة رودس ، أحدهم
مهندس حربي مشهور من أصل العاني اسم جوج فراپان (G. Frapan) . (٣)

وهما يكن من أمر تلك المحاولات المشاهدة للتأثير على الجبهة الداخلية لمسيح
رودس فانهما — في الحقيقة — لم تكن سوى وسيلة لوثها مسيح باشا على أمل أن يتملك
المدينة من غير أن يضطر إلى شن الهجوم الشامل الذي لا يضمن نتائجها . فلهذا
رأى أن تلك الوسيلة لم تأت أكلها ، فكر في المفاوضات وسيلة أخرى تحقق له الهدف
نفسه معتمدا على ما قد يكون قد أصاب حامية وسكان المدينة من الملل وتعب معيشية
بسبب طول الحصار ، ومن يلاحظ في النصير بسبب تدوير أجزاء كثيرة من تحصينات مدنتهم

(١) أنظر : Hammer III, PP. 284-285; Bouhours, PP. 88-90; De

Belabre, P. 31; Biliotti, PP. 261-262; Farocho, pp. 131-132

علما بأن فاروشون ذكر بأن عدد القتلى والفرقي بلغ ثلاثة آلاف ومائتان .

(٢) أنظر : Bouhours, P. 92

(٣) أنظر : Ibid: Op. Cit., P. 95

(٤) لمراقبة قصة الجاسوس فراپان راجع إلى : Hammer III PP. 282, 285-286;

Bouhours, PP. 74-75 , 94-95; Biliotti, PP. 257-258-, 262

وعن الجاسوسين الآخرين — وهما دلفي والبانى — أنظر : —

Bouhours, PP. 82-85; Biliotti, PP. 262-263; Farocho, PP. 128, 132

بقذائف المدافع العثمانية • وقد دارت المفاوضات بالفعل داخل مدينة رودس بين
مثل مسيح باط ، المدعو سليمان بك ، وممثل دويشون ، وهو أنطوان جوتيهـــــــــــــــــــــــــــــــــ
Antoine gaultier قسطن رودس ، وغلبها قدم سليمان بك النصح للاستتارية بالاتفاق
مع السلطان محمد الثاني ، ثم ابلغهم بأن مسيح باشا يحرض عليهم وساطته الشخصية
لتدبير أمر هذا الاتفاق بحيث يأتي مقبولا لديهم ، ولكن قسطن رودس رد عليه - بمسد
ان يرجع الى دويشون - بأن المسيد الكبير للاستتارية لا يستطيع أن يوافق شروطها
للعلم الا مع مسفير بوسله السلطان الى رودس بمد أن يحجب جوشه الذي يحاربها
الى استانبول (١) وما أن وصل هذا الرد الى مسيح باشا حتى أمر رجاله باستئصال
الغضب الشديد ، الذي كان قد تولى خلال فترة المفاوضات الفاشلة ، على أسوار
المدينة ، وطلب منهم في الوقت نفسه أن يكونوا على أهبة الاستعداد لتلقي إشارة
البدء بالهجوم على تلك الأسوار • ولكن يثير الحماص في جنده وهم لهم مدينة رودس
لنهيكل شيء فيها ، ولكنهم اشتدوا عليهم قتل جميع منانها فما عدا الأطفان فقد طلب
الابقاء على حياتهم لضمهم الى فرق الانكشارية بعد تربيتهم التربية اللازمة لذلك (٢)

وأخيرا أعلنت الاشارة بالهجوم - وكانت طلقة مدفع - في فجر يوم ٢٧ يوليوس (٣)
أو ٢٨ يوليوس (٤) عام ١٤٨٠ • وكان الهجوم شاملا على جميع أسوار المدينة ، ولكنهم
اشتد بوجه خاص على سور ايطاليا بسبب كثرة ما كان به من شقوق وانهدامات نتيجة
فصله قبل الهجوم • ولم يلبث العثمانيون أن انتصروا على فوطان الاستتارية الايطاليسين
المكلفين بالدفاع عن ذلك السور ، وتمكنوا من رفع مسج رايات من راياتهم الخضر فوقه ،
ثم شاح في المدينة كلها بأن العثمانيين سيطروا على الحي اليهودي الواقع خلفه • وكان
أن هرع المسيد الكبير دويشون لنجدة المكان على رأس فرقة قوية من فوطان الاستتارية

(١) أنظر :

Bouhours, FF. 96-97; Farochon, P. 134

(٢) أنظر :

Bouhours, FF. 97-98 ; Farochon, P. 134; Hammer III,

P. 286 .

(٣) أنظر :

Bouhours, P. 99 ; De Belabre, P. 82; Farochon, P. 134

(٤) أنظر :

Hammer III, P. 287 ; Billotti, P. 263; Lamaerine III,

الفرنسيين ، كما أن جميع الأهل من المنصور اليوناني لم يثبت أن هيت — عند سماعها
بنا أصابة دويهمسون خمسة جروح في المعركة وبأن حياته أصبحت في خطر نتيجة
لذلك لنصرة أمير جزيرتهم ، ليس فقد على سور إيطاليا حيث يقاتل ولكن أينما
على جميع أسوار المدينة الأخرى . وكان من الناجي عندئذ أن تزداد المقاومة عنفًا
وضراوة في وجه المشائين ، وحدث في نفس الوقت أن أصبح باشا أعلن أن الثنائ كملها
مستحفظ للمسلطان ، فكان ذلك لئلا يعلن إلى جانب هذه المقاومة البرودسية الاستمارة
على الأبرار سببها كانوا لأن يرفض الجنود المهاجمون التقدم لمساعدة أخوانهم الذين
اتجهوا تلك الأسوار ما أدى إلى هزيمتهم ثم انصحبهم تاركين وراءهم بحسب
التدبيرات الخريبة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل (١) . وهكذا انتهى الهجوم
المام الو قس . وقد ترتب على وقوع هذا الضل أن أصبح أصبح باشا بخيبة
الأس في عصر الحملة كلها وبخاصة عندما وجد بأنه قد تكبد فيها خسائر جسيمة
في الأرواح بلغت نحو ثمانية آلاف قتيل فاضطر عن خمسة عشر ألف جريح أو نحو
ذلك . وكان أن أمر القائد المشائي جنده برفع الحصار عن المدينة والعودة إلى

(١) أنظر : Bouhours, PP. 97-102; Hammer III, PP. 286-288;
Biliotti, P. 263; De Belabre, PP. 81-82; Farochon, P. 134

ويلاحظ بأن بوهور (ص ١٠١ - ١٠٢) كذبوا قصة إعلان أصبح باشا لجنوده
لنصرة النصر بأن الثنائ كملها مستحفظ للمسلطان ، وهي الواقعة التي اجمع
عليها المؤرخون الأتراك ، قائلاً بأن من عادة المؤرخين الأتراك أن يكذبوا
لتبرير خزي لحزب بامتهم . وأضاف بأن المادة جرت عند المشائين على أن يصبح
للجنود بنهب المدن التي يستولون عليها عنوة ، ولا يوجد ما يشير إلى أن أصبح
باشا — وهو القائد المجرب الذي كان يحمي المدينة على مدينة رودس بنسب
الوماتل — قد اتخذ نجاة هذا الاجراء الذي يمدد عن الوصول إلى فرنسا .
وسا يذكر أيضاً أن وليم كا أورسين — الذي كان مسؤولاً عن تسليم سكرتير
حكومة الاستمارة خلال تلك الأحداث — عندما سجل وقائع هذه الفترة أنه
عن ذكر الواقعة موضع معارضة بوهور ، ربما لكي لا يسبب انتقاماً لغيره .
فإن الاستمارة الذين ينتسب إليهم كا أورسين — انظر هامر ج ٣ ص ٢٨٨ .

سفن الأسطول (١) ولم تلبث أن وصلت إلى ميناء مدينة رودس بعد أن اهتمت
 عنه سفن الحصار العثمانية منعة شمسها الأولى في خليج ترانسدرا -
 سفنتان من نابلو تحملان نجدة المدينة أرسلها البابا سيكستوس الرابع Sixtus IV
 (١٤٢٧ - ١٤٨٤) وملك نابلي فوديناند الأول (١٤٥٨ - ١٤٩٤) وقد شن مسيح
 باشا أن تله النجدة مقدمة لنجدات أكبر ينتظرها الاستتارية من الضرب، فأسرع في إعادة
 بقية أدوات حملته إلى سفنه وأطلق بها بعدد من مياه الجزيرة في ١٨ أغسطس عام ١٤٨٠ (٢)
 وعندما وصل مسيح باشا بأسطوله أمام حصن القديس بطرس (البودروم) المطول على استتارية
 على ساحلنا ناضول المواجه لجزيرة رودس حاول الاستتارية ثانية ولكنه هجز عن ذلك، ومن
 ثم واصل مسيره إلى اثنا بول حيث وقع عليه عقاب السلطان محمد الثاني جزاء فشل
 في حملته بتزويد قسطنطين من باشا إلى منجف غلببولي (٣)

عودة السلام والسيطان إلى رودس عام ١٤٨٤ في عهد السلطان بايزيد الثاني نتيجة
لجسوس جيم أخو:

والم يلبث أن توفي السلطان محمد الثاني في ٣ مايو عام ١٤٨١ (الخميس ٤ ربيع
 الأول سنة ٨٨٦ هـ) وخلفه ابنه بايزيد الثاني (٤). وما أن تولى السلطان الجديد
 سلطانه حتى أرسل سفن الفوج إلى رودس لاستكشاف نوايا حكامها الاستتارية فما يتعلق
 بأقامة صلح معهم يؤمن جانبه منهم إلى أن يتم له اخذ ثروات الخارجين عليهم

(١) أنظر: Bouhours, P.103; Biliotti, P.264; Hammer III P. 288; Farochon, P.137; De Belabre, P.31; Thuasne P.18.

(٢) أنظر: Bouhours, PP. 10-3-105; Hammer III PP.288-289;

Pastor IV, P.333; Farochon, P.137.

(٣) أنظر: Hammer III, P.289; Thuasne, P.18; Biliotti, P.264.

(٤) أنظر: Bouhours, P.110; Thuasne, P.18

داخل دوائه وعلو رأسهم أشوه چم ، والأثير القوماني قاسم بن (١) الذي كان السلطان محمد الثاني قد انتزع منه أمارته قربانيا ، وصحود بن حاكم أنقرة . وعندما علم بايزيد بعد الثاني من أولئك السفراء بعد عودتهم إلى استانبول بأن الاستبارة في حاجة إلى قسرة منهم يصلحون فيها ما أفسدهم كن من الحصار القاسم الذي أقامه ميج باشا على عاصمتهم في عام ١٤٨٠ ، والزلازل الأرضي المدر الذي تعرضت له جزيرتهم في أوائل عام ١٤٨١ ، وبأنهم لذلك يرفضون من حيث المبدأ الدخول في مصالحة مع السلطان ، أصدر أمره إلى حاكم مقاطعة لوكيا - وهي المقاطعة الآسيوية الواقعة في مواجهة جزيرة رودس - بأن يتولى أمر مفاوضات السيد الكبير للاستبارة حول تلك المصالحة (٢).

على أن مفاوضات الصلح تأخرت بسبب لجوء چم أخو السلطان بايزيد إلى الاستبارة في رودس ، وإن كان الاستبارة راوا بعد ذلك أنه ليس من مصلحتهم بقاء چم في الجزيرة فأرسلوه إلى فرنسا في أول سبتمبر سنة ١٤٨٢ (٣).

وقد أقام دوبيسون رئيس چم عشية سفره إلى فرنسا - أي في مساء ٢١ أغسطس عام ١٤٨٢ - حفل وداع حضره كبار أعضاء الاستبارة في رودس وحاشية چم وولي هذا الحفل سلم چم لدوبيسون ثلاث وثائق أهمها وثيقة على هيئة معاهدة سلم وتجارة كتبت

(١) لما كانت تنفس قاسم بانه القوة البحرية ، فقد رأى أن يطلبها من الاستبارة لئلا رودس يحكم المداقة القائمة بينهم وبين أسرمه منذ أن ظهر المشانجون لسيادة مهددة لكذ الدلفين في شرق البحر المتوسط . وبالفصل فقد طلب من قاسم بلك من دوبيسون في ٢١ نوفمبر عام ١٤٨١ - أن يعد الأثير القوماني بخمسة أغويسه مزودة بالمدافع والجند لمراقبة ساحل قربانيا وانزال قواتها على هذا الساحل إذا دعت الظروف في الوقت الذي يتوجه فيه قاسم إلى محاصرة مدينة قونية . وقد رد دوبيسون بالموافقة ، ولكنه عندما سمع بالمهازم المتلاحقة التي حلت بنوات قاسم بلك على يد جيش بايزيد الثاني الذي يقوده أحمد باشا ، امتنع عن إرسال الأغويس التي طلبها قاسم بناءً مما كان لفساد بايزيد إلى رودس أيضاً دخل في ذلك - أنارة: Thuasne, PP. 45-46; Bouhours, PP. 118-119

مع ملاحظة أن بومور ذكر بأن دوبيسون أرسل السفن الخمس إلى مياه قربانيا ، ولكنه لم يكملنا عن مصير هذه السفن بعد ذلك.

(٢) انظر: Thuasne, PP. 46-47.

(٣) لمعرفة التفصيل المحيطة بوصول چم إلى رودس وطريق وصوله إليها واستقباله فيها -

ارجع إلى :-

Thuasne, PP. 56-76; Bouhours, PP. 121-133 Hammer III, PP. 354-356 .

بتاريخ ٥ رجب عام ٨٨٧ هـ الموافق ١١ أغسطس عام ١٤٨٤ م وقع صوبها من قبل
 بخت بدو كما علمت بختها الخاص ، وأهم ما اشتملت عليه هذه المصادقة تضمنت
 بأنهم قد من الاستتارية ، عندما يمتد حق في عرض الدولة المباشرة كليا أو جزئيا ،
 مسلما دائما بفقر بدم الاعتداء عليهم في البحر أو في البر ، وعدم التمرس لمن
 أو متاجر رعاياهم ، والسماح للتجار القادمين من الجزر الخاضعة لهم بدخول موانئ دولته
 المباشرة المين أو الشرا ، وشق بختهم من مكان إلى مكان داخل أراضيهم ،
 الدولة بحرية ومن غير دفع ضرائب أو رسوم عليها ، ومعاملة هؤلاء التجار كأنهم رعايا الدولة
 المباشرة ، ووعدهم أيضا في هذه المصادقة بأن يسمح للسيد الكبير للاستتارية
 بجانب ثلاثمائة مائة من تركيا إلى جزر الاستتارية ، وبأن يدفع له مائة الاستتارية
 مبلغا ماليا كبيرا قدره مائة مائة مائة من المطة المصروفة باسم الأيكون
 تصويها لها ، أنفقته من أموال نو سجين قضيت ، ويرد لها جميع ما سبق أن استولى
 عليه منها سلاطين الدولة المباشرة من جزر وأراضي وفتح (١) . هذا عن الوثيقة الأولى ،
 أما الوثيقتين الأخريتين فقد كانت أحدهما تفويها مطلقا من جميع لدوبسون ببيع السيد
 الكبير للاستتارية التفاوض والتفاند باسم الأمير نجم مع السلطان بايزيد الثاني في
 سبيل الصلح بين الأخوين المشانين وفوق الشروط التي يضمنها السيد الكبير
 للاستتارية ، على حين كانت الوثيقة الأخرى اقاررا من نجم بأن يحوله عن جزيرة رودس
 إلى فرنسا ثم بناء على رغبته وبعد أن ألح على السيد الكبير للاستتارية لم يوافق له هذه
 الرغبة (٢) . هذا وقد قاد نجم رودس في اليوم التالي لذلك مباشرة - أي في يوم
 أول سبتمبر - بعد إقامة له فيها ثمانية وثلاثين يوما ، وبما فرمده ثلاثون شخصا
 من حاشيته ، وعشرون عبدا مسلما اشتراهم في رودس ، وأربعة من فرنسا والاستتارية
 كلوا برافقة وخدمته وحراسه في فرنسا بمساعدة مجموعة من الخدم وثلاثمائة

(١) توجد ترجمة حرفية للمصادقة إلى اللغة الفرنسية في : Bouhours, PP. 131-132

انظر أيضا : Thuasne, P. 77; Hammer III, PP. 356-357; Biliotti, P. 268.

(٢) أنظر :

Bouhours, P. 131; Thuasne, P. 60.

وبحسب ما كان قد قرأ من قبل ، فانه في يوم ٢ سبتمبر عام ١٤٨٢ - أى في اليوم
التالى مباشرة ليوم رحيل جم الى فرنسا - (٢) قاد السفيران الاستباريان المصيرين
المفاوضة السلطان بايزيد الثانى في الصلح ، مدينة رودس لأداء المهمة التى كلفها
بها لدى السلطان حيث كان يقوم وقتذاك على مدينة أدرنة (٣) ولم يلبث السفيران
أن توصلوا الى عقد اتفاقية الصلح مع السلطان جاءت وقدما يرفقها الاستبارية شملوا من
أى ذكر لجزيرة أو مدينة مسخرة بلزم أن يدفعها الاستبارية للسلطان وأهم ما اشتملت
عليه هذه الاتفاقية الصلح وقتذاك اعتمادات المتبادلة بين الطرفين المتماقين ففى
البحر والبحر ، والسماح بحرية التجارة بين دولتيهما على أن تخضع بضائع التجار لمختلف
الضرائب والرسوم الجمركية المصولة بها فى الدولة التى تتم فيها الصفقات التجارية
وأن تمرى قضايا أولئك التجار على المحاكم المختصة فى هذه الدولة ونصت الاتفاقية
أيضا على ضرورة أن تؤدى سفن كل من الطرفين المتماقين واجب التحية لمسلم
الدولة التابع لها الطرف الآخر باحترام وأن تتبادل الدولتان العشانية والاستبارية
المبيد الهاربين من أحدهما الى الأخرى من غير دفع مقابل عنهم إلا إذا كان
أولئك المبيد يدينون بديان تختلف عن ديانة الدولة التى تريد استرجاعهم فوجب على
هذه الدولة عندئذ أن تدفع عنهم مائة ألف مالى قدره عشرون دوكات ذهبيا للمبيد
الواحد ، وأخيرا نصت المعاهدة على اعتراف السلطان بملكية الاستبارية لقميسة
القديس بطرس (البديوم) المقامة على الساحل الأسيوى في مواجهة جزيرتهم لانجيسوه
وعلى أن تكون هذه المعاهدة مارية المعمول بها دام السلطان بايزيد الثانى باقيا على قيد
الحياة (٤) . وعندما تم تحرير هذه المعاهدة وقع السلطان بايزيد الثانى بالتصديق

(١) انظر : Hammer III P. 132 ; Bouhours, P. 80-81 ; Thuasne, P. 357.

(٢) انظر : اما الموضح ()

سبتمبر في نفس يوم رحيل جم الى فرنسا .
Hammer, 3 P. 357 (٣) لقد ذكر بأن ذلك حدث في أول
Thuasne, P. 81 ; Bouhours, P. 133

Thuasne, P. 81
Thuasn, PP. 83 - 84 ; Hammer, III, P. 357

(٤) انظر :

(٥) انظر :

على نسختين منها وسلمها للقائد توكي أمير بالسفر إلى رود من صحبة مسخري الاستتارية
أخذ تصديق السيد الكبير دويسون على المعاهدة ومفاوضته بشأن جم • وقد وصل المفاوض
الثلاثة إلى مدينة رود من نو ٢ ديسمبر عام ١٤٨٢ • وبعد خمسة أيام من المفاوضة في رود من
— أن في يوم ٧ ديسمبر — حصل للقائد المشانق على تصديق دويسون على معاهدة
السلم والتجارة التي عقدها منها الاستتارية مع السلطان في أدرنه ، وعقد مع
اتفاقية بشأن الأمير جم تصديق فيها القائد المشانق باسم السلطان بايزيد الثاني بأن
يدفع السلطان للاستتارية كساحل مولى خمسة وأربعين ألف دوكات من عكة البند قيسة
بقابل التزام دويسون بإعالة الأمير جم وحراسته بحيث لا يصيب السلطان بسببه أية
مضايقات (١) • ومن الواضح أن هذه الاتفاقية حولت جم من لاجر • له الحق — بمقتضى
كتاب الأمان الذي منح له قبل لجوئه إلى رود من (٢) — في حرية الحركة والتنقل إلى أسير
يخضع للعرائضة والحراسة الشديدة تبين من الاستتارية • ومن ناحية أخرى فإنه يبدو
في موافقة دويسون على عقد الاتفاقية بعبارة المثبتة التي أولاها له جم بتوكيله إياه لحقد
الصلح نيابة عنه من أخيه بايزيد ، كما يبدو فيها بأنه ضحى بالشرف من أجل المنفعة •
ولقد اعترف كالأوربيين أنفسهم ، سكرتير عام حكومة الاستتارية في عهد دويسون ، بخيانة
السيد الكبير دويسون وحاول تهريبها بقوسه بأر دويسون لو كان قد تصرف بخليقة
أخرى لكان قد جلب جيوش بايزيد ليس ضد رود من لحساب ولكن أيضا ضد المسيحية
جماء (٣) • ولكن من الملاحظ أن تهريب كالأوربيين جاء ظمنا فلما أن بايزيد كان في حالة
تسريح له بشن الحرب على رود من وأوروبا لكان قد انشغل على الأقل على جزيرة رود من المجاورة
منذ أن عرف بلجوه أخيه جم إليها وحاول انتزاعها منها بالقوة • لقد كان بايزيد في الواقع
يخشى أن تنفجر عليه الحرب بأن يضطر إلى مواجهة حملة صليبية أوروبية عامة على رأسها
جم تهاجم بلاده من مختلف الجهات • وليس أول على ذلك من لهفته منذ أن عرف برفضه
أخيه في اللجوء إلى رود من على عقد الصلح مع الاستتارية • ومن المآل مسخري أمير رود من على

(١) انظر :

Thuasne, t. 84-86 ; Bouhours, t. 133-134 ;

Hammer III, t. 357 - 358.

(٢) توجد ترجمة فرنسية لكتاب الأمان المذكور في :

Thuasne, PF. 60-62

(٣) انظر :

دويسون أن يدفع له السلطان سنويا مبلغ خمسة وأربعين ألفه وكونا مقابل عدم تسليمه
جم لمن يريدون استخراجه في شأن الميراث السلطان.

على أن دويسون رابع الخاف في هذه المسألة ، فقد كتب للجبابا مكسستوس
الرابع في ١٧ (أو ١٢) مايو عام ١٤٨٢ يقول له بأنه لا يري في مضمون الاتفاقية التي
عقدتها مع بايزيد بشأن جم نقضا أو خيانة ليهودهم التي نطمحها على نفسه لذمير المشائس
أن هذا الأمر سبيل له ، عندما التي تصريح الدخول إلى رودس ، أن تمهد بأن يأخذ
بشروطه ويتصرف بحسب مصالحه (١).

وقد رد المؤرخ ثوتو (Vertot) على حجة دويسون بأن موافقة جم على
الامتناع لتوجيهات دويسون لا ينبغي أن ترجع في مهادنة إلى ما يلحقها لأذى بحرية
جم ، وهي الشرع الرئيسي الذي من أجله طلب الأمر تصريح للدخول إلى رودس (٢)
ويعلق المؤرخ ثواز (Thuasne) ، الذي ألى كتابا خاصا عن الأمر جم ، فوصف
على ثوتو أنه اتخذ من الأخلاقيات مهادنة لمهاجمة دويسون فيحاول ثوازن أن يمتلئ
القدر للسيد الكبير للاستتارية فيقول بأن دويسون ليس فردا عاديا من عموم الناس ،
إنما رجل دولة يمثل مصالح مجموع من الناس ، وهو بهذه المفتة يواجه واجبات معقدة
تختلط فيها الأخلاقيات مع اعتبارات المصالح العام . على أن المؤرخ ثوازن ، مع ذلك
لا ينفى دويسون كلية من المهادنة ، فيقول بأن دويسون كان في إمكانه أن يحقق للأمر
جم رغبته في أن يسلم لملك منقاريا ماثلين كورثين ، أو أن يسلم هذا الأمر لسلطان
مصر قايتباي ، من غير أن يمر من مصالح الاستتارية أو أمن أوروبا لأى خطره ولكنه فضل على
ذلك أن يحنث في يمينه للأمر المشائس ، ويعمل سجانا للسلطان طر . هذا الأمر
مقابل مبلغ من المال يدفع له في كل عام (٣).

وهما يكن من أمر هذه الآراء المختلفة في الحكم على تصرف دويسون نجس

(١) انظر :
(٢) انقباس ثوازن ص ٨٩ ملحوظة ٣ .
(٣) انظر :
Thuasne, F. 105; Bouhours, F. 137
Thuasne, PP. 87- 96.

جم ، فقد كان في نية السيد الكبير للاستجابة منذ البداية أن يحتفظ بالأسير
 جم في حوزته إلى أن يتمكن البابا وأمراء المسيحية في أوروبا من إعداد الحملة الصليبية
 العامة - التي كان قد دعاهم إلى إعدادها عقب لجوء جم إلى رودس فيسلمهم لهم^(١) . فحسب
 أن دوبيسون لم يلبث أن تلقى ردود أولئك الأمراء^(٢) وتأكد منها بأن الوقت لا يزال
 مهيأ على خرج الحملة التي ينشدها . ولما كان بقاء جم في حوزة الاستجابة إلى ذلك
 الحين يكلفهم الكثير من النفقات لا عائلته وحراسته بخلاف ما أنفق عليه من قبل ، فحسب
 رأى دوبيسون أن من الحكمة عدم حرقه من السلطان بايزيد الذي رأى فيه دوبيسون تمويضا
 للهبة التي يرأسها عن هذه النفقات^(٣) التي كانت رودس وقتذاك في أشد الحاجة
 إليها لا صانع ما أضمد الحصار الثاني المتواصل عليها عام ١٤٨٠ والزلزال الأرضي
 الذي أصابها في العام التالي لهذا الحصار . وما يدل على أن دوبيسون لم يكن ينسوى
 الخلل لانتفاضة التي عقدها مع بايزيد بشأن جم (أي اتفاقية ٧ ديسمبر عام ١٤٨٢)
 إلا لحين إعداد الحملة الصليبية العامة ، أنه بالرغم من هذه تلك الانتفاضة لم يكف
 من المصل لدى البابا وأمراء أوروبا من أجل إعداد تلك الحملة إلى أن توفي

(١) أنظر : Thuasne, PP. 67-69.

(٢) أنظر الرسالة التي بعث بها دوبيسون إلى البابا سكستوس الرابع بتاريخ ٣ أغسطس
 عام ١٤٨٢ في Pauli II, P. 153, num. CXXVIII
 كتب فرديناند الأول ملك نابولي رد في ٢٧ سبتمبر عام ١٤٨٢ ، وفيه اعتذر لدوبيسون
 عن عدم إمكانه الاستجابة لدعوته للحرب الصليبية ضد الأتراك بسبب الحرب الدائرة بينه
 وبين البابا والبندقية . ولم يلبث دوبيسون أن تلقى ردود بقية حكام أوروبا الذين
 كتب لهم . وقد اعتذر كثير منهم في ردودهم عن عدم استطاعتهم تلبية دعوة دوبيسون بمشاكاة
 الخاصة (أنظر : Thuasne, PP. 101-102)

وفي ١ نوفمبر كتب البابا سكستوس الرابع رد على رسالة دوبيسون ، وفيه امتدح السيد
 الكبير للاستجابة على الإجراء الذي اتخذ به بارمال جم إلى تونس ، وأعرب له عن
 تأكده من إخلاصه - أي إخلاص دوبيسون - لمصلح المسيحية . ولكنه لم يبد له رأيا
 فيما يتعلق بالدعوة للحرب الصليبية .

(أنظر رسالة البابا في : Pauli II, PP. 153-154 num. CXXVIII)
 وفي الحقيقة لم يبد تحمسا لهذه الدعوة سوى ملك صقلية ماثياس كورفين فقد أصرب
 له في الرسالة التي كتبها له في ٢٠ نوفمبر عن استعداده لا أن يهجم على أراضي الدولة
 المشائية من ناحية البر بمجرد أن تقوم أملاك البابا وفيه من أمراء المسيحية
 بمهاجمة هذه الأراضي من ناحية البحر ، وأكد له بأنه لا ينتظر لكي يبدأ العمل إلا
 تأليف الممبسة المسيحية التي كتب له دوبيسون عنها . (أنظر : Thausne, P. 102)

(١) أنظر : Thausne, P. 102

جم (١) نو ٢٤ (٢) أو ٢٥ فبراير عام ١٤٩٥ (٣) . وإذا كان دوبيسون قد رفض سرارا
 إذن تلك الفترة أن يسلم جم الملك مختاريا ما شام كورثون وأطلسا رفونه ونشاله وصقلية
 غوديناند الخاص الكاثوليكي (١٤٩٨ - ١٥١٦) أو لبلان نابلي غوديناند الأول (١٤٥٨ -
 ١٤٩٤) (٤) فذلك لأن كل منهم كان له المبالاة بالمشاور الاستاذية لحسابه الخاص فليس
 متفقة بايزيد ، في حين كان دوبيسون يشك في قدرة أي منهم على أن يحقق بجوشه
 الخاصة العهد بالمعتمد الذي هو جم وأوروبا الكاثوليكية من الحرب ضد بايزيد ، وكسنان
 يعتقد بأن الحيلة الصليبية العامة التي يسهم فيها أكبر عدد من أسراء أوروبا بزعامة
 البابا هي السبيل الوحيد المضمون لبلان هذا العهد (٥) .

ويبدو أن السلطان بايزيد الثاني كان من ناصيته يشك في نوايا دوبيسون الحقيقية ،
 فقد أرسل إلى جمهورية البندقية ، بعد أن عاد سفيره الذي عقد الاتفاقية مع دوبيسون
 (اتفاقية ٢ ديسمبر عام ١٤٨٢ ببلن جم) من رودس مباشرة ، مبعوثا خاصا اسمه اسكنيدر
 لمخبرها علو أن تعنى بوسائلها الخاصة لاستحواد علو جم من الاستتارية مقابل وعد مسن
 السلطان بمكافاتها إذا أدت له هذه الخدمة ، بالتنازل لها عن بلاد المورة ثم عسبن
 بلاد اليونان كلها فبعد من تعهده بتحمل جميع الأعباء المالية لهذه المهمة (٦) وفسس
 العام التالي - أي في عام ١٤٨٣ - سخر بايزيد سفيرا اسمه جسين بلنالي فرنسا حيث

- (١) عن هذه المعايير انظر: Thuasne, F. 103; Bouhours, F. 135
 (٢) انظر: Hammer III, F. 371
 (٣) انظر: Thuasne, F. 370 .
 (٤) كأمثلة للحالات التي الب فيها هؤلاء الملوك من دوبيسون أن يسلم اليهم جم: في
 عام ١٤٨٣ طلب ملوك مختاريا ونابلي ونشاله (انظر: Thuasne, F. 120,
 Bouhours, F. 144) وفي عام ١٤٨٤ طلب البابا انوسنت الثامن ملك نابلي (انظر
 في عام ١٤٨١ طلب ملك نابلي (انظر: Thuasne, P. 133, Bouhours, F. 152
 في عام ١٤٨٨ طلب ملك مختاريا مرتين (انظر: Thuasne, P. 144-145
 في عام ١٤٨٨ طلب ملك مختاريا مرتين (انظر: Thuasne, P. 198-200, Bouhours, F. 156-157
 (٥) انظر: Thuasne, P. 134, 198-199; Bouhours, F. 152
 (٦) انظر: Thuasne, P. 106

قدم لملكها لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) قائمة بأسماء المخططات الدينية المسيحية الموجودة في خزائن المجلدان باستانبول ، ووعده بأن يرسلها اليه صحيفة يبلغ ماله كبير اذا تمهد بالعمل على حراسة جم في مملكته فونسا ومنعه من بذل اية محاولة ضد اخيه بايزيد (١) . ومن ناحية اخرى فقد حرص السلطان على أن يظهر لدوبيسون في كل مناسبة تمسكه بمداقته الاخطارية له . ومن الامثلة على ذلك انهم في عام ١٤٨٣ لما الو علم دوبيسون بأن بايزيد يجهز اسطولاً ضخماً بنوى تمسيره لناصره البندقية في الحرب لا أهلية الدائرة وقتذاك في إيطاليا ، فأرسل اليه دوبيسون سفيرا استشاريا طلب منه عدم المضي في تنفيذ مشروعه . وقد وافق بايزيد ورد مفسر دوبيسون بحجة رسالة كتبت في الخامس من ربيع الاوّل عام ٨٨٩ هـ قال له فيها :
 " يا ايها الذي اسلم نفسي كليا لخدمتك ولا أستطيع أن أرفض لك امرأ ، فاني اوافق على وقف التسليم ، واعطيتك كلتي بأن قواتي البحرية موعلا تخرج من مشوق فالويسولي على ما ياتي افضل ذلك بعد ضرار ادتي رغبة مني في ان تكون دائما حديقي ، ويجب أن تكون كذلك طالما اني اتنازل من اجل حبك عن مصالح بل و عن مفاخرى " (٢) وفي العام التالي - اي في عام ١٤٨٤ - وصل الى رودس سفير من قبل البابا انوسنت الثامن (١٤٨٤ - ١٤٩٢) طلب من دوبيسون التحقق من نية عودة السلطان بايزيد الثاني الى تلج اسطوله والتصريح بما يقتضيه الحال ، وعندما استوثق دوبيسون من صحة النية كتب الى بايزيد يدع له من وعوده جرات تسليم اسطوله . ولم يلبث ان تلقى دوبيسون السلطان بايزيد بأن لا أسطولاً المشائي سوى لا يدخل مياه البحر المتوسط ، ومن ثم كتبت دوبيسون رسالة الى البابا انوسنت الثامن في ٢٦ يناير عام ١٤٨٥ زف اليه فيها بشري نجاح وسادته لدى بايزيد ناسبا هذا النجاح الى الخوف الذي اوجده عند السلطان كون اخيه جم بين يدي الاستبارة (٣)

(١) عن رحلة هذا السفير العثماني الى فرنسا ، رفق السلطان الفرنسي لويس الحادي عشر قبول ما عرضه عليه انظر :

Thuasne, II. 104-113; Bouhours, P. 140.

Bouhours, II. 143-144

Thuasne, II. 129-130

(٢) انظر :

(٣) انظر :

وجد يد بالذکر هنا ان البابا تعلم رطله دوبيسون عن يمينه. وقد استتارى ، وصلى

الى روما لثمن ثمنه بنصب البابوية خلف البابا سكستوس الرابع المتوفى في ١٢ أغسطس عام

١٤٨٤ ، ولتقديم يمين الداعة والولا له . وفي مقابلة خاصة مع أعضاء هذا الوفد طلب منهم

البابا تلبية دوبيسون بوفته في ان يصل اليه الاثيوجم على ان يظل الاثيو تحت حراسة

الاستتارية في أحد الحصون الخاضعة للبابا في ايطاليا (١) وعندما نقلت رفيسة

البابا الى دوبيسون رد عليه بأنه يفضل بقاء جم في فرنسا وعدم نقله الى ايطاليا لنفسه

على نفسها قبل ان يتوصل البابا الى تأليف الحلف المسيحي قوي قادر على شن الحرب الصليبية

عند بايزيد (٢) فغير ان دوبيسون لم يلبث ان قرر رأي على ما لم يرد لها المؤرخ بوهسور

لما أصرها ان دوبيسون رأى ان الوقت أصبح مناسباً لتأليف الحلف المسيحي بعدد

الهرطقة التي لحقت مؤخراً في ذلك العام - أي في عام ١٤٨٥ - بالسلطان المشرقي

بايزيد الثاني على يد جيوش المسلمين المملوكي قايتباي ، فقد قرر دوبيسون بان احتمال

النصر على بايزيد - الذي اضطرت الاثيو في هذا بهب تلك الهرطقة - سوف يزيمن

أثراء المسيحية الاقدام على تأليف الحلف اذا رمو ان الاثيو جم المقرر وضعه على رأس

جنتهم الصليبية بين يدي البابا رئيسهم الروحي . ومن ثلها المواميل ايضا اصرار البابا

على ان يصل الاستتارية جم اليه ، وعدم رغبة دوبيسون - الذي لم يكن يجهلوا حسب

الطاعة المخووس عليه ، وعلى هيئة الاستتارية التي يرأسها البابا بعينه الرئيس الاعلى

لتلك الهيئة - في الانتظار الى ان يمدد اليه البابا أمراً قاطعاً بذلك ، وبخاصة ان البابا

لم يكن يوفى سوى في ان يقيم جم في ايطاليا من غير ان يدعي حق التصرف في تعيينه ،

ضاف الى ذلك ان دوبيسون وجد بأن غرضه لرغبة البابا بمساعدة من ناحية على ترويض

نفسه من ملوك غابلي ومنتشاريا وقتالة ومن السلطان المملوكي قايتباي فيما يتعلق برفيسة

تعليم جم الرو اي منهم ، ومن ناحية أخرى على محاولة ارضاء جم الذي بدأ يتهم من عزلته

(١) انظر :

Thuasne, pp. 130-132; Bouhours, pp. 150-151

(٢) انظر :

Thuasne, p. 134; Bouhours, pp. 152-153

وأخذ يطالب بتفسير مقراته. وأخيرا فقد كان من التعامل الأمل فأن يحتضن جم الديانة
المسيحية ، التي لم يظهر لها أية كراهية ، لو وضع بين يدي البابا ليتولى بنفسه
أو بتوجيه من هذه الديانة (١) ، وأيضا كانت عوامل موافقة دويسون على تسليم جم للبابا
فان دويسون لم يلبث أن أرسل سفيرا إلى روما ليدخل في مفاوضات سرية ^{مع} البابا ،
انتهت في ١٣ فبراير عام ١٨٨٦ بمقتضى اتفاقية تسليم جم للبابوية . وبهذا القسم
الأول من الاتفاقية ظهر أن البابا أراد أن يعلم جم إليه لوضعه في خدمة الحرب العالمية
ضد الأتراك ، وأنه اختار لقامته الولاية البابوية المعروفة باسم أنكونه تحت حراسة
استراتيجية . وبما في هذا القسم من الاتفاقية أيضا بأنه في حالة الضرورة أو عندما يتم اتخاذ
القرار بحاربة الأتراك يستطع البابا ، بالاتفاق مع مجمعة القديسين والمسيح الكهنة
للاستبارة وأعضاء حكومة الاستبارة الذين يشكلون ما يعرف باسم المجلس ، التصرف فيما
يتملو بالأمر جم بما يخدم الموقف . وتقرر أن يتم نقل الأموال مقره الجديد بإيطاليا
في موعد أقصاه شهر أبريل التالي . كما تقرر أن يقوم دويسون بالتفاهم مع بايزيد حول أثر
الوضع الجديد على العلاقات القائمة بينهما ، فإذا وافق بايزيد على الاستمرار في دفع
مبلغ الخمسة والأربعين ألف دوكات يحتفظ فيها دويسون بمبلغ عشرة آلاف دوكات لصرفها
على تجهيز رودس ، على أن يعلم بأن المبلغ للبابا الذي يتكفل بتحمل جميع مصاريف
إقامة وحراسة جم . وأخيرا تمهد البابا بالوقوف على جانب المسجد الكبير للاستبارة عند
تعرضه لأية مضايقات بسبب تسليمه جم للبابا ، وبالدفاع عن رودس إذا اعتدى عليها
بايزيد بسبب الحادث نفسه . أما القسم الثاني من الاتفاقية فقد سجل فيه الشئ الذي
تمهد البابا أن يدفعه مقابل تسليم جم إليه . وكان نصيب دويسون من هذا الشئ منحة
لقب كاردينال في الكنيسة الكاثوليكية باسم القديس أدريان ، ونصيب هيئة الاستبارة
نفسها خمس هيئات القبر المقدس وبيت لحم والناصرة والقديس لمارز وجبل صهيون ^{Mont Morillon}
بجانب ثرواتها إليها ، والسماح لرعايا الاستبارة في جزيرة رودس وفهرها
من الجزر الخاضعة لهم في بحر إيجه بالمعاجرة مع مصر وسوريا ، إلى جانب ميزات أخرى

أقل أهمية (١)

وحدات قبل أن تتم لأشهر جم وعراسه - فادرة ملكة غنم أن وصل الو هسند
الملك سفير من قبل السلطان بايزيد الثاني أعرب للملك شارل الثامن عن رغبة بايزيد
في بقاء جم في فرنسا وعن استعدادهم لأن يدفع للملك الغنم. نظير اعادة الاثيرة المشانو
بلغ خمسين ألف دوكات كل عام ، وان يضمن المسلم لجميع المسيحيين ويضع نفسه
فرا تحت تصرف ملك فرنسا إذا كان الملك في حاجة اليه ضد اعدائه . وانتهى السفير
بأن هدد قاض بأنه إذا رفض شارل الثامن هذا العرض وفضل أن يعلم جم للبابا أولا حتى
الغوى المسيحية الأخرى التي تطلب لتمتاد به ضد أخيه السلطان ، فان بايزيد
مؤيد على ذلك يعتقد الصلح من السلطان السلوكي قاتلوا والخير معه لتدبير
المسيحية جمعاء . ولم يلبث سفير بايزيد ، بعد أن قدم هذا العرض ، أن دخل في
مفاوضات سرية مع الملك شارل الثامن ومع بعض المقربين اليه أضاف فيها بأن السلطان على
استعداد لأن يدفع أيضا ، إذا ولى على طلبه ، مبلغ أربعين ألف دوكات نقدا للملك
ومائة ألف دوكات للموسطاء الذين يتولون مهمة اقل الملاءمات . وفي الحقيقة لقد
لأن الملك شارل الثامن ومعظم أعضاء مجلس بلاطه أمام اغراء عرض بايزيد . ومن ثم أصدر
الملك أمرا الو رئيس حراس جم بوقف رحلة الخروج عند الموقع الذي وصلت اليه داخل
الأرض الفرنسية وانتظار تعامات جديدة من القصر الملكي . ومن ثم أرسل اليه عندما يصل
رد البابا على رسالة تمت بها اليه ملك فرنسا بشأن عرض بايزيد الأخير حول نقل جم
من فرنسا . غير أن رسالة الملكة آخرت ولم تصل مطلقا لرئيس الحراس في حين وصل جم

(١)

مضد في يوم ١٢ مارس عام ١٤٨٩ الى روسيا.

ومهما يكن من أمر نقل جم الى ايطاليا ، فما ان تم هذا النقل حتى وصل السي
رود من سفير عثماني من نبي السلطان بايزيد الثاني احتج عليه لدى دوبيسون فيسبر
ان السيد الكبير لاسبتارية رد عليه بان تضييق اوراقه جم قد تم بناء على اوامر
البابا ، وهو الرئيس اعلى لهيئة الاسبتارية الذي لا يملك دوبيسون ان يرد له امرا
فقد عن انه لا يتعارض مع الانظمة المقدودة بينهما - اي بين دوبيسون وبايزيد
- بشأن جم حيث ان هذا الامر العثماني لا يزال تحت حراسة ورعاية الاسبتارية
ولم يجر تسليمه لاي امير يمكن ان يستاد به ضد السلطان . واستطرد دوبيسون قائدا
بان من مصلحة السلطان بايزيد ان يمدد جم عن تناول يد ملك فرنسا الذي يمكنه من
ما ان ينتقل جم من صحنه ويستاد به ضد السلطان معتمدا على موارد الخاصة وثوبته
الذاتية ، اما وجوده بين يدي البابا فلا يخطر بباله السلطان لان البابا لا يستطيع
ان يحارب السلطان الا متحددا مع امراء مسيحيين آخرين ، وهو امر يسمي تحقير نفسه
في ظن الظروف القائمة في اوروبا المنقسم على بعضها . وانباي السيد الكبير
للاسبتارية بان في امكان بايزيد ان يظل طر اطمئنانا طالما انه لا يسمح لاطول
بسيور البوسفور ، وهو الامر الوحيد الذي يدفع امراء اوروبا المختلفين الى الاتحاد
ضده . واخيرا دعا دوبيسون السلطان بايزيد الى ان يرسل قاصدا عثمانيا الى روسيا

Thuasne, PP. 216-232

(١) انظر :

لم يضر اسبوعان على وصول جم الى روما - اي في يوم ٢٨ مارس عام ١٤٨٩ - حتى
ارسل البابا رسالة الى الكاردينال دوبيسون يشكره فيها على جهوده التي ادت الى
وضع جم بين يدي - اي بين يدي البابا - وتعهده له بتعويض الاسبتارية عن جميع
الخسائر التي قد تلحق بهم نتيجة ذلك

(انظر نص الرسالة البابوية في : Pauli II, PP. 165-166, num. CXXXVIII)

وفي نفس اليوم اصدر البابا منشورا بابويا صدر فيه على قراره السابق (الذي
كان قد اتخذه في ١٢ فبراير عام ١٤٨٩) يضم هيئتي القبر المقدس والقديس لمارز
وبيت مونتوريلون التابعين لهيئة القديس اوفسطين في ابروشم بواتيه بفرنسا السي
هيئة الاسبتارية

Pauli II, PP. 160-164 num. CXXXVI

(انظر نص المنشور في

وارجع ايضا الى :

-Thuasne, PP. 238-239 ; Bouhours, P. 164

لهوكة البابا رفعت في المعين في سجنه ، وعرض دويسون استعداداً للقيام بسندور
الوساطة في هذا الأمر . (١)

وكان أن وصل إلى روما في ٣٠ نوفمبر عام ١٤٦٠ الفارس الاستباري جاي دي برونشفورت
مقدم شحميه أوثرين صحبة سفر عثمانى اسمه مصطفى بنصلم البابا رسالة طلب فيها بايزيد
منه أن يتولى حراسة جم وأقاليم على نفس المشروط المتفق عليها سابقاً مع السيد الكبير
للاستبارية بطرس دويسون . وفي مقابلة أخرى مع البابا صرح السفير الميثاني بسان
المسلمان بايزيد يرغب في المعين بسندور مع الاستبارية في رودس ومع الأملان البابوية
والخندقية . وكذب السفير ما نسب إليه الاستبارية بأنه عرج عند وصوله إلى روما
مباشرة بأن المسلمين يهزبون في الدين بسندور من جميع المسيحيين ، كما كذب ادعاء
الاستبارية بأن بايزيد طلب منهم أن يظل جم تحت حراستهم ، وأكد بأن السلطان
يريد أن يقبل البابا بهذه المهمة مقابل سفر المبلغ الذي تعهد عليه لاتفاقية المفقودة بين
بايزيد ودويسون ، وأخيراً أعلن سفيره بنصلم استعداداً لأن يدفع للبابا نصيب السنوات
الثلاث القادمة دفعة واحدة ، وفوراً إذا سمح له بمقابلة جم . وقد عارض حراس جم من
فرسان الاستبارية في إجراء هذه المقابلة المخوفة بالمخاطر ولكنهم اضطرروا أخيراً إلى
الموافقة أمام إصرار البابا . هذا وقد رجع السفير الميثاني مصطفى بنصلم إلى بلاده في
يناير عام ١٤٦١ من غير أن يوفد في عقد أي اتفاقية بشأن جم مع البابا انوسنت الثامن
الذي فضل الانتظار إلى أن يتسلم من الاستبارية في رودس نص الاتفاقية المفقودة بشأن
الأمير الميثاني بين بايزيد ودويسون ، وإلى أن تنضج في الوقت نفسه نتائج الدعاى التي
بذلها لدى أمراء أوروبا منذ أن وصل جم إلى روما لكي ينفذوا ما بينهم من خلافات ويخرجوا
في حملة صليبية عامة يوضع على رأسها نجم ضد بايزيد . (٢)

(١) أنظر : Thuasne, FF. 263-264 ; Bouhours, FF. 166-167

(٢) أنظر : Thuasne, FF. 264-265, 270-271, 276-282; Pastor

V. FF. 311 - 313

وقد أشار كد من (Hammer III, T. 368) ، (Bouhours, FF. 169-170) باختصار شديد
إلى سفارة مصطفى بنصلم في روما باختصار شديد

ويبدو أن أقوال السفير مصطفى بك عن رغبة بايزيد في أن يحل البابا محل
الاستبارة في محاضرة جم قد منتهت شيئا من التوتر في المرافقات بين دوبيسون وبايزيد
من دلائل وصول سفير عثمان من قبل بايزيد في أوائل مايو ١٤٩٢ إلى روما حيث شكا
للبابا من تصرف دوبيسون بغيرها الياء - وكان علي حن في اتهامه حيث أن البند فيه أرسلت
في نفس الوقت رسالة إلى سفيرها في روما تضمنت صحة الواقعة موضع الشكوى - بأنه دأب
في الآونة الأخيرة على تقديم المأوى في جزيرة تهرود من اللقواصه الذين كثرت أعدادهم
على سفن ومواحل السلطان ، واتبع الشكوى بالإنذار وجهه إلى دوبيسون بأن عليه أن
يتصرف بطريقة أخرى إذا أراد أن يحافظ على السلم للمنفرد بينه وبين السلطان (١)
لكن من دلائل ذلك التوتر أيضا أن دوبيسون أرسل في هذا العام نفسه - أي في عام
١٤٩١ - إلى البابا انوسنت الثامن ليخاطبه بأن يصريح في العمل على إحلال السلام في
إيطاليا ليسير عليه تاليها الصلح بين المسيحية القادرة بمساعدة جم على انزال الهرزيسية
بالسلطان بايزيد الثاني (٢) ولما توفي البابا انوسنت الثامن في ٢٥ أغسطس (عام
١٤٩٢) وظل البابا اسكندر السادس (١٤٩٢ - ١٥٠٣) (٣) ، أرسل دوبيسون إلى مكتوب
البابا الجديد خطاب تهنئة أعرب له فيه عن كبر أمله في أن يتم على يد البابا اسكندر
السادس وبالتعاون مع الأمير العثماني جم ، انزال العرب في قلب السلطان بايزيد
وإسبوا الأتراك (٤) ، كما أن مسفراء الاستبارة الذين وفدواهم دوبيسون إلى روما لتبشيرة
البابا على منحه البند ولحلف بعض الطاعة له لما لبوا البابا في خطبهم الرسمية التمس
الفرح أمامه بالعمل ، متعاوننا مع جم ، على إسباج رغبة المسيحية في شن حرب صليبية
لدى بايزيد (٥)

Thuasne, FF. 296-299

Bouhours, F. 172

Thuasne, FF. 303, 305 , Bouhours, F. 172

Thuasne, FF. 306-307

Ibid, FF. 323-324

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) انظر :

(٥) انظر :

وسمها بكن من هذا التوثيق في العلاقات بين دويسمون وبايزيد فقد كان توترا مؤثرا ولم يترتب عليه وقوع صدام مسلح بين الطرفين. وقد حدث في عام ١٤٩٤ أن أعد ملكه فرنسا شارل الثامن عدته للزحف على إيطاليا لتأكيد حقه الذي يدعيه في عرش مملكة نابولي بعد موت ملكها فرديناند الأول في يناير من نفس ذلك العام. وقبل أن تخلى جيوشه من فرنسا طلب من قدم شعبة الاسبنتارية في أوغن، جاي دي بزنشيفورت، أن يرافق الو. جزيرة رودس لا يذبح دويسمون برفقته الملك في الالتقاء به في روما للتشاور معه في أمر الحملة الصليبية التي يريدونها ضد بايزيد (١). وعندما وصل الملك الفرنسي إلى إيطاليا في شهر أكتوبر (سنة ١٤٩٤)، امتدحى إقبالته الفارس الاسبنتاري بصفوب برونو (J. Brunet) - وهو أحد الأترب على أملات الاسبنتارية في فرنسا - وسلمه رسالة لدويسمون إنهاء فيها بوضوله إلى إيطاليا ورفقته في شن حرب ضد الأترب المشرقيين وفي تخليص الأماكن المقدسة من المسلمين، ويأنه قد أطلع ابن أخته - أي ابن أخته دويسمون - جاي دي بزنشيفورت مقدم شعبة أوغن على تفاصيل مشروع الصليب باعتباره من فرسان الاسبنتارية البارزين ذوي الدراية بهذه الأمور، ثم كثر له طلب بالتوجه لمقابلته في روما (٢). ولم يكتب ملكه فرنسا بذلك ولكنه ما أن وصل إلى مدينة باثيا (Pavia) حتى أرسل خطابه إلى سفيره في روما، وهو الكاردينال دي مانست دهنيس، طلب فيه منه أن يوصي البابا عن رغبته الملكية في أن يكتب إلى دويسمون بطلب منه الحضور إلى روما التي يرجوا أن يجمع به فيها يوم عيد الميلاد - أي يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٤٩٤ - فهو رجل حكيم وله دراية بأحوال تركيا (٣). طرأ أن شارل الثامن دخل روما في ٢١ ديسمبر (عام ١٤٩٤) (٤)، وعقد مع البابا ألكندر السادس في ١٥ يناير عام ١٤٩٥ (٥) اتفاقية وافق فيها البابا على أن يعلم جميع الملوك الفرنسيين مقابل تعهد الملك

Bouhours, P. 176

Thuasne, P. 327-328; Bouhours, P. 176

Thuasne, P. 329

Thuasne, P. 345; Hammer III, P. 369; Daru IV, P. 195

Collison - morley: Hist. des Borgia, P. 73

Thuasne, P. 351; Collison-morley, P. 74

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

بان برده اليه عندما يستقصد حاجته منه في الحرب الصليبية ضد بايزيد ، وان يحصل
على موافقة دويسون على تعلمه جم ، ويوافق عن البابا ضد الاثراك ، ولا يطالبه بالتمسك
السوى المنتظم الذي يرسله اليه بايزيد نظير حراسة جم واعاقته (١) ولم يلبث شارل
الثامن ان قاد مدينته روط مصطحبا معه جم الى مدينة نابلي التي دخلها في ٢١ فبراير
عام ١٤١٥ (٢) وقد توفي جم بعد وصوله الى هذه المدينة يومين او بثلاثة ايام - اي في
يوم ١٤ فبراير أو ١٥ فبراير - مصابا بالحمى (٣) او مسموما نتيجة دسيسة دبرها البابا
او البندقية (٤) بتحرير من بايزيد . على ان موت جم لم يثن الملك شارل الثامن عن ان يمشي
قدما في اتخاذ ما يمكن من اجراءات لتنفيذ مشروع الحملة التي اعلن انه ينوي القيام بها
ضد بايزيد . ومن هذه الاجراءات انه اصدر اوامره الى جميع الصناع والتجار من التوجه
الى نابلي لفتح الاحبار وبناء السفن الموزنة للحملة (٥) كذلك ارسل شارل الثامن
من نابلي في ١٤ أبريل عام ١٤١٥ خطابا الى السيد الكبير لادستارية بطرس دويسون
طلب منه فيه ان يترجم الى ايطاليا ليعتقل برأيه في امر تلك الحملة ، وهو
ما كتب به ايضا في نفس الوقت الى دويسون ببقاء الكاردينالان الفرنسيان بيرونيس
(Briçonnet) وديجورك (De gork) على ان دويسون ادرك ما
جاء في رسالة ديجورك وهو المشجع الرئيسي للخطط الفرنسية على الضم في مشروع
الحملة ضد بايزيد - اليه ، من ان وصوله الى ايطاليا هو العامل الوحيد الذي يمنع
شارل الثامن من الخروج لرفض نصائحه بالعودة الى فرنسا ومن قفاه بالحملة ، وعدم

(١) Thuasne, pp. 349-353; Roger Peyrefitte, Chevaliers de mérite, p. 77.

(٢) أنظر Hammer III, F. 370, Charlotte m. Yonge: Hist de France F. 91.

اما الموضح (Daru IV, F. 202) انقول الى فبراير .

Hammer III, F. 37

Thuasne, F. 370, Daru IV, F. 200 n. 2

Collison-morley, pp. 77-79

(٣) أنظر Hammer III, F. 371, Roger Peyrefitte, F. 78 ; Bonhours,

P. 174 ; Daru IV, F. 199-201

وعلى أي حال فان هذا الوثيقة عبارة عن رسالة بعث بها بايزيد الى البابا في ١٥ سبتمبر

عام ١٤١٤ تتضمن تحرير من هذا السلطان للبابا - أنظر نص الرسالة بالفرنسية

اللاتينية وترجمة لها باللغة الإيطالية في

Daru IV, F. 162-187

(٤) أنظر :

صلاية تصوم هذا الملتقى تنفيذ مشروع الصليب (١) . كما ان دويسون لم يكن خافيا عليه ان خطا قد تكون وقد انضمت الملتقى الثامن من دوق ميلان ودوق البندقيسة والبابا أسكندر السادس والامبراطور الالماني ماكسيميليان الاول (١٤١٢ - ١٥١٩) ولما ارغونه فرديناند الكاثوليكي وزوجته ايزابيل ملكة قشتالة ، وان سرخسان هذا الحلف ان يصطلح الملك الفرنسي عن الخروج لحرب بايزيد (٢) ، هذا اذا لم يكن يهدف منه البداية من وراء اعذاره عن غيره على القيام بهذه الحرب الا ان التمرير لم يمسرا ايطاليا وفيهم من امراء أوروبا ذوي المال في شبه الجزيرة الايطالية حتى لا يتكلموا لمطوية حملته في تلك البلاد ، وهو ما كان يمتد به امراء أوروبا (٣) وربما دويسون ايضا . وكان دويسون متخوفا عندئذ من زيجته بلهزمه حشود العسكرية الضخمة التي كان يجريها وتذالك بهمة في البر والبحر وكان دويسون يعلم بأمرها ، ضد رودس (٤) انشاقا للدور الذي لعبه دويسون في قضية جيم ، فاذا أضفنا الى ذلكا هو مصروف من مملكة دويسون التقليدية بالقلعة على اعتقاد بهمد جدوى من الحرب على بايزيد الا بجيش قوى تصوم في اعداد عدة دول اوروبية مشتركة في بحرية مسيحية زعمها البابا ، ادركنا المواصل التي جعلته يرى ان من الحكمة البقاء في رودس وعدم الاستجابة لطلب ملك فرنسا واكتفى بان ارسل اليه رسالة قال له فيها بأنه يفضل ان ينتظر في رودس الى ان يصل اليها ابراهيم مقدم سميتلوتين (جاي دي بلانشغورت) ، الذي يمتدد بوقوعه أسيرا في يد القراصنة او بخرق ميثاقه ، ايضوف منه تفصيل مشروع الحليسة ضد بايزيد كما شرحه له الملتقى نفسه (٥) وعلى اي حال فانه عدت في نفس ذلك العام - اي في عام ١٤١٥ - ان قادر الملك الفرنسي شارل الثامن ايطاليا عائدا

Bouhours, PP. 176-177

(١) انظر :

Ibid, P. 177

(٢) انظر :

Daru, IV, P. 210; yonge, P. 91; Richard lodge:

وتوجد تفصيل تأليف هذا الطب في

a Hist. of modern Europe, P. 36

Thuasne, P. 333

(٣) انظر :

Bouhours, P. 177; Flandin, II. 229-230

(٤) انظر :

(٥) بشأن هذه الرسالة ارجى الى :

الى بزنده فونسا ، ولم يصر عنه بعدئذ انه تحد شجرة أخرى عن وفاته في القام بحسب
صليبية عند المسلمين (١).

وهكذا نجا السلم القائم بين دويسون وبايزيد ، علو ان هذا السلم لم يلبث ان
يعرض مرة أخرى للخطر بسبب تزايد اعمال القرصنة المتبادلة بين رعايا كذا الطرفين وقد
انقذه في تلك المرة رقصة كل منهما في الحفاظ عليه ، فما ان اشتكر دويسون من اعتداءات
القرصنة الاثرا حتى اصدر بايزيد اوامره بمداخلة الجناة في شهر رجمة ، وارسل في نفس
الوقت - ربما في عام ١٤٩٧ - سفيرا عثمانيا الى جزيرة رود من عابن الضاثرات التي
لحقت بأهاليها نتيجة تلك الاعتداءات وقدّم لضحاياها وعد السلطان بشروطهم عنها .
وقد أمر دويسون من جانبه بالقبر على رعايا القرصنة الرودسيين الذين اشتكى منهم
الاثراء ، وبخوف في القصور المنوئات على أعضاء هيئة الاستشارة الذين ثبت اشتراكهم
في اعمال القرصنة ضد رعايا السلطان (٢).

وقد حدث في أواخر عام ١٤٩٩ ان وصلت الاثباء الى دويسون بان السلطان
بايزيد الثاني يستعد للحرب بيرا وبحرا . وكان ان ارسل دويسون قاصدا استناريا الى
استانبول بحملة رسمية هي تهينة بايزيد على شفاطه من مرض خطير ألم به مؤخرا والغرض
الحقيقي هو محاولة كسب اسم الجهة التي يستعد السلطان للهجوم عليها من التاكيد من
ان تلك الجهة ليست رود . وبالرغم من ان ذلك القاصد قد ابلغ دويسون ، بمسند
عودته ، بأنه علم ما بشأن في بلاط السلطان بان موضوع الحشود المشاعة بحارسة
الدولة المملوكية في الشام ومصر ، فقد ظل دويسون على اعتقاده بأوجهة بايزيد
الحقيقية في جزيرة رود . ومن ثم فقد ارسل ابن اخته جاي دي بلاشفورت الى فونسا

(١) انظر : Bouhours , P. 178.

(٢) انظر : Ibid, PP. 178-189

وقد أشار (Flandin F.230) الى خطورة اعمال القرصنة التوكية التي
تعرضت لها سفن الاستشارة آنذاك ، ولكنه لم يذكر شيئا عن انما دويسون
بالسلطان بشأن هذه القرصنة ، كما أنه لم يتكلم عن القرصنة الرودسية . انما
المؤرخ (Hammer IV, F.51) لم يذكر شيئا عن هذا
الأمر سوى قوله بان السلطان بايزيد ارسل في عام ١٤٩٧ سفيرا الى رود .

لطلب المساعدة من ملكها لويش الثانى عشر (١٤٩٨ - ١٥١٥) ، ابن شارل الثامن
وخالقه ، وعده ذلك بالتمهيد لوضع عشرين سفينة تحت خدمة الاستتارية بمجرد أن ينتهى
من اعدادها للحرب (١) ، وفى نفس الوقت ارسل دوييمون الى جزيرة صقلية فجلب منها
سفينتين محطتين بالشلال وبالجند الاسبانى (٢) ، كما كتب الى البابا اكندر السادس
اخبره بالخطر المثلثانى المتوقع على جزيرة رودس وطلب منه سرعة ارسال النجدة ، ولكن
الانباء وصلت بوقوع الهجوم المثلثانى على املاك البنادقة اليونانية قبل أن يصل البابا
الى اتفاق مع مجلس كرادلة بشأن تلك النجدة (٣) .

ومن الجدير بالذكر ان دوييمون تلقى رسالة تاريخها ١٦ يولية عام ١٤٩٩ أرسلها
اليه قائد الاسطول البندقى انطونيو جريمانى (Antonio Grimani)
من جزيرة المحيرة ، أخبره فيها بأن الاسطول المثلثانى خرج من مضيق الدردنيل
وتقدم الى المورة فى طريقه ليهاجمه ابداً بالبنادقة الواقعة على ساحل هذه البلاد
(المورة) ، على حين توقف جيش بايزيد الهوى فى اقليم بلماشجرا ، الخاضع للبندقيين
على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك حتى مدينة زارا ، ثم طلب منه سرعة ارسال النجدة
اليه (٤) وقد استلم دوييمون ايضا رسالة تحصل نفس المعنى من كل من دوج البندقييسة
والحاكم البندقى على جزيرة كريت ، غير ان دوييمون الذى رأى ان ليس من مصلحة رودس
ان يفتن السليح مع السلطان بايزيد قبل ان يتأكد من رجحان كفة البنادقة فى حربهم ضد
هذا السلطان اكتفى بأن ارسل لمساعدة القائد انطونيو جريمانى الجند الاسبانىيسة
الذين كان قد جلبهم للدفاع عن رودس من صقلية وبعض القوات الاجنبية الأخرى فتمسكوا
بثلاثين فارساً استتارياً ، على رأسهم الفارس جاي دى بوشفورت ، حصلوا على ان

Bouhours, ff. 180-181

Pauli II, ff. 166-167, num. CXL

† astor VI, P. 88

Pauli II, ff. 166-167 num. CXL

(١) انظر :

(٧) انظر :

(١٢) انظر :

(١٤) انظر :

دويسون بسفوفهم كسطوعهم (١) وعلى أي حال فقد انسحبت هذه النجدة قبل أن يبدأ القتال بين المشانين والبنادقة بحجة جهن القائد البند قوا انطونيو جريمانى وتنافسهم من مهاجمة الأسطول المشانين عندما رأى ضحاياه بالنسبة لأسطول البند ق (٢). وعندما انتهت تلك الحرب في عام ١٥٠٠ بانتصار المشانين واستولوا منهم من البنادقة على عدة مدن في بلاد العورة (٣) أرسل السلطان بايزيد الثاني رسالة إلى دويسون إنهاء فيها تلك الفتوحات (٤).

تدهور العلاقات لأول مرة منذ لجوء جم الورد من - تمهين دويسون قائدا عاما لحملة صليبية ضد بايزيد (عام ١٥٠١) :

على أن العلاقات بين الاستتارية في رودس والدولة المشانية لم تلبث أن تدهورت بشك خطير لأول مرة منذ أن عقد الصلح بين الجانبين عقب لجوء الأمير المشانين جسيم إلى رودس (صلح عام ١٤٨٢) ذلك أن أحوار بايزيد على مواصلة الحرب ضد البند قيسة بعد هذه الحرب في دلماسيا والابواب الإيطالية من ناحية الشمال الشرقي أدى السى تلك حلف صيحو ضده في عام ١٥٠١ من البابا اسكندر السادس والبند قية وهنغاريا رومانيا واسبانيا والامبراطور الألماني ماكسيميليان الأول نفسه عن الاستتارية في رودس الذين وافقوا على طلب البابا بالامتهام في الأسطول المشترك للحلف بأربعة أغرسهم

(١) انظر :

Bouhours, FF. 161-162

ولقد أرسل دويسون إلى القائد البند ق انطونيو جريمانى رسالة بتاريخ ٢ أغسطس عام ١٤٩٩ يطلب فيها بارسان هذه المساعدات اليه ، وأبدى ألمه في أن تحصل اليه في نفس الوقت الذي تحصل فيه السفن التي وعد تلك رومانيا بأرسالها اليهم - انظر :

Pauli II, FF. 167-168 num. CXLI

(٢) انظر :

Bouhours, FF. 162-163

ومن الملاحظ أن هودن جاي دي بزنشفور وزيلايه لا بد أن تكون قد تمت قبيل ١٢ أغسطس عام ١٤٩٩ حيث دخل جريمانى في معركة بحرية ضد أسطول المشانين بسن بالقوب من جزيرة ماينزا Sapienza الواقعة إلى الجنوب الغربي من شمس جزيرة العورة ، انتهت بمزيمة أسطول البند قية - انظر :

musatti: Storia di Venezia, vol. 1, FF. 368-369

(٣) انظر :

Musatti I, P. 371; Daru IV, FF. 232-234.

Alethea wiel: Venice, Pl. 325-326

(٤) انظر :

Hammer IV, F. 65

وأرجع سفن أخرى مسلحة تسليحا جيدا ، فكتبهم البابا بأن يمدد بهم دوييوسون نائبا
بابويا (Legato Apostolico) وقائدا عاما (Generalissime)
للحلف ووافق أعضاء الحلف الآخرين على هذا التعميم (١).

وأول اجراء اتخذته دوييوسون كقائد عام للحلف أنه أرسل قبادا الى البابا
اسكندر السادس وبلغت فرنسا لويس الثاني عشر بحثونهما على العمل على سرعة ارسال
القوات المتحالفة ، وعلى ضرورة وضع نظام دفع لند بيرود في اجور هذه القوات لأن التجارب
السابقة - في راي دوييوسون - أثبتت أن الجنود القادمين من النرويج يفتقرون للقتال فسي
الشرف سوى المال ، وأن انسحابهم من الجنود لعدم الدفع أمر مؤكد . وكان على قباد
دوييوسون أيضا أن يندموا النصح اليابا وللبلد الفرنسي بأن يقوم بلندن فباريا بهاجمة
الأراضي التركية من ناحية البر في نفس الوقت الذي تقوم فيه أساطيل الحلف بهاجمة
تلك الأراضي من ناحية البحر ، وأن يبنوا لهما بأن منظمة رودس التي تعتبر أساسا
خطيرا للصليبيين - تستعمل عدم اعتماد سفن لا متباعدة لمسافة كبيرة عن سواحل تلك
الجزيرة ، ثم يمرضوا على سواحلها بأن من راي دوييوسون والحالة هكذا ، ألا تعد سفن
الحلف الى رودس ليعمل فقد توغروا للجهد الذي تتكبد في العودة الى ميادين القتال
فقد سواحل اليونان ، وإنما أيضا ضمانا لعدم نقص التعميم الذي يجب المحافظة عليه فسي
رودس نفسها ، وأخيرا طلب دوييوسون - على لسان قباد - بأن يبلغ قائد الأسطول الفرنسي
المعد للمساهمة في الأسطول المشترك للحلف ، واسمه رافستين (Philippe de
cleves Ravestinn) ، بأن يتوقف عند وصوله الى المياه الاغريقية ، لا انتظار وصول

(١) انظر :

Bouhours, FF. 185-187 ; Forochon, T. 138

ويتكلم

(Hammer IV, P. 66) عن تأليف الحلف ولكنه يذكر بأن

دوييوسون اختير قائدا للقوات البحرية البابوية . ويبدو أن هامر لم يبلغ على المنشور
البابوي الذي يفتي صراحة على تعيين دوييوسون نائبا بابويا .

(انظر نص هذا المنشور البابوي في Pauli II, FF. 168-170, num. CXL III)
هذا المنشور

أما الصوريخ (Daru IV, FF. 234-235) فيذكر بأن الطرف ثالث في

١١ مارس عام ١٥٠٠ ، وبلغهم فيها لامتبارية بثلاث سفن ، ولكنه لم يذكر شيئا عن

دوبيسون اليه (١)

على أن دوبيسون لم يلبس أن تلقى رسالة من القائد الفرنسي راثستين أنها فيها
 بأن البنادق التي أتوا به عند وصوله إلى بحر إيجه على رأس سفينة الشانبة واقتادوه إلى جزيرة
 ميتلين ذات الموقع الأثامي نحو الساحل الأسوي قريبا من الدردنيل فحاصروا عاصمتها ولكنه
 لا ينوي الهجوم عليها قبل حضوره ومن غير اشتراك فرمان الاستتارية . وكان أن خيبر
 دوبيسون من رودس في ١٢ نوفمبر عام ١٥٠١ على رأس سبع وعشرين سفينة من مختلف
 الأنواع والأحجام وبم بها شمسار جزيرة ميتلين ولكن ما أن وصل إلى جزيرة لا نجو حتى
 وأقام رسول من ميتلين - أنها بأن الحصار حول طامة ميتلين رفع ، وسلمه رسالتهم
 لحدادها من قائد الأسطول الفرنسي راثستين والثانية من القائد البندقى بيتراريو
 بغيراته يرفى الحصار عن ميتلين والآن صاحبين ما فيها . وأضاح القائد البندقى بأن أنها
 دوبيسون يودعون الأسطول الأسباني إلى مياه تارنتو جنوب إيطاليا ، ووصول الأسطول
 البرتغالي إلى جزيرة كورفو الواقعة إلى الغرب من بلاد اليونان ثم ارتدادهم على أعقابهم
 بحجة سوء الأحوال الجوية . ولم يلبث دوبيسون أن وصل إلى جزيرة ناكسوس فوجد
 أن راثستين قد قادها عائدا إلى بزره فرنسا ، ولكنه التقى بالقائد البندقى بيتراريو
 في مياه تلك الجزيرة وانفق معه على ضرورة الكتابة إلى جميع أعضاء الحلفاء لحثهم على وضع
 يديهم في حالة الاستعداد للحرب ضد الشانبة بمجرد انتهاء فصل الشتاء وحلصول
 فصل الربيع ، أي في ربيع عام ١٥٠٢ ، ولتقديم النصيحة لهم بأن الوسيلة الفعالة لتحطيم
 بايزيد ليست في الفزوات على جزر بحر إيجه الخاضعة له ولكن مهاجمة استانبول ، بعد
 اقتحام الدردنيل وإحراق السفن الممثلة للرايضة في بحر مرمرة ، في نفس الوقت الذي
 بهاجم فيه طاعة فنغاريا لاديسلاس (Ladislas) الأراضي التركيسية

الأوروبية من ناحية البحر (٢)

Bouhours, PP. 187-189

(١) انظر :

Ibid, PP. 189-194

(٢) انظر :

Hammer IV, P. 68-70 ; Flandir , P. 231

وارجع أيضا إلى :

وبالفعل ما أن ربح دويهمون الرود من حتى أرسل قصاده الرود مع الدول المشتركة في الحلف لا يفهم بما تم عليه الاتفاق بينه وبين قائد الأسطول البندقي بيزاريو ونفى نفس الوقت وصل إلى رود من مفر هنجاري هنا دويهمون على اختياره قائدا عاما للحلف وأكد له بأن قوات هنجاريا على أتم استعداد اخوض الحرب ضد بايزيد ، ثم اقترح عليه بأن يصر لدى فارس ومصر لا دخالهما في الحلف وقد راقب الفترة بالفصل دويهمون ولكن عندما صر تنفيذها وجد أن دولة فارس مشغولة بشورتها الشيعية حديثة العهد التي تزعمها الشاه اسماعيل الصفوي ، وأن سلطان مصر قاصود الصفوي مشغول بشورتهم الصفوي الأمراء المعاليك من حوله ، وبأخبارهم بأن الشاه اسماعيل الصفوي لا ينتظر إلا تثبيت سلطانه في فارس لكي يكتسح أراضي الشام ومصر (١)

وقد علم بايزيد الثاني - فما يبدو - بانه دويهمون لتأليب دول الشرق عليه ، فكلف ابنه فرقد حاكم الأناضول بالاتصال بدويهمون من أجل تجديد الصلح معه . ثم إن دويهمون ، الذي كان يعلم بحاجة بايزيد العاسة المتفرغ لقتال الشاه اسماعيل الصفوي بعد أن قزت قواته الفارسية اقليم ارمينيا ، رفض أن يدخل في أية مفاوضات مع مفره فرقد ، وأعلن له صراحة بأنه ، وقد عينه البابا قائدا عاما للحلف المسيحي ضد بايزيد لا يستطيع أن يتخلل عن واجباته التي يفرضها عليه هذا التعيين ، وأنه - بالتالي - لا يستطيع أن يتظاهر معه في أمر المسلم إلا إذا أعلن السلطان عن رغبته في عقد السلم ليس من الاستتارية في روده من تحسب ولكن أيضا من جميع حكام المسيحية (٢)

وفي تلك الأثناء تلقى دويهمون رسالة من البابا أبلغه فيها بأنه أرسل مساعدة البنادقة في بحر ايجه سبع سفن بابوية بقيادة أسفدي بافو (De Baffo) وبأنه يمسك في البحر خمس سفن أخرى تحت إشراف الفارس الاستتاري كارثور - السدي أصبح فيما بعد سيدا كبيرا للاستتارية - في مدينة جنوة . وكان أن أرسل دويهمون من ناحيته قوة متعددة من نوامان الاستتارية وأربعة أفرسة تابعة لقائد فرنسي اسميه

(١) انظر :

Bouhours, pp. 194-196

(٢) انظر :

Ibid, pp. 197-199.

پريجان دى بيدو (Pré-Jan de Bidoux) • ويقتل هذه المصاعدا

البابوية والا سبتارية استولى البنادقة من المشانين على جزيرة قوية جدا من الساحل
الشرقي (تسمى الصخرى اسمها جزيرة سانتامورا (Santa - maura) عام ١٥٠٢ •

ولم يلبث دوييسون ان تلقى رسالة من القائد الهندى پيرازو الذى استولى على الجزيرة
المنه فيها بالنصر مشيدا بالدور البطولى الذى قامت به الفرقة الاسبتارية في مسجل
الحصول عليه (١)

على ان دوييسون كان في ذلك الحين مشغول بالان على مصير الخلق نفسه بسبب
ما وصل اليه من انباء عن نشوب الحرب بين اقوى عشوين فيه ، هما ملانغونيه و لوييسون
الثاني عشر و ملانغونيه و قستاله فوديناند الكاثوليكى من اجل رغبة كل منهما فى
الاتحاد بالسيطرة على ملكة نابلي بايطاليا ، وعن الفتنه التى نثرتها هذه الحرب
في ايطاليا كلها ، وقد ازداد دوييسون تكديرا عندما ابلغه اسقف دى باغو - فى
رسالة بعث بها اليه بعد ان تم فزو جزيرة سانتامورا - بأنه قد المودة بسفنه الى روما
بسبب الظروف العصيبة التى تمر بها ايطاليا ، وبأن القائد الفرنسى پريجان دى بيدو
قد انسحب بالفعل على رأس سفنه الأربع من مياه هذه الجزيرة بمجرد أن سمع بخبر الحرب
بين ملاده والملك فوديناند الكاثوليكى ، وبأن البنادقة - فى رأيهم - لا يستطيعون البصد
بأسطولهم من جزيرة سانتامورا التى استولوا عليها ، وبالتالى لا يستطيعون التفكير فى
مشروعات أخرى ضد المشانين لفترة من الزمن • فمر ان دوييسون لم يكن يملك وقتها
سوى ان يكتب للبابا راجيا اياه أن يأمر اسقف دى باغو بالبقاء على رأس سفنه السبع
في مياه بحر ايجيه ، وأن يحدث جمهورية البندقية على ارسان عارة بحرية قوية الى تلاءم المياه ،
وان يبذل كل جهد باهوى ممكن من اجل الصلح بين ملانغونيه و ملانغونيه و قستاله لصلح
الخلق • كما ان دوييسون كتب الى كل من الامبراطور الالماني ماكسيميليان الاول و ملكة انجلترا
هنرى السابع (١٤٨٥ - ١٥٠٩) يحثه على المساعدة بجهوده في مساعدة الحلف المصيحى

على البقاء وتحفيز أعدائه (١). على أن كتابة هذه الرسائل لم تغد في الواقع بشيئا ،
فقد تسببت الحرب بين الملكين التونسي والاسباني في عدم وصول أية سفن أو بحار
إليه لمهاجمة الأتراك الحشانيون من تلك المنطقة. تمكن أسطولها من إعاد القوة البحرية
للجلاء وذلك عندما خرج موسم بدء القتال في ذلك البحر في ربيع عام ١٥٠٢ هـ وضيّق عليهم
وصولها على دوييمون فوضت زهيمية لتحقيق علمه في اقتحام الدردنيل ومهاجمة استانبول
من ناحية البحر في تلك الأثناء بالذات التي هاجمت فيها القوات الهندسارية بالفصل
أراضي الدولة العثمانية قريبا من نهر الدانوب من ناحية البو (٢) ولم تلبث بصحبة
الهندسية أن عقدت في ٢٠ مايو عام ١٥٠٣ الصلح مع السلطان بايزيد الثاني (٣) وبمسند
ثلاثة شعور - أي في ٢٠ أغسطس عام ١٥٠٣ - عقدت هتباريا بدورها صلحا مع بايزيد
تعمد فيه أن يبرهن في ستره ليس فقط مع ملك هتباريا ولكن أيضا مع ملكين من إنجلترا
وفرنسا واسبانيا والبرتغال وبولونيا ونابلي ، فبعد عن الصمد الكبير لدمبارية في
رودس والجنوية في جزيرة خيوس ودوق البندقية (٤) .

وهكذا انتهى أمر الحلف البحري الذي عين دوييمون قائدا عاما له ، وكان من
الطبيعي أن ينكر بايزيد في تأديب الاستبارية على دورهم في هذا الحلف ، وطرح جسيم
آخر اقترنوه وشدوا في حقه هو قبولهم الأمير مراد ابن أشرف جم لاجئا في جزيرتهم ومنحه
حق الإقامة الدائمة في حصن فوندو بهذه الجزيرة (٥) . ولما كان من المتعذر عليه نسي
ذلك الوقت إبعاد قواته خارج حدود دولته بسبب تهديدات الشاه اسماعيل السنوي بفرض
هذه الدولة من ناحية الشرق ، فقد اكتفى بأن يماهم بالمجاهدين الأتراك على رأسهم الرئيس
كمال الذي قام بغزوتين لجزيرة رودس انتصرتا فيهما إلى فضله كما هاجم هذا المجاهد
بعض جزر الاستبارية الأخرى ، بعد أن فشلت فزوته الثانية لجزيرة رودس - وهي الغزوة

Bouhours, FF. 199-200

Hammer IV, FF. 71-72

musatti I, F. 372

Hammer IV, FF. 75-76

Farochon, P. 155; Thuasne, FF. 387-388

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

التو ١٥٠٥ - وانصحت صفته بعيدا عن مراحل هذه الجزيرة
ولكنهم يصبون في هذه الجزر حظا أفضى مما أصاب في جزيرة رودس (١)

وقد حدث في عام ١٥١٠ أن لما إلى علم الحيد الكبير لاسبتيارية ونوايميسرى
دامبواز خليفة دويهمون - بأن السلطان المملوكي قانصوه الغوري ، الذي أسر لاسم
الاسم بتاريخ قبل ذلك بقليل في نفس هذا العام سقنا محله بالأخصاب في مياه خليج
لياس ، بتفاوض السلطان العثماني بايزيد الثاني من أجل عقد معاهدة تحالف
بين دولتهما (٢) فأوجس خيفة من أن يرب هذا التحالف عن الاتقان على توريه أسطول
مملوكي عثماني مشترك ضد جزيرة رودس ، ومن ثم أصدر قرارا باستدعاء جميع فرسان
الاسبتيارية المقيمين في شعب الهيسة بالخارج للمشاركة في الدفاع عن تلك الجزيرة (٣)
وبعد ثلثي الوقت انضم بمخاوفهم إلى كل من طاجنجلتا هنري الثامن (٤) ١٥٠٩ -
١٥٤٢) والبابا يواهموس الثاني (١٥٠٣ - ١٥١٣) على الأقل من حكام أوروبا ، وقد
به البابا طي السيد الكبير دامبواز في العام التالي - أي في عام ١٥١١ - بضرورة
أن يدافع الاسبتارية عن جزيرة رودس لأنهم التزموا منذ أن حلوا بها بالدفاع عنها (٥)
أن التوتر كان في ذلك العام (عام ١٥١١) قد شغف حدثه بسبب وصول انباء القسيسة
الداخلية التي وقعت في الدولة العثمانية بين السلطان بايزيد الثاني وابنه سليمان
وانتهت في أواخر عام ١٥١٢ بتنازل بايزيد عن كرسي السلطنة لسليمان (٦) وربما أيضا
بسبب تأكيد الاسبتارية من تقاض السلطان المملوكي الغوري من مهاجمتهم منفردا أو
تحالفا مع العثمانيين ، وهو أمر مما وفرته لهم مكانها ، تفوي بردي الترحيل انهم مباشرة

(١) انظر : Biliotti, P. 275-277; Flandin, PP. 236-237;
Farochon; P. 141-152-156

(٢) انظر : Biliotti, P. 280

وما يجدر التنويه به هنا أن المؤرخ المصري ابن ابليس (ج ٤ ص ١٩٦ - ٢٠٢) قد
أشار إلى وجود تقارب مودة في عام ١٥١٠ (٩١١ هـ) بين السلطان العثماني بايزيد
الثاني والسلطان المملوكي قانصوه الغوري ، ولكنه لم يذكر شيئا عن مفاوضات بينهما
لمعد معاهدة تحالف ضد الاسبتارية أو غيرهم .

(٣) انظر : Pauli II, P. 176, num. CXLVI

(٤) انظر : Ibid, P. 174, num. CXLV

(٥) انظر : Hammer IV, P. 354

(٦) شرفنامه ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

أول من غير دولة أوروبية أخرى حديثة (١). ولكن حدث في العام التالي - أي في
 عام ١٥١٢ - أن اكتشف الاستبارية في رودس مواعيرها كما بها بعض التجار البيزنطيين من
 الرواد منهم بالامتياز مع مجموعة من المهبط المسلمين بهدف تسليم أبواب مدينة
 رودس لقوة عثمانية اتفقت المصلحات التركية معهم على إرسالها إلى الجزيرة لهذا الغرض (٢)
 كما أن الاستبارية علموا في نفس الوقت بأن اسطون المشانين يرايد على أهمية الاستعداد
 عند سواحل الأناضول وأن قواتهم البرية تتجمع بأعداد كبيرة حول الدردنيل (٣)
 كان من الطبيعي والحالة كذلك أن يتولى الاستبارية وتوفي هجوم عثمان على جزيرةتهم
 رودس وان يبعثوا إلى البابا يوليوس الثاني بخبرهم بما يتوقعون وقد أبدى البابا
 اهتماما كبيرا بهذه المسألة من دلائله أنه طلب من كرسى حكومتى نابولي (٤) وجنوة (٥)
 ولما أيضا من حكومات أوروبية أخرى - بأن تقدم المون الماخذ لجزيرة رودس (عام
 ١٥١٢) وعندما توفي هذا البابا في ليلة ٢١ فبراير عام ١٥١٣ (٦) بادى خليفة
 البابا ليو العاشر Léon X (١٥١٣ - ١٥٢١) - الذي انتخب للبابوية
 في ١١ مارس وتوفي في ١٩ مارس عام ١٥١٣ (٧) - برسالة منشور يهوى إلى رئيسا استبارية
 ألبانيا أنه بارتقاء كرسى البابوية وباهتمامه البالغ بأمر الدخا عن رودس (٨) ومن ناحية
 أخرى كانت مسألة أمن رودس وغيرها من الدول المسيحية المعرضة للخطر المشانين

(١) يقول ابن ايامى ج ٤ ص ٢١٠ في وقائع شهر محرم سنة ٩١٧ هـ : "وفي يوم الأربعاء
 حادى عشرة (١٠ أبريل عام ١٥١١) قهر السلطان على تفرى بردى الترجمان ووضع
 في الحديد ٠٠٠ ومببذلك قد بلغ السلطان أن تفرى بردى كاتب ملوك الفرنج بأحوال
 صالحة مبرر ، وأن السلطان ليس له همة إلى إرسال تجريد"

- | | |
|------------|---|
| (٢) انظر : | Biliotti, FI, 281-282; Flandin, FT. 239-240 |
| (٣) انظر : | Flandin, P.240 |
| (٤) انظر : | Pauli II, P.176, num. CXLVII |
| (٥) انظر : | Ibid, P. 177, num. CXLVIII |
| (٦) انظر : | Rohrbacher XXII, P.401 |
| (٧) انظر : | Ibid, P.402 |
| (٨) انظر : | Pauli II, P. 177 num. CXLIX |

بطريقة مباشرة من ملكه منقاريا ، من اسم المونوقات التي توفست في المجمع الكنسي
 العالم المنصف وقتذاك - ومنذ ٣ مايو عام ١٥١٢ - في لاتران Latran - وهو
 اسم قصر البابوات بمدينة روما - والمصروف باسم مجمع لاتران الخامس (٣ مايو ١٥١٢ -
 ١٦ مارس ١٥١٢) (١) علما بأن أقصى ما حصل عليه الاستثنائية من هذا المجمع بملحق
 من المال (٢) استثمان به سيدهم الكبير القائم بالحكم وقتذاك وهو السيد الكبير كاريتو
 في اصلاح وتقوية أسوار حصون مدينة رودس وبخاصة حصن إيطاليا الذي أعساده
 كاريتو بنائه من جديد ، وفوقه تميز من صنع المدفعية في ثلاث الحصون (٣) وعلى أي حال
 فقد كان من حسن حظ الاستثنائية وبجهد ارتواحيهم أن السلطان سليم الأول حول نفسه
 عام ١٥١٤ حشودهم مصدر مخاوفهم لحرب شاه إيران أساعيل الصفوي ، ولكن لم يلبث
 أن استند بهم الظفر مرة أخرى عندما علموا بانتصار المشائين على الصفويين في موقعة
 بالديران (٤) ثم ازدادوا قلقا عندما وصلت اليهم أنباء الاستعدادات العسكرية
 الشخصية التي أخذ المسلمون أن يسلحوا بها في البحر والبحر عقب عودته التي

(١) أقيم هذا المجمع في ٣ مايو عام ١٥١٢ في عهد البابا يوليوس الثاني السدي
 ثامن الدورات الخمس الأولى من دوراته الاثني عشرة ، ثم توفيتاته لخليفته
 ليو العاشر رئاسة جلسات بقية الدورات بها فيها الجلسة الأخيرة التي عقدت
 في ١٦ مارس عام ١٥١٢ . وفي كل جلسة من الجلسات كان يتكلم أحد الخطباء
 مبينا رأيه فيما يجب على المسيحية من ان تدعو قوة المسلمين المثلثة في المشائين
 والماليك . وقد طالب مندوب الاستثنائية - واسمه حنا الممدان دي جيسسار
 (Jean Baptiste de gerge) في خطبته التي القاها في أولى جلسات الدورة
 الثامنة التي افتتحت في ١٨ ديسمبر عام ١٥١٢ بضرورة أن تتعالم القوى المسيحية
 وتتكتل لمحاربة المشائين على أن تشن نورا في ارسال النجيدات المهمة التي
 رودس التي تهددها جيوش السلطان المشائي سليم الأول والفرو بين لحظقة
 وأخرى ، لأن سقوط رودس في يد المشائين سوف يؤدي - في رأيه - إلى وقوع
 أوروبا كلها تحت رحمتهم . (انظر :
 Rohrbacher XXII, PP. 381-469

وتوجد خلية مندوب الاستثنائية في هذا المرجع في صفحات ٤١٢ ، ٤١٣ ، وأشار
 اليها أيضا :
 Pastor VII, P. 71

(٢) انظر :
 Pastor VII, PP. 213-214 ;

(٣) انظر :
 Biliotti, PI. 283-284

(٤) أرسل السيد الكبير كاريتو في عام ١٥١٤ رسالة للبابا ليو العاشر حين فيها
 بهذه الحرب بين سليم الأول والصفوي : انظر :

Pauli II, P. 449n num. LI, giunt.

(١) بلده من إيران وكما كانت عاداتهم في مثل هذه الأحوال ، فقد أرسل محمد بن الكبير
 كارتو بمشاورته من هذه الاستعدادات إلى البابا ليوم العاشر ، وقد رد عليه البابا
 في ١١ سبتمبر عام ١٥١٦ بحرب له عن اعتقاده بأن الشر من الحشود العثمانية التي
 يخرج منها الاستتارية غربة حارسة السفريين في إيران والممالكة الجراكسة في مصر
 والشام ، لأن سلطا في رأسه - أن في رأى البابا - لا يمكنه أن يهاجم المسيحيين
 بلحنا قبل أن يتم له سحق هاتين القوتين الاستتيتين . غير أن البابا في الوقت نفسه
 أوصى كارتو بأن يضمن في جميع الأحوال علو زمان سرمة وكفاية وسائل الدفاع عن جزيرة
 رودس ، وأكد له بأنه سوف يهيب لنجدته إذا هاجم العثمانيون هذه الجزيرة . (٢) وواضح
 من تاريخ هذه الرسالة أن البابا لم يكن وقت كتابتها قد علم بأن سلطا قد تحرك بالفعل
 ضد المملوكواته انتصر على سلطانهم فاضوه الفوري في ٢٤ أغسطس عام ١٥١٦ ففسى
 بولمة مرج دابق الواقعة إلى الشمال من حلب حيث قد الفوري . (٣) علو أن البابا لم يلجأ
 أن علم بالغباء عن طريق السيد الكبير كارتو ، الذي أنهاه أبنيا باستيلاء سلوم السويح
 على بلاد الشام ثم دخوله القاهرة (٤) في أواخر يناير عام ١٥١٧ . كذلك يرجح بأن
 يكون كارتو قد أبلغ البابا بحادث انقلاب الذي الفى به اليوم قائد الأسطول
 التركي عند مروره أمام جزيرة رودس في طريقه إلى الاسكندرية أثناء حملة سلوم

(١) أنظر : Billotti, P.284; Flandin, PP.241-242; Charriere I, P.25, n.1.

وبعث في أنوار هؤلاء المؤرخين فإن حالة الفوري التي كان عليها الاستتارية وقتذاك
 دفعت السيد الكبير كارتو إلى أن يرجح بالمبعوث الإيراني الذي جاء إليه ففسى
 رودس مؤثرا من قبل الشام اسماعيل الصفوي في عام ١٥١٥ ليمنح عليه الدخول ففسى
 حلف جنبا إلى جنب مع الصفوي والسلطان المملوكي الفوري ضد السلطان العثماني
 سليم الأول . وقد أفاد نفس المؤرخين بأن كارتو وافق غورا على عرض المبعوث الإيراني
 (نفس المراجع والصفحات السابقة)

(٢) أنظر : Pauli II, P.181, num. CLV1; Charriere, I, P.11

(٣) عن معركة مرج دابق يرجح دابن ارجح إلى طرخان في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة

ص ١٨٠ - ١٨٥ .

Charriere I, PP. 11-12

(٤) أنظر :

على مصر عام ١٥١٢^(١) وهو خطاب امتدَّ به عبارات القذف والتهجم على شخص السيد الكبير للاستتارية^(٢) ولقد سببت هذه الأخبار انزعاجا للبابا ليو العاشر ليوهر فقط خوفا على جزيرة رودس ولكن أكثر من ذلك خوفا على إيطاليا نفسها التي وضمها استيلاء سليم على الامكندرية تحت التهديد بالانزول البحري من جانب المشرقيين. وكان أن كتب البابا خ لابات عاجلة الى حكام أوروبا المتنازعين ، وعلى رأسهم الاثيوافيسور الالباني ماكسيميليان الأول والطائفة الفرنسية فرانسوا الأول (١٤٩٤ - ١٥٤٧) والمملكة الإسبانية شارل الخامس (١٥١٦ - ١٥٥٥) ، يعرض عليهم فيها أن يمددوا فيها بينهم مدد تمهدها خمس سنوات حتى يمكنهم المساعدة في حملة صليبية مشتركة أصبحت من الضروري الاسراع في تسخيرها ضد المشرقيين^(٣) وفي نفس الوقت أرسل البابا خطابا الى السيد الكبير للاستتارية كاريستو نصحه فيه بأن يأخذ حذره من النتائج التي قد تفرعن لها هيئة الاستتارية في روم للتفويضات التي طرأت على الأوضاع في مصر ، وأكد له مظهرنا بأننا أصبح لا يفضل باله أكثر مما يشغلها أمر الدخا عن رودس^(٤) وفي الحقيقة لم يكن أي من البابا والسيد الكبير للاستتارية مبالغا في مخاوفه من نوايا السلطان سليم الأول نحو رودس فقد عرف بأن هذا السلطان أمر في العام التالي لمودته من مصر - أي في عام ١٥١٩ (٩٢٥ هـ) - بأعداد أسطول كبير لفتح جزيرة رودس وذلك استجابة لنصائح وزرائه الذين ذروا بأن فتح هذه الجزيرة أمر ضروري لضمان وصول بضائع مصر والشام الى تركيا سليمة من عبث

(١) كتب البابا ليو العاشر في هذا العام رسالة الى الملك الفرنسي فرانسوا الأول أشار فيها الى خطاب أرطغرل قائد الاسطول التركي الى السيد الكبير للاستتارية كاريستو معتقداً انه هو نفس الخطاب الذي نتحدث عنه - انظر

Charriere I, FF. 25-26

(٢) سببه فيه كاريستو بالكلب الأجرب موثق عنه انه من سلالة كلاب جهنم كما سببه بمباراة ابن الكلب - انظر :

Hammer IV, P. 355

Charriere I, FF. 21-24, 46-47

(٣) انظر :

Pauli II, P. 182 num. CLVII, Charriere I, FF. 24-25

(٤) انظر :

القراصنة المسيحيين الذين نأويهم (١) . وفي ربيع العام التالي - أي في عام ١٥٢٠ - طلب سليم من وزرائه أن يقدموا له تقريراً عما تم اعداده من الذخائر الحربية لتتفقد مشرقة فتح رودس . فلما أبلغوه بأنهم اعدوا من هذه الذخائر ما يكفي لاقامة الحصار حول الجزيرة مدة أربعة اشهر ، أجابهم في غضب بأنه يرى بأن حصار قلعة منيصة مثل رودس قد يمتد الى ضعف المدة التي قدروها لذلك ، وأنه سوف لا يخرج لتحريرها بهذا الاستعداد الناقص لأنه لا يود أن يلحق به عار الهزيمة الذي لحق بهجده السلطان محمد الثاني أمامها في عام ١٤٨٠ (٢) . وسببها يكن من أمر فقد توفي السلطان سليم الأول بعد ذلك بشهور قليلة ، وعاد وجه التحديد في ٢٢ سبتمبر عام ١٥٢٠ (٣) (الخير ٩ شوال عام ٩٢٦ هـ) (٤) وخلفه ابنه السلطان سليمان الثاني الذي قدر أن يتم فتح رودس على يديه .

والواقع ان الاستتارية فابلوا خبر قيام السلطان الجديد بروج عدائية فأسعدوا ثائراً عليه ، هو جان بودي الفزالي والى الشام ، بما طلبه منهم من المدافع والذخائر وضباط المدفعية والهندسة العسكرية ، اعتقاداً منهم بأن شيئاً لا يبعد عنهم خطر الحصار المثنائي ، الذي يتوقعون حدوثه بين لحظة وأخرى منذ أن تم للدولة المثنائية الاستيلاء على بلاد الشام ومصر ، أكثر من انشغال سلطان تلك الدولة في محاولة اخفاء حركة تعود قديمة عليه (٥) . على ان سليمان الثاني لم يلبث أن أرسل جيشاً الى الشام تمكن في اول فبراير عام ١٥٢١ (٢٢ صفر سنة ٩٢٢ هـ) من اخفاء فتنة جان بسردى (١) حاجي خليفة : تحفة الكبار في أسفار البحار (وقد ترجمه عن التركية :

Mitchell: The History of the maritime wars of the turks, P. 24)

ويفتح قول المؤرخ (Hammer IV, P. 354) فان طلباً أمر ببناء

مائة وخمسين سفينة لتتفقد الى باقة سفينة أخرى كانت تقف على أهمية الاستعداد

وتتجه جميعاً لفتح رودس .

(٢) حاجي خليفة : تحفة الكبار في أسفار البحار (ترجمة : mitchell, P. 24-25

Hammer IV, P. 355-356 وانظر أيضاً :

(٣) أنظر : Charriere I, P. 83

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور (الجزء الأخير ص ٢٣٤)

(٥) أنظر : Biliotti, P. 285; Farochon, P. 190

ويلاحظ بأن المؤرخ المصري ابن اياس تكلم في كتابه (بدائع الزهور - الجزء الأخير)

بافاضة (ابتداءً من ص ٢٣٩) عن عمده جان بودي الفزالي ، ولكنه لم يذكر شيئاً

عن انصار الفزالي بالاستتارية في رودس .

الغزالي^(١) ، وأخذ يهود فلنا بالانتقام من الاستتارية على ما قدموه من سلعة لهذا
الثامن^(٢) .

وقد واجه الاستتارية هذه التهديدات باستقدام بعض زملتهم من فوسسان
الاستتارية المقومين في أوروبا لتعزيز حاميات الجزيرة بهم^(٣) ومن ناحية أخرى
استنجدوا بحكام أوروبا^(٤) فأرسل إليهم البابا ليو العاشر ثلاث سفن ، على حين
أرسل إليهم الملك الفرنسي فرانيسكو الأول أسطولاً مؤلفاً من سبع عشرة سفينة^(٥) ،
ورعد امبراطور ألمانيا شارل الخامس بأرسال أسطول في وقت لاحق قريب ، وأعلنت بعض
الدول الإيطالية عن عزمها على إرسال بعضها المعدات فريها^(٦) .

وهكذا استمدت جزيرة رودس المدح عن نفسها ، فحرر أن السلطان سليمان
الثاني بدلاً من أن يتجه وقت الهجوم إلى هذه الجزيرة زحف بها على نهر الدانوب
حيث استولى في ٢٩ أغسطس عام ١٥٢١ على مدينة بلجراد ، ثم استولى على سبع
مدن أخرى هامة في بلاد الصرب^(٧) ، وما أن ذاع خبر تحول سليمان الثاني للتوسع
في تلك الجهات حتى أصبح كل من البابا وملك فرنسا إلى امتدعاء سفنه التي كان قد
أرسلها إلى مياه جزيرة رودس^(٨) ومن ثم لم يمد أمام الاستتارية إلا أن يعتمدوا على
قواتهم الخاصة في الدفاع عن هذه الجزيرة من وصلت إليها الأساطيل المثمانية .
قيام السلطان المثناني سليمان الثاني بحصار رودس وفود الاستتارية منها :

ولم يكد السلطان سليمان الثاني يستولى على مدينة بلجراد ، حتى عقد الحزم على
ضم جزيرة رودس لما لها من أهمية في تعزيز لقوته البحرية وتسهيل للمواصلات بين

(١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور - الجزء الأخير ص ٢٤٨ .

(٢) أنظر : Biliotti, P. 285; Farochon, P.190

(٣) أنظر : Biliotti, P.288; Farochon, P.194; Charriere I, PP. 86-87

(٤) أنظر : Biliotti, P.285; Farochon, P.190

(٥) أنظر : Biliotti, PP. 285-286, Farochon, P.190

(٦) أنظر : Farochon, P.190

(٧) أنظر : Charriere I, PP. 84,89

طاعته الاستخانة وتحويلها حديثه المهد في مصر والشام وأرض الحسين الشريفين ،
وأنزاع القضاء على أعمال القراصنة التي اعتاد أن يقوم بها القراصنة المسيحيون المحترفون
الذين كانوا يجدون التشجيع والمأوى لدى الاسبتارية في رودس . وما حفر سليمان الثاني
أيضا علو المضيق في طريق فتح جزيرة رودس ما بدا له من ضعفها احتلال تدخل أوروبا
المسيحية لنجدة هذه الجزيرة بسبب تدخل الحكام الأوروبيين الذين اعتادوا إرسال
النجادات اليها بمشاكلهم الخاصة حيث تدخل البابا ليؤاخذ بالمشكلة بمواجهة حركة تمرن بالراهب
مارتن لوتر طبع في ألمانيا مؤشرا كنمن ملك فرنسا فرانسوا الأول وأمبراطور ألمانيا شارل
الخامس بعراهم أحدهما عند الآخر حول مسألة السيادة على إيطاليا ، كما تدخل الملك
البرتغالي هنري الثاني لويش الثاني (١٥١٦ - ١٥٢٦) بأحياء محاولات الأشراف
في دوائه المستعظمي هذه الدولة . ومن المواقف الأخرى التي شجعت السلطان
العثماني ما تلقاه من معلومات عن نقاط الضعف في تحصينات رودس ونقص التمرين بها
من جاسوس يهودي كان قد انظم اليها والده السلطان سليم الأول ومن عضو خائن في
مجلس الاسبتارية برودس . هذا بالإضافة الى عامل التحريض الملح الذي مارسه
لدى السلطان سليمان الثاني كل من وزيره مصطفى باشا ورئيس البحر كورد أوقلسي ،
فضلا عن عامل المروج الشخصي عند ذلك السلطان الذي أراد أن يتم على يديه مسح
عار الهزيمة الذي لحق بجده السلطان محمد الثاني أمام رودس عام ١٤٨٠ (١) .

على أن السلطان سليمان الثاني ، بالرغم من ذلك ، فحس أن هناك طريقا يسبق
المدارة مع الاسبتارية في رودس الى أن ينتهي من استعداداته العسكرية الشخصية
لمحاربتهم ، وكان أن بعث برسالة الى السيد الكبير دى ليل آدم هناك فيها بمنصب
رئاسة الاسبتارية الذي تولاها منذ فترة وجيزة (في ٢ يناير عام ١٥٢١) وبملازمة
وصوله الى رودس (ومن في ١١ سبتمبر عام ١٥٢١) من أوروبا ، حيث كان يعمل مقدما
لشعبة الاسبتارية في تونس ، لتولي هذا المنصب . غير أن سليمان الثاني استطرد

(١) انظر :

Hammer V, PP. 25-27; Flandin, PP. 244-246;

Biliotti, PP. 264 - 265, 292-293; Farochon, PP. 195-196;

... 212 215 217-218 - charriere I. P. 84 : Finlay ;

في رسالته ظفت نظري ليل آدم الى ان الاثر يرجع اليه وحده اذا رغب في ان يكون له نصيب في جمائل بلاد السلطان ، ثم قدم له النصيح بان يبيع كصيد في الوقت نفسه على انتصاراته في هنتاريا حيث استولى على مدينة يلجراد ووضع تحت حده سفن البطار كن من تجاسر على مقاومته (١)

وكان ان ارملدي لول آدم خطابا الى الملك الفرنسي فوانموا الاول في ٢٨ اكتوبر عام ١٥٢١ ضمنه دعوى رسالة السلطان العثماني اليه ثم انما عاقلا بأنه نظرا لان هذه الرسالة هي اول رسالة يبعث بها سليمان الثاني الى رودس ، فانه لا يستطوع ان يتقبل ما جاء فيها على انه عربون صداقة بقدر ما هو تهديد مستتر له ، وختم دي ليل آدم خطابا للملك الفرنسي بان أكد له بأنه قد عقد المزم على توفير أقصى ما يمكن توفيره لجزيرة رودس من المؤن والاسلحة والذخائر حتى اذا ما اتضح بان السلطان سليمان يدبر لها سوء النية استطاعت ان تدافع عن نفسها مستخدمة بما تقدم لها فرنسيين من مساعدات (٢)

وفي نفس الوقت رد دي ليل آدم على سليمان الثاني مؤكدا له بأنه قد فهم جيدا المعنى الذي تنطوي عليه رسالته اليه ، وأنه يرحب بمروءة الصداقة والعهد التي تقدم بها اليه في تلك الرسالة ، فيران دي لول آدم استطرد قائلا بأنه مع ذلك يرى بان هذه المروءة لا تعجب كثيرا رئيس البحر (او القرماني كما سماه دي لول آدم) التركي الذي حاول مناجاة في البحر اثناء عودته من فرنسا لتعلم مهام منصبه جيدا كيمسيرا للاستجابة في رودس ، فلما اغرق سبيل في جنح الظلام لمواجه سفن تجاريتين بمد اطلاقهما من ميناء رودس واستولى عليهما الى ان ادركته سفن رودس المسلحة

(١) انظر :

Pauli II, P.183, num. CLVIII.; Charriere I, Pp. 89-90; Biliotti, Pp. 289-290

(٢) انظر :

Charriere I, P.89

التو الخلقها الاستبشارية خلفه غانور سبيلهما ولان بالفسار (١) ومن المرجح بان
 السيد الكبير للاستبشارية حين ابلغ السلطان سليمان الثاني بتمردات كورد اوغلي
 المددانية نحوه لم يمسح ان يشكو اليه هذه التمردات بقدر ما اراد ان يوحى اليهم
 بانه لا يشر في نواياه المسلمة، وذلك بنفس الطريقة المستترة التي اعتقد بان سليمان
 استخدمها معه، حين كتب له عن انتصاراته في انقاريا بقصد تهديد يده ومهملها يكن من اسر
 فقد رادى لوليام ان من الشهور ايمان هذا الرد الى سليمان الثاني مع غارسا سبتاري
 قد يتصرف لا انتقام بالاسراو بالقتل مفضل ان يهدت به مع تاجر بيزنطي من اسالم
 جزيرة رودس لم يلبث ان عاد اليها، بعد ان اتى مهمته، برفقة مسافر عثمانى مسلم
 للسيد الكبير دى لوليام آدم رسالتين احدهما من الوزير محمد باشا والثانية من
 السلطان نفسه (٢)

وقد تضمنت رسالة الوزير عطايا للسيد الكبير دى لوليام على ارساله رده على
 السلطان مع رسول قليل الشأن، وما تضمنه هذا الرد من عبارات لا تليق بمقام
 ذلك السلطان، على ان الوزير محمد باشا مع ذلك وعد في رسالته السيد الكبير
 للاستبشارية بانه اذا ارسل الى استانبول مظارة مؤلفه من اوفاترسين من كبار اعضاء
 هيئة الاستبشارية فانه - اى الوزير - سوف يعزل جاهدا على منح السلطان سليمان
 من تدمير جزيرة رودس، وسوء ينصحه بان يجدد مع الاستبشارية المعاهدة القديمة
 التي عقدها معهم السلطان مراد الثاني (معاهدة عام ١٤٢٥) وثالث رضاهم (٣)

(١) انظر: Pauli II, F.183, num. CLIX; Biliotti, F. 291;
 Charriere I, FF. 89-90; Farochon, F. 197

اراد كورد اوغلي ان يأسر الوثنيين الكبار للاستبشارية ردا على اسر الاستبشارية
 لاخرهم في عمل من اعمال الفرصة - انظر: Finlay, F. 82.

(٢) انظر: Biliotti, F.291; Farochon, F. 197

(٣) انظر: Pauli II, F.184 num CLXI; Biliotti, FF. 291-292;
 Farochon, F. 197

أما رسالة السلطان سليمان الثاني فقد كانت غلوة أوسع نحو التهديد بمسند والاستفزاز ، ففيها أبلغ السلطان السيد الكبير للاستتارية بأنه قد بلغ بموصول رده على رسالته التي سبق أن أرسلها إليه لتبنيته باختياره سيدا كبيرا للاستتارية ولاخياره بانتصاراته في هتفاريها ، وأن تلك الرسالة قد سببت له الدهشة أكثر من الفرح ، ثم أكد له بأن فتح مدينة بلجراد لا يكفيه ، وأنه قد عقد القسم على القيام بفتح آخر مهم سوف يهتبه به في وقت قريب حيث أنه وفرسان هيتته الاستتارية لا يفتبون أسدا من ذاكرته .^(١)

ولم يلبث دى ليل آدم أن رد على الوزير فأعرب له عن استعداداته لارسال سفير استتاري لسند ماهدة صلح مع السلطان سليمان بمجرد أن يصل جوار مروره لهذا السفير ، كما رد على السلطان سليمان فأكد له بأنه ليس غاضبا لأن يتذكره السلطان هو وفرسان هيتته ، ثم استطرد قائلا بأن السلطان يحدثه عن النصر الذي أحرزته جيوشه في هتفاريها ، وعن تصميمه على القيام بمشروع آخر يأمل أن يحرز فيه نفس النجاح الذي أحرزه في هتفاريها ، ولكن غاب عن تفكير السلطان أنه لا يوجد بمسمن جميع المشروطات الانسانية مشروطات غير مؤكدة النجاح أكثر من تلك المشروطات التي تعتمد على نتائج القتال .^(٢)

وأخيرا كتب السلطان سليمان رسالة الى السيد الكبير دى ليل آدم - هي آخر رسالة في مجموعة الرسائل المتبادلة بينهما - بتاريخ أول يونيو عام ١٥٢٢ ، أبلغه فيها صراحة بتصميمه على ضم جزيرة رودس ، ولكنه أقسم له على أنه إذا سلمها له طوطا فإن أحدا من أهلها سوف لا يصاب بضرر ، ويصح لكل من يرغب منهم في الرحيل

(١) أنظر : Pauli II, F.183, num. CLX; Forochon, P.198; Charriere I, PP. 89-90.

(٢) أنظر : Biliotti, P. 292; Forochon, P.198; charriere I, PP. 89-90

عنها مع عائلته وأمواله وبتاعه الى أى جهة أخرى يريد أن يرحل اليها ، أما اذا رفض أن يسلم له قلعة الجزيرة (يقصد الحى العسكري فى مدينة رودس العاصمة) فإنه سوف يهدمها من أساساتها رأسا على عقب وسوف يأخذه هو — أى السيد الكبير — رجاله عيدا ثم يقتلهم ثم قتله كما فعل بالكثيرين غيرهم .^(١)

وهما يكن من أمر هذا الاثذار فقد رفض دى ليل آدم أن يرد عليه ، ويقصد المزم على المقاومة .^(٢) وكان السيد الكبير للاستتارية فى الحقيقة يستعد لذلك منذ أن استشف الخطر فى رسالتى سليمان السابحين اليه ، فاستدعى فرسانه المقهوسين بشعب الاستتارية فى أوروبا بحيث ارتفع عددهم فى رودس الى مائتين وتسعين فارسا وخمسة عشر فارسا منتسبا ، كانوا موجودين فيها عند وصوله اليها من فرنسا لتسلم منصب رئاسة حكومتها ، الى ستمائة فارس وفارسين اثنين .^(٣) ومن ناحية أخرى

أرسل دى ليل آدم الفارس الاستتارى أنطونيو بوزيو (Antonio Bosio

الى جزيرة كريت الخاضعة للهندية فأحضر منها مئتين وخمسة عشرة سفينة من النيبس وخمسة مئتين كريت .^(٤) عزز بهم السيد الكبير حامية الجزيرة المولفة من أربعة آلاف وخمسمائة جندي اغريقى . وعند عودة الفارس أنطونيو بوزيو من رحلة ثانية

(١) أنظر : Pauli II, P.184, num. CLXII; Charriere I, PP. 91-92; Hammer V, P.27; Farochon, P.205.

(٢) أنظر : Farochon, P. 205.

(٣) أنظر : Biliotti, P.304; Flandin, P. 249
علما بأن فلانديان لم يذكر عدد الفرسان المتسبين .

(٤) أنظر : Farochon, P.200
وقد ذكر (Biliotti, P.304) أن عددهم حوالى ستمائة فارس ، كما أن (Pastor IX, P.156) ذكر بأن عددهم أكثر بقليل من ستمائة فارس .

(٥) أنظر : Biliotti, P.305; Farochon, P.198; Daru IV, P.258.

(٦) أنظر : Biliotti, P.305 ; Farochon, P.200.
أما المؤرخ (Pastor IX, P.156) فقد ذكر بأن عددهم خمسة آلاف جندي ربما لأنه أضاف اليهم القبطيين الكريتيين الخمسمائة .

أمر بالقيام بها إلى كريت أحضر معه المهندس الهندي الاثني عشر غبريال ماوتينينجو
(Brassan gabriel martinengo) الذي أشرف على تقوية أسوار
العاصمة رودس ، وشيد في هذه المدينة الملاحي " المصقوفة لايوا " النساء والأطفال
والمعجائز من الرجال أثناء القصف ، كما حفر الأنفاق من تحت الأرض لتسهيل الاتصال
بين الحصون والمواقع العسكرية المختلفة من غير التعرض للقذائف المدافع .^(١) يضاف
إلى ذلك أن السيد الكبير للاستتارية قام بتخزين كميات كبيرة من المؤن والذخائر
والأسلحة التي أحضرها معه من فرنسا أو اشتراها بعد ذلك من نابلي وصقلية وكريت
وقبرص ورودس نفسها .^(٢) وكان من الطبيعي أيضا أن يطلب دى ليل آدم المساعدات
العسكرية من دول الغرب الكبرى ،^(٣) ولكن الشغال كل من فرانسوا الأول ملك فرنسا
وشارل الخامس إمبراطور ألمانيا في الحرب أحدهما ضد الآخر حول بسط السيطرة
على شمال إيطاليا ، وانحياز إنجلترا إلى جانب الإمبراطور الألماني فضلا عن قلعة
اهتمامها عموما بمسألة أمن الفلبين المسيحية في الشرق ، تسبب في ضياع مساعدات
السيد الكبير للاستتارية إلى هؤلاء الحكام هباءا ماثورا . أما البابوية ، وهي أكثر
جهات أوروبا قلقا على سلامة الاستتارية في رودس واهتماما ببقاء رودس حصنا أماميا
للمسيحية نحو أرض المسلمين ، فقد كانت وتذاك عاجزة عن أن تقدم بمفردها أية
مساعدات عسكرية تفيد في الدفاع عن هذه الجزيرة ، ولم يكن البابا أدريان السادس
(١٥٢٢ - ١٥٢٣) ، الذي انتخب للبابوية منذ ٩ يناير عام ١٥٢٢ خلفا للبابا
ليو العاشر ، يملك إلا أن يواصل سياسة سلفه في التوسط بين الأطراف الأوروبية
المتنازعة من أجل إيجاد الصلح بينهم حتى يمكنهم التفرغ لإنجاد رودس .^(٤)

- (١) أنظر : Biliotti, PP. 305-306; Farochon, PP. 198-199.
(٢) أنظر : Biliotti, F. 305; Farochon, PP. 194, 198, 203;
Charriere I, F. 92; Doru IV, P. 258.
(٣) أنظر : Biliotti, P. 305 ; Flandin, PP. 248-249; Darue IV,
P. 258.
(٤) أنظر : Pastor IX, PP. 155-157 ; charriere I, F. 84.

على أن أهم اجراء اتخذته السيد الكبير دى ليل آدم بعد أن تسلم اذار سليمان
 كان تنظيم الدفاع عن عاصمته رودس ، وتوزيع مسئوليات هذا الدفاع على مختلف
 الطوائف التى تتألف منها هيئة الاستتارية وعلى كبار الفرسان فى هذه الطوائف . وما
 تم اتخاذه فى هذا الشأن تكليف كل طائفة من طوائف الاستتارية الثمانى بالدفاع عن
 القطاع المعروف باسمها وتحمله على أسوار هذه المدينة تحت قيادة فارس كفاء مسن
 أبناء الطائفة ^(١) ، بخلاف فارس آخر عينه دى ليل آدم لقيادة الحصن المطبق بشكل
 قطاع ^(٢) . وإلى جانب ذلك شكلت من القوات الاحتياطية أربع فرق للاغاثة أو النجدة
 وقت اللزوم ، وخصص لكل منها قطاعان من قطاعات المدينة الثانية فضلا عما يأمرها
 بأن تقوم به السيد الكبير للاستتارية ^(٣) ، كما شكلت فرقة خامسة بقيادة الأمر الكبير
 لايجاد أى موقع فى المدينة يتعرض لخطر محقق بصفة عامة ^(٤) . ومن ناحية أخرى تسم
 تقسيم مدينة رودس إلى أربعة قطاعات كبرى عين على كل منها فارس استتارى على رأس
 فرقة مؤلفة من مائة وخمسين متطوعا من أهالى المدينة لحماية الأمن والمحافظة على
 النظام فيه ، مع السماح لهؤلاء الفرسان الأربعة بتشكيل مجلس حرب يضمهم جميعا
 له حق اصدار الأحكام بالاعداد على من يقدم أمامه من المتهمين ^(٥) . ولعرقلة سفن
 الشو العثمانية عن دخول البوغازين فقد أطلق أحدهما ، وهو البوغاز الكبير ،
 بعد سلسلتين قويتين أجداهما بين برجى نيلاك وطواحين الهواء الثانية بين برج
 طواحين الهواء والرصيف ، على حين سد البوغاز الثانى ، باغراق بعض السفن المحطة

(١) لمعرفة أسماء قادة القطاعات الثمانية . ارجع الى :
 Farochon, P. 204.

(٢) لمعرفة أسماء قادة الحصون ارجع الى :
 Farochon, Pp. 203-204; Biliotti, P. 308; Flandin, P. 251.

(٣) للتعرف على قادة فرق الاغاثة الاربع انظر :
 Farochon, P. 204; Biliotti, P. 308; Flandin, P. 250.

(٤) انظر :

Flandin, Pp. 250-251.

(٥) انظر :
 Farochon, P. 204; Biliotti, P. 309; Flandin, P. 251.

بالأحجار في مدخله (١) كما عوت سلاله مصنوعة من الخشب الذي جلب من غلمسات
الأناضل القريبة عبر مدخل الهوازل الكبيرين يرحى اللد من نقولا وطواحين الهوا (٢)
ونظرا لأهمية موقع برج اللد من نقولا الذي يشكم في كلا الهوازين فقد عيت له حامية
من ثلثمائة جندي وثمانين فارسا استناروا اختبروا تحت قيادة الفارس جيوت

القتالي (

Guyot de Castellane

الذي لب لشجاعة ملكه فقرأ طويلا يلقب الجندي الأول للقدس حنا ، كما كلف بعض
الحجارة الرندسة والمتطوعين الأجانب بالاشتراك في الدفاع عن هذا السبرج (٣)
ولما كان سور إيطاليا والحي اليهودي الواقع خلفه أضعف منطقة في تحصينات المدينة
فقد تقرر أن يقيم السيد الكبير دي ليل آدم وحرسه القوي الذي يقوده الفارس لوس
دي بونيفال (Louis de Bonneval) ، في حي العذراء سيده

النصر (Notre Dame de La Victoire) ، المجاور لهذه
المنطقة لضمان منع الأعداء من النفاذ إلى داخل المدينة عن طريقها (٤)
وقوع خيانات أثناء الحصار العثماني المرتقب بسبب الاختلاف في الدين أو الجنس
بين سكان المدينة كلف مطران الرب الأرموذكس ، كلمنت (Clament) ،

ومطران اللاتين الكاثوليك ، ليونارد بالورستين (dom Léonard Balorestin)
بأن يعمل على واحدة على تقوية روابط الوحدة الوطنية بين هذين العنصرين من السكان (٥)
وللهيب حاس الأهالي أحضر دي ليل آدم صورة العذراء ، التي اعتقد الروادسة بأنها
صاحبة الفضل في نصر عام ١٤٨٠ على جيوش السلطان محمد الثاني جد السلطان

Flandin, PP. 251-252; Biliotti, P. 302.

De Belabre, P.31-

Biliotti, P.309; Farochon, P.204.

Biliotti, P.308; Farochon, P.204; Flandin, P.254.

Farochon, P.205; Flandin, P.252.

(١) أنظر :

(٢) أنظر :

(٣) أنظر :

(٤) أنظر :

(٥) أنظر :

سليمان الثاني ، من مقرها في الكنيسة المسماة باسمها على جبل صليمان وأودعها
كنيسة القديس مرقس داخل مدينة رودس .^(١) ولحرمان الثروة الأتراك من أى شئ قد
يفيدهم في إطالة أمد الحصار حول مدينة رودس هدمت جميع المبانى القائمة خارج
أسوار هذه المدينة بما فيها الكنائس ، كما اجتثت حقل القمح والحلف فى قسرى
الجزيرة وخزن ما اجتث منها فى مخازن بداخل العاصمة بعد أن دفعت أثمانها
لأصحابها . وأخيرا صدرت الأوامر الى جميع الرجال من أهالى الجزيرة بالابتعاد
عند قدوم جيش الغزو التركى فى أن يهربوا ويأمنوا الى الحصون القريبة للاجتماع
فيها ، وأن ينخرطوا فى ملك الجندية فى العاصمة للاستفادة بهم كعمال فى سد
الثغور التى تحدثها قذائف الأعداء فى حواط الأسوار أو فى بناى حواط جديدة
تحل محل الحواط التى تقوضها تلك القذائف وغير ذلك مما يلزم عمله للمحافظة على
سلامة التحصينات أثناء الممارك .^(٢)

هذا فيما يتعلق بما اتخذته الاستبارة فى رودس من اجراءات استعداد بها
لهجوم العثمانيين . أما فيما يتعلق بالسلطان سليمان الثانى فلم يكن فى الواقع
قد دعا السيد الكبير للاستبارة دى لى لى آدم الى التسليم فى أول يونيو عام ١٥٢٢
الا بعد أن كان قد فرغ من اعداد جميع أدوات الحطة التى أرادها لفتح جزيرة
رودس ، بما فى ذلك تعيين مصطفى باشا - الوزير الثانى للسلطان سليمان
وزوج أخته - سرعسكر لهذه الحطة ، وتعيين رئيس البحر كود أوغلى (أو أوغلو)
مصلح الدين قادا لأسطولها .^(٣)^(٤)^(٥)

Biliotti, P.306.

(١) أنظر :

Hammer v, PP. 29-30; Farochon, P.198.

(٢) أنظر :

(٣) يقول ابن ابى اس (بدائع الزهور - الجزء الأخير ص ٢٩٣) أن أميراً عثمانياً اسمه

سلطان بك وصل الى القاهرة فى ٢٦ جمادى الاولى عام ٩٢٨ هـ الموافق ٢٢ أبريل

عام ١٥٢٢ - أى قبل أن يرسل السلطان سليمان إنذاره الى السيد الكبير

للاستبارة بمنحة وأربعين يوماً - وصرح بأن " السلطان سليمان بن عثمان جهز

خمسة مائة مركب وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج بنفسه الى قتال أهل رودس "

(٤) أنظر :

Mitchell, P.25; Hammer V, PP. 27-28.

(٥) أنظر :

La manuscrite turque, dans Biliotti, PP. 296-297;

Farochon, P.200.

وعندما وصلت سفن الأسطول الى جزيرة رودس في ٢٤ يونيو^(٩) (عام ١٥٢٢) ،
 رسث أمام قرية فيلانوفا Villanova الواقعة الى الغرب من عاصمتها^(١٠)
 مدينة رودس .

- (١) ١٠ رجب عام ٩٢٨ هـ . أنظر : La manus. Turque, dans Biliotti, P. 294
- (٢) أنظر التقرير الذي قدمه السفير الهندي Tipolo لحكومته . يوجد هذا التقرير منشورا في Hammer V, P.415
- (٣) جاء هذا الرقم في وثيقتين أحدهما تقرير السفير الهندي Tipolo (Hammer V, P.415) والثانية النص اللاتيني لشروط اتفاق تسليم رودس بين السلطان سليمان والسيد الكبير دى ليل آدم (وهي منشورة في charriere I, P.92
- (٤) هذا التقرير قال به الفارس الاسبثاري يعقوب البهبهني Jacques de Bourbon الذي قام بدور في الدفاع عن رودس أثناء حصار جيوش سليمان الثاني لها - أنظر : Flandin, P.254 ; Hammer V, P.415
- (٥) يقول ابن اياس " (الجزء الاخير من ٢٠٢) أن قاصدا عثمانيا وصل الى القاهرة في أواخر شهر رجب عام ٩٢٨ هـ وسلم لملك الامراء خاير بك مرسوما شريفا جاء فيه " أن السلطان سليمان قد جهز الى أهل رودس متعاقبة مركب ... "
- (٦) أنظر : La manuscritet Turque. dans Biliotti, P.294;
- (٧) أنظر : Mitchell, IF . 25 -26.
- (٨) أنظر : Hammer, V, P.27; Biliotti, P.294.
- (٩) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, P. 294.
- (١٠) أنظر : Charriere I, P.92; Hammerv , P.29.
- يقول (La manuscrite Turque, dans Biliotti, P.299, Fanes) أنه رسا بالقرب من حصن الى الجنوب من قيللا نوكا . أما فlandin, P. 254 فيقول بأنه رسا الى الغرب من مدينة رودس منحوشا نيكيلو معتركا .

(١)
 يعتقدنى وثيقة تركية لم يعرف كاتبها لجا مصطفى باشا الى المخادعة بأن ترك
 ما فى سفينة أمام قبلا توثا على حين قاد - بهرفقه كورد أوغلى - بقية سفن الاسطول
 الى مكان يقع جنوب شرق مدينة رودس ، طارا أمام بوغاز هذه المدينة المعروف
 باسم بوغاز المالدراكى ، فأصبحت سفينة أو سفينتان من تلك السفن يقتابل بسرج
 القديس نقولا الذى يحصى ذلك البوغاز .
 (٢)

(١) رسالة خطية باللغة التركية دون فيها مؤلفها أخبار الحصار بأسباب . وهى
 لم تطبع للآن . وقد اعتمد المؤرخ بليوتى (Biliotti) ، عند
 تأريخه لهذا الحصار فى كتابه عن رودس الذى رجعت اليه مرات كثيرة ، على
 فقرات بأكملها منها بعد أن ترجمها ترجمة حرفية الى اللغة الفرنسية . فغير
 أن بليوتى قال بأن مؤلف هذه الرسالة هو احمد حافظ (Ahmed Hafouz)
 فى حين يشير اليها حبيب غزالة بك فى كتابه الذى أعطاه اسم " جزيرة رودس "
 قائلا بأنها لا تحمل اسم مؤلفها ، أما حافظ احمد (وليبر احمد حافظ)
 فهو صاحب مكتبة أولقيا للنفع العام بمدينة رودس وتحتوى على هذه المخطوطة
 ضمن مخطوطاتها من الكتب . ويعتقد حبيب غزالة بأن مؤلف المخطوطة هو
 رمضان طهيب السلطان سليمان ، وقيل بأنه " ما يؤيد ذلك الترجمة التى
 نشرها المسيو Tercier من علماء فرنسا فى المجلد ٢٦ من صحيفة
 مجمع (أكاديمية) الكتابات القديمة المطبوع فى باريس سنة ١٧٥٩ ، وقد
 صدرها بهذا العنوان : (مذكرات رمضان عن فتح السلطان سليمان لجزيرة
 رودس فى سنة ١٥٢٢) .

أنظر : حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ص ١٢ - ١٣ ، ٤٢ ، ٤٤ .
 (٢) أنظر : La manuscrite turque, dans Biliotti, Pp. 299-300

وقد جاء فى (Flandin P. 254) بأن مصطفى باشا انتقل بأسطوله الى
 الساحل الشرقى للجزيرة لتفادى الرياح الغربية النشطة ، واما بأسطوله فى
 مواجهة قرية Zimboli الواقعة الى الشرق من مدينة رودس المعاصرة
 بنحو ستة كيلومترات . هذا ويؤيد طحجى خليفة (ترجمة : mitcheil, P. 26)
 أقوال الرسالة التركية .

والواقع ان الاساطيل التركي تعرض في ذلك المكان ، الذي وصل اليه فيس
٢١ يونيو ، للدقصف الشديد من مدافع الحصون القريبة ، وبخاصة من مدافع حصن
إيطاليا الذي أصابت إحدى قذائفه بارجة كورد أوتلي فتشعلت أحد مجاديلها من غير
ان يقتل أحد من ركبها .^(١)

وبالرغم من ذلك فقد استطاع مصطفى باشا انزال قواته الى الباس في خلال
ثلاثة أيام .^(٢) ولم تضر عشرة أيام أخرى - أي في يوم ٩ يوليو - حتى كانت هذه
القوات قد سيطرت على جبل القديس اسطفان وقرية القديس جورج ، وكلاهما من ضواحي
مدينة رودس ، وأحاطت بهذه المدينة من ناحية البر على حين أحاطت بها من
الأساطيل من ناحية البحر .^(٣)

ومع ذلك فان مصطفى باشا لم يجزؤ ويتذاك على مهاجمة أسوار المدينة ليس فقط
بسبب ضعف جيشه أمام قوة تحصيناتها وقايلة مدافعها التي قال عنها كاتب الوثيقة
التركية^(٤) بأنها وضعت أفراد هذا الجيش في موقف عسير ، ولكن أيضا لأن مصطفى
باشا أراد أن يحتفظ بمشرف اصدار الأمر بهدء الهجوم للسلطان سليمان نفسه^(٥)
الذي كان مصطفى باشا يعلم بأنه في طريقه الى رودس عبر آسيا الصغرى على^(٦)

(١) أنظر : La manuscrite Turquie; dans Biliotti, PP. 300-301

(٢) أنظر : Biliotti, P.307; Flandin, P.254

(٣) أنظر : Biliotti, P.307

(٤) أنظر : La Manus. Turquie, dans Biliotti, PP.302-303

(٥) أنظر : Hammer V, P.29

(٦) "بما" في الرسالة التركية (اقتباس Biliotti, P.297) أن السلطان
خرج على رأس جيشه في ١٨ رجب عام ٩٢٨ هـ الموافق ١٣ يونيو (أي بعد
تحرك الاساطيل بثلاثة أيام بحسب أقواله) ، على حين ورد في يوميات حيلة
السلطان سليمان الثانية ، تلك التي قام بها ضد رودس (انظر
Hammer V, P.417) بأنه خرج في ١٦ يونيو (٢١ رجب) .

رأس جيش الحملة الرئيسى المشكل بمقتضى المصادر التركية من مائة ألف جندي ، ^(١) ووفقا
لمصادر الاسبانية بمائة ألف جندي منهم ستون ألف جندي لحفر الأنفاق الأرضية
وتزرع الألغام فيها تحت أسوار وحصون المدينة . ^(٢)

وطى أى حال فما أن علم مصطفى باشا بموصل السلطان سليمان وجهته الى ميناء
مرمرس ، ^(٣) الواقع على ساحل آسيا الصغرى فى مواجهة جزيرة رودس ، حتى أرسل
أسطولاً الى هذا الميناء فنقلهم الى جزيرة رودس ^(٤) التى وصلوا اليها فى ٢٨ يولية
عام ١٥٢٢ (٤ رمضان عام ٩٢٨ هـ) . ولم يلبث السلطان سليمان أن نصب فسطاطه
على رابية تل قزل تپه Kyzil Tépe - الذى يشكل القسم الجنوبي من جبل
القدس اسطفاً - لمراقبة تحركات الجيش واصدار الأوامر . ^(٥) وبعد أن تفقد أسوار
المدينة وحصونها عن بعد أمر بتوزيع قواته حولها على خمسة مراكز . ^(٦) وفى نفس الوقت
تم توزيع مدافع الحصار الكبرى بحيث صوب واحد وعشرون منها نحو حصن العائيسا ،
واثنان وعشرون نحو برج القدس نقولا ، واثنان وأربعون موضعين على أربع عشرة بطارية
بواقع ثلاثة مدافع لكل بطارية واحدة نحو حصن أسبانيا وانجلترا ، وسبعة عشر مدفعاً
نحو حصن إيطاليا . ^(٧)

(١) أنظر : La manus. Turquie, dans Biliotti, PP. 320-322

Hammer V, P.28; Lamertine V P.216

(٢) تقدير الفارس الاسباني بحقوق اليوناني المعاصر لتلك الاحداث (أنظر :

Hammer V, P. 416 ; Farochon P. 205 ; Biliotti, P.304

وجاء هذا التقدير أيضاً فى صلب وثيقة تسليم رودس للسلطان سليمان ، وهى

الوثيقة التى نشرها المؤرخ (Charriere I, P.92

(٣) يطلق عليها لاهيون اسم marmaritza ، وهو ميناء Phiscus
قديماً - أنظر :

Hammer V, P.29

(٤) أنظر :

La manuscrite turque, dans Biliotti, P.30 3

(٥) أنظر :

Jornal de la seconde campagne, dans hammer V,
P.419.

(٦) أنظر :

Biliotti, P.307

(٧) أنظر : Biliotti, P.307; Hammer V, P.31; Farochon, PP.207-208

(٨) أنظر : Hammer V, P.32

وقد بدأ القتال في اليوم التالي مباشرة لوصول السلطان إلى رودس ، أي في يوم
٢٩ يولية عام ١٥٢٢ (٥ رمضان عام ٩٢٨ هـ) ، ^(١) وأمد القصف بالمدفعية في هذا
اليوم واليوم الذي يليه - أي في يومي ٢٩ ، ٣٠ يولية - إلى مختلف الحصون
والأبراج القائمة على أسوار رودس ، غير أن هذه الحصون لم تلبث أن أسكتت المدافع
التركية التي قامت بقصفها . ^(٢)

وبعد هذا القتل رأى المشاكسون أن يركزوا جهودهم ضد برج القديس نقولا
مفتاح المدينة من جهة الشطال • ومن ثم قام الياس باشا بإيلاء الروميلي ، نفسى
٣ أغسطس ، بقصف البرج من ناحية البحر • وفى اليوم التالى ساعد كورد أغلى ،
قائد الأسطول فى الرماية على هذا الحصن من ناحية البحر • غير أن مدافع السبرج
استطاعت خلال أيام القصف - وهى ثلاثة أيام على الأقل - أن تدمر بطاريات الدفاع
العثمانية التى قامت بقصفه عدة مرات ، وتكبد من قاموا بتشغيلها خسائر جسيمة نفسى
الأرواح مما اضطر العثمانيين الى التخلي عن مهاجمة هذا البرج فى هذه المرة

La manus. Tur., dans Biliotti, P.309 ; Journal de : أنظر (۱)
la Sec. Camp., dans Hammer V, P.419, Mitchell, F.26

De Belabre, PP. 79-80 (۲) انظر :

وقد جاء في يوميات حملة السلطان سليمان الثانية . (فــــــــــــــى
 Hammer V, P.419) صراحة بأن العثمانيين قصفوا المدينة
 فى يومى ٢٩ ، ٣٠ يولييه بعد افعهم • كما أن الرسالة التركيبية
 (فى Biliotti, PP. 309-310) ذكرت بأن مراكز مختلفة قصفت
 بالمدافع فى آن واحد فى يوم ٢٩ يولييه • وقد أرجع كاتب هذه الرسالة عجز
 المدافع العثمانية عن النيل من مدينة رودس الى وقرة عدد المدافع فى هـــــــــه
 المدينة ومراعاة تصميم تحصيناتها •

(١) وطوال فترة الحصار حول المدينة .

وقد حدث في ٩ أغسطس (١٦ رمضان ١٢٨٨ هـ) أن وصل إلى رودس أربع وعشرون سفينة حربية قادمة من مصر (٢) لنجدة العثمانيين قوامها ألف وخمسمائة مقاتل من جنود الحامية العثمانية في مصر والمماليك الجراكسة . وكان سرعسكر هذه القوة الأمير المملوكي قايتباي الرضائي ، الدوادار الكبير ، علما بأن أوامره كانت قاصرة على الأمراء المماليك ، وعددهم ثلاثة وأربعون أميرا ، والمماليك الجراكسة ، وعددهم خمسمائة أو ثمانمائة مملوكا ، وأنه وصل برفقة الأمير جاثم الحمصـزاي نائبا عن كبير الأمراء خير بك لدى السلطان سليمان في رودس ، وبالشهيد حاصـد القبطان قائدا للسفن (٣) . ويذكر كاتب الوثيقة التركية بأن السلطان سليمان كلف جنود مصر ، عند وصولهم إلى رودس ، بقصف برج الأجراس الذي يحمل اسم القديس حنـسا لما كان يقوم به ـ عن طريق دق أجراسه ـ من تنبيه للروادسة بتحركات العثمانيين ضد هم . ومقتضى أقوال نفس الكاتب واصل المصريين الرواية على البرج إلى أن سقط

(١) أنظر : Biliotti, P. 310, Farochon, P. 208

علما بأن هذين المؤرخين لم يذكرا تاريخا لهذه المعركة . أما التاريخ السـي أوردناها فقد أخذناها من يوميات حلة السلطان سليمان الثانية (في Hammer V, P. 419) بالرغم من أن هذه اليوميات لم تذكر اسم برج القديس نقولا الذي تعرض للقصف صراحة ، وكل ما جاء في اليوميات أنه وقعت في ٣ أغسطس معركة كبرى بالمدافع التي اقتادتها القوات معها داخل الخنادق . (وهذا يتفق مع ذكره فاروشون من أن الاتراك حفرُوا خندقا بالليل في الرمل .) فيه المدافع إلى أقرب مكان من البرج استطاعوا الوصول إليه . وجاء في اليوميات أيضا أنه حدث في يومي ٤ ، ٥ أغسطس أن تلقى كورد أوغلي الأمر بأن يتقدم على رأس صفته لمساندة الجيش .

(٢) أنظر : La manuscrite Turque, dans Biliotti, P. 311.

Journal de La sec. Camp. dans Hammer V, P. 419

(٣) ابن الجاسر : بدائع الزهور ـ الجزء الأخير ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤

الجزء العلوي منه حيث توجد الأجراس في ١١ أغسطس (١٨ رمضان) ^(١) ولما كانت هذه أول مرة يحقق فيها العثمانيون نجاحاً منذ بدءوا في قصف المدينة ^(٢) ، فقد فرح به السلطان سليمان وكان من أجله جميع الباشوات في الجيش يلبس القباطين ^(٣) . أما العساكر المصريين الذين أحرزوا هذا النجاح فقد سمح لهم السلطان فسي ١٢ أغسطس بإنزال وطاقهم في معسكر الوزير الأهمير محمد باشا ^(٤) . وفي تلك الأثناء كان الرأي قد استقر في مجلس السلطان على أن يتولى الوزير الثالث أحمد باشا ، الذي عرف بخبرته في الأعمال الهندسية ، الإشراف على عملية حفر شبكة من السرايب والمسالك تحت الأرض تبدأ من مواقع معسكرات العثمانيين وتمتد حتى تصل إلى أساسات مختلف الأسوار والحصون في المدينة لتسببها بالألغام مع استمرار قصفها بالمدافع ^(٥) إلى أن يحين موعد هجوم الجند عليها لاقتحامها بحشد اتبناه شهر رمضان وعهد الفطر الذي يليه . وهو كد كاتب الوثيقة التركية بأن أحمد باشا أسرف ، عند بث الألغام في السرايب التي حفرها ، في استهلاك البارود مما أدى إلى تعطل الكثير من المدافع من العمل إلى أن جلبت كميات وافرة منه من تركيا بالسفن ^(٦) .

(١) أنظر : La manuscrite Turque. dans Biliotti, P. 311-312

ولاحظ بأنه جاء في بعض حلة السلطان سليمان الثانية (فسي

Hammer V, P. 419) بأن البحر سقط يوم ١٠ أغسطس ، ولم يبرد

فيها ذكر لدور المصريين في إسقاطه .

(٢) أنظر : Biliotti, P. 312

(٣) أنظر : Journal de la sec. camp. dans Hammer V, P. 419

(٤) أنظر : Ibid: Loc. Cit.

وارجع أيضاً إلى ابن أبياس : بدائع الزهر - الجزء الأخير ص ٢٠٤ .

(٥) أنظر : La manuscrite tur. dans Biliotti, PP. 313-314

(٦) أنظر : Ibid, PP. 313-315

على أى حال فإن أمر ما قام به أحمد باشا لم يلبث أن عرف في ريد من حيث
أخذ المهندس الكريعى مارتينجو على الفور فى زرع الألغام المضادة التى أفسدت
الكثير من ألغام الوزير العثمانى ودمرت معظم سراديبه .^(١) وبينما كانت هذه الحرب
الخفية بين أحمد باشا ومارتينجو تجرى تحت الأرض ، قام نحو ثلاثة آلاف فارس وجندى
استبارى ، فى ١٩ أغسطس ، بالهجوم على معسكر الوزير الأعظم بير محمد باشا
بدمرو ما وجدوه فى هذا المعسكر من مدافع وهربوا .^(٢) وفى اليوم التالى - أى فى
٢٠ أغسطس - خرج عدد آخر من فرسان وجند الاستبارى ، قدركاتب الوثيقة التركية
عددهم بنحو ثلاثة آلاف فارس وجندى ، من بوابة دامهواز الواقعة فى جنوب غرب
المدينة ، وفتوا قوات أحمد باشا المعسكرة بالقرب من هذه البوابة ، ولكن تلك
القوات لم تلبث أن أجبرت على العودة من حيث أتوا .^(٣)

على أنه لم تضر أربعة أيام فقط على هذا الهجوم الاستبارى الأخير أى فى يوم
٢٤ أغسطس حتى حل أول أيام عيد الفطر (أول شوال عام ٩٢٨ هـ) الذى كان مقرا
من قبل أن يبدأ العثمانيون بعده محاولاتهم لاقتحام أسوار المدينة . ومقتضى ما جاء
فى الوثيقة التركية قام العثمانيون بأولى هذه المحاولات فى صباح اليوم الثالث للميد
أى فى يوم ٢٦ أغسطس (٣ شوال عام ٩٢٨ هـ)^(٤) حيث هاجمت قواتهم أسوار أومراكو
انجلترا واسبانيا وأبداً من غير أن تفلح - بالرغم من كثرة تكبدته أثناء الهجوم

(١) أنظر : Hammer V, P.32 , Farcohon, P.209

(٢) أنظر : Journal de La sec. Camp. dans Hammer V, P. 420

(٣) أنظر : La manus.Turqu. dand Biliotti, P.314 , Journal de la Sec. comp. dand Hammer V, P.420.

(٤) أنظر : La mznuscribe turq. dand Biliotti, P.315

(٥) أنظر : Biliotti, l. 316 , Farcohon, P.209

ولاحظ بأن الرسالة التركية الخطية لم تحدد أسماء حصون الاستبارية التى هجم عليها الاتراك (أنظر : اقتباس Biliotti, P.316 من الرسالة) . أما يوميات حملة السلطان سليمان الثانية (Hammer V, P.420) فقد اقتضت على ذكر أنه وقعت فى يومى ٢٦ ، ٢٧ أغسطس معركة .

من ضابطا - في الاستيلاء على أي منها (١) وقد وجه العثمانيون هجماتهم الثلاث
التالية إلى حصن انجلترا الذي كانوا قد أوشكوا في المرة السابقة على أن يستولوا عليه
لولا وصول السيد الكبير دى ليل آدم على رأس حرسه في الوقت المناسب فأنقذه منهم (٢)
وكان من الطبيعي أن يقوم بالهجوم على ذلك الحصن في المرات الثلاث - وفي كل مرة
غيرها تعرض فيها الحصن للهجوم من جانب العثمانيين إلى أن سقط في أيديهم -
الجند المراهطون في معسكر مصطفى باشا الذي أقيم أمامه خصيصا لهذا الغرض .
وقد استطاع أولئك الجند في أول مرة من هذه المرات الثلاث ، وتاريخها ٤ سبتمبر
(١٢ شوال) ، النفاذ إلى داخل الحصن عن طريق ثغرة كبيرة أحدثها فيها
انفجار لغم فجر أسفل جدرانه قبل الهجوم عليه مباشرة ، ولكنهم لم يلبثوا ، بعد
قتال عنيف اشترك فيه السيد الكبير دى ليل آدم الذي خف لنجدة الحصن على رأس
حرسه عند سماعه بخبر نجاح العثمانيين في اقتحامه ، أن أجبروا على الارتداد عنه
تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى قدرته بعض مصادر الاستبارة بنحو ألفين على حين
قدرته مصادر استبارة أخرى بثلاثة آلاف (٣) على أن العثمانيين أفلحوا مرة أخرى ،
عندما شنوا هجومهم التالي على هذا الحصن في ١٠ سبتمبر ، في النفاذ إلى داخله
عن طريق عدة ثغرات أحدثها فيه انفجار لغمين قبل الهجوم ، ولكنهم أرغوا في هذه
المرة أيضا على الانسحاب متكبدين خسائر جسيمة في الأرواح ربما لا تقل عن خسائرهم
في المرة السابقة (٤) على حين لم يفقد الاستبارة الذين دافعوا عن الحصن في هذا
الهجوم سوى ثلاثين فارسا استبارا من بينهم قائد المدفعية وحامل لواء السيد الكبير
للاستبارة (٥) وعلى أي حال فإنه لم تعش ثلاثة أيام على هذا الهجوم الأخير - أي في

(١) أنظر :

La manus.Turque, danx Biliotti, P.316

(٢) أنظر :

Biliotti, P.316

(٣) أنظر :

Hammer V, P.32, De belabre, P.76 Farochon, P.210

(٤) أنظر :

Journal de la Sec. Camp. dans Hammer V, P.420,

La manus.Turque. dans Biliotti, P.319 Hammer V, P.32

(٥) أنظر :

Hammer V, P.32

يوم ١٢ سبتمبر - حتى عاد صكر مصداقي باشا للهجوم على ذلك الحصن - وهو رابع هجوم لهم عليه - تحت غطاء من نيران مدافعهم فتكثروا من الوصول اليه وتسلق أسواره ورفع خمس رايات من راياتهم فوق تلك الأسوار . غير أن حامية الحصن من فرسان الاستتارية الانجليزية تعكت في النهاية ، بفضل نجدة وصلت اليهم أثناء القتال من زملائهم فرسان الاستتارية الألمان من احياء الهجوم .^(١)

هذا عن المحاولات الأربع الاولى التي قام بها العثمانيون لاقتحام أسوار المدينة . وقد أخذت محاولاتهم الاخرى تتوالى بعد ذلك . ففي ١٧ سبتمبر (٢٥ شوال) قام أفراد معسكر احد باشا بمهاجمة حصن أسبانيا الواقع أمام معسكرهم ، ولكنهم لم يلبثوا أن انسحبوا مغلوبين وراهم نحو الفين من القتلى .^(٢) وبعد يومين - أى في يوم ١٩ سبتمبر - هاجم بعض المعاليك الجراكسة النازلين في معسكر الوزير الأعظم مير محمد باشا حصن الاستتارية الواقع أمام هذا المعسكر ، وهو حصن ايطاليا ، واستولوا منه على أربعة أو خمسة أعلام ثم ارتدوا عنه مطرودين .^(٣) وفي فجر ٢٤ سبتمبر (٣٣ والقعدة) شن العثمانيون هجوما شاملا على جميع أسوار وحصون المدينة . وقد تمكن العثمانيون

(١) أنظر :

Hammer V, F.33, De Belabre, P.76

علما بأن دي بيلابر ذكر بأن الهجوم وقع يوم ١٧ سبتمبر . كما يلاحظ بأنه لم يرد ذكر لهذا الهجوم في الرسالة التركية الخطية وفي يوميات حملة سليمان الثانية .

(٢) وردت أخبار هذا الهجوم في يوميات حملة سليمان الثانية (Hammer V, F.421

من غير أن تحدد اسم الحصن الذي وقع عليه الهجوم . كما أن الرسالة التركية الخطية (Biliotti, PP. 319-320) تكلمت عن هذا الهجوم

بإفادته ولكنها أعطته تاريخ ١٨ سبتمبر . هذا وقد اتفق دي بيلابر (De Belabre, P.67) مع اليوميات في أن تاريخ الهجوم

١٧ سبتمبر . أما المؤرخ فاروشون (Farochon, PP. 212-213

فقد تكلم عن الهجوم من غير أن يحدد تاريخ وقوعه ولكن ذكر بأن عدد القتلى من العثمانيين فيه بلغ نحو ألفي قتيل .

(٢) أنظر : Journal de la secon. Camp. dans Hammer V, i.421,

La manus. Turque. dans Biliotti, P.320

علما بأن الرسالة التركية جعلت تاريخ هذا الهجوم يوم ١٨ سبتمبر ليلا .

خلال هذا الهجوم من الاستيلاء على حصن أسبانيا ، ولكن الاستتارية - وعلى رأسهم
الصيد الكبير وحرسه - استلوا طردهم منه بعد ثلاث ساعات ، ولم يلبث أن اضطر
العثمانيون إلى وقف الهجوم الشامل والتراجع في مساء نفس اليوم . وقد بلغت خسائر
العثمانيين في هذا الهجوم الشامل بمقتضى التقديرات الأوروبية نحو خمسة عشر ألف
جندي بين قتل وجرح ومفقود .^(١) أما خسائر الروادسة فقد قدرها رودسي لـ
إلى معسكر الأتراك بثلاثمائة قتيل وعدد كبير من الجرحى من بينهم أحد رؤساء
الاستتارية وجميع رؤساء الرماة والمدافع والبنادق .^(٢) وبما يكن من أمر هذا الهجوم
الشامل فإن أول هجوم للعثمانيين بعد فشله شنه جيش الياس باشا في ٨ أكتوبر على
حصن ألمانيا . وقد انتهى هذا الهجوم إلى فشل ، كما فشل هجوم آخر قام به

(١) أنظر : Hammer v, PF. 33-34, Farochon, PF. 213-216; De Belabre, PF. 60, 67, 76-77, 83, Biliotti, FF. 325-326

وملاحظ بأن Biliotti أعلى لهذا الهجوم تاريخ ١٩ أكتوبر بدلاً من
٢٤ سبتمبر الذي أجمع عليه المؤرخون الآخرون . ووضح بأن
أخذ هذا التاريخ عن الرسالة التركية التي تناولت وقائع الهجوم باختصار على
غير عادتها .

(أنظر ترجمة ما جاء فيها عن هذا الهجوم في Biliotti, P.32,)
ومن الملاحظ أيضاً بأنه لم يرد عن هذا الهجوم الكبير في يوميات حطة سليمان
الثانية (Hammer V, P.421) سوى عبارة أن الهجوم الذي
قام به العثمانيون يوم ٢٤ سبتمبر انتهى إلى فشل .

(٢) أنظر : Hammer, B, P.34 De Belabre, P.67, Farochon, P.216,

Biliotti, P.326, Lamzrtine IV, 225. (٣) أنظر :

Journal de la secon. camp. dans Hammer V, P.422 (٤) أنظر :

Journal de la secon. camp. dans Hammer V, P.422;

La manus. Turque, dans Biliotti, P.323

مع ملاحظة أن الرسالة التركية أميت تاريخ هذا الهجوم يوم ٦ أكتوبر ، وأنهما
- شأنهما شأن اليوميات - لم تذكر اسم الحصن الاستتاري الذي وقع عليه الهجوم ،
وإنما ذكره المؤرخ Biliotti في معرض تعليقه على ما جاء في الرسالة عن
الهجوم . والمعروف أن معسكر الياس باشا الذي قام به الهجوم يقع أمام حصن
ألمانيا .

مصطفى باشا بعد أربعة أيام - أي في يوم ١٢ أكتوبر (٢١ ذو القعدة) - على
 حصن انجلترا . (١) وكان أن قرر العثمانيون الاكتفاء بحرب الحصار والقصف المتقطع
 بالمدافع حيث الالفام تحت أسوار المدينة إلى أن تتفوض هذه الأسوار فيستأنفون
 عليها الهجوم . وقد جاء في رسالة يبعث بها السيد الكبير دى ليل آدم فسسى
 ١٣ نوفمبر ، إلى ابن أخته فرانسوا دى مونت مورنسى François de Montmorency
 - أحد اشراف فرنسا القريبين إلى ملكها فرانسوا الاول - بأن فرسان
 الاستتارية صدوا ، منذ بدأ الحصار العثماني حول مدينة رودس عاصمة جزيرتهم
 رودس في ٢٦ يونيو حتى وقت كتابة هذه الرسالة ، تسع هجمات كبرى شنها العثمانيون
 على هذه المدينة ، هي في أغلب الظن تلك الهجمات التي سردنا وقائعها . (٢)

(١) أنظر : Journal de la secon. camp. dans Hammer V, P. 422
 Farochon P. 221

وملاحظ بأن الرسالة التركية (Biliotti, FI. 32-324)
 أوردت وقائع الهجوم بأمانة ولكن تحت تاريخ ١١ أكتوبر (٢٠ ذو القعدة) ،
 كما جاء فيها بأن الهجوم قام به الجناح الأمير لقسم بير محمد باشا . والخطأ
 في ذلك واضح لأن معسكر بير محمد يقع أمام حصن إيطاليا وروثانيس وليس
 أمام حصن انجلترا الذي يقع أمام معسكر مصطفى باشا . ومن الملاحظ أيضاً
 بأن المؤرخ هامر (Hammer V, P. 35) ذكر خطأ بأن قائد
 هذا الهجوم هو أحمد باشا . وهذا يعود هذا الخطأ إلى أن المؤرخ المذكور
 سبق أن وقع في خطأ آخر هو ذكره بأن مصطفى باشا غادر رودس إلى مصر
 يوم ١٧ سبتمبر (Loc Cit.) وصحته - كما جاء في اليوميات التي
 نشرها نفس المؤرخ (Ibid, P. 423) - ٢٧ أكتوبر .

(٢) أنظر : Charriere I, P. CXXXI-CXXXIIII

(٣) بدأت بهجوم ٢٦ أغسطس على حصن انجلترا وأسبانيا وإيطاليا ، ثم هجمات
 ٤ ، ١٠ ، ١٢ سبتمبر الثلاث على حصن انجلترا ، ثم هجوم ١٧ سبتمبر
 على حصن أسبانيا ، وهجوم ١٩ سبتمبر على حصن إيطاليا ، وهجوم
 ٢٤ سبتمبر الشامل ، وهجوم ٨ أكتوبر على حصن ألمانيا ، وأخيراً هجوم
 ١٢ أكتوبر على حصن انجلترا .

ومن الانباء الاخرى عن الممارك، التي أبلغ دى ليل آدم بها ابن اخته في هذه الرسالة، التي كتبها له أصلاً لحثه على التوسط لدى الملك الفرنسي لكي يرسل السي رودس النجدة التي طلبها منه مبعوث اميتارى خاص أرسل اليه لهذا الغرض، أن العثمانيين لم يكتفوا لتدمير تحصينات المدينة التي يقومون بحصارها بقصفها بالمدافع، ولكنهم استخدموا ضدها أيضاً سلاح الألغام فزرعوا أكثر من خمسين لغماً انفجر منها عشرة على حين اكتشاف الاستتارية بقية هذه الألغام وأفسدوها بالألغام المضادة. وأضاف دى ليل آدم بأن بعض البهاريين من العثمانيين الذين لجئوا الى رودس أقادوا بأن خسائر جيش الحصار العثماني بلغت أكثر من خمسين ألف جندي من أحسن جنوده إما في الممارك أو بسبب تفشي المرض بين صفوفه. ولكن السيد الكبير للاستتارية استطرد قائلاً بأنه علم أيضاً من هؤلاء اللاجئين بأن الرأي قد استقر عند العثمانيين على أن يعضوا الشتاء في معسكراتهم أمام مدينة رودس، وأن هذا الخبر قد سبب انزعاجاً له ولرجال الذين أصبحوا بعد أن فقدوا كثيراً من وسائلهم الدفاعية، لا يستطيعون الاستمرار طويلاً في المقاومة والصمود إن لم تصل اليهم النجدة التي طلبها من ملك فرنسا. وفي ختام الرسالة أبلغ دى ليل آدم ابن اخته بنياً اكتشاف خيانة أحد أعضاء حكومة الاستتارية المعروفة باسم المجلس وأعدائه بعد ثبوت التهمة عليه. ومن الثابت أن هذا الخائن هو أندريا دامارال

Andrea d'amaral

رئيس طائفة قشتالة^(١) الذي كان قد رشح نفسه لمنصب السيد الكبير للاستتارية

(١) لقد حوكم دامارال في أوائل شهر نوفمبر (عام ١٥٢٢) بتهمة الخيانة العظمى. ومن شهدوا ضده أحد رماة المدفعية بحصن أوثرن، وقس اغريقى، فضلاً عن خادم دامارال نفسه الذي كان يقوم بالقاء الرسائل التي يكتبها سيده الى معسكر العثمانيين مستخدماً في ذلك قوس وجد مخبأ في خندق حصن أوثرن. وبالرغم من اصرار دامارال حتى النهاية على براءته فقد حكم عليه بالاعدام. وفي النصف الاول من شهر نوفمبر (قبل يوم ١٣) نفذ الحكم فيه فقطعت رأسه ثم قطع جسده الى أربعة أجزاء. وطلق كل من الرأس وأجزاء الجسد الاربعة على حصون حصن مدينة رودس على مرأى من جيش الحصار العثماني. انظر:

منافسا لدى ليل آدم ، بعد موت السيد الكبير السابق كارتوغام ١٥٢١ ، ولكن
أعضاء هيئته خذلوه واختاروا منافسه للمنصب ^(١) . غير أن دي ليل آدم لم يذكر
اسم الخائن في رسالته الى ابن أخته ، واكتفى بالقول عنه بأن الحسد والطمع فسي
السلطة جعلاه يتآمر ضد هيئته الاستتارية منذ أمد بعيد ، وأنه قد استدعى الاتراك
لحصار رودس .

وفي الحقيقة فإنه في الفترة التي كتب فيها دي ليل آدم هذه الرسالة كان
العثمانيون قد توصلوا عن طريق القصف بمدافعهم الى اصابة حصن أسبانيا بتصدعات
خطيرة اضطر السيد الكبير دي ليل آدم بسببها الى نقل مركز قيادته من جوار حصن
انجلترا الى مكان قريب من ذلك الحصن - أي حصن أسبانيا ^(٢) . وفي نفس الوقت
تمكن العثمانيون بمساعدة هذه المدافع من تدمير سور إيطاليا ثم اقتحام هذا السور
واحتلال جانب من الحي اليهودي الواقع خلفه حتى خط الدفاع الثاني الذي أقامه
الاستتارية سريعا - عندما شعروا بقرب انهيار السور الخارجي - من أنقاض كنيسة
العدرا^٣ سيدة النصر والقدوس بانتاليون (Saint - Pantaléon)
بعد هدمها لهذا الغرض بأمر خاص من السيد الكبير دي ليل آدم ^(٣) . وقد حاول
العثمانيون ، في ٢٣ نوفمبر (٤ محرم) ، اقتحام هذا السور الجديد ولكن
محاولتهم كلفتهم خسارة بشرية قدرها خمسمائة قتيل وفشلت ^(٤) . على أن العثمانيين
لم يلبثوا بعد أسبوع واحد - أي في ٣٠ نوفمبر (١١ محرم) - أن شنوا على ذلك
الموقع وحصن أسبانيا في آن واحد أعنف هجوم لهم على أسوار رودس بعد هجومهم

Farochon, PP. 191-192

(١) أنظر :

De Belabre, PP. 69-70

(٢) أنظر :

Farochon, PP. 83-84, Farochon, PP. 223-224

(٣) أنظر :

De Belabre, P. 84; Farochon, P. 224

(٤) أنظر :

علماء بأن دي بيلابر وفاروشون ذكرا بأن الهجوم وقع في ١٢ نوفمبر

الشامل على تلك الأسوار في ٢٤ سبتمبر ، وكادوا أن يسيطروا عليها لولا أن هطلت
فجأة أمطار اعصارية غزيرة كالطوفان عطلتهم ثلهم الهجومية وكشفت قواتهم المهاجمة
أهدافا سهلة لمدافع حصن أوشرن المجاور لحصن أمبانيا ولبطاريات المدافع مع
الخفيفة التي أقيمت على جبل فوق رصيف طواحين الهواء المقرب من حصن إيطاليا ،
فمزقت تلك المدافع شعلتهم وأجبرتهم على الانسحاب تاركين وراءهم نحو ثلاثمائة
آلاف قتيلا . (١)

وكان أن عدل سرعسكر الجيش - وهو أحمد باشا الذي كلفه السلطان
بقيادة جيش الحملة بدلا من مصطفى باشا إما بعد فشل الحصار الشامل في
٢٤ سبتمبر^(٢) أو بعد تعيين مصطفى باشا واليا على مصر في ٢٤ أكتوبر^(٣)
- عن الهجوم وعزم على الاستمرار في حصار المدينة مع تصعيد عمليات قصف أسوارها
بالمدافع وتفجير الألقام تحت هذه الأسوار^(٤). وفي اليوم العاشر من ديسمبر
أبدي السلطان لاثنتين من الاستتارية ، وفدا إلى معسكره طلبية لرغبته التي أوصىها
للسيد الكبير دى ليل آدم في رسالة بعث بها إليه في نفس اليوم على يد اثنتين من
رجالها ، استعدادا لأن يأمر بالكف عن القتال إذا وافق الاستتارية على الجلاء عن
الجزيرة خلال ثلاثة أيام . وقد تفاوض الاستتارية في الأمر أولا داخل مجلسهم ثم
في مؤتمرهم العام الذي يضم ، إلى جانب أعضاء هذا المجلس ، ممثلين اثنين

(۱) انظر : Farochon : PP. 70, 84 De Belabre, PP. 35-36 Hammer V,

P. 224

والمقتضى أقوال المؤرخ بليوتى (Biliotti, F.330) كان حصن
إيطاليا الهدف الرئيسى لهجوم الأتراك فى هذا اليوم ، وقد اشترك القبط
الإسرائيلى المؤلف من مائتين وخمسين متطوعا يهوديا - معظمهم من صانعى
الأسلحة - فى الدفاع عن ذلك الحصن .

(۲) هذا ما قال به الفارسي الاسبغاري بحقوق اليهودي - أنظر :

Farcohon, PP. 218-219, Biliotti, P.327, De Belabre, P.68

Farcohon, pp. 218-219, Birkbeck, 1932, 20 1932 : (۲) أنظر
Journal de la secon. Camp. dans Hammer V, F.423 : (۴) أنظر

(۴) انظر:

Hammer V, P.36

عن كل طائفة من طوائف الاستبارة الشانبي ، فعارض أكثرهم في التسليم . ومن ثم أرسل السيد الكبير دى ليل آدم إلى السلطان سليمان فارسى استبارة طلباً منه مد مهلة الأيام الثلاثة المعطاة للتسليم بحجة أن التفاسم مع رود من الذين ينقسمون إلى اثنتين مختلفتين ، هما طائفة الأروام وطائفة اللاتين ، أمر يحتاج إلى فسحة طويلة من الوقت . غير أن السلطان رفض الاستجابة لطلب هذين الفارسين وأمر بمواصلة الحرب . وفي اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (ديسمبر) شن العثمانيون هجوماً عنيفاً على حصن أسبانيا انتهى إلى فشل . ولكنهم في اليوم التالي (١٩ ديسمبر) أعادوا الكرة على نفس الحصن واستولوا عليه . وكان الاستبارة في ذلك الوقت قد أدركهم الوهن وخارت عزائمهم . غير أن السيد الكبير دى ليل آدم أراد أن يبذل محاولة أخيرة لانقاذ الموقف فأرسل إلى السرد عسكراً واحداً باسم فارسى من فرمان الاستبارة صحة معاهدة قديمة معقودة بين السيد الكبير الأسمى بطرس دهبسون والسلطان العثمانى بامزيد الثانى (جد سليمان الثانى) أمن فيها هذا السلطان ، باسمه واسم خلفائه من بعده ، الاستبارة في جزيرة رودس . على أن أحمد باشا ما كاد يتسلم هذه الوثيقة حتى مرّ بها ووطأها تحت أحد قدميه أمام سفيرى الاستبارة ، ثم كتب رسالة الفاظها جارحة وأمر بإرسالها إلى السيد الكبير للاستبارة مع جندين رودسيين ، كانا قد وقعا في أسر الأتراك في ذلك اليوم نفسه ، بعد إطلاق سراحهما وجده أنفيهما وعراضهما وقطع أذانهما . وانتهى الأمر بأن أرسل دى ليل آدم في ٢١ ديسمبر سفارة إلى السلطان سليمان الثانى في معسكره خارج أسوار مدينة رودس ، لتعرض عليه شروط الاستبارة للاستسلام له . وقد وافق السلطان على هذه الشروط وأمر وزيره الأعظم بالاتفاق مع سفراء الاستبارة

على بقية الشروط التي يجب أن تتضمنها اتفاقية الجلاء (١) وأهم ما جاء في هذه الاتفاقية التي تم التوصل إليها في نفس ذلك اليوم - أي في يوم ٢١ ديسمبر - عدم المساس بالكنايس والحظائر الدينية المسيحية ، وكفالة حرية العبادة لأهالي الجزيرة كل حسب مذهبه الديني ، وتأمين هؤلاء الأهالي على أرواحهم وأموالهم ، وأغاثتهم من دفع الضرائب لمدة خمس سنوات ، ومن الجزية التي يفرضها السلطان عادة على

(١) أنظر :

Hammer V, PP. 36-38, Biliotti, FF. 335-336

وقد لخص دي ليل آدم وقائع تلك الفترة في رسالة بعث بها إلى ابن أختيه فرانسوا دي مونت مورنس عام ١٥٢٣ من جزيرة كريت التي انسحب اليها الأسبانية بعد جلائهم عن رودس ، فقال بأن العثمانيين حاولوا عبثا تسليق أسوار مدينة رودس أو تسفها بالمداغ والالغام ، ولكنهم تمكنوا في النهاية من فتح ثغرة في هذه الأسوار تسع لمرور ثلاثين أو أربعين رجلا على خيولهم فتجاوزين وقد نفذوا عن طريق هذه الثغرة إلى داخل المدينة حيث تقدموا نحو ما شقة وخمسين خطوة بعد ستة وثلاثين يوما دامت فيها المعارك بينهم وبين الأسبانية في هذه المنطقة عرض السلطان - الذي رأى بأن خسائره في الجند بلغت منذ بدء الحصار ثمانين ألفا ، وأن هذه الخسائر تزداد يوما بعد يوم أمام صمود الأسبانية - على الأسبانية أن يسلموا له المدينة مقابل السماح لهم بمقادرة الجزيرة سالمين ، ومعاملة من يرغب في البقاء منهم معاملة طيبة مع أعضائهم من كل رسم وضريبة مدة خمس سنوات بما في ذلك ضريبة تقديم الاطفال للانكشارية . ويستطرد دي ليل آدم قائلا في رسالته بأن الأسبانية اختلفوا أياما عديدة مع السلطان حول هذا الأمر ، ولكنهم وجدوا أخيرا بأنه لم يعد في مقدورهم الاستمرار في الصمود ، حيث نفذ منهم البارود والمونة ، وتقدوا معظم رجالهم الصالحين للقتال ، وانقطع الأمل لديهم في وصول أي من النجيدات التي طلبوها مرارا من حكام أوروبا ، يضاف إلى ذلك أنهم اشفقوا على رعاياهم الروادسة من أن يضعهم العثمانيون تحت حد السيف أو يضطروهم إلى هجر دينهم خوفا من القتل ، ومن ثم خضعوا - أي الأسبانية - لمشيئة السلطان .

(أنظر نص رسالة دي ليل آدم في

(Charriere I, PP. 94-95

الشعوب المسيحية عند خضوعها له ، وتقضى بأن يقدموا له أولادهم ليقيم بقربتهم
 واعدادهم لأن يصبحوا جنودا في فرقة الانكشارية ، الى الأبد . ونصت الاتفاقية
 أيضا على أن يتم جلاء الاسبتارية عن الجزيرة خلال مهلة قدرها اثني عشر يوما ،
 وسمح لهم بأن يأخذوا معهم ما يملكون من أسلحة وذخائر ووثائق وحلى وأواني
 وأدوات ثمنينة وصورة دينية ورفات للقديسين ، فضلا عن سفن أسطولهم التي تقدر أن
 يرحلوا ، ومن يرغب في الرحيل معهم من أهالي الجزيرة ، عليها جنبا الى جلب مع
 ما يقدمه لهم السلطان من سفن تركية تساعد في نقلهم بالمجان الى جزيرة كريت ثم
 تعود أدراجها تاركة سفن الاسبتارية لأصحابها . فضلا عن ذلك اشترط بأن يتراجع
 جيش الحصار العثماني ستة أميال عن مواقعه أمام أسوار مدينة رودس فيها عدا أربعة
 آلاف جندي انكشاري يسمح لهم باحتلال حصن المدينة الى أن يتم جلاء الاسبتارية
 عنها . وأخيرا قضت الاتفاقية بأن يقدم السيد الكبير للاسبتارية خمسة وعشرين فارسا
 امبتاريا ، من بينهم فارسان من حملة وسام الصليب الكبير " (Grand - Croix)
 الذين لهم حق عضوية مجلس الحكومة ، وخمسة وعشرين من أهالي رودس الأغنياء ،
 رهائن للسلطان .^(١)

(١) أنظر Farochon, P.229, Hammer V, P.38 ; Biliotti, PP. 336
 337, Finlay, P.82

وجد به بالذكر أن المؤرخ شاريري (Charriere I, PP. 92-93)
 نشر وثيقة كتبت باللغة اللاتينية ، قال أنها محفوظة ضمن وثائق الاسبتارية
 في مالطة ، تضمنت شروط هذه الاتفاقية فيها عدا شرط تراجع الجيش العثماني
 عن مواقعه وتسليم الرهائن للسلطان .

بعد أن تم عقد اتفاقية الاستسلام هذه بخمسة أيام - أي في يوم ٢٦ ديسمبر عام ١٥٢٢ - توجه السيد الكبير دى ليل آدم لمقاومة السلطان سليمان الثانى فى معسكره العثمانى ، بدعوة من السلطان الذى بالغ فى اكرامه وحاول أن يطيّب خاطره ببعض العبارات الرقيقة ، كما أكد له حرصه على أن يكون جلاؤه ورجاله الاستبارية عن الجزيرة جلاءً كريهاً . وبعد ثلاثة أيام أخرى - أي فى يوم ٢٩ ديسمبر - دخل السلطان مدينة رودس فى مكب عظيم وطاف بحصونها ، ثم توجه الى قصر السيد الكبير للاستبارية حيث سأل دى ليل آدم اذا كان يرغب فى مد مهلة الاثنى عشر يوماً المصداق له للجلاء لشكره الرئيس الاستبارى وقال لا أريد غير المحافظة على الشروط المتفق عليها فى معاهدة الجلاء ، فوعده السلطان خيراً وطيب خاطر مرة أخرى ، وهذا من الأدلة الاخرى - الى جانب سخطه - شروط اتفاقية الجلاء نفسها - على ما كان عليه سليمان الثانى من سخاة وكرم خلق . وفى اليوم الاوّل من شهر يناير عام ١٥٢٣ (١٣ صفر سنة ٩٢٩ هـ) قام دى ليل آدم بمنزلة أخيرة للسلطان سليمان حيث قبل بدبه وقدم له هدية قوامها أربع أوانى من الذهب ، ثم غادر رودس متوجهاً الى جزيرة كريت قرب منتصف الليل من نفس اليوم مع مائة فرسان الاستبارية ونحو خمسة آلاف من أهل جزيرة رودس .

(١) أنظر :

Hammer V, P.40

(٢) أنظر :

Hammer V, P.41 , la manus. Turque, dand Biliotti, P. 339

مع ملاحظة أنه جاء فى المخطوطة التركية (اقتباس من بليوتى ص ٢٣٨ - ٢٢٩) بأن هذه هى المرة الثانية التى يدخل فيها السلطان مدينة رودس ، أما المرة الاولى فكانت يوم ٢٥ ديسمبر أى قبل ذلك بأربعة أيام .

(٣) أنظر :

Hammer V, P.41

(٤) أنظر :

Ibid: Loc. Cit.

غير أن المخطوطة التركية (اقتباس من بليوتى ص ٢٤٠) ذكرت بأن هذه الزيارة تمت يوم ١٢ صفر أى ٣١ ديسمبر ١٥٢٢ .

(٥) أنظر :

Hammer V, P.42

مع ملاحظة أن المؤرخ بليوتى (ص ٢٤٠) ذكر بأن الجلاء تم فى فجر اولى يناير ١٥٢٣ . وقد جاء فى الرسالة التى بعث بها دى ليل آدم الى ابن اخته فرانسوا دى مونتمورينسى من جزيرة كريت فى ٧ فبراير عام ١٥٢٣ بأن الاستبارية ارتحلوا عن رودس فى اولى يناير عام ١٥٢٣ من غير أن يحدد ساعة معينة لهذا الارتحال (انظر :

خاتمة

لعل من أهم الملاحظات الملفتة للنظر عن الاستتارية في رود من السيد الكبير لهيئة الاستتارية كان يتمتع بسلطة تكاد تكون مطلقه على أعضاء هيئته بالرغم من وجود مجلس مشترك معه يصفه دائمه في الحكم ، فقد كان السيد الكبير هو الذي يمين أعضاء هذا المجلس ورأس جلساته ، وبالرغم من وجود ما يعرف باسم المؤتمر العام للاستتارية ، فقد كان هذا المؤتمر يعقد دوراته في فترات متباعدة لا تقل عن العام ، وقد تزيد عن العشرين عاما وفق رغبة السيد الكبير الذي كان يملك وحده سلطة توجيه الدعوة لأعضاء المؤتمر للانعقاد في الموعد والمكان اللذين يحددهما لذلك ، كما كان من سلطة السيد الكبير رئاسة جلسات هذا المؤتمر بنفسه - أو عن طريق نواب عنه يختارهم بنفسه لهذا الغرض - ووضع جدول أعماله .

ولقد بلغ من سلطة السيد الكبير أنه اذا حدث وكانت له شكوى ضد واحد من أعضاء الهيئة التي يرأسها عين بنفسه رئيس المحكمة التي يختارها للحكم في هذه الشكوى .

وفي الحقيقة فان أكثر ما كانت قوانين الاستتارية تجرّص على النص عليه تأكيد سلطة السيد الكبير لهيئة الاستتارية الى جانب تأكيد حقوق الخزائن المركزية برود من لدى أعضاء هذه الهيئة .

ومن الملاحظات الهامة الأخرى أن حكومة السيد الكبير للاستتارية كانت تتخذ المركزه الى درجة أن عضو هيئة الاستتارية كان ملزما بحكم القانون أن يحصل على إذن أحد أعضاء هذه الحكومة ، وهو المحافظ الكبير ، قبل أن يقدم على تنفيذ أي عمل ملامس جديده له ، فاذا تصرف بغير ذلك حوكم أمام " المعارشال " أي وزير العدل ، وإلى درجة قيام الحكومة بتعيين اثنين من المتقنين القانونيين بمجلس الاستتارية في كل موقع من مواقع العمل بالجزيرة الى جانب مدير هذا المجلس .

يعرف باسم المفتشين المبعوثين الى شعب الاستبارة خارج رودس لرفع تقاريرهم اليها
عن سير العمل في هذه الشعب الى جانب التقارير التي كان يبعث بها اليها على
الدوام مقدما الشعب .

وبلاحظ ايضا بان الاستبارة احتكروا لانفسهم جميع مناصب الحكومة من غير
ان يولوا احدا من اهالي الجزيرة الوطنيين في أي منها ، الا في حالات قليلة جدا
حيث ارسل الاستبارة واحدا او اثنين من هؤلاء الاهالي في سفارات للمصلح لدى
الهلاط العثماني (١) وذلك بالرغم مما عرف عن الاستبارة من عدم تدخل في الاعمال
الآخري لأهالي الجزيرة وعدم مساهمة حريتهم الدينية ، بل وقيامهم بدفع رواتب رجال
الدين الأرثوذكس البيزنطيين ، الذين يتمتع لهم دينيا أغلبية أهالي الجزيرة ، فسي
مقابل واحد هو قيام سكان العاصمة رودس بتأدية قسم يمين الطاعة والولاء للاستبارة (٢) .

(١) في عام ١٤٦٢ أرسل السيد الكبير زاكوسنا سفارة الى السلطان محمد الثاني
مؤلفه من " مارشال " الاستبارة واثنين من أهالي رودس اليونانيين (بليوتي
ص ٢٢٦) . وفي عام ١٥٢٢ أرسل السيد الكبير دي ليل آدم تاجرا يونيا من
أهالي رودس في سفارة لدى السلطان سليمان الثاني قبل قيام هذا السلطان
بغزو رودس (بليوتي ص ٢٩١ ، فاروشون ص ١٩٧) .

(٢) يقول المؤرخ بليوتي (ص ٢٦٥ - ٢٦٦) بان الاستبارة لم يمارسوا السلطة
ضد أحد من أهالي الجزيرة سوى مرة واحدة في عهد السيد الكبير أورسيني
الذي طرد عددا من رجال الدين الأرثوذكس البيزنطيين لأنهم قاموا بحركة
تهدد الى استقلال جماعتهم عن الاستبارة . ويستطرد بليوتي قائلا بان سياسة
الاستبارة المتمثلة بضم الأهالي هي في الواقع السبب الرئيسي لوقوف هؤلاء
الأهالي الى جانب الاستبارة في الدفاع عن رودس عندما حاصرها العثمانيون
في عام ١٤٨٠ ثم في عام ١٥٢٢ ، لأن أهالي رودس في رأي هذا المؤرخ
اذا كانوا يكرهون الخضوع لمن يعتقد الاسلام مثل الأتراك ، فهم يكرهون
بدرجة أكبر الخضوع لمن يعتقد الكاثوليكية مثل الاستبارة .

ونكتفى بعد ذلك بملاحقة أخيره عن الاستتار في رودس هي تعدد وسائلهم
الدفاعية التي استطاعوا بفضلها الاحتفاظ بدولتهم في شرق البحر المتوسط أكثر من
قرنين من الزمن . وبأتى في مقدمة هذه الوسائل ، ولا شك ، الحصون التي أقاموها
في جزيرتهم رودس وبخاصة تلك التي أحاطوا بها عاصمة هذه الجزيرة مدينة
رودس . ودأبوا باستمرار على تقويتها بإدخال كل جديد عليها في فن المعمـ
ر العسكري والأسلحة . وهناك أيضا القلاع والمراقب التي شيدوها فوق راس الجبال
الموجودة في جزرهم الأخرى المحيطة بجزيرة رودس ، واستخدموها في الدفاع عن هذه
الجزر وفي إرسال التحذيرات إليهم في رودس ، عن طريق اشعال النيران ليلا وتصفيد
سحب الدخان نهارا ، كلما شاهدت سفنا للأعداء تقترب منها . يضاف إلى ذلك
أنهم كانوا كلما توقعوا أن يهاجمهم عدو تركي أو ملوكي ، نتيجة الذاربعث به إليهم
أحد عيونهم في بلاد هذا العدو ، يادربوا مطلب المساعدة من البابا وملك فرنسا
وغيرهما من حكام أوروبا المسيحية البارزين ، واستنداء فرسانهم القديسين في شعب
الاستتار للمشاركة في الدفاع عن دولتهم بجزيرة رودس .

هذا وقد اعتمد الاستتار كثيرا على ما كان بين الدولتين العثمانية والمماليكية
من علاقات ومنازعات فاذا أحسوا بأن إحدى هاتين الدولتين تنوي غزوهم في جزيرتهم
رودس أسرعوا إلى عقد الصلح مع الدولة الأخرى .

قاموس

باسم السادة الكبار للاستشارة في روم

| | | |
|---------------|-------------------------------------|------------------------------|
| 1319 - 1300 : | FOULQUES DE VILLARET | (1) فولك دي فيلاريت |
| 1321 - 1319 : | HÉLION DE VILLENEUVE | (2) هليون دي فيلينيوف |
| 1303 - 1321 : | DIÉUDONNÉ DE COZON | (3) دييه دونيه دي جوزون |
| 1300 - 1303 : | PIÉRRÉ DE CORNEILLAN | (4) پيرمرد دي كورنييلان |
| 1360 - 1300 : | ROGER DES PINS | (5) روجر دي پينز |
| 1372 - 1360 : | RAYMOND BÉRANGER | (6) ريموند بيرنجر |
| 1377 - 1372 : | ROBERT DE JUILLY | (7) روبرت دي جويلي |
| 1396 - 1377 : | JEAN FERNANDEZ D, HÉRÉDIA | (8) جتا فرناند هيرديا |
| 1421 - 1396 : | PHILIBERT DE NAILLAC | (9) فيليبيرت دي نيلاك |
| 1437 - 1421 : | ANTONIO FLUVIAN | (10) انطونيو فلوويان |
| 1404 - 1437 : | JEAN DE LASTIC | (11) جتا دي لاستيك |
| 1461 - 1404 : | JACQUES DE MILLY | (12) يعقوب دي ميللي |
| 1467 - 1461 : | RAYMOND ZACOSTA | (13) ريموند زاكوستا |
| 1476 - 1467 : | GIAN BAPTISTA ORSINI | (14) جتا المعمدان اوسيني |
| 1503 - 1476 : | PIÉRRÉ D, AUBUSSON | (15) پيرمرد اوبوسون |
| 1512 - 1503 : | EMÉRY D, AMBOISE | (16) ايميري دامبواز |
| 1513 - 1512 : | GUY DE BLANCHEFORT | (17) جاي دي بلاشفورت |
| 1521 - 1513 : | FABRICIO DEL CARRETTO | (18) فابريشوديل كاريتو |
| 1522 - 1521 : | PHILIPPE VILLIERS DE L, ILE ADAM | (19) فيليب فيليير دي ليل آدم |

فيليب فيليير دي ليل آدم

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية

(١) ابن الأثير : أبو الحسن علي

أ - " الكامل في التاريخ " (ج ١١ ، ج ١٢)

ب - " كامل التاريخ " (في : R.H.C., Hist.Orient., T.II, Part.I.)

ج - " تاريخ الدولة الأتابكية " (R.H.C., Hist.Orient. T.II, Part.II.)

(في :)

(١) ابن أبي عمير : أبو البركات محمد بن أحمد (+ ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)

" بدائع الزهور في وقائع الدهور " (الأجزاء الثلاثة الأولى طبع بولاق

عام ١٣١١ هـ - الجزء الرابع والأخير طبعة دكتور محمد مصطفى

عام ١٩٣٢ م)

ابن بطرطه : محمد بن عبد الله (عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي)

" تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "

(جز ٣ - طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر - الطبعة الأولى عام

١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م)

ابن شداد : بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن واقع

" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "

(في :)

(R.H.C., Hist.Orient, T.III

ابن القلائص : أبو يعلى حمزة (+ ٥٥٥ هـ)

" دليل تاريخ دمشق " (بيروت - ١٩٠٨)

- (٦) ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (+ ٦٩٧ هـ / ١٢٩٦ م)
 " ملج الكروب في أخبار بني أيوب " (الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث - تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال)
- (٧) أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل
 " كتاب الروضتين في أخبار الدولتين " (جزآن - القاهرة ١٢٨٧ هـ ، رضى : R.H.C., Hist. Orient., T.IV .)
- (٨) أبو القدا : عماد الدين اسماعيل بن علي صاحب حاه (+ ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
 " المختصر في أخبار البشر " (الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية) - ٣ ح ، ٤ ح
- (٩) أبو المطاسين : جمال الدين يوسف بن تغري بريد الأنابكي (+ ٨٧٤ هـ / ١٢٥٤ م)
 " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " (٦ ح ، ١١ طبعة دار الكتب - ٧ بأقسامه الثلاثة طبعه كالمفهرمة ١٩٢٦ - ١٩٢٨)
- (١٠) البديسي : (شرف خبان)
 " شرفنامه " - (ترجمه عن الفارسية محمد علي عولي سنة ١٩٦٢) .
 جزآن
- (١١) حشبي : (الدكتور حسن)
 " نهر الدين والصلبيون " (١١)
 دراج (الدكتور احمد)
- " الصالحك والفرنج في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي " (القاهرة ١٩٦١)
- (١٢) ديبل (شارل)
 " الهندية جمهوريه أرستقراطية " (تمريب الدكتور احمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٤٨)

(١٤) زياده (الدكتور محمد مصطفى)

"الفنونة الكبرى الأولى لاستيلاء الصليبيين على مصر"

(مقال في كتاب "كفاحنا ضد الشرقة" - القاهرة ١٩٥٧)

(١٥) السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (+ ٩٠٣ هـ / ١٤٩٦ م)

"التبر المسبوك في ذيل السلوك" - يولاق ١٨٩٦ م

(١٦) سرور (الدكتور محمد جمال الدين)

"الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره" - القاهرة ١٩٣٨

(١٧) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (+ ٩١١ هـ / ١٥٠٤ م)
"غزوات قبرص وروم"

(١٨) صفوت (الدكتور محمد مصطفى)

"السلطان محمد الفاتح قاتح القسطنطينية" - دار الفكر العربي سنة ١٩٤٨

(١٩) طرخان (الدكتور ابراهيم علي)

"مصر في عصر دولة المماليك الجراكمة" - القاهرة ١٩٥٥

(٢٠) عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح)

أ - "قبرس والحروب الصليبية" - القاهرة ١٩٥٧

ب - "الحركة الصليبية" - جزآن القاهرة ١٩٦٣

ج - "مصر في عصر دولة المماليك البحرية" - القاهرة ١٩٥٩

د - "العصر المماليكي في مصر والشم" - القاهرة ١٩٦٥

هـ - "الظاهر بيبرس" - القاهرة ١٩٦٣

و - "الناصر صلاح الدين" - القاهرة ١٩٦٥

(٢١) العملاقسي : احمد بن علي بن جبر (+ ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م)

"انباء القمر بانبا: العمر" - جزآن (مخطوط يد ار الكائن في ...)

- (١) المعينى : بدر الدين محمود (+ ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)
" عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان "
(فيها يتعلق بالحروب الصليبية فى الشام رجعتنا الى ما نشرته
فى " مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية الشرقىين للجزء الثانى -
القسم الاول " • وفيها يتعلق بالفزوات السلوكية لجزيرة رودس
رجعتنا الى الجزء ٢٨ مصر من مخطوط فى دار الكتب بـ قسم
٥٩٨٤ تاريخ) •
- (٢) غزاله : (حبيب بك)
" جزيرة رودس " - القاهرة ١٩٣٢
- (٣) القلقشندى : أبو العباس أحمد (+ ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
" صبح الأعشى فى صناعة الانشا " ج ١٤ (القاهرة ١٩١٣) •
- (٤) المقريزى : تقي الدين أحمد بن على (+ ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
" السلوك لمعرفة دول الملوك " (الجزءان الاول والثانى تحقيق
الدكتور محمد مصطفى زهاده وطبع دار الكتب ١٩٣٤ - ١٩٥٨ •
والجزء الرابع مخطوط بدار الكتب برقم ٤٥٥ تاريخ) •
- (٥) النهري : محمد بن قاسم بن محمد الاسكندري (+ ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م)
" الاطام بالاعلام فيما جرت به الاحكام بالامر المقضيه فى واقعة
الاسكندرية " - جزءان •
(مخطوط مصر بدار الكتب برقم ٣٩٤٢ تاريخ)

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية

1. Anadi:
Chronique, publiée par M. René De Mas-Latrie, Paris
2. Anglure (Le Baron D'):
Le Saint Voyage De Jérusalem, Paris 1858 .
3. Archer (T.A.) & Kingsford (Charles Lethbridge) .
The Crusades,
4. Archives De L'Orient Latin, 2 vol., Paris 1881-1884 .
5. Atiya (A.S.) :
The crusade in the later middle ages, London 1938.
6. ---- :
The crusade of Nicopolis .
7. Baudouin (I.) & De Naberat (A.) .
Histoire des chevaliers de Saint-Jean de Jerusalem
2 Vol., Paris 1643.
8. Baynes (n.) & Moss (H.)
Byzantium, Oxford 1948 .
9. Biliotti (E.) & Colleret (Abbé) .
L'Ile de Rhodes, Paris 1881.
10. Bouhours (Le R.P.) :
Pièce D'Aubusson, Grand-Maitre de Rhodes,
Deuxième Edition, Lille 1889.
11. Bury (J.B.) :
The Ottoman Conquest, in Cambridge Modern History,
Vol.I.
12. Charrière (E.) .
Négociations de la France dans le levant, Vol.I.
Paris 1848 (Collection de Documents Inédits sur
l'Histoire de France) .
13. Cherefeddin :
Histoire de Timur-Beg, Vol. IV (Trad. de Petits de
La Croix,) Paris 1722 .

14. Chronique du Templier de Tye, dans " Les Gestes Des Chiprois", Genève 1887.
15. Chronique de Terre Sainte (1132-1224), dans "Les Gestes Des Chiprois", Genève 1887.
16. Collison-Morley (L.) .
Histoire des Borgia, Paris 1934 (Trad. de Théo Varlet) .
17. Conder (C.R.) .
The Latin Kingdom of Jerusalem (1099-1291) .,
London 1897.
18. Creasy (Edwards.) .
History of the Ottoman Turks, Beirut 1961.
19. Daru (P.):
Storia della Repubblica di Venezia (Traduzione Francese con note ed Osservazioni), Capolago, 1834, 8 Vol. (Vols I, III, IV) .
20. De Belabre (Baron) . :
Rhodes of the Knights, Oxford 1908.
21. De Caumont :
Voyage d'Oultre-Mer en JHérusalem (an.1418),
Paris 1858.
22. Delaville le Roulx (J.) :
Les Archives, la Bibliothèque et le Trésor de
L'Ordre de Saint-Jean de Jérusalem à Malte,
Paris 1883.
23. ---- :
La France en Orient au XIV^e S.-Expéditions
du Maréchal Boucicaut, Paris 1886, 2 Vol.
24. ---- :
Cartulaire Général des Hospitaliers de S.-J. de
Jérusalem, Paris 1894-1906, 4 Vol.

Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre,
Paris 1904 .

26. Delaville Le Roulx (J.) :
Les Hospitaliers à Rhodes Jusqu'à la Mort de
Philibert De Naillac (1310-1421), Paris 1913.
27. De Naberat (A.) :
Sommaire des Privilèges Octroyez à l'Ordre de
S. Jean; par les Papes, Empereurs, Roys &
Princes, dans " Baudouin & De Naberat :
Histoire des Chevaliers de Saint-Jean de
Jerusalem, Vol. 2, Paris 1643.
28. Depping, (G.B.) :
Histoire du Commerce entre le Levant et l'Europe
depuis, les Croisades Jusqu' a la Fondation des
Colonies d'Amérique, Paris 1830.
29. De Prima Institutione Hospitaliorum, dans R.H.C.,
Hist. Oc., T.V. Part .II. Paris 1895 .
30. De la Roncière (Charles) :
Histoire de la Marine Française, 2 Vol.,
Troisième Edition, Paris 1914 (Vols I,II).
31. De La Roncière (Ch.) & Dorez (L.) .
Lettres Inédites et Mémoires de Marino Samado
L'Ancien (1334-1337), dans " Bibl. de l'Ecole
des Chartes L VI, 1895" .
32. Dopp (P.-H.) :
V.Piloti.
33. The Encyclopædia Britannica, Vol. XXIV, Eleventh
Edition, Cambridge 1911.
34. Enlart (Camille) :
Les Monuments des Croisés dans le Royaume de
Jérusalem, 2 Vol., Paris 1925-1928 .
35. Eracles :
L'Estoire de Eraeles Empereur et la Conqueste de
la Terre d'Outremer, dans R.H.C., Hist. Oc.,
T.II, Paris 1849.

36. Fabri (Felix) :

The wanderings of Felix Fabri (Circa 1480-1483 A.D.), 2 Vol., 4 Parts, in " The Library of the Palestine Pilgrims, Vols VII-X" , (Vol.I, Part I) , London 1893-1897.

37. Farœchon (P. - A.) :

Les Chevaliers de Rhodes et de Malte (Chroniques et Récits), Tours .

38. Finlay (George) :

The History of greece under Ottoman and Venitian Domination, London 1856 .

39. Flandin (E.) .

Histoire des Chevaliers de Rhodes, Troisième Edition, Tourse 1873.

40. Froissart :

The Defeat of the Christian Army at Nicopolis (1396), in " Ziada, El-Arini and Ashour : Select Documents of Mediaeval History", First Edition, Cairo 1959 .

41. Fulcherii Cornotensis, dans R.H.C., Hist. Oc., T.III, Paris 1849.

42. Gay (Jules) :

Le Pape Clément VI et les Affaires d'Orient (1342-1352), Paris 1904 .

43. Les Gestes Des Chiprois :

Recueil de Chroniques française Ecrites En Orient aux XIII^e & X IV^e S., publié par Gaston Raynaud, Genève 1887.

44. Gibbon (Edward) :

The Decline and Fall of the Roman Empire, 2 Vol. (Vol. II), new York .

45. Gibbons (H.A.):

The Fou_ndation of the Ottoman Empire, Oxford 1916.

46. Golubovich (P.G.) :

Biblioteca Bio-Bibliografica Della Terra Santa E Dell'Oriente Franceseano (Nuova Serie-Documenti), Tomi I-V, 1913-1929.

47. Grousset (R.) :

Histoire des Croisades et du Royaume Franc:
de Jerusalem, Vol.III, Paris 1936.

48. ---- :

L'Empire du Levant, Paris 1946.

49. Guillaume de Caoursin :

Le Fondement du S.Hospital et de l'Ordre
de la Chevalerie de S.Jehan Baptiste de Jerusal
dans R.H. C., Hist. Oc., T.V, Part II.

50. Guillaume de Saint-Estève :

Comment la Sainte Maison de l'Hospital de S.
Johan de Jerusalem, dans R.H.C., Hist.
Oc., T.V, Part. II .

51. Hammer(J.De) :

Histoire de l'Empire Ottoman depuis son
Origine jusqu' a nos Jours, Vols 1-5,
Paris 1835-1836 (Traduit de l'Allemand par
J.-J. Hellert.

52. Harff (Arnold Von) :

The Pilgrimage of Arnold Von Harff Knight
(1496 - 1499) , Trans. from the german
by Malcolm Letts, London 1946 .

53. Heyd (W.) :

Histoire du Commerce du Levant au Moyen
Age , 2 Vol., Leipzig 1923 .

54. Hill(Sir George) :

A History of Cyprus, 3 Vol., Ca_mbridge
1948 .

55. L'Ile De Castelorizo, Le Caire 1917 .

56. Josephi Historiographi :

Le Commencement de la Fondation de la
Sainte Maison de l'Ospital de S. Johan,
dans R.H.C., Hist. Oc., T.V, Part.II.

57. Journal de la Seconde Campagne de Souleiman, Celle Contre L'Ile de Rhodes, dans " Hammer : Hist. de L'Emp.Ottoman, Vol. 5 .

58. King (Colonel E.J.) :

The Knights Hospitallers in the Holy Land , London,

59. Lamartine - A.De) :

Histoire de la Turquie, 8 Vol. (Vols 3,4), Paris 1854 .

60. Lane-Poole (S.) :

History of Egypt in the Middle Ages, London 1914.

61. Lodge (Richard) :

A History of Modern Europe, Fourth Edition , Londong .

62. Machaut (Guillaume de) :

La Prise d'Alexandrie, Genève 1877.

63. Macheras (Léonce) :

Chronique De Chypre, Trad. Française par E. Miller & C.Sathas, Paris 1882.

64. Martin (Henri) :

Histoire De France, Tome IV, 4 1^{ème} Edition, Paris 1861.

65. Mas - Latrie (M.L.De) :

Histoire de L'Ile de Chypre sous le Règne de Princes de la Maison de Lusignan, 3 Vol., Paris 1852-1855.

66. ----- :

Nouvelles Preuves de l'Histoire de Chypre, dans la Bibl. de l'Ecole des Chartes, XXXV, 1874 .

67. ----- :

Commerce Et Expéditions Militaires De La France Et De Venise au Moyen age, (Documents Publiés par Ma-Latrie), Paris 1879.

68. Michaud (M.R.) :

Histoire des Croisades, Vol.3, Paris 1838.

69. Miller (William) :

The Latins in the Levant, London 1908.

70. Mirepoix (Duc De Lévis) :

Philippe Le Bel, Paris 1936.

71. Mitchell (James) :

The History of the Maritime Wars of the Turks,
Translated from the Turkish of Haji Khalifah,
London 1831.

72. Moranvillé (H.) :

Un Pèlerinage en Terre Sainte et au Sinai
au XVS. , dans B.E.C, LXVI, 1905

73. Musatti (Eugenio) :

Storia Di Venezia , 2 Vol., Terza Edizione,
Milano 1936.

74. Nevaire (Phelippe de) :

Estoire de la Guerre qui fu entre l'Empereor
Frederic & Johan d'Ibelin, (dans les Gestes
Des Chiprois) .

75. Noiret (Hippolyte) :

Documents Inédits Pour Servir à L'Histoire De la
Domination Venitienne En Crète de 1380 à 1485,
Paris 1892 .

76. Les Ordonnances de l'Ordere de S. Jean de Hierusalem,
Trad. du Latin Par I. Baudoin (dans Baudouin &
De Maiberat : Hist. des Chevaliers de S.-J. de
Jérusalem, Vol. 2) .

77. Paderborn (Oliver of) :

The Capture of Damietta, Trans. By John J.
Gavigan, Philadelphia, U.S.A., 1948.

78. Pastor (Ludwig) :

The History of the Popes, Edited by Frederick
Ignatius Antrobus of the Oratory, 10 Vol.,
London 1923.

79. Pauli (Sebastiano) :

Codice Diplomatico Del Sacro Militare Ordine
Gerosolimitano Oggi Di Malta, Raccolto-Da
Vari Documenti Di Quell' Archivio, Per Servire
Alla Storia Stesso Ordine In Rodi Ed In
Malta , Lucca 1737 .

80. Pagolotti (F.B.) :

La Pratica Della Mercatura, Edited in
Cambridge, Massachusetts 1936.

81. Peyrefitte (Roger) :

Chevaliers De Malte, Paris 1957 .

82. Piloti (Emmanuel) :

L.Egypte Au Commencement Du Quinzième Siecle,
(Avec Une Introduction Et Des Notes Par
P.-H. Dopp, Le Caire 1950) .

83. Recueil Des Historiens Des Croisades, Historiens
Occidentaux, 5 Vol., Paris 1844-1895.

84. Rohrbacher (L'Abbé) :

Histoire Universelle De L'Eglise Catholique,
Deuxième Edition, Vols. 21,22,Paris 1851.

85. Rothelin :

Continuation de Rothelin, dans R.H.C., Hist.
Oc., T.II.

86. Runciman (Steven) :

Byzantine Civilisation, London 1932 .

87. Saadud -Din (M.Hassan) :

Chronique , dans La Journal Asiatic,
An. 1926 .

88. Sempad :

Continuation de la Chronique de Sempad,
dans R.H.C., Documents Arméniens,
T.1, Paris 1869 .

89. Les Statuts de l'Ordre de Saint Jean de Hierusalem,
Trad.Par I.Baudouin (Dans Baudouin & De
Naberat : Hist. Des Chevaliers de S.J. de
Jéurs., Vil. 2, Paris 1643).

90. Strambaldi :
Chronique, publiée par M. René de Mas-Latrie,
Paris 1893.
91. Suchem (Ludolph Von) :
Description of the Holy Land and of the Way
Thither, written in the year A.D. 1350 ,
Translated by Aubrey Steward, (In Palestine
Pilgrims' Text Society, Vol. X 11) London,
1895.
92. Tafur (Pero) :
Travels and Adventures (1435-1439),
Translated by Malcolm Letts, London, 1926.
93. Thenaud (Jean) :
Le Voyage D'Outremer De Jean Thenaud,
Edité par Schefer, Paris 1884.
94. Thuasne (L.) :
Djem-Sultan, Fils de Mohammed II, Frère de
Bayazid II (1459-1495), d'Après les
Documents Originaux En Grande Partie
Inédits, Paris 1892.
95. Trevor (Rev. George) :
Rome., London 1868 .
96. Vertot (M. L'Abbé de) :
Histoire Des Chevaliers Hospitaliers De
Saint Jean De Jerusalem, Dernière
Edition, 4 Vol., Amsterdam 1772 .
97. Villaret (Foulques De) :
Mémoire De Foulques De Villaret Sur la
Croisade, Edité par Joseph Petit (dans
B.E.C., LX, 1899).
98. Walsh (Le Vicomte) :
Saint Louis Et Son Siècle, Tours
1878 .
99. Wiel (Alethea) :
Venice, London 1894.

00. Wiet (Gaston) :

L'Egypte Arabe de la Conquête Arabe à la
Conquête Ottomane, (Dans G.Hanoteaux : Hist. de
la Nation Egyptienne, T.IV), Paris 1926.

101. ----- :

L'Egypte Musul mane de la Conquête Arabe à la
Conquête Ottomane (Dans Précis de l'Histoire
d'Egypte, T.II, Le Caire 1932 .

102. Willermi Tyrensis Archiepiscopi :

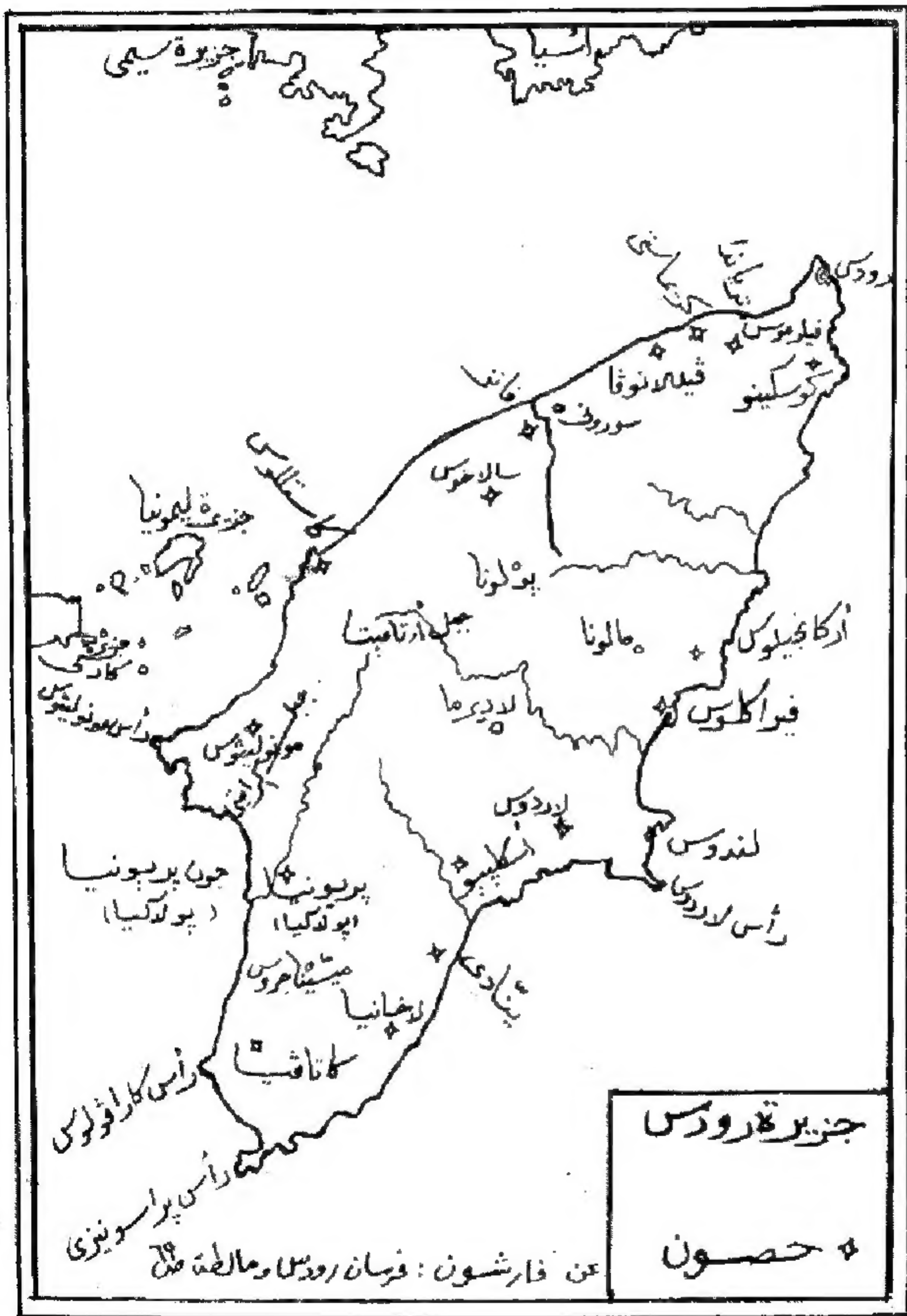
Chronique dans R.H.C., Hist. Oc., T.1,
Parts. I,II,Paris 1844 .

103. Yonge (Charlotte M.) :

History of France , London 1908 .

104. Ziada (M.M.) :

Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth
Century (1422-1517) , Thesis for the
Degree of PH.D., Liverpool,1930.





جیل اوقوس

جزیره طاشیر

جزیره امیر

جزیره کندی

الدردنیل

جزیره عدلی

جزیره ایتار

جزیره ساف (غیوس)

جزیره ساف (حیام)

جزیره تیکاربا

جزیره بطس

جزیره لیس

جزیره لریوز

جزیره کالینوز

اسکندریه (هالکازاس) بودروم

جزیره استاکوی (لانجی)

جزیره انجلی (نیروس)

جزیره المای (ایکوبا)

جزیره هرکیت (کالی)

جزیره رودس

جزیره کرمه (سکاراپو)

جزیره قشوط

الجزیرة المناضحة للاستقارية
في جبرائيل والجزر المجاورة لها

حبيب غزالة : روس

یوقشیل ایرج
(میس)

مدينة رودس العاصمة



عن فارشون: فرسان رودس مالطة
ص ٧٢